

مُوسَى  
أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحَسَنَى  
فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

لِلْفَقِيرِ إِلَى مَوْلَاهِ  
مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّوَيْجَرِيِّ

الجزء الثالث

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ - ٢٠١٩م

دار الفکر للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان



موسوعة

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحَسَنِيَّةِ

في ضوء القرآن والسنة

للفقير إلى ربه

محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري

الجزء الثالث

الطبعة الأولى

١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م

دار أصدقاء المجتمع

المملكة العربية السعودية

القصيم - بريدة

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ - ٢٠١٩م

دار أصدقاء المجتمع

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية

القصيم - بريدة

هاتف : ٠٠٩٦٦٦٣٢٣٦٣٣٣

فاكس : ٠٠٩٦٦٦٣٢٣٦٢٧٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

موسوعة

أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسَيْنِيَّةِ

---

---



# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

## في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

### الباب الثامن

ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية :

٣٤- اسم الله المؤمن.

التعبد لله عز وجل باسمه الله المؤمن.

٣٥- اسم الله المهيمن.

التعبد لله عز وجل باسمه الله المهيمن.

٣٦- اسم الله العزيز.

التعبد لله عز وجل باسمه العزيز.

٣٧- اسم الله الجبار.

التعبد لله عز وجل باسمه الجبار.

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

المؤمن

## موسوعة أسماء الله الحسنی فی ضوء القرآن والسنة

### اسم الله المؤمن

الله ﷻ له الأسماء الحسنی والصفات العلاء، وقد أمرنا ﷻ أن نتعرف على أسمائه وصفاته وأفعاله، فقال ﷻ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد / ١٩].

وأمرنا أن نعبدَه بموجبها فقال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف / ١٨٠].

وأسماء الله الحسنی واحدة في الدلالة على الذات، وهي متعددة الصفات، فهي أسماء وأوصاف، كل واحد يدل على ذات الله ﷻ، وكل واحد يحمل صفة من الصفات، فالرزق يدل على الرزاق، والله ﷻ يرزق، اسمه الرزاق، وباسمه الرزاق يرزق عباده، وهو العليم الذي يعلم عباده، وهو الرحمن الذي يرحم عباده.. وهكذا.

• وأسماء الله الحسنی من حيث معانيها تنقسم إلى ستة أقسام:

الأول: الأسماء الدالة على ذات الله ووحانيته؛ مثل: الواحد، الأحد، الله، الإله، الحق، الحي، القيوم، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، وغيرها من الأسماء الحسنی.

الثاني: الأسماء الدالة على الملك والقدرة؛ مثل: الملك، العزيز، الجبار، المهيمن، القهار، القادر القوي، المقدم، المؤخر، وأمثالها.

الثالث: الأسماء الدالة على الخلق، والإيجاد، والإمداد؛ مثل: الخالق، البارئ، المصور، الرزاق، الوهاب، الكريم، البر، المقيت، وأمثالها من الأسماء الحسنی.

الرابع: الأسماء الدالة على العلم والإحاطة؛ مثل: العليم، الخبير، السميع، البصير، الرقيب، الشهيد، الحفيظ، المحيط، وأمثالها.

الخامس: الأسماء الدالة على الرفق والرحمة والمغفرة؛ مثل: الرب، الرحمن، الرحيم، الرؤوف، الحلیم، الحميد، المؤمن، الشكور، الودود، الولي، النصير، القريب، المجيب، العفو، الغفور، وغيرها من الأسماء الحسنی.

السادس: الأسماء الدالة على الهداية والبيان؛ مثل: الهادي، المبين، الوكيل، الكفيل، وأمثالها من الأسماء الحسنی.

فالله ﷻ له الأسماء الحسنی، والصفات العلاء، والأفعال الحميدة، وأمرنا أن نتعرف على



أسمائه وصفاته، وأفعاله، لنعبده بموجبها، ولتتخلق بها على شاكلة العبودية، فالله ﷻ هو الملك القدوس السلام المؤمن، الذي آمن الناس من ظلمه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سَبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ [الحشر: ٢٣].

هو المؤمن الذي آمن العباد من ظلمه، المؤمن الذي آمن من عذابه من لا يستحقه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٤٠﴾ [النساء: ٤٠].

هو المؤمن الذي آمن من آمن به، وآمن الناس من عقابه إذا آمنوا به: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ [الأنعام / ٨٢].

وهو سبحانه المؤمن الذي يملك خزائن الأمن كلها، وكل آمن في العالم العلوي، والعالم السفلي، وفي الدنيا والآخرة؛ فمنه وحده لا شريك له، هو الذي ينشر الأمن، ويؤمن كل خائف: ﴿لَا يَلِفُ قُرَيْشٍ﴾ ﴿١﴾ إِيْلَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ [قريش / ١-٤].

هو المؤمن الذي يخص أوليائه بمزيد من الأمن؛ فيهب المؤمنون به الأمان والاطمئنان في قلوبهم، وأبدانهم، وأموالهم، وبلدانهم، فيؤمنهم في الدنيا من كل شر وسوء: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ [الأنعام / ٨٢].

﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ [النور: ٥٥].

الله ﷻ هو الذي يؤمن عباده من كل سوء وشر وبلاء، يؤمنهم عند القتال، وعند الفتن، وعند الشدائد والمحن، بما يُنزله عليهم من الأسباب التي تؤمنهم، فالله ﷻ يؤمن عباده خاصة في مواطن الخوف، كما قال عن أوليائه في معركة بدر: ﴿إِذْ يُغَشِّكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ

ءَامِنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ [الأنفال/ ١١-١٢].

فالنبي ﷺ كان في مكة يُطارِد، وسبَّوه، وآذوه، وشتموه، ورموه بالأقوال السيئة؛ فقالوا عنه: شاعر، وكذاب، وساحر، ومجنون، وآذوه في بدنه، وآلموا قلبه؛ حتى ذهب إلى الطائف؛ وحتى هاجر بعد ذلك إلى المدينة وهو خائف، واختبأ في الغار، ثم انطلق من الغار إلى المدينة، فأمن هناك، وصار يؤمن الناس.

فالله ﷻ هو المؤمن الذي يؤمن من شاء من عباده ممن آمن به، فهو ﷻ بيده الأمن، الأمن كله بأنواعه بيده جل جلاله، فأخرجت قريش مئة من الإبل لمن يأتي برأسه ﷺ حياً أو ميتاً، ولماذا خرج النبي ﷺ خائفاً؟ وخرج موسى خائفاً؟ ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص/ ٢١].

لأن الرسل قدوة للضعفاء الذين لا يملكون شيئاً؛ فخرج ﷺ من مكة إلى المدينة، وسلك طريق الساحل حتى وصل إلى المدينة، خرج خائفاً من بطش قريش، وهو متوكل على ربه، لكن الحكمة من أعمال الرسل، لأنهم قدوة لاتباعهم: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

خرج ﷺ خائفاً، ثم رجع إلى مكة يوزع الأمن؛ فدخل المسجد الحرام، وقال لأهل مكة: «مَا تَظُنُّونَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟ قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء».

ثم قال ﷺ حينما أراد أن يدخل مكة: «مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَهُ وَأَعْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ» أخرجه مسلم (١).

ففي هجرته كان خائفاً، ثم رجع يوزع الأمن على الناس، بأن من دخل المسجد الحرام فهو آمن، ومن دخل داره فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فالمؤمن جل جلاله هو الذي يملك الأمن بأنواعه.

فالله ﷻ يؤمن عباده عند القتال، وعند الشدائد، وعند المحن، بما ينزل عليهم من الأسباب التي تؤمنهم، فالصحابه أصابهم النعاس وهم أمام العدو، ولا يأتي النعاس إلا لإنسان آمن.

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٨٠).

ويؤمن المؤمن سبحانه عباده المؤمنين به عند الاحتضار، وعند الموت بما يُنزل من الملائكة التي تبشر المؤمن عند موته: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا دَشْتُمُوهَا بِأَنفُسِكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ عَفْوَ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت / ٣٠-٣٢].

ويؤمن عباده المؤمنين به في الآخرة عند الفزع الأكبر: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّيْنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء / ١٠٣].  
ويؤمنهم إذا دخلوا الجنة، فالجنة كلها سلام وأمن وأمان: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ. وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر: ٧٤].

وعلى قدر إيمان العبد يكون الأمان في الدنيا والآخرة، وعلى قدر الإيمان تأتي قوة التوكل على الله، وعلى قدر الإيمان يكون الأمان في الدنيا والآخرة: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام / ٨٢].  
هو سبحانه المؤمن الذي يُصدِّق ظنون عباده المؤمنين به، ولا يخيب آمالهم، بل يكرمهم، ويعطيهم على قدر حُسن ظنهم به جل جلاله، قال الله عز وجل في الحديث القدسي: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي» متفق عليه<sup>(١)</sup>.  
وقال: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَمَنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا وَجَدَ ذَلِكَ، وَمَنْ ظَنَّ غَيْرَ ذَلِكَ وَجَدَ ذَلِكَ» أخرجه ابن حبان<sup>(٢)</sup>.

هو سبحانه المؤمن الذي صدَّق نفسه بتوحيده، وشهد لنفسه بالوحدانية، وتفرد به الربوبية، والألوهية، والعبودية، وهذه أجل الشهادات، وأعظم الشهادات التي شهد بها الملك العظيم لنفسه جل جلاله، وكفي هذه الشهادة: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران / ١٨].  
ومن عظم محبة الله لاسمه المؤمن أنه سمى عباده وأولياءه الذين آمنوا به بالمؤمنين، ولم يعطه إلا أحب الخلق إليه، والله يحب المؤمنين، والله مع المؤمنين.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٧٥).

(٢) صحيح / أخرجه ابن حبان برقم (٦٤٥).



• واسم المؤمن اسم فاعل من آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن، وله معنيان:  
 الأول: إذا تعدى فعل آمن بنفسه كان بمعنى التأمين؛ أي: أعطاه الأمن والأمان، كما قال سبحانه عن قريش: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش / ٤].  
 الثاني: أن يتعدى الفعل آمن بالباء أو اللام، فيكون بمعنى التصديق والانقياد؛ فاللام كقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف / ١٧].  
 يعني بمصدق لقولنا.

والباء كقوله سبحانه: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ [البقرة / ١٣٦]، أي: صدقنا.  
 والله سبحانه هو المؤمن المصدق لرسله بإظهار معجزاته على أيديهم، المصدق المؤمنين ما وعدهم به من الثواب، المصدق الكافرين ما وعدهم به من العقاب؛ فهو سبحانه المؤمن الصادق في وعده: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].  
 صدقًا في الأخبار، وعدلًا في الأحكام، صدقًا في الأخبار، فكل أخبار الله ﷻ عن نفسه، وعن مخلوقاته، وعن أوامره، وعن الدنيا، وعن الآخرة؛ كلها حق، فهذا الدين كله عدل وإحسان، ليس فيه مشقة.

• وأصول السعادة تتحقق مع الإيمان بثلاثة أمور:

الأمن .. والعافية .. والقوت.

• وأصول الشقاوة التي تهدد سعادة البشر ثلاثة:

الخوف .. والمرض .. والجوع.

ولهذا امتن الله على قريش، فذكرهم بهذه النعم ليعبدوه؛ فقال سبحانه: ﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ إِذْ لَفِيهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ [٢] ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ [٣] ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَعَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [٤] [قريش / ١-٤].

وقال ﷻ: ﴿وَقَالُوا إِن نَّبِيعَ الْمُدَيِّ مَعَكَ نُنْخِطُفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِوِّعُ إِلَيْهِ نَمَرَتْ كُلُّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٥٧] [القصص / ٥٧].  
 فهذه الأمور الثلاثة: الخوف، والمرض، والجوع، من عافاه الله منها؛ فكأنها ملك الدنيا بأجمعها.

قال النبي ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ ءَامِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ؛ فَكَأَنَّمَا

حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَدَافِيرِهَا» أخرجه الترمذي (١).

واسم الله المؤمن اقترن بالمهيمن؛ لدفع توهم أن تأمينه عن ضعف وخوف غيره، بل هو المهيمن، وتأمينه لعباده رحمة بهم، فالله لا يخاف أحداً، فالخلق كلهم في قبضته. فاقترن اسمه المؤمن بالمهيمن؛ لدفع توهم أن تأمينه عن ضعف وخوف غيره، سبحانه وتعالى عن ذلك: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢٣) [الحشر / ٢٣].

فهو سبحانه المؤمن الذي أمنه عباده من أن يظلمهم، هو المؤمن الذي يؤمن عباده من الخوف، ويدفع عنهم كل شر، ويلقي في قلوبهم الأمن والطمأنينة: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨) [الرعد / ٢٨-٢٩].

• فالنعمة حقاً في هذه الثلاثة أمور:

أولاً: في الأمن؛ فإنه ليس لخائف عيش.

ثانياً: وفي الغنى؛ فإنه ليس لفقير عيش.

ثالثاً: وفي الصحة؛ فإنه ليس لسقيم عيش.

والله وحده بيده هذه النعم، وكل النعم، فليذكر العباد ذلك، ويشكروا ربهم المؤمن الذي أمنهم من كل سوء، الذي يؤمنهم بما يسعدهم في الدنيا والآخرة؛ ليشكروه ويعبدوه على ما أنعم به عليهم، وليذكروا أعظم النعم، وهي نعمة الإيمان: ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٠٣) [آل عمران / ١٠٣].

والإيمان بالله هو مقصود الرب من خلقه، والإيمان قول، وعمل، واعتقاد: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ (١٤٧) [النساء: ١٤٧].

• وأركان الإيمان ستة:

أن تؤمن بالله .. وملائكته .. وكتبه .. ورسله .. واليوم الآخر .. والقدر خيره وشره، والمؤمن سبحانه يحب الإيمان، ويجب المؤمنين، ويجب الأعمال التي تقرب المؤمنين إلى

(١) حسن/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٤٦).

رهبم، ولمحبته لهذا الاسم سمي أوليائه وعباده المؤمنين به؛ بالمؤمنين، ولحبه لاسم السلام ساهم بالمسلمين، ﴿هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج/ ٧٨].

فلمحبته للإيمان، وحبه لمن اتصف به، وحبه للأعمال التي تقرب المؤمنين إلى ربه؛ الله ﷻ مَنْ عَلَيْنَا بِأَنْ سَمَانَا بِالْمُؤْمِنِينَ، فهو مؤمن، هو المؤمن الأعلى، ومن آمن به هو المؤمن الأدنى، لكن المؤمن الأدنى مؤمن على شاكلة العبودية؛ فالإيمان أغلى شيء في خزائن الله، وهذه السلعة الغالية الله يحبها، ويجب من اتصف بها، ولهذا الله ﷻ اشتراها، الإيمان الله ﷻ مَنْ عَلَيْنَا بِهِ، وفطرنا عليه، فمن رحمته بنا أن فطرنا على الإيمان، فقلوبنا معلقة: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٣٠] [الروم: ٣٠].

• ولكن لا بد من سقي هذه الفطرة بنظرين:

الأول: نظر في الآيات الكونية التي تزيد الإيمان في القلب: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

الثاني: ونظر في الآيات الشرعية التي تعرف بالله وأسمائه وصفاته: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [٨٢] [النساء: ٨٢].

• والآيات الشرعية تنقسم إلى قسمين:

أخبار .. أوامر:

فالأخبار: خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله.. وخبر عن مخلوقات الله، وهذه كلها يجب التصديق بها: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [١٥] [الحجرات: ١٥].

والأوامر: هي طلب الفعل، وطلب الترك، وهي الأحكام والأوامر الشرعية.

وهذه يجب فعلها: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [٧] [الحشر: ٧].

فالإيمان أعظم شيء في خزائن الله، والله يريد منا أن نكون مؤمنين: ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [٨] [التغابن: ٨].

والإيمان له لفظ، وله طعم، وله حلاوة، وله حقيقة، فعلى العبد معرفة هذه الأمور؛ ليحني ثمرتها.



الإيمان له لفظ: كأن أقول لا إله إلا الله، أو أنا مؤمن، وله طعم، وله حلاوة، وله حقيقة. أما طعم الإيمان: فبينه النبي ﷺ بقوله: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ رسولاً» أخرجه مسلم (١).

أسعد الناس هم المؤمنون؛ لأنهم اتصلوا بالمؤمن الذي يؤمنهم من كل شر في الدنيا والآخرة، اتصلوا بالمؤمن الذي يسعدهم في الدنيا والآخرة.

أما حلاوة الإيمان: بعد الذوق لا ندري هل الطعم حلو أو مر؟ الحلاوة فوق الطعم، بعد الاستطعام يتبين لي ما آكله وما أشربه أنه حلو أو مر، أو لذيق أو كريحه، فحلاوة الإيمان تأتي بعد ذوق طعم الإيمان.

قال النبي ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَدَّفَ فِي النَّارِ» متفق عليه (٢).

هذه حلاوة الإيمان، من وجدت فيه هذه الصفات الثلاث؛ وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما؛ لأن الله ربي هو الذي خلقتني وهداني وعافاني ورزقني؛ فأنا أحبه جل جلاله؛ لكبريائه وعظمته، ولإنعامه وإحسانه، وإذا أحببته أطعته، والطاعة هي العبادة، فالعبادة هي طاعة العابد لمعبوده فيما أمر به: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ

عَبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ [البقرة/ ٢١].  
 صفاته: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشَّرَابِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ [البقرة/ ٢٢].

فحلاوة الإيمان تحصل للعبد بثلاث صفات:

الأولى: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

الثانية: أن يحب المرء، لا يحبه إلا الله.

قال النبي ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» متفق عليه (٣).

فالمؤمنون إخوة يتوادون ويتراحمون فيما بينهم، وإذا حصلت هذه المودة، وهذه الرحمة،

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٤٣).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣) واللفظ له، ومسلم برقم (٤٥).

وأحبت لأخي ما أحب لنفسي؛ فلا نحتاج إلى المحاكم، ولا إلى السجون، ولا إلى دوريات الأمن.

فالمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأبدانهم، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

فالمؤمن لا يأخذ ما ليس له، أمين على جوارحه، وأمين على منافع خلقه، وعلى الأمانات التي أودعها الناس عنده.

الثالثة: «وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

لأنه يرى الكفر ظلمات، ويرى الإيمان كله نور: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زِينٌ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فلحياة الأبدان الله ﷻ أرسل الملك أن ينفخ الروح في الجنين في بطن أمه؛ فتأتيه الحياة البدنية، أما حياة القلوب فلا بد من نفخة الرسول البشري وهو محمد ﷺ، فنفخة الرسول الملكي الذي ينفخ فيه الروح تجعله حياً، ولكن لا بد مع الحياة من نور، وإلا الإنسان يتخبط في الظلمات، والذي يسير في الظلمات إما أن يصطدم بما هو أكبر منه فيضره، أو يطأ ما هو أصغر منه، فيتلفه ويكسره.

فالذي يعيش في الظلمات في عذاب دائم، والذي يعيش في النور يرى كل شيء، وتستقيم حياته: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام / ١٢٢].

أما حقيقة الإيمان: فتحصل لمن كان عنده كمال اليقين، وحقيقة الدين، وقام بجهد الدين عبادة ودعوة، هجرة ونصرة، جهاداً وإنفاقاً: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤].

#### • فالدين ركنان:

عبادة الحق .. والإحسان إلى الخلق.

عبادة الحق: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء / ٣٦].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٤٣).

والإحسان إلى الخلق: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الأَنْعَامُ / ١٥١].

عبادة الحق: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [البقرة / ٤٣].

والإحسان إلى الخلق: ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة / ٤٣].

هذا مجموع الدين، فالدين المطلوب من الإنسان أن يدخل في الإيمان، فإذا دخل الإيمان في القلب؛ أنبت شعب الإيمان، فحقيقة الإيمان تحصل لمن كان عنده الدين وجهد الدين، تحصل لمن كان عنده اليقين على الله وأسمائه وصفاته، وكانت عنده حقيقة الدين، فالإيمان تحقيقٌ وتطبيق، تحقيق في القلب، بأن يشهد القلب أن لا إله إلا الله.

وتطبيق بالجوارح، اللسان يذكر الله، والجوارح تعمل بطاعة الله.

فالإيمان تحقيق وتطبيق، أما تحقيق بلا تطبيق فلا ينفع، لا بد من ربط التحقيق بالتطبيق:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧].

ولهذا الأعمال من الإيمان، فالمؤمن يأخذ من الدين، ويعطي للدين.

ومن وضع وقته، وماله، وجهده، وفكره تحت شجرة الدين؛ كبرت واتسعت وأثمرت علماً وإيماناً وتقوى، ومن وضع وقته، وماله، وفكره، وجهده، تحت شجرة الدنيا؛ كبرت هذه الشجرة، وطرح الثمار الفاسدة، وأنبت الشهوات المحرمة، واشتغل الإنسان بالنعمة عن المنعم.

فحقيقة الإيمان تحصل لمن كان عنده حقيقة اليقين، وحقيقة الدين، وقام بجهد الدين:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ [٣] أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ [٤]﴾ [الأنفال: ٢-٤].

يتوكلون على الوكيل في كل شيء؛ فالأحوال بيد الوكيل، أما الأعمال فهي بأيدينا.

وكل في خسارة إلا من ذكرهم الله ﷻ من أهل الإيمان، الذين عندهم جهد على أنفسهم

وعلى غيرهم: ﴿وَالْعَصْرُ﴾ [١] إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ [٢] إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ [٣]﴾ [العصر: ١-٣].

فهؤلاء جمعوا بين التحقيق والتطبيق، آمنوا بقلوبهم، وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأمورهم وأنفسهم: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا﴾

أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ [الأنفال / ٧٤].

فالإيمان تحقيق وتطبيق: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ ﴿١٥﴾ [الحجرات: ١٥]. ولا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

فهذه الأمور العظيمة، يجب على العبد أن يتعرف عليها، وأن يعرف أن مقصود الرب ﷻ من خلقه هو حصول هذا الإيمان الذي يثمر أنواع العبودية لله عز وجل.

وأقوى رابطة في الحياة هي رابطة الإيمان، فالإيمان يربط بين المخلوق وخالقه، ويربط بين المؤمن وغيره من المخلوقات، ويربط بين المؤمن والملائكة، ويربط المؤمن بالدنيا والآخرة، فأقوى الروابط النافعة التي تربط البشرية بعضها ببعض هو الإيمان بمن يملك الأمن جل جلاله، الإيمان به وتصديقه، والخضوع له، تصديق لأخباره، وامتنال لأوامره جل جلاله، هذا المطلوب من البشرية كلها: ﴿فَإِن ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَتْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِن نُّوَلُّوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾ [البقرة: ١٣٧-١٣٨].

فأسعد حياة، وأطيب حياة، هي حياة المؤمنين، لما فيها من سعادتهم، وإسعاد غيرهم: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٧١﴾ [التوبة: ٧١].

فالله ﷻ أمرنا أن نتعرف عليه بأسمائه وصفاته؛ ليزيد إيماننا به، وإذا زاد إيماننا امتلاً القلب بالإيمان، ثم انشرح الصدر واتسع لأنواع الطاعات، ثم أمر القلب الجوارح بأن تمتثل أمر الله ﷻ في كل ما أمر، وتجتنب كل ما نهى عنه جل جلاله.

فالإيمان مولد، كيف يأتي؟ بسقي الفطرة بالنظر في الآيات الكونية، والآيات الشرعية: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرْنِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ [ق: ٦-٨].

إذا جاء الإيمان؛ جاءت عظمة الله في القلوب، وجاء تكبيره في القلوب.

وإذا عرفنا الله ﷻ بأسمائه وصفاته، صفات الجلال، وصفات الجمال؛ أحبيناه وعظمناه، وإذا أحبيناه؛ أطعناه، وهذه هي العبادة، فالعبادة: طاعة العابد لمعبوده فيما أمر، وهذا هو مقصود الرب من خلقه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

فالله أنزل من السماء ماءً، وأنبت به من كل زوج بهيج؛ وأنزل من السماء الوحي؛ ليثبت نباتاً يحبه الله ﷻ؛ لتمتلي هذه القلوب بالإيمان؛ فتخرج أكبر قبيلة، وأفضل قبيلة، في البشرية هي قبيلة المؤمنين، قبيلة المسلمين، وكل الناس خارج هذه القبيلة إلا من آمن بالله ﷻ، وآمن بملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقدر خيره وشره: ﴿وَالْعَصْرُ﴾ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ [العصر: ١-٣].

فالله ﷻ هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وقد أمرنا ﷻ بمعرفته، قبل معرفة أحكامه، فقال: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّهُ اللهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٩٨﴾ [المائدة/ ٩٨].

واسم الله المؤمن من أعظم الأسماء، وبه سمى عباده المؤمنين، فالله تبارك وتعالى هو المؤمن الذي أثنى على نفسه بصفات الكمال والجلال والجمال، المصدق لنفسه بما أخبر به وأمر به، الذي وحد نفسه، وصدق نفسه، وأثنى على نفسه بقوله: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١٨﴾ [آل عمران/ ١٨].

هو سبحانه المؤمن الذي آمن خلقه من أن يظلمهم، المؤمن الذي آمنهم مما يضرهم، وآمن لهم ما يصلحهم، ما يصلح أبدانهم، بأمرهم بالأكل من الطيبات التي سخرها لهم، وما يصلح قلوبهم، وما يصلح دنياهم وأخراهم بهذا الدين، بالإيمان الذي به سعادتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة، فالله تودد إلى عباده بأن سخر لهم كل شيء، وذكرهم بهذه النعمة: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ﴿١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٣].

هو المؤمن الذي نشر الأمن في ملكه العظيم، الذي يطعم الجائع، ويؤمن الخائف، فأمن البلاد كلها، والخلائق كلها، فأمن البلاد والعباد كله بيده: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ

﴿٣﴾ الَذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ [قريش / ٣-٤].

هو سبحانه المؤمن الذي وهب الأمن للإنسان من كل وجه، في كل زمان ومكان. هو المؤمن الصادق في وعده، فإذا وعد المؤمن بالنصر فسينصره: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم / ٤٧].

وقد نصر المؤمنين في بدر مع قلة العدد والعدة: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران / ١٢٣].

وإذا وعد عباده بالرزق فسيزرقهم: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقْرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦].  
﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقْرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦].

وإذا وعد الله المؤمن بالشفاء فسيشفيه: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام / ١٧-١٨].

بيده خزائن الشفاء، هو الشافي من كل داء، ولكنه أمرنا بفعل الأسباب؛ لأن هذه الدنيا دار الأسباب، فالدنيا لها أسباب، والجنة لها أسباب، ودخول النار له أسباب. وإذا وعد المؤمن بالجنة فسيدخله الجنة قطعاً، وإذا وعدة بالتمكين في الأرض فسيتمكنه في الأرض إذا جاء بالصفات التي يحبها، فليتق العبد ربه، وليعرف ربه بأسمائه وصفاته، وبقدر معرفته تكون تقواه، بقدر معرفته بربه، ومعرفته بوعدته ووعيده تكون تقواه: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [لقمان / ٣٣].

والله عليم، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد: ﴿إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَيَعِيدُ﴾ [الأنعام / ١٣] وهو الغفور الودود ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [الأنعام / ١٥] ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٣-١٦].

يحيي ويميت، ويعز ويذل، ويعطي ويمنع، ويبسط ويقبض، يسكن ما شاء، ويحرك ما شاء من مخلوقاته، ثبت السماء والأرض أن تزولا، وثبت أنواع الجهاد، والنبات، والحيوان، وثبت الشمس والقمر، وثبت الشروق والغروب، فهو رب المشرقين، وهو



رب المشارق والمغرب، وهو رب المشرق والمغرب: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ ﴿٩﴾ [المزمل: ٩].

خلق جميع ما في هذا الكون لتأمين هذا الإنسان، ليأمن الإنسان، ويتفرغ لعبادة ربه ﷻ، فهو سبحانه المؤمن الذي سخر وأمن كل نعمة لمخلوقاته جميعاً: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ ﴿٢٠﴾ [لقمان: ٢٠].

إذا عرفتم ذلك؛ فأمنوا به وأطيعوه واعبدوه؛ لأنه هو الذي سخر لكم ما في السموات وما في الأرض؛ فأمنوا به، وهذا من أقوى الدلائل على أن الإنسان يجب أن يؤمن بالله ﷻ السلام الذي يملك السلام، والرزاق الذي يملك الأرزاق، والرحمن الذي يملك الرحمة، والمؤمن الذي يملك الأمن؛ فالإنسان بحاجة إلى أنواع الأمن؛ حتى يستطيع أن يعيش، فالله ﷻ ثبت المخلوقات تأميناً له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فهو ﷻ ثبت أنواع الجهاد، خلق الحديد على وضعه، والتراب على وضعه، خلق الشمس، والقمر، والسماء الأرض، خلقها وأمسكها بقدرته، وثبت صفاتها؛ بحيث الحديد يحمل مائة طابق، الحديد لا تتغير صفته، الذهب لا تتغير صفته، جميع المخلوقات خلقها الله ووثبها، الأرض الله ﷻ ثبتها على هذه الصفة؛ فهي تُثبت لا تتغير أو ترفض بأن لا تُثبت، فهو سبحانه المؤمن الذي خلق الأسباب التي يأمن بها الإنسان، فعل ذلك إظهاراً لعظمته، وكمال قدرته: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِئَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١١٢﴾ [الطلاق: ١١٢].

هو الوكيل على الشمس، وعلى القمر، وعلى السماء، وعلى الأرض، وعلى أرزاق العباد، وعلى البحار، وعلى الرياح؛ هي بيده، فأنا لا بد أن أتوكل على الله؛ وما معنى التوكل؟ هو تفويض الأمر إلى الوكيل: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٣﴾ [التغابن: ١٣].

فأفوض أمري إلى الله؛ لأنني أعلم أن الوكيل قادر على القيام بجميع حاجاتي، هو الوكيل على الكون كله، هو الوكيل على ما في السموات وما في الأرض، وربك على كل شيء وكيل؛ والوكيل لا بد أن يكون قادراً على قضاء حوائج من وكله، فربي وكييل، وأخبرنا

أنه الوكيل، فييده الأحوال، وبيده تغيير الأحوال: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

ولكن الله طلب منا الإيـان، طلب منا الأعمال، فنكـمل محبوباته في الدنيا، والله يكـمل محبوباتنا في الآخرة، محبوبات الرب: ﴿التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُسْكِرُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة/ ١١٢].

ومحـبوبات النفس: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

وهو سبحانه الذي بيده التحريك والتسكين، حرك الرياح والعواصف والسحب والأمطار من أجل أمـنك، من أجل أن تسعد في الدنيا والآخرة.

حرك الرياح والعواصف، والسحب والأمطار، والليل والنهار، والشمس والقمر، والحر والبرد، والصحة والمرض، والأمن والخوف، فعل ذلك من أجل الإنسان، فعل ذلك من أجل ألا ينساه الإنسان، ومن أجل أن تسأله تغيير الأحوال، ومن أجل أن ندعوه ونتوب إليه: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر/ ١٣].

﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٤].

ثبات الأحوال في الدنيا محال، وقضاء الحاجات بالأشياء محال، الأحوال بيد الله، والدنيا بيده، والأسباب بيده، نفعل الأسباب امتثالاً لأمره؛ نتوكل على الله بقلوبنا، ونفعل الأسباب بجوارحنا، ثبات الأحوال في الدنيا محال، لا تثبت الأحوال إلا يوم القيامة، حين يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ، أما في الدنيا فلا بد من أمنٍ وخوف، وصحةٍ ومرض، وغنىٍ وفقر؛ حتى نسأل الله **تَجَلَّى** تغيير الأحوال، فالله ما منع إلا يعطي، وما قبض إلا لبيسط، وما ابتلي إلا ليعافي، فهو الحكيم الخبير جل جلاله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء/ ٣٠].

فلا إله إلا الله! كم أنواع الأمن التي نعيش فيها، والتي خلقها الله ﷻ إكرامًا لهذا الإنسان؛ ليأمن، ويتفرغ لعبادة ربه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

ولحبة الله لهذا الاسم الكريم؛ سمي الله أوليائه بالمؤمنين، وأثنى عليهم به، وبشركهم بالجنة: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُنَشِّهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة/ ٢٥].

هو سبحانه المؤمن الصادق الذي يصدقه عباده بما أقام لهم من الشواهد على وحدانيته وعظمته، وكمال أسائه وصفاته، هو المؤمن الصادق الذي يصدقه عباده بما أقام لهم من الشواهد والآيات في الكون التي تدل على وحدانيته وكمال علمه وقدرته، وكمال أسائه وصفاته: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [١١] ﴿لِمَاذَا؟﴾ ﴿لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [١٢] [الطلاق/ ١٢].

وإذا عرفتم ذلك كبرتم الله، وعظمتموه، وأحبيتموه، وإذا أحببتموه أطعتموه، وعبدتموه، وقد أمرنا الله ﷻ بذلك ليزيد إيماننا، فالإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، والإيمان يزيد بالنظر في الآيات الكونية، والآيات الشرعية: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [٦] ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوْسًا وَانْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [٧] ﴿بَصْرَةً وَذَكَرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [٨] [ق/ ٦-٨].

هو سبحانه المؤمن الصادق الذي وهب الإيمان والصدق لعباده، الذي صدق أنبياءه ورسله فيما بلغوا عنه، وشهد لهم بأنهم صادقون: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر/ ٣٣].

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا ۗ وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

الله ﷻ يصدق أوليائه، ويصدق أنبياءه بما يقيم لهم من الشواهد الدالة على وحدانيته، فيؤمن الناس بما أجراه الله ﷻ على أيدي رسله من الآيات التي تكون حجة على أقوامهم: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [٥١].

[غافر: ٥١].

هو سبحانه المؤمن الصادق الذي صدق الصادقين بما أقام لهم من شواهد الصدق، المؤمن الذي صدق في أخباره، من نصر أوليائه، وخذلان أعدائه، فكم أرسل الله ﷻ من رسول؟ وكم نصر هؤلاء الرسل ومن آمن بهم على من عاداهم؟ ﴿ثُمَّ صَدَقْتَهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنبياء / ٩].

هو سبحانه المؤمن الصادق الذي يؤمن عباده المؤمنين من عذابه وعقابه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام / ٨٢].

وهو سبحانه المؤمن الذي خلق الأمان ومن به على من شاء من عباده، المؤمن الذي عنده خزائن الأمان: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١].

هو المؤمن الذي وهب الأمان لعباده المؤمنين يوم الفرع الأكبر، وأمنهم بخلق الطمأنينة في قلوبهم: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَرْعٍ يَوْمِذٍ آمِنُونَ﴾ [النمل / ٨٩].

فسبحان الرب الملك القدوس السلام المؤمن، الصادق في كلماته وأخباره، الصادق في دينه وشرعه، الصادق في وعده وووعيده، الصادق في ثوابه وعقابه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء / ١٢٢].

وسبحان الملك العظيم الذي خلق هذا الكون العظيم، وجعله مظهرًا لأسائه الحسنی، وصفاته العلا، وأفعاله الكبرى، أما ذات الله ﷻ فلن يستطيع أحد أن يدركها، لكن المؤمن يرى ربه يوم القيامة ولهذا الله ﷻ أودع أسماء وصفاته في مخلوقاته؛ فإذا رأيت السماء العظيمة؛ عرفت العظيم، وإذا رأيت السماء الكبيرة؛ عرفت الكبير، وإذا رأيت الأرزاق؛ عرفت الرزاق، وهكذا.

فالله ﷻ أودع أسماء وصفاته في مخلوقاته وآياته، أما ذات الله ﷻ فلن يستطيع أحد أن يراها في الدنيا، لكن يستطيع الإنسان أن يتعرف على ذاته وأسمائه وصفاته من خلال آياته ومخلوقاته: ﴿ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠٢] لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ [١٠٣] [الأنعام / ١٠٢-١٠٣].

والحمد لله أن مُنَعْنَا مِنْ رُؤْيَيْهِ ﷻ، حجبنا بحكمته عن رؤيته في الدنيا، ونراه يوم

القيامة، ولو ظهر لنا جل جلاله لما عصاه أحد، فالملوك لا تعصى بحضرتها، فكيف بملك الملوك لو ظهر للناس بجلاله وجماله وكبريائه وعظمته؛ لما عصاه أحد، بل أطاعه كل أحد قهراً، ولكن الله من رحمته أن حجب أعيننا عن رؤيته في الدنيا، لكن نراه بقلوبنا، ولا نراه بأبصارنا، فالإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. ولو رأيناه لبطل أمر التكليف، وأمر الثواب والعقاب، والأوامر والنواهي؛ لأننا نراه عياناً، ومن رأى ملك الملوك العزيز الجبار عياناً لا يمكن أن يعصيه، بل يضطر لطاعته، وامثال أوامره؛ فيبطل التكليف، والله يريد منا أن نأتي إليه اختياراً لا إجباراً، ولهذا الله ﷻ جعل رؤية المؤمنين له يوم القيامة، فنحن نعبد الله ﷻ ونؤمن بالغيب، والله غيب، وملائكته غيب، وكتبه غيب، ورسله غيب، واليوم الآخر كله غيب: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الدُّنْيَا أُولَٰئِكَ هُمُ السَّادِقُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَبَسُوا مَا بَدَأُوا فِي حَيْثُ عَمِلُوا فَبَدَّلَ اللَّهُ إِلَهُاتِهِمْ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَظِيمٌ﴾ [البقرة/ ١-٣].

فالله غيب جل جلاله، فنؤمن به، ونتمثل أمره، ونحن لا نراه، ومن آمن به، وامثل أمره في الدنيا؛ رآه عياناً يوم القيامة، لكن لا يحيط به: ﴿وَجُوهٌ يُّوَمِّدُونَ نَاصِرَةٌ﴾ [٢٢] إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

فالنظر في الآيات الكونية من أعظم روافد الإيمان، وهو الكتاب المفتوح لكل إنسان على وجه الأرض؛ فالخلق يدل على الخالق، إذا نظرنا بأبصارنا إلى هذه المخلوقات؛ نرى أن الخلق يدل على الخالق، والصور تدل على المصور، والأرزاق تدل على الرزاق، والتدبير يدل على المدبر: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [٦] وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرْنِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ [ق/ ٦-٨].

فإذا رأيت ذلك؛ اخترقت المخلوقات إلى الخالق؛ فامتثلت أمره وأنست به، وتجاوزت الصور إلى المصور، وتجاوزت الأرزاق إلى الرزاق، فأمنت به، وامثلت أمره، وهذا مقصود الرب من خلقه، أن نصل من المخلوق إلى الخالق، ومن الصور إلى المصور: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [١٠١] [يونس: ١٠١].

فعلينا أن نتعرف على الله ﷻ، بأسائه وصفاته وأفعاله؛ كي نحبه، وإذا أحببناه أطعناه

وعبدناه كما يليق بجلاله؛ لأنه العظيم الذي يستحق أن يُعبد، ويطاع أمره، الكريم الذي حوائجنا كلها في خزائنه، وسعادتنا في الدنيا والآخرة بيده: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

الله ﷻ هو المؤمن، فعلى العبد أن يتعرف على ربه المؤمن؛ ليأمن في الدنيا والآخرة. ومن أراد أن يعرف انه مؤمن حقاً فليعرض نفسه على كتاب ربه الذي بين فيه صفات أهل الإيـان فقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

وقال ﷻ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة/ ٧١].

وقال ﷻ عن صفات أهل الإيـان: ﴿التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُحْسِنُونَ الزَّكَاةُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة/ ١١٢].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّاتِمِينَ وَالصَّاتِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقال ﷻ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ [الفرقان: ٦٣ - ٦٤].

وقال ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفَرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١ - ١١].

فلابد أن نتعرف على صفات المؤمنين التي بينها الله في القرآن؛ فالقرآن بين الله فيه حقيقة الإيمان، وصفات أهل الإيمان، والوعد على الإيمان، والوعيد على من لم يؤمن بالله ﷻ. فالمؤمن مطيعٌ لربه في جميع أحواله؛ أعرض نفسي على القرآن؛ ليتبين لي أي من أهل الإيمان أو من غير أهل الإيمان؛ فأهل الإيمان لهم صفات، والكفار لهم صفات.

فالمؤمن مطيع لربه في جميع أحواله، مزاجه سمعنا وأطعنا كالملائكة: ﴿ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (٣٨٥) [البقرة / ٢٨٥].

سمعنا وأطعنا، ليس سمعنا وعصينا: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٥١) [النور: ٥١].

فالإيمان ليس كلمة تقال باللسان فقط، ولا عقيدة تستقر في الجنان فقط، إنما الإيمان عقيدة، وعمل، وسلوك، علم، وعمل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفَرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ (١٠٨) [الكهف: ١٠٧ - ١٠٨].

والمؤمن: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٤) [الأنفال: ٢ - ٤].

سبحانه وعد المؤمنين بموعودات كريمة في الدنيا والآخرة.



• فمن موعودات المؤمنين في الدنيا على إيمانهم:

أولاً: الفلاح: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: ١-٢].

ثانياً: الهداية: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج / ٥٤].

ثالثاً: النصر؛ كما قال سبحانه: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم / ٤٧].

رابعاً: العزة؛ كما قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون / ٨].

خامساً: الخلافة والتمكين في الأرض؛ كما قال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴿٥٥﴾﴾ [النور / ٥٥].

سادساً: الدفاع عن المؤمنين: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴿٣٨﴾﴾ [الحج / ٣٨].

سابعاً: الأمن؛ كما قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام / ٨٢].

ثامناً: النجاة من النار والعذاب: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يونس / ١٠٣].

تاسعاً: الحياة الطيبة؛ كما قال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل / ٩٧].

عاشراً: عدم تسلط الكفار على المؤمنين؛ كما قال سبحانه: ﴿وَلَنَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ [النساء / ١٤١].

ولكن الأمر متعلق بالحقائق، فإذا وجدت الحقيقة؛ جاءت الثمرة، وجاءت النصر.

الحادي عشر: حصول البركات: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف / ٩٦].

الثاني عشر: معية الله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأنفال / ١٩].

• أما موعودات المؤمنين في الآخرة:

فدخول المؤمنين الجنة، والخلود فيها، ورضوان من الله، ورؤية الرب ﷻ، والقرب من الرب ﷻ، وسماع كلامه وغير ذلك: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴿التوبة: ٧٢﴾.

هؤلاء المؤمنين لهم أعمال مرضية: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ ﴿التوبة: ٧١﴾.

• وللمؤمنين على هذه الأعمال مواعيد وكرامات:

أولاً: دخول الجنة ورضوان الرب: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ ﴿التوبة/ ٧٢﴾.

ثانياً: رؤية الله ﷻ: ﴿وَجُوهٌ يُّوَمِّدُ نَاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ ﴿القيامة/ ٢٢ - ٢٣﴾.

ثالثاً: القرب منه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ ﴿القمر/ ٥٤ - ٥٥﴾.

رابعاً: سماع كلام الرب: ﴿سَلَّمَ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ ﴿يس: ٥٨﴾.

خامساً: السلامة من جميع الآفات في الجنة: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ ﴿الأنعام/ ١٢٧﴾.

سادساً: الخلود في نعيم الجنة: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَّرَقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ ﴿البقرة: ٢٥﴾.

لكن الصفات الموعودة في الدنيا غير موجودة في حياة كثير من المسلمين اليوم، فما السبب؟ السبب هو ضعف الإيمان، وعدم أداء الأعمال على الحقيقة: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ ﴿الأنفال: ٧٤﴾.

فإذا ضعف الإيمان؛ ضعفت الأعمال، وذهبت روحها، ولا سبيل للحصول على هذه الثمرات، أو رؤيتها؛ إلا بتقوية الإيمان الموجود بالإيمان المطلوب.

• فالإيمان على ثلاث درجات:

إيمان موجود .. وإيمان مفقود .. وإيمان مطلوب.

فبالجهد على الإيمان الموجود يأتي الإيمان المفقود، ثم يتحقق الإيمان المطلوب، ثم تأتي النتائج على الإيمان المطلوب: ﴿فَإِنِ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِءِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ [البقرة/ ١٣٧]. ولهذا لا بد من الجهد على القلوب؛ حتى تمتلئ بالإيمان، ثم تمتثل الأوامر، وتعبد الله بالحب لله والتعظيم والذل له ثم يأتي رضا الله، جهد على القلوب بالإيمان، فإذا جاء الإيمان؛ فالقلوب تُقبل على الله ﷻ، وتتوجه إليه.

وإذا جاء كمال الإيمان في القلب جاءت الطاعات للرب، ثم تنوعت الطاعات، ثم جاء رضوان الرب، ثم جاء بعد رضوان الرب سعادة الإنسان في الدنيا، ثم تزداد السعادة عند الموت، ثم تزداد السعادة في القبر، ثم تبلغ السعادة كما لها في الجنة: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [١٥] ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [١٦] ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٧] [السجدة: ١٥-١٧].

وإذا ضعف الإيمان؛ ضعفت الأعمال، وفسدت الأخلاق، ثم جاء سخط الله، ثم شقي هذا الإنسان في الدنيا، ثم ازداد شقاؤه عند الموت، ثم ازداد شقاؤه في القبر، ثم ازداد شقاؤه في نار جهنم؛ لأن جهنم سجن عظيم، وفي داخل السجن ألوان من العذاب، من الحميم والزقوم، وغيرها من ألوان العذاب بينها القرآن، وهي تزيد على عشرين نوع من أنواع العذاب داخل نار جهنم، وفي جهنم العذاب الشديد، والعذاب العظيم، والعذاب المقيم، والعذاب المهين، والعذاب الأليم.

لهذا لا بد من الجهد على القلوب؛ حتى يأتي الإيمان، بالجهد على النفس، والجهد على الغير، جهد على النفس بالاستقامة، وجهد على الغير بالدعوة والتعليم والإحسان إلى الخلق: ﴿فَإِنِ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِءِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقِ ۗ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة/ ١٣٧].

وقال ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء/ ١٣٦].

فالضلال البعيد هو ضلال الكفار، والمشركين، والهندوس، والنصارى، واليهود، ضلوا عن الحق ضلالاً بعيداً.

والله ﷻ أمرنا أن ندخل في الإسلام، وأن ندخل في الإيمان جميعاً، وأن نمثل أوامر المؤمن جل جلاله جميعاً؛ فالإيمان تصديق، وتطبيق، وتحقيق، تصديق بالقلب، وتطبيق بالجوارح، الإيمان تصديق بالقلب، ونطق باللسان، وعمل بالجوارح: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

ادخلوا جميعاً في الإسلام؛ لتفوزوا بالجنة، وتنجوا من النار، وامثلوا جميع الأوامر: ﴿وَمَا ءَانْتُمْ الرُّسُولَ فَحُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

جميع أوامر الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، يجب امتثالها كلها، لا نأخذ ما تشتهي أنفسنا، ونترك ما هو ثقيل علينا؛ بل نمثل الأوامر جميعاً، وندخل في السلم كافة، كذلك علينا أن نمثل أوامر الله ﷻ جميعاً، وإلا شقينا في الدنيا والآخرة: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۗ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَيْهِ أَسَدُّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ فَعَمَلُونَ﴾ [البقرة / ٨٥].

فأخذ الدين كله، ولا نخلط به غيره: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة / ٢٠٨].  
فالناس إما جنود الرحمن، وإما جنود الشيطان، وكل الناس جنود للشيطان إلا جنود الرحمن، وكل الناس في النار إلا جنود الرحمن.  
• وجند الرحمن صفاتهم أربع:

جهد على النفس بالاستقامة، وجهد على الغير بالدعوة: ﴿وَالْعَصْرُ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر / ١-٣].

فهذا الاسم العظيم اسمٌ مبارك، وهو من أعظم الأسماء لله ﷻ؛ فنحن نسعى ونتحرك في الحياة؛ لنحصل على الأمن، أمنٌ من الجوع، أمنٌ من الخوف، أمنٌ من المرض.  
والله هو المؤمن الذي بيده الأمن كله، هو المؤمن الذي يؤمن كل خائف جل جلاله، وعنده خزائن الأمن كلها: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ

مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾ [الحجر / ٢١].

الإيمان ليس كلمة تقال باللسان فقط، ولا عقيدة تستقر في الجنان فقط؛ وإنما هو عقيدة، وسلوك، وعلم وعمل.

والله سبحانه هو المؤمن الذي وعد المؤمنين بالوعود العظيمة على الصفات الكريمة؛ تكراً منه وفضلاً جل جلاله.

المؤمن يوفي بالعهود والعقود: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة / ١].  
﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء / ٣٤].

المؤمن أمين لا يغدر، ولا يخون، ولا يكذب، ولا يغتاب، ولا يؤدي أحداً بقولٍ أو فعل، ولا يسخر من أحد، ولا يؤدي أحداً من الخلق، فالله ﷻ يريد من المؤمن أن يتصف بالصفات التي يجبها المؤمن سبحانه له الأسماء الحسنى، والصفات العلاء، فكذلك العبد لا بد أن يتصف بصفات ربه المؤمن، فلا يؤدي أحداً ولا يخون، ولا يكذب، ولا يتخلق بالأخلاق السيئة.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (١١) ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبَوْا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِتْرًا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات / ١١-١٢].

فالله ﷻ لتحقيق الأمن لهذا الإنسان أمره بالأخلاق العالية، والأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، وأن يعبد رباً واحداً؛ ليحصل له الأمن في الدنيا، والأمن في الآخرة؛ فمن آمن بالله وأطاعه؛ سعد في الدنيا والآخرة، ومن كفر بالله وعصاه؛ شقي في الدنيا والآخرة: ﴿فَأَمَّا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَلَا تَتَّبِعُوا هَدَىٰ فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَىٰ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ (١٢٣) ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشَرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ (١٢٤) ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ (١٢٥) ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ ءَايَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ﴾ (١٢٦) [طه / ١٢٣-١٢٦].

فالمسلم إذا عرض نفسه على كتاب ربه ﷻ عرف أنه مؤمن، وعرف أنه حقق من صفات الإيمان شيئاً وغابت عنه أشياء، من عرف أن ربه المؤمن أيقن أنه سوف ينصره مهما وقف

له الأعداء، ومهما تكالبوا عليه، لو تجمع عليه أهل الشرق والغرب، وأهل السماء والأرض، والله المؤمن معه بقوته وقدرته، فسينصره: ﴿وَلَيَنْصُرَكَ اللَّهُ مَنِ يَنْصُرُهُ﴾ [الحج / ٤٠].

والأمن والأمان والتأمين كله بيد الواحد الأحد لا شريك له، هو الله المؤمن الذي كل أمن في العالم بيده: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف / ٥٤].

وبهذا نعلم أن شركات التأمين على الحياة، أو الأعضاء، أو الأموال كلها من أكل أموال الناس بالباطل؛ فالأمن بيد واحد، والخلق بيد واحد، والتدبير بيد واحد، والرزق بيد واحد؛ فكل شيء بيده: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

فشركات التأمين تأكل أموال الناس بالباطل؛ لأنها لا تملك شيئاً من الأمن، بل الذي يملك الأمن كله هو ربنا ﷻ الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلاء، والأفعال الجميلة، القادر على كل أحد، الذي لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، الواحد الأحد المحيط بكل أحد: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف / ٥٤].

جميع المخلوقات جاءت من اسمه الخالق، وجميع الأوامر جاءت من اسمه الله والرب والرحمن والرحيم، الأوامر الملكية منه، والأوامر الشرعية منه، فيجب أن يُطاع؛ لأننا نريد السعادة والأمن في الحياة، وكل يسعى ويجتهد ويتحرك؛ لتحصيل السعادة والأمن والسعادة بيده، والأمن بيده: ﴿فَفِرُّوْا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات / ٥٠-٥١].

فمن لوازم الإيذان أن تعرف من تؤمن به؛ لتعبده بما يليق بجلاله، فنستعين به إذا علمنا قدرته، ونتوكل عليه إذا عرفنا قوته، ونسأله إذا علمنا كرمه وغناه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر / ٩].

فإذا عرفته آمنت به، ورضيت بقضائه وقدره، وعظمت أمره، واجتنبت نهيته، وأحبتته، وخضعت له؛ فبقدر المعرفة يكون الإيذان، وبقدر الإيذان يكون العمل: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا

إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَعْفِرْ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾

[محمد: ١٩].

وكلما عرف العبد اسماً من أسماء الله جل جلاله، أو صفة من صفاته؛ ازداد إيماناً بالله، ومحبةً له، وطاعةً له، وسعادةً به؛ لهذا أمرنا الله ﷻ بمعرفته، فقال: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٩٨﴾ [المائدة/ ٩٨].

فعلى قدر معرفة العبد ربه يُطيعه، وعلى قدر طاعته يزيد عمله، وعلى قدر عمله تكون سعادته، وكل ملك من ملوك الدنيا لا يرضى أن يسمى أحدٌ من أفراد رعيته باسمه، لا يرضى أن يسمى باسم الملك، المُلك لو احد، لكن ملك الملوك سمي نفسه بالمؤمن فقال: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ [الحشر/ ٢٣].

وسمى عباده الذين آمنوا به بالمؤمنين: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٧١﴾ [التوبة: ٧١].

والله سبحانه المؤمن الذي يدافع عن الذين آمنوا؛ لأنه يغار عليهم؛ لأنهم أولياؤه، والوَه بالتوحيد والإيمان، ووالاهم بالنصر والرزق والأمن: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ ﴿٣٨﴾ [الحج/ ٣٨].

فلا إله إلا الله! كم خلق من المخلوقات، لينعم العبد في هذه الدنيا بالأمن؟! ويؤمن بالمؤمن، ويتوجه إلى المؤمن، ويسأل المؤمن جل جلاله.

الله خلق هذه المخلوقات العظيمة، وكلها مسخرة للإنسان، من سماء وأرض، ومن شمس وقمر، من جبال وبحار، من نبات وحيوان وغيرها، ليعرف بها العبد كمال قدرة ربه، ويستعين بها على طاعته.

فالله ﷻ هو القوي القادر المهيمن على كل المخلوقات، فثبت أحوال المخلوقات على وضعها من فعل المؤمن جل جلاله، من فعل القادر القاهر، الذي قهر كل شيء بقدرته: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٨﴾ [الأنعام: ١٨].

فثبت المؤمن جميع المخلوقات على خواصٍ معينة، فالماء من طبيعته السيولة، والنار من طبيعتها الإحراق، ثبتها الله على هذه الأمور، ولو شاء لبدلها؛ نصرةً لأوليائه.



فثبتت خواص المخلوقات من السماء والأرض، والشمس والقمر، والجبال والحديد،  
والجهد والنبات وغيرها؛ كلها بقدرته، فالله ثبت خواصها؛ لأنه المؤمن الذي كل شيء  
بيده، هو المؤمن الذي يهب الإنسان أنواع الأمن، فالشمس تُشرق من أجله كل يوم،  
وتغرب كل يوم، خلقها الله إظهاراً لقدرته، وعلامةً يُستدل بها على نوره جل جلاله،  
وتسخيراً لهذا الإنسان؛ لأنه لا بد له من نور يمشي فيه: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً  
وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِنَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ  
يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ [يونس: ٥].

فالشمس تشرق كل يوم، وتغرب كل يوم، والأرض مستقرة تُقيم عليها النباتات،  
وعليها الجبال الراسيات، والأشجار الشاهقات.  
فالأرض مستقرة ثبتها الله ﷻ تحقيقاً للأمن لهذا الإنسان، والحديد ثبت الله قوته،  
والنباتات بأنواعها ومنافعها لا تُحصى.

فالله ﷻ ثبت هذه المخلوقات تأمينا للإنسان، وإكراماً للإنسان، وإظهاراً لقدرته جل  
جلاله؛ فهو جل جلاله الذي ثبت هذه المخلوقات، وكلها من مملكته وعبده جل  
جلاله: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾  
وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوْسًا وَآبْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ  
عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦-٨].

ويقول ﷻ: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ  
ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي فَضْلٍ عَلَى الَّذِينَ يَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾  
[النمل / ٦٠].

كل هذا من أجل أن يأمن الإنسان، ومن أجل أن يُعرف ربه سبحانه بأسمائه وصفاته:  
﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رِوْسًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ  
حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي فَضْلٍ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [النمل: ٦١].

فلا بد أن نتكلم عن الله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعدته ووعدته؛ حتى  
يعرف الناس ربهم، فإذا عرفوه عظموه وكبروه وأحبوه، ثم عبدوه وأطاعوه: ﴿أَمَّنْ  
يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ قَلِيلًا ۗ مَا  
نَذَكَّرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [النمل: ١٢].

رَحْمَتِهِ ۖ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَلَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ  
مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلُوبٌ بَاهِتُونَ ﴿٦٤﴾ [النمل: ٦٢-٦٤].

وثبات حركة الأشياء يبدأ المؤمن وحده، من الأشياء ما هو ثابت، ومنها ما هو متحرك،  
فالله أظهر قدرته في خلق الثابت، وفي خلق المتحرك، فثبات حركة المخلوقات بيده  
فالشَّمْسُ والقمر، لهما حركات ثابتة، ومسارات معينة: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ  
لَهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾  
لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾  
[يس: ٣٨-٤٠].

فحركة المخلوقات، من شمس وقمر، وليل ونهار، والتمدد والتقلص، وحركة التنفس  
في الإنسان، وحركة الدم في الإنسان، ونمو النبات؛ نعم من الله تهب الأمن للإنسان،  
هذه خلقها الله ﷻ؛ لينعم الإنسان بالأمن في هذه الحياة الدنيا، ويستدل بها على كمال  
قدرة الله: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ ۗ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الواقعة: ٥٨-٥٩].  
في النطفة الواحدة الله ﷻ أودع فيها بقدر عدد البشرية، ولكنه جل جلاله الرحمن  
الرحيم يخلق واحداً أو اثنين ويموت البقية؛ لأن قدرته مطلقة في خلق الأشياء الكبيرة،  
وفي خلق الأشياء الكثيرة، قدرته مطلقة في خلق الأشياء الكبيرة، كالعرش والكرسي،  
والسما والارض، والجبال والبحار، وفي خلق الأشياء الكثيرة كعدد قطرات الأمطار،  
وعدد الذرات، وعدد الرمال، وعدد الكلمات، وعدد المخلوقات من كل جنس، ومن  
كل نوع من مخلوقاته ﷻ: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ  
فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فالله أظهر قدرته في خلق الأشياء الكبيرة، وفي خلق الأشياء الكثيرة، وفي خلق الأشياء  
الصغيرة، وفي خلق الأشياء الجامدة، وفي خلق الأشياء السائلة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَالِقُ  
الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر: ٨٦].

كل يوم يولد مليارات المواليد من هذه الأم الكبيرة، أكثر من أربعين مليون مولود على  
ظهر هذه الأم الكبيرة، كانوا في بطنها، وأخرجتهم إلى ظهرها بقدرة الله: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا  
تَحْرُوثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ۗ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [إنا

لَمَعْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَمَتًا لِلْمُقِيمِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ [الواقعة / ٦٣-٧٤].

هو سبحانه الذي خلق هذه المخلوقات، وأمسكها بقدرته، وحرك بعضها بقوته، وسكن بعضها بقدرته جل جلاله، هذه المخلوقات العظيمة تدل على عناية الله بخلقه، وأنه يريد لهم الأمن والسعادة في الدنيا والآخرة، فالإنسان الأرض ملكه، يتنفس من الهواء كيف شاء، ويمشي إلى أي جهة شاء، والشمس والنور معه حيث اتجه، والأرزاق من بين يديه ومن خلفه؛ فليتفرغ لعبادة ربه الذي خلقه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

فهذا النظر، وهذا التدبر، وهذا التفكير يولد في القلب الإيثار الذي هو مقصود المؤمن من خلقه، وإذا جاء الإيمان؛ جاء كل خير، وإذا فقد الإيمان جاء كل شر، كما أنه إذا جاء الماء نبت كل شيء، وإذا فقد الماء مات كل شيء: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء / ٣٠].

والله أنزل هذا الهدى؛ لينزل في القلوب، فتعمل به، وتتصف به، فينتشر الأمن بين الناس: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [٨٢]. [الأنعام: ٨٢].

فهذا الإنسان الله ﷻ جعله خليفة في الأرض، وحماه وحفظه من كل شر، فكل خطر من أخطار الأشياء جعل الله ﷻ للإنسان وقايةً منه؛ ليؤمنه من شره؛ فالنار تطفأ بالماء، والمرض يشفيه الله بالدواء، والجوع يُزال بالأكل، والعطش يُزال بالماء، وهكذا. فالله ﷻ هو الذي بيده الملك، يُعز بأسباب الذلة، ويُذل بأسباب العزة، فرعون عنده الملك والمال، لكن الله أذله، والأنبياء ليس عندهم شيء إلا الإيمان والأعمال؛ فأعزهم الله ﷻ.

ويُنجي الله بأسباب الهلاك، الله أنجى موسى ومن معه في البحر، وأنجى إبراهيم من النار، يُنجي بأسباب الهلاك، ويهلك بأسباب النجاة؛ كما أهلك فرعون مع ملكه

وجنوده وأمواله؛ لأنه هو الملك الذي بيده كل شيء، هو الملك الذي يملك الأمن، ويملك جميع المخلوقات: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٥٦﴾ [هود/ ٥٦].

هو جل جلاله الملك الذي بيده مقاليد الأمور، وكل شيء بيده جل جلاله. هو جل جلاله الملك الحق الذي له ملك السموات والأرض: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٢٠﴾ [المائدة: ١٢٠].

فعلى العباد أن يعبدوه ويطيعوه؛ لأنه هو الملك، هو الخالق، هو الرازق، هو اللطيف، هو الكريم، هو الرحمن، هو الرحيم: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿٣١﴾ [يونس/ ٣١].

إذا عرفتم ذلك ألا تتقون الله بفعل أوامره، واجتناب نواهيه، وفعل ما يرضيه، واجتناب ما يسخطه؟ ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ [يونس/ ٣٢].

فالمؤمن إذا عرف هذه الأمور؛ توجه إلى ربه وأقبل عليه، وامثل أمره بالحب الكامل، والتعظيم الكامل، والذل الكامل، واستأنس بربه، واستوحش من مخلوقاته، وأتبع الأعمال بالاستغفار؛ لأنه يرى أن ربه عظيم، وأنه لم يقم بامثال أوامره على قدر شأنه جل جلاله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿١٧﴾ [الزمر/ ٦٧].

فسبحان الملك القدوس السلام المؤمن الذي وهب الأمن للإنسان، وتكفل بأرزاق الخلق؛ ليأمنوا في حياتهم، ويعلموا أن أرزاقهم بيده: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجِئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ [الفصص: ٥٧].

والمؤمن يتيقن على أن له ربًا يرزقه، ويتكفل برزقه، ويتيقن على أن رازقه واحد لا شريك له، فلو كانت السماء من رصاص، والأرض من نحاس، وأهل الأرض كلهم أولاده؛ لما خاف على رزقه: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ ﴿٥٨﴾ [الذاريات/ ٥٨].

فسبحان من قسم الأرزاق بين الخلق: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ

مُسْتَفْرَهَا وَمُسْتَوَدَّعَهَا كُلُّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ [هود / ٦].

فالمؤمن آمن لعباده ما يسعدهم في الدنيا والآخرة، وطلب منهم العمل، والعمل ثوابه وفائدته عائدة عليهم: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت: ٦].

فسبحان المؤمن المهيمن الذي خلق الإنسان، وهياً له أسباب الأمن في الدنيا: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم / ٣٤].

ومن آمن بالله؛ وقاه من زلات المعاصي، ومضلات الفتن، وكربات يوم القيامة، فالكافر دائماً في خوف وذعر، وشقاء وتعب؛ لأنه ليس له حظ من أمان المؤمن سبحانه: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأأنعام / ٨١-٨٢].

وأما من لم يؤمن بالله؛ فهو في خوف دائم، وفي ضلال دائم، وفي شقاء دائم: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجن: ١٧].

فمن آمن بالله ملاً قلبه أمناً وأماناً واطمئناناً واستقراراً، وملاً قلبه رضاً بقضائه، وشكراً لنعمائه، وصبراً على بلائه: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد / ٢٨-٢٩].

فمن آمن بالله وأطاعه؛ فهو في أمن وسلام وسعادة في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي حَجِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار / ١٣-١٤].

فالإيمان فيه السعادة بحذافيرها، ومن دخل جنة المعرفة في الدنيا؛ أدخله الله جنة الآخرة، وجنة المعرفة هي معرفة الله، والإيمان به، والعمل بشرعه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَعِظْ رِذْوَانَهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

وليؤمن الإنسان عذاب الله في الآخرة؛ أعطاه الله العقل، وأعطاه الفطرة، وأعطاه القدرة، وأعطاه المعرفة، وأعطاه الدين، وأعطاه الدنيا، وأعطاه الاختيار وغير ذلك من النعم، ومقومات النجاة من عذاب الله يوم القيامة: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ

لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾  
[النحل / ٧٨].

ويقول ﷻ: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۗ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ ﴿٧٦﴾ [النحل / ٧٦].  
فإنه ﷻ أعطى للناس هذه العقول، وهذه الأسماع، وهذه المعارف؛ حتى يوم القيامة يفوزوا بجنته وينجوا من عذابه.

وهو المؤمن الذي خلق الأمن، ومَنَّ به على من في العالم العلوي والعالم السفلي، ومن في الدنيا والآخرة، فالأمن لأوليائه، والخوف لأعدائه: ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ۖ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ﴿١٥٨﴾  
[الأعراف: ١٥٨].

• الله ﷻ خلق في كل إنسان ثلاث أواني:

آنية الإيمانيات .. وآنية المطعومات .. وآنية المعلومات.  
فالقلب آنية الإيمان، وهذا القلب لا بد أن يملأ بالإيمان.

والإيمان يقوم على سبعة أمور هي:

الإيمان بالله .. وأسمائه .. وصفاته .. وأفعاله .. وخزائنه .. ووعدته .. ووعيده.

• والإيمان بجميع أركان الإيمان:

الإيمان بالله .. وملائكته .. وكتبه .. ورسوله .. واليوم الآخر .. والقدر خيره وشره.

فإذا امتلأ القلب بالإيمان عن طريق النظر في الآيات الكونية والآيات القرآنية؛ اتسع للطاعات، وأحب الله، وكبر الله، وطلب ما يرضي الله وابتعد عما يُسخط الله، فأمر هذا القلب الجوارح بالعمل، وأمر اللسان بالذكر والتسبيح والتقديس والحمد والثناء، والدعاء والدعوة، وأمر الجوارح بالطاعات المختلفة؛ من صلاة وصيام، وزكاة وغير ذلك من الأعمال، فهذه آنية الإيمانيات غذاؤها بالعلم بالله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ۗ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩].

أما آنية المطعومات: فهي المعدة وهي التي تستقبل المأكولات والمشروبات الحلال، وتبتع عن المحرمات من الميتة والخنزير والخمر وغيرها: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ

طَيَّبْتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ [البقرة: ١٧٢].

أما آنية المعلومات فهي العقل أو الدماغ، يشترك فيها المؤمن والكافر، علم الطب، علم الهندسة، علم الزراعة، علم كيفية الصلاة، كيفية الطهارة، كيفية الحج.. وهكذا. فالإيمانيات نشترك فيها مع الملائكة، والمعدة نشترك فيها مع الحيوانات والكفار، أما المعلومات العقلية فنشترك فيها مع الكفار، علم الصناعة، الزراعة، التجارة، عل الفرائض، هذه العلوم يعقلها العقل، ثم يستقبلها علمًا، ثم يُخرجها عملاً. فلا بد أن نعرف الله ﷻ بأسائه وصفاته وأفعاله، وخزائنه، ووعدته، ووعدته، وهذه الأمور المغذية للقلب بالإيمان، ولا بد في كل يوم أن نأخذ من هذا الغذاء: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٢﴾ [الطلاق: ١٢].



## التعبد لله عز وجل باسمه المؤمن

من عرف الله ﷻ بأسمائه وصفاته أحبه، ثم أطاعه، وأقبل عليه، ورجا ثوابه، وخاف عقابه، ولن تطيع ربك، وترجوه وتحافه، وتستسلم لأمره، وترضى بقضائه، إلا إذا عرفته، وإذا عرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

وكلما زادت معرفة العبد بربه العظيم زاد إيمانه؛ فاستسلم له، وخضع له، وأطاع أمره، واجتنب نهيه، وأقبل على عبادته بالحب والتعظيم والذل له: ﴿إِنَّمَا نُذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [فاطر/ ١٨].

لا بد من التزكية، تزكية القلوب بالتوحيد والإيمان، تزكية الأعمال بأن أتبع النبي ﷺ في أقواله وأعماله وأخلاقه، وفي نيته، تزكية الأخلاق حتى أعامل الناس وأخالقهم بخلق حسن: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٧-١٠].

وكلما زادت معرفة العبد بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ زاد خضوعه بقلبه وجوارحه لربه، وزاد خشوعه لله، وزادت أنواع الطاعات والعبادات، وجاءت السكينة والطمأنينة في قلبه وحياته: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

وعلى قدر المعرفة بالله؛ تقوى الطاعة له، وعلى قدر الطاعة يسعد المؤمن بالقرب منه جل جلاله، وينال ثوابه العظيم يوم القيامة: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

في الدنيا نحن عبده نتمثل أوامره، ونراه بقلوبنا، ولا نراه بأبصارنا، لكن نرى الآيات الدالة على وجوده جل جلاله، وعلى عظمته، وعلى كمال أسمائه وصفاته.

في الدنيا تعيش مع النعم التي تعرف بها المنعم، ويوم القيامة نرى المنعم، وتعيش مع

النعمة، والجنة كلها من نعمته: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].  
 وعلامة معرفة العبد بالله العظيم: الإكثار من ذكره، والشناء عليه، والحديث عنه،  
 والدعوة إليه، وتعظيمه وحبه، ووجل القلب عند ذكره: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا  
 ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾  
 الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ  
 عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

العبد مشغولٌ بعبادة ربه؛ لأنه يرى أنه عبد في أرض مولاه، وعليه امتثال أوامر ربه،  
 وهو يرزقه جل جلاله، فعلينا أن نعرف عظمة الله بمعرفة أسمائه وصفاته؛ لكي يزداد  
 إيماننا به، وحبنا له، وتعظيمنا له، وإذا لم نعرف عظمة الله؛ هان علينا ترك أوامره،  
 وتجاوز حدوده، وانتهاك حرمانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ،  
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾  
 [الزمر: ٦٧].

فالمعرفة القليلة بالله لا تكفي ولا تقدم ولا تؤخر؛ لأنها لا تحجز الإنسان عن محارم الله،  
 ولا تحمله على طاعة الله، ولا تنقي قلبه من الشك، ولا تصرفه من الدنيا إلى الآخرة؛  
 ولهذا تغذية الإيمان أن أتعرف على لا إله إلا الله؛ وأعرف حقيقة لا إله إلا الله، وقوة "لا  
 إله إلا الله": ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ  
 عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

واعلم أنه لا يجاور الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن؛ في دار السلام والأمان إلا من  
 اتصف بالإسلام والإيمان والأمانة، فالمؤمن الخالق سبحانه هو الذي خلق الإنسان  
 بيده، وجعله خليفة في الأرض، والمؤمن المخلوق هو المؤمن على الحق، يؤمن به، ويعمل  
 به ويعلمه ويدعو إليه من عهد آدم ﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا  
 الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ  
 ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢].

فالمؤمن الذي أدخل نفسه في الأمن والإيمان هو الذي قبل الأمانة، وحملها، وعمل بها،  
 فله الأمن والسعادة في الدنيا والآخرة، ما دام قبل الأمانة، قبل الدين؛ فله يوم القيامة  
 الأمن، إذا قام بمقتضيات هذا الإيمان: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ

عَلَيْهِمُ الْمَلِيكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾  
 فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت / ٣٠-٣٢].

والكافر والمشرک ضيع الأمانة؛ فخرس الدنيا والآخرة، فله الشقاء في الدنيا، وفي الآخرة. وجزاؤه أن يحرم من الجنة، ويدخل النار: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ ﴿٧٢﴾ [المائدة / ٧٢].

والناس في أداء الأمانة درجات، وأعظمهم أداءً لها الأنبياء والرسل، ثم من آمن بهم. أما من لم يقبل الأمانة؛ فقد خسر دنياه وأخراه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾ [الأحزاب: ٧٢-٧٣].

هذا الإنسان من الجهد عليه، حتى ينتقل من الضلال إلى الهدى، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن الظلم إلى العدل، ومن الجهل إلى العلم، هذه الأمانة عرضت على الإنسان فقبلها؛ لأنه ظلوم جهول، لا يعلم بعواقب الأمور.

والمخلوقات كلها خيرت فاخترت أن تكون مسخرة، أما الإنسان فاختر أن يكون مخيراً، ولهذا ابتلى الله الإنسان بالأوامر الشرعية، وبالشهوات الحيوانية، فأصبح الجسد له محبوباته والروح لها محبوبات، فهذا هو محل الابتلاء، محل الابتلاء في البشر أن النفس تريد تكميل الشهوات الحيوانية، والروح تريد تنفيذ الأوامر الشرعية: ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالَشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ [الأنبياء / ٣٥].

فالله ﷻ عرض الأمانة على هذه المخلوقات فأبت، وقبلها الإنسان: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿٧٣﴾ [الأحزاب / ٧٣].

والملائكة والأنبياء والرسل كلهم أمين على طاعة ربه والقيام بأمره، وكل رسول قال لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ [الشعراء: ١٠٧-١٠٩].

فالرسل أمناء على الرسالة، وعلى إبلاغ الوحي، وعلى الجوارح، جميع جوارحهم

وأستتهم تتحرك بطاعة الله، وتدعو إلى دين الله، وتعلم شرع الله، وتحسن إلى الخلق:

﴿الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (الأحزاب: ٣٩).

فكيف نحن نؤدي هذه الأمانة العظيمة!؟

المؤمن جل جلاله أمرنا أن نصدق بهذا الاسم، وسمانا بالمؤمنين، ولا بد أن نتصف بصفات المؤمن؛ فنصدق الأخبار، ونمثل الأوامر، لماذا؟ لأن الإيمان تصديق وتطبيق وتحقيق.

فليأمن المؤمنون في الدنيا والآخرة، ويسعدوا في الدنيا والآخرة، ناداهم الله باسم المؤمنين في أكثر من ثمانين موضعاً بتنفيذ الأوامر الشرعية، أمرهم بالطاعات، ونهاهم عن المعاصي.

فالله ﷻ في القرآن أمر من دخل في الإيمان بالطاعات، ونهاهم عن المعاصي، أمرهم بالتوحيد، ونهاهم عن الشرك، أمرهم بفعل الخير، ونهاهم عن فعل الشر، أمرهم بالتقوى ونهاهم عن الفجور، أمرهم بالحق، ونهاهم عن الباطل، بين لهم الحلال، ورغبهم فيه، ونهاهم عن الحرام وحذرهم منه كل هذا من أجل تأمينهم وسعادتهم:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢-١٠٣).

فالله ﷻ يريد من كل إنسان أن يؤمن به، وأن يعرف دينه الذي هو مصدر كل أمن، وأن يعمل بهذا الدين؛ ليحصل على الأمن في الدنيا والآخرة، وأن يدعو إلى ما فيه الأمن والسعادة في الدنيا والآخرة، وهو هذا الدين، الذي أمرنا الله بإبلاغه للناس كافة: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ لِئَسْأَلُوهُ بِهِ وَيَعْرِفُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (إبراهيم/ ٥٢).

فالخلق كله بيده، والملك كله بيده، والسعادة كلها بيده، والشقاوة كلها بيده، والعزة كلها بيده، والذلة كلها بيده: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ

مَمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٦﴾  
[آل عمران / ٢٦].

فمن آمن وصدق أن ربه المؤمن بيده الملك والملكوت، وآمن أن بيده خزائن السموات والأرض، لم يذل نفسه لسواه، وسأله جميع حوائجه، ولم يلتفت لأحدٍ سواه من المخلوقين؛ لأن الله قاضي جميع الحاجات وحده، وجميع الحاجات، وجميع المخلوقات بيده، جميع من في العالم العلوي والعالم السفلي، الكرسي، والعرش، والسموات، والأرض وما فيهن بيد الله ﷻ وحده لا شريك له، وهو الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه تأمينا للبشر: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤١﴾ [فاطر: ٤١].

فجميع الحاجات والمخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي بيده وحده لا شريك له. وجميع مخلوقاته شاهدة بوحدانيته، ومستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته، وخاضعة لأمره جل جلاله: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٥٦﴾ [هود / ٥٦].

هو الملك الذي بيده الملك، هو الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، يقضي جميع الحاجات في وقت واحد لجميع الخلائق، ويرزقهم جميعاً في وقت واحد: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥].  
لا نعلم كيفية ذاته، ولا كيفية صفاته، قوي وقوته لا أول لها ولا آخر، عزيز وعزته لا أول لها ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية، رزاق ورزقه لا أول له ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ ٢ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ ٣﴾ ﴿٢﴾ [الإخلاص: ١-٤].

فهو ملك عظيم، ونحن عبيده، هذه جنة المعرفة، من دخلها أدخله الله جنة الآخرة يوم القيامة: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۝ ٤٦﴾ [الرحمن: ٤٦].

جنة في الدنيا بالإيمان والأعمال الصالحة، وجنة في الآخرة بالنعيم والرضوان. فله الحمد على عطائه وإنعامه، وله الحمد على هدايته وإحسانه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٢﴾ [الجمعة / ٢].

وقال عز وجل: «يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطَعْتَهُ؛ فَاسْتَطِعْ مُنِي أُطِعْكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ؛ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ» أخرجه مسلم (١).

فإن الله ﷻ بيده الهداية، بيده الأمن، بيده الخلق، بيده الملك وأكثر الخلق اشتغل بالتعرف على أوامره ولم يعرف الله ﷻ كما يجب، والله أمرنا أن نعرفه أولاً ثم نعرف أوامره ثانياً، ثم نعرف جزاءه ووعدته ووعيده ثالثاً: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَتَوَلِّكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

### • فالعلماء ثلاثة أقسام:

الأول: عالم بالله، وبأوامر الله، هذا في أعلى الدرجات، في مقدمة هؤلاء: الأنبياء والرسل، والعلماء والفقهاء من هذه الأمة: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

الثاني: عالم بالله، غير عالم بأوامر الله، وهذا دون الأول.

الثالث: عالم بأوامر الله، غير عالم بالله، وهذا دون الثاني.

والإيمان له بداية، وليس له نهاية، وبحسب قوة الإيمان تكون قوة الأعمال.

### • فالإيمان ثلاث درجات:

إيمان مطلوب .. وإيمان موجود .. وإيمان مفقود.

فالإيمان المفقود الذي لا أعرفه أنا الآن، فلا بد أن أتعرف على الله بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأعرف الملائكة، وأعرف الكتب، وأعرف الرسل، وأعرف القضاء والقدر، وأعرف اليوم الآخر، ثم أجد الإيمان المطلوب، لا بد أكمل الإيمان الموجود الذي أنا فيه الآن بالإيمان المفقود، حتى أرقى إلى الدرجة العالية بالإيمان المطلوب الذي عليه المعودات في الدنيا والآخرة: ﴿وَلْيَنْصُرْ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج / ٤٠].

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عِدْنٍ وَّرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون / ١-٢].  
 ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

فأتى بالصفات التي تأتي عليها الثمرات، ونحن الآن لا تأتي الثمرات؛ لأن الصفات صورة لا حقيقة، عندنا علم عقلي لكن لم ينزل في القلب، ليس عندنا علم حقيقة لا إله إلا الله كما كانت عند إبراهيم عليه السلام، أو كما كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم لما كان في الغار فقال لأبي بكر: «مَا ظَنُّكَ بِإِثْنِ اللَّهِ تَالِثَهُمَا؟» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

هو صلى الله عليه وسلم يرى المؤمن الذي يملك خزائن الأمن يراه ويمنعه من أعدائه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

فنحن كيف نتعبد لله تعالى بهذا الاسم العظيم؟ ونعبد الله تعالى بهذا الاسم العظيم؟ من عرف أن ربه هو المؤمن الذي بيده مقاليد الأمور أحبه وأجله، إذا عرفت الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وخزائنه، وملكه وسلطانه، ودينه وشرعه، هذه المعارف العظيمة تثمر للعبد قوة الإيمان، قوة اليقين، وتجعل هذا المؤمن أمة؛ لأنه عرف ربه فأمن به وأحبه وعبده: ﴿صَبَّغَهُ اللَّهُ بِمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة / ١٣٨]. فمن عرف الله، وعرف أنه هو المؤمن الذي بيده مقاليد الأمور أحبه وأجله، ولجأ إليه وحده في كشف الكربات ورفع البليات، ودفع الكريهات: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الحشر / ٢٢].

ما دام عالماً، ويعلم حالتي؛ فنسأله ونتضرع إليه، لأن الله تعالى يريد أن أسأله هو، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، لماذا؟ لأن السؤال مذلة، فلا تسأل إلا الله الذي لا تنبغي الذلة إلا له ...

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يَا عَلَامُ، إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ، أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ يُحْمِدهُ مُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٦٦٣) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٨١).

لَمْ يَضْرُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»  
أخرجه الترمذي<sup>(١)</sup>.

علينا أن نعرف أن الله ﷻ هو المؤمن الصادق في أخباره، العدل في أحكامه، هو الذي  
أحكامه كلها عدلٌ وإحسان، هو الصادق في أخباره، فما أخبرنا الله به عن خلقه  
السموات والأرض، والملائكة، والجنة والنار وغيرها من الأمور الغيبية نصدق بها:  
﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ  
حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

ونعرف المؤمن الذي عنده خزائن الأمن؛ لنستفيد من خزائنه ما يؤمننا في الدنيا، ويؤمننا  
في الآخرة، لا بد من التعرف على المؤمن، وكيف نحصل على مصادر الأمن منه جل  
جلاله ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ هُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

هذا تعريف بالله، الله يريد أن يعلمنا بذلك؛ حتى نتوجه إليه، ولا نسأل غيره: ﴿هُوَ اللَّهُ  
الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ  
الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

أنا عرفت ربي، ولكن كيف تأتي هذه الصفة في حياتي؟ كيف أستفيد من اسم الرازق؟  
بأن أتعبد بهذه الصفة، فأطعم نفسي، وأطعم غيري، وأنشر الرزق بين الناس، وأنفع  
الناس، إذا عرفت العليم استفدت من علمه، وعلمت الناس، إذا عرفت الرحمن  
ومظاهر رحمته؛ كيف تأتي في هذه الصفة؟ إذا عرفت المؤمن، كيف أكون سبباً لنشر  
الإيمان والأمن في العالم؟ فالمؤمن هو الذي يسعى في قضاء حوائج خلقه بما يؤمنهم في  
الدنيا والآخرة ويمنع عنهم الشرور.

ومن علم أن الله هو المؤمن الذي بيده الملك، وتدبير الأمور لجأ إليه في تحقيق أمن  
الأوطان، وشفاء الأبدان، ورخص الأسعار، ورغد العيش وتحسين الأحوال: ﴿وَلَوْ أَنَّ  
أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا  
كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦).



كيف نلبس حلة المؤمن؟ كيف نلبس حلة الإيمان والأمان في هذه الحياة؟  
 ومن عرف ربه باسمه المؤمن صبر على ما يقدره عليه من الفقر، والأمراض، والمصائب،  
 وعلم أنها شفاءً من أمراض القلب، فهذه الأمراض والمصائب شفاء من أمراض في  
 القلب تفتك بالإنسان لو استمرت فيه، فتأتي المصيبة؛ لتكون سبباً في التخلص منها؛  
 فيرى المريض ذاته شفاءً ودواءً نافعاً، ساقه له المؤمن، الذي هو أرحم بالعبد من نفسه،  
 لأنه رب رحمن رحيم: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ  
 فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٥١) [التوبة: ٥١].

قد كتب الله لنا في هذه المصيبة خيراً، كم في باطن المكروه من خير كثير؟!  
 فالمصائب والمكاره نعم باطنة تجر الأشرار إلى أعمال الأخيار، وترد النفوس إلى الملك  
 القدوس، وتوجه الناس من دار الغرور إلى دار السرور: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ  
 كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ  
 يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١١٦) [البقرة: ٢١٦].

ومن عرف ربه باسمه السلام المؤمن أحسن إلى عباده بقوله وفعله، وكف عنهم شره،  
 وتسامح معهم في جميع معاملاته، فيكون مؤمناً يأمنه الناس على أنفسهم وأموالهم.  
 قال النبي ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ  
 عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ» أخرجه الترمذي (١).  
 فالأمن كله بيد المؤمن سبحانه، والمطلوب أن يسلم المسلمون من لسان الإنسان ويده،  
 وأن يأمن الناس على دمائهم وأموالهم منه.  
 قال النبي ﷺ في حجة الوداع: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ  
 يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا» أخرجه مسلم (٢).  
 • فالدين ركنان:

الأول: عبادة الحق بها جاء عن الرسول ﷺ.

الثاني: الإحسان إلى الخلق.

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٦٢٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٢١٨).

قال الله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَأَيْتِمَىٰ وَالمَسْكِينِ وَالجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ ﴿٣٦﴾ [النساء: ٣٦].  
 والإحسان يكون دعوة إلى الله؛ ليأمن الناس من العذاب يوم القيامة، والشقاء في الدنيا،  
 وتعليماً لشرع الله؛ حتى يعبدوا الله بعلم، وإحساناً إلى الخلق بالقول والفعل، بالقول  
 بالثناء عليهم، وذكر محاسنهم، والفعل بإعطائهم ما يطلبون وما يرجون: ﴿وَسَارِعُوا  
 إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ  
 يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالمَكْظَمِينَ المَغِظِينَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ  
 المُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

فالرزق كله بأنواعه لا يكون إلا من الرازق جل جلاله، والعلم كله لا يكون إلا من  
 العليم، والأمن كله بأنواعه لا يكون إلا من المؤمن سبحانه؛ فكل شيء في خزائن  
 الله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ ﴿١١﴾ [الحجر/ ٢١].  
 فالأمن لا يكون أبداً إلا في جوار المؤمن، الذي يملك جميع خزائن الأمن جل جلاله:  
 ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ ﴿١﴾ لِإِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا البَيْتِ  
 ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّن خَوْفٍ ﴿٤﴾ [قريش: ١ - ٤].

والخوف لا يكون إلا في البعد عن دينه وهداه والكفر به: ﴿وَقَالُوا إِن نَّبِيعِ المُذَيَّبِ مَعَكَ  
 نُنخِطُفُ مِّن أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمَكِّن لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِئَ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا  
 وَلَكِن أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ [الفصص: ٥٧].

فتعوذ بالله من الجهل، ونعوذ بالله من الطبع على القلب حتى لا يفقهه ولا يبين له البين،  
 فإذا البين لا يبين فكيف بالخفي متى يبين؟ فالله أبيض من كل بَيْن، هو جل جلاله المبين،  
 الذي أظهر نفسه في آياته ومخلوقاته، وأظهر دينه وبَيَّن أحكامه، وبين ما يدل الخلق عليه؛  
 لأنه يريد لهم الأمن في الدنيا والآخرة: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ  
 السَّلَامُ المُوْمِنُ المُهَيَّبُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المَتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا  
 يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ [الحشر: ٢٣].

وكل طاعة مقرونة بالأمن، وكل معصية مقرونة بالخوف، فالأمن بأنواعه للمؤمنين  
 الذين قاموا بجميع أنواع الطاعات فرضها ونفلها، واجبها ومستحبها، الأمن كله

بأنواعه للمؤمنين، فحيثما كانت الطاعة إلا وينشرح صدر المسلم، ويطمئن قلبه، ويجد لذة فيه، فكل إنسان بعد كل طاعة يجد لذة وأمناً وراحة وطمأنينة وسكينة: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٢٨﴾ [الرعد: ٢٨].

فكل طاعة مقرونة بالأمن، فحيثما كانت الطاعة كان الأمن، وحيثما كانت المعصية كان الخوف، واحدة بواحدة، فالأمن بأنواعه للمؤمنين، والخوف بأنواعه للكافرين: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ ﴿١١٢﴾ [النحل: ١١٢].

إن الله أصلح كل الأرض: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ [الأعراف: ٥٦].

فالأمن بالإيمان، والسعادة بإتباع أوامر الله ﷻ، فلا أمن إلا من المؤمن، ولا أمان إلا من المؤمن: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وحظ العبد من اسم الله المؤمن أن يأمن الخلق كلهم جانبه، فيكون المؤمن مصدر سلام وأمن لكل الناس، ويكون كالشجرة المثمرة، الناس يقطفون من ثمارها. فحظ العبد من اسم الله المؤمن أن يأمن الخلق كلهم جانبه، ويرجو كل خائف رحمته في دفع الهلاك عن نفسه في دنياه وآخرته.

أن نعرف أن المؤمن يؤمن عباده من كل شر، ويريد لهم كل خير: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْنَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ [يونس / ٤٤].  
الله ﷻ لا يظلم أحداً: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكَ حَسَنَةً يُّضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٤٠﴾ [النساء / ٤٠].

فالحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى الأجر العظيم الذي لا يعلم عدده، إلى الأجر الذي يعطيه الله ﷻ من كرمه وجوده لمن شاء من عباده. فيجب على المؤمن أن يتخلق بهذه الصفة، يجب على المؤمن ألا يظلم الناس، ليأمن الناس شره وغوائله، وأولى الناس بذلك جاره ثم كل الناس.

قال النبي ﷺ: «وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهُ لَا يُؤْمِنُ، قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:

الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ» أخرجه البخاري (١).

وعلى المؤمن أن يكون صادقاً مع نفسه، ومع ربه، ومع الناس، وأن يصدق في جميع أقواله وأحواله، وأن يتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً.

قال النبي ﷺ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صَدِيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا» متفق عليه (٢).

ومن ثمرات إيمان العبد باسم الله المؤمن أن يصدق الله ﷻ فيما أخبر به عن ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعن آياته ومخلوقاته، وعن أنبيائه ورسله، وعن وعده ووعدته:

فالقُرآن قسمان:

أخبار.. وأوامر.

والأخبار أقسام كثيرة، منها الخبر عن الخالق بأسمائه وصفاته، ومخلوقاته وآياته.

ومنها الخبر عن أنبيائه ورسله، ومنها الأخبار عن كتبه، ومنها الأخبار عن الجنة والنار، ومنها الأخبار عن خلق السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ بَصْرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦-٨].

﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

هذه كلها أخبار، فالله ﷻ أخبرنا عن مخلوقاته؛ لنعرف الخالق من المخلوق، ونتجاوز المخلوق إلى الخالق، وأرانا هذه الصور؛ لتتجاوز الصور إلى المصور جل جلاله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنعَلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق / ١٢].

لا بد من معرفة من له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، نعرف المؤمن حتى نتحصل

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٠١٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٠٧).

على الأمن، نعرف الرزاق حتى نأخذ الرزق منه جل جلاله من باب الخواص، باب الإيثار والتقوى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].  
 أما الباب العام فهو: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود: ٦].

فإنه خلق المخلوقات وتكفل بأرزاقها؛ لأنه هو الكفيل الذي تكفل بالأرزاق، لكن هذا الرزق العام للمؤمن والكافر والحيوان، لكن الرزق الخاص خاص للمؤمنين، يأخذونه بالإيمان والأعمال: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٢﴾﴾ [الطلاق / ٢-٣].

ومن ثمرات إيمان العبد باسم الله المؤمن أن يصدق الله فيما أخبر به، ويطيعه فيما أمر به: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ءَ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ءَ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ءَ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

هذا تنفيذ الأمر، فبعد الإيمان يأتي تنفيذ الأمر، بفعل الأوامر، واجتناب النواهي، فالإيمان تصديق وتطبيق وتحقيق، والإيمان بالتصديق فقط بدون التحقيق بتطبيق الأوامر لا قيمة له، ومن ذلك إيمان إبليس الذي آمن بالله، لكنه عصاه، فطرده الله ولعنه.

وعلى المؤمن أن يشكر ربه المؤمن الذي خلقه ورزقه وهده ووفقه للعمل الصالح: ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٣٢٩﴾﴾ [البقرة / ٢٣٩].

وعليه أن يعبد من أطعمه وأمنه: ﴿لَا يَلْفُ فُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيَّاهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطَعْتَهُم مِّن جُوعٍ وَعَآمَنَهُم مِّن خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ [قريش / ١-٤].

هذه العبادة التي فيها اللذة، وفيها المحبة، وفيها الرجاء، وفيها الخوف، إنما تكون بعد معرفة الله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ءَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

مُنْقَلِبِكُمْ وَمَثَوْنِكُمْ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩].

• فكل عبادة لها ثلاثة أركان:

حبة الله .. ورجاء ثوابه .. والخوف من عقابه؛ فالعبادة المقبولة بأنواعها المختلفة القولية والفعلية، والقاصرة والمتعدية، تقوم على تلك الأركان: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

هذه العبادة نجد فيها اللذة والأنس، وتخف علينا الطاعات إذا عرفنا الله بأسمائته وصفاته، وعرفنا من بيده كل شيء، ومن ذلك الأمن الذي نشده في الدنيا، نريد الأمن الصحي، الأمن الغذائي، الأمن السياسي، الأمن الاقتصادي، الأمن الاجتماعي.

هذا الأمن كله في خزائن الله، وليس له إلا باب واحد عند المؤمن جل جلاله الذي خلق الأمن، ومن به على جميع خلقه، فالله خلق اللسان، وخلق السمع والبصر، وخلق الأقدام والأيدي، كله من أجل تأمين الإنسان في الحياة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة: ٢٤٣].

لكن الأمن الخاص، الأمن المقصود هو أن يدخل الإيمان في القلب: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمِنَّا قُلْ لَمْ نَتُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [الحجرات: ١٤].

أنا دخلت السوق المركزي، وتجولت فيه؛ عرفت أشياء، ولم أعرف أشياء، لا نوعها ولا قيمتها لكن صاحب السوق المركزي يعرف الأواني، والأجهزة الكهربائية، وأنواع التمور، والملابس، وكل شيء في هذا السوق المركزي يعرفه، ويعرف سعره.

فهذا السوق المركزي كله دخل في قلب هذا الإنسان؛ فهو يعرف كل شيء فيه.

هكذا المؤمن، أن أدخل في الدين شيء، وأن يدخل الدين في شيء آخر، إذا دخل في الدين؛ تحولت حياتي كلها لله، أما إذا دخلت في الدين فاخترت منه أشياء تكون خفيفة علي، وتركت أشياء فهذا جمع بين الهوى والهدى.

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة: ٨٥].

فإن أدخل في الدين شيء، وأن يدخل الدين في قلبي شيء آخر، إذا دخل الدين في قلبي

تحركت بجميع أعمال الدين، عبادةً، ودعوةً، وتعليمًا، وإحسانًا إلى الخلق، وكنت في الدين في جميع أحوالي، فيتحول عمر هذا الإنسان إلى عمر إسلامي: ﴿صَبَغَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صَبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨].

### • فالعمر أربعة أقسام:

عمر إنساني .. وعمر حيواني .. وعمر إبليسي .. وعمر إسلامي .

والمطلوب هو أن يكون عمري إسلامي: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِثْلَ آبَائِهِمْ خَفِيًّا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٦١] ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٦٢] لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [١٦٣] ﴿[الأنعام: ١٦١ - ١٦٣].

وكل من قضى عمره فيما سوى ذلك فهو في خسارة: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ [١] ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ [٢] ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ [٢] ﴿[العصر: ١ - ٣].

فأول المسلمين لابد أن يكون قدوة للمسلمين، وقدوة أول المسلمين هو رسول رب العالمين: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [١١] ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [١٢] ﴿[الزمر: ١١ - ١٢].

### • وأول المسلمين يجب أن يقتدي بالرسول ﷺ في خمسة أمور:

في توحيده وإيمانه .. وفي نيته وفكره .. وفي أقواله الحسنة .. وأعماله الصالحة .. وأخلاقه العظيمة.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [١١] ﴿[الأحزاب / ٢١].

﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ ءَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [١٥٨] ﴿[الأعراف: ١٥٨].

ومن عرف أن الله ﷻ هو المؤمن فعليه ألا يطلب الأمان إلا منه وحده لا شريك له، ومن عرف ربه المؤمن الذي بيده الأمان والأمان، فليشر الأمان والإيمان في العالم تحقيقًا لأمر ربه: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ ءَوَلِيْعَلَّمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [٥٢] ﴿[إبراهيم / ٥٢].

ولينشر العلم الإلهي، ويعلمه للناس؛ لينال ثواب الله العظيم، ويأمن عقوبته ويكون

سبباً لدخول الناس في هذا الدين وعبادتهم لله ﷻ على علم: ﴿كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ [آل عمران / ٧٩].

والمؤمن يجب أن تكون أفعاله مطابقة لأقواله، وظاهره متفق مع باطنه، وسره وعلانيته على حد سواء، حتى يكون عمله خالصاً لله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٢﴾ [الصف / ٢-٣].

والأنبياء والرسل مؤتمنون على أداء رسالة الله إلى خلقه، والمؤمن مؤتمن على بدنه، وعلى قلبه، لا بد أن يحمله على طاعة الله، المؤمن مؤتمن على بدنه، ومؤتمن على جوارحه، ومؤتمن على الخلافة في الأرض، ومؤتمن على سمعه وبصره وعلى أوقاته، وأمواله، وأولاده: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ [النحل: ٣٦].

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّثْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿١٢٥﴾ [النحل: ١٢٥].  
وقال النبي ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وأعظم أمانة كلف الله ﷻ بها هذه الأمة هي الدعوة إلى الله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨].

فالدعوة إلى الله هي التي تحقق للعباد الأمن والسعادة في الدنيا والآخرة، ويأمن بها الناس من عذاب الله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿١١٠﴾ [آل عمران: ١١٠].

﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فالإسلام شرفنا نتشرف به، وحاجتنا نحن محتاجون للإسلام، وهو مسؤوليتنا أمانة

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١٣٨) واللفظ له، ومسلم برقم (١٨٢٩).



عندنا، لابد من إبلاغه لأهل الأرض كلهم، الأرض الآن عرفناها جغرافياً، مائتان وخمس وأربعون دولة، وعرفنا المدن التي فيها، وأنهاها، وصناعاتها، بقي علينا أن نوصل لا إله إلا الله لقلوبها، ومحمد رسول الله لأبدانها؛ حتى تتزين أجساد البشرية بالصفات والأخلاق الإسلامية، وتمتلئ قلوب البشرية بالإيمان بالله، والتوكل عليه، والحب له، والتعظيم والذل له، هذه رسالتنا.

فالله وكل الشمس بالإنارة، ووكّل السحب بنقل المياه، ووكّلنا بنشر الهداية للعالم:

﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَيَلْعَلُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

لماذا؟ ليتنشر الأمن في الدنيا، الأمن الآن كله مضطرب في العالم؛ لأن القوي سيأكل الضعيف، وكلّ يخاف من الآخر، فهم كلّ يتقوى على غيره ويجمع الأسلحة، ويصنع الأسلحة؛ ليكون هو المسيطر في العالم، فالعالم يعيش في رعب، والله أمرنا أن ندخل في الإسلام، وأن نسعى لدخول الناس في السلام: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة/ ٢٠٨].

فسبحان المؤمن الصادق في أخباره، وأحكامه، وأفعاله، وفي وعده، ووعيده: ﴿وَمَتَّ كَلِمَتَ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١١٥].

ومن دخل في الإسلام سلم، ومن دخل في الإيمان فهو آمن في الدنيا والآخرة: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

والمؤمن يصدق بكل ما جاء عن ربه من أخبار الوعد والوعيد، ويعمل بمقتضى ذلك: ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١١٤﴾ ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤].

ووعود الله ﷻ التي أخبر بها في القرآن، إذا لم نراها قد تحققت فنحن السبب؛ لأن الله وعد على صفة الإيمان النصر والعزة والأمن والسعادة، وكل وعد مربوط بسبب، وكل وعيد مربوط بسبب: ﴿وَلِيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الحج/ ٤٠].

صفاتهم: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا

بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَبِاللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ [الحج: ٤١].

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

فإنه رءوف بالعباد يكرم بفضلهم، ويعاقب بعدله، ويجب لعباده الخير، ولا يرضى لعباده الكفر والشقاء والعذاب: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء: ١٤٧].

الله يحب لعبده كل خير، ويكره له كل شر، ولهذا يجازي على كل حسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠].

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكَ حَسَنَةً يُّضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠].

الله ﷻ هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٣].

وعلى العبد المؤمن الذي ينشد الأمن في الدنيا والآخرة أن يتعرف على هذا الاسم الكريم، فاعلم أيها العبد المؤمن أن ربك المؤمن يريد أن يؤمنك من العذاب في الدنيا والآخرة؛ فبادر إلى طاعته، وامثال أوامره؛ ليتحقق لك ما أراد الله لك: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

هذا وعده: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

وهذا وعيده: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة: ٦٨].

واعلم أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، آمنت بالله، وصدقت بأخباره ونفذت أوامره، لا يدخل الجنة يوم القيامة إلا نفس مؤمنة آمنت بالله، فاجتهد على نفسك أيها المؤمن بالعلم والعمل؛ ليزيد إيمانك، وتزكوا عبادتك، وتحسن أخلاقك وتصلح أحوالك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾﴾ جزاؤهم عند ربهم جنات

عَدِنِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَسِبَ رَبَّهُ ﴿٨﴾ [البينة: ٧-٨].

واجتهد بالإحسان إلى غيرك بالنصيحة، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهل، ومواساة المحتاج، ورحمة الصغير، وتوقير الكبير، والإحسان إلى الخلق بكل ما تقدر عليه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

أنت من خير أمة في العباد، في الدعوة، في التعليم، في الإيثار، في التوحيد، في الأخلاق: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

وأظهر رحمك الله من برك وخيرك، ما يأمن الناس به من شرك، ويطمعون في خيرك، يحبك الله والناس: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم: ٩٦].  
 ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

ولا ريب ولا شك أن جميع الخلق هالكون وخاسرون إلا صنف واحد، فإن لم تكن أسبقهم فكن على الأقل منهم: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ [العصر: ١-٢].

جهد على النفس آمنوا وعملوا الصالحات، جهد على الغير تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، فيجب علينا لزوم تقوى الله ﷻ في جميع الأحوال، فبالتقوى تؤدي الأمانات، وتوفى العهود، وتُحفظ الحدود، وتحصل البركات، وتُدفع العقوبات: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۚ ﴿٢﴾ وَبِرِّزْفَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۗ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۗ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۚ ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

والمؤمن يجب أن تأتي أفعاله مصدقة لأقواله: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُمُ عَلَىٰ تَحْرِيقِ نُسُجِكُمْ ۚ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۚ ﴿١٠﴾ تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ۗ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَقَامُونَ ۗ ﴿١١﴾ ﴾ [الصف: ١٠-١١].

فما هو حظك من هذه الصفات والأعمال والكرامات.

فالإيمان له لفظ، وله صورة، فاللفظ كأن أقول: أنا مؤمن، وله صورة أو رسم، وله طعم، وله حلاوة وله حقيقة كما مر معنا؛ فلا بد أن يرتبط أوله بآخره، وأن نصدق الأقوال بالأفعال.

قال النبي ﷺ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيْمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا» أخرجه مسلم (١).

والمؤمن من البشر يجب أن يأمنه الناس على أنفسهم، وأموالهم، وأعراضهم، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن حقًا مصدر أمان للخلق كلهم، يصدق أقواله بأفعاله، ويصدق سره بعلانيته، فهذا هو المؤمن الذي له الأمان من ربه في الدنيا والآخرة: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ هُمُ الْآمِنُونَ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ۗ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وإيمان كل مؤمن بقدر علمه بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعمل كل مؤمن بقدر إيمانه، ودرجة كل مؤمن في الجنة بقدر تقواه، وتقواه ثمرة علمه وإيمانه، هذه مسائل لا بد أن نعرفها؛ لأنه ينبغي بعضها على بعض، ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرَ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ۗ ﴾ [محمد: ١٩].

فإيمان كل مؤمن بقدر عمله، وعمل كل مؤمن بقدر إيمانه، جميع الطاعات الواجبات والمستحبات تكون بقدر العلم، وعمل كل مؤمن بقدر إيمانه بربه، ودرجة كل مؤمن في الجنة بقدر تقواه، وتقواه ثمرة علمه وإيمانه: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۗ ﴾ [الذين يقيمون

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٤).

الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴿[الأَنْفَالُ / ٢-٤].

ماذا لهم؟ ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿[الأَنْفَالُ / ٢-٤].

فاتق الله رحمة الله كما ينبغي لجلاله وجهه، وعظيم سلطانه، وكثرة إحسانه، والتقوى ألا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يجذك حيث نهاك: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ ﴿[الأحزاب / ٧٠].

والقول السديد أن تكبر الكبير، وتعظم العظيم، وتحمده وتمجده وتثني عليه، وتدعو الناس إليه، وإلى دينه، وتعلم شرعه، وتحسن إلى خلقه، وتسبحه، وتقدسده: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ ﴿٧٠﴾ يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴿[الأحزاب / ٧٠-٧١].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿فصلت: ٣٣﴾

فأحسن عبادتك لربك ولا تؤذي أحداً من خلقه، واستغفر من ذنوبك، وأدي الحقوق التي أمر الله بها، تكن من الفائزين: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ ﴿[الأحْقَافُ / ١٦].

فإنه ﷻ إذا وعد فهو الصادق في وعده، وإذا أخبر فهو الصادق في خبره، وإذا أمر فهو الحكيم في أمره وشرعه جل جلاله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ ﴿[النساء: ١٢٢].

فإنه ﷻ هو المؤمن الذي آمن خلقه بثبات حركة الأفلاك، حركة الأفلاك كلها بيده: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿[فاطر / ٤١].

لو رفع الله عنها أمر البقاء؛ لخرت السماء على الأرض أو لفنيت، ويمسك السماء أن تقع على الأرض؛ تأميناً للخلق: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ ﴿[الحج / ٦٥].

﴿وَأَيُّهُ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمُ مُظْلَمُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴿[يس / ٣٧-٤٠].

هذه المخلوقات إيجادها بأمره وتحريكها بأمره، وبقاؤها بأمره، ونفعها وضرها بأمره، وهي تسبح بحمده وتشهد بوحدانيته: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِن مِّنْ

شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ، وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ [الإسراء: ٤٤].

فسبحان الملك القدوس السلام، الذي له ملك السموات والأرض، والذي منَّ علينا بالنعمة المادية؛ لتبقى حياتنا، وبالنعمة الروحية؛ لنعيش في هذه الدنيا سعداء، ويوم القيامة ندخل الجنة ونفوز برضوان الله ﷻ: ﴿ وَمَا يَكُفُّمْ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣].

هو سبحانه المؤمن الذي وهب عباده الأمن الفكري، والمؤمن مؤمن أن الله ربه وأن كل ما أخبر به صحيح: ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام/ ١٦١].

المؤمن يجب أن يكون صادقًا، فأحسن حلية للإنسان أن يكون صادقًا في جميع أحواله، ويلبس لباس الصادقين، لباس المؤمنين، فالأشجار تتزين بالأوراق والأزهار والثمار، والإيمان إذا أكرم الله ﷻ به عبده فيجب أن يظهر أثر الإيمان على اللسان، وعلى القلب، وعلى الجوارح، فيلبس الإنسان أحسن الحلل، وهذه الحلل الله ﷻ أثنى على أصحابها فقال: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

الله يريد من نزول الوحي على الخلق، أن يدخل إلى قلوبهم، ثم يظهر آثارًا على قلوبهم وأجسادهم، وقيمة السلعة بقدر ما تحمل من الصفات الإيمانية.

والله خلق البشر، واشترى منهم المؤمنين، واشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم، وعلى قدر الصفات تكون قيمة السلعة: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ ﴾ [التوبة: ١١١].

وصفات هؤلاء المؤمنين: ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّاجِدُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١١٢].

سيارة فيها مواصفات جيدة، قيمتها خمسمائة ألف، إنسان فيه صفات جيدة، ومعه علوم

جيدة، طيب، مهندس بقدر صفاته، تكون قيمته العلمية؛ حتى في الحيوانات، الكلب المعلم يختلف عن الكلب غير المعلم، فقيمة الإنسان بصفاته لا بذاته، فأعظم الصفات الإيمان، فالله يحب ظهور أسمائه وصفاته في عباده ليتحلوا بها، ويتجملوا بها، فالجميل يوم القيامة يكون بقرب الجميل، والكريم بقرب الكريم، والعفو بجنب العفو: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

وهكذا نأخذ من الأسماء والصفات على شاكلة العبودية، ونتعبد لله بها، وندعو الله بموجبها، ولا يمكن أن نعرف الصفات حتى نتعرف على من له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، إذا عرفنا المؤمن فيجب أن نكون مؤمنين مصدقين بوعد الله وأخباره، ممثلين لأوامره وندعو الناس للتصديق بأخباره، والإيمان به، وامثال أوامره.

فهذه الصفات لا بد أن تظهر فينا، وهذه الصفات التي يحبها الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٣٣٣﴾﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

فالله يحب أهل الصفات، يحب المؤمنين، والمتقين، والمحسنين، والصابرين.

صفات عشر، هذه حلل يلبسها المسلم يتجمل بها في الدنيا، ليعرف أنه مسلم، صفاته تميزه عن الكافر، وتميزه عن الحيوان، تميزه بصدقه إيمانه وتقواه وإسلامه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

فمن آمن بالله، يجب أن يهب من حوله من الناس الأيمن، بإظهار صفات الإيمان من الأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق العالية.

فالإيمان تصديق وتحقيق وتطبيق، تصديق بالأخبار، وتحقيق بفعل الأوامر، واجتناب النواهي، فصفات الإيمان، وشعب الإيمان، بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فأعلاها قول: "لا إله إلا الله"، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان.

• فالإيمان يظهر في ثلاثة مواطن:

أولاً: قول: لا إله إلا الله باللسان.

ثانياً: الحياء صفة قلبية نائبة عن الأخلاق الطيبة.

ثالثاً: إمطة الأذى عن الطريق نيابة عن أفعال الجوارح.

فلا بد للمؤمن الذي آمن بالله أن يهب من حوله الأمن بإظهار صفات الإيمان من الأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق العالية: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة/ ٨٣].

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٣٣] ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

المؤمن هو الذي يشعر كل إنسان يلقاه أنه أقرب الناس إليه، فكن كريماً لطيفاً بأقوالك، بأفعالك، بك، ليحبك الله، ويحبك الناس، ويأمنوا جانبك، ويطمئن إليك الخلق، وبذلك يتحقق الأمن والطمأنينة في كل مجتمع: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١].

ولهذا لما قل الإيمان وضعف امتلات السجون، والمحاكم، والمستشفيات بالخلق، لكن المساجد قل من يعمرها، والمساجد هي بيت الأمان، هي بيت المؤمن جل جلاله، والأمن من المؤمن، ولا أمن ولا طمأنينة إلا بالإيمان بالله ﷻ؛ آمنت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً.

بالإيمان يتحقق الأمن والطمأنينة في الأمة: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

كونوا عباد الله إخواناً، تكونوا يوم القيامة إخواناً على سرر متقابلين، والمؤمن يجب لأخيه ما يجب لنفسه.

قال النبي ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ أَوْ قَالَ: لِجَارِهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وشر الخلق من اتقاه الناس مخافة شره، ومن أهل النار كل غليظ جواط مستكبر: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ ﴾ [١٨] ﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٣)، ومسلم برقم (٤٥) واللفظ له.



وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ [لقمان / ١٨-١٩].

والله سبحانه هو المؤمن الذي صدق نفسه، وأول من شهد لنفسه بالوحدانية، فأول مؤمن بالله هو الله، وهذه أعظم شهادة: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران / ١٨].

هو سبحانه السلام المؤمن الموفي بعهده: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم / ٦].

سبحانه هو المؤمن لعباده، الذي يؤمنهم في حياتهم، وأرزاقهم، وآجالهم، فكل حي إنما يبقى بأمر الحي القيوم، ورزقهم أمنه لهم الرزاق، وآجالهم بيده: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون / ١١].

هو سبحانه المؤمن الذي يأمنه لناس عند الغضب؛ لأن رحمته سبقت غضبه، والعفو أحب إليه من الانتقام، والرحمة أحب إليه من القسوة: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر / ٢٢].

فكن أيها العبد المؤمن أميناً على أقوالك، وعلى أعمالك، أميناً على أموال الناس، أميناً على أعراض الناس، فلا تخوض فيها، أميناً على أسرار الناس، فلا تُفشي سرّاً من أسرارهم، ومن أعان ظالماً سلطه الله عليه، وكان أول ضحاياه، والمؤمن يمنع الظالم من الظلم.

قال النبي ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» أخرجه البخاري (١).

الظالم تحجزه عن الظلم، والمظلوم تكون معه حتى ينتصر على من ظلمه، فالمؤمن يمنع الظالم من الظلم، ويُجير المظلوم من ظلم الظالم وبذلك يتحقق الأمن.

حظك أيها المؤمن من ربك المؤمن؛ أن تؤمن بالله حقاً، وصدقاً، وتؤمن بمحمد رسولاً، وتؤمن بالإسلام ديناً، والله سبحانه مؤمن، والإنسان مؤمن، والإيمان في حق العبد تصديق الخبر تصديقاً جازماً، وتنفيذ الأمر تنفيذاً كاملاً: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ

الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٣).

• آيات القرآن نوعان:

خبر .. وطلب.

والخبر: خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ومخلوقاته.

والطلب: إما أمر بالفعل كالصلاة، أو نهي عن الفعل كالنهي عن الفواحش.

والإيمان في باب الأخبار هو التصديق، والإيمان في باب الأوامر هو التنفيذ، الإيمان في باب الأخبار هو التصديق بالله ﷻ، وكل ما جاء عنه، والإيمان في باب الأوامر هو

التنفيذ؛ لأن الإيمان تصديقٌ وتحقيق التصديق، نصدق كل خبر جاء عن الله وعن رسوله

ﷺ، والإيمان في باب الأوامر هو التنفيذ لكل ما أمر الله ورسوله به: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ

الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ

﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ

دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

فتصديق الخبر إيمان، وتنفيذ الطلب إيمان، فمن صدق الأخبار، وفعل الأوامر أثابه الله

السعادة في الدنيا، والجنة والرضوان يوم القيامة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ

اسْتَقَمُوا نَتَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ

تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَٰكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَىٰ

أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

فكما أمرنا الله بتصديق خبره؛ أمرنا كذلك بتنفيذ أمره: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ

تُقَلِّحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج / ٧٧].

وقال النبي ﷺ لوفد عبد القيس: «أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحَدُّهُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ

أَعْلَمُ، قَالَ: شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ،

وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُؤَدُّوا الْحُمْسَ مِنَ الْمَغْنَمِ» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.

فاسم الله المؤمن اشتمل على عدة معان يجمعها تصديق الخبر، وتنفيذ الطلب، فالله وعد

بالنصر والعزة لمن آمن به، وامثل أوامره.

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٣).

والله سبحانه هو المؤمن الذي أمن عباده في الآخرة، فأدخلهم الجنة، وأنجاهم من النار بفضل لا بعدله، وأدخل الكفار النار بعدله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿١٦﴾ [يونس: ٢٦].

فالعدل أن تكون الأعمال الصالحة مقابل النعم السابعة عليهم، ولكن الله كريم أعطاهم من النعم السابعة الجنات والرضوان، تكرمًا منه وإحسانًا؛ فلهم الجنة إذا أحسنوا، والزيادة زيادة الأمن، وزيادة النعمة بالرضا من الله ﷻ.

وقال النبي ﷺ: «لَا يُدْخِلُ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا أَنَا؛ إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ» متفق عليه (١).

والعبد المؤمن يسأل ربه المؤمن الذي يملك خزائن الأمن أن يؤمنه من الشرور كلها، ويحميه مما يضره ويشتقيه، قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْقِلَّةِ وَالذَّلَّةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ» أخرجه الترمذي (١).

فسبحان المؤمن الذي لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِضُرٍّ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٧﴾ وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ﴿١٨﴾ [الأنعام / ١٧-١٨].

﴿تَبْرَكَ الَّذِي يَدِيَهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾ [الملك / ١].

هو سبحانه المؤمن الذي يصدق عباده إذا قالوا: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

هو سبحانه المؤمن الذي خلق الخلق، وأرسل إليهم الرسل؛ ليؤمنوا في الدنيا والآخرة. واعلم أن الله سبحانه خلق الإنسان، وأسكنه في دار الاختبار، دار الاختبار التي نحن فيها، ووضع له منهجًا يسير عليه من أراد السعادة، وأرسل معلمًا لهذا المنهج وهم الرسل: ﴿فَأَمَّا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَلَا يَقْبَلُوا الضَّلِيلَ وَلَا يُنِيبُوا إِلَىٰ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَلا يَرْجَوْا أَنَّ يَهِتُوا فِيهَا﴾ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٣) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨١٦).

(٢) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٣٣٧٢).

حَشْرَتِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتِنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي ﴿١٢٦﴾ ﴿طه: ١٢٣-١٢٦﴾.

فطلاب السعادة الذين يريدون السعادة في الدنيا والآخرة لهم مقرر يدرسونه، ويعملون بها فيه؛ ليفوزوا ويسعدوا في الدنيا والآخرة: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذُرُ أُولَئِ الَّذِينَ لَا يَتَّقُونَ﴾ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدِرُّونَ بِلِحْسَنِ النَّسِيئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴿الرعد: ١٩-٢٢﴾.

هؤلاء الذين لهم الأمن في الدنيا والآخرة.

وطلاب الشقاوة تركوا هذا المنهج، وعاشوا على هواهم، واشتغلوا بالشهوات عن عبادة الله، فخسروا الدنيا والآخرة: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ ﴿١٧٩﴾ ﴿الأعراف: ١٧٩﴾.

والمقرر الذي ندرسه في الدنيا هو هذا القرآن، الذي أنزله الله ﷻ تبياناً لكل شيء، ومطلوبٌ منا أن نقرأ القرآن لنعرف الأخبار، ونتعرف على الأوامر، وعلى النواهي، وعلى الوعد والوعيد، وأن نعرف أسماء ربنا وصفاته، وأن نتقرب إليه بما يحبه ويرضاه، هذا مقرر يجب على كل مسلم من حين يعقل إلى أن يلقي الله وهو يلازم قراءة القرآن؛ لأنه مقرر عليه أن يصدق بأخباره، ويعمل بأحكامه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿النحل: ٨٩﴾.

الله أنزل القرآن؛ لينذر من كان حياً، ليس للأموات، إنما هو لينذر من كان حياً، فهو مقرر لازم، فمن أراد السعادة؛ فليقرأ القرآن بالتدبر ليعرف المنهج الذي يصله بربه، ويعرف الأعمال التي يجبها الله ﷻ: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿١٥٥﴾ ﴿الأنعام: ١٥٥﴾.

فأهل السعادة وفي مقدمتهم الأنبياء والرسل، ثم المؤمنون بهم، المصدقون لهم، هؤلاء قرأوا القرآن، وامتثلوا الأوامر، واجتنبوا النواهي؛ ففازوا بالسعادة، أما من أعرض عن هذا المقرر، وعن هذا المنهج، فهؤلاء طلاب الشقاوة، تركوا هذا المنهج، وعاشوا على

هواهم، واشتغلوا بالشهوات عن عبادة الله فحسروا الدنيا والآخرة: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ ﴿٥٩﴾ [مریم: ٥٩].

فأهل الشقاوة الذين أعرضوا عن ذكر الله ﷻ؛ لهم يوم القيامة العذاب، ولهم في الدنيا النكد، والشقاء، والتعب، والمعيشة الضنك: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ الْأُولَى﴾ ﴿٢٥﴾ [الرعد: ٢٥].

هؤلاء أعرضوا عن المنهج، واشتغلوا بالشهوات عن عبادة الله، فحسروا الدنيا والآخرة، فمن درس هذا المنهج وعمل بموجبه؛ أجاب في الامتحان، فالإنسان سوف يسأل بعد موته عشرة أسئلة، سوف يسأل الإنسان في قبره: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟.

ويسأل يوم القيامة خمسة أسئلة قال ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمًا قَدَمًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمَلَ فِيهِ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ» أخرجه الترمذي<sup>(١)</sup>.

وسيسأل الخلق كلهم في عرصات القيامة: ماذا أحببتم المرسلين؟، وماذا كنتم تعملون؟؛ هذه عشرة أسئلة لا يستطيع الإجابة عليها إلا من آمن بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا، فالذين تركوا هذا المنهج لا يستطيعون الإجابة، ولهذا من لم يجب فهو في خسار: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١-٣].

فمن درس غير المقرر، واشتغل بعلوم اليهود والنصارى وجميع الكفار، من درس غير المقرر وغير المنهج الإلهي لم يتمكن من الإجابة على أسئلة من وضع المقرر والمنهج؛ فرسب في الامتحان.

وأكثر الخلق مشغولون بغير المقرر والمنهج الإلهي الذي فيه النجاح لمن قبله ودرسه وعمل به: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٠٣﴾ ﴿وَمَا سَأَلْتَهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٠٤﴾ [يوسف: ١٠٣-١٠٤].

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٢٤١٧).

فمن ترك هذا المنهج، وترك منهج الهداية وخسر في الدنيا والآخرة: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر/ ١٥].

أعظم خسارة أن يخسر الإنسان أهله وماله ونفسه يوم القيامة .

وما يُكرم الله به المؤمنين من كرامات في الدنيا إنما هو تكريم من أجل الثبات على العمل، جميع ما تُعطي في هذه الدنيا هو تكريم أولي من أجل الثبات على العمل، والاستمرار في العمل، وتنبية للكفار والعصاة؛ ليتوبوا إلى ربهم، أما النعيم الكامل، والأمن الكامل، فذلك يوم القيامة: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران/ ١٨٥].

فالمؤمن سبحانه صادق في وعده، أحصى أعمال العباد كلها، وسوف يجاسبهم ويجازيهم بما عملوا من خير أو شر: ﴿يَوْمَ يَدْعُ النَّاسُ أَسْمَانًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ [٦] ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [٧] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [٨] [الزلزلة/ ٦-٨].

وهناك سوف يسأل الله الرسل والمرسل إليهم عما عملوا: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [٦] ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ [٧] ﴿وَأَلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٨] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِعَيِّنَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [٩] [الأعراف: ٦-٩].

وذلك اليوم يوم عظيم، للمؤمن فيه النعيم الكامل، والأمن الكامل: ﴿هُم دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٢٧] [الأنعام/ ١٢٧].

هؤلاء الذين لهم الأمن والسلام؛ لأنهم دخلوا في الإيمان، ودخلوا في السلام في الدنيا، ودخلوا في الإسلام، فيوم القيامة لهم دار السلام من جميع الآفات: ﴿هُم دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٢٧] [الأنعام/ ١٢٧].

وللكافر الشقاء الكامل، والخوف الكامل: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [١] ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [٢] [الحج/ ١-٢].

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كَمَا فَضَحْتُمْ جُلُودَهُمْ بَدَلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ٥٦].

اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واختم بالصالحات أعمالنا. وقيمة الشيء بقدر صفاته، والإيمان أعظم صفات الإنسان، ولهذا اشترى الله جميع المؤمنين والمؤمنات، وجعل ثمن الشراء الجنة، وهذه السلعة التي اشترها الله، لها صفات يجباها الله كما مر معنا.

والله ﷻ من أجل أمان الخلق، من علينا جميعاً بهذا الدين فقال ﷻ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِآثِمٍ فَاِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المائدة/ ٣].

والله ﷻ من أجل أن يؤمننا، وأن نعيش في هذه الدنيا بأمن وأمان؛ من علينا بهذا الدين الكامل، ومن دخل في الدين فلا بد أن يمشي على أوامر الدين؛ ولهذا الله ﷻ من أجل أن نأمن في الدنيا والآخرة من علينا بالأوامر الشرعية التي هي أمان من غضب الله ﷻ، ومن عقوبته، فالؤمن الذي دخل في الإيمان الله ﷻ يأمره ويناديه، ليفعل ما يحب الله، ويجتنب ما يسخط الله ﷻ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [١٠٢] وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٣].

فأنا عبد في أرض مولاي أتلقى أوامره، وليس عندي عمل إلا امتثال أوامره، فأنا عبده مطيع لأمره، ولهذا الله ﷻ ينادي المؤمنين بصفة الإيمان، يناديهم ليؤمنوا على أنفسهم في الدنيا والآخرة، يناديهم دائماً بصفة الإيمان، إما أمر بطاعة أو نهى عن معصية، إما بفعل محبوب للرب، أو ترك مسخوط للرب: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

ادخلوا جميعاً في السلم، ادخلوا جميعاً في الإسلام، وهذا يحرك المسلمين للدعوة، ادخلوا في السلم كافة، وتعلموا جميع أحكام الدين، حتى إذا علمناها تعبدنا الله بها؛ فراد أجرنا وزادت محبة الله ﷻ لنا: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَأَسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبِّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

أمرنا بفعل الخير؛ لأن الله ﷻ يريد لنا أن نفعل الخير، والله قادر كما ينور الكون كله بالشمس، قادرٌ أن يهدي الناس، لكن الله ﷻ جعل لنا ثلاثة أماكن ومواضع نضع فيها أعمالاً صالحة.

الله ﷻ جعل الكافر آنيةً للدعوة أدعوه إلى الله فيكون في صحيفتي، هو ومن دخل الإسلام بسببي، جميع عباداته في صحيفة من دعاه، فالكافر آنيةً للدعوة، والجاهل آنيةً للعلم أعلمه، والضعيف والفقير أحسن إليه، هذه الأواني الله ﷻ جعلها لنا؛ لنكسب الأجر والثواب من الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

﴿كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].  
 ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وفي القرآن أكثر من ثمانين نداءً للمؤمنين، نداءات من رب العالمين، وتعليم من رب العالمين؛ حتى نفعل ما يحبه الله ويرضاه، ونجتنب ما يسخطه ويكرهه جل جلاله:  
 ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].  
 ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠].  
 ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].  
 ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء: ٢٩].



الإيمان تصديقٌ وتحقيقٌ وتطبيقٌ، فالؤمن يُتبع العلم بالعمل: ﴿يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَقَرُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ [النساء / ٤٣].

توجيهات من الله ﷻ؛ حتى يؤمنوا في الدنيا وفي الآخرة من عذابه: ﴿يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

﴿يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ [النساء / ١٣٥].

كونوا قوامين بالقسط، جهدٌ على النفس بالاستقامة، وجهدٌ على الغير بالدعوة: ﴿يَتَّيِبُهَا الزَّمِيلُ﴾ ١ ﴿قُرْآنَ اللَّيْلِ إِذَا قِيلَ﴾ ٢ ﴿[المزمل / ١-٢].

﴿يَتَّيِبُهَا الْمَدْيَرُ﴾ ١ ﴿قُرْآنَ ذَرِّ﴾ ٢ ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرُ﴾ ٣ ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرُ﴾ ٤ ﴿وَالرَّجْزَ فَاهْجُرُ﴾ ٥ ﴿وَلَا تَمَنَّ﴾ ٦ ﴿تَسْتَكْبِرُ﴾ ٦ ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرُ﴾ ٧ ﴿[المدثر: ١-٧].

﴿يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة / ١].

هذا أمر بفعل الخير، حتى يعيش الإنسان في أمن وسلام في الدنيا: ﴿يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة / ١].

﴿يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا مَحْلُوهَا شَعِيرَ اللَّهِ﴾ [المائدة / ٢].

﴿يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

الله ﷻ يدعو الذين آمنوا بأن يمتثلوا الأوامر، ويجتنبوا النواهي؛ ليؤمنوا في الدنيا والآخرة ويسعدوا: ﴿يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

خلقكم في أحسن تقويم، ورزقكم من الطيبات، وأعطاكم العقول التي تعقل، والأعين التي ترى، والأذان التي تسمع، وأعطاكم هذه الصحة والعافية، وأعطاكم هذه الأرض التي تمشون عليها، وهذه الألبسة التي تلبسونها، وأعطاكم هذا الدين الذي يربطكم بخالقكم: ﴿يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب / ٩].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

لا نتخذ اليهود والنصارى أولياء، ونبغضهم بقلوبنا ولا نتخلق بأخلاقهم، الشيطان زين لكثير من الخلق أن يكرهوا اليهود والنصارى بذواتهم، ولكن حيب إليهم صفاتهم. قال النبي ﷺ: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَدِّثُوا الْقُرَّةَ بِالْقُرَّةِ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ؛ قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: فَمَنْ؟» أخرجه البخاري (١).

أكثر من ثمانين نداء في القرآن، لو تتبعناها في القرآن؛ لو جدناها أمراً بخير، ونهياً عن شر، أمراً بفعل الطاعات، وأمراً بترك المعاصي، بيان لما أحل الله، وترغيب فيه، وبيان لما حرم الله، وتحذير منه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحُرْمُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة/ ١٠٥].  
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال/ ٢٠].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال/ ٢٧].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنَقَّوْا لِلَّهِ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال/ ٢٩].  
﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة/ ٢٨].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا الَّذِينَ يُلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ [التوبة/ ١٢٣].

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٣٢٠).

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة / ١١٩].  
 ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ  
 تُفْلِحُونَ﴾ [الحج / ٧٧].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [النور / ٢١].  
 ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالِكُنَّبِ الَّذِي نَزَلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَالِكِتَابِ  
 الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ  
 ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وهكذا في آيات كثيرة، يطول بنا المقام لو تتبعناها آية آية، ولكن علينا أن نتبع هذه  
 الآيات انفرادياً، لنعرف هذه الأوامر من ربنا ﷻ، يا عبد المؤمن إذا سمعت الله  
 يقول: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [النساء / ١٣٦]، فأرعاها سمعك؛ فإنها خير تؤمر به، أو شر  
 تنهى عنه.

فإذا آمن العبد بربه استعد لامثال أوامره، واجتناب نواهيه.

فيا سعادة المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات، سعادتهم بإيمانهم برهم ﷻ، وإتباع  
 شرعه، وامثال أوامره، وسعادتهم بالأمن والخلافة، والهداية في الدنيا: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ  
 يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام / ٨٢].

وفي الآخرة: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا  
 الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ  
 مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

فالحمد لله رب العالمين، الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً على نعمه التي لا تُعد ولا  
 تُحصى، والحمد لله أن جعلنا مؤمنين، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس، فله الحمد  
 كثيراً كما يُنعم كثيراً.

نسأل الله ﷻ لنا ولكم التوفيق والهداية والسداد، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول  
 فيتبعون أحسنه: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [١٧] ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ءُولَئِكَ الَّذِينَ  
 هَدَاهُمْ اللَّهُ ءُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر / ١٨].

﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا  
وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران / ١٩٣].

﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران / ٥٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت.  
اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت؛ أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن  
والإنس يموتون، اللهم إني أسألك إيماناً يقويني على طاعتك، ويقيناً يحجزني عن  
معصيتك؛ حتى أعبدك بما أستحق به رضاك، وأتوب إليك من ذنوبي خوفاً منك وحياءً  
منك يا أرحم الراحمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسَيْنِيَّةِ

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

المهيمن

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله المهيمن

الله ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلاء، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى .  
وأسماء الله ﷻ كلها حسنى، بالغة في الحسن والكمال والجمال والجلال منتهاه، وهي  
متفاوتة في الحسن والكمال؛ فمنها كاملٌ وأكمل، وحسنٌ وأحسن، وعظيمٌ وأعظم :  
﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه: ٨] .

فمن أسائه جل جلاله ما يدل على اسم الله الأعظم، مثل: الله، الحي، القيوم، الرب،  
ونحو ذلك .

ومنها أسماء تدل على عدة صفات جامعة كالمجيد والعظيم، والحميد، والصمد،  
والواسع .

ومنها ما يدل على معنيين كالبصير بمعنى الرؤية والعلم والخبرة، والودود بمعنى أنه  
المحبوب والمحب .

ومنها ما يدل على صفة واحدة مثل العليم الغفور .

ومنها ما جاء بصيغة التفضيل الذي يدل على المفاضلة، كالعلي والأعلى، والكريم  
والأكرم، والرحمن والرحيم، والخالق والخالق ونحو ذلك .

هذه الأسماء الحسنى لله ﷻ، عرفنا بها؛ لتتخلق بها على شاكلة العبودية : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ  
الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [١٨٠]

[الأعراف: ١٨٠] .

وهذا العلم العظيم من أعظم العلوم؛ فالعلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، أنفع  
العلوم، وأشرفها وأجلها وأعظمها؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم، والعلم بالله  
أشرف معلوم، وأجل مقصود، وأعظم محمود، وأحق ممدوح : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا

اللَّهُ وَاسْتَعْفَرَ لِدِينِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثُونَكُمْ ﴾ [١٩]

[محمد: ١٩] .

وأشرف اللذات هي اللذات القلبية، فأشرف اللذات لذة العلم والمعرفة، وأشرف العلوم العلم الإلهي؛ لشرف معلومه، وشدة الحاجة إليه .

وهذا العلم الإلهي هو أساس الإيمان والأعمال والدرجات بنيان وأساسها الإيمان، وعلى قدر الأساس يكون علو الإيمان؛ فمن عرف الله حقاً عبده حقاً، ومن عرف الله ﷻ كبره، وعظمه، وأحبه، وتقرب إليه بما يحبه ويرضاه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [٢٨: فاطر].

فإن الله ﷻ من أسماؤه الحسنى أنه المهيمن، هو جل جلاله الرب المؤمن المهيمن على كل شيء، المطلع على خفايا الأمور، العليم بما تكنه الصدور، الرقيب على جميع خلقه، الشهيد الذي يبصر كل ذرة في ملكه، العظيم الذي لا بداية لعظمته ولا نهاية، ولا أول ولا آخر؛ فهو العظيم الكبير وحده لا شريك له: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٦٧: الزمر].

هو سبحانه الملك المهيمن الرقيب الشهيد، الذي يعلم السر والنجوى، ويعلم الظاهر والباطن، العليم بكل شيء، المحيط بكل شيء، القاهر لكل شيء، القادر على كل شيء: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٢: الحديد].

هو سبحانه الملك المهيمن على الملك والملكوت، وهيمته الله ﷻ هيمته مقرونة بالحب والرحمة والرفقة بخلقه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [١٤٣: البقرة].

هو المؤمن المهيمن الحافظ لكل ما في ملكه العظيم، مهيمن عليم لا يترك حاجة تخرج من ملكه بلا علم، ولا مراقبة، ولا محاسبة، ولا تسجيل: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ [٥٢: القمر].

فسبحان الملك المهيمن الذي أحاط بكل شيء علماً، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [١٨: الأنعام].

ومن عرف الله مهيماً خضع له وتوكل عليه، وذل له وأحبه، وانقطعت أماله عما سواه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [١٣: التغابن].

ومن رأى المخلوق مهيمناً وقف أمامه كالطفل الصغير، يبالغ في التذلل له، وهو يبالغ في إهانته، ويبالغ في الخضوع له، وهو يبالغ في إهدار كرامته: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران / ١٧٥].

فالذلة للعزیز ﷻ، والاستصغار للكبير جل جلاله، أما أن يذل المخلوق للمخلوق؛ فإن كانت الذلة مقرونةً بالتعظيم فهذا من الشرك، فمن رأى المخلوق مهيمناً وقف أمامه كالطفل الصغير يبالغ في التذلل له فقد أشرك بالله: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [٦٥] بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦].

وهو سبحانه الملك العلي الأعلى المهيمن، العلي على جميع المخلوقات: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة / ٢٥٥].  
والله ﷻ من أسمائه الحسنی المهيمن، هيمن بقدرته وبقوته وبعلمه، وإحاطته على جميع مخلوقاته، هيمن على جميع ملكه العلوي والسفلي.

فالله ﷻ هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن؛ المهيمن على كل شيء خلقاً، وملكاً، وعلماً، وقدرةً، وإحاطةً، وتدبيراً: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [٢٢] هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ [٢٣] هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر / ٢٢-٢٤].

هو سبحانه المهيمن القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، الذي لا يعجزه شيء، ولا يخفى عليه شيء، ولا يعزب عنه شيء، أظهر قدرته وأسماءه وصفاته في مخلوقاته: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [١٢] [الطلاق / ١٢].

وإذا عرفتم ذلك أحببتموه، وآمنتم به ثم أطعتموه وعبدتموه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠٢] [الأنعام: ١٠٢].  
واسم الله ﷻ المهيمن من الأسماء الذاتية؛ فالله هو المهيمن على كل شيء أبداً، وهيمته



على ملكه لا تنفك عنه أبدًا .

واسم المهيمن يدل على صفة الفعل؛ لكونه متعلقًا بالمشيئة، فالله من هيمنته يقهر من يشاء، ويُعز من يشاء، ويحيي ويميت، ويرفع ويخفض؛ لأنه هو المهيمن وحده لا شريك له وكل ما سواه خاضعٌ له، فهو جل جلاله يقهر من يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران / ٢٦].

هو المهيمن الذي يتصرف في ملكه ما يشاء: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران / ٢٧].

سبحانه هو الملك المهيمن على جميع مخلوقاته إيجابًا وعلماً وإحاطةً وتدبيرًا : ﴿إِن رَّبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقد اقترن اسم الله المهيمن بالمؤمن قبله، وبالعزيز بعده، والحكمة من ذلك أن صفة السلام والمؤمن تدلان على عناية الرب بعباده، وتربيتهم والإحسان إليهم، وإصلاح أمورهم، واسم المهيمن يدل على القوة، يدل على كمال علمه وقدرته، واسم العزيز يدل على أن الله غالبٌ لا يُعجزه شيء، ولا يقف له شيء .

فقرن المهيمن باسم السلام والمؤمن؛ لبيان لعباده أنه مهيمن لكنه سلام ومؤمن وعزيز؛ فهو الرحمن الرحيم وهو العزيز الذي لا يغلبه شيء، مهيمن لكن ليست هيمنة تسلط؛ فهيمنته مقرونة بالخير المطلق: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج / ٦٥].

فسبحان المؤمن المهيمن الذي لا يخرج عن علمه معلوم، ولا يخرج عن قدرته مقدور، ولا ينفك عن حكمه مفطور: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۗ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة / ٢٥٥].

فالله ﷻ خلق جميع المخلوقات ، وكل ذرة في ملكه، وكل جرم كبير وصغير ، كله تحت عنايته وبصره وسمعه وهيمنته، فالكل خاضع لعظمته ، وخاضع لأمره ، ومستجيب لمشيئته ، ومسرع إلى إرادته، وشاهد بوحدانيته .

هو سبحانه المؤمن المهيمن على كل شيء من كبير وصغير، ومن عال وسافل، ومن ناطق وصامت : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ ٢ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ ٤ ﴾ [الإخلاص / ١-٤].

هو سبحانه الشاهد على خلقه في جميع أحوالهم؛ المطلع على خفايا الأمور ، وما تكنه الصدور: ﴿ الَّذِي لَهُ، مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ ١ ﴾ [البروج / ٩].

هو المؤمن المهيمن الذي لا تخفى عليه خافية ولا بادية ظاهرة: ﴿ وَأَسْرَأُ قَوْلَكُمُ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝ ١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝ ١٤ ﴾ [الملك: ١٣-١٤].

هو سبحانه المؤمن المهيمن الرقيب القائم على كل الخلائق بالرعاية والعناية، والإمداد والإصلاح: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝ ١٨ ﴾ [الأنعام / ١٨].

هو الحليم الذي يضع الشيء في موضعه، الخبير بأحوال خلقه ، وما يصلحهم، فله ﷻ مهيمن بكمال علمه ، وكمال قدرته، فهو القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، وهيمنته مقرونة بالرحمة، والإحسان إلى خلقه، لكن هيمنته حكام وملوك ورؤساء البشر تكون مقرونة غالباً بالشدة، لكن هيمنته الله ﷻ مقرونة بالرحمة؛ فالهواء لكل مؤمن وكافر، ونور الشمس لكل مطيع وعاصي، والأرض تنبت لكل مخلوق، مؤمن أو كافر، فهو مهيمن لكن هيمنته هيمنة رحمة : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝ ٢٢ ﴾ [الحشر: ٢٢].

وهو سبحانه المؤمن المهيمن على كل أحد، الخالق المهيمن على كل مخلوق، القوي المهيمن على كل قوي .

هو جل جلاله المهيمن على العرش، والكرسي، والسماوات والأرض ، والجبال والبحار، هو القوي المهيمن على كل قوي : ﴿ سُبْحٰنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝ ٤ ﴾ [الزمر / ٤].

الله سبحانه هو المهيمن على جميع ما في ملكه العظيم؛ يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد، لا

راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه، قوي لا يقف له شيء ، قادر لا يعجزه شيء ، إذا أراد ليلاً كان ليلاً، وإذا أراد نهاراً كان نهاراً: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [النور/ ٤٤].

وإذا أراد أمناً كان آمناً، وإذا أراد خوفاً كان خوفاً، بيده الأمن؛ لأنه المؤمن الذي خلق الأمن ومن به على من شاء من عباده، إذا أراد رحمة أحد رحمته، وإذا أراد نزع الرحمة من أحد نزعها ، لأنه الفعال لما يشاء: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر/ ٢].

هو العزيز الذي لا يغلب، الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه؛ لأنه عليم خبير بعباده. الله ﷻ هو الرب المهيمن ، الملئك كله بيده والخلق كله بيده، والأمر كله بيده، ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لا يكون أبداً: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود/ ١٢٣].  
﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

هو الملك الذي بيده الخلق والأمر، بيده الخلق فهو الذي خلق جميع المخلوقات، وبيده الأمر كله، الأمر الملكي القدري، والأمر الشرعي الإلهي، والأمر الجزائي وهو الوعد والوعيد، كل هذا بيده .

وإذا عرف العبد أن ربه المهيمن؛ له هذه الصفات العظيمة وهذه الأفعال الجميلة؛ آمن به، وأخلص له العبادة : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

أيها الناس أقوالكم كلها محفوظة: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق/ ١٨].  
وأعمالكم كلها محفوظة: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [٧] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [٨]. [الزلزلة/ ٧-٨].

كل شيء بحسابٍ وكتابٍ ، وثواب وعقاب؛ فالمهيمن على خلقه هيمن على النيات والأقوال والأعمال، وكل ما يجري في ملكه، وكل ذرة في ملكه الله ﷻ خلقها لحكمة.

- وكل ذرة في ملكه لها ثلاثة أوامر ممن خلقها :
- أمرٌ بالإيجاد .. وأمرٌ بالبقاء .. وأمرٌ بالنفع والضرر .

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر / ٨٦].

خلق الذرة الصغيرة، وخلق العرش العظيم، الذي أحاط بالكرسي ، والكرسي محيط بالسماوات والأرض .

والله محيط بكل محيط فسبحان الملك المهيمن على كل مهيمن، كم مهيمن من المخلوقات، فسبحان الملك المهيمن على كل مهيمن من الأشخاص، والرياح، والدول، والعرش والكرسي ، والسماوات والأرض ، والحكومات، والطغاة، والجبابة : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣] .

هو سبحانه المؤمن المهيمن العزيز الجبار، الذي يمهل الظالم؛ ليتوب إليه، فإذا لم يتب أخذه أخذ عزيز مقتدر، يمهل الظالم؛ حتى يتوب إليه؛ لأن رحمته وسعت كل شيء ، والله ﷻ بالناس رءوفٌ رحيم؛ فيرسل الرسل إلى الخلق، فإذا لم يؤمنوا أمهلهم ، ليؤمنوا ويتوبوا؛ لأنه رحيم بالعباد جل جلاله، فإذا لم يتوبوا أخذهم أخذ عزيز مقتدر: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت/ ٤٠] .

والهيمنة الكاملة لربنا العزيز الجبار مقرونة بالقدرة المطلقة؛ فهو هيمن بقدرته التي أحاطت بكل شيء، الهيمنة الكاملة لربنا العزيز الجبار مقرونة بالقدرة المطلقة، والعلم المطلق، والحكمة المطلقة، والرحمة المطلقة، هو لا ينتقم تشفيًا، لكن ينتقم من الظالم لمن ظلمه : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] .

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر/ ٢٢] .

فهيمنة المهيمن مقرونة بقدرته المطلقة، وعلمه المطلق، والحكمة المطلقة، والخير المطلق ، والرحمة المطلقة : ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥] .

فسبحان الملك المؤمن المهيمن الذي كل ذرة، وكل مجرة، وكل صغير، وكل كبير، في

العالم العلوي والعالم السفلي ، شاهد بوحدانيته، خاضعٌ لأمره، مستجيب لمشيئته،  
ومسرع إلى إرادته، ومسبحٌ بحمده: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي  
الْأَرْضِ﴾ [الحج / ١٨].

فلا إله إلا الله، كم عظمة قدرته، وكم عظمة علمه، وكم عظمة هيمنته على مُلكه  
العظيم، في العالم العلوي، والعالم السفلي، وملك الدنيا، وملك الآخرة، وملك عالم  
الغيب، وملك عالم الشهادة، هو خالق هذا الكون كله بعلويه وسفليه، والمالك له  
والمهيمن عليه: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ ١٣ ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ ١٤ ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ  
سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ ١٥ ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ ١٦ ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ  
نَبَاتًا﴾ ١٧ ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ ١٨ ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ ١٩ ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا  
سُبُلًا فِجَاجًا﴾ ٢٠ ﴿[نوح: ١٣-٢٠].

هو سبحانه المهيمن الذي خضع له كل شيء، وحكم كل شيء، وكتابه القرآن الكريم  
مهيمن على جميع الكتب السابقة، ورسوله محمد ﷺ سيد الأنبياء والرسل، وأمه خير أمة  
أُخرجت للناس .

فله الحمد كثيرًا على جلال سلطانه، وكمال أسمائه وصفاته، وله الحمد كثيرًا على أسمائه  
الحسنى، وصفاته العلاء، وكتابه العظيم، وأن أرسل إلينا أفضل رسله، وجعلنا خير أمة  
أُخرجت للناس: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٣٦ ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ٣٧ ﴿[الجنّة / ٣٦-٣٧].

هو سبحانه المؤمن المهيمن الذي خضعت جميع الخلائق لعظمته، وخشعت القلوب  
لهيبته، والخلق كلهم تحت قهره وهيمنته، وسيوقف جميع من أطاعه وعصاه من خلقه،  
ويجازيهم بحسب أعمالهم: ﴿يَوْمَ يَذُورُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ ٦ ﴿فَمَنْ  
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ٧ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ٨ ﴿[الزلزلة / ٦-٨].

وسيجمعهم بقوته وقدرته وهيمنته، للحساب، ثم الثواب والعقاب، ولن يغيب أحد،  
ولن يفر أحد: ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا  
لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ﴾ ٣٣ ﴿[الرحمن / ٣٣].

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ : ﴿ ٥٥ ﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿ ٦١ ﴾ [الغاشية/ ٢٥-٢٦].

وبعد الحساب يكون الجزاء : ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ ﴿ ٦ ﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿ ٧ ﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ ﴿ ٨ ﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿ ٩ ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿ ١٠ ﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ﴿ ١١ ﴾ [القارعة: ٦-١١].

هو سبحانه المؤمن المهيمن على ظواهر الخلائق وبواطنها، المهيمن على كبيرها وصغيرها، المهيمن الذي أحاط علمه بكل ذرة في ملكه، يعلم ما كان وما يكون وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون : ﴿ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿ ٦ ﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ. وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿ ٧ ﴾ ﴾ [السجدة: ٦-٧].

هو سبحانه المهيمن على الذوات والصفات، المهيمن على المكان ومن فيه، المهيمن على الزمان ومن فيه، المهيمن على عالم الغيب ، وعالم الشهادة : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام / ٥٩].

هذا الإله العظيم الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلا ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى ، هو الذي يستحق أن يُعبد وحده، وأن يعظم وحده، وأن يُكبر وحده، وأن يُشكر وحده؛ فنحن عبيده والحمد لله كثيرًا أن ربنا ملك عظيم له الأسماء الحسنى والصفات العلا، والأفعال الجميلة : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٣].

الخير كله بيده، وحاجاتنا جميعها عنده، وهو الرءوف بالعباد جل جلاله . هو جل جلاله المهيمن الذي يعلم السر والنجوى : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [غافر/ ١٩].

عليم لا يخفى عليه شيء من نية وإرادة ، أو قولٍ أو فعلٍ ، أو حركةٍ أو سكون . فسبحان المؤمن المهيمن على كل شيء في الأرض والسماء : ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف / ٨٤].

عليم بكل شيء : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾ ﴿ ٥ ﴾ [آل عمران: ٥].

وسبحان المهيمن القادر قدرة علم، وقدرة قوة، فله القدرة المطلقة المقرونة بعلمه المطلق، وله القدرة المطلقة المقرونة بقوته المطلقة، إن الله يمسك السموات بقوته أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وبقوته يمسك السموات والأرض أن تزولا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر / ٤١].

فالسماء تريد أن تقع على الأرض؛ لما تراه من المعاصي، ولكن الله عَزَّ وَجَلَّ لعظمة حلمه يمسكها أن تقع على الأرض: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ [١٠] أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿١١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿١٢﴾ إِنْ كُنْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿١٣﴾ [مريم / ٩٠-٩٣].

والعبد حقاً هو من امثل أوامر سيده، لكن لمصلحته هو، لا لمصلحة سيده، العبد يخدم سيده؛ لأنه يأخذ منه منفعه، يعطيه مرتباً، لكن العبد الذي يعبد ربه منفعه له، فنفع أعمال العباد راجع إليهم؛ لأن الله غني عن العالمين: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت / ٦].

فهو سبحانه القادر قدرة علم، وقدرة قوة: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق / ١٢].

هو جل جلاله الملك العزيز، ذو العزة والجبروت، والملكوت، والكبرياء، والعظمة . هو المهيمن الذي له الخلق كله، وله الأمر كله: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ [الروم / ٤].

وله الملك كله: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة / ١٢٠]. ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ إِلَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف / ٥٤].

هو جل جلاله المهيمن على كل شيء، المهيمن على جميع الأموال والأرزاق خلقاً وتقسياً، يعطي من يشاء ويمنع ما يشاء: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ [الشورى / ١٢].

هو سبحانه المهيمن على كل شيء، العلي فوق خلقه، القاهر لكل ما سواه، المهيمن الذي له علو الذات؛ فهو العلي الأعلى فوق جميع مخلوقاته؛ فهو فوق كل شيء، وتحت كل شيء، وهو القاهر فوق عباده، وكل ما سواه دونه: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام / ١٨].

وله علو الشأن في أسمائه وصفاته وأفعاله، فعلمه وكرمه وعزه مطلق، ليس له بداية ولا نهاية، ولا أول ولا آخر، وقدرته ورحمته مطلقة، ليس لها حد ولا بداية ولا نهاية، ولا أول ولا آخر: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨].

وله علو القهر والهيمنة فلا غالب له، بل الجميع في قبضته، وتحت قهره جل جلاله . فهو سبحانه المهيمن على عباده بكل صفة، فمهما علا منهم من علا فإله مهيمن عليه، ومهما استغنى الإنسان فإله مهيمنٌ على كل غني وفقير، غني عن كل غني وفقير، محتاج إليه كل غني وفقير : ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس / ٦٨].

هو سبحانه مهيمن على جميع مخلوقاته بكل صفة، فهو الرزاق المهيمن على كل رزاق، القادر المهيمن على كل قادر، الغني المهيمن على كل غني، ومهما استغنى الإنسان فإله مهيمنٌ على كل غني، غني عن كل غني، محتاج إليه كل غني: ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس / ٦٨].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر / ١٥].

الله ﷻ هو المهيمن الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، أحصى كل شيء عدداً؛ لأنه مهيمن بقدرته وعلمه، أحصى الذرات، وقطرات المياه، وذرات الرمال، وقطرات البحار، وعدد نجوم السماء، وجميع الكلمات والأنفاس، وجميع الحروف والأقوال، والأعمال، وكل الذرات والهباءات في كل مكان وزمان .

لأنه هو المهيمن الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، ولا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ / ٣].



هو المهيمن على كل شيء، فهو الملك المهيمن على كل ملك، مهيمن على جميع ملوك الدنيا، هو الملك المالك لكل من في ملكه، هو الخالق المهيمن على كل مخلوق في العالم العلوي والعالم السفلي، من العرش العظيم؛ حتى أصغر ذرة .

هو مهيمن على كل مخلوق، هو المؤمن المهيمن على كل مؤمن، فالجميع في قبضته، الكريم المهيمن على كل كريم، فالمخلوق إذا كان كريماً فإنها يكرم من إكرام ربه له : ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣] .

هو الجبار المهيمن على كل جبار، هو الذي قصم الجبابرة، هو الذي أهلك قوم نوح لما كفروا، وأهلك قوم عاد لما استكبروا، وقوم صالح لما كذبوا .

هو الجبار المهيمن على كل جبار، القوي المهيمن على كل قوي، وهكذا في بقية الأسماء، ولا بد أن نكرر مثل هذا الكلام، فما تكرر تقرر، ما تكرر على القلب تقرر .

هو الكبير المهيمن على كل كبير، هو العليم المهيمن على كل عالم، وهكذا في بقية الأسماء لماذا نكرر؟ حتى نكبر الكبير، ونعظم العظيم، ونعبد الله ﷻ، بالتعظيم له، والذل له، والمحبة له جل جلاله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [٤١] وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣] .

والذي يذكر الله كثيراً يبادر إلى طاعته، ويستحي من معصيته، ويكثر من حمده وشكره . هو القوي القادر المهيمن على كل ما في السموات والأرض وما بينهما؛ من ملائكة،

ونجوم، وكواكب، وسحب ورياح، وجبال وبحار، وماء ونار، وإنس وجان، وطير وحيوان، الله أكبر! كم عدد هذه المخلوقات؟ ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ

سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] . ﴿ بَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك / ١] .

فسبحان الملك العظيم الجبار الذي له جميع المحاسن والفضائل، والذي تفرد بالأسماء الحسنى، والصفات العلاء: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه / ٨] .

إذا فاعبدوه ما دام أن له الكمال المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ فلنتعلق بالكبير ونكمل أنفسنا بالتخلق بهذه الصفات؛ لأن الله ﷻ يجب أسماءه وصفاته، ويجب من يتخلق بها من عباده، والله يحب المؤمنين، والله يحب الصابرين: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة/ ١٩٥].

وهو سبحانه المؤمن المهيمن الذي خص هذه الأمة بأفضل الرسل، وأحسن الشرائع، وأعظم الكتب، الذي جعله مهيمناً على ما قبله من الكتب: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة/ ٤٨].

فكم عظمة أسماء الله وصفاته التي ذكرها الله في القرآن من ضمن الأخبار؟! وكم الله ﷻ بين لنا الأحكام الشرعية؟! فهذا الكتاب مهيمن على جميع ما في الكتب السابقة، شامل لما فيها: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

والمؤمن بالتدبر والتفكير يترقى في درجات الإيـان، فالإنسان قبل أن تُنفخ فيه الروح كان موأتا، فلما نُفخت فيه الروح؛ صار حيّاً حياةً جسمانية، ثم أكرمه ربه، ونفخ فيه روح الإيـان؛ فشهد لربه بالوحدانية، وأقر له بالربوبية، فأبصر قلبه بعد العمى، وسمع بعد الصمم، وتكلم بعد البكم، واهتدى بعد الضلال: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

ثم لا يزال المؤمن يترقى في درجات العلم والإيـان فيمتلئ قلبه بنور الإيـان الذي يفرق به بين الملك والعبيد، والخالق والمخلوق، والصور والمصور، والحق والباطل، والمحكم والمتشابه، ويمشي بنور إيـانه في الظلمات كما يمشي البصير في ضياء الشمس لا يتعثر، فلا بد لكل إنسان من نفخة الرسول الملكي لتدب فيه الحياة، بعد أربعة أشهر، ولا بد له كذلك من نفخة الرسول البشري، لتحصل له الهداية إلى الإيـان: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

ثم هذا المؤمن يكمل تصديقه بما لم تره عيناه ، ويتحقق له إيمانه بما لم تسمعه أذناه، ويصل عالم الظاهر بالباطن، وعالم الشهادة بالغيب .

### • فيجتمع له نوران:

نور البصر .. ونور البصيرة .

بنور البصر يرى الأشياء، وبنور البصيرة يرى الحقائق، ويخترق المخلوقات إلى خالقها، ويتجاوز الصور إلى المصور، ويتجاوز الدنيا إلى الآخرة، فيجتمع له نوران:

نور البصر الذي يرى به الأشياء، ونور البصيرة، ونور العقل، ونور الوحي، ويصل إلى ربه من باب علمه وفكره وخلقته: ﴿تُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور / ٣٥].

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمَحْفِظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأعام: ١٠٤].

فإذا نظرنا إلى السموات والأرض؛ نرى عظمة الملك ، وعظمة الخلق ، وعظمة التدبير والتصريف، فنعلم بذلك أن لهذا الخلق خالقاً، فنطلب ماذا يرضيه ، ما هي أوامره، فتتعرف عليها، ثم نعبد بمقتضاها : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِئَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١١﴾﴾ [الطلاق: ١٢] .

فلا إله إلا الله ليس في الدنيا إلا جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة، وهذه الدروس، وهذه المجالس التي من الله ﷻ علينا بها؛ هي مجالس لإحياء الإياني في القلوب، والتعريف بالخالق جل جلاله، وما يجب له من التوحيد ، والتعظيم ، والتكبير، والتسبيح، والتقديس، وبحسب المعرفة تكون قوة الإياني، وبحسب الإياني تكون قوة الأعمال، وبحسب الأعمال يكون الجزاء بالثواب والعقاب : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤] .

فبهذه المعارف يترقى الإنسان، فيجتمع له نور البصر ، ونور البصيرة، ونور العقل الذي

يعقل به الأشياء، ونور الوحي، ويصل إلى ربه من باب علمه وفكره وخلقه: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات / ٢٠-٢٢].

يتفكر الإنسان: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية / ١٧-٢٠].  
 ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَبْتَأْنَا فِيهَا بَحْيًا ﴿٢٧﴾ وَعَنَابًا ﴿٢٨﴾﴾ [عبس / ٢٤-٢٨].

إن النظر والتدبر هو باب الإيمان الأعظم، ومفتاحه الأكبر: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق / ٦-٨].

حتى نعرف العزيز، الجبار، المتكبر، المهيمن، القوي، القادر، الرزاق، العليم، اللطيف، الكريم، الحليم، نتعرف على ربنا من خلال أسمائه وصفاته، من خلال أسمائه وصفاته التي أظهرها الله ﷻ في ملكه العظيم، وكشفها في كتابه الكريم .  
 فالله أودع أسماءه وصفاته في جميع مخلوقاته؛ حتى ننظر في الملك والملكوت، ونتعرف على الخالق القوي ، العليم ، الخبير ، الله ، الرب ، وكشفها في كتابه الكريم القرآن العظيم نجد كثيراً من أسماء الله الحسنى كالعزيز، الحكيم، اللطيف، العفو، الرحمن، الرحيم، الخالق، البارئ، وهكذا.

واعلم بأن من أراد الله كماله لصلاحيته للجمال؛ ناطقه روح القدس بالحق، وتنزلت عليه الملائكة بالروح من أمره بالصدق، ثم أيده ربه المهيمن بروح القدرة؛ فخرقت له العادات، وظهرت على يديه أنواع المعجزات والكرامات، كما حصل للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم .

فالمؤمن يدعو ربه ويتكلم مع ربه، ويعلم أن ربه جل جلاله يسمعه ويراه ، وقادرٌ على قضاء حاجته، ويجب قضاء حاجته، وهو أرحم بالعبد من نفسه، يدعو متيقناً بهذه الصفات القلبية : ﴿وَذَا التُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء / ٨٧].

فورًا استجاب الله دعاءه فقال : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَيْنَاهُ مِنَ الْعَذِّ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء / ٨٨].

فلندع الله باليقين، ولنتعبد له جل جلاله بأسمائه وصفاته، فنطلب العزة من العزيز، ونطلب الشفاء من الشافي، ونطلب الرزق من الرزاق وهكذا : ﴿ وَبِاللَّهِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف / ١٨٠].

فابن آدم يشترك مع البهائم في المأكولات والمشروبات، ويشترك مع الكفار في المعلومات والمعقولات، ويشترك مع الملائكة في الإيمان والتصديق، وكمال ابن آدم بالإيمان والتقوى؛ ولهذا الأنبياء لم يعطهم الله إلا الإيمان والأعمال، أما الأسباب فأعطوا منها بقدر الحاجة : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ [٨٩] فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٠].

وكمال ابن آدم في الدنيا هو أن يكون في قلبه الإيمان الذي يربطه بالمومن الذي يؤمنه من كل شر، ويؤمن له حاجاته، يربطه بالقوي الذي يُعينه، ويتوكل على ربه القادر على كل شيء، ويتخذة وكيلاً وكفى بالله وكيلاً جلاله، وهذا كمال ابن آدم في الدنيا، وهو خاص بالأنبياء والرسل الذين اصطفاهم الله ﷻ، واجتباهم، وخصهم من بين الخلق بالوحي والرسالة، وكمال الإيمان واليقين، فصدقوا، وبلغوا، واتقوا وأحسنوا، ثم من آمن بهم .

• وهؤلاء الأنبياء والرسل ﷻ أمرهم بأمرين:

العبادة .. والدعوة.

﴿ الَّذِينَ بُلِغُوا رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [٣٩] مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ [الأحزاب / ٣٩-٤٠].

إذا عرفنا أن الله عليم، هبناه أن نعصيه، إذا عرفنا أنه عليم عبدناه كأننا نراه، إذا عرفنا أنه عليم، استحيينا أن نسكن في ملكه ونعصيه بنعمه .

فسبحان المؤمن المهيمن الذي خلق عالم الإنسان وهيمن على ظاهره وباطن كل فرد فيه،

من كان وحيث كان: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠٢] ﴿[الأنعام / ١٠٢].

﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [١٣] ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [١٤] ﴿[الملك / ١٣-١٤].

ثم الله ﷻ بعد استكمال المؤمن بهذه الصفات الإيمانية، يبعث الله ﷻ الناس يوم القيامة للحساب والجزاء، ويحشر المؤمنين إليه في أحسن صورة؛ كما عملوا بأحسن دين، وقالوا أحسن الأقوال، وعملوا أحسن الأعمال، وتخلقوا بأحسن الأخلاق: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ [٨٥] ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًا﴾ [٨٦] ﴿[مریم: ٨٥-٨٦].  
ولهم أحسن المنازل: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [٦٦] ﴿[يونس: ٢٦].

ويجملهم في أبدانهم؛ لأنهم أطاعوا الجميل في الدنيا؛ فجملهم بالإيمان والأعمال في الدنيا، ويوم القيامة لهم جمال آخر، كما قال النبي ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَىٰ أُنُوفِهِمْ كَأَحْسَنِ كَوْكَبِ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ عَلَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لَا تَبَاغُضُ بَيْنَهُمْ وَلَا تَحَاسَدُ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

ثم ينال المؤمن يوم القيامة جزاء عمله؛ فيكون ثواب أول درجات الإيمان، أن يرى المؤمن ربه عياناً ويكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان، ويجمع له ربه الكريم بأول نظرة إلى وجهه الكريم، كل نعيم أوجده للمؤمنين في تلك الدار، ثم يزيدهم من النعيم بما لا يخطر على قلب بشر، ثم يحل عليهم رضوانه؛ فلا يسخط عليهم أبداً: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [٦٣] ﴿[مریم / ٦٣].

ومن رأى ربه في الدنيا بقلبه؛ فأمن وعمل صالحاً، وعبد الله كأنه يراه؛ رآه يوم القيامة ببصره: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ [٢٢] ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [٢٣] ﴿[القيامة / ٢٢-٢٣].

ثم يكمل النعيم والسرور في الجنة برضوان الرب على كل من أرضاه في الدنيا وآمن به: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٥٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٣٤).

طَيْبَةً فِي جَنَّتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ [التوبة / ٧٢].

ثم يصعد كل مؤمن بعمله في درجات الجنة؛ فالمؤمنون يدخلون الجنة برحمة الله، لكن يقتسمونها بأعمالهم؛ فدرجاتهم حسب أعمالهم: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ [الأحقاف / ١٩]. ثم يصعد كل مؤمن ومؤمنة بعمله في درجات الجنة، وهي منازل الأنبياء والمرسلين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، والعلماء، والمجاهدين، لكل درجته حسب صعوده في درجات الإيمان والأعمال في الدنيا: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَللْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء / ٢١].

فما أعظم الإيمان، وما أحسن ثمرته: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات / ٥٠-٥١].

فسبحان الملك الحق الذي ملك فرحم، وعز فقهر، وحكم فعدل، المحيط بكل شيء، العليم بكل شيء، القادر على كل شيء، المهيم على كل شيء: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم / ٦٥].

سمياً في الخلق والإيجاد؟ سمياً في الأسماء والصفات؟ سمياً في العلم والقدرة؟ سمياً في الرحمة والإحسان؟ سمياً في الحكم؟ سمياً في الثواب والعقاب؟ لا تعلم له سمياً، بل هو الله الواحد القهار، هو الواحد الأحد الذي ليس كمثلته أحد، ولا يحتاج إلى أحد، الغني عن كل أحد: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى / ١١].

وسبحان مالك الملك، وخالق الخلق، ومدبر الأمر، ما أعظم شأنه، وما أعز سلطانه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك / ١-٢].

دائماً الله ﷻ للترغيب والترهيب يذكرنا بصفات الجلال، وبصفات الجمال، فالعزيز صفة جلال، والغفور صفة جمال: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨].

هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، اختص بالكمال والجلال والجمال، وفطر عباده على الضعف والنقص والعيب والجهل؛ ليتوجهوا إلى ربهم في إكمال صفاتهم على قدر شأنهم، من رحمة الله ﷻ أن خلق هذا الإنسان ضعيفاً وناقصاً، وفيه العيب والجهل؛ ليتوجه إلى ربه في إكمال صفاته، لكن على قدر شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر / ١٥].

ضعيف .. فقير .. عاجز .. محتاج .

ضعيف محتاج إلى القوي، فقير محتاج إلى الغني، عاجز محتاج إلى القادر، صغير محتاج إلى الكبير الصمد الذي عنده خزائن كل شيء، فالإنسان الله ﷻ فطره على هذه الأمور؛ ليسأل ربه، ويتوجه إليه في قضاء حوائجه .

قال الله ﷻ في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالُمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعُمُونِي أُطْعِمَكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي .

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفَجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ .

يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).



فكلنا فقراء، وكلنا ضعفاء، وكلنا محتاج إلى الملك الغني القادر، العزيز الجبار المتكبر .  
الله ﷻ هو المؤمن المهيمن على جميع المخلوقات بالتدبير والتصريف في ملكه العظيم،  
المهيمن على المناهج والأحكام التي تحكم حياة البشر في كل حال: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ  
أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقِيَمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ [يوسف / ٤٠].  
ولكن أكثر الخلق لا يدرسون المقرر والمنهج الإلهي؛ ولا يعملون به بل درسوا غيره،  
وأقاموا حياتهم على المنهج البشري فضلوا وأضلوا، وفسدوا وأفسدوا، وانقلبت حياتهم  
إلى حياة الجاهلية، حيث قل العلم الإلهي، وفشت فيهم عصبية الجاهلية، وظلم  
الجاهلية، وانتشر فيهم الشرك بعد التوحيد، والكفر بعد الإيمان، والجهل بدل العلم،  
والفرقة بدل الوحدة ، والظلم والطغيان بدل العدل والإحسان: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ  
رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ ﴿١٧﴾ [الجن: ١٧] .  
هو سبحانه المهيمن الذي بيده الخلق والأمر .

له الأوامر الملكية في ملكه بالخلق، والتدبير، والتصريف، أمر الأمطار بيده، أمر الرياح  
بيده، أمر البحار بيده، أمر الجبال بيده، أمر الملائكة بيده، أمر الجن بيده، أمر البشر بيده،  
أمر جميع من في البحر بيده: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٥٤﴾  
[الأعراف / ٥٤] .

هو سبحانه المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، المهيمن القادر القاهر الذي خلق  
المخلوقات بقدرته، ودبرها بمشيئته، وأمسكها بقوته، وقهرها بجبروته، هذا هو الإله  
الذي يستحق أن يُعبد ، وأن يُشكر، وأن يعظم، وأن يُدعى ، وأن يُسأل : ﴿اللَّهُ خَلِقُ  
كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا  
بِعَايَتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ [الزمر / ٦٢-٦٣] .

فهو جل جلاله ذو العزة والجبروت ، والكبرياء والعظمة، خضعت لعظمته الرقاب،  
وتصاغرت لكبريائه المخلوقات، وذلت لعزته جميع مخلوقاته : ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ  
إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ  
اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ [الحشر / ٢٣] .

هو سبحانه الرحمن الرحيم الذي هيمنته مقرونة برحمته وعدله وإحسانه؛ فلا يُنقص الطائع من ثوابه؛ لأنه عدل جل جلاله، بل يزيده ويضاعفه له، ولا يزيد العاصي عقابًا على ما يستحقه؛ لأنه غني عن طاعات الطائعين، ولا تضره، معصية العاصين : ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت / ٦].

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفَهَا وَيُوتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء / ٤٠].

هو سبحانه الملك الحق المهيمن على خلقه، له وحده الإرادة الكونية، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وله وحده الإرادة الشرعية؛ يأمر عباده بما شاء، وما شاء ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

فله جل جلاله الإرادة الكونية، يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد، من خلقٍ وتدبيرٍ وتصريف، في كل ثانية تصدر من الله ﷻ الأوامر الملكية بالمليارات، بالإحياء والإماتة، والعزة، والذلة، والتدبير، والتصريف، والتغيير في هذا الملك العظيم، كم نبتة في العالم، وكم حركة كل مخلوق في العالم؟ كلها مقيدة بالإرادة الكونية : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ شَاءَ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فالله ﷻ لا يقع في ملكه إلا ما يريد، ولو لم يرده لم يقع، فما أَرَادَهُ وَقَعَ ، وما لم يرده لا يقع مهما كان، وما وقع قد أَرَادَهُ اللَّهُ ، ولكن الذي يقع إن وقع من الناس على وفق ما يحبه الله ويرضاه ، فهذا محبوب له، وإن وقع على خلاف ما يحبه ويرضاه، فقد أذن به ولم يأمر به، وأراده كونًا لا شرعًا؛ فالله أراد كونًا كفر الكافر، لكن لم يرده شرعًا، لكن الله ﷻ أراد كونه كفر الكفار ومعصية العصاة كلهم، وكل أعمالهم بإذنه وإرادته: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

فالله خيرهم فاختاروا ما يُسخطه على ما يحبه، فكفروا به وعصوه، والمؤمن اختار ما يحبه ويرضاه فآمن به وأطاعه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٢٧) ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٩) [التكوير: ٢٧-٢٩].

فبالإرادة الكونية ظهرت ربوبيته، بالإرادة الكونية الله خلق السماوات، وخلق الأرض، والجبال، والبحار، والأنهار وغيرها من المخلوقات، بإرادته الكونية ظهرت ربوبيته، وأنه رب يستحق أن يُعبد؛ لأنه الذي يربيني وهو رب العالمين، وبالإرادة الشرعية ظهرت حكمته؛ أن أمرنا بالمحاسن، ونهانا عن القبائح، أمرنا بكل خير، ونهانا عن كل شر، بإرادته الشرعية ظهرت حكمته لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه؛ هو بيده التصريف والتدبير، وبيده جميع الأوامر، وله الملك، وله التدبير في ملكه: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٦) [آل عمران / ٢٦].

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ (٣٧) ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (٣٨) [النساء: ٢٧-٢٨].

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة / ١٨٥].

فالله ﷻ هو المؤمن المهيمن على الكون وما فيه، المهيمن على المكان والزمان، وكل ذرة فيها، المكان ظرف، والزمان ظرف، المكان ظرفٌ للأشياء من الجبال والبحار والمخلوقات، والزمان ظرفٌ للأعمال، ظرفٌ للأعمال الصالحة، والأعمال السيئة، وهذا وهذا شاهدٌ على الإنسان يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٤) ﴿يَوْمَ يُؤْفِكُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ (٣٥) [النور: ٢٤-٢٥].

فالله ﷻ هو المهيمن على الكون وما فيه، المهيمن على المكان والزمان، وكل ذرة فيها، مهيمن على الشمس فلا تجري إلا بأمره: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ (٤٠) [يس / ٤٠].

هو المهيمن على الرياح فلا تهب إلا بأمره، قوة الرياح، سرعة الرياح، اتجاه الرياح، بيده

وحده، فالله ﷻ مهيمن على الرياح، مهيمن على قوتها، مهيمن على سرعتها، مهيمن على وجهتها، مهيمن على حرارتها وبرودتها، ونفعها وضررها؛ فإن شاء أجرى بها السفن، وإن شاء دمر بها، وإن شاء جعلها تنفع النبات: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف/ ٥٧].

فهو سبحانه المهيمن على الكون وما فيه، مهيمن على المياه؛ فلا تنزل من السماء إلا بأمره، جميع المياه هو المهيمن عليها، هو الذي ينزلها، وهو الذي يفرقها، وهو الذي يسقي بها الإنس والحيوان، ويُنبت بها النبات، مهيمن على الذرات فلا تتحرك ولا تسكن إلا بأمره: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ تُعْرَفُ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [٢٨] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُؤُوبِكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَاءُ يُجْعَلُهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [٢٩] [الأنعام: ٣٨-٣٩].

كم ذرات العالم؟ كم ذرات الغرفة التي نحن فيها الآن؟ وكم ذرات البيت؟ وكم ذرات المدينة التي نحن فيها؟ وكم ذرات البلد الذي نحن فيه؟ وكم ذرات قارة آسيا وإفريقيا والقارات الخمس؟ وكم الذرات الموجودة في الفضاء من الهباءات؟ وكم ذرات السماوات والأرض وما بينهما، وكم ذرات الكرسي؟ وكم ذرات العرش؟ هذه الذرات العظيمة لها أمر من الله بالإيجاد، وأمر بالبقاء، وأمر بالنفع والضرر وكل ذرة تسبح بحمده، وتشهد بوحدانيته، وتخضع لأمره: ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [٤٣] ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٣-٤٤].

هو سبحانه المهيمن على الأرض، فلا تُنبت شيئاً ولا نباتاً إلا بأمره، المهيمن على البحار فلا تفعل شيئاً إلا بأمره، المهيمن على الأنهار؛ فلا تجري إلا بأمره، المهيمن على الشمس والقمر والنجوم فلا تسير ولا تقف إلا بأمره: ﴿إِن رَّبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فله الخلق والأمر وحده لا شريك له، هو سبحانه المؤمن المهيمن على الإنسان، حياة الإنسان بيده، موت الإنسان بيده، صحته بيده، رزقه بيده، هدايته بيده، أعضاؤه بيده، الله ﷻ هو مالك كل شيء، مهيمنٌ على الإنسان، وعلى جوارح الإنسان، مهيمنٌ على لسانه؛ فلا يتكلم إلا بإذنه، مهيمنٌ على بصره؛ فلا يرى إلا بإذنه، مهيمنٌ على بدنه فلا يتحرك إلا بإذنه، مهيمنٌ على مشاعره فلا يضحك أو يبكي إلا بإذنه: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ (٤٣) ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ (٤٤) [النجم / ٤٣-٤٤].

لكن الله خيره في حياته: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٢) ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (٣) [الإنسان / ٢-٣].

فهو جل جلاله مهيمنٌ على جميع المخلوقات، وجميع المخلوقات كمخلوقٍ واحد، بل كذرة واحدة في قبضته: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٥٦) [هود / ٥٦].

هو سبحانه المؤمن المهيمن الذي بيده مقاليد الأمور كلها، له ملك السموات والأرض، وله ما في السموات والأرض، وله ما بين السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض، وله مقاليد السموات والأرض، وله ميراث السموات والأرض: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) [الملك / ١].

ننظر إلى عظمة ملكه، وهيمنته على جميع ملكه ومن في ملكه، هذه المخلوقات العظيمة، لا بد للقلب أن يعرف هذه الأمور؛ حتى يعرف أنه عبد للملك العظيم جل جلاله: ﴿لِلَّهِ الْمُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٢٠) [المائدة: ١٢٠].

هو سبحانه المؤمن المهيمن على جميع العطايا والصفات: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَحْدِلَهُ، وَلِيَا مُرْشِدًا﴾ (١٧) [الكهف: ١٧].

من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، يا أرحم الرحمين، يا ذا الجلال والإكرام.

هو سبحانه المؤمن المهيمن، القادر على كل شيء، المهيمن الذي لا يُعجزه شيء، يفعل

بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب .

يفعل بالأسباب كما يُنزل الماء من السماء على الأرض فتُنبِت من كل زوج بهيج، وكما يحصل الولد بعد النكاح، أو كما يتكلم اللسان في هذا الفم المجوف؛ فيفعل وحده بالأسباب: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة / ٢١-٢٢].

فالله ﷻ يفعل بالأسباب، وبدون الأسباب: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس / ٨٢].

ويفعل بضد الأسباب، فيُنجِي بأسباب الهلاك، ويُهْلِك بأسباب النجاة، دمر فرعون مع ملكه وماله، ودمر قارون مع ماله: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزخرف: ٥٥].

وأنجى وليه إبراهيم ﷺ بالنار المحرقة: ﴿قُلْنَا يَنْدَرُ كُوْنِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء / ٦٩].

## التعبد لله ﷻ باسمه المهيمن

الله ﷻ هو المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، لا إله غيره ، ولا رب سواه، فكيف نتعبد لله ﷻ بهذا الاسم الكريم؟

الله ﷻ هو الكريم ، ويريد من عباده أن يكونوا كرماء، وهو الرحمن، ويريد من عباده أن يكونوا رحماء، وهكذا نتخلق بهذه الأسماء.

فكيف نتعبد لله باسمه المهيمن جل جلاله؟ الله ﷻ هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن على جميع مخلوقاته، العالي عليها، المتصرف فيها، والله ﷻ له تسعة وتسعون اسماً من أحصاها دخل الجنة، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

فلنحصها عددًا، ولننتخلق بها صفة ، وليكن لنا حظ بحسن التعبد لله بها ، فكيف نتعرف على اسم ربنا المهيمن ، ونتعبد لله ﷻ به .

وإحصاء الأسماء فهمها ، وعبادة الله بها ، وأن يكون لنا نصيبنا منها، ومن لم يكن له نصيب من كل اسم فما أحصاه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

الله ﷻ هو المهيمن الأكبر، هو المهيمن الأعلى، هو المهيمن الأول، وأنت أيها المخلوق أنت المهيمن الأدنى، وحظك من هذا الاسم أن تهيمن على نفسك بالإيمان، وتطهر قلبك مما سوى الله، وتطهر جوارحك من المعاصي، وتطهر عقلك من كل عقيدة زائفة، وتستقيم على أوامر الله، وتدعو إلى الله، وتعلم شرعه : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٧-١٠].

وُحْسِنَ إِلَى النَّاسِ، وَتُصْلِحَ ذَاتَ بَيْنِهِمْ: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَن أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء/ ١١٤].

وراقب الله في جميع أحوالك؛ فإنه يراك أيها العبد ويسمعك؛ فلا تؤذ أحداً، واستح من الله أن تعصه بنعمه، وراقب الله في جميع أحوالك؛ فإنه مهيمن محيط بسمعه وبصره

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٩٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٧٧).

بجميع مخلوقاته : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [يونس / ٦١].

ومن عرف أن ربه هو القوي توكل عليه وحده ، ومن عرف أنه الغني سأله وحده  
ومن عرف أنه الرقيب ، استحي من معصيته ، ومن عرف أنه السميع البصير لم يفعل ما  
يغضبه ويسخطه ، ومن عرف أنه الغفور استغفره ، ومن عرف أنه القادر استعان به  
وحده: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التغابن / ١٣].

ومن عرف الله أطاعه ولم يعصه ، وكبره وعظمه ، وحمده وشكره : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِذَنْبِيكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد: ١٩].

فلكي تتعلم لابد أن تقرأ وتتدبر ، وتحضر مجالس العلم، ولكي تصلح كل اعوجاج لابد  
أن تكون لك إرادة قوية، ولكي تستقيم لابد من التحلي بالصدق والصبر، والاستعانة  
بالله، والانقطاع عن مجالس الغفلة وبهذا تنتفع من اسمه المهيمن، فتهمن على قلبك  
بكمال الإيمان واليقين، بالنظر في الآيات الكونية، والنظر في الآيات القرآنية: ﴿ قُلْ  
أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس / ١٠١].

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ۗ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء / ٨٢].

وتهمن على جوارحك بكمال التقوى، وتهمن على نفسك بحملها على طاعة الله وكفها  
عن معصية الله: ﴿ فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [يونس / ١١٣]  
وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمْسِكُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود / ١١٢-١١٣].

هو جل جلاله الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلاء، هو الملك العزيز  
فذل له، هو الجبار فاخضع لجبروته، هو الكريم فاحمده، هو المحسن فاشكره، هو  
الرحمن؛ فتعرض لرحمته، هو الغفار فاستغفره فإنه غفور رحيم يغفر الذنوب جميعاً :  
﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ



هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ [الزمر / ٥٣].

وعليك بطاعة الذي خلقك، ورزقك وهداك ولا يصرفك ما أعطاك من النعم عنه فتخسر: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّدَكَ فَعَدَلَك ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار / ٦-٨].

قف أيها العبد بباب ربك الغني القادر، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن؛ قف بابه؛ فخرائن جميع ما تريد عنده، واسأله سؤال الأنبياء، من طلب الهداية، فأعظم سؤال في القرآن هو سؤال الهداية، وهو أول سؤال، وأعظم سؤال، فسؤال الأنبياء طلب الهداية، ورضوان الرب، والجنة، وطلب العفو، والفوز بالجنة، والنجاة من النار: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف / ٢٣].

وفي سورة الفاتحة: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

فبعد التمجيد والتعظيم لله جاء طلب الهداية: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة / ٢-٦].

قف أيها العبد الفقير بباب ربك الغني القادر، واسأله ما شئت، والزم باب العبودية، وأحسن الانقياد لمولك المؤمن المهيمن، وداوم الخضوع له، والانكسار بين يديه، وحسن التواضع له، تعظيماً له وذلاً له، وحياءً منه، ومحبةً له: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قَرَّةٍ أَعْيَنَ جَزَاءً لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

واحذر الكبر، والتجبر، والعلو؛ فإنك لا تستحقه، بل لا يليق بك، فضلاً عن أن تطلبه، بل ذلك كله لربك، العزيز الجبار المتكبر، المحمود على أسمائه الحسنی، العلاء: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية / ٣٦-٣٧].

فالتعبد لله ﷻ بأسمائه الحسنی، وصفاته العلاء، هو المقصود من معرفة الأسماء الحسنی، والصفات العلاء لله ﷻ، فكيف نتعبد لربنا ﷻ؟ .

من عرف ربه باسمه المهيمن عظمه وكبره وأحبه وشكره؛ لأنه يعلم أنه مهيمنٌ على جميع المخلوقات، مهيمنٌ على الكون كله؛ فإذا عرف المهيمن، عظمه في قلبه، وكبره وأحبه وشكره، لما يراه من نعمه وإحسانه، وتقرب إليه بأنواع الطاعات، تعبدًا له، وتعظيمًا لشأنه وشكرًا على إحسانه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

ومن عرف الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، العزيز الجبار المتكبر؛ توكل عليه وحده، وفوض أموره كلها إليه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

هو الحي بصفات الكمال، حيٌّ بالسمع الكامل، بالبصر الكامل، بالعلم الكامل، بالقوة الكاملة، بالرحمة الكاملة، بالعفو الكامل، بالعزة الكاملة، بالكبرياء الكامل: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فأنتم بحاجة إليه؛ لأنه هو الغني عن كل ما سواه: ﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فاحمدوه على قضاء حاجاتكم وحده: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

ومن عرف ربه المهيمن عظمه وكبره، وخضع له، وانكسر بين يديه؛ لأنه بحسب المعرفة يكون القنوت، يكون الانكسار، يكون التضرع، الصغير إذا عرف الكبير أجله وكبره واحترمه وأطاعه؛ فالله ﷻ هو الكبير المتعال، هو الغني، هو الرزاق، هو الكريم، هو الرحمن، هو الخالق، هو الرزاق، فمن عرف ربه المهيمن عظمه وكبره، وخضع له، وانكسر بين يديه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

ومن عرف ربه باسمه المهيمن خاف منه، واستحيا منه، وراقبه في جميع أحواله، وبادر إلى فعل ما يحبه، وابتعد عن كل ما يسخطه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَٰئِكَ الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَجَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

لماذا؟ لأنهم عرفوا الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله، بعد المعرفة بكون العمل، والعمل عمل القلب من التعظيم، والتكبير، والحب لله ﷻ، وعمل الجوارح: ﴿نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [١٦] ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة/ ١٦-١٧].

ومن عرف ربه المهيمن توكل عليه وحده، ولم يبال بقوة من سواه، مع الأخذ بالأسباب الدافعة لشر الأعداء: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

ولكن الناصر واحد، وهو خير الناصرين، فالنصر من الله: ﴿نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الأنفال/ ٤٠].

وفعل الأسباب مطلوب شرعاً، فالله أمرنا بفعل الأسباب الموصلة للجنة، وأمرنا بفعل الأسباب التي نعيش بها في هذه الحياة الدنيا، فنحن نفعل الأسباب بجوارحنا، ونتوكل على الله بقلوبنا، فيتوكل المؤمن على ربه، مع الأخذ بالأسباب الدافعة لشرور الأعداء؛ لأن الله محيط بهم مهيمٌ عليهم: ﴿وَإِنْ نَصَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران/ ١٢٠].

وهو المحيط بكل محيط، ولا يحيط به محيط، والخلق كلهم كذرة في قبضته جل جلاله، في قبضة القوي، في قبضة القادر، في قبضة العليم، في قبضة الجبار، في قبضة المهيمن، فماذا يكون الخلق؟ وماذا يفعل الخلق إذا كانوا كالذرة في يد الجبار جل جلاله؟: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

ومن عرف ربه المهيمن ابتعد عن ظلم العباد، وأكل حقوقهم؛ لأنه يعلم أن المهيمن سبحانه عليهم بكل شيء، قادرٌ على كل شيء، وسوف يحاسبه على كل شيء: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ [٢٥] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [الغاشية/ ٢٥-٢٦].

فإذا عرفنا العزيز، والملك، والمهيم عبداًه بموجب هذه الصفات: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨].

الله ﷻ مهيمن على الأحياء والأموات، وسوف يدعو جميع الخلق للبعث والحساب والجزاء: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء / ٤٧].

وحظ العبد المؤمن من هذا الاسم الكريم أن يهيمن على نفسه، ويحملها على طاعة الله، ويكفها عن معصية الله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران / ١٠٢].

﴿فَأَسْتَقِيمُ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢].  
 ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٧-١٠].

وأن يهيمن على لسانه؛ فيستعمله فيما يجب ربه ويرضاه، من ذكر ربه، وحمده، وتمجيده، واستغفاره، وتلاوة كتابه، والدعوة إلى دينه، وتعليم شرعه، والإحسان إلى خلقه؛ يكون له هيمنة على لسانه، لا يتركه يفلت في الغيبة والنميمة، والقيل والقال، وشهادة الزور؛ بل يكون له هيمنة على لسانه، يذكر به ربه تارة، وتارة يحمده، ويمجده، ويتلوا كتابه، وتارة يدعو إلى دينه، وتارة يعلم شرعه، وتارة يحسن إلى خلقه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب / ٧٠-٧١].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت / ٣٣].

﴿كُونُوا رَبَّيْنَكَنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران / ٧٩].  
 ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة / ٨٣].

ويهيمن الإنسان على أهله ومن تحت يده؛ فيدلهم على الخيرات، ويرغبهم في الطاعات، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْلًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم / ٦].

فالمؤمن عبد للرب المهيمن جل جلاله، والإنسان مهيمنٌ على جوارحه، والإنسان مسئول عن جوارحه، ماذا قال؟ وماذا عمل؟ وماذا سمع؟ وماذا رأى؟ وماذا عمل

بجوارحه ولسانه وبدنه؟ ﴿ وَلَا نَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء / ٣٦].

وإذا كان الله ﷻ هو المهيمن، العليم بكل شيء، القادر على كل شيء، المحيط بكل شيء، المالك لكل شيء، الذي هيمنته مقرونة برحمته ولطفه، إذا كانت هذه صفاته ألا يخطب الإنسان وده؟ ويطيعه؟ ألا تجب طاعته؟ ألا يستحي الإنسان من ربه وهو يعصيه؟ ألا يستحي العبد من ربه ﷻ أن يسكن في ملكه، ويأكل من رزقه، ويعصيه بنعمه أمام خلقه؟! يجب على الإنسان أن يستحضر عظمة ربه، الذي له الملك كله، ويبيده الأمر كله: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [٣] إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُو الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، ﴿ [يونس / ٣-٤].

لماذا؟ ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ [٤] ﴿ [يونس / ٤].

فالقلب إذا عرف ربه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلاء؛ توجه إليه بالعبادة التي يجباها ربه، ويرضاها جل جلاله: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْـَٔرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خِشَعِينَ ﴾ [٩٠] ﴿ [الأنبياء: ٩٠].

الله ﷻ هو المهيمن، وعبد المهيمن منصور، ومحفوظ، وسعيد، ومطمئن، والذي لا يؤمن بربه المهيمن له الذلة، والضعف، والمشقة، والتعب، والنار يوم القيامة: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ [١٢٣] ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [١٢٤] ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾ [١٢٥] ﴿ قَالَ كَذَلِكَ أَنتَ أَكْبَرُ أَيَّتَنَّا فَتَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنسِي ﴿ [طه / ١٢٣-١٢٦].

فسبحان المؤمن المهيمن الذي يؤمن غيره؛ لأنه المهيمن على الأمن السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، والصحي، وغيرها من أنواع الأمن، كما قال الله ﷻ عن موسى وهارون لما ذهبا إلى فرعون: ﴿ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُقْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّغَى ﴾ [٤٥] ﴿ قَالَ لَأَنخَافَنَّكَ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [٤٦] ﴿ [طه / ٤٦].

هو المهيمن على جميع الملوك والممالك، وعلى جميع الأشخاص والذوات، فالله مهيمن رقيب وشهيد، ومحيط بالعالمين، ومهيمن بقدرته على الخلق أجمعين، وهو على كل شيء

قدير: ﴿مَّا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيئِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود/ ٥٦].

فالمهيمن الحق من له الأسماء الحسنى ، والصفات العلاء ، فاطلب العلم لتهيمن به على الناس ، وتنفعهم به ، ابتغاء مرضاة الله ، وتخلق بالأخلاق الحسنة ، لتكون قدوة للناس ، ويؤمن الناس برب الناس ، بسبب حُسن أخلاقك ، صل من قطعك ، وأعط من حرملك ، واعف عمن ظلمك ، وأحسن إلى من أساء إليك ، وهيمن على قلوب الناس بحسن الأخلاق لتجذب الناس إلى أن يعبدوا ربهم : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف/ ١٩٩].

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم/ ٤].

ومعرفة الله يجب أن تسبق معرفة أحكامه ، لتأتي العبادة بكمال الحب ، والتعظيم ، والذل لله ﷻ؛ فنعرف المعبود أولاً ، لتسهل العبادة ثانياً كما قال لقمان لابنه: ﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [١٦] ﴿يَبْنِيْ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان/ ١٦-١٧].

فسبحان المهيمن الذي هيمن برحمته على جميع مخلوقاته في الدنيا والآخرة : ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُهُ وَحْدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وسوف يسأل كل من عاش في رحمته ونعمه ولم يشكرها: ﴿الْهَنُكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [١] ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [٢] ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [٣] ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [٤] ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [٥] ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ [٦] ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [٧] ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [٨] [التكاثر/ ١-٨].

وقال ﷻ: ﴿فُورَبِّكَ لَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [٩] ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٣] [الحجر/ ٩٢-٩٣].

المؤمن حقاً من هيمن على أوقاته فملاها بما يحبه الله ويرضاه من الأعمال الصالحة تعبدًا ، ودعوة ، وتعليمًا ، وإحسانًا إلى الخلق: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١١١] ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١١٢] ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ. وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [١١٣] [الأنعام/ ١٦١-١٦٣].

المؤمن حقاً من هيمن على جوارحه ، فسخرها في طاعة مولاه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ [الحج / ٧٧].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسِخِّوهُ بُكْرَهُ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب / ٤١-٤٢].

المؤمن حقًا من هيمن على أمواله، فلم يصرفها إلا في وجوه البر والإحسان، وما يرضي الرحمن من النفقة على النفس، وعلى الأهل، والإنفاق في سبيل الله: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِتِّمَالِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة / ٢٧٤].

المؤمن حقًا من أمنه الناس، وسلم المسلمون من لسانه ويده، وحفظ لسانه من كل سوء: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْحَرُونَهُمْ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات / ١١].

المؤمن حقًا من هيمن على الناس بحسن الخلق؛ فأحبوه وأحبوا الدين الذي اتبعه، وأحبوا الرسول الذي جاء به، وأحبوا الرب الذي خلقه وهداه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم / ٤].

فالدين ركنان، عبادة الحق، والإحسان إلى الخلق: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [٣٣] وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت / ٣٣-٣٦].

وأثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة حسن الخلق؛ بل الدين كله هو الخلق. قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمَّ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ» وَفِي رِوَايَةٍ: «مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ» أخرجهم أحمد والبيهقي<sup>(١)</sup>.

فحُسن الخلق أثقل شيء في ميزان العبد، حُسن الخلق صبغة، رتب الله ﷻ على هذه

(١) حسن / أخرجه أحمد برقم (٨٩٣٩)، وأخرجه البيهقي برقم (٢٠٥٧١).

الصبغة وهذه الأخلاق العالية الأجر العظيم : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ  
وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ  
وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّالِمِينَ وَالصَّالِمَاتِ  
وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ  
لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

فقيمة الإنسان بصفاته لا بذاته، وأعظم الصفات هي هذه الصفات العشر التي ذكرها  
من الإسلام والإيمان والصدق وغيرها، وثوابها الأجر العظيم من ربنا جل جلاله :  
﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ  
طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [٧٢] ﴿

[التوبة: ٧٢].

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا فهم هذه الأسماء وإحصاءها، والتخلق بها، وأن يكون لنا حظ  
من كل اسم من أسماء ربنا الحسنى؛ فالله يحب أسماءه الحسنى، ويجب من اتصف  
بها: ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِمُنْقِبِكَ إِمَامًا ﴾ [٧٤] ﴿

[الفرقان / ٧٤].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف / ٢٣].  
﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨].  
اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك،  
وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم .  
اللهم بيدك الملك كله، ولك الحمد كله، ومنك الفضل كله ، وإليك يرجع الأمر كله،  
وأنت الله الرؤوف الرحيم، أسألك الجنة وما قرب إليها من قولٍ وعملٍ، وأعوذ بك من  
النار وما قرب إليها من قولٍ وعملٍ .  
سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك .



# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

العزیز

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله العزيز

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الاعلى في السموات والأرض: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

الله ﷻ هو الملك الحق الذي لا إله غيره، ولا رب سواه، وهو العزيز في ملكه وسلطانه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه/ ٨].

الله ﷻ هو العزيز الجبار الغالب لكل شيء، القاهر لكل شيء، القادر على كل شيء، الخالق لكل شيء، الغني الذي له كل شيء: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج/ ٧٤].

واسم الله العزيز من أسماء الله الحسنى، ومن أسماء الله العظيمة في كتاب الله ﷻ، فقد ورد كثيرًا في القرآن العظيم، وفي السنة النبوية.

الله ﷻ هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، هو العزيز الذي يقهر ولا يُقهر، ويغلب ولا يُغلب، العزيز الذي ليس كمثلته شيء في عزته، وجلاله وجماله وكمال أسمائه وصفاته، تسبحة جميع مخلوقاته: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجمعة/ ١]. فمن هذه أسماؤه وهذه صفاته؛ فهو جدير بأن يُسبح بحمده، وأن يكبر، وأن يعظم، وأن يستغفر، وأن يُسأل.

هو سبحانه القوي العزيز القادر القاهر الذي قهر كل ما سواه، العزيز المنيع، الذي لا يقهر ولا يغلب، بل هو القاهر والغالب، ولا يقدر أحد على منعه، عزيز في ملكه وسلطانه، عزيز منيع لا يوصل إليه؛ فلا ينال جنبه لكمال عزته وعظمته، وجبروته وكبريائه: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء/ ٣٦] وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [الجمعة: ٣٦-٣٧].

فاسم الله العزيز من أسماء الله الحسنى العظيمة، ورد في القرآن الكريم أكثر من تسع وثلاثين مرة، مقترنًا بأل، ومجردًا من أل، ومرفوعًا ومنصوبًا، ومجرورًا.

وقد ورد اسم الله العزيز مقترناً بغيره من أسماء الله الحسنى؛ فاقترن اسم الله العزيز مع اسمه الحكيم سبعا وأربعين مرة، واقترن مع اسم الله ﷻ الرحيم ثلاث عشرة مرة، واقترن مع اسم الله القوي تسع مرات، واقترن مع اسم الله العليم ست مرات، واقترن مع اسمه الحميد ثلاث مرات، واقترن مع اسم الغفار ثلاث مرات، واقترن مع اسم الغفور مرتين، واقترن مع اسم الوهاب مرة واحدة، واقترن مع اسم الجبار والمهيمن والمقتدر كذلك مرة واحدة، ولهذا الاقتران أسرار.

فقد فسر اقتران اسم الله العزيز بالحكيم في سبعة وأربعين موضعاً، منها قوله سبحانه: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران/ ١٨].

بأن العزة والحكمة مصدر الخلق والأمر؛ فخلق الله الكون بقدرته، ودبره بحكمته؛ فمصدر العزة والحكمة مصدر الخلق والأمر، وبهاتين الصفتين يفعل الله ما يشاء، ويأمر وينهى، ويشيب ويعاقب، ويعز ويذل، والعزة كمال القدرة، والحكمة كمال العلم: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٥].

فالله حي بكمال الصفات، من العزة، والقوة، والقدرة، والقهر، والعلم، والإحاطة، والملك، والسمع والبصر، فالله حي بصفات الكمال، ومن صفات الكمال العزة، فالعزة كمال القدرة، والله عزيز؛ لأنه القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، المحيط بكل شيء، القاهر لكل شيء.

والحكمة كمال العلم؛ لأن الله حكيم يضع الشيء في موضعه؛ فأفعاله كلها حكمة، وحكمة الله ﷻ مطلقة، مقرونة بالخير المطلق، فكل أفعال الله ﷻ خير، وحكمة ورحمة، ولكنها بالنسبة لنا قد تكون شراً، لأنها قد يكون عقوبة، لكنه ﷻ هو الحكيم العليم الذي يضع الشيء في موضعه.

فعرته سبحانه لكمال قدرته، وكمال حكمته، والجمع بينهما كمال آخر؛ فالعزة كمال، والحكمة كمال، والجمع بينهما كمال آخر للرب ﷻ؛ ولذلك كثيراً ما يصف الله ﷻ نفسه بالعزيز الحكيم، العزيز الغالب الذي لا يغلب، الذي لا مثيل له، المنيع الذي لا يقدر

أحد على الوصول إليه، ولا رؤيته، ولا الإحاطة به.

فعرته سبحانه مقرونة بالحكمة المطلقة، ليس عزيزاً يستعمل قدرته في الظلم والجور؛ بل هو عزيز وعزته مقرونة بالرحمة، مقرونة بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة مقرونة بالخير المطلق: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَعْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة/ ١١٨].

العزيز الذي لا يغلب، القادر على كل شيء الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه فيعاقب المسيء، ويثيب الطائع، الحكيم الذي أحكم الأمر؛ فأفعاله كلها حكمة؛ وعزته سبحانه مقرونة بالحكمة، فعزته جل جلاله عزة خالق حكيم قادر رحيم، عزته لا تقتضي ظمًا وجورًا، كما يحصل من عزيز المخلوقين؛ فإن العزيز قد تأخذه العزة بالإثم فيظلم ويجور؛ ولذلك قل أن تجتمع العزة والحكمة في المخلوقين.

فإن أهل العزة من الملوك والرؤساء في الدنيا، يغلب عليهم التعسف والجور في الأحكام، وحكمته سبحانه مقرونة بالعز الكامل، أما المخلوق فعزته يعترها الذل، عزة المخلوق موهوبة، والموهوب قد يسلب، فليست العزة إلا من العزيز، والرحمة من الرحيم، والرزق من الرزاق، فكل عزة في الكون من الله وحده: ﴿وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يونس: ٦٥].

وكل ما سوى الله ذليل، فعزة المخلوق يعترها الذل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْدَانِ﴾ [٢٠] ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [٢١] [المجادلة: ٢٠-٢١].

فالعزة بيد العزيز يعز بها من يشاء من عباده: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون/ ٨].

فالله عزيز أعز رسله وأعز أوليائه بعزته؛ لأنه العزيز الذي يملك خزائن العزة، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء؛ لأن بيده الملك جل جلاله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ أَمْلِكِ تُوْتِي أَمْلِكُ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ أَمْلِكُ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وقد اقترن اسم الله العزيز بالقوي سبع مرات، منها قوله سبحانه: ﴿وَلْيَنْصُرَكَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج/ ٤٠].

وقد ورد معظم هذا الاقتران في مجال الصراع بين الحق والباطل، والسر في ذلك والله أعلم الإشارة إلى أن الله عزيز قادر على كل شيء، عزيز غالب لا يغلب؛ لأنه الملك القادر على كل شيء، الملك ملكه والخلق خلقه، والأمر أمره؛ له ملك السموات والأرض، وله ما في السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض؛ وله ميراث السموات والأرض:

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠].

فهو العزيز الذي كل ما في السموات والأرض ملكه، هو العزيز المالك لكل شيء، القادر على كل شيء، له ملك العالم العلوي، والعالم السفلي.

فالسموات ظرف، والأراضون ظرف، السموات ظرف للملائكة، وما الله عليم به من المخلوقات، السموات ظرف كبير، وما في داخل الظرف الملائكة، والملائكة خلق من خلق الله، لا يستقبلون الأمر إلا من واحد وهو الله ﷻ. ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [٣٦] لَا يَسْتَفْتُونَكَ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧].

السموات خلقها الله ﷻ، وجعلها ظرفاً للملائكة الذين خلقهم الله من نور، فهم على نور، وهم من نور، وأعمالهم كلها نور؛ لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، يعظمون العزيز، ويكبرون العزيز جل جلاله، ولا يستكبرون عن عبادة ربهم: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [١٩] يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠].

والأرض ظرف كبير وما في داخل الظرف مخلوقات كثيرة لا يحصيها إلا الله، من عالم الجهاد، وعالم النبات، وعالم الحيوان، وعالم الجن، وعالم الإنس، وعالم الملائكة.

وما في داخل الظرف مخلوقات كثيرة، خص الله من بين هذه المخلوقات الكثيرة هذا الإنسان، الذي يتلقى الأمر أحياناً من خالقه، وأحياناً من الشيطان، فهو مخير يتلقى الأمر من هنا ومن هنا؛ ولهذا الله ﷻ أعز هذا الإنسان من أول يوم؛ حتى لا يتصل إلا بالعزيز، ويعرف أنه محتاج للعزيز، فقير إلى العزيز.

فالله ﷻ من بين المخلوقات، خلق آدم بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجده له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، ثم جعله خليفة في الأرض، هذا تكريم من العزيز لهذا

الإنسان: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿[الإسراء: ٧٠].

الله أعز هذا الإنسان، بفضله وكرمه؛ ليكون عزيزًا لا يذل إلا للعزيز، ولا يذل لأحد سواه، ومن عرف العزيز لم يذل نفسه إلا للعزيز، ولم يقف بباب الذليل أبدًا، والله يغار على عبده أن يذل نفسه لغيره: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿٢١٧﴾ ﴿الَّذِي يَرِنُكَ حِينَ تَقُومُ﴾ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجِدِينَ﴾ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٢٢٠﴾ ﴿[الشعراء: ٢١٧-٢٢٠].

هو عزيز حي بكامل الصفات: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿[الحشر: ٢٣-٢٤].

ومن اتصل بالعزيز فهو عزيز، ومن اقترن بالذليل فهو ذليل، مهما كان كبيرًا ومهما كان غنيًا.

فاسم الله العزيز لا بد للمسلم أن يتعرف عليه، ليتصل بالعزيز، ويستفيد من خزائن العزيز، ويعرف العزيز، ويعبد العزيز، الذي له العزة والجبروت والملكوت: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١﴾ ﴿[الجمعة: ١].

الله جل جلاله عزيز غالب لا يغلب، ولا يغلب جنده، ولا يهزم حربه، هو القوي العزيز الذي ينصر أنبياءه ودينه والمجاهدين في سبيله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَ بِنَا وَأَرْسَلْنَا إِلَيْكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٢١﴾ ﴿[المجادلة/ ٢١].

قوي لا يقف له أحد، عزيز لا يغلبه غالب، منيع لا يصل إليه أحد، عزيز عنده خزائن العزة، يعز من يشاء ويذل من يشاء، يعز من يشاء بطاعته، ويذل من يشاء بمعصيته: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿[الحج: ٤٠].

وقد اقترن اسم الله العزيز مع الرحيم سبع مرات، منها قوله سبحانه في سورة الشعراء بعد بيان حال كل نبي مع قومه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٩﴾ ﴿[الشعراء/ ٩].

والسر في ذلك للدلالة على أن الله عز وجل مع كونه قويًا عزيزًا، غالبًا قاهرًا لكل شيء؛ فهو رحيم رؤوف، بر محسن، لطيف بعباده، فعزته مقرونة برحمته التي تستلزم إفاضة الخير

والإحسان على خلقه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة/ ١٤٣].

وتكرار اقتران هذين الاسمين في سورة الشعراء ثمان مرات للدلالة على أن ما حصل للمكذبين للرسول من عذاب وهلاك؛ إنما هو مقتضى عزته وقوته، وما حصل من إنجاء رسله وأتباعهم؛ إنما هو مقتضى رحمته ولطفه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء/ ٩]. هو العزيز الذي يغلب ما سواه، الرحيم بعباده الذين ينصرون دينه؛ فينصرهم ويحفظهم من أعدائهم.

واقترن اسم الله العزيز مع العليم ست مرات، منها قوله سبحانه: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس/ ٣٨].

والسر في ذلك والله أعلم أنه إشارة إلى أن عزة الله مقرونة بعلمه الشامل لكل شيء، وأن نفوذ عزته جل جلاله، إنما يكون بعلم ومعرفة بمواطنها وعواقبها: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام/ ٩٦].

أما عزة المخلوق، فتتعلق في الغالب بالهوى وتنطلق غالباً من الهوى والظلم، لا من العلم والحكمة والرحمة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦].

فكل أفعال العزيز صادرة عن قدرة وحكمة وعلم ورحمة: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ [٣٧] وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ [٣٨] لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس/ ٣٧-٤٠].

فسبحان الملك القدوس العزيز الحكيم، العزيز العليم، الذي انقادت له جميع المخلوقات صاغرة ذليلة، انقادت له ذليلة مسخرة بأمره، لا تتقدم ولا تتأخر عن أمره: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨].

هو العزيز العليم بالظواهر والبواطن، والأوائل والأواخر، العليم بمصالح العباد كلها: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ [الروم/ ٢٧].

وقد اقترن اسم الله العزيز بالحميد ثلاث مرات، منها قوله سبحانه: ﴿الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم/ ١].

والسر في ذلك: ليدل على أن من سلك صراطه المستقيم، فهو عزيز محمود حسن العاقبة، وأن صراطه المستقيم من أعظم الأدلة على كمال ذاته وأسمائه وصفاته، وأن الذي نصبه لعباده، عزيز في سلطانه، غني عن خلقه، حميد في أقواله وأفعاله وأحكامه، وأن من احتسب بحماه، واهتدى بهداه؛ فلن يستطيع أحد أن يذله أو يضلّه: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾﴾ [ص/ ٦٦].

فسبحان الرب العزيز الحميد في عزته؛ فهو المحمود على عزته؛ لأنها مقرونة بالرحمة والحكمة واللفظ والمغفرة وعظيم العطايا والمواهب: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر: ٢].

واقترن اسمه العزيز باسمه الغفور والغفار كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر/ ٢٨].

وقال سبحانه: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾﴾ [ص/ ٦٦].

هو عزيز منيع غالب لا يغلب، لا مثيل له، ولا شبيه له، العزيز الذي يملك خزائن العزة؛ فمن أعزه الله فهو عزيز، وإن لم يكن بيده شيء، ومن أذله الله فهو ذليل، ولو كان عنده الملك كفرعون، أو المال كقارون، فالله ﷻ عزيز، وخزائن العزة بيده: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾ [يونس/ ٦٤].

هو السميع للأقوال، العليم بالأفعال، فلا تطلبوا العزة إلا من العزيز كما لا تسألوا الرزق إلا من الرزاق، كما لا تطلبوا الشفاء إلا من الشافي: ﴿فَرُؤُوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١].

هو سبحانه الملك العزيز الرحيم، الذي رحمته ومغفرته وعفوه عن عزة وقدرة، لا عن ضعف وعجز؛ هو ملك قادر قاهر، عزيز لا يغلب، لكنه رحيم غفور ودود لطيف: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ



أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ ﴿٢﴾ [الملك / ١-٢].

والله جل جلاله له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وعزته مقرونة بالرحمة، مقرونة بالحكمة، مقرونة بالعلم، مقرونة باللطف، فهو سبحانه المتصف بجميع صفات الكمال وحده لا شريك له؛ فهو الكامل في عزته، الكامل في مغفرتة، إذا أعز أعز حيث لا ذلة، وإذا أذل أذل حيث لا عزة، إذا أعز رفع، وإذا أذل خفض، هو الكامل في عزته، الكامل في مغفرتة، الكامل في الجمع بين عزته ومغفرتة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨].

واقترن اسم الله العزيز بالوهاب كما قال سبحانه: ﴿أَمْرٌ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ [ص / ٩].

هو عزيز قادر على كل شيء، خلق الأرزاق كلها، وبعزته أوصلها إلى مخلوقاته، في البر والبحر والجو، وما من دابة إلا على الله رزقها: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦].

فالله سبحانه خلق المخلوقات، وخلق الأقوات والأرزاق، وبعزته خلق، وبعزته رزق، وبعزته أوصل الأرزاق إلى جميع المخلوقين، في كل ثانية يخلق مليارات الأرزاق، ويوصلها إلى مليارات المخلوقين في العالم العلوي، والعالم السفلي، في البر والجو والبحر: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [٣١] ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

فاقترن اسم الله العزيز بالوهاب، ليعلم العباد أنه العزيز الذي له التصرف التام في ملكه العظيم، وله التصرف التام في صنوف العطايا والمنن المادية والمعنوية؛ فهو الذي خلق ورزق وهدى، هو الذي أمد المخلوقات بأنواع العطايا والمنن، والأرزاق المادية والمعنوية ولهذا يحمد على نعمه المادية: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام / ١].

لماذا يعدلون بالله غيره؟ مع أن هؤلاء لم يخلقوا شيئاً، ولم يرزقوا أحداً. وكذلك أمد عباده من الأرزاق بالرزق الأكبر وهو الهداية، ويحمد على نعمه الدينية كما قال سبحانه: ﴿الْحَمْدُ

لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ [الكهف/ ١].

ونحمده على نعمه المادية والدينية كما قال سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٢-٥].

فله الحمد والشكر على نعمه المادية، وعلى نعمه المعنوية وهي الدين، لا ينازعه في ذلك منازع في ملكه العظيم؛ لأنه العزيز الذي لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا ينوب عنه نائب، فهو الذي خلق الخلائق، وهو الذي تكفل بأرزاقها: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢]. فلا إله إلا الله العزيز في ملكه، الحكيم في أمره، الكريم في عطائه: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ [آل عمران/ ٦].

فجزته سبحانه متضمنة للإنعام على خلقه بصنوف النعم، التي تستوجب منهم الشكر عليها، وتفضله وإنعامه صادر عن عزة وقدرة، وعن غنى وتفضل لا لجلب نفع، أو دفع ضرر: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر/ ١٥].

فجميع المخلوقات، وجميع الخلائق في العالم العلوي، والعالم السفلي، كلهم فقراء إلى الله، فكل ذرة في الكون فقيرة ومحتاجة إلى العزيز في إيجادها، وبقائها، ونفعها وضررها، كل مخلوق محتاج إلى الله، كل مخلوق من العرش العظيم إلى أصغر ذرة في الكون، محتاج إلى العزيز جل جلاله، في خلقه وبقائه وتدييره.

• وكل مخلوق مطبوع على أربع صفات:

ضعيف .. فقير .. عاجز .. محتاج.

فقير؛ يحتاج إلى الغني جل جلاله، ضعيف؛ محتاج إلى القادر، ضعيف، فقير، عاجز، محتاج إلى القادر، محتاج إلى ربه في كل شيء، محتاج إلى أقواته، محتاج إلى الأرض التي يسكن عليها، إلى الطعام الذي يأكله، إلى الماء الذي يشربه، إلى اللباس الذي يلبسه، إلى الهواء الذي يتنفس منه: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾

[لقمان: ٢٦].

فالله عزيز لا يمتنع عليه شيء، هو الذي يريد لك العزة؛ فمن اتصل بالعزيز فهو عزيز، ولا عزة إلا من العزيز، ولا عزة إلا باتباع أوامر العزيز؛ فمن اتبع أوامر العزيز فهو

عزيز: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾ [المنافقون/ ٨].

فالعزة الوهمية التي يراها الأغنياء، أو الملوك، أو الرؤساء، أو أصحاب الطاقات، التي أعطاهم الله ﷻ إياها؛ ليستعينوا بها على طاعته، فمن اعترت بغير الله ذل، ففرعون مع ملكه وماله أذله الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٥٥﴾ [الزخرف: ٥٥].

وقارون مع ماله الله ﷻ أذله: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ ﴿٨١﴾ [القصص: ٨١].

فاتصل بالعزيز لتكون عزيزًا، ولتعمل في أعمال العزة، الله أعزك لتعز الناس، تعز الكافر بالإسلام ليكون عزيزًا، تعز الجاهل بالعلم، تعز الفقير بالإعانة، تعز المريض بالأخذ بيده، وهكذا تجتهد على الإنسان، ليكون عزيزًا بين الناس، وعزيزًا عند ربه، والله يريد من عباده جميعًا أن يكونوا أعزة لا يخضعوا ولا يذلوا لغيره أبدًا، فكل غنى وتفضل منه ليعز الإنسان، لا لأنه يجب بذلك نفعًا، أو يدفع ضرًا: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ﴿١٥﴾ [فاطر/ ١٥].

هو الغني الذي عنده خزائن كل شيء، الحميد المحمود على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، في العالم العلوي، والعالم السفلي، وفي الدنيا وفي الآخرة: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٦٨].

فيجب على العبد أن يحمد ربه العزيز، أن يحمد ربه القوي، وأن يعرف من أول يوم عبد من هو، عبد من أنت، هل أنت عبد العزيز؟ هل أنت عبد القادر؟ هل أنت عبد القوي؟ هل أنت عبد السميع؟ هل أنت عبد البصير؟ لا بد للإنسان أن يعرف عبد من هو، هل هو عبد للرحمن؟ أو عبد للشيطان؟ أو عبد لهواه؟ فالله ﷻ كل نعمة منه: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ [النحل: ٥٣].

هو العزيز الذي خلق كل نعمة، وأوصلها إلى خلقه في كل مكان، لهذا وجب حمده وشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى؛ لأنه العزيز القوي القادر، الحي المتصف بجميع صفات الكمال: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٤].

فله الحمد كثيرًا وله الشكر كثيرًا: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٦) وله الكبرياءُ في السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

فمعرفة اسم الله العزيز، والتعبد بها لله ﷻ، أمر مطلوب من العبد؛ ليعرف العزيز، ويتقرب إلى العزيز، ويستفيد من عزته؛ ليدخل في أبواب العزة، فالله ﷻ أخبرنا أنه هو العزيز: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢٣) [الحشر/ ٢٣].

اعلموا أن الله ﷻ ملك، والملك له ممالك، وله أوامر في مملكته، فأطيعوا أمر الملك؛ لأنه ملك قادر على كل شيء، مالك كل شيء، عزيز غالب لا يغلبه أحد، منيع لا يصل إليه أحد، يريد أن يعزك أيها الإنسان؛ فأقبل عليه لتنال من عزته.

هو الله العزيز الجبار الغالب لكل شيء، القاهر لكل شيء، القادر على كل شيء، الغني الذي له كل شيء: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٧٤) [الحج/ ٧٤]. وهو سبحانه العزيز الذي لا يغلب، العزيز الذي لا يقهر، وأنت عبده، أنت ذليل بين يديه عزيز بين خلقه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ (٩٠) [الأنبياء: ٩٠].

وهو سبحانه العزيز الذي لا يغلب، العزيز الذي لا يقهر، العزيز الذي لا يضام جاره، ولا يذل أنصاره: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٢١) [المجادلة/ ٢١]. وهو سبحانه العزيز المالك لكل شيء، العزيز الذي أحاط بكل شيء، العزيز الذي لا يعجزه شيء، ولا يتعذر عليه شيء، ولا يمتنع عليه شيء، جميع المخلوقات تحت قهره وأمره، ولا يمتنع عليه منها شيء، وجميعها تشهد بوحدانيته، وتسبح بحمده، وتخضع لمشيئته، وتسرع إلى إرادته، وتطيع أمره: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ (٤٤) [فاطر/ ٤٤].

وهو جل جلاله العزيز القهار، الذي امتنع عن الأوهام أن تكيفه، وعن العقول أن تحيط به، فالعقل له حد، والبصر له حد، والسمع له حد في السمع، والبصر له حد في الرؤية، والعقل له حد في المعرفة، العاقل لا يدرك كل شيء، يدرك أشياء ومُنْع عنه أشياء، الروح في بدن الإنسان، لكن البصر لا يستطيع أن يراها أو يعلم في أي مكان، الهواء موجود

نحس به ولا نرى شخصه، والله ﷻ عزيز: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام/ ١٠٣].

عزيز منيع، لا تصل إليه العقول جل جلاله، فهو العزيز الواحد لا شريك له، الاحد الصمد الذي لا مثل له، ليس في الكون إلا إله واحد، ورب واحد، وعزيز واحد، وقادر واحد، وحكيم واحد، ورازق واحد: ﴿وَاللَّهُكَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

هو العزيز القهار الذي امتنع عن الأوهام أن تكيفه، مهما استعمل الإنسان خياله؛ لن يستطيع أن يحيط بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله وامتنع عن العقول أن تحيط به: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

فالله محيط بكل محيط، ولو أدركته العقول، وأحاطت به، لقدرت عليه، والله قادر غير مقدور عليه، هو قادر على كل أحد، ولا يقدر عليه أحد، فقد تنزه عن العقول أن تحيط به، وعن الأبصار أن تدركه، العين مخلوق صغير لا يمكن أن يرى العظيم جل جلاله؛ لأن هذا البدن مخلوق في هذه الدنيا على شكل معين، ويوم القيامة يخلق خلقاً آخر، يتمكن فيه المسلم من رؤية ربه ﷻ في الجنة: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ [٢٢] إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

هو العزيز الذي بقدرته خلق الخلق جميعاً في العالم العلوي، والعالم السفلي، وخلق عالم الغيب، وعالم الشهادة، وعالم الدنيا وعالم الآخرة، فلا إله إلا هو، ولا رب سواه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠٢] ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

هو جل جلاله العزيز العلي الأعلى، المحيط بكل أحد، الذي لا يحيط به أحد، هو الأول فليس قبله شيء، والآخر فليس بعده شيء، والظاهر فليس فوقه شيء، والباطن فليس دونه شيء: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]. هو سبحانه العزيز الذي لا يرام ولا ينال جنباه؛ لعزته وعظمته، وجبروته وكبريائه،

العزیز الذی لا مثل له ولا نظیر، الذی له الأسماء الحسنی، والصفات العلی، والأفعال  
الکبری، وحده لا شریک له: ﴿سُبْحٰنَهُ ۗ هُوَ اللّٰهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر/ ٤].

هو الواحد في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، هو جل جلاله العزیز الذی له العزة  
كلها، الفعال لما يريد، وجميع أفعاله مقرونة بالعلم المحيط، وبالقدرة المطلقة، والقدرة  
المطلقة مقرونة بالخير المطلق؛ فلا يفعل إلا ما هو خير؛ لأن الشر ليس إليه، يفعل ما  
يشاء، ويحكم ما يريد، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿تَبٰرَكَ الَّذِي يَدِيهِ الْمُلْكُ وَهُوَ  
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

فسبحان الملك العزیز الجبار، الذی ذلت لقدرته الصعاب، ولانت لِقوته الصم  
الصلاب، وخضعت لعظمته الرقاب: ﴿تَسْبِيحٌ لَّهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ  
شَيْءٍ إِلَّا لَيْسَ بِمَجْدِهِ ۗ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء/ ٤٤].  
تسبحه جميع مخلوقاته، لأنها تعرف ربه أنه عظيم، وكبير، وعزیز، وقوي، وغني،  
ورقيب، وسميع، وبصير.

هو العزیز الذی له العزة كلها، وحده لا شریک له، يعز من يشاء، ويذل من يشاء،  
وينصر من يشاء، ويخذل من يشاء، ويؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء،  
ويرحم من يشاء، ويعذب من يشاء، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ  
مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ۗ يَدُكَ  
الْحَزِيمَةُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران/ ٢٦].

هو الملك الذی كل ملك في الدنيا ما جلس في ملكه إلا بإذنه، ولكن الله ابتلاه بهذا  
الملك؛ لينظر أيطع الله فيه، أم يعصي الله فيه، فالملك عبودية وابتلاء: ﴿وَهُوَ الَّذِي  
جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ  
سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

هو جل جلاله، الملك العزیز القادر على كل شيء، كل غيب عنده شهادة، وكل بعيد  
عنده قريب، وكل كبير عنده صغير، وكل قوي عنده ضعيف، وكل غني عنده  
فقير: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّىٰ قَدَرَهُ ۗ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا بَقِصَّةً ۗ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَالسَّمَوٰتُ  
مَطْوِيٰتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحٰنَهُ ۗ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر/ ٦٧].

فسبحانه هو العزيز المحيط بكل شيء، القاهر لكل شيء، وكل هارب في قبضته، وكل شارد إليه ذاهب، وكل مخلوق إليه راجع، فلا منجى ولا ملجأ منه إلا إليه: ﴿يَمَعَشَرِ الْجِبْنَ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانِي﴾ [الرحمن: ٣٣].

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [١٥٥] الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٦].

فسبحان الخلاق العليم، القادر على كل شيء، المحيط بكل شيء: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [١٢] [الطلاق/ ١٢].

فلا يستطيع أحد أن يخرج عن ملكه؛ لأن الملك وما فيه كله له: ﴿اللَّهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١٣٠] [المائدة/ ١٢٠].

هذا هو العزيز جل جلاله، ويريد للإنسان أن يكون عزيزاً، وعزة الإنسان باتصاله بالعزيز؛ ليكون عزيزاً في الدنيا، وعزيزاً يوم القيامة.

هو سبحانه العزيز وحده لا شريك له، عز عن الأبصار أن تدركه، وعز عن العقول أن تتصوره، وعز عن الأوهام أن تكيفه، وعز عن المخلوقات كلها أن تحيط به، وعن الألسن أن تحصي ثناءً عليه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٦٥] [غافر/ ٦٥]. فلا يستطيع أحد أن يشني على الله كما يجب؛ لأن الله عظيم له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، فما عبدناه حق عبادته، ولا قدرناه حق قدره، والسييل إلى معرفته ومعرفة قدره أن نعرف أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَوَلَكُمْ﴾ [١٩] [محمد: ١٩].

استغفر لذنبك من التقصير في هذا العلم، ومن التقصير في العمل، ومن تأخير الواجبات، وغشيان المحرمات.

هو سبحانه القوي العزيز الذي خضع كل شيء له، هو القوي العزيز الذي ألبس الطغاة والجبابة عزته فذلت، وصب على الوجوه مخافته فخضعت، وقهر الخلائق على ما

أراد فأطاعت: ﴿وَهُوَ أَقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (١٨) ﴿[الأنعام: ١٨].  
 وساق بعزته الخلائق للقدوم عليه للحاسب فعنت: ﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ (١١١) ﴿[طه/ ١١١].

هو العزيز الذي ألبس الجبابرة عزته، بعزته أذل الجبابرة، والطغاة، والمجرمين، فذلت  
 وصب على الوجوه مخافته فخضعت: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ (٣) ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (٤) ﴿[الملك/ ٣-٤].

هو جل جلاله العزيز في ملكه وسلطانه، العزيز في أفعاله، فلا يقف له أحد، وضع اسمه  
 على السماوات فاستقلت، ووضع اسمه على الأرض فاستقرت، ووضع اسمه على  
 الجبال فرست، ووضع اسمه على الرياح فهبت، ووضع اسمه على المياه فسالت، ووضع  
 اسمه على اللسان فتكلم، ووضع اسمه على الأذن فسمعت، ووضع اسمه على العين  
 فأبصرت: ﴿نَبِّرْكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٧٨) ﴿[الرحمن/ ٧٨].

فهو العزيز بذاته وأسمائه وصفاته وكلامه، هو الذي أنزل القرآن تبياناً لكل شيء،  
 وسمى القرآن عزيزاً: ﴿وَإِنَّهُ لَكِنْتُبٌ عَزِيزٌ﴾ (٤١) ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (٤٢) ﴿[فصلت: ٤١-٤٢].

فسبحان من لا حد لقدرته، ولا حد لخلقته، ولا حد لعطائه: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٧) ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعْثَكُمْ إِلَّا كُنْفُسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٢٨) ﴿[لقمان/ ٢٧-٢٨].

فالله أكبر! ما أعظم عزته! وما أعظم ملكه وسلطانه! وما أعظم أسماؤه وصفاته جل  
 جلاله، هو العزيز الواحد الذي لا شريك له، الأحد الصمد الذي له الأسماء الحسنى،  
 والصفات العلى، وليس لذاته كيف، ولا لأسمائه وصفاته كيف؛ لأننا لا نعلم كيفية  
 ذاته، فلا نعلم كيفية صفاته: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (٢) ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (٣) ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٤) ﴿[الإخلاص: ١-٤].

هو العليم بكل شيء، القادر على كل شيء، السميع لكل شيء، أما المخلوق فهو يسمع  
 شيئاً دون شيء، ويعلم شيئاً دون شيء، ويرى شيئاً دون شيء فلا إله إلا الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) ﴿[الشورى/ ١١].





هو العزيز الذي لا يعجزه شيء: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسَبَّحَنَ الَّذِي يَبْدَاهُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

فنسبحة ونزّه أن يكون له شريك أو مثيل، ننزهه عن صفات النقص والعيب، ننزهه عن صفات الكمال في البشر، فلان قوي، فلان عزيز، فلان قادر، هذه صفات المخلوقين، الله ﷻ وهبهم إياها، فننفي عنه صفات المخلوقين، فلا نشبه الله بخلقه، لأن الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

ما في الناس من الصفات فهي مخلوقة، الله خلق الذوات، وخلق الصفات، وخلق الأعمال، لكن توجيه الأعمال الله ﷻ وكلها إلى الناس، فمنهم من يختار الإيمان، ومنهم من يختار الكفر، ومنهم من يطيع الله، ومنهم من يعصي الله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان: ٢-٣].

وبهذا الاختيار صار الناس فريقين: مؤمنون وكفار، أبرار وفجار، ولا يقع في ملك الله إلا ما يريد، وما يأذن به، فالله ﷻ أراد من المؤمن كونًا وشرعًا أن يكون مؤمنًا، وأراد من الكافر كفره كونًا لا شرعًا، بل الله ﷻ لا يرضى لعباده الكفر، بل أمرهم بالإيمان: ﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وإنما الكافر هو الذي أراد الكفر، وأذن الله ﷻ له، واختار هذا العبد ما أذن الله به: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكَرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان: ٢٩-٣١].

فكل إنسان يختار بعقله ما يسعده في الدنيا والآخرة؛ فالمؤمن اختار الله ودينه؛ لينال ثوابه، وينال السعادة في الدنيا والآخرة، والكافر اختار هواه وشهوته، فاقرن به الشيطان، فنقله من معصية إلى بدعة، إلى كبيرة، إلى كفر وهكذا: ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ [النساء/ ٣٨].

والله ﷻ عزيز، ولا يرضى لعبده أن يكون ذليلاً، بل يريد له أن يكون عزيزاً، عزيزاً بين

خلقه، ذليلاً بين يديه، منكسراً بين يديه، مفتقراً إليه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ [المؤمنون/ ١-٢].

خاشعون لعظمة العزيز وكبريائه، يشعرون بحسن إنعامه، وإفضاله وإحسانه، يعبدون الله ﷻ كأنهم يرونه، يرونه ملكاً، عظيماً، عزيزاً، قاهراً، قادراً، كريماً، لطيفاً، محسناً، رؤوفاً، قريباً، مجيباً، ولهذا الله ﷻ أمرنا بالإكثار من ذكره، وكثرة ذكر الله ﷻ تجعل الإنسان يعبد الله كأنه يراه، وبكثرة ذكر الله ﷻ؛ تزول الظلمة البشرية، فكل شيء في الكون مظلم إلا ما اتصل بالله، فالمؤمن لما اتصل بالله ﷻ استنار قلبه بالتوحيد والأعمال. فهذه الأمة ربها نور: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور/ ٣٥].

ودينها نور: ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ [التغابن/ ٨].

وكتابتها نور: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة/ ١٥].

فهذا النور إذا دخل في القلب؛ استنار بنور التوحيد والإيمان؛ فأشرق بالنور الذي يعرف به الخير من الشر، والحق من الباطل، وما يجب الله، وما يسخط الله: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزمر/ ٢٢].

وبهذا النور يرى الخالق يخلق ما يشاء، يرى الرزاق يرزق من يشاء، ويرى الناصر ينصر أوليائه، ويرى القاهر يقهر من يشاء، ويرى العزيز في ملكه يدبر الرياح، ويدبر الملك كله، ويقهر الأعداء، ويقصم الجبابرة.

فنور البصر والبصيرة نعمتان من الله ﷻ، بالبصر ندرك الأشياء المحسوسة، وبالبصيرة نصل من الأرزاق إلى الرزاق، ومن النعم إلى المنعم، ومن المخلوقات إلى الخالق، ومن الصور إلى المصور، هذا ما يتميز به المؤمن الذي آمن بربه، وعبده وحده لا شريك له: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

هو سبحانه الملك العزيز الذي يحتاج كل أحد إليه في كل شيء، خلقاً وإيجاداً، وأمرًا

وتدبيراً، وإمداداً وقوتاً: ﴿بِأَيِّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١٥)

هو الملك العزيز الذي خلق كل شيء في ملكه، ويحتاجه كل شيء، في كل شيء: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وأمرًا: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَىٰ أَيْلُ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

أوامر التصريف، والتدبير، والتحريك، والتسكين، والتقليب بيده وحده: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾﴾ [النور: ٤٤].

أوامر التحريك والتسكين والتصريف والتغيير بيد العزيز، المالك لكل شيء، القادر على كل شيء، العليم بكل شيء: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾﴾ [تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران: ٢٦ - ٢٧].

ما دتم فقراء محتاجين فاسألوا الغني، ضعفاء اسألوا القوي، عاجزين اسألوا القادر على كل شيء، أدلة أمنوا بالعزيز ليعزكم، فيكم الجهل اسألوا العليم، وهكذا الله ﷻ خلق الإنسان، وجعله محتاجاً إلى ربه في كل حال، فليعبده وحده، لأنه الذي خلقه وحده، ورزقه وحده: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الذي جعل لكم الأرض فراشاً والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].

فلا عزة إلا من العزيز وحده لا شريك له، فالأنبياء كلهم أعزة؛ لأن جميع الناس بحاجة إليهم، وإلى علمهم، فإن العزيز جل جلاله جعلهم أبواب رحمة، وأبواب فضله وأبواب إحسانه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [الجمعة: ٢].

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة/ ١٢٨].

الأنبياء كلهم أعزة، لماذا؟ لأن جميع الناس بحاجة إليهم؛ فلا يمكن لأحد أن يعبد الله، ولا يمكن لأحد أن يدخل الجنة؛ إلا باتباع الأنبياء والرسل؛ لأن جميع الناس بحاجة إلى علوم الأنبياء والرسل، فإن العزيز جل جلاله جعلهم أبواب رحمته: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء/ ١٠٧].

وأبواب هدايته: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى/ ٥٢].

وأبواب فضله وأبواب إحسانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

فالعزة لله جميعاً، ومن عزته أعز رسله، وأعز أوليائه؛ لأنه العزيز الذي يهب العزة لمن شاء من خلقه ممن آمن به وأطاعه: ﴿وَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يونس: ٦٥].

فسبحان العزيز الذي له ملك السموات والأرض لا إله غيره، ولا رب سواه.

وكلما اشتدت الحاجة إلى أحد فهو عزيز، فالملك عزيز؛ لأن الناس بحاجة إليه في أمور الدين والدنيا، والعالم عزيز؛ لأن الناس بحاجة إلى علمه؛ لأن العالم يصل الخلق بالخالق، ويعلم الناس ماذا يرضى الخالق، وماذا يريد الخالق من خلقه، والمؤمن عزيز، لأنه آمن بالعزيز: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

ومن عرف العزيز، وعرف أنه عبد للعزيز؛ لم يذل نفسه لمخلوق كائناً من كان، فلا عزة إلا من عند العزيز، من عرف العزيز لم يقف بباب الدليل، ومن عرف الغني لم يسأل الفقير، ومن عرف القادر لم يستعن بالعاجز، ومن عرف الكريم لم يقف بباب النجيل: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُتَوَلِّكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

واعلم أنك كلما قطعت طمعك من الناس أعزك الله، وكلما مرغت وجهك في السجود

للعزيز أعزك الله، وكلما طمعت فيما عند الله أحبك الله وأعزك، وكلما طمعت فيما عند الناس، أذلوك وكرهوك: ﴿فَاقْمْ وَّجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لَهُ لِيَخْلُقَ اللَّهُ ذَلِكَ أَلَيْسَ أَلْفَيْمٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

والله ﷻ هو الملك العزيز الذي خزائن العزة كلها عنده، خزائن العلم عنده، خزائن الرزق عنده، خزائن الأموال عنده، خزائن الأخلاق عنده، ومن أراد العزة بغيره فهو ذليل: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْزَرُ﴾ [فاطر/ ١٠].  
هو سبحانه العزيز الذي له جميع معاني العزة من جميع الوجوه.

فله عزة القوة، وعزة الغنى، وعزة القهر، وعزة الامتناع، وعزة العلو.  
له عزة القوة فالله ﷻ هو القوي وحده لا شريك له، وكل ما سواه ضعيف: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٤].

وله عزة القهر هو سبحانه الواحد القهار، وله عزة الامتناع، فلا يصل إليه أحد، وعزة العلو: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨].  
وله عزة الغنى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [لقمان: ٢٦].  
فيسمى الله عزيزاً والإنسان عزيزاً، لكن عزة الله ﷻ مطلقة لا مثل لها ولا شريك له، فسبحان العزيز الذي له معاهد العزة كلها، وجميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي مقهوره للعزيز الجبار، خاضعة لعظمته، منقادة لأمره، مستجيبة لمشيئته، مسرعة إلى إرادته: ﴿مَنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود/ ٥٦].

وله عزة الامتناع؛ فهو الغني عن كل أحد، العلي على خلقه، وكل ما سواه دونه وهو الغني بذاته، فلا يحتاج إلى أحد، بل كل أحد محتاج إليه، وهو القادر على كل أحد، ولا يقدر عليه أحد: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطٰنٍ بِهٰذَا أَنْتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يونس/ ٦٨].

سبحانه هو العزيز الذي له العزة جميعاً، وله الخلق كله، وله الأمر كله، وبيده مقاليد السموات والأرض: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ

أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤].

وكل هذا يحتاج إلى عزة، وإلى قوة، وإلى قدرة، وإلى علم: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١].

له جل جلاله الخلق كله، خلق السموات والأرض، خلق العرش والكرسي، خلق الشمس والقمر، خلق الفضاء، خلق الأرض، خلق الجبال، خلق البحار، وله الأمر كله، وأوامر الخلق، والتدبير، والتصريف، والتغيير، له الأوامر الكونية كلها.

هو العزيز الذي له الأوامر الكونية في ملكه العظيم: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٤٠].

وله الأوامر الشرعية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

هو الذي أنزل على عباده أوامره الشرعية، الأوامر والنواهي، والحلال والحرام.

وله الأوامر الجزائية، فالله ﷻ رتب على الأوامر الشرعية الوعد والوعيد، فله سبحانه الأوامر الملكية الكونية، وله الأوامر الإلهية الشرعية، وله الأوامر الجزائية، بالوعد والوعيد: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩١﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾﴾ [المائدة: ٩ - ١٠].

فمن أراد العزة في الدنيا والآخرة؛ فليؤمن بالعزيز الرحيم، العزيز الحكيم، العزيز الغفور، ويطلب العزة من رب العزة متوسلاً إليه، بالعمل بما يحبه ويرضاه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ۗ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يُبَوَّرُ ﴿١٠﴾﴾ [فاطر: ١٠].

فالله ﷻ أمرنا بمعرفة أسمائه وصفاته؛ لنعبده بمقتضى هذه الأسماء، وليكون لنا حظ من هذه المعرفة، فنعبد الله ﷻ بمقتضاها؛ فمن أراد العزة فيسأل العزيز، ومن أراد العلم فيسأل العليم، ومن أراد الشفاء فيسأل الشافي، ومن أراد الرزق فيسأل الرزاق وهكذا: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فسبحان الملك العزيز الذي انقادت له جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي، العزيز الذي لا يمتنع عليه شيء منها، من جماد ونبات وحيوان، ومن الملائكة والجن والناس أجمعين: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨].

هو سبحانه الملك الحق، الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ، مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤)﴾ [الحشر: ٢٣-٢٤].

هو سبحانه العزيز الغني الحميد، الذي جميع مخلوقاته تسبح بحمده وتشهد بوحدانيته، جميع مخلوقاته مسرعة إلى إرادته، مفتقرة إليه، متصاغرة لكبريائه، ذليلة بين يديه: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (٤٣) تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٤٤)﴾ [الإسراء: ٤٣-٤٤].

واسم الله العزيز من صفات الذات، فالعزة صفة ذاتية لله، فهو العزيز أبداً، العزيز الذي لا تنفك عنه العزة أبداً، ومن صفات الأفعال؛ لأنه عزيز يعز من يشاء، ويذل من يشاء. فأما دلالة على الذات فهو سبحانه العزيز الغني، العظيم القدر والشأن، القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، فهذه الصفات ذاتية له لا تنفك عنه أبداً، وليس لها تعلق بالمشيئة، هو قادر أبداً، عليم أبداً، قوي أبداً، عزيز أبداً: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٦٥)﴾ [يونس / ٦٤].

وهو سبحانه العزيز الذي يعز من يشاء، ويذل من يشاء، يعز أوليائه، ويذل أعداءه متى شاء، وهذه صفة فعل: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تَوَكَّلْ عَلَى الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٦٦)﴾ [آل عمران / ٢٦].

فصفة الفعل متعلقة بمشيئته، أما صفة الذات فهي صفة لازمة له؛ فالله عزيز بذاته، وصفة العزة لا تنفك عنه أبداً، هو العزيز وحده لا شريك له، وكل ما سواه ذليل صغير



بين يديه.

هو سبحانه العزيز العظيم الشأن، الذي لا مثل له، ولا شبيه له، العزيز الواحد الأحد، فليس في الكون إلا عزيز واحد، لا شريك له، العزيز الذي يفتقر الخلق كلهم إليه، العزيز الذي لا يمكن الوصول إليه، هو العزيز الذي لا يمكن إدخال مكروه عليه؛ فما شاء كان، وما لم يشأ لا يكون أبدًا: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ [يس: ٨٢-٨٣].

هو العزيز في قوته فلا يصمد أمامه شيء، العزيز الصمد الذي صمد لجميع حوائج الخلق، العزيز الملك الذي قهر كل ما سواه: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾ وَوَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ [الصفات/ ١٨٠-١٨١].

هو سبحانه العزيز الذي له العزة جميعًا كما له الملك جميعًا كما له الخلق جميعًا، العزيز الذي لا يضام جاره، ولا يذل أنصاره، هو العزيز الذي منع الأبصار أن تدركه، ومنع الأوهام أن تكيفه، فلا إله غيره ولا رب سواه.

هو العزيز المعز لغيره فمن أعزه الله فهو عزيز، ومن أذله الله فهو ذليل، يعز بأسباب الذلة كما أعز الأنبياء والرسل وأتباعهم من المؤمنين مع أنه ليس معهم من أسباب العزة الظاهرة شيء، ليس معهم من الأموال والأشياء شيء، ولكنه عزيز يعز عباده بما شاء: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿١٢٣﴾ [آل عمران/ ١٢٣]. فالعزة الوهمية في الأموال والأشياء، وأما العزة الحقيقية، فليست إلا من العزيز وتحصل بالإيمان والأعمال الصالحة: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون/ ٨].

فمن أراد أن يكون عزيزًا في الدنيا والآخرة؛ فليتصل بالعزيز، وليمثل أمر العزيز؛ لينال يوم القيامة ثواب العزيز: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٧٢﴾ [التوبة: ٧٢].

هو سبحانه العزيز الذي يذل بأسباب العزة كما أذل فرعون مع أن عنده الملك والمال، وأذل قارون مع كثرة ماله، وأهلك قوم نوح مع كثرتهم، ودمر قوم هود مع قوتهم،

وأهلك قوم صالح مع صناعتهم، وأهلك قوم شعيب مع تجارتهم، ودمر قوم سبأ مع زراعتهم. لماذا؟ لأنه العزيز الغالب لكل غالب: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ ﴿٥٩﴾ [الكهف/ ٥٩].

هو العزيز الذي إذا أراد شيئاً فعله: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ [العنكبوت/ ٤٠].

خزائن العزة بيده وحده؛ فهو جل جلاله يعز من يشاء بالإيمان والطاعة، ويذل من يشاء بالكفر والمعصية؛ لأنه حكيم يضع الشيء في موضعه.

فسبحان العزيز الذي له العزة جميعاً بكل اعتبار، هو سبحانه العزيز الذي من كان معه نصره؛ لأنه الغالب الذي لا يغلب: ﴿وَلْيَصْطُرْكَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٤٠﴾ [الحج: ٤٠].

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ ﴿١٧٣﴾ [الصافات/ ١٧١-١٧٣].

سبحانك لا إله إلا أنت، لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، والنفوس مجبولة على حب الكمال، والتعلق بأهل الكمال، والسعي لتحصيل الكمال، فمن أراد الكمال والعزة فليتعلق بالعزيز الذي بيده العزة كلها، ولا يتعلق بأحد سواه: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرِنَكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء: ٢١٦-٢٢٠].

والله سبحانه هو العزيز الغالب على أمره وعلى خلقه، وعلى كل شيء: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢١﴾ [يوسف/ ٢١].

هو الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد يعز بأسباب الذلة، ويذل بأسباب العزة، وينجي بأسباب الهلاك، ويهلك بأسباب النجاة؛ لأنه العزيز القادر على كل شيء، الذي لا يمتنع عليه شيء: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٣﴾ [يونس: ٣].

فسبحان العزيز الذي لا مثيل له، ولا شريك له، العزيز الذي يحتاج إليه كل شيء، في كل

شيء العزيز الذي لا يمكن الوصول إليه إدراكًا وإحاطة؛ لأنه محيط بكل محيط: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٢﴾ [الطلاق/ ١٢].

فالعلم بالله وأسمائه وصفاته مقدم على العلم بأمره، فلا يعبد الله ﷻ من خلقه إلا من عرفه بأسمائه وصفاته وأفعاله، هذا العبد حقًا الذي يعبد ربه حقًا بالتعظيم له والذل له والحب له: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩].

الله ﷻ عزيز لا يمكن الوصول إليه إدراكًا وإحاطة؛ لأنه المحيط بكل محيط، لكن يمكن أن تعرفه وتطيعه، وتعبده إذا آمنت به، وامثلت أمره، ومن رحمة العزيز بالإنسان أن جعل الدنيا لا تمد الإنسان بمتعة دائمة، بل بمتعة ناقصة مشوبة بالكدر؛ لئلا يركن إليها: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ ﴿٤﴾ [البلد/ ٤].

فكل أموره بالمجاهدة، فكل شيء يحصل عليه الإنسان من ألوان النعيم يملكه الله ﷻ، وكل ما يتحصل عليه الإنسان من النعم يملكه، إلا الله ودينه، لماذا؟ لأن المخلوق يُمل، لكن الله ﷻ أمرنا بذكره دائمًا فلا نمل من ذكره أبدًا، تسييحًا وتقديسًا وحمدًا وشكرًا واستغفارًا: ﴿وَأَنِ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ ﴿٤٢﴾ [النجم/ ٤٢].

فمن عرف العزيز توجه إليه بالتعبد، وامثل أمره في الدنيا؛ ليكون بالقرب منه يوم القيامة: ﴿إِنَّ الْمُنَاقِبِينَ فِي جَنَّتِ وَنَهْرٍ﴾ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

هو سبحانه الحي القيوم، الذي كل حي من آثار اسمه الحي، وكل رزق في الكون من آثار اسمه الرزاق، وكل عزيز من آثار اسمه العزيز: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِكَ تُؤْمِنُونَ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخَذْنَا مِنْهُم مِّنَ الطَّيْرِ فَصَرَّفْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ جَعَلْنَا عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْأً ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَعَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٦٠﴾ [البقرة/ ٢٦٠].

أخذ الطيور الأربعة وقطعها، ثم وضعها على مجموعة جبال ثم دعاها فجاءت؛ لأن الله ﷻ هو العزيز، الذي لا يمتنع عليه شيء، هو الخلاق الذي يستعمل قدرته بالأسباب،

وبدون الأسباب، وبضد الأسباب.

يستعمل قدرته بدون الأسباب: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس / ٨٢].

ويستعمل قدرته بالأسباب، كما يُنزل الماء على الأرض فتنبت؛ وكما يحصل الولد بالنكاح، ويستعمل قدرته بضد الأسباب، كما ربي نبيه موسى ﷺ في قصر فرعون، وكما جعل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم، وكما جعل البحر الذي هو موطن الهلاك موطنًا للنجاة وموطنًا للهلاك، في آن واحد، في وقت واحد، في بحر واحد كما حصل لموسى وفرعون؛ فالله أنجى موسى فتح له البحر بقدرته، ثم دخل فرعون، ثم انطبق البحر عليه، فهذه قوة لا إله إلا الله، فمعرفة العزيز تغنيك عن كل ذليل، وعن كل مخلوق، فمن اتصل بالعزيز كان الله معه فرزقه ونصره: ﴿وَلْيَنْصُرْكَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج / ٤٠].

وأسماء الله ﷻ واحدة في الدلالة على الذات، فالله غفور رحيم، شكور، كريم، لطيف، عزيز، حكيم، ملك، أسماء الله ﷻ كلها دالة على ذات الله، فيقال: عبد الله، عبد الكريم، عبد العزيز، عبد الرزاق، عبد اللطيف، كلها أسماء دالة على ذات الله ﷻ، ودالة على صفة من صفاته فهو العزيز الذي يعز، الملك الذي يملك، الرزاق الذي يرزق، الخلاق الذي يخلق، أسماء الله ﷻ واحدة في الدلالة على الذات مختلفة الصفات، فالكريم غير القوي، والرحمن غير الجبار... وهكذا: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

واسم الله العزيز دال على ذات الله، وعلى صفة العزة له؛ ولهذا أمرنا الله ﷻ أن ندعوه بأسمائه الحسنَى، باعتبار ما تضمنته من الصفات، بحسب حاجة العبد إلى ذلك. فالخائف يسأل الله ﷻ باسمه المؤمن، يسأل المؤمن الذي يملك الأمن، وخزائن الأمن، وكل أمن بيده: الأمن السياسي، الأمن الاقتصادي، الأمن الصحي، فالذي يخاف يسأل الله باسمه المؤمن، أن يؤمنه من الخوف في الدنيا والآخرة، والضال يسأل الله الهادي، أن يهديه باسمه الهادي، فالهادي واحد، والجاهل يسأل العليم سبحانه أن يعلمه، والفقير يسأل الغني أن يغنيه، والمريض يسأل الشافي أن يشفيه.. وهكذا: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى

فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

والهداية بيد الهادي، والرزق بيد الرازق، ولكننا نحن مأمورون بأوامر الدعوة، ندعو الناس، لعل الله ﷻ أن يهديهم: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أْتَهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة/ ٣].

ثم: ﴿يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].  
والمحتاج لشيء يسأل الله ﷻ باسمه الغني؛ فيقول: اللهم أغنني بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عن سواك، والعاجز يسأل الله باسمه القادر، أن يمدّه بالقدرة والعون، والمريض يسأل الشافي أن يشفيه من أمراض القلوب والأبدان، وعند السؤال يسأل الله باسمه المجيب؛ لأنه يعلم أن ربه قريب مجيب: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فلا تتوجه لغير الله؛ فليس بيده شيء أصلاً المخلوق ما كان شيئاً حتى يفعل شيئاً، أو يملك شيئاً، بل هو مملوك لله ﷻ: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١].

فاسأل الملك العظيم الذي بيده كل شيء، وهذا معنى التعبد لله ﷻ بأسمائه الحسنى، فعند السؤال يسأل العبد ربه باسمه المجيب أو الكريم أن يعطيه، وعند الضعف يسأل الله باسمه القوي أن يهبه القوة، وعند الذلة يسأل ربه العزيز أن يعزه، وهكذا: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

والعزة وصف ذات الله لا تنفك عنه أبداً؛ فهو العزيز وكل ما سواه ذليل، والإعزاز وصف فعله، فهو العزيز الذي يعز من يشاء، ويذل من يشاء في أي وقت شاء.  
وعزة الله من إضافة صفة إلى موصوف؛ فالله قوي عزيز، عزة الله، قدرة الله، رحمة الله، كلها من إضافة صفة إلى موصوف وهو الله.

وعزة المخلوق من إضافة مخلوق إلى مخلوق، فعزة المخلوق مخلوقة، ورحمة المخلوق

مخلوقة، الله خلق مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة إلى أهل الأرض، فيها يتراحون؛ فعزة المخلوق، وقوة المخلوق، ورحمة المخلوق؛ هذه من الله، لكنها مخلوقة، عزة المخلوق من إضافة مخلوق إلى مخلوق.

فالله هو الذي وهب العزة للأنبياء والرسل والمؤمنين على قدر شأنهم، وهبهم عزة تليق بهم، وشتان بين عزة الخالق والمخلوق، فعزة الله ذاتية مطلقة، وعزة المخلوقة ناقصة موهوبة، محدودة، وشتان بين عزة الخالق وعزة المخلوق؛ فعزة الخالق أزلية أبدية ذاتية، وعزة المخلوق من إضافة مخلوق إلى مخلوق، عزة الخالق في ربوبيته، فهو رب العالمين، رب السموات، ورب الأرض رب العالمين، عزة الخالق في ربوبيته، وعزة العبد في عبوديته لربه، فمن أراد العزة فليطلبها من العزيز: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُورِثُ﴾ ﴿١٠﴾ [فاطر: ١٠].

والعزيز واحد لا شريك له، والكبير واحد لا شريك له، والخالق واحد لا شريك له، فهو سبحانه الواحد الأحد، الذي لا يشاركه أحد في أسائه، وصفاته وأفعاله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٤﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

وقال ﷺ عن ربه: «العزُّ إزاري، والكبرياءُ ردائي، مَنْ يُنَازِعْنِي عَدْبَتُهُ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

فالعزُّ إزاره جل جلاله، والكبرياءُ رداؤه، فلا ينازعه أحد في ذلك.

فسبحان الله! ما أعظم عزته! وما أوسع رحمته! وما أعظم ملكه! ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾ ﴿وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿١٨١﴾ ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٨٢﴾ [الصافات/ ١٨٠-١٨١].

فالله سبحانه يسمى بالعزيز؛ لأنه ورد في القرآن والسنة، ولا يسمى بالمعز ولا بالمدل؛

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢٠).

لأنه لم يرد في القرآن والسنة، لكن الإعزاز صفتة؛ فهو يعز من يشاء، ويذل من يشاء.  
 فالله ﷻ عزيز قوي عليم قادر على كل شيء، فرغ الله إلى كل مخلوق من خمسة أشياء: من  
 رزقه، وأجله، وعمله، وشقي، أو سعيد.

وفرغ الله ﷻ من أرزاق الخلائق وقسمها كميةً، ونوعيةً، ومكانًا، وزمانًا، فرغ الله من  
 أرزاق جميع الخلق، كمية عدد رزق فلان، ونوعية، من الطعام كذا، ومن العقار كذا، من  
 النباتات كذا وهكذا، فرغ الله من أرزاق الخلق من أربع جهات، كميةً ونوعيةً ومكانًا  
 وزمانًا، يرزق فلان في الشهر الفلاني، في المكان الفلاني، في اليوم الفلاني؛ لأن الله ﷻ هو  
 الرزاق العزيز، الذي يوصل كل رزق بكميته ونوعيته في مكانه وزمانه بقدرته؛ لأنه  
 العزيز الذي لا يمتنع عليه شيء: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ  
 مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ  
 الْمَتِينِ ﴿٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

والله ﷻ يريد منا أن نتصل بالعزيز لنكون أعزة في الدنيا والآخرة: ﴿ وَاللَّهُ أَعَزُّ  
 وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون/ ٨].

الله ﷻ خلق الإنسان بيده، ونفخ فيه من روحه، وأكرمه بأنواع الكرامات، يريد له أن  
 يكون عزيزًا: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ  
 وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء/ ٧٠].

هو سبحانه العزيز العليم بجميع مقادير الحاجات، كميةً ونوعيةً، فهو العليم بمراتب  
 الضرورات، إذا اضطر الإنسان استغاث بربه، استغاث بالعزيز، الذي يعلم بالضرورة  
 قبل أن تقع، لكن يتلي بها العبد؛ لينظر أين يتوجه في قضاء حاجته.

يتوجه إلى العزيز أم إلى الذليل؟ يتوجه إلى الضعيف أم إلى القوي؟ يتوجه إلى العاجز أم  
 إلى القادر؟ الله ﷻ يتلي ليعافي، ولينظر إلى أين يتوجه الإنسان، إلى المخلوق أم إلى  
 الخالق؟ إلى العزيز أم إلى الذليل؟

فإن توجه إلى العزيز؛ قضى حاجته فورًا، فإبراهيم ﷺ استغاث بالله لما أرادوا أن يلقوه في  
 النار، فالله ﷻ أعزه فورًا، وأنجاه من النار: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾  
 وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ [الأنبياء: ٦٩-٧٠].

هو ضحى بالحياة؛ فوهب الله له الحياة في النار، وضحى بالبلد؛ فالله أعطاه أحسن بلد مكة، وضحى بالولد إسماعيل؛ فأحيا الله الولد، وأخرج من نسله أفضل ولد وهو سيد الأنبياء والرسل محمد ﷺ، وضحى بأبى الولد وتركها في مكة بواد غير ذي زرع، فالله جعلها أمًا للعرب، وجعل خطواتها نسكًا يتعبد به في الحج والعمرة إلى يوم القيامة. فهذا هو العزيز جل جلاله، الذي يعز من توجه إليه فورًا، هو العزيز الذي خلق موسى، ثم أمر أمه أن تلقيه في البحر، ثم يلتقطه عدوه فرعون، ثم رباها فرعون عدوه، فربى الله ﷻ وليه في قصر عدوه، حتى عاد إلى مصر عزيزًا مكرمًا.

فالعزة بيده جل جلاله، هو العزيز العليم بمراتب الضرورات، يعلم بالمرأة حين تلد أو عند الولادة، فيخرج المولود من بطن أمه بقدرته: ﴿ثُمَّ السَّيْلَ يَسَّرُهُ﴾ [عبس/ ٢٠]. ولكن لضعف اليقين جاءت الآن العمليات، لاستخراج الجنين من بطن أمه، كأن العزيز الذي خلقه في الظلمات ليس بقادر على أن يخرجها، ولكن الإنسان خلق عجولاً: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦].

هو سبحانه العليم بمراتب الضرورات، هو أرحم بالعبد من نفسه، هو القادر على قضاء الحاجات، ودفع الكريهات، لا يشغله شأن عن شأن، ولا سؤال عن سؤال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [٥] هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [٦] [آل عمران/ ٥-٦].

هو سبحانه العزيز العليم، التقدير الذي خلق الذرات، والمجرات، والعالم العلوي والعالم السفلي، والدنيا والآخرة، وخلق الإنسان وصوره في ظلمات الأرحام من نطفة ثم جعله حيًا سميعًا بصيرًا يأكل ويشرب، ويقوم ويقعد ويتكلم ويسكت، ويأمر وينهى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٦] [آل عمران/ ٦].

تأمل في أفعال العزيز في ملكه العظيم، سماواته وأرضه، وشمسها وقمره، وجباله وبحاره، ونباتاته وأشجاره، وحيوانه وطيوره، وهواؤه ورياحه، وجنه وإنسه، والملائكة المسبحين في السموات والأرض: ﴿وَأَيُّهُ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ [٣٧] وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ [٣٨] وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ



حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ  
وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴿يس: ٣٧-٤٠﴾.

هذه أفعال العزيز: ﴿١﴾ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْتُمْ أَرْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا  
نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا  
﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَابًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا  
﴿١٥﴾ وَجَنَّتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتَنَا ﴿١٧﴾ ﴿النبأ: ٦-١٧﴾.

هو العزيز الحكيم، هو العزيز الذي معاهد العزة بيده وحده لا شريك له، ومفاتيح  
أبواب الخير بيده، فلا عزة لأحد إلا إذا عزه الله العزيز.

فكن عبد العزيز: ﴿١﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ  
الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ، وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْزَرُ ﴿١٠﴾ ﴿فاطر: ١٠﴾.

والعزة بالإيمان بالعزيز، بعبادة العزيز وحده لا شريك له، وأما الإعراض عن الله ﷻ  
فهو ذلة: ﴿١﴾ بَشِيرُ الْمُنْفِقِينَ بَأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ  
الْمُؤْمِنِينَ أَيْبِنَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ ﴿النساء: ١٣٨-١٣٩﴾.

ماذا حصل لعزة فرعون، وعزة قارون؟ وعزة الأمم السابقة الذين افتخروا بكثرتهم، أو  
بقوتهم، أو تجارتهم، أو صناعتهم، أو زراعتهم؟ أخذهم الله ﷻ بذنوبهم: ﴿١﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ  
وَإِسْرَائِيلَ بِالنَّارِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ  
عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ  
أَعْمَارٌ نَحْلٌ حَاوِيَةٌ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكْتُ بِالْخَطِئَةِ  
﴿٩﴾ فَعَصَا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلَتُكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا  
لَكُمْ تَذَكُّرًا وَتَعْيِبًا أُنْزِلْنَاهُ بِرَبِّهِ ﴿١٢﴾ ﴿الحاقة: ٤-١٢﴾.

لا إله إلا الله لا يفعل هذه الأفعال العظيمة الكبيرة إلا عزيز، في ملكه، وخلقها، وأمره،  
وتدبيره، وتصريفه: ﴿١﴾ مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ فَكْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴿الحج: ٧٤﴾.

فالحمد لله أن جعلنا عبداً له، ومن كان عبداً للعزيز فهو عزيز، وكما جعل الله الشمس  
مصدراً للنور، والسحب مصدراً للمياه، والأرض مصدراً للنبات، فكذلك العزيز

جعل العزة للخلق بيده وحده، والرحمة بيده وحده، فمن أراد الرحمة فليسأل الرحمن، ومن أراد العزة فليسأل العزيز، ويعبد العزيز وحده لا شريك له: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران/ ٢٦].

هو العزيز الذي أعزك خلقاً، فخلق أباك آدم بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلِقُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ﴾ [٧١] فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ [ص: ٧١ - ٧٤].

هو العزيز الذي أعزك ديناً؛ فجعلك عبداً للعزيز، الذي له العزة جميعاً، يريدك ذليلاً بين يديه، عزيزاً بين الناس، عزيزاً بين الأعداء، وما ذلت أمة الإسلام إلا بسبب خضوعها للذليل والأذلة من اليهود والنصارى الذين أذهم الله بسبب كفرهم وظلمهم.

والخضوع للذليل ذلة، والخضوع للعزيز عزة، فالؤمنون أعزة بسبب خضوعهم للعزيز، فإذا تركوا الدين أذهم الله للذليل، فبنو إسرائيل لما عرضوا عن دين الله العزيز؛ أذهم الله بفرعون يذبح أبناءهم، ويستحيي نساءهم، وكفار مكة لما عرضوا عن دين الله العزيز، أذهم الله بالفرس والروم، حتى جاءهم من العزيز العليم رسول منهم، فأعزهم الله بالإسلام: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة/ ٢].

كانوا قبل الإسلام أذلة؛ لأن فيهم الجاهليات التي أذلتهم، جاهلية الكفر، جاهلية الشرك، جاهلية الظلم، جاهلية الفساد، جاهلية الجهل، ولهذا الله ﷻ أعزهم بالإسلام بأن نقلهم من الشرك إلى التوحيد، ومن الجهل إلى العلم، ومن الفرقة إلى الوحدة، ومن الظلم والعدوان إلى العدل والإحسان: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء/ ١٠]. فلتصل بالعزيز، لتكون أعزة في الدنيا والآخرة:

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

والكلام على اسم العزيز كلام عظيم جليل، وما أحوجنا إليه في هذا الزمان؛ لأننا نشعر بذلة على مستوى الأفراد والشعوب؛ لضعف الإيمان، فالإيمان ضعيف في القلوب،

وبتقويته بمعرفة الله وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ يأتي الخير والفلاح والعزة.

فالإيمان له أربعة جهود: جهد على تحصيله، وجهد على حفظه، وجهد على الاستفادة منه، وجهد على نشره: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩].

الله ﷻ هو القوي العزيز الرحيم، قوي لا يعجزه شيء، ولا يقف له شيء، عزيز لا يغلبه غالب، ولا يمنعه مانع، رحيم وسعت رحمته كل شيء: ﴿ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

ومن عرف ربه العزيز بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى؛ آمن به، وفوض أموره إليه، وتوكل عليه وحده لا شريك له، لماذا؟ لأنه القوي العزيز القادر على كل شيء، الملك الذي يملك كل شيء الغني الذي عنده خزائن كل شيء، الخلق كله، والأمر كله، والملك كله بيده وحده: ﴿ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ ﴿١٣﴾ [فاطر: ١٣].

هو الرزاق الذي جميع الأرزاق بيده، وجميع المرزوقين عبيده، ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ ﴿١٩﴾ [الشورى: ١٩].

بقوته وعزته خلق الأرزاق، وأوصلها إلى المرزوقين في كل زمان ومكان، لعالم الطير، ولعالم الحيوان، ولعالم الإنسان، ولغيرهم من المخلوقات التي لا يحصيها إلا الله: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٦﴾ [هود: ٦].

والنصر كله بيد العزيز: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿١٠﴾ [الأنفال: ١٠].

فالنصر ينزل من السماء، كما ينزل القطر من السماء، النصر من الناصر، والرزق من الرزاق، والعلم من العليم، والعزة كلها بيد العزيز وحده.

من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً، ومن عرف أن ربه عزيز؛ خاف منه، وابتعد عن معصيته، وأقبل على طاعته، فلا منجى ولا ملجأ من الله إلا إليه: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ

مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنَّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾

[الذاريات: ٥٠-٥١].

ومن عرف العزيز جل جلاله؛ أحبه وشكره لما يراه من نعمه وإحسانه، وعظمه وكبره لما يرى من كبريائه وعظمة مخلوقاته، وتوجه إليه بجميع أنواع العبادة التي يحبها ويرضاها، وما يطلبه العبد تحصيل محبوب، أو دفع مكروه، وذلك كله عنده جل جلاله، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع: ﴿وَأَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ ﴿٢١﴾ [الحجر: ٢١].

فمن عرف ربه أحبه وعظمه وكبره، وتوجه إليه بجميع أنواع العبادة التي يحبها ويرضاها، وتوجه بالحب والتعظيم والذل لربه ﷻ، واستشعر ذلك بقلبه، وفعله بجوارحه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال/ ١-٤].

التعبد لله ﷻ باسمه العزيز

من عرف ربه العزيز لجأ إليه في جميع أحواله، ولم يلتفت لأحد سواه، مهما تعدد البلاء، ومهما اشتدت البأساء وتقلبت الأحوال بين السراء والضراء، فتوجه إلى ربنا الحي القيوم، الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر/ ٦٥].

ندعوه لحاجتنا إليه، وهو غني عنا، نحتاجه في تحصيل كل محبوب ودفع كل مكروه، نحتاج إلى السعادة في الدنيا، والفوز بالجنة، والنجاة من النار يوم القيامة: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ﴿١٥﴾ [فاطر: ١٥].

فالحمد لله رب العالمين أننا نعبد رباً قوياً قادراً قاهراً غنياً عزيزاً جباراً ملكاً رؤوفاً رحيماً، ربنا ﷻ هو الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وقد دعانا لعبادته والتوجه إليه بكل عمل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

ومن آمن بالعزيز فهو عزيز، ومن كان في معية العزيز فهو عزيز؛ فالعزة في توحيد العزيز وعبادته وطاعته ومحبته واتباع أمره؛ لأنه العزيز الذي جعل العزة له ولأنبيائه والمؤمنين به: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨﴾ [المنافقون/ ٨].

وإذا عرفت ربك العزيز الرحيم؛ فتواضع له، وتذلل بين يديه، واعلم أنك من أفقر خلقه إليه، فبادر إلى الإكثار من ذكره وشكره وحسن عبادته والخشوع بين يديه، والخضوع والذل له: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٩﴾ [الزمر/ ٩].

وإذا عرفت ربك العزيز؛ فسارع إلى طاعته، ولا تستكبر عن عبادته، ولا تعجب بنفسك وقوتك وعلمك ومالك؛ فذلك كله من فضل الله عليك، وقد ابتلاك بما أعطاك؛ لينظر أطيعه بذلك أم تستكبر عن عبادته: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ﴿٦٠﴾ [غافر/ ٦٠].

ومن عرف ربه القوي العزيز؛ ذل له، ولم يؤذي أحداً من الخلق بقوله أو فعله، ولم يظلم من دونه، ولم يشتم أحداً، ولم يسخر من أحد؛ لأنه يعلم أن القوي العزيز يراه إن تحرك، ويسمعه إن تكلم، ويعلم بما في قلبه إن سكت، ويعلم أنه مهما ملك من قوة وسلطان

ومال، فإن الله مهيمن عليه وعلى غيره، وهو ضعيف أمام قوة العزيز الجبار: ﴿مَا كَذَرُوا  
 اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج / ٧٤].

عزيز لا يغلبه غالب، ولا يمتنع عليه ممتنع، عزيز بيده ملكوت السموات والأرض،  
 عزيز له العلو والشأن والرفعة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [هود: ٦٦].

هو العزيز المنيع الذي لا يغلبه غالب جل جلاله، ماذا فعل الله ﷻ القوي العزيز بمن  
 كفر به، ولم يؤمن بما جاءت به رسله، ماذا فعل الله ﷻ بهؤلاء الأقوام من الأمم السابقة،  
 الذين كفروا به، ولم يؤمنوا برسله جل جلاله؟ هؤلاء الذين كذبوا رسل الله ﷻ من عاد  
 وثمود: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِّنْ مَّسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ  
 أَعْمَلَهُمْ فصدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [العنكبوت / ٣٨].

وكذا فرعون وقارون وهامان: ﴿وَقُرُونًا وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ﴾ [العنكبوت / ٣٩].  
 بِالْبَيْتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ [العنكبوت / ٣٩].

فماذا فعل الله بهم العزيز، الذي له جنود السموات والأرض؟ والباطل جندي من جنود  
 الحق إذا ظهر قام عليه الحق، وقصمه؛ لأن العزيز معه، فهؤلاء الأقوام الذين تولاهم  
 العزيز، لما كذبوا رسله، ماذا فعل بهم؟ ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ  
 حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ  
 أَعْرَفْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

إذا فيجب على العبد أن يتصل بالعزيز، ولا يلتفت لأحد سواه، فكل ما سوى الله ﷻ  
 أقل وأذل من بيت العنكبوت، ليس بيده شيء: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ  
 أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ  
 كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت / ٤١].

فمن تعلق بغير الله مهما كان، فهو قد تعلق بأقل من بيت العنكبوت: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا  
 يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت / ٤٢].

ماذا فعل الله ﷻ بالأقوام السابقة الذين كذبوا رسله وكفروا به: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ  
 ٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ٨ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ

﴿١﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبَلَدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوِّطٌ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ ﴿[الفجر/ ٦-١٣].

ماذا فعل العزيز بأصحاب الفيل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ ﴿[الفيل/ ١-٥].

ماذا فعل العزيز بكل ظالم: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ ﴿[هود/ ١٠٢].

الله أكبر، ما أشد الجهل بالله ﷻ وأسمائه وصفاته، وما أخطر ترك العمل بشرعه والبعد عنه جل جلاله.

فأيها المسلم أنت عزيز إذا اتصلت بالعزيز، فتذلل لربك العزيز الكريم، راعيًا وساجدًا لتنال العزة في دينك ودنياك وآخرتك: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ ﴿[السجدة: ١٥-١٧].

فالعزة بطاعة الله، بالسجود لله ﷻ، بكثرة ذكره، بامثال أوامره.

قال النبي ﷺ لمن سأله عن مرافقته في الجنة: «أَعْنِي عَلَىٰ نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ» أخرجهم مسلم<sup>(١)</sup>.

فتذلل لربك العزيز، وتذلل لأولياء الله، ولأهل طاعته، واخفض جناحك للمؤمنين، وتعزز على من كفر وعاند واستكبر، وأصر على كفره: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ ﴿[المائدة/ ٥٤].

وقال النبي ﷺ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ

(١) أخرجهم مسلم برقم (٤٨٩).

أَحَدُ اللَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ» أخرجَه مسلم<sup>(١)</sup>.

هو سبحانه العزيز الذي أعز من آمن به، وصدقه، وعمل بشرعه، فعليك أن تخضع لعظمته وتسجد لكبريائه، وتذل لعزته، يهبك من عزته، وتعظم في عينه، وتعظم في أعين الناس، وتنال عزته في الدنيا والآخرة.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ [الحج / ٧٧].

وأعظم الخلق عزة من عبد العزيز، ودعا الناس إلى عبادة العزيز، والدخول في عزة العزيز: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ [فصلت / ٣٣].

فنصل الدليل بالعزيز لينال العزة منه، فالداعي إلى الله قائم بهذا العمل، يدعو الدليل إلى أن يسجد للعزيز جل جلاله؛ فيعطيه من عزته، ويدخل في مجموعة المؤمنين، فيكون عزيزاً، بعزة الله ﷻ وإعزازه له؛ لأنه آمن به وأطاعه: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨﴾ [المنافقون: ٨].

فاعبد العزيز وحده تكن عزيزاً، واخلع من قلبك عزة المخلوق من كان وحيث كان؛ فإنه فقير عاجز ذليل ضعيف.

وأكثر من ذكر الله بلسانك تكبيراً وتحميداً لربك العزيز، واخلع من لسانك تعظيم المخلوق إلا ما أمرك الله بتعظيمه.

وكن في جميع أوقاتك عابداً وراكعاً وساجداً لربك العزيز، ولا تشغل بدنك في خدمة من سواه، إلا ما أمرك العزيز به: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦١ - ١٦٣].

وكن بين يدي ربك العزيز خاشعاً ذاكراً باكياً: ﴿وَيَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ ﴿١٠٩﴾ [الإسراء / ١٠٩].

(١) أخرجَه مسلم برقم (٢٥٨٨).



لماذا؟ لأنهم عرفوا العزيز، وما يجب له، وعرفوا تقصير أنفسهم في عبادته؛ فهم يبكون أمام ربهم راعين ساجدين: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

وبقدر معرفة العبد لربه العزيز؛ يحبه الله ويعزه ويكرمه، وهو يجب ربه ويعظمه ويطيعه، بقدر معرفة العبد لربه يجب ربه ويعظمه ويطيعه، وبقدر جهله بربه تهون على العبد معصية الله، وتثقل عليه طاعته، وبقدر معرفة العبد وطاعته لله يحبه الله، ويعظم في عين الله، ويعظم في أعين الناس: ﴿ فَأَذِّنُ فِي أذْكَرِكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ﴾ ﴿١٥٢﴾ [البقرة/١٥٢].

فما أعظم العلم بالله، ولن يعبد الله حقًا إلا من عرفه حقًا: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد/١٩].  
وأحد أكبر أسباب العذاب النفسي والمرض النفسي، الذي يعاني منه كثير من الخلق، شيء واحد؛ هو التعلق بغير الله، وأن تجعل مع الله إلهًا آخر، فتكون في العذاب أبدًا، وفي الهم أبدًا، وفي البلاء أبدًا: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ ﴿٢١٣﴾ [الشعراء/٢١٣].

فلا تعبد الأصنام، ولا تعبد الهوى، ولا تعبد الشهوات.  
قال النبي ﷺ: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعَسَّ وَأَنْتَكَسَ، وَإِذَا شَيْكَ فَلَا أَنْتَقَشَ» أخرجه البخاري (١).  
فأكبر أسباب العذاب النفسي هو التعلق بغير الله، من النساء، أو الأشياء، أو القوة، أو المال، أو الدنيا، أو عبادة غير الله من الأصنام والأحجار أو غير ذلك: ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ ﴿٢٢﴾ [الإسراء/٢٢].

مذمومًا: لا حامد لك، مخذولًا: لا ناصر لك، وأعظم إله معبود من دون الله، هو اتباع

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٨٨٧).

الهوى الذي يصرفك عن اتباع الهدى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص/ ٥٠].

فليحمد العبد ربه العزيز الذي من عليه بهذا الدين الحق، وبينه له، وورغبه فيه، وأثابه عليه: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [١٨] ﴿إِنَّهُمْ لَن يَغْنَوْا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الجنات: ١٨-١٩].

ومن أعز الخلق؟ أعز الخلق هم من عرف الخالق، وفي مقدمة هؤلاء الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام؛ لأن الخلق كلهم في حاجة إلى علمهم، وقد جعلهم الله ﷻ أبواب رحمته وفضله وإحسانه: ﴿الَّذِينَ يَلْبِغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب/ ٣٩].

فأعز الخلق هم الأنبياء والرسل؛ فلنعرف لهم فضلهم ونتبعهم فيما بلغوه عن ربهم، واتباعنا للنبي ﷺ يجب أن يكون في خمسة أمور: في نيته، وفكره، وفي أقواله، وفي توحيده وإيمانه، وفي أعماله الصالحة، وفي أخلاقه الكريمة: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف/ ١٥٨].

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

فالرسل هم أبواب رحمته جل جلاله، وفضله وإحسانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء/ ١٠٧].

ولهذا من أطاعهم أحبه الله وغفر له، ومن أراد أن يحبه الله ﷻ، فليطع رسوله وليتبعه فيما جاء به: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران/ ٣١].

ولا تنفع المحبة بدون عمل، النصرارى يحبون الله، ولكن لا تنفع المحبة إلا بالعمل، فالإيمان اعتقاد وقول وعمل: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل/ ٣٢].

والمؤمنون أعزة لماذا؟ لأنهم اتصلوا بالعزيز فأعزهم، وكلما اشتدت الحاجة إليك أيها

الإنسان فانت عزيز، فالطيب عزيز؛ لأنه سبق إلى ما لم يسبقه إليه غيره، والعالم عزيز، والغني عزيز، والقوي عزيز، فكلما اشتدت الحاجة إليك، وكل ما ظهرت فيك صفة من الصفات ليست عند غيرك فانت عزيز، لأنك نادر قليل في الناس.

وكل من آمن بالله العزيز، وأطاع أمره؛ فلا يمكن أبداً أن يكون ذليلاً بل هو عزيز: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٨) [المنافقون: ٨].

ولا عزة للمسلم إذا طمع بما عند غيره؛ فالعزيز من استغنى عن الناس، واحتاج الناس إليه، وكلما اشتدت الحاجة إليك فانت عزيز، لكن الكافر إذا اشتدت الحاجة إليه كان لئيمًا يطمع بما في يدك، ويتحكم بأمرك، والمؤمن إذا اشتدت الحاجة إليه كان كريماً متواضعاً.

قال النبي ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» متفق عليه (١).

فإياك والطمع، وبمجرد الطمع تصبح ذليلاً، فمن استقام على أمر الله أعزه الله ﷻ: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١١٢) ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (١١٣) ﷻ

[هود: ١١٢ - ١١٣].

وقال ﷻ: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١١٣) [آل عمران/ ١٣٩].

فما من مؤمن استقام على دين الله، ثم سأل الله أي مسألة إلا أراه الله معاملة خاصة، ليشعره بأنه عزيز عليه، غال عليه، كل من استقام على دين الله، ثم سأل الله، فالله كريم لا يرد سائلاً أبداً، فمن كان مؤمناً، ثم سأل الله، لا بد أن يريه الله معاملة خاصة، يشعره بأنه عزيز عليه، غال عليه، محبوب لديه: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (٦٩) ﷻ

ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا (٧٠) [النساء: ٦٩ - ٧٠].

ولذلك بعد كل طاعة يجد المسلم انشراحاً وأنساً؛ لأنه أطاع العزيز، فملاً قلبه بالإيمان، لأنه اتصل بالعزيز، فامتلاً قلبه بالأمن والإيمان، فكل من سأل الله لا بد أن يشعره الله

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٠٢٦)، ومسلم برقم (٢٥٨٥).

عَلَيْكَ بِأَنَّهُ عَزِيزٌ عَلَيْهِ، مَحْبُوبٌ لَدَيْهِ، فَأَحْيَانًا تَدْعُو اللَّهَ فَيَسْتَجِيبُ لَكَ، وَأَحْيَانًا تَدْعُوهُ فَيَصْرَفُ عَنْكَ السُّوءَ، وَأَحْيَانًا تَدْعُوهُ فَيُلْقِي مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ، وَأَحْيَانًا يَلْدِنُ قُلُوبَ أَعْدَائِكَ لَكَ، وَأَحْيَانًا تَدْعُوهُ فَيُؤَخِّرُ الْإِجَابَةَ، لِأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَسْمَعَ تَضَرُّعَكَ وَدَعَاكَ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۗ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۗ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

والله سبحانه إذا طمعت فيما عنده أحبك وعزك، والناس إذا طمعت فيما عندهم؛ كرهوك واحتقروك؛ فمن أراد العزة فلا يقف بأبواب الفقراء، وليقف بباب العزيز الغني الكريم الذي لا يُغلق أبدًا: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وقال النبي ﷺ لابن عباس: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» أخرجه أحمد والترمذي<sup>(١)</sup>.

وقال النبي ﷺ: «تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَّةِ» أخرجه أحمد<sup>(٢)</sup>.

تعرف إلى الله ﷻ في الرخاء يعرفك في الشدة، فإذا سألت فاسأل العزيز الكريم، اسأل الغني، اسأل الذي يفرح بسؤالك، ولا تذلل نفسك لغيره؛ لأنك عبد الله ولا يرضى لك أن تسأل غيره، وهو جل جلاله إذا لم تسأله يغضب عليك؛ لأنه يريد لك العزة، فلا تذلل نفسك لغيره من الخلق؛ فارفع يديك للعزيز ولا تمدّها للعبيد فكلما قطعت طمعك عن الناس؛ أغناك الله من فضله، وكلما مرغت وجهك ساجدًا للعزيز أعزك الله: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

ومن عرف الله عرف الطريق إليه، وعرف ما يرضيه، وعرف ما يسخطه، فتعرف على

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٦٦٩)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦) وهذا لفظه.

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٨٠٣).

الله، تعرف سبل رضاه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد/ ١٩].

إذا عرفت الله أطعته ولم تعصه، وإذا لم تعرفه هانت عليك معصيته فعصيته، وما عصى الله إلا جاهل، فلا تكونن من الجاهلين، ما عصى الله إلا جاهل بعظمته وبنعمه، وبأسائه وصفاته، ما عصى الله أبداً إلا جاهل بربه فلا تكونن من الجاهلين؛ فكن عارفاً بربك لتعبده بالحب والتعظيم والذل له: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وأعز الناس هو المؤمن لماذا؟ لأنه يعلم أن الله معه يغنيه عما سواه ويدافع عنه، ويرى أنه عبد للعزیز، لن يسلمه ولن يخذله ولن يتخلى عنه: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ ﴿٤١﴾ [الحج/ ٤٠-٤١].

وإذا عظم القلب الرب جل جلاله؛ صغر الخلق في عينه، وإذا عظم القلب الخلق لم يتسع لتعظيم الرب، فالقلب لا يتسع إلا لعظيم واحد، إن كان هو الله جاءت عظمة الله، ثم جاءت عظمة امتثال أوامره، ثم جاء اتباع كتابه، واتباع رسوله، ثم نال العبد من ربه العظيم ثوابه العظيم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۗ وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ومن عرف أن ربه عزيز؛ لم يطلب العزة إلا بطاعته، فأعز أمر الله يعزك الله، هو الذي كلما أطعته أعزك وأكرمك، وكلما عصيته أذلك وعاقبك لتعود إليه رحمةً بك، كلما عصيت الله عجزك ابتلاك ببلاء حتى تعود إليه، فما ابتلاك إلا ليعافيك، ولا منعك إلا ليعطيك؛ يريد أن تعود إليه، وترجع إليه، وتدعوه فيكشف ضرك، وإذا كشف ضرك؛ زاد إيمانك، وقويت طاعتك: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ [العنكبوت: ٢-٣].

ولكن أين عزة المؤمنين اليوم؟ الكفارة لهم الغلبة، يتحكمون في المسلمين في كل شيء، حال المسلمين اليوم، دين الله هان عليهم فهانوا على الله، ولا عزة لهم إلا إذا اتصفوا بصفات أهل الإيثار، التي اشترى الله أهلها، ووعدهم بالنصر والعزة والغلبة وهي: ﴿التَّيْبُونَ الْعَيْدُونَ الْحَمْدُونَ السَّخِيحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة/ ١١٢].

صفات أهل الإيثار: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

صفات المؤمنين الذين وعدهم الله بالنصر: ﴿وَلْيَنْصُرَكَ اللَّهُ مِنْ نَصْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [٤٠] الَّذِينَ إِنْ مَكَدْتُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [٤١] [الحج: ٤٠-٤١].  
لننظر كيف هبطنا في أودية الذلة، وتركنا الترقى في درجات العزة.

خرجت منا الصفات، وخرجت منا الأقوال التي يحبها الله، والأعمال التي يحبها الله. هو سبحانه العزيز الذي جعل العبيد ملوكًا بطاعته، وجعل الملوك أذلة بمعصيته، كما حصل ليوסף نبي الله ﷺ فإن الله ﷻ أخرجه من بطن الجب إلى ظهر الأرض، ومن قعر السجن إلى قصر الملك: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف/ ١٠١].

لم يعبأ بذلك كله، إنما طلب من ربه أن يتوفاه على الإسلام. أما جعل الملوك أذلة بمعصيته فكما حصل للنمرود، وكما حصل لفرعون: ﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص/ ٤٢].

ومن أحب أن يكون عزيزًا مكرمًا محبوبًا فليكثر من طاعة العزيز، فكلما زدت لله طاعة زادك الله عزة وإيثارًا وكرامةً، اصبر عن الحرام، يأتيك أحسن منه من الحلال: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٢-٣].

ومن يرد العزة كلها فليعبد الذي عنده خزائن العزة كلها: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ ﴿١٠﴾﴾ [فاطر/ ١٠].

كل سعادة وعزة وكرامة في الدنيا تحصل للعبد مقرونة بطاعة الله، وكل ذلة وشقاوة وإهانة مقرونة بمعصية الله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣-١٤].

فإن الله ﷻ يريد من الإنسان أن يكون عزيزًا في الدنيا والآخرة، ولا عزة له إلا بأن يكون مطيعًا لربه ﷻ: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

فكل عزة وسعادة وكرامة مقرونة بطاعة الله، والذي يتأمل القرآن؛ يجد أن الله أكرم المؤمنين بأنواع الكرامات في الدنيا وفي الآخرة.

ومن تتبعها وجدها، أكثر من ثلاثين كرامة قبل الموت، وأكثر من ثلاثين كرامة بعد الموت لماذا؟ لأنك اتصلت بالعزيز، وليس عند العزيز إلا أبواب العزة يعطيك ما شاء مما يعزك في دنياك وأخراك: ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾﴾ [يونس: ٦٥].

وكل شقاوة مقرونة بالمعصية؛ فالإنسان يعذب بمعصيته في الدنيا، وكذلك في الآخرة،

فمن عصى الله أصيب بأكثر من ثلاثين مصيبة في الدنيا، ويوم القيامة كذلك، وأعلاها يوم القيامة سخط الجبار ودخول النار.

فكل طاعة مقرونة بالفوز والفلاح: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ﴿٧١﴾ [الأحزاب/ ٧١].

وكل معصية مقرونة بمصيبة: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ، وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿١٢٣﴾ [النساء/ ١٢٣].

وهذه سنة الله مرئية مشاهدة، بعد كل طاعة سعادة وأمن وعزة وطمأنينة: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٢٨﴾ [الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ] ﴿٢٩﴾ [الرعد: ٢٨-٢٩].

بعد كل معصية ذلة وخوف وشقاء وتعب، وضيق: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشَرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ ﴿١١٤﴾ [قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا] ﴿١١٥﴾ [قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتَنَّا فَانْسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي] ﴿١١٦﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦].

فمن سار في طاعة الله اعزه الله، ومن سار في معصية الله أذله الله ﷻ.

ولن تخرج هذه الأمة من الذلة إلى العزة التي وعد الله المؤمنين بها إلا بالأمر التالية:

أولها: التوبة إلى الله من جميع المعاصي، نحن نعيش في الذلة لماذا؟ لأن أكثرنا ترك الدين إلى الدنيا، وكثير منا اطاع الشيطان وعصى الرحمن، فمن نسي الله نسيه، ومن نسي الله أنساه نفسه، ومن نسي الله سلط الله عليه الذليل، سلط الله عليه اليهود والنصارى، الذين: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٦١].

فإذا أذلك الذليل؛ فانظر إلى أي ذلة أنت فيها؟ لماذا أذلنا الله؟ لأننا خرجنا من حقائق الدين، خرجنا من الصفات التي يجبها الله، ولبسنا صفات اليهود والنصارى كما أخبر النبي ﷺ، فلا بد من التوبة إلى الله من جميع المعاصي: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿١١﴾ [الحجرات/ ١١].

وقال سبحانه: ﴿وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٣١﴾ [النور: ٣١].



٢- ثم طاعة الله ورسوله، فلا نطيع إلا الله ورسوله، فيما جاء عن الله ورسوله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ﴿٧١﴾ [الأحزاب/ ٧١].

٣- وتحقيق التوحيد: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ﴿١١﴾ [محمد/ ١١٩].

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٣﴾ [التغابن/ ١٣].

٤- وحسن الظن بالله، نحسن الظن بالله ﷻ، بأنه قوي وقادر، وأنه ينصرنا بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب، كما نصر أنبياءه ورسله، ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

٥- والخوف من الله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٧٥﴾ [آل عمران/ ١٧٥].

٦- عدم التعلق بالدنيا وشهواتها: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ أَجْنَابٌ فَأُلْقُوا إِلَيْهَا أَسْخَابًا وَلَا يَخَفُ مِنْهَا فِي السَّمَاءِ﴾ ﴿٥٥﴾ [الأنعام/ ٥٥].

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ﴿٦٦﴾ [فاطر: ٥٥-٦٦].

٧- حسن الاستقامة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ [البقرة/ ٣٠].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ فِيهَا مَذَابٌ مَعِينٌ﴾ ﴿٣١﴾ [البقرة/ ٣١].

﴿عَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ ﴿٣٢﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

هذه مواعيد من رب العالمين، مواعيد على الصفات؛ فمن جاءت فيه صفات الإيثار والأعمال الصالحة أعزه الله، وهداه، وجعله خليفة في الأرض.

والأمر بأيدينا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ ﴿١١﴾ [الرعد: ١١].

فمن أراد الانتقال من الجهل إلى العلم، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن الفرقة إلى الوحدة، ومن الظلم إلى العدل، ومن الذلة إلى العزة، فليطع الله ورسوله: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ ﴿٣٢﴾ [آل عمران/ ٣٢].

ومن أعظم أسباب ذلة المسلمين اليوم؛ الإعراض عن دين الله، واتباع سنن اليهود والنصارى؛ فلا عزة إلا بالدين: ﴿فَأَمَّا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَلَا يَصِلُ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾﴾ [طه/ ١٢٣-١٢٤].

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ، وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٠-١٠١].

ومن أسباب الذل مخالفة أوامر الله، وترك الجهاد في سبيل الله. قال ﷺ: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضَيْتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّىٰ تَرْجِعُوا إِلَىٰ دِينِكُمْ» أخرجه أبو داود (١).  
فمن أراد العزة فليسال العزيز، وليستعن بالعزيز: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة: ١٥٣].

فهذا هو طريق العزة، أن نتبع هذا الدين العظيم؛ لنكون أعزة، والمؤمن يعتز ويستعين بالله العزيز، ولا يستعين بالكفار إلا منافق، ولا يخاف منهم إلا منافق: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَسْبَغُوتَ عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء/ ١٣٨-١٣٩].

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة: ٥٢].

فنحن نتوجه إلى الله في جميع الحوائج ونفرع إليه وكان النبي ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١].

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٣٤٦٢).

وعزة الكفار اليوم هي بسبب المسلمين، بسبب المسلمين جاءت القوة وقوة السلاح، وقوة العلم، لأن المسلمين تخلوا عن الصفات التي يعزهم الله بسببها؛ فنحن سبب ظهور الكفار واليهود والنصارى؛ لأننا تخلينا عن الدين، وذلك سبب لأن نزل من العزة إلى الذلة؛ لأننا نكره اليهود والنصارى بقلوبنا، ولكن نحب أعمالهم، نذمهم بالستنتنا، ونتصف بصفاتهم بجوارحنا وإن كنا نبغضهم في قلوبنا وهذا لا ينفع، لا بد أن يمثل المسلم أمره، ويعرض عما سواه من سنن اليهود والنصارى؛ لأن هؤلاء ضربت عليهم الذلة والمسكنة، فباتباعهم تحصل زيادة في الذلة، زيادة في العذاب، زيادة في الخوف: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ۝١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ. وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَد هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ [آل عمران: ١٠٠-١٠١].

إن قريشاً قبل الإسلام كانت تعيش في جاهلية وهمجية وذلة، بين الفرس والروم، فلما دخلوا في الإسلام صاروا أعزة بعد تلك الذلة: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٣﴾ [آل عمران: ١٠٣].

﴿لَا يَلْفُ فُرَيْشٌ ۝١﴾ إِهْلِفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣﴾ الَّتِي أَطْعَمَهُمْ مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ [قريش/ ١-٤].  
 والمسلمون اليوم يعيشون في ذلة بين الكفار، ولن تعود عزتهم إليهم إلا إذا عادوا إلى ربهم، وتابوا من معاصيهم، وأطاعوا ربهم، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها: ﴿وَلْيَنْصُرِكَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَكَّنَّهْم فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ وَءَامَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَقِيبَةُ الْأُمُورِ ۝٤١﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

ومن أراد أن يوحد الله حقاً، ويعبد الله حقاً، فليعلم أنه عبد العزيز، الذي لا مثل له، العزيز الذي لا يغلب، عبد العزيز الذي يعز من يشاء من عباده، فهل أنت عبد العزيز؟

هل أنت عبد القوي؟ هل أنت عبد الملك؟ ﴿وَوَكَّلَ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (٢١٧) الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ [الشعراء/ ٢١٧ - ٢٢٠].

ومن استشعر أنه عبد لله بهذه الأسماء والصفات، امتلاً قلبه بحب ربه وتعظيمه، وتحميده وتمجيده؛ لأنه العزيز الحكيم، العزيز العليم، العزيز الرحيم، العزيز القوي: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١٨) [آل عمران/ ١٨].

فسبحان العزيز الحكيم الذي خلق جميع المخلوقات، العزيز الذي يدبر كل ذرة في ملكه العظيم: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ [الملك/ ١ - ٢].

فالحمد لله أن ربنا هو العزيز، والحمد لله أني عبد العزيز، والحمد لله أن رزقي عند الملك العزيز: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٦) وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجاثية/ ٣٦ - ٣٧].

هو سبحانه العزيز الذي بيده مقاليد السموات والأرض، العزيز الذي بيده النصر العزيز الذي بيده العزة كلها، وبيده الأمر كله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (١) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ [الأنفال/ ٩ - ١٠].

فخزائن النصر بيده؛ فلا نصر لنا على أنفسنا، ولا نصر لنا على عدونا إلا بالاستعانة بالعزيز الذي يملك خزائن العزة والذي يعز من أعز دينه، واتبع شرعه: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (٢١) [الحجر: ٢١].

هو سبحانه العزيز الذي لا يرضى لأوليائه الذل أبداً؛ لأنه العزيز الذي جميع عبيده أعزة لا يقدر أحد على إذلالهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (٢٨) [الحج/ ٢٨].

انظر كيف فعل العزيز بفرعون الذي قال: أنا ربكم الأعلى؟! انظر ماذا فعل العزيز بقارون الذي: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ (٧٨) [القصص/ ٧٨].

ماذا فعل العزيز بعباد؟ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾﴾ [الفجر/٦].  
 ماذا فعل العزيز بأصحاب الفيل؟ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾﴾ [الفيل/١].

هو العزيز الذي جميع مخلوقاته خاضعة لأمره ومستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته،  
 ومسبحة بحمده، وشاهده بوحدانيته: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي  
 الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ  
 الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج/١٨].

لأنه العزيز، ولكنه لا يفعل إلا بحكمة، وقدرته المطلقة لا يقف لها شيء، ولا يمتنع  
 عليها شيء؛ وحكمته المطلقة مقرونة بالخير المطلق، فالخير إليه والشر ليس إليه: ﴿قُلِ  
 اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ  
 بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٦﴾﴾ [آل عمران/٢٦].

هو العزيز جل جلاله، في ملكه وسلطانه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا  
 ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا  
 وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح/١٥-٢٠].

فكن عبدًا للعزيز وحده ولا تخضع للدليل؛ فإنك عزيز، ولا تقبل الذل أبدًا؛ لأنك عبد  
 العزيز، وأعز الناس بما تقدر عليه، يعزك الله، فإن لم تفعل أذلك الله، انصر أخاك ظالمًا أو  
 مظلومًا، ليكون عزيزًا، علم الجاهل ساعد المحتاج، أعط الفقير، ارحم المسكين:  
 ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ  
 الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة: ٢].

كن مفتاحاً لأبواب عزة الناس: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ. وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ  
 وَيَلْذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم/٥٢].

تذلل للعزيز فأنت عبده الفقير المحتاج إليه، سله ما تريد، احمده على نعمه، واستغفره  
 من ذنوبك، فإنه عزيز رحيم.

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف/ ٢٣].  
﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا آتَيْتَنَا وَتَوَكَّلْنَا عَلَيْكَ رَبَّنَا خِيفَتْنَا عَلَيْكَ أَصَابْنَا مِنْ بَعْضِكُمْ وَأَكْرَمْتَنَا بَعْضًا وَأَنزَلْنَا إِلَيْنَا الْكِتَابَ وَالْحَقْلَ الَّذِي فِيهِ كَسْبَتْنَا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ لَمَّا عَلَّمْتَنَا لَوْلَا رَحْمَتُكَ عَلَيْنَا لَفُتْنَا فِي الْقُبُورِ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣]

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا ۗ إِنَّكَ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].  
اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك المؤمنين.

اللهم أعز من أعز دينك، واخذل من خذل دينك، يا قوي يا عزيز.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحَسَنَاتِ

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الجبار

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله الجبار

الله ﷻ أراد أن يُعرف فخلق هذا الكون العظيم بسمواته وأرضه وما فيها من المخلوقات؛ ليدل على عظمة جلاله، وعظمة ملكه وسلطانه، وأنه الواحد الأحد الذي له الخلق والأمر، وبيده الملك وهو على كل شيء قدير: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

والله ﷻ من أسمائه الحسنى الجبار: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

فالله ﷻ هو الجبار، العلي فوق خلقه، المنزه عن كل نقصٍ وعيب، هو سبحانه الجبار على الظالمين، الجبار للمظلومين الذي ينتزع حقوقهم من الظالمين، هو الجبار الرحمن الرحيم لعباده، جبارٌ للإنسان الضعيف، جبارٌ للمرأة الضعيفة، جبارٌ لكل عاجزٍ لا يجد ظهراً يحميه، جبارٌ يجبر الكسور في الأبدان والقلوب، ولا يجبر كسر القلوب إلا الجبار القادر على كل شيء: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥].

ومن حكمته جل جلاله؛ أن يجعل في الأمة الضعيف، والعاجز، والمحروم، والمريض، والفقير، والخائف، لماذا؟ ليظهر ويتجلى لعباده باسمه الجبار، فلا جبار يجبر الكسور والقلوب إلا الله وحده لا شريك له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

والله ﷻ هو الجبار الذي له ملك السموات والأرض، وهو الملك الذي له ما في السموات وما في الأرض، وهو الرزاق الذي جميع ما في الكون كله من نعمه جل جلاله: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

فيجب علينا أن نؤمن بالجبار جل جلاله، الذي تجبر وعلا على خلقه، الجبار على الطغاة



والظلمة والمجرمين، فأكبر ذنب يواجهه به الإنسان ربه الجبار؛ أن يتكبر ويستكبر عن عبادته وطاعته، يستكبر عن عبادة ربه الذي خلقه، ويتكبر عن إتباع دينه، ويتكبر على خلقه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر/ ٦٠].

فالله ﷻ بقدر ما نعرفه بأسمائه وصفاته، تأتي محبته، ويأتي تعظيمه وتكبيره وإجلاله، والخضوع له، والانكسار بين يديه.

فالله ﷻ هو الجبار الذي بيده الملك والملكوت، وله العزة والجبروت وله الملك كله، وله الخلق كله، وله الأمر كله، وبيده الخير كله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ أَلْمَلِكِ تُوْتِي أَلْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ أَلْمَلِكِ مَعْنِ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ أَلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وإذا عرفنا الجبار جل جلاله؛ فما هي أفعاله في ملكه العظيم؟ وما هي أفعاله مع أوليائه؟ وما هي أفعاله مع أعدائه؟

الله ﷻ هو الجبار، القاهر العالي فوق خلقه، الجبار على الظالمين، الجبار للمنكسرين المفتقرين المتذللين بين يديه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَلْمَلِكُ أَلْقُدُّوسُ أَلْسَلَامُ أَلْمُؤْمِنُ أَلْمُهَيْمِنُ أَلْعَزِيزُ أَلْجَبَّارُ أَلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

• إذا أردنا أن نعرف الجبار؛ فيجب أن نعرف ثلاثة أمور:  
 أولاً: نعرف ما هي أفعاله في ملكه العظيم من خلق وتدبير وأحكام.  
 ثانياً: نعرف ما هي أفعاله مع أوليائه، مع أنبيائه، مع رسله، مع المؤمنين به.  
 ثالثاً: نعرف ما هي أفعاله مع أعدائه من الكفار المعاندين، والمجرمين الظالمين.  
 الجبار جل جلاله له أفعال عظيمة في ملكه العظيم، فما هي أفعاله في ملكه العظيم جل جلاله؟

هو الذي خلق السموات والأرض، وخلق ما في السموات والأرض من المخلوقات، والله ﷻ يظهر لنا كيفية خلقه في العالم العلوي والعالم السفلي؛ لنعرف الخالق من، الكبير من، القادر من؟ الجبار من؟ ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ

فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

والله ﷻ يُظهر لنا بآياته ومخلوقاته هذا الخلق العظيم له جل جلاله، حتى نعبده ونوحده ونشكره جل جلاله؟

فمن أفعال الجبار في ملكه العظيم ما أخبر عنه بقوله: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ [الرعد / ٢].

ثم يقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَىٰ اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ [الرعد / ٣].

ثم يقول: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ وَصِنَوَانٌ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُقِضَلُ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ [الرعد / ٤].

إذا نظرنا في هذا الكون العظيم، وفي هذا الملك والملكوت: تجاوزنا المخلوق إلى الخالق، وتجاوزنا الصور إلى المصور، فننظر في عظمته وجلاله، وننظر في أمره وشرعه، ونعبد الله ﷻ بما جاء به رسوله ﷺ: ﴿قُلِ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ [يونس: ١٠١].

فهذه الأمور تملأ القلب إيماناً وتوحيداً، وتدل على عظمة الله، وعظمة ملكه وسلطانه ومخلوقاته، الله ﷻ يريد منا أن نتعرف على هذه الأمور العظيمة؛ حتى نعبد الله حق عبادته جل جلاله.

ومن أفعاله في ملكه العظيم؟ ما أخبر به: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْفِقُونَ ﴿٣١﴾ فذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

ومن أفعاله في ملكه العظيم: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا

وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ [يونس / ٣ - ٤].

ثم يقول: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ [يونس / ٥].

فإذا عرفنا هذه الأمور؛ ازددنا إيماناً واتسع القلب لطاعة الله ﷻ وعبادته جل جلاله، فالقلب لا بد أن يمتلئ بهذه المعارف؛ ليأتي منه التبعذ لله ﷻ بأسائه وصفاته على ما جاء به رسوله ﷺ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُتُونَكُمْ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩].

فلا بد للقلب أن يعرف من هو الرب المعبود، والله ﷻ بين لنا أفعاله في ملكه العظيم؛ فقال: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَاللَّعْنَةُ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ [النحل / ٣ - ٥].

ويقول ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ [النحل / ١٠ - ١١].

إذا عرفتم ذلك؛ فاشكروا الله على نعمه، وآمنوا به وأطيعوه واعبدوه.

ويقول ﷻ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ [النحل / ١٢].

ويقول ﷻ: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ [النحل / ١٣].

ويقول ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ [النحل / ١٤].

فهذه بعض أفعاله في ملكه العظيم: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾

وَبَيَّنَّا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَابًا ﴿١٤﴾  
لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلْنَا أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ ﴿[النبا: ٦-١٧].

من هذه أفعاله؛ تجب طاعته؛ لأنها تدل على عظمته، وعلى كرمه، وعلى إحسانه، وعلى رحمته بخلقه؛ فيجب أن نعبده إذا عرفنا هذه الأمور: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ ﴿[الأنعام: ١٠٢].

والقرآن مملوء من هذه المعارف العظيمة، التي تجر القلب للإيمان بربه ﷻ، فالنظر والتفكير في آيات الله يزيد الإيمان في القلب: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَالًا ﴿٢٠﴾﴾ ﴿[نوح: ١٥-٢٠].

ويقول ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيَّنَّهَا وَزَيَّنَّهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ ﴿[ق/٦-٨].

إذا عرفتم أفعاله في ملكه العظيم؛ فتعلمون أنه هو الخالق، الرازق، القوي، القادر، الرحمن، الرحيم، الكريم، السميع، البصير، العليم، الخبير، وإذا عرفتم ذلك أحببتموه، وإذا أحببتموه أطعتموه وعبدتموه.

فهذه المعارف يجب علينا أن نملأ القلب بها في كل يوم، ولهذا يُشرع للإنسان أن يقرأ القرآن في كل يوم؛ لأن القرآن أخبار وطلب، أخبار عن الله وأسمائه وصفته، وأخبار عن المخلوق في الدنيا والآخرة، أخبار عن المخلوق عن الإنسان، عن السموات والأرض، عن الجنة، وعن النار: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْجِبُ الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ ﴿[يونس: ١٠١].

وأما الطلب فهو طلب الفعل: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ ﴿[البقرة: ٤٣].

هذا طلب فعل الصلاة والزكاة.

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ ﴿[النساء/ ٣٦].

اعبدوا الله: طلب فعل، ولا تشركوا به شيئاً: طلب ترك.

فهذه المعارف تملأ القلب إيماناً وتوحيداً ويقيناً، ثم يأتي حب الله، وتعظيمه، وتكبيره، ويقول ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤١﴾ [فاطر / ٤١].

هذا فعل الجبار في ملكه، يُمْسِكُ السموات والأرض أن تزولا، وهو جل جلاله الذي يُمْسِكُ السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، هذه قوة الجبار، ومن هذه قوته، وهذه نعمه، وهذا ملكه وسلطانه؛ فيجب علينا عبادته، بل نتشرف بعبادته؛ لأننا نحتمي بعظيم، ونلجأ إلى كبير، ونسأل الكريم: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٣﴾ [يونس: ٣].

فإذا عرفناه بأسمائه وصفاته، وعرفنا ملكه وسلطانه؛ أمنا به، ثم اشتاقت قلوبنا للعمل بشرعه والتقرب إليه باتباع رسوله ﷺ، ويقول ﷻ: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية / ١٧-٢٠].

هذه أفعال الجبار جل جلاله في ملكه؛ فيجب أن أكون عبداً للجبار، الجبار القاهر العلي الأعلى فوق خلقه، الجبار على الظالمين، والمجرمين والطغاة، الجبار للمنكسرين المتذللين بين يديه.

ومن أفعال الجبار في ملكه: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ﴾ ﴿١٠٤﴾ [الأنبياء / ١٠٤].

وهكذا يجب علينا أن نتعرف على هذه الأمور؛ حتى يمتلئ القلب بالإيمان، وإذا امتلأ بالإيمان أطاع الرحمن جل جلاله: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ [الأنبياء: ٣٠].

والقرآن العظيم، مملوء بمثل هذه الأمور العظيمة، وعلينا أن نتعرف على ذلك، ونعرف اسم ربنا الجبار جل جلاله، من خلال النظر في الملك والملكوت. الله ﷻ هو الملك الجبار جل جلاله، ملأ الكون بنعمة وإحسانه فيجب أن نملاؤه بحمده

وشكره: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرُكُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ [النمل / ٥٩].

فأفعال الله ﷻ في ملكه العظيم عظمة، وبمعرفتها المؤمن يتأثر بذلك ويُقبل على عبادة ربه الذي خلقه: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿٦١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشِّمْرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].

ما هي أفعال الجبار في ملكه العظيم؟ يقول الجبار عن نفسه: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَمْ يَعْزِزْ لَكُمْ مَعَ اللَّهِ بَلَّ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ [النمل / ٦٠].

كم شجرة في الأرض؟ كم ثمرة في الأرض؟ من خلقها؟ من لونها؟ من يسرها؟ هو الله ﷻ: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَواسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَمْ يَعْزِزْ لَكُمْ مَعَ اللَّهِ بَلَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦١﴾ [النمل / ٦١].

يجب أن نتعلم ذلك حتى نعظم العظيم، ونكبر الكبير، ونشكر المحسن: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمُ الْخُفَاءَ الْأَرْضَ ۗ أَلَمْ يَعْزِزْ لَكُمْ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَلَمْ يَعْزِزْ لَكُمْ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ [النمل / ٦٢ - ٦٣].

الله ﷻ أفعاله في ملكه العظيم، أفعال عظمة وإذا عرفناها امتلأت قلوبنا بالإيمان، والتوحيد، واليقين، ثم جاءت طاعاتنا بالمحبة والتعظيم والذل له، فما أحوجنا إلى معرفة الله بأسمائه وصفاته؛ حتى تأتي الطاعات على ما يحبه الله ﷻ ويرضاه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ ۗ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ﴿١١﴾ [محمد: ١٩].

ويقول ﷻ عن أفعاله: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ ﴿١٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ ۗ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ [الروم / ١٩ - ٢٠].

الله أكبر، كم خرج من هذا الرجل، وهذه المرأة؟ من آدم وزوجه هذا النسل الكبير من البشرية رجالاً ونساءً. ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم / ٢١].  
ومن أفعال الجبار: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِافِ الْأَسْنِ كُمْ وَالْوَنُكْمِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ [الروم / ٢٢].

ومن أفعال الجبار: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [الروم / ٢٣].  
ومن أفعال الجبار: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ حَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم / ٢٤].  
وأفعاله كثيرة في ملكه العظيم، والقرآن كله مملوء بهذه الأفعال العظيمة والكبيرة والكثيرة.

الله بين أسماء وصفاته وأفعاله في القرآن؛ حتى نعرف الكبير، نعرف المعبود، نعرف الخالق، نعرف القوي، نعرف الغني، نعرف السميع البصير، نعرف العزيز الكريم، نعرف التواب الرحيم.

فإذا عرفناه بأسمائه وصفاته؛ كبرناه وأحببناه وعبدناه، ومن هذه أفعاله، وهذه مخلوقاته، وهذه قدرته؛ هو الذي يجب أن نعبد: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام / ١٠٢].  
فهذه أفعال الجبار في ملكه العظيم، وسلطانه الكبير جل جلاله.

وإذا عرفنا الملك العزيز الجبار القوي القهار، فيجب أن نعرف أفعاله مع أعدائه لنخافه ونهابه، ونكبره ونعظمه؛ ونتقيه ونطيعه ولا نعصيه فما هي أفعاله مع أعدائه جل جلاله؟ أفعاله مع أعدائه، ماذا فعل بمن عصاه وكفر به من الأمم السابقة، لننظر في القرآن نجد القرآن مملوءاً بهذه الأمور.

يقول الله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخَلِّقْ مِثْلَهَا فِي الْعَالَمِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْنَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْعَالَمِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا

فِيهَا الْفَسَادُ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾  
[الفجر/٦-١٤].

هذه أفعاله مع أعدائه: ﴿١﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴿[الفيل: ١-٥].

ويقول ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَذْرَبَكُمْ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَازٌ نَّخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكْتُ بِالْخَطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ ﴿[الحاقة: ١-١٠].

هذه أفعال الجبار بأعدائه من الطغاة المستكبرين والمعاندين والمكذبين: ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بُرْكَيْهِ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٨﴾ [الذاريات/٣٨-٣٩].  
فماذا فعل الله به وبغيره؟ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وفي عادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا نَذُرُ مِن شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴿[الذاريات/٣٩-٤٢].

الرياح بيده، والنجوم بيده، والحر والبرد بيده، والصواعق بيده، والخسف بيده، والزلازل بيده، بيده الملك والملكوت، هو جبار يفعل ما يشاء، ولكن أفعاله على وفق الحكمة، والحكمة مقرونة بالخير المطلق، ومقرونة بالقدرة المطلقة التي ليس لها حد: ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴿[الحشر: ٢٢-٢٣].

ماذا يقول الجبار عن أعدائه؟ ﴿٤٣﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُم تَمَنَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصَرِّينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمٌ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ



فَرَشْنَهَا فَنِعَمَ الْمَهْدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾  
[الذاريات: ٤٣-٤٩].

فما واجبنا بعد معرفة ذلك: ﴿فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

وماذا يقول الجبار عن أعدائه من الطغاة والمستكبرين؟ ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكَنِهِمْ وَزِينَتِهِمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقُرُونِ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [العنكبوت/ ٣٨-٣٩].

فماذا فعل العزيز الجبار جل جلاله بهم؟ ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت/ ٤٠]؛  
هذه أفعال الجبار جل جلاله.

فسبحان الجبار الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر: ٤٤].  
ويقول الجبار عن فعله بأعدائه: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَةَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود/ ١٠٢].

فأفعاله جل جلاله مع أعدائه بينها الله ﷻ في سورة الشعراء، في سورة الأعراف، في سورة الإسراء، في سورة الأنبياء، في سورة طه، في سورة مريم، وفي جميع سور القرآن ذكر الله ﷻ أفعاله مع أعدائه، وأفعاله مع أوليائه، وأفعاله في ملكه العظيم: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

هذه أفعال الجبار في ملكه العظيم، وهذه أفعال الجبار مع أعدائه، فما هي أفعال الجبار الرحمن الرحيم مع أوليائه؟.

الله ﷻ فطر الناس على التوحيد، وأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وزودهم بالأسماع والأبصار والعقول، وسخر لهم ما في السموات وما في الأرض: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ



أَبَدَ ذَلِكَ الْفَوْزَ الْعَظِيمَ ﴿١٠٠﴾ [التوبة / ١٠٠].

هذه أفعال الجبار مع أوليائه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٧﴾ [النحل / ٩٧].

فالله ﷻ هو الجبار الذي ذكر في القرآن أفعاله في ملكه العظيم، وذكر أفعاله مع أعدائه، وذكر أفعاله مع أوليائه، والقرآن كله بيان لهذا، وهذا، وهذا، ومعرفة ذلك كله يثمر للعبد حب الله، وتعظيمه، وتكبيره، والخوف منه، والحياء منه، وحمده وشكره، والإكثار من ذكره، وحسن عبادته: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ ﴿٢٨﴾ [فاطر: ٢٨].

هو سبحانه الجبار الذي جبر رسله وأنبياءه وأوليائه، جبر خليله إبراهيم ﷺ فأنجاه من النار، وجبر نوحًا، وهوذا، وصالحًا، وشعبيًا ولوطًا، فنصرهم، وأهلك أعدائهم، وجبر محمدًا ﷺ، لما كذبه قومه بخديجة وعمه أبي طالب، ثم جبره بالأنصار الذين نصروه، وأكرموه، وآمنوا به، ثم جبره بجبريل وملك الجبال لما ذهب إلى الطائف، ثم جبره بالإسراء إلى بيت المقدس، ثم بالمعراج إلى السماء، ثم الهجرة من مكة إلى المدينة، ثم نصره على من عاداه، ثم دخل الناس في دين الله أفواجًا كما قال سبحانه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ ﴿٢﴾ [النصر / ١ - ٣].

فهذه أفعاله في ملكه العظيم، وهذه أفعاله مع أعدائه، وهذه أفعاله مع أوليائه، أتينا بالمختصر من ذلك، ومن أراد الاستزادة فليقرأ القرآن: ﴿الرَّكُنْبُ أَحْكَمَتْ أَيْنُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ ﴿١﴾ [هود: ١].

## التعبد لله ﷻ باسمه الجبار

الله ﷻ هو الجبار، فيجب علينا أن نتعرف على الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، لنعبده كما يليق بجلاله، ففي النظر والتدبر والتفكير، تأتي قوة التعبد، تأتي قوة التوجه إلى الله، قوة الاستكانة والخشوع والخضوع بين يدي الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

والإنسان إذا نظر في الآيات الكونية، وتدبر في الآيات القرآنية، رأى بقلبه عظمة الملك الجبار، يتصرف في الملك والملكوت بالقوة والجبروت، فخشع قلبه لعظمة ربه العزيز الجبار، وتحركت جوارحه لطاعته، ونطق لسانه بالتسبيح والتكبير والحمد له في جميع أوقاته، لماذا؟ لما يرى من عظمة ربه وجلاله وكبريائه، وجميل إحسانه وإنعامه: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدِيرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد / ٢].

فهذا هو القلب الذي رأى ربه يخلق ويرزق ويتصرف في مُلكه العظيم، فذكره كأنه يراه، فالله ﷻ إن تكلمت فهو سميع، وإن تحركت فهو بصير، وإن أضمرت فهو خبير، وإن أسررت فهو عليم بذات الصدور: ﴿وَاسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [١٣ - ١٤].

فسبحان الجبار الذي له الملك والملكوت، وله الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى.

استضافنا في بطن الأم، ثم استضافنا في بطن الدنيا، ثم سوف يستضيفنا في بطن القبر، ثم يستضيفنا يوم القيامة في دار القرار، إما في الجنة أو النار، حسب العمل: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، ﴿٨﴾ فَأَمَّهُ هَكَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ﴿١١﴾﴾ [الفارعة: ٦ - ١١].

فلا إله إلا الله، كم عظمة الله؟! وكم جلاله؟! وكم جبروته! فلنعبده حق عبادته، ونذكره حق ذكره، الذي رأى ربه يخلق ويتصرف في مُلكه العظيم يعبده حق عبادته، والله يجب من ذكره، فلنذكره ليذكرنا فيمن عنده: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة / ١٥٢].

وقال النبي ﷺ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، لَا يُضْرَكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأَتْ» أخرجه مسلم (١).

ومن نور الله قلبه بالإيمان صار غذاء قلبه بواسطة لسانه، ثم صار غذاء الجميع: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة/ ٢-٧].

وصار غذاء قلبه ولسانه: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصفات/ ١٨٠-١٨٢].

وصار غذاء قلبه ولسانه: ﴿فَلِلَّهِ الْمَعْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

فلا إله إلا الله وحده لا شريك له، وسبحان ذي الجبروت والمملكوت والكبرياء والعظمة، فتذلل رحمة الله لربك الملك الجبار، وسبح بحمد ربك العظيم: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة: ٩٥-٩٦].

واستغفر من كل ذنب: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٢﴾﴾ [النصر/ ٣].

لا إله إلا هو: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَأَصْطِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم/ ٦٥].

واسأل ربك الجبار أن يستعمل بقية حياتك في ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يلين قلبك لعباده، ويرغبك في النصيحة لهم، فتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتحب عباد الله إليه بذكر أسمائه، وصفاته، وإنعامه، وإحسانه، وجزيل ثوابه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

ثم تعبد بما يحبه الله ﷻ، من الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢١٣٧).

أُولِيَاءَ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ  
الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾  
[التوبة/ ٧١].

﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّاجِدُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ  
الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ  
الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١٢﴾ [التوبة: ١١٢].

ومن أراد الله به خيراً هداة للدعوة إليه، فأعظم الأعمال هي العبادات، وأعظم الوظائف  
هي الدعوة؛ لأنها جهد على الغير ليدخل في الإسلام، فمن أراد الله به خيراً وفقه لحسن  
التعبد لله، وحسن الدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى  
الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٠٤﴾ [آل عمران/ ١٠٤].  
واعلم وفقك الله أن الجبار الأعلى، هو الملك الحق جل جلاله، والجبار من الخلق هو  
الذي يجبر الناس، فيرحم ضعيفهم، ويجبر كسيرهم.

الجبار من الخلق هو الذي يجبر الناس بخلقه العظيم، وأمانته، وصدقه، وكرمه أخلاقه،  
وعفته واستقامته، على أن يقتدوا به، ويتصفوا بصفاته: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ  
فِيهِدْتُهُمْ أَقْتَدَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

الجبار من الخلق هو الذي يجبر الناس بحسن خلقه، وأمانته وصدقه، وكرمه واستقامته  
على أن يقتدوا به: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ  
وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿٢١﴾ [الأحزاب/ ٢١].

فهذا الذي تخلق بالأخلاق العالية، يجبر الناس على أن يقتدوا به، لما يروه من ظهور  
أحسن الصفات، وأجل الأخلاق في هذا الإنسان.

فباطنه معمور بالتوحيد والإيمان، وظاهره معمور بالأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة،  
والأخلاق العالية: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ  
الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾

[الفرقان: ٦٣ - ٦٤].

هؤلاء هم الأسوة: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ  
وَجْعَلْنَا لِمُنْتَقِيكَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤].

في العبادة، في الدعوة، في الأخلاق، في الأقوال، في الأعمال، في كل شيء.

واعلم أن القلب مفتاحه الحق، والحق لا يوصل إليه إلا بالحق، فعليك بطاعة الملك الحق  
جل جلاله، واتباع ما أنزل من الحق، ولا تكن أسيرًا للباطل، وحب المال والجاه والدنيا  
والشهوات التي تصرفك عن طاعة الله، وتُشغلك بالمخلوق عن الخالق، وبالدنيا عن  
الآخرة، وبالأموال والأشياء عن الإيمان والأعمال، وحينذاك تندم وتحسر: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ  
حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ  
الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرِثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَعَآبِ  
﴿١٤﴾ قُلْ أَوْبَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ  
بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ [آل عمران/ ١٤-١٥].

واعلم أيها المسلم أن الإنسان إذا كان محصنًا، ومتحصنًا بذكر الله ﷻ، ومحصنًا بالإيمان،  
من حب المال والنساء، وحب الجاه والدنيا، فهو جبار لا يستطيع أعداؤه من شياطين  
الإنس والجن القرب منه ولا النيل منه؛ لأن الجبار معه، يحفظه وينصره ويسعده: ﴿إِنَّ  
اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨].

من آمن بالجبار، توكل على الجبار، فالجبار معه، ومن كان في معية الجبار فهو جبار، لا  
يستطيع أحد أن يصل إليه، أو ينال منه، لأن الجبار معه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ  
ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الحج/ ٣٨].

العزیز الجبار يدافع عن الذين آمنوا بالله، فالأمن بيده وهو الذي يدافع عن أوليائه؛  
لأنهم آمنوا به وأطاعوه.

فالله ﷻ هو الجبار على الظالمين المعتدين، الجبار للمنكسرين والمستضعفين.

فاسأل ربك الجبار الرحيم الجابر لجميع خلقه بنعمه وإحسانه وعطفه، ومغفرته ورحمته،  
أن يجبر منك كسور الغفلة والتفريط والجهل والعلم: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا

وَتَرَحَّمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَيْرِينَ ﴿٢٣﴾ [الأعراف: ٢٣].

اسأل الجبار، الرحمن الرحيم، الجابر لجميع الخلق بنعمه المادية والروحية، وإحسانه إلى الخلق كلهم، وكمال مغفرته ورحمته وعفوه، اسأله أن يجبر منك كسور الغفلة والتفريط وما أكثرها، وكسور الكبر والعجب والفخر وما أكثر ذلك، وكسور الرياء والكذب والمعاصي، وكل هذه الكسور لا بد من جبرها: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ سَيِّئًا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٣٨٦﴾ [البقرة: ٢٨٦].

اسأل ربك الجبار أن يجبرك من هذه الكسور الكثيرة، وأن يُبدلك منها دوام ذكره، وشكره وطاعته، والصدق والإخلاص، والذل لله، والتواضع لعظمته وكبريائه: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي الْتَهَارِ وَزُلْفًا مِنْ أَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرِينَ ﴿١١٤﴾ [هود: ١١٤].

اسأل الجبار وحده أن يجبر كسورك القلبية، وكسورك البدنية، وكسورك الأخلاقية: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ [الحشر: ٢٢-٢٣].

والله كريم قريب مجيب، ما أمرنا بالدعاء إلا ليستجيب لنا، فمُحال أن تسأل الله ولا يُجيبك، لأنه كريم لا يرد سائلاً، ولا يخيب من دعاه، لكن إما أن تعرف الإجابة أو لا تعرفها، فهو إما خير تُعطاه، أو شرٌّ يدفع عنك، أو خير يدخر لك: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ [غافر: ٦٠].

ولهذا مقصود الدعاء تعويد النفس على التوجه والذلة للخالق الجبار جل جلاله، تعويد النفس على توجيه الدعاء للخالق، لله ﷻ، والاستعانة به، والتوكل عليه، في كشف الكربات، ودفع الكريهات، ونيل المحبوبات: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ



أَحِبُّ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيْسَتْ جَبُوبًا لِي وَلِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦].

واعلم بأن أهل النظر في عالم الملك والملكوت هم أهل التوحيد والإيمان واليقين والتوكل، هؤلاء هم الذين ينظرون في الملك والملكوت، ويتجاوزون المخلوقات كلها إلى الخالق، ويتجاوزون الصور إلى المصور، ويتجاوزون الأرزاق إلى الرازق، ويتجاوزون الدنيا إلى الآخرة، ويتجاوزون الأموال والأشياء والزينات إلى الإيثار والأعمال والمقاصد الكبرى من رضوان الله ودخول الجنة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

هؤلاء هم أهل النظر في عالم الملك والملكوت، فمتى يستفيق أهل الغفلة؟ ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [الأعراف: ١٨٥-١٨٦].

الحمد لله الذي أعطانا البصائر والأبصار والعقول؛ حتى نتعرف على ربنا بأسمائه وصفاته، بالنظر في الآيات الكونية، وتدبر الآيات القرآنية، ثم نتقرب إليه بما يحبه ويرضاه: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل: ٧٨].

فهؤلاء أصحاب العقول استعملوا عقولهم بالنظر والتفكير والتدبر في الملك والملكوت، فشاهدوا أن الملك كله بيد الملك العزيز الجبار وحده لا شريك له، هو الخالق له، والامر فيه، وهو القابض والباسط له، وهو المانع والمعطي منه، وهو الملك المتصرف فيه: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [التجافى جنوبيهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفًا وطمعًا ومما رزقناهم ينفقون ﴿١٦﴾﴾ [الأنعام: ١٥-١٦].

فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

الله أكبر ما أعظم بيان الحق، من رحمة أرحم الراحمين أن بين الحق بيانًا لا يخفى معه أبدًا

إلا عن محروم، أو عن مستكبر، وإلا الحق سبحانه في ظهوره أعظم من ظهور الشمس، بل أعظم من ظهور ملايين الشمس: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: ٣].

وبالحق الذي أنزل الله نعيم الحق من الباطل، بنور الإيمان نعيم الحق من الباطل، والخير من الشر، والخالق من المخلوق، هذا النور أعظم من نور الشمس بملايين المرات، ولكن لمن أراد الله هدايته، ولأولي الألباب والعقول: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فمن عرف الحق، ودينه الحق، آمن بالله وعبده وحده لا شريك له: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذِرُكُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد: ١٩].

فهؤلاء لما علموا ذلك لم يطلبوا شيئاً من سواه، لعلمهم الذي وفر في نفوسهم، وأضاء نوره في قلوبهم، لم يطلبوا أي شيء إلا من الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/ ١٨٦].

فإن الله عز وجل يريدك عزيزاً، فلا تخضع للذليل، لا لمثلك، ولا لمن هو دونك، لا تخضع إلا للعلي الأعلى وحده لا شريك له: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴿٥﴾﴾ [الأعلى: ١-٥].

المؤمن عالٍ على المخلوقات كلها، عال على عالم الجماد، وعالم النبات، وعالم الحيوان؛ فلا يليق به أن يعبد شخصاً مثله، ولا صنماً دونه، من حجرٍ أو شجرٍ، إذًا فمن يعبد؟ يعبد العلي الأعلى، الملك العزيز الجبار، الذي له ملك السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض، له جنود السموات والأرض، وله مقاليد السموات والأرض، وله ميراث السموات والأرض، وله ما في السموات وما في الأرض.

هذا الملك هو الذي يستحق أن يُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، ويُطاع فلا يُعصى:

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

هو الملك الحق الذي يجب أن نكون عبيده وحده لا شريك له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠١] لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [١٠٣] [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

هؤلاء هم أولوا العقول، أولوا الأبواب، أولوا البصائر، فلما عرفوا الله ﷻ بآياته ومخلوقاته، وأسمائه وصفاته، وأفعاله وخزائنه، ووعده ووعيده، ودينه وشرعه، ماذا طلبوا من ربهم جل جلاله؟ الذين عرفوا الله ماذا طلبوا؟ سألوها الله ﷻ أعظم ما في خزائنه وهو الهداية إلى الصراط المستقيم فقالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢] الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ [الفاتحة: ٢-٧].

هم طلبوا هذا السؤال العظيم، هذا السؤال الذي نكرره لأهميته في اليوم أكثر من أربعين مرة، في صلاة الفرض والنفل.

طلبوا من ربهم أن يهديهم الصراط المستقيم، وأن تفتح لهم أبواب الهداية، أبواب العلم والمعرفة، أبواب التقوى والبر والإحسان، أبواب الذكر والدعاء، أبواب الحمد والاستغفار.

هذا أعظم سؤال في القرآن، وأول سؤال في القرآن، فلا يليق بالمسلم أن يسأل إلا أعظم شيء: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

والله ﷻ عظيم ولا يُعطي إلا العظيم، والهداية أعظم شيء في خزائن الله، يعطيها من يعلم أنه أهل لها: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [٢١] [الحديد: ٢١].

فالله أكبر هؤلاء القوم الذين اصطفاهم الله واجتباهم، واختارهم، وهداهم، لما يعلمه من صفاء قلوبهم، وقوة إيمانهم وتعبدتهم له جل جلاله، فالله ﷻ زادهم هداية وإيماناً، فهؤلاء سكنوا داراً مُلئت بالمخلوقات والفتن، ومع ذلك لم يروا مع الله سواه، ولم يشاهدوا في الكون سوى مولاهم، فتوكلوا عليه، وسألوه الهداية إليه، وجاهدوا

وصبروا على ما أصابهم من أجله، فأعطاهم مبتغاهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت / ٦٩].

هؤلاء جعلنا الله وإياكم والمسلمين منهم هؤلاء عرفوا ربهم فأمنوا به، وعرفوا دينه فعملوا به: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأفال: ٢-٤].

• فالمؤمن بين يدي ربه بين خمسة أمور:

طاعات يؤديها .. ومعاصٍ يجتنبها .. ونعم يشكر الله عليها .. وذنوبٌ يستغفر الله منها .. ومصائب يصبر عليها.

فلا يخاف إلا الله ولا يرجو إلا الله ولا يتوكل إلا على الله: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم / ١٢].

والله ﷻ ما عرفنا بأسمائه وصفاته وأفعاله إلا يريد منا أن نتعبد له بهذه الأسماء الحسنى، ونتقرب بها إليه جل جلاله، فالله بينها لنا ودعانا للاتصاف بها، والتخلق بها على شاكلة العبودية، الله عزيز يريد مني أن أكون عزيزاً ولا أذل إلا له، وهو ﷻ كريم يريد مني أن أكون كريماً، والله ﷻ عليم ويجب من يُعلم الخلق، ويتعلم دينه: ﴿كُونُوا رَبَّكُمْ نِعْمَ كُفَّرْتُم مَّا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران / ٧٩].

والله محسن يحب المحسنين، والله مؤمن يحب المؤمنين به؛ بل ساهم بالمؤمنين؛ لمحبتة لهذا الاسم: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

والجبار من أسماء الجلال، ومن أسماء الجمال، فهو الجبار العالي على خلقه، الجبار على الظالمين والطغاة والمجرمين، هذا اسم جلال.

وهو الجبار للمنكسرين، والمستضعفين، والسائلين هذا اسم جمال، والدين كله جبرٌ

للخواطر، كله جبرٌ، فالله جل جلاله هو العزيز الجبار، الجبار على الظالمين، الجبار للمظلومين، الجبار العالي على خلقه، الواحد القهار، الذي بيده الملك والخلق والأمر: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الحشر: ٢٣).

فمن عرف الله ﷻ بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی، وعرف أسماء الجلال والجمال، وعرف كمال عظمة ربه وقوته وجبروته؛ خاف منه، وتعلق به، ولجأ إليه، وانكسر بين يديه، وتوكل عليه، وحده لا شريك له، وفعل الأسباب بجوارحه، وتوكل على الله بقلبه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (التغابن / ١٣).

فنحن نفعل الأسباب بجوارحنا؛ لأننا في دار العمل، ودار العمل لا بد فيها من العمل بالقلوب والأبدان، فنعمل لله بجوارحنا، ونتوكل على الله ﷻ بقلوبنا، ولا نعتمد على الأسباب؛ فالأسباب مخلوقة ليس بأيديها شيء، بل هي مأمورة، فالشمس مأمورة بالإنارة، والسحب مأمورة بالمطر، والأرض مأمورة بالإنبات.

فهذه المخلوقات كلها عبيد لله ﷻ، وجميع العبيد خاضعون لأمره، ومستجيبون لمشيئته، ومسرعون لإرادته، وشاهدون بوحدانيته، وساجدون لعظمته: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَإِذَا نَادَىٰ عَلَيْهِمْ أَحَدُهُم أَن تَبِعُوا لِي وَأَتَّبِعْ أَمْرِي لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ﴾ (النحل: ١٧). ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يَمُنْ بِاللَّهِ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (الحج: ١٨).

فكما نجتهد على أبداننا بحسن الطعام والشراب وأخذ حظنا من النوم، والاعتسال وفعل الأسباب، ليقوى البدن، فهذا أمر مطلوب، وكذلك يجب أن نجتهد على قلوبنا لتمتلي بالإيمان، فالقلب مطلوب أن يمتلي بالإيمان، حتى تتحرك الجوارح بالأعمال الصالحة، وينطق اللسان بالذكر والدعاء والدعوة، وتتحرك الجوارح بالطاعة والعبادة، إما صلاة أو صوم، أو زكاة أو حج، أو دعوة أو تعليم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ

رَبِّهِمْ وَمَعْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

الدنيا ظرف كبير، وأعظم ما في هذا الظرف هو الإنسان، هذا الإنسان الذي خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، يريد في الدنيا أن يكون خليفة في الأرض.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠].

والخليفة لا بد أن تكون له صفات عالية يميز بها عما سواه، فالإنسان خليفة في الأرض؛ يمثّل أوامر ربه، يفعل الأوامر، ويحْتَنِبُ النواهي، ويدعو الناس إلى الملك العزيز الجبار؛ فالله يريد منا أن نكون خلفاء في الأرض، أمناء نحمل النفس على طاعة الله، وندعو الناس إلى دين الله، ليتعلقوا بالجبار؛ فيعرفوه ويكبروه ويعرفوا نعمه وإحسانه؛ فيشكروه، ويعبدوه، ويذكروه: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَّا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: ٢٦].

ويوم القيامة يريد الله لهذا الإنسان أن يكون في أعلى مقام: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدَّرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤ - ٥٥].

فالله أكبر كم عظمة هذا الاسم العظيم، الذي من أقسامه أن يكون اسم جلال للرب ﷻ، ومن أقسامه أن يكون اسم جمال للرب ﷻ.

وأكثر الخلق لا يعرف للجبار إلا الجبروت والقهر، ولكن جبروته جل جلاله مقرونٌ بالقدرة المطلقة، فقدوته لا يحدها شيء، والقدرة المطلقة مقرونةٌ بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة مقرونةٌ بالخير المطلق: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦].

فالعبد إذا عرف ربه العزيز الجبار المتكبر؛ تواضع لعظمته وجلاله، وتصاغر لكبريائه،

وذل لجبروته، وانكسر بين يديه، وطلب العفو والمغفرة من ربه العزيز الجبار، رغبةً في أن يجبر الله كسره، ويرحم ضعفه، فمن عرف ربه العزيز الجبار؛ عرف نفسه بالذلة والصغار؛ فيتواضع لعظمة العظيم، ويتصاغر لكبرياء الكبير، ويتذلل لجبروت الملك العزيز الجبار، وينكسر بين يديه؛ لما يرى من هيئته وعظمته وجلاله، ويطلب العفو والمغفرة منه؛ رغبةً في أن يجبر الله كسره، ويرحم ضعفه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون/ ١- ٢].

فمن عرف الله حقاً آمن به حقاً: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر/ ٦٧].  
الله ﷻ هو الملك العزيز الجبار المتكبر، لا إله غيره، ولا رب سواه.

وحظ العبد من اسم ربه الجبار الذل له، والتواضع لعظمته، بأن يلزم حال الافتقار للعزيز الجبار، ويلبس ثوب الاستكانة وإن عظمت منه المكانة، ويستجير بربه الجبار عند غلبة الجبايرة، فلا إله غيره ولا رب سواه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فسبحان الجبار الرحيم الذي يجبر قلوب الضعفاء المنكسرين، ويقصم ظهور الجبايرة المستكبرين، جبار القلوب والأبدان، الذي جبر الخلق على توحيده بما أظهره من أسائه وصفاته، وآياته ومخلوقاته: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

الله ﷻ أجبر الخلق على الإيمان به، لما يروونه من عظمته وجلاله وكبريائه، ولما يروونه من نعمه وإحسانه، ولما يروونه من آياته ومخلوقاته، ولما يروونه من عظمة أسائه وصفاته: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾ [الزمر: ٦].

هو جل جلاله الجبار، فلا مصلح لأحوال الخلق إلا هو، الجبار وحده الذي بيده مقاليد الأمور، ومن رحمته بعباده أن يتليهم بالمصائب، ليردهم إليه، وأعظم المصائب أن يصيبك بالبلاء ثم لا تتوجه إليه في رفعه، أعظم المصائب أن يرسل الله لك رسالة إنذار بمرضٍ أو مصيبة ثم لا تتوجه إليه في رفعها وحلها، بل تتوجه إلى غيره، فالأمور كلها

بِيدِ اللَّهِ ﷻ: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾ [الذاريات: ٥٠ - ٥١].

فسبحان الجبار الذي بيده ملكوت كل شيء: الأمن، والخوف، والصحة، والمرض، والبسط، والقبض، والعطاء والمنع، والغنى والفقير، والعزة والذلة كلها بيد الله ﷻ، هو الذي يأتي بها، وهو الذي يزيدها، وهو الذي ينقصها، وهو الذي يرفعها: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾ [الملك: ١].

فمن أعظم المصائب أن يصيبك بالبلاء، ثم لا تتوجه إليه في رفعه، وهو الجبار الذي ابتلاك ليعافيك؛ فتوجه إليه وحده لا شريك له: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ [الأنعام: ٤٣].

فإذا انكسرت أو أصابتك مصيبة، فافزع إلى العزيز الجبار الذي بيده مقاليد الأمور، وتوكل عليه وحده، فهو قاضي الحاجات، ومجيب الدعوات، المعطي الذي لا تنقص خزائنه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٣﴾ [التغابن: ١٣].

واعلم أن اسم الرزاق اقتضى مرزوقاً، هو الرزاق الذي خلق الأرزاق، وخلق المرزوقين، فاسمه الرزاق اقتضى مرزوقاً، واسمه التواب اقتضى تائباً من المعصية، واسم الرحمن اقتضى مرحوماً، واسم الجبار اقتضى منكسراً، فإذا انكسرت بين يديه، فلا جابر لكسرك إلا الجبار، إذا انكسرت بمرض أو فقر أو خوف وبلاء، فلا جابر لكسرك إلا الجبار، فاسأله فإنه قريب رحيم لطيف، قادرٌ على كل شيء: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ ﴿١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦].

واعلم أن الشيطان عند المصائب يريد أن يعذبك بغيره، ممن لا يملك كشف الضر، فيزين لك الاعتماد على الأسباب وحدها، هو يعلم أنك إذا توجهت إلى ربك الجبار قضى حاجتك؛ فزاد إيمانك، وزاد حبك لربك، وهو لا يريد ذلك؛ لأنه عدو لك: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ﴿٦﴾ [فاطر: ٦].

ولكننا مأمورون بفعل الأسباب، بجوارحنا، والاعتماد على الله بقلوبنا: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ



رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾  
[الأنعام: ١٠٢].

ومن ضحك الشيطان على بعض الناس، أنه يأمرهم بفعل الأسباب والاعتماد عليها فقط، ولا يكون لله ذكر، فإذا انحلت المشكلة، يقول: رأيت كيف فعل الأسباب، وكذا لو لم تحل المشكلة، فيأمر بالذهاب إلى من بيده كل شيء، إذا عجز من ليس بيده شيء، فالله أكبر كم أضل من الخلق: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمُ ابْنُ آدَمَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ يُدْعَىٰ إِلَهُ الْفِرْقَانِ وَاللَّهُ الْأَكْبَرُ﴾ [سبأ/ ٢٠].

إن الشيطان ضحك على كثير من الناس، يأمرهم بفعل الأسباب والاعتماد عليها فقط، فإذا لم تحل المشكلة فيأمر بالذهاب إلى من بيده كل شيء إذا عجز من ليس بيده شيء، وهذا فهمٌ منتكس: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُم مَخْرَجًا﴾ [النمل/ ٦٢].

إله مع الله يخلق ويرزق، ويعافي ويقضي الحاجات؟ لا إله معه، ولو فزعت إلى ربك الجبار الرؤوف الرحيم لقضى حاجتك بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب؛ فهو جل جلاله قاضي الحاجات.

يقضيها بدون الأسباب: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس/ ٨٢].

ويقضيها بالأسباب: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج/ ٥].

فالله ﷻ هو قاضي الحاجات كلها، ولكننا مأمورون بفعل الأسباب بجوارحنا امتثالاً لأمر الله، والتوكل على الله بقلوبنا التوكل على الله في الشفاء والأمن والعافية في كل شيء، لماذا؟ لأن الله ﷻ وكيل على جميع الخلق، هو على كل شيء وكيل، فيفعل ويقضي الحاجات بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب، كما ربي موسى ﷺ في قصر فرعون، وأنجى إبراهيم ﷺ في النار: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء/ ٦٩].

وكما أنجى يونس عليه السلام في بطن البحر والحوت.

فهو قاضي الحاجات بدون الأسباب، وبضد الأسباب وبالأسباب.

واعلم أنك ستقف بين يدي الجبار يوم القيامة فاتق الله الذي ستقف بين يديه، ليجازيك بما عملت من خير أو شر: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية/ ٢٥-٢٦].

وسترى كل ما عملته من خير أو شر: ﴿يَوْمَ إِذْ يَعِزُّ الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَالَهُمْ ذِكْرًا لِيَسْأَلُكُمُ التَّوَّابِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة/ ٦-٨].

هو سبحانه الجبار، فلا تكن جبارًا ظالمًا لخلقه، وإياك أن تكون جبارًا على والديك، بل أحسن إليهم كما قال عيسى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ [مريم/ ٣٠-٣٢].

فسبحان الملك الجبار، العلي الأعلى، الجبار القهار لما سواه، الجبار للقلوب المنكسرة، ومن لاذ به، الذي من طرح نفسه بين يديه، جبره وقضى حاجته، كم قضى الله ﷻ من حاجات المظلومين، وكم قضى من حاجات المؤمنين، وكم قضى من حاجات الأنبياء، فتوجه إليه في كل مسألة من المسائل، وفي كل مشكلة من المشاكل؛ فهو جبار يجبر قلوب المنكسرة قلوبهم، ويقضي حاجتهم، يقضي جميع الحاجات جل جلاله؛ لأنه الصمد الذي صمد لجميع حوائج الخلق، وجميع الخلق يصمدون إليه في جميع حوائجهم؛ لأنه الملك العزيز الجبار وحده لا شريك له: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

فالله ﷻ ماذا قال عن أنبيائه لما سألوه، جميع الأدعية الواردة في القرآن كلها تجعل المسلم يتوجه إلى الله في كل سؤال، في الصغير والكبير، كما دعا الأنبياء، فكل الأنبياء دعوا الله ﷻ في كل أمر من الأمور فأجابهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْأَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فالله ﷻ سميع بصير ورحيم؛ فلا بد أن أدعو الله وأنا متيقن أنه إن تكلمت سمعني، وإن تحركت أبصرني، وأنه أرحم بي من نفسي، وأنه قادرٌ على قضاء حاجتي، وأنه يجب قضاء حاجتي.

لا بد استحضر هذه المعاني؛ لأن خزائن كل شيء بيده؛ خزائن الشفاء بيده، خزائن الأمن بيده، خزائن الرحمة بيده، خزائن الخوف بيده، خزائن العزة بيده، بيده ملكوت كل شيء: ﴿تَبَرُّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك / ١].

فلنظر الأنبياء بماذا دعوا؟ وكيف الله ﷻ أجابهم؟ ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء / ٨٣].

لأنه جلس في المرض وقتاً طويلاً، حوالي ثمانية عشر عاماً وهو في المرض. فماذا فعل الجبار بشأنه؟ قال: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ فكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء / ٨٤].

ويقول ﷻ عن يونس: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء / ٨٧].  
فماذا قال الجبار عنه؟ قال: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَبَيَّنَّا لَهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء / ٨٨]؛ نحن.

وماذا قال زكريا؟ ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء / ٨٩].

ماذا قال الجبار عنه؟ قال: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء / ٩٠].

وماذا قال عن مريم: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [٩١] إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ [الأنبياء / ٩١-٩٢].

فالله ﷻ يريدنا في جميع الحوائج والأمر أن نتوجه إليه جل جلاله؛ لأن هو الجبار، هو

الجبار للمظلومين والمنكسرين والمحتاجين، والفقراء والمرضى والعاجزين، فمن أراد أن يجبره الجبار ويقضي حوائجه، فليستقم على أمره: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق / ٣].

هو الجبار الذي دمر الطغاة والمستكبرين: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ [الإسراء: ١٧].

فاخضع رحمك الله لربك العزيز الجبار، وتذلل بين يديه، وكن عبد العزيز، عبد الجبار، عبد الملك؛ يُعزك، ويجبرك، ويملكك جوارحك؛ فتطيع ربك بنعمه، وما جاء به رسوله ﷺ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

قال طاووس: رأيت زين العابدين علي بن حسين ساجداً في حجر الكعبة، فقلت رجل صالح لأسمعن ما يقول، فاقتربت منه فسمعته يقول: عبدك بفنائك فلا ترده، مسكين بفنائك فلا تطرحه، سائل بفنائك فلا ترده، فقير بفنائك فأغنه. قال طاووس: فرأيت الذل كل الذل للجبار بهذه الكلمات، ثم قال: والله ما دعوت الله بهذه الكلمات إلا استجاب لي.

فالله أكبر، كم اليقين في قلوب الأنبياء والمؤمنين، هؤلاء الذين لهم صلة بالله ﷻ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ آتَاءَ الْيَلِّ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر / ٩].

ومن أراد الله عزه أفاض عليه لباس الذل والافتقار للعزيز الجبار، فموسى ﷺ سقى للمرأتين في مدين، ثم قال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص / ٢٤]. والجبار قريب منه يسمعه ويراه، وفورا جاءت النصرة: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ ابْنِي يَدْعُوكَ لِجِزْيِكَ أَجْرًا مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص / ٢٥].

فجبره الله ﷻ برجلٍ زوجه ابنته وطمأنه؛ لأنه خضع للجبار جل جلاله؛ فجبره بالأمن

والإيمان والرسالة والزواج.

هو سبحانه الجبار الفعال لما يشاء، الجبار الذي يربي أوليائه في قصور أعدائه كما ربي موسى ﷺ في قصر فرعون، الذي كان يقتل الأولاد، ويستحيي النساء.

ويشاء الجبار أن يذل فرعون، فيربي من اجتهد على قتله، ومن كان زوال حياته ومملكه على يده في قصره: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَزُرِّيْدُ أَنْ نَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَهُمْ أَيْمَةً وَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنَمَكَّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَزُرِّيْدُ فِرْعَوْنَ وَهَمَلْنَا وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [القصص/ ٤-٦]؛ فماذا فعل الله بفرعون وجنوده: ﴿فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ، فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزخرف: ٥٤-٥٥].

ويوسف ﷺ طفل صغير، وإخوته كادوه وظلموه ولكن الله جبر قلب يوسف فأخرجه من البئر إلى بيت العزيز، وأخرجه من السجن إلى القصر؛ ثم جمعه بأبويه وإخوته: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف: ١٠٠].

فتذلل لله جل جلاله، وتذلل لأوليائه؛ واعلم أنك عبد العزيز الجبار، فكن جباراً لأهل الأرض، ادعوا ضالهم، وعلم جاهلهم، وأحسن إلى ضعيفهم، واجبر كسر الفقير، وخذ بيد العاجز: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٣-٣٥].

ومن آمن بربه الجبار، واستقام على دينه العظيم، رضي بقضائه وقدره واستسلم لأمره، فيجبر الله فقره الذاتي بالغنى الذاتي، وذله الذاتي بعز ربه الذاتي: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون/ ٨].

وأكبر جريمة تؤدي إلى الكفر هي التكبر والغرور والجبروت الذي يفضي بالعبد إلى الكفر بالله العزيز الجبار، كما حصل من إبليس: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة / ٣٤].

فمعرفة أسماء الله وصفاته تثمر للعبد تعظيماً لله، وتكبيراً له، وحباً له، وحمداً له، وطاعة له، وانكساراً بين يديه، وخوفاً منه، وطمعاً في ثوابه، وخوفاً من عقابه، ومهابة وإجلالاً له سبحانه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

وحظك من اسم ربك الجبار عند الدعاء، إذا أردت أن يرفع شأنك، ويعلو قدرك، فقل: يا جبار يا علي ارفع قدري وشأني بطاعتك وتوحيديك، وحسن عبادتك، وإذا أصابتك مصيبة فقل: يا جبار اجبرني، وإذا أذنبت ذنباً فقل يا جبار اجبرني؛ فهو الجبار الغفار الذي يغفر الذنوب جميعاً: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [٢٢] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٣].

وإن كنت ضعيفاً، فقل: يا جبار اجبرني، وقوني على طاعتك، وإن كنت مريضاً فقل: يا شافي اشفني، فإن كنت ضعيفاً فقل: يا جبار اجبرني، وقوني على طاعتك، وقوني على عدوي، وقوني على كل جبار في الأرض، واعلم أنه لا يجبر خواطر الخلق بما يصلحهم إلا الجبار الرحمن الرحيم وحده؛ فلا تتوجه لأحدٍ سواه فتشقى به، وتخذل من جهته: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢].

هو الجبار الذي بيده الملك والملكوت، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، هو الجبار الذي جبر قلوب أنبيائه ورسله وأوليائه، وجبر جميع الخلق؛ لأنه الجبار الذي بيده ملكوت كل شيء.

فتوجه إلى الجبار في جميع أمورك، فإن كنت مريضاً فلن يجبر خاطرك بالشفاء إلا الله، وإن كنت خائفاً فلن يجبر خاطرك بالأمن إلا الله، وإن كنت ذليلاً فلن يجبر خاطرك بالعز إلا الله، وإن كنت مذنباً فلن يجبر خاطرك بالعتق والمغفرة إلا الله فلا تيأس: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ

الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ  
الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ [الزمر / ٥٣].

هو الجبار والغفار: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا  
رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ [النساء / ١١٠].

فلن يجبر كل نقص، ولن يجبر كل خاطر، ولن يسد أي حاجة إلا الله تعالى وحده لا  
شريك له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ  
شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فجميع الأمراض النفسية كلها سببها نقص الإيمان، سببها الشرك: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا  
آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ [الشعراء / ٢١٣].  
معذبين بدنياً، ونفسياً، ومالياً.

ومن أراد أن يجبر الله خاطره، ويفرج كربته، فليجبر خواطر الأهل والأقارب والناس،  
والمحتاجين، ومن رحم الناس رحمه الله.

قال النبي ﷺ: «ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ» أخرجه الترمذي<sup>(١)</sup>.  
ويقول الرسول ﷺ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

ويقول ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي» أخرجه الترمذي<sup>(٣)</sup>.

ويقول الرسول ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» متفق عليه<sup>(٤)</sup>.

ويقول ﷺ: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ  
وَالْمَسْكِينِ ﴿٣٦﴾ [النساء / ٣٦].

ومن جبر خاطر إنسان جبر الله خاطره، ومن جبر خاطر المسلم لأخيه؛ مواساته  
ونصرته، والإحسان إليه، والوقوف معه عند حاجته.

عن البراء بن عازب ؓ قال: «أَمَرْنَا بِسَبْعٍ : ، بِاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَإِجَابَةِ

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (١٩٢٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥١٨٦) واللفظ له، ومسلم برقم (١٤٦٨).

(٣) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٣٨٩٥).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٢٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٨٥).

الدَّاعِي، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَرَدِّ السَّلَامِ، وَإِبْرَارِ الْمُقْسِمِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.  
هذا كله جبر للخواطر وإدخال السرور على الغير.

فاجبر خواطر الخلق ما استطعت تكون عبداً للجبار، وتتصف بصفات الجبار على شاكلة العبودية: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۗ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة: ٢].

وإياكم والتجبر والتكبر على الخلق؛ فإن الجبارين توعدهم الله بالعذاب الأليم في النار: ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَٰكِدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ، وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ، وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴿١٧﴾ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم/ ١٥-١٧].

وقد احتجت الجنة والنار؛ فقالت الجنة: في فقراء الناس وضعفاؤهم، وقالت النار: وكلت بالمتجبرين والمتكبرين، ويخرج عنق من النار فيقول: وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد.

واعلم أن العمل بمقتضى اسم الله الجبار والمتكبر أن تخضع لله، وتتذل له، لا أن تتصف بالتجبر والقهر والاستكبار على عباد الله ﷻ.

فاسم الله الجبار اسم جلال، واسم جمال، وهو من أسماء الله الحسنى التي يجب أن تدخل في حياتنا كل يوم، ويجب أن نتذكر الجبار في كل حين: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيٰ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

ربنا آمننا بأسمائك وصفاتك وأفعالك، وآمنا بدينك وشرعك: ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران/ ٨].  
اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي جدي وهزلي، وخطأي وعمدي وكل ذلك عندي.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٨٦٣) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٠٦٦).



اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني،  
أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير.

اللهم لا تدع لنا ذنبًا إلا غفرته، ولا همًّا إلا فرجته، ولا محرومًا إلا أعطيته ولا مريضًا إلا  
شفيته، ولا ضالًّا إلا هديته، ولا فقيرًا إلا أغنيته، ولا حيران إلا دللته، ولا كسيرًا إلا  
جبرته، ولا عدوًّا إلا أهلكته، ولا زلة إلا سترتها برحمتك يا أرحم الراحمين، يا ذا الجلال  
والإكرام، يا رب العالمين.

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وارفعنا ولا تضعنا.  
اللهم يا قوي يا عزيز يارب العرش المجيد، يا فعال لما تريد، أغننا بحلالك عن حرامك،  
وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمن سواك.

اللهم يا من بيده الملك والملكوت، وله العزة والجبروت، أنت الواحد القهار، اصرف  
عنا ما نطيق وما لا نطيق، واكفنا شر كل جبار عنيد، نعوذ بعزتك من شر ما نجد  
ونحاذر، ونعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلنا، ونسألك بعزتك التي قهرت بها كل  
أحد أن تقهر عنا الطغاة والجبابرة.

اللهم يا قوي، يا جبار، يا عزيز، يا قهار يامن بيده الأمر كله، يا ناصر الأنبياء والمؤمنين  
انصرنا على أعدائنا في كل مكان، يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم انصر إخواننا المجاهدين في كل مكان، اللهم انصرهم على عدوك وعدوهم يا رب  
العالمين.

اللهم إن أعداء المسلمين سفكوا الدماء، وأرملوا النساء، وانتهكوا الأعراض، وخربوا  
الديار، اللهم مزقهم كل ممزق، وانصرنا عليهم في مشارق الأرض ومغاربها يا رب  
العالمين.

اللهم يا جبار، يا سميع الدعاء، يا سابغ النعم، يا دافع النقم، يا مجيب دعوة المضطرين،  
انصر المجاهدين في سبيلك في كل مكان، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك،  
وعبادك المؤمنين يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم يا جبار، يا من بيده المُلْك والملكوت، يا من لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، اللهم إن أعداءنا قد طغوا وبغوا وتجبروا، اللهم انصر المؤمنين عليهم في كل مكان.

اللهم لا ترفع لأعداء الإسلام رايةً في السماء إلا أسقطها، ولا في الأرض إلا خسفت بها، ولا في البحر إلا أغرقتها.

اللهم انصر عبادك المؤمنين، وحزبك المفلحين وأولياءك المتقين، يا خير الناصرين، يا أرحم الراحمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

## في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

### الباب التاسع

ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية :

٣٨-٣٩- اسم الله الخالق.. الخلاق.

التعبد لله عز وجل باسمه الله الخالق.. الخلاق.

٤٠- اسم الله الباري.

التعبد لله عز وجل باسمه الباري.

٤١- اسم الله المصور.

التعبد لله عز وجل باسمه المصور.

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الخالق.. الخلاق

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله الخالق.. الخلاق

الله ﷻ أراد أن يعرف فخلق هذا الكون العظيم؛ وجعله مظهرًا لأسمائه وصفاته، فمن تأمل وتدبر في الكائنات؛ علم أن لها خالق أوجدها، وهذا الاسم العظيم من أعظم أسماء الله التي ظهرت آثارها في الكون، ولا زالت تظهر في كل وقت وحين: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السموات والأرض، وأسماء الله ﷻ دالة على ذات الله ﷻ، ودالة على صفة زائدة، فالخالق يدل على اسم الله الخالق، ويدل على صفة الخلق، والرزاق يدل على صفة الرزق، والكريم يدل على صفة الكرم.. وهكذا: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨].

• وأسماء الله ﷻ من حيث معانيها تنقسم إلى ستة أقسام:

الأول: الأسماء الدالة على ذات الله ووحدانيته.

مثل: الواحد، الأحد، الله، الإله، الحق، الحي، القيوم، الأول، الآخر، وغيرها من الأسماء.

الثاني: الأسماء الدالة على الملك والقدرة.

مثل: الملك، القادر، العزيز، الجبار، المهيمن، القهار، القوي، وغيرها من الأسماء الحسنى.

الثالث: الأسماء الدالة على الخلق والإيجاد والإمداد.

مثل: الخالق، الخلاق، البارئ، المصور، الرزاق، الوهاب، الكريم، البر، المقيت، المعطي وغيرها من الأسماء الحسنى.

الرابع: الأسماء الدالة على العلم والإحاطة.

مثل: السميع، البصير، العليم المحيط، الخبير، الرقيب، الشهيد، الحفيظ.. وغيرها من الأسماء الحسنی.

الخامس: الأسماء الدالة على الرفق والرحمة والمغفرة.

مثل: الرب، الرحمن، الرحيم، الرؤوف، اللطيف، العفو، الودود، الشكور، والغفور والغفار وغيرها من الأسماء.

السادس: الأسماء الدالة على الهداية، والبيان مثل: الهادي الذي يهدي من يشاء، المبين الذي بين الحق، وبين نفسه، والوكيل، والكفيل وغيرها من الأسماء الحسنی. فهذه أقسام أسماء الله الحسنی، لا بد للقلب أن يعرفها، ولا بد للمسلم لكي يسهل عليه معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته أن يعرف هذا التقسيم.

فاسم الله الخالق من أعظم أسماء الله الحسنی التي ظهرت آثارها في الكون: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فكل مخلوق إنما وجد بأمر الخالق جل جلاله، فليس في الكون إلا اثنان: خالق ومخلوق، ومملك ومملوك، ورازق ومرزوق، ورب وعبيد: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

فالله ﷻ هو الخالق وكل ما سواه مخلوق، فالعين ترى المخلوقات والقلب يرى الخالق من وراء المخلوقات، العين ترى الصور بأحجامها وألوانها وأشكالها، والقلب يرى المصور الذي خلق السموات والأرض، وخلق الجبال والبحار والرجال والنساء، وغيرها من المخلوقات.

والمقصود من هذه المخلوقات أن نعرف الملك العظيم، ونعرف عظمة ملكه، وعظمة خلقه، وعظمة تدبيره في ملكه العظيم جل جلاله، فكما يتأثر البصر بالرؤية فيسلك الطريق المناسب؛ كذلك يتأثر القلب بالمعرفة فيسلك الطريق إلى ربه بالحب الكامل والتعظيم الكامل والذل الكامل له جل جلاله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَقْلًا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

الله ﷻ من أسمائه العظيمة اسم الله الخالق، واسم الله الخلاق؛ فالله ﷻ هو الملك الحق

الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى، الخالق الذي خلق كل شيء: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٣-٢٤].

وقد ورد اسم الله الخالق في القرآن ثمان مرات، وورد في السنة اسماً وصفة، ومنها قوله ﷺ: «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ» أخرجه أحمد<sup>(١)</sup>.

• أما اسم الله الخلاق فقد ورد في القرآن مرتين:

في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر/ ٨٦].

وفي قوله سبحانه: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ [يس/ ٨١].

واسم الخالق جل جلاله اسم فاعل على وزن فاعل، مأخوذ من الفعل خلق، وكذلك اسم الخلاق مأخوذ من الفعل خلق، لكن الخالق اسم فاعل، والخلاق صفة مبالغة، واسم الخالق يقتضي مخلوقاً، والمخلوق أنواع مختلفة من عالم الجماد، وعالم النبات وعالم الحيوان وعالم الإنسان، وعالم الجن، وعالم الملائكة، وعالم الغيب، وعالم الشهادة، وعالم النجوم، عوالم مختلفة لا يحصيها إلا الذي خلقها: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلِمَةٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٤٩-٥٠].

• والخلق يطلق على شيئين:

الأول: خلق الشيء على غير مثال سابق، كما قال سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام/ ١].

يعدلون به من لا يخلق، ولا يليق بالعباد أن يعبد من لا يخلق: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل: ١٧-١٨].

بل يعبد من خلق كل شيء: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٠٩٥).

فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٤﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فإنه وحده خالق كل شيء على غير مثال سابق: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام: ١٠١].

فإنه سبحانه يثني على نفسه، بأنه خلق السموات والأرض على غير مثال سابق.

وهذا الخلق للسموات العظيمة، ولهذه الأرض الواسعة، يدل على كمال قدرة الخالق، وعلى أنه عليم وقادر، وسميع وبصير وملك وقوي، وغني وحكيم، صفة الخلق مقرون بها عدة صفات تدل على قدرة الخالق وعظمته، ولذلك تأتي كثيراً بنون الجمع التي تدل على عظمة الخالق كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ وَمِنْ﴾ [ق: ٣٨].

المعنى الثاني: الخلق يطلق على إيجاد الشيء من الشيء، كما يخلق الله ما لا يحصيه إلا هو من أنواع النبات والحيوان والإنسان وغيرها، كما قال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

فإنه يخرج الشيء من الشيء، فإنه خلق آدم، ومن ضلع من أضلاعه خلق حواء، ومن آدم وحواء الله سبحانه جعل نسل البشرية ذكوراً وإناثاً: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٨﴾﴾ [السجدة: ٦-٨].

وهو الخالق القادر على كل شيء، له جميع أنواع الخلق.

خلق آدم بلا أب ولا أم، وخلق من آدم حواء، وخلق عيسى عليه السلام من أم بلا أب، وخلقنا نحن من أم وأب في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر: ٨٦].  
هذه أشكال القدرة تدل على عظمة الله، خلق آدم بلا أب ولا أم، وخلق حواء من أب بلا أم، من أحد أضلاع آدم عليه السلام، وخلقنا نحن رجلاً ونساءً من أم وأب، وخلق عيسى عليه السلام من أم بلا أب.

فإنه جل جلاله هو الخالق العليم، يخلق بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب.



يخلق بدون الأسباب: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٨٢﴾ [يس: ٨٢].

ويخلق بالأسباب كما ينزل المطر على الأرض فتنبت من كل زوج بهيج: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ ﴿٥﴾ ذَلِكَ يَأْنِ لِلَّهِ أَنْ يَخْلُقَ مَا يَشَاءُ وَهُوَ عَلِيمٌ ذَكِيمٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ ﴿٧﴾ [الحج: ٥-٧].

ويخلق بضد الأسباب كما رزق زكريا يحيى مع كبر سن والديه: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ، رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٠].

فهو جل جلاله فعال لما يشاء، له القدرة المطلقة، والخلق المطلق، يخلق ما يشاء، في أي وقت شاء، بأي حجم شاء، لأنه الملك الحق الذي بيده مقاليد السموات والأرض: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿٦٢﴾ لَهُ، مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ [الزمر: ٦٢-٦٣].

والقلوب تحتاج إلى أن تعرف الخلاق، وما هي مخلوقاته؟ وماذا يريد من مخلوقاته؟ فمخلوقاته العظيمة في العالم العلوي والعالم السفلي، كلها شاهدة بوحدانيته، ومسبحة بحمده، ومستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته، وخاضعة لأمره: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبَرُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ﴿[النحل: ٤٩-٥٠].

فإنه خلق هذه المخلوقات؛ لتدل على عظمته وعلى عظمة أسمائه وصفاته وأفعاله. والله ﷻ هو الخلاق، والخلاق صفة مبالغة من خلق، فهو الخلاق الذي يخلق خلقًا بعد خلق، كم خلق الله من عالم الجمادات ومن عالم النباتات! ومن عالم الحيوانات! ومن عالم الطيور! ومن عالم الجن، ومن عالم الملائكة ومن عالم الإنس! خلق خلقًا بعد خلق لا يحصيه إلا هو.

هو الخلاق الذي يخلق في اللحظة الواحدة ما لا يحصيه إلا هو من مليارات المخلوقات

في العالم العلوي والعالم السفلي، وفي الدنيا والآخرة: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].  
وكذلك الخلاق يدل على كثرة المخلوقات التي يخلقها في كل آن بأنواعها وأجناسها وأشكالها، مليارات المخلوقات يخلقها الله في كل ثانية، كم كسى الله الصحراء بهذه النباتات المختلفة!

عالم النبات خلقه الله في الأرض على خلائق لا يحصيها إلا هو، تزيد على أربعين مليون صنف من أنواع النباتات، هذه الأم الحنونة، هذه الأم الكبيرة كم مواليدها من النباتات! كم من النباتات المختلفة التي أنجبته بأمر الله، التي لا يحصيها إلا هو! ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٨٦﴾ [الحجر/ ٨٦].

هو سبحانه الخالق الخلاق، كم عدد نجوم السماء؟! كم عدد ذرات الرمال؟! كم عدد قطرات البحار الأمطار؟! كم عدد الذرات والمجرات؟! فالله عَزَّ وَجَلَّ هو الخلاق الذي يخلق بالكميات ويخلق بالكيفيات.

حجماً خلق العرش العظيم، وخلق الذرة الصغيرة، وهذه المخلوقات في السماء والأرض تتكرر، ولكنها لا تتكرر إلا بأمره.

فكل ذرة في الكون تحتاج إلى ثلاثة أوامر حتى توجد، من الذرة الصغيرة والبعوضة والحشرات الصغيرة، إلى العرش والكرسي والسموات والأرض، كل مخلوق له ثلاثة أوامر من ربه، من الملك الذي له الخلق والأمر.

الأول: أمر بالإيجاد والخلق.

الثاني: أمر بالبقاء.

الثالث: أمر بالنفع والضرر، والتحريك، والتصريف، والتبديل، والتغيير.

كل هذه المخلوقات بيد الخلاق العليم جل جلاله.

هذا الإله العظيم، والرب الكريم، والخلاق العليم، والغني والكريم، هو الذي نعبد، وهو الذي نتوجه إليه، وهو الذي نسأله، وهو الذي خلقنا، وهو الذي له الخلق والأمر، وهو الذي استضافنا في بطن الأم، واستضافنا في بطن الدنيا، وسيستضيفنا في دار القرار في الجنة أو النار، حسب العمل الصالح، أو العمل السيئ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى الْيَلَّ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا  
وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾

[الأعراف: ٥٤].

فسبحان الخلاق العليم الذي خلق المخلوقات العظيمة في كل آن، بأنواعها وأجناسها،  
وأحجامها وألوانها: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر/ ٨٦].

وهو الخلاق الذي خلق جميع المخلوقات السابقة واللاحقة، الكبيرة والصغيرة، وكلها  
أثر من آثار اسمه الخلاق الذي خلق كل شيء، ولا يمتنع عليه شيء أراد خلقه: ﴿أَوَلَيْسَ  
الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [٨١] إِنَّمَا  
أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ [يس: ٨١-٨٢].

الذي يخلق بالكميات، ويخلق بالكيفيات والأحجام، ويخلق بالأنواع والأجناس هو  
الخلاق الذي يعلم مثاقيل الجبال، ومكايل البحار، بعد أن خلقها، ويعلم عدد قطر  
الأمطار، وعدد ورق الأشجار التي خلقها، ويعلم عدد ذرات الرمال، وعدد الهباءات  
الطائرة، ويعلم عدد الأنفاس، وعدد الأرواح، وعدد الكلمات، وعدد الخطوات، وعدد  
النيات والأقوال والأفعال: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ  
وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ رِزْقٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ  
إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال النبي ﷺ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟  
قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ﴾، أخرجه أحمد وأبو داود<sup>(١)</sup>.  
فربنا أسماؤه عظيمة، وصفاته عظيمة، وملكه عظيم، وأمره عظيم، وثوابه عظيم،  
وعقابه عظيم.

فسبحان الخالق البارئ المصور الذي خلق كل شيء من عدم، بعلم وقدره ومشيبته،  
الخلاق الذي يبدع في خلقه كيف شاء كما وكيفا، وحسنا وجمالا: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا  
إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠٢] لَا تَدْرِكُهُ  
الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٤٧٠٠)، وأخرجه أبو داود برقم (٢٢٧٠٥) وهذا لفظه.

هو سبحانه الخالق القدير، والمُلك العظيم؛ فالله له ملك السموات والأرض، وله ما في السموات والأرض من المخلوقات المختلفة، وله ما بين السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله مقاليد السموات والأرض، وله ميراث السموات والأرض.

ومن هذا خلقه، وهذا ملكه، وهذه عظمته، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٣﴾ [يونس: ٣].

هذه المخلوقات العظيمة الله ﷻ خلقها، ولا يزال يخلق جل جلاله؛ لأن الخلق صفة فعلية مقرونة بالمشيئة والإرادة، إذا أراد أن يخلق خلق، إذا شاء خلق، وإذا شاء لم يخلق: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ [القصص: ٦٨].

هذا الخلق العظيم الذي خلقه الله سواء رأيناه أو لم نره يعيده جل جلاله يوم القيامة، إظهاراً لقدرته يعيد ما خلق كما كان، ويخلق خلقاً كما كان أولاً، ويخلق خلقاً جديداً أحسن مما كان، هو يخلق ما شاء كيف يشاء بأي عدد شاء، بأي صورة شاء: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ مِن ثَمِّهُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٧﴾ [الروم: ٢٧].

هو الخلاق الذي أظهر باسمه الخالق جميع المخلوقات، فالله ﷻ أظهر في الدنيا أشياء، وأخفى أشياء.

الله ﷻ أظهر المخلوقات وحجب خلقه عن نفسه، فلا يرى في الدنيا؛ لأنهم لو رأوه عياناً لأطاعوه، ولم يخالفوا أمره، فيبطل التكليف؛ لأن الناس تخاف من العظيم ومن القوي إذا رآته عياناً، ولكن من رحمته أنا لا نراه في الدنيا، لكن الله يكرمننا يوم القيامة بأن نراه، من رآه بقلبه في الدنيا؛ سيراه ببصره يوم القيامة: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ ﴿٢٣﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

فالله ﷻ أظهر المخلوقات، وحجب المخلوقات عن رؤيته بحجب النور.

قال النبي ﷺ: «حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» أخرجه مسلم (١).

وهو جل جلاله أظهر الدنيا، وأخفى الآخرة، أظهر الدنيا وأخبرنا أن هذه الدنيا ليست بدار لنا، وعلق عليها لوحات تنفر الإنسان منها، ومن التعلق بها، بل نحن نمشي على ظهرها، ونطيع من خلقها، وهي ميدان الإيثار والعبادة، والدعوة، والجهاد، والصلاة: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وأظهر سبحانه قيمة الأموال والأشياء، وأخفى قيمة الإيثار والأعمال الصالحة. وأظهر سنته، وأخفى قدرته، امتحاناً وابتلاءً للعباد، أظهر سنته بأن ينزل المطر من السماء على الأرض؛ فنتب من كل زوج بهيج، أظهر سنته في مخلوقاته، ويولد الأولاد عن طريق النكاح الشرعي، ويتكلم اللسان؛ لأن الله ﷻ أذن له بالكلام.

فالله ﷻ أظهر سنته في مخلوقاته، وأخفى قدرته، ابتلاءً ليصل الناس من المخلوق إلى الخالق، ويتجاوزوا الصور إلى المصور: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [١٩٠] ﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [١٩١] [الأعراف: ١٩٠-١٩١].

الأرض لا تنبت؛ لأنها مخلوقة، والمخلوق مفعول ليس بفاعل، الفاعل هو الله وحده؛ ولكنها مأمورة ومطيعه، فهذه الأم، هذه الأرض تنتج بأمر الله هذه المواليد الكثيرة باستمرار: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [٧] [الكهف: ٧].

فالأرحام ثلاثة:

- (١) بطن الأم: رحم للأولاد والبنات.
  - (٢) وبطن الأرض: رحم للنباتات الذكور والإناث.
  - (٣) واللسان: رحم للكلام الحسن أو السيء.
- يخرج من هذا اللسان مواليد من الكلام الطيب، أو الكلام الرديء، ولهذا لا بد أن يكون

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٩).

كلام اللسان وفق الشرع من الوحيين: من القرآن والسنة وما يوافقهما. فاللسان غير مسموح له أن يتكلم بالغيبة والنميمة، والقيل والقال، والسب والشتم، هذا اللسان خلق للعبادة، وظيفته الدعوة والذكر والدعاء والتعليم، والقول الحسن، كما وظيفته العين الإبصار، ووظيفة الأذن السماع، ووظيفة الرجلين المشي، كذلك الله خلق اللسان له للذكر والعبادة والدعوة.

فسبحان ربنا العظيم! على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وعلى خلقه العظيم في الملك والملكوت، وفي الدنيا والآخرة، وفي عالم الغيب وعالم الشهادة: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان: ١١].

هو سبحانه الخالق الخلاق الذي قدر قبل الإيجاد، الباري الذي أوجد من العدم، وأظهر ما قدره، المصور الذي يصور ويشكل كل موجود بصورة تميزه عن غيره من المخلوقات، المحسن الذي أحسن الخلق والتقدير، وأتقن الإيجاد والتنفيذ، الله ﷻ قدر وجود المخلوقات، ثم برأها بأن أظهر ما قدره، ثم صورها بكيفية، هذه سماء، وهذه أرض، وهذا جبل، وهذا بحر، وهذا إنسان، وهذا حيوان، وهذه شجرة عنب، وهذه شجرة نخيل: ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٤].

فالله ﷻ قدر المخلوقات، ثم برأها بأن أظهرها من العدم، ثم صورها وأظهرها بأشكال تميز بعضها عن بعض: ﴿ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الذرى: ٦] الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ [السجدة: ٦-٨].

هو الذي خلق جميع المخلوقات، وأحسن ما خلق هو الإنسان؛ لأنه خلقه بيده: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين/ ٤]. حسن الشكل والهيئة والصورة.

فسبحان من خلقه وصوره، ثم أماته وأقبره، ثم إذا شاء أنشره: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴾ [١٢] ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ

فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٦].

فصفة الخلق من صفات الجلال لله عز وجل، وهي من أعظم الصفات التي ظهرت آثارها في الكون، وتظهر كل يوم في مليارات المخلوقات والصور التي نراها تتجدد في كل يوم، وهذه الصفة مشتقة من اسم الله الخالق والخالق، فالخلق صفته، والخالق اسمه، والخالق اسمه، وهي من الصفات الفعلية الثابتة في القرآن والسنة كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف / ٥٤].

وإذا عرفتم أنه الخالق فاعبدوه، إذا عرفتم أنه الكبير كبروه، إذا عرفتم أنه العظيم فعظموه، إذا عرفتم أنه الكريم فاحمدوه، إذا عرفتم أنه الغني فسألوه، إذا عرفتم أنه الغفور فاستغفروه .. وهكذا.

فهذه القلوب تحتاج إلى هذا الغذاء، لأن معرفة الخالق تملأ القلب إيماناً وتوحيداً، وتحرك الجوارح بالطاعات، وتصدر عن الجوارح الأعمال بالحب لله، والتعظيم له، والذل له: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

• وقد اقترن اسم الله العليم مع اسم الله الخالق مرتين:

في سورة الحجر: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ [الحجر / ٨٦].

وفي يس: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدْرِ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ [يس / ٨١].

وسر ذلك الاقتران والله أعلم، أن خلق الله للأشياء والمخلوقات كلها عن علم بما يخلق سبحانه، كيف يخلقه، ومتى يخلقه؟ ولأي وظيفة يخلقه؟ ويعلم سبحانه الحكمة من خلقه، فلم يخلق سبحانه شيئاً من المخلوقات عبثاً أو سدى، بل خلق كل شيء عن علم وإرادة وحكمة تشهد بجلاله، وتشهد بجماله، وتسبح بحمده، وتطيع أمره: ﴿وَمَا خَلَقْنَا

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينٌ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ [الدخان: ٣٨-٣٩].

وكذلك اقترن اسم الله الخالق باسم الله الباري المصور مرة واحدة، وسر ذلك والله أعلم أن كل مخلوق خلقه الله أو سيخلقه، يحتاج في خروجه من العدم إلى الوجود إلى تقدير وجوده في علم الله أولاً، ثم إلى بريه وهو إخراجه من العدم إلى الوجود، على وفق التقدير السابق بعلم الله، فلا يزيد ولا ينقص، كميةً أو حجماً، ثم تصويره بالصورة التي يريدتها الله له: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر/ ٢٤].

لعظمه خلقه وتصويره وقدرته، تسبح له هذه المخلوقات؛ لأن الله ﷻ فطر جميع المخلوقات على معرفة الله، فهي تسبح بحمده دائماً: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

لأنها ترى فعل الله في مخلوقاته خلقاً وإيجاداً، وتدبيراً وتصريفاً وتصويراً، وإحكاماً وإتقاناً: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨].

وكذلك اقترن اسم الله الخالق بالوكيل مرة واحدة في قوله سبحانه: ﴿اللَّهُ خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر/ ٦٢].

وسر ذلك والله أعلم أن الله خالق كل شيء، ومدبر كل شيء، وحافظ لكل شيء بعد خلقه، وكيل عليه بعد خلقه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فكل شيء محتاج إلى الله في خلقه ووجوده، ومحتاج إلى الله في قوته، ومحتاج إلى الله في بقائه وتدبيره: ﴿اللَّهُ خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر/ ٦٢].

وإذا عرف القلب هذه الصفات عن ربه ﷻ عظمه، وكبره، وأحبه، وأطاعه، وعبده، وحمده وشكره فهو سبحانه يريد من عباده أن يعرفوه؛ حتى يعبدوه ويرضوه فهو خالق



كل شيء، القادر على كل شيء، الواحد الأحد، الغني عن كل أحد، الذي يحتاج إليه كل أحد، والذي لا يحتاج إلى أحد: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ ۝٣ وَلَمْ يُولَدْ ۝٤﴾ [الإخلاص / ١ - ٤].

فليعبده إذا عرفوا كمال ذاته وأسمائه وصفاته: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ [قريش: ٣ - ٤].

هو سبحانه خالق كل شيء، وما سواه لا يخلق شيئاً، كيف يخلق وهو مخلوق؟ المخلوق لا يخلق، لكن المخلوق مُدبر، والله ﷻ يخلق بدون الأسباب، ويخلق بالأسباب، ويخلق بضد الأسباب، كما رزق مريم طعاماً بلا شجر، وابناً بلا ذكر.

فهو جل جلاله خلاق يخلق ما يشاء كيف شاء، وهو الخلاق وحده لا شريك له، وكل ما سواه مخلوق، لا يخلق شيئاً، فكيف يعبد من دون الله؟ ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝١٧﴾ [النحل: ١٧].

فكل ما سوى الله ما كان شيئاً حتى يفعل شيئاً أو يخلق شيئاً ولو كان حقيراً، فلو تضافرت الأمة واجتمعت كلها على خلق ذباب واحد لم يستطيعوا، بل إن هذا الذباب لو سلب الأصنام شيئاً لن نستطع أن تمنعه أو تسترده منه، كانوا يختارون الأصنام ثم يطلونها بالزيت أو بالمسك أو بالزعفران، فكان الذباب يقع عليها ثم يصبغها بصبغته ثم ينطلق بما أخذ.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ۚ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ۝٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ [الحج / ٧٣ - ٧٤].

﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾؛ ضعف الطالب وهو الأصنام المعبودة التي انهزمت أمام الذباب، هذا الصنم الذي يعبده الناس ويطلبون منه الأشياء، ضعف عن أن يسترد ما أخذ الباب، وضعف المطلوب وهو الذباب الصغير الحقيق، ليس بيده شيء، لا يستطيع أن يفعل شيئاً: ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ۝٧٣﴾ [الحج / ٧٣].

لا إله إلا الله، كم عظمة خلقه! كم عظمة ملكه! وكم عظمة تدبيره وتقديره وتصويره؟! الإنسان قد يخلق، لكن يخلق شيئاً من شيء، بالعقل الذي خلقه الله، والفكر الذي خلقه

الله، والأيدي التي خلقها الله، والمادة التي خلقها الله، أما الله فيخلق من عدم، يوجد من عدم، في صورة لم يسبق إليها: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

و غاية خلق المخلوق أنه يحول الشيء إلى شيء آخر يحول الحديد إلى سيارة، ويحول التراب إلى عمارة، ويحول القطن أو الصوف إلى ملابس، ويحول البلاستيك إلى أواني وملابس وغيرها، والله هو الذي علمه: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ٤-٥].

أما الخالق سبحانه فخلق كل شيء من لا شيء: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٤].

هو سبحانه الخالق، ومن خلقه هذه الأرزاق العظيمة، كل ما نراه في الكون فهو من نعم الله التي لا تعد ولا تحصى، السموات، والأرض، والشمس، والقمر، والنباتات، والحيوانات وغيرها كلها من نعم الله: ﴿وَمَا يَكُفُّمَنْ نِعْمَتِهِ فَمِنْ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣].

وكل ما في الكون مسخر للإنسان، ليعرف الكبير فيكبره، ويعرف الغني فيسأله، ويعرف الكريم فيشكره: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

الله ﷻ كل ما في الكون من خلقه، ومظهر من آثار اسمه الخالق والخالق، هو سبحانه الخالق الرزاق الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنعام: ١٠٦].

لا يليق بالإنسان الذي خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وعلمه أسماء كل شيء، وأسجد له ملائكته، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض، وجعله خليفة في الأرض، أن يعبد غير الذي خلقه ممن هو مثله من المخلوقين، أو من هو دونه من الأصنام.

ولا يليق بالأعلى وهو الإنسان أن يخضع لمثله، أو لمن هو دونه من المخلوقات، بل يعبد

ربه العلي الأعلى وحده لا شريك له؛ لأن المؤمن عالٍ بإيمانه إلى العلي الأعلى؛ فلا يليق به أن ينزل إلى الأسفل، ويعبد من هو دون الله من شجر أو حجر أو صنم: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦].

خلقت الخالق إنساناً لم يخلقك حيواناً يركب عليه، ولا تراباً يبال عليه، ويداس بالأقدام، بل خلقت قائماً سوياً، وخلقتك في أحسن تقويم، وملكت هذه الأرض، وملكت جوارحك؛ لتتقرب إلى الله بما يحبه ويرضاه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ [التين: ٤-٦].

وكان النبي ﷺ يقول في سجوده في الصلاة «اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسَلْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ»؛ أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

هو سبحانه الخلاق العليم، القادر على كل شيء، خلق السموات والأرض، وأبدعها من غير أصل ولا شيء سابق، وخلق جميع المخلوقات بأمره من غير شيء: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس / ٨٢-٨٣].

بيده الملك والملكوت، يفعل ما يشاء، في أي وقت شاء، خلق البحار العظيمة كخلق قطرة ماء، خلق الجبال العظيمة كخلق ذرة، خلق السموات والأرض، والعرش والكرسي، كخلق ذرة: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر: ٤٤].

وخلق الكبير كخلق الصغير، وخلق الكثير كخلق القليل، كله عنده سواء: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان: ٢٨].  
فالله ﷻ لا يمتنع عليه شيء؛ هو الخلاق الذي إذا أراد شيئاً كان، على ما يريد كيفية

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧١).

وكميةً ونوعية: ﴿ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ﴿ القمر: ٤٩ - ٥٠. ]

فسبحان الخلاق العليم الذي له القدرة المطلقة في الخلق والإيجاد، والتدبير والتصريف، في ملكه العظيم، خلق آدم ﷺ، وخلق منه ذريته: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾ [الفرقان / ٥٤].

﴿ ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ﴾ [السجدة: ٦ - ٨].

فصفة الخلق من أعظم الصفات التي يدركها كل الخلق، الراعي مع غنمه في الصحراء، ومن هو في المدينة بين الكتب والعلوم المختلفة، صفة الخلق يراها ماثلة أمامه، في عالم الجماد، في عالم النبات، في عالم الحيوان، في عالم الإنسان، في عالم الرياح، في عالم الكواكب، في عالم النجوم، في عالم البحار: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٤].

وصفة الخلق من الصفات العظيمة؛ ولذلك صفة الخلق صادرة عن ثلاث صفات عظيمة: هي القدرة الكاملة، والمشيئة النافذة، والحكمة الشاملة المقرونة بالخير المطلق، والعلم المطلق: ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٤].

أنظر للسموات والأرض، وأنظر للجبال والبحار، وانظر للحيوانات، والنباتات؛ لتعلم أن هذه المخلوقات خالقها قادر على كل شيء، لا يعجزه شيء، هو الذي شاء وجودها فوجدت، وأراد وجودها فوجدت، ووجدت متكررة في كل وقت.

وله في خلقه شؤون؛ خلق الشمس للإنارة، وخلق السحب لنقل المياه، وخلق الأرض للإنبات، وخلق اللسان للكلام، وخلق الإنسان لعبادة الله؛ فله حكمة في كل ما خلق، فكل يؤدي وظيفته حسب الأمر الملكي الصادر إليه من ربه.

﴿ سَبِّحْ أَسْمَاءَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ ﴾ [الأعلى / ١ - ٣].

بيده الأوامر الملكية على جميع المخلوقات، وله الأوامر الشرعية التي من علينا وأكرمنا بهذه الأوامر الشرعية؛ حتى نكسب الأجور، ونرضي الخالق، ونعيش كالملائكة بمزاج سمعنا وأطعنا؛ فيجب علينا أن نعبد الرب العظيم، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

ومن أعظم صفاته أنه الخلاق، فجميع الخلائق إنما وجدت بأمره جل جلاله، أراد وجودها فوجدت، لتدل على كمال ذاته وأسمائه وصفاته: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ أَلَمْ يَصُورْ لَهُ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

وإذا كان الخالق يخلق فهل المخلوق يخلق؟.

نحن الآن ننظر في صنعة المخلوق، والمخلوق كالكومبيوتر، صنعة المخلوق كالأجهزة من الثلاجات، والغسالات، والسيارات وغيرها، هذه مخلوقات، ليس فيها حياة، ولا يمكن أن تنتج مثلها، هو الجهاز واحد، لكن الله خلق الحبة، وجعل الحبة تخرج سبعائة حبة: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

فهذا عطاء المخلوق، حبة جاءت بسبعائة حبة أو أكثر؛ فكيف عطاء الخالق؟ إذا أعطى أعطى حيث لا فقر؛ ولهذا الله ﷻ يعطي على قدر شأنه؛ لأن العظيم يعطي العظيم، والحقير يعطي الحقير، ومن عطائه أنه يعطي المؤمن في الآخرة جنة عرضها السموات والأرض، بل أدنى مسلم في الجنة وما فيهم من دني، من يأخذ مثل هذه الدنيا عشر مرات: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩].

فعطاء الله واسع، وملكه واسع، وخزائنه واسعة، والله واسع عليم.

ولهذا نكثر من التوبة والاستغفار؛ لتقصيرنا في العلم الإلهي، وعدم معرفتنا بالمعبود، وعدم معرفتنا بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى؛ وأفعاله الحميدة؛ ولهذا يقول الله ﷻ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

فكلما عرفت ربك أحببته، وكلما عرفت ربك كبرته وعظمته، وعبدته وأطعته، وكلما عرفت ربك حمدته وشكرته، فبحسب المعرفة يكون الإيمان، وبقدر الإيمان يأتي حب الطاعة والعبادة، وبقدر الإيمان تنوع الطاعات والقربات، وبقدر الطاعات يكون علو الدرجات: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَرَزَقُوا يَنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأُنْفَال: ٢-٤].

ولهذا أعظم شيء بيئة الإيمان، وأن نعيش في الجو الإيماني؛ حتى يزيد إيماننا، ويكمل إيماننا، وكما نجتهد على أبداننا بالأطعمة والأشربة الطيبة، كذلك نجتهد على إيماننا بالعلوم النافعة التي تثمر أحسن العبادات: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه، ووعده ووعيده، هذه مغذيات القلوب، التي تربط المخلوق بالخالق، وتنقل المخلوق من المخلوقات إلى خالقها، فيرى القلب الخالق يخلق ما يشاء، ويرزق من يشاء، ويدبر المخلوقات، وينفذ أوامره في ملكه. هذه نخلة مثمرة، وهذه غير مثمرة؛ مع أنها مغروسة في أرض واحدة، وتشرب من ماء واحد، ولكن الأمر الملكي جاء إلى هذه بإخراج ثمرة، وجاء إلى هذه بإيقاف الثمرة؛ لأنها خاضعة لله ﷻ، خاضعة لمن بيده الخلق والأمر، فهي مخلوقة مدبرة، ومسخرة، تجري بأمر الله الكوني ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٦].

فسبحان الخالق لكل شيء، الخلاق العليم بكل شيء، الذي خلق العرش والكرسي، وخلق السموات والأرض، وخلق الشمس والقمر، وخلق عالم الجهاد، وخلق عالم النبات، وخلق عالم الحيوان، وخلق عالم الإنسان، وعالم الجن، والملائكة. ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأُنْعَام/ ١٠٢].

والكل يشهد بوحدانية من خلقه، ويسبح بحمده، ويسرع إلى إرادته: ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ

السَّعْبُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ [الإسراء: ٤٤].

فإن الله ﷻ يريد أن نتعرف عليه وعلى مخلوقاته، حتى يأتي الإيمان في قلوبنا، ونعرف أن الرب المعبود لا يحتاج إلى العبادة، لأنه الغني عن كل أحد، قبل أن نحمده، وكبير قبل أن نكبره، وسبح بحمده قبل أن نسبحه، ووحده نفسه قبل أن نوحده ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران/ ١٨].

لكن أنا المحتاج؛ لأن كل مخلوق طبعه خالقه على أربع صفات، لا يخرج عنها، كل مخلوق ضعيف، فقير، عاجز، محتاج، فكل ما سوى الله محتاج إلى الله، محتاج إلى الله في كل شيء، محتاج إلى الله في سمعه وبصره والهواء الذي يتنفس منه، والطعام الذي يأكله، واللباس الذي يلبسه، والدين الذي يتبعه، نحن فقراء إلى الله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر/ ١٥].

فإنه يريد من الضعيف أن يتصل بالقوي، ويريد من الفقير أن يسأل الغني، ويريد من العاجز أن يستعين بالقادر، ويريد من المحتاج أن يدعو غير المحتاج: ﴿ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٣].

فالخلق صفة من صفاته جل جلاله، خلق بها السموات والأرض، والعرش، والكرسي، والبحار، والجبال، والرياح، والنيران، والحيوان، والإنس، والجن، والملائكة: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۗ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ مِن تَمِّ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الروم: ٢٧].

لماذا يعيده؟ إظهاراً لقدرته، يفني الخلق كله، ثم يعيده مرة أخرى؛ لنعرف من هو القادر على إعادة الإنسان، وإعادة الكون، فهو الذي خلق الكون، وهو الذي بدأ الخلق، وهو وحده القادر على إعادته: ﴿ إِنَّهُ هُوَ يَبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾ [١٣] ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴾ [١٤] ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴾ [١٥] ﴿ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [١٦] [البروج: ١٣-١٦].

كل شيء أمام الله هين: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [٨٢] ﴿ فَسَبَّحَنَ الَّذِي فِي يَدَيْهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [٨٣] [يس: ٨٢-٨٣].

الله أكبر! كم خلق الله من المخلوقات؟! وكم خلق الله من الأرزاق! وكم خلق الله من النجوم؟! وكم خلق الله في عالم البحار من الأسماك؟! كم خلق الله من الحيوانات؟! كم خلق الله من الذباب.

الله ﷻ في النطفة الواحدة قادر على أن يخرج منها بعدد سكان الأرض، ولكن من رحمة الله، أنه لا يحيى من هذه الحيوانات المنوية إلا واحداً أو اثنين، ذكر أو أنثى، أو ذكرين، أو أنثيين، أو ذكر و أنثى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْثَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ۚ﴾ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠].

وهذه الملايين التي هي قابلة للحياة، الله قادر على إحياء كل مخلوق، ولكن الله بقدرته يبقي منها واحداً أو اثنين، والباقي كلهم يموتون، كيف لو حيوا جميعاً؟ كيف لو بقيت هذه الذبابات أشهراً أو سنيناً.

فسبحان الحكيم وخلقه وأمره: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي أَنْشَأَ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٤].

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر! من هذا خلقه، وهذا ملكه، وهذه قدرته، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضَ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ۗ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرْوَفِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ [لقمان/ ١٠-١١].

فلا إله إلا الله، ولا رب سواه، خلق هذا الكون العظيم بصفة من صفاته، وهي صفة الخلق، وخلق هذا الكون العظيم بحرفين من كلامه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٨٢﴾ [يس/ ٨٢].

فكم قوة كلامه جل جلاله؟ ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٢٧﴾ [لقمان: ٢٧].

هو القوي الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض، الواسع الذي هذا ملكه الواسع، فكم سعة عظمته جل جلاله، وسعة ملكه وسلطانه جل جلاله، فالعالم العلوي والعالم



السفلي ملكه، عالم الغيب ملكه، عالم الشهادة ملكه، الدنيا ملكه، الآخرة ملكه، فالله أكبر! ما أعظم خلقه! وما أعظم ملكه! وما أعظم قدرته جل جلاله! ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

هو الذي خلق هذا الكون العظيم بصفة من صفاته وهي صفة الخلق؛ فقد خلق سبحانه كل شيء كان، ولا زال يخلق ما شاء، كيف شاء، في أي وقت شاء: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص/ ٦٨].

هو يخلق ما يشاء ويختار، اختار ليل، نهار، نبات، جماد، إنسان، حيوان، أبيض، أسود، ذكر أنثى، اختار من الليالي ليلة القدر، اختار من البيوت بيت الله ﷺ في مكة، اختار من الأيام من الفاضلة يوم الجمعة ويوم عرفة، اختار من الشهور رمضان، اختار من البشر الأنبياء، اختار من النفوس المؤمنة، هو جل جلاله يخلق ما يشاء ويختار؛ لأنه هو الخلاق العليم؛ فالله وحده هو الذي خلق هذا الكون العظيم، وهو الذي بدأ الخلق كله على غير مثال سابق، وسوف ينتهي الخلق إلى الخالق، وينتهي الخالق هذا الكون العظيم بما فيه: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٦٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٦٧﴾﴾ [الرحمن/ ٢٦-٢٧].

وسوف يعيده مرة أخرى؛ إظهاراً لقدرته، وتكميلاً لحكمته، هو سبحانه الملك القادر على كل شيء، خلق الخلائق كلها، وصور الكائنات كلها، وقدر المقادير كلها، وجعل لكل صنف من المخلوقات قدراً، فخلق كذا، وخلق كذا، وخلق كذا، خلق منها الصغير والكبير، والأبيض والأسود، والطويل والقصير، والرطب واليابس، والسائل والجامد: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجْدَةٌ كَلِمَةٍ بِالْبَصْرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٤٩-٥٠].

فسبح بحمد ربك العظيم: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة: ٧٤].  
 قل: سبحانه الله وبحمده، نزهه عما لا يليق بجلاله من المثل والشبيه، عما لا يليق بجلاله من صفات الخلق، عما لا يليق بجلاله من صفات النقص والعيب: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾﴾ [الأعلى/ ١-٢].

بدأ بأول صفة وأعظم صفة وهي الخلق: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾﴾ [الأعلى/ ٢].

خلق الله الملائكة العظام، وهم أمم وخلائق لا يحصيها إلا الله، خلقهم الله من نور؛ ولذلك العالم العلوي كله نور؛ لأنه معمور بالملائكة؛ فالملائكة خلقوا من نور، وأعمالهم كلها نور، وأخلاقهم كلها نور؛ لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠].

أما الأرض ففيها الجن والإنس، هذا مخلوق من الطين، وهذا مخلوق من النار، هذا له شهوات وهذا له شهوات، وكلهم مأمور بعبادة الله وحده: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ الْمَتِينُ إِلَّا زَرْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

والله ﷻ هو خالق كل شيء وحده لا شريك له، وهو سبحانه خالق العباد، وخالق أفعالهم وصفاتهم، الله خالقك وأقدرك وأعانك: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١١﴾﴾ [الرعد/١٦].

خالقك وخلق أفعالك: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصفات/٩٦].

فالله ﷻ هو خالق كل شيء، وهو الوكيل على كل شيء، فأوامر الخلق، وأوامر التدبير والتصريف، بيد الخالق وحده لا شريك له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فلا يستطيع المطيع أن يطيع ولا العاصي أن يعصي إلا بعون الله ﷻ، هو المستعان الذي يعين كل أحد، لكن يستطيع الإنسان بما قدره الله أن يوجه العمل، إما يعمل بطاعة أو معصية، إما يعمل خير أو شر: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١٣-١٤].

فالله ﷻ خالق الناس، وخالق صفاتهم وأفعالهم، لكن الصفات والأفعال هم اختاروها هذا، اختاروا الخير أو اختاروا الشر، اختاروا الطاعات أو اختاروا المعاصي، ولكنهم لا يستطيعون أن يخلقوا شيئاً من الأعمال، لكن الله ﷻ أقدرهم فقدرنا: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ﴿٣٧﴾﴾

وَأَثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ [النازعات: ٣٧-٣٩].

فإنه خالق كل شيء: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ [الصافات/ ٩٦].

فله سبحانه القدرة المطلقة على كل شيء خلقاً وتديراً وأمرًا، والقدرة التي حصل بها خلق الإنسان، صالحة للضدين، الإيثار والكفر، والطاعات والمعاصي، والأمن والخوف، والإحسان والإساءة، والحب والبغض، وكل ذلك بيد الله وحده: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ ﴿٣٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ أَمَرَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾ [الإنسان: ٢٩-٣١].

فالمخلوق وما عمل كله خلق الله ﷻ، والله أعانه على كل عمل، لكن عليه إذا توجيه العمل إلى الطاعة أو المعصية، إلى الإيثار أو الكفر: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٠٤﴾ [يوسف: ١٠٤].

ناظر رجل سني رجلاً قديراً في مسألة من القدر، فقال القديري الذي يقول بالقدر، نحن نخلق أفعالنا، والله ﷻ لا يخلقها، نحن الذين نخلقها، فقطع القديري تفاحة من شجرة، ثم قال للسني: ألسنت أنا الذي فعلت هذا؟ فقال له السني: إن كنت فعلته أنت فردها إلى مكانها، فانقطع ذلك القديري، لأنه لا يستطيع ردها إلى مكانها.

فالذي يملك الإحياء هو الذي يملك الإماتة، فالله خلق الخلق، ثم يميتهم، ثم يحييهم: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ [البقرة: ٢٨].

ورفع رجل قديري رجله عن الأرض وهو قائم، ثم قال لرجل من أهل السنة: أنا الذي رفعتها، فقال له: إن كانت صادقاً فارفع الأخرى معها، فبهت وانقطع. ولهذا القدرة المطلقة هي الصالحة للضدين، أن يكون ليل أو نهار، حياة أو موت، عطاء أو منع، بدء وإعادة، فهذا الرجل القديري، الذي يقول بالقدر، وأن العبد يخلق فعله، بهت لما سمع هذا الكلام، فما يستطيع يرفع الرجلين معاً، لكن الله يستطيع أن يجعله يرفع قدميه معاً؛ لأن قدرته مطلقة، موسى ضرب البحر فخرج اثنا عشر طريقاً يبساً، وضرب الحجر لما أراد أن يستسقي لقومه؛ فخرج اثنا عشرة عيناً؛ هذه هي القدرة المطلقة، التي

لا يملكها إلا الله الخالق القادر على كل شيء.  
الأولى: اضرب البحر يخرج حجراً طريفاً يابساً.

والثانية: اضرب الحجر يخرج منه بحر من الماء، اثنتا عشرة عيناً.

فهذا الذي له القدرة المطلقة، هو الذي يستحق أن يعبد، إذا شاء ليلاً كان ليلاً، إذا شاء نهاراً كان نهاراً: ﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [النور/ ٤٤].  
فله أكبر مشاهد الخلق نراها كل يوم، حتى هذا القلب يتأثر، ويعرف الخالق، ويعرف القادر، حتى يعبده وحده لا شريك له، ويعبده كأنه يراه، فلا قدرة لأحد على فعل شيء من خير أو شر، إلا أن أقدره الله عليه، وإذا كان ذلك كذلك؛ فينبغي للعبد أن ينظر في الفعل الصادر عنه؛ فإن كان خيراً فليحمد مولاه على ما أولاه حيث خلقه أهلاً للخير وأقدره عليه.

ولو تُرِكَ الإنسان ونفسه وهواها؛ لنفرت عن الحق إلى الباطل، ومن الخير إلى الشر، ولكن الرحمن الرحيم يردها إليه بالنظر في الآيات الكونية، والنظر في الآيات القرآنية.

فلا تعجب بإيمانك، وأقوالك، وأعمالك، وصلاتك، ودعوتك، وصومك، وجميع طاعاتك؛ فإن ذلك وإن كان من كسبك فإنه من خلق ربك، وفضله الدار عليك، وخيره الذي أفاضه عليك: ﴿وَلَوْ لَا فَضَّلُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ مَا زَكَّيْنَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور/ ٢١].

فكل خير ونعمة من الله: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

وإن كان شراً فهو من خذلان الله لك، بسبب معصيتك، فاستغفر الله من ذنبك، وتب إليه من ذلتك: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء/ ١٢٣].

ومن استغفر ربه غفر له: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء/ ١١٠].

فكل خير من الله، وكل شر من النفس: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكُنْ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩].

فالله ﷻ أمرنا بالتعبد له جل جلاله بأسمائه الحسنی، بمعرفتها، وإحصائها، وفهم

معانيها، لماذا؟ حتى نعبد الله ﷻ بمقتضاها، فالله مؤمن يجب الإيمان وأهل الإيمان.  
 فالله ﷻ أمرنا لتتخلق بأحسن الصفات: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ  
 يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فسبحان الخلاق العليم، ما أعظم ملكه، وما أحسن خلقه، وما أبدع صنعه: ﴿صُنِعَ اللَّهُ  
 الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل / ٨٨].

صنع الله وقدرته ظاهر في خلق البحار المملوءة بالأسماك، خلق الصحاري المملوءة  
 بالنباتات، خلق الأجواء المملوءة بالذرات، المملوءة بالكلمات، خلق البشر، خلق  
 السموات، خلق الأرض، خلق الملائكة: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا  
 تَفْعَلُونَ﴾ [النمل / ٨٨].

وآثار اسم الله الخالق نراها ونعيشها كل يوم، بل كل لحظة، نراها في جميع الجهات، في  
 كل زمان، وفي كل مكان، وكل إنسان يقر بفطرته أن الله هو الخالق: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ  
 خَلَقَهُمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَاِنِّي يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧].

ولكن هذه لا تكفي في الإيمان؛ لأن القلوب مفطورة على ذلك، بل لا بد أن يتبع المعرفة  
 تعبد وطاعة المعبود؛ إذا عرفته بأسمائه وصفاته فيجب أن أطيع أمره؛ لأنني آمنت به  
 فكبرته وعظمته؛ إذ لا بد أن أطيع أمره؛ لأنني عرفت إنه لا خالق إلا هو، ولا ملك إلا  
 هو، ولا قادر إلا هو، فكل إنسان يقر بفطرته أنه هو الخالق: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ  
 مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا  
 يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت / ٦٣].

فإذا عرفتم أن الله هو الخالق؛ فيجب أن تعبدوه؛ لأنه هو الخالق وحده لا شريك له،  
 وأنتم بحاجة إليه في أرزاقكم، في خلقكم، في خلق أعمالكم أنتم بحاجة إليه؛ فاعبدوه؛  
 لأنه هو الخلاق العليم، الذي لم يخلق مرة واحدة، بل خلق مليارات المرات في الثانية  
 الواحدة، مخلوقات بأشكال وأنواع مختلفة ومتكررة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦].

فمعرفة أن الله هو الخالق فقط لا تكفي في الإيمان، هذه معرفة عامة، لكن المعرفة  
 المقصودة: أن تعرف الخالق فتحبه وتعظمه وتطيع أمره وتشكره، وتعبدوه: ﴿ذَلِكُمْ

اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

الله وحده هو القاهر ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ ﴿٤﴾ [الزمر: ٤]. هو واحد؛ إذا هو قاهر لكل واحد، وهو قهار؛ لأنه واحد، القهار واحد، وكل ما سواه مقهور، هو القاهر الذي قهر كل قاهر ومقهور من الخلق، هو الواحد القهار الذي يملك القهر وحده، ويملك الخلق وحده، هو الواحد في الخلق، هو الواحد في التدبير، هو الواحد في الملك جل جلاله ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾ [الملك / ١].

هو سبحانه الخالق الذي أوجد كل مخلوق من العدم، الباري الذي خلق كل شيء لمهمة، فالمطر يسقي الأرض، ويسقي الحيوان، ويسقي الإنسان، والأرض للإنبات، والرياح للتنفس، وهذا الفضاء العظيم، لتسبح فيه هذه المخلوقات والنجوم والكواكب، والشمس للإنارة: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٤].

هو المصور الذي خلق جميع صور المخلوقات بتقدير معين؛ حجماً ولوناً وكيفية؛ فلا يتشابه اثنان من الخلق، المصور الذي صور كل شيء بصورة تميزه عن غيره. هو سبحانه الخالق لكل شيء، الخالق الذي خلق أباك آدم ﷺ بيده، ونفخ فيه من روحه، وعلمه الأسماء كلها، وأسجد له ملائكته: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ ﴿٧١﴾ سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَفَعُوا لَهُ سَجْدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ [ص / ٧١ - ٧٤].

وخلقت أنت من سلالة من ماء مهين؛ حتى تعرف نفسك أنك مخلوق من ماء مهين، ومخلوق من طين، لهذا لا ينبغي لك التكبر؛ فأنت محتاج إلى الله في خلقك، ومحتاج إلى الله في قوتك، ومحتاج إلى الله في حركتك، لا بد لك من دين تمشي عليه، كما للنجوم نظام تمشي عليه، وللشمس نظام تمشي عليه، وللنبات سنة يسير عليها؛ فكذلك أنت لك شريعة من الله تسير عليها، حتى ترضي ربك، وتسعد نفسك في الدنيا والآخرة: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّيْلَ لِمَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ الدِّينُ

الْقِيَمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴿الروم: ٣٠﴾.

فماذا يريد الخالق منك؟ لا بد أن أتعرف على مراد الله مني، وماذا أريد أنا منه؟  
فأين تسكن أنت الآن؟ ومن أي طعام تأكل؟ ومن أي هواء تتنفس؟ ومن أي لباس  
تلبس؟ ومن أي ماء تشرب؟ وماذا تعمل؟ هل تطيع ربك؟ أم تطيع هواك؟ هل تمشي  
على الوحي أم تمشي على العقل؟ هل تمشي على الهدى أم تمشي على الهوى؟ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى  
اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ ﴿فاطر: ٢٨﴾.

نتعرف على ربنا بماذا أكرمنا الله ﷻ، وإلى أين سوف نصير؟ إن الله يريد منك أن تعبد  
لمصلحة نفسك، فأنت عزيز عليه، وقد هياً لك الأرض قبل أن تخلق، هياً السكن قبل  
نزول الساكن إليها، قال: هذه الدار اسكن فيها، واعمل بما جاءت به الرسل؛ الطعام  
موجود، والشراب موجود، والسكن موجود، واللباس موجود، والظل موجود، وكل  
نعمة موجودة، وكل ما في الكون في خدمتك، من عالم الجهاد الذي تسير عليه، وعالم  
النبات الذي تأكل منه، والحيوان الذي تأكله وتركبه، وغيره ذلك من المخلوقات كلها  
سخرها الله ﷻ إكراماً لك، واختارك واصطفاك، واختار لك أحسن دين، وأكرمك بأن  
خلقتك في أحسن تقويم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ  
الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴿٧٠﴾﴾ ﴿الإسراء: ٧٠﴾.

وجعلك قائماً تمشي على رجلين، مطلق اليدين، تفعل ما تريد، جميع الحيوانات مغلقة  
الأصابع، أما أنت مطلق اليدين، يد بخمسة أصابع؛ وأغلب المخلوقات تمشي على أربع،  
وأنت تمشي قائماً، سهل لك الحركة، لأنك خليفة في الأرض.

والحيوانات كلها مقبوضة اليدين، محكمة اليدين، لا تستطيع أن تعمل بالأيدي شيئاً،  
لكن أنت مطلق اليدين، يدك إن شئت دفعت بها، وإن شئت سحبت بها، وإن شئت  
رفعت بها، وإن شئت أدرتها يميناً، وإن شئت أدرتها شمالاً، وإن شئت جعلتها مطرقة،  
وإن شئت جعلتها مغرفة تغرف بها الأشياء، وإن شئت أن تدفع بها، أو إن شئت أن  
تأخذ بها، وإن شئت أن تكتب بها، وإن شئت أن تذبج بها، وإن شئت أن تضرب بها،  
وإن شئت أن تربط بها، وهكذا منافع يديك كثيرة: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا  
مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ يَجْعَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ ﴿النحل: ٥٣﴾.

والله جعلك مطلق اليمين؛ لتفعل ما تريد؛ فأنت مخلوق خلقاً حسناً جميلاً ظاهراً وباطناً: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (٤) ﴿التين: ٤﴾.

فلنشكر هذه النعمة التي أعطانا الله ﷻ، ونتقرب إلى الله ﷻ في استعمال هذا البدن فيما خلق له؛ لأن هذا البدن الله خلقه وهده واشتراه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ (١١١) ﴿التوبة: ١١١﴾.

فالوقت لله، والمكان له، والبدن له، والجوارح له، فلا نستعملها في غير ما خلق الله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٢) ﴿لا شريك لله، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ (١٦٣) ﴿الأنعام: ١٦٢-١٦٣﴾.

وكل مخلوق كبير أو صغير، لا بد لإيجاده من ثلاث صفات عظيمة: أحدها: القدرة المطلقة على إيجاد ذلك الشيء، والله وحده هو القادر جل جلاله على كل شيء: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) ﴿الملك: ١﴾.

الثانية: الإرادة المخصصة لذلك المخلوق، لذلك المقدار المعين، بلا زيادة ولا نقص، حجماً ولوناً، وصغراً وكبيراً، لا بد من إرادة ومشيئة للرب ليقدر بها ذلك المخلوق بلا زيادة ولا نقص: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (٤٩) ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ (٥٠) ﴿القمر: ٤٩-٥٠﴾.

الثالثة: العلم المحيط بذلك القدر الخاص وذلك لأن إرادة الشيء مشروطة بالعلم به. ثم بعد ذلك يظهر: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (١٢) ﴿الطلاق: ١٢﴾.

هو خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ﴿يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾؛ والأمر الملكية تنزل بالحياة والموت، والعطاء والمنع، والتدبير والتصريف، والسحب، والرياح والأمطار والعواصف، وكل شيء لماذا؟ ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (١٢) ﴿الطلاق: ١٢﴾.

وإذا عرفتم ذلك آمنتُم بالذي هذا خلقه، وكبرتموه وعظمتتموه وأحبيتتموه، ثم أطعتموه وعبدتموه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٠٢) ﴿الأنعام: ١٠٢﴾.



هذا القسط من المعرفة هو الأول، تعرف الخلاق فتحشاه، وتحشع له، وتنكسر بين يديه، لعظمة خلقه لأنه الخالق الذي خلق كل شيء وأحسن خلقه جل جلاله، ثم تأتي الطاعة بعد ذلك: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

فسبحان ربنا القادر على كل شيء، الذي خلق كل شيء على قدر معين موافق للمصلحة. فكل ذرة، وكل مخلوق، وكل حشرة، وكل كبير وصغير خلقه الله ﷻ بحكمة، يؤدي بها الوظيفة المكلف بها، ويشير إلى عظمة من خلقه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّمٌ فَاصِّفِحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾ [الحجر: ٨٥]. وهذه المخلوقات الكبيرة منها والصغيرة مظهر لجلال الله وعظمته وقدرته، ومظهر لجمال الله، وأنه يخلق الشيء الحسن الجميل، وأنه ﷻ جميل له صفات الجمال الجلال: ﴿نَبِّرَكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمن / ٧٨].

فكل ما تراه من المخلوقات الكبيرة منها والصغيرة، العالي والسافل؛ مظهر لجلال الله وعظمته، ومظهر لجماله وإحسانه وإكرامه: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦-٨].

فكل ما في الكون إما نعمة أو منعم عليه، كل ما نراه في الكون إما نعمة من الله، أو منعم عليه، فأنا منعم علي بنعم لا تعد ولا تحصى، من خلقها؟ خلقها المنعم جل جلاله، خالق كل شيء من الأقوات والأرزاق، وسائر الأمكنة والأزمنة: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢].

فاعلموا ذلك، وتوجهوا للخالق الذي أبدع كل شيء، وخلق كل شيء. الله ﷻ خلقنا ثم أخرجنا بصور مختلفة ذكر وأنثى، وأبيض وأسود وجبل وبحر، وشمس وقمر؛ لأنه هو الخالق العليم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَالِقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر: ٨٦]. فسبحان الخالق العليم الذي قدر كل شيء في علمه بالمقدار النافع المطابق للمصلحة،

البارئ الذي أبدع تلك الأجسام، وأخرجها من العدم إلى الوجود، المصور الذي صور المخلوقات بأشكال تميزها عن غيرها: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر / ٢٤].

الله أكبر كم نرى عظمة الخالق في الخلق، والبرء والتصوير، في كل ثانية من الثواني. من رحمته جل جلاله أن أظهر لنا صفة من صفاته وهي صفة الخلق؛ حتى لا نتجاوزه إلى غيره، وحتى نترقى من المخلوقات إلى الخالق، ومن الصور إلى المصور جل جلاله، فنعبده بما جاء به رسوله ﷺ: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [٣]. [يونس: ٣].

فهذه والله جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة، من دخلها في الدنيا فسيخرج منها إلى جنة الآخرة، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ومن حرماها فقد حرم الخير كله، وسيخرج من هذه الدنيا إلى سجن في جهنم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَشْهُوَّةٌ لَهُمْ﴾ [محمد: ١٢].

فالناس في الآخرة إما في القصور الملكية بقرب ملك الملوك، وإما في السجون الجهنمية مع إبليس وفرعون وقارون وهامان، والذي يريد أن يكون بصحبة الأنبياء يعمل أعمال الأنبياء، ويتخلق بأخلاق الأنبياء، ويتبع الأنبياء؛ حتى تكون حياته مطابقة لحياة الأنبياء، وأقواله مطابقة لأقوال الأنبياء، ويتصف بالصفات الملكية، صفات ملك الملوك، ويتقرب إلى الله بما يجب: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ إِلَهُكُمْ إِنَّهُمْ سَائِرُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

الله كريم يجب أن تكون كريماً، والله عليم يريدك أن تكون عليماً، والله تواب يجب التواوبين، والله محسن يجب المحسنين، والله شكور يجب الشكر والشاكرين. والله ﷻ مؤمن يجبك أن تكون من المؤمنين الذين ينشرون الأمن بين الناس، ويؤمنون أنفسهم من نار جهنم، فإذا اتصفنا بهذه الصفات يحبنا الله ﷻ.

فسبحان الخالق الخلاق الذي خلق كل شيء من لا شيء، أما الإنسان فقد يخلق ويصنع الشيء من كل شيء، فإذا أراد أن يصنع طوباً، أو يصنع ثلاجة، أو يصنع سيارة؛ صنع

شيئاً من شيء، مما خلقه خالق كل شيء وشتان بين الخالق والمخلوق: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧].

هو سبحانه خالق كل شيء؛ خلقك في أحسن تقويم، وخلق ما بعدك وما قبلك، وخلق ما فوقك وما تحتك، وخلق من على يمينك ومن على شمالك، وخلق ما أمامك وما خلفك، فالله ﷻ هو خالق كل شيء، فأينما توجهت فأنت ترى خلقه، خلقك في أحسن تقويم، ثم خلق المخلوقات من حولك، فخلق ما قبلك من المخلوقات الآباء والأمهات، وخلق ما بعدك من المخلوقات والأولاد والبنات، وخلق ما فوق الإنسان، وما تحته من العالم العلوي والعالم السفلي، وخلق من على يمينه، ومن على شماله، وخلق ما أمامه وخلق ما خلفه: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [٦٢] لَهُ مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ [الزمر: ٦٢-٦٣].

الله ﷻ رب المشارق والمغارب: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ﴾ [المعارج/٤٠].

وهو: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن/١٧].

وهو: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩].

فالشمس تشرق من المشرق وتذهب إلى المغرب، هو رب المشرقين والمغربين: مشرق الصيف، ومشرق الشتاء، ومغرب الصيف، ومغرب الشتاء، ورب المشارق والمغارب، كل يوم تشرق الشمس وتغرب على عدد أيام السنة ثلاثمائة وستون يوماً، لها مشارق ومغارب بقدر أيام السنة.

فالذي هذا ملكه، وهذا خلقه، وهذا أمره، يجب أن نعبده وحده، هو الذي يستحق أن يعبد، وأن يكبر، وأن يعظم، وأن يحمده، وأن يطاع: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠٤] لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

الله أكبر ما أعظم بيان القرآن، وما أعظم رحمة الرب بعبده، يذكره ويبين له ويتعجب إليه، ويتودد إليه بالنعم التي لا تعد ولا تحصى، لعله يتوب، لعله يرجع إلى ربه جل

جلاله: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٨) ﴿النحل: ١٨﴾.

فالخالق وحده هو الذي يجب على الناس عبادته؛ لأنه الذي خلقهم، وخلق أرزاقهم وأكرمهم باتباع شرعه، وكثيراً ما يقرن الله وجوب عبادته وطاعته مع اسمه الخالق: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢١) ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٢) ﴿البقرة/ ٢١-٢٢﴾.

الخالق وحده سبحانه هو الذي إذا عبدته أسعدك، ورزقك الأمن، والسعادة في الدنيا والآخرة: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٨٢) ﴿الأنعام/ ٨٢﴾.

لهم الأمن الصحي، والأمن الغذائي، والأمن السياسي، والأمن الاقتصادي: ﴿لَا يَلْفِيفُ قَرْيَشٍ﴾ (١) ﴿إِلَيْهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ (٢) ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ (٣) ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (٤) ﴿قريش/ ١-٤﴾.

فهو الخالق الذي إذا عبدته أسعدك في الدنيا والآخرة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عِدْنٍ وَّرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٧٢) ﴿التوبة/ ٧٢﴾.

هو الخالق الذي إذا عبدته وحده؛ نجوت من عذابه، وفزت بجنته: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعُ الْغُرُورِ﴾ (١٨٥) ﴿آل عمران: ١٨٥﴾.

بفضله أطعته، وبخذلانه عصيته؛ لأن الإنسان إذا عرض الله عنه، والإنسان إذا نسي الله نسيه، وإذا زاغ عن الله يزيغ قلبه.

فالخالق وحده هو الذي يملك الصنعة وقد أعطى الخالق الأوامر بتشغيلها بما يصلحها ويصلح غيرها، فتجب طاعته، وتصديق أخباره: ﴿وَالْعَصْرِ﴾ (١) ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ (٢) ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (٣) ﴿العصر/ ١-٣﴾.

فسبحان العليم بخلقه، العليم بما يصلح النفوس وينفعها، الرحيم الذي حذرنا مما

يضرها ويفسدها: ﴿قُلْ أَعْبُدُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [المائدة/ ٧٦].

هو السميع لأقوالكم وحاجاتكم، العليم بظواهركم وبواطنكم؛ فلا يجوز لأحد أن يعبد من لا يخلق ولا يرزق، ولا ينفع ولا يضر: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَىٰ الْهُدَىٰ أَتَيْنَا قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِّرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١].

فسبحان الخالق الذي هذا خلقه، وهذه قدرته، وهو الذي يستحق أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠٢] لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [١٠٣] [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

### • العلوم الإلهية قسامان:

أغذية.. وأدوية.

أما الأغذية: فهي العلم بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعدته، ووعيدته. والأدوية: هي علم المسائل التي تشفي الإنسان من الجهل.

فعلوم الإيمان تعين المسلم على معرفة ربه، وتجعل العبد يقبل بقلبه وجوارحه على ما يرضي ربه ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ [فاطر: ٢٨].

أما علم المسائل، وعلم الإفتاء، فهي أدوية تعالج الإنسان وتنقله من الجهل إلى العلم، ليعمل على بصيرة، وعلى طريقة محمد ﷺ.

ولا شك أنه يجب علينا أن نتعلم الدرس الأول في كل يوم، ولهذا أمرنا الله ﷻ أن نقرأ في الصلاة الفاتحة، وما تيسر من القرآن، كله لتغذية الإيمان في القلب، لتقوية الإيمان في القلب؛ حتى يعرف المعبود، وينظر في الملك والملكوت، فيرى الخالق يخلق ما يشاء، ويفعل ما يشاء وحده لا شريك له: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣﴾ [المؤمنون: ١-٣].

واسم الله الخالق، واسم الله الخلاق، اسمان لله ﷻ، وبها يخلق المخلوقات العظيمة، المتكررة والمتكاثرة، والكبير منها والصغير.

فهو الخلاق الذي يخلق الكبير، كالعرش، والصغير كالذرة.

وهو الخلاق الذي يخلق المخلوقات الكثيرة، كالنجوم، والذرات، وقطرات المياه، وهو الخالق الذي خلق المخلوقات العلوية والسفلية، وخلق المخلوقات الناطقة والصامتة، وخلق المخلوقات المتحركة والساكنة.

الله ﷻ هو الخالق وحده لا شريك له، لا بد أن يتكلم اللسان؛ لسمع القلب، ثم القلب يأمر الجوارح بالعمل، هذا الخطاب من اللسان موجه للقلوب؛ حتى تمتثل أمر الله ﷻ، الله ﷻ.

هو الخالق وحده لا شريك له، الخلاق الذي خلق جميع المخلوقات بقدرته، وصورها بإرادته، وحكمها بأمره: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

الله ﷻ يخلق في كل ثانية مليارات المخلوقات، بصور مختلفة، وأنواع مختلفة، ووظائف مختلفة: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

هو الخالق الذي خلق كل شيء، ولا يزال يخلق ما شاء، متى شاء كيف شاء: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨].

فاعبدوه إذا علمتم ذلك، ولا تشركوا به أحداً.

يشركون به من لا يخلق، يشركون به الناقص الضعيف، يشركون به ما لا يليق بجلاله، يشركون به ما لا يساويه في الأسماء الحسنى، والصفات العلى: ﴿أَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [١١١] وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿[١١٢]﴾ [الأعراف: ١٩١-١٩٢].

وسبب ذلك الجهل به؛ فلا بد من العلم بالله ﷻ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ﴾ [محمد/ ١٩].

يستغفر الله من التقصير في هذا العلم، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات الذين قصروا في هذا، ولو عرفوا الله لأطاعوه، ولو عرفوا نعمه لشكروه، ولو عرفوا جبروته وقدرته

لخافوا منه؛ ولو عرفوا إحسانه لأحبوه، ولو عرفوا كبريائه لكبروه، ولو عرفوا غناه لما سألوا غيره.

فهو سبحانه الخلاق القادر على كل شيء، الذي خلق ويخلق ما لا يحصيه الله من المخلوقات والأشياء والذرات والأنفس والثمرات، والأجرام، والأفلاك: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر/٨٦].

وهو سبحانه الخالق الذي خلق المخلوقات كلها على غير مثال سابق: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة/١١٧]. فسبحان من له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى. هو جل جلاله الخالق، وصفة الخلق تستلزم القدرة، التي يخلق بها الخلق، وتستلزم العلم بكل شيء خلقه ويخلقه.

فخلق الله ﷻ يستلزم صفات كثيرة من الحياة، من السمع، والبصر، والعلم، والقوة، والقدرة: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥].

فالله ﷻ هو الخلاق الذي خلق المخلوقات، وأمر الله متوجه من الله إلى جميع المخلوقات فوجدت، وصفة الخلق في الكون مستمرة، فصفة الخلق صفة فعلية، يخلق الله مليارات المخلوقات في كل ثانية، من أنواع الجماد والنبات والحيوان، وغيرها من المخلوقات التي لا يحصيها إلا هو: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلَّاقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

وخلق سبحانه جميع المخلوقات في العالم العلوي، والعالم السفلي، تسبح بحمده، وتشهد بوحدانيته وتخضع لأمره؛ وتستجيب لمشيئته، وتسرع إلى إرادته: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِئَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

وإذا عرفتم ذلك فآمنوا به، واعبدوه، وأطيعوه، واشكروه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

هو سبحانه الخالق البارئ المصور، الذي خلق كل شيء وأحسن صورته، فكل مخلوق له

أمر بالخلق والإيجاد، وله أمر بالتصوير، هذا جهل، وهذه بقرة، وهذا جبل، وهذا بحر، وهذه سماء، وهذه أرض، وكل له وظيفة يؤديها، فهذه المخلوقات العظيمة مخلوقة لحكمة، خلقها من بيده ملكوت كل شيء، لا بد لي أن أعرفه: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢٢]. فسبحان الخلاق العليم الذي يخلق ما يشاء بقدرته.

خلق العرش والكرسي، وخلق السموات والأرض، وخلق الدنيا والآخرة، وخلق عالم الغيب وعالم الشهادة، وخلق الشمس والقمر، وخلق النجوم والكواكب، وخلق الليل والنهار، وخلق الأرواح كلها، وخلق الجن والإنس، وخلق الملائكة، وخلق الهواء والرياح، وخلق الجماد والنبات والحيوان: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

ومن هذا خلقه، وهذه ملكه، وهذه صفاته، هو الذي تجب عبادته: ﴿إِن رَّبِّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

هو سبحانه الخالق الذي خلق السحب، والمياه وخلق الجماد والنبات، وخلق الطير والحيوان، وخلق الجن والإنسان، وخلق السهول والجبال، لا بد أن نكرر هذا كل يوم، فما تكرر تقرر، وبالتكرار يمتلئ القلب بمعرفة الله، وتزول الشبه عنه، وتخرج منه الأمراض والشكوك، فنكره حتى يتعود اللسان عليه، وليستقبله القلب مرة بعد مرة، حتى يسمع القلب كلام التوحيد، ويعرف قدرة الله، وعظمة من يعبد، ليعبده وحده بالحب والتعظيم والذل له.

الله أكبر! ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۚ وَالْقَمَرَ فِي الْأَرْضِ رَواسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [لقمان: ١٠]. كل النباتات كريمة، حبة القمح تعطي سبعمئة حبة، حبة العنب كم تعطي من مئات الألوفا من حبات العنب؟! الرمان كم تعطي من الحب؟!.

النخلة كم تعطي من التمر؟ كم تعطي الفسائل؟ كل مخلوقات الله تنمو وتتكاثر، أما



مخلوقات ومصنوعات الإنسان فلا تنمو ولا تتكاثر: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿١١﴾ [لقمان: ١١].

وهو سبحانه الخلاق العليم، الذي خلق جميع المخلوقات، وأتقن صنعها، وأحسن خلقها: ﴿ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۗ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ [السجدة/٦-٧].

فسبحان الخالق العظيم، الخلاق العليم، الخلاق القدير، الذي خلق جميع المخلوقات في العالم العلوي، وفي العالم السفلي، وجعل لكل نوع منه، وكل فرد منه، وكل ذرة منه، قدرًا في الحجم، وقدرًا في الشكل، وحكمةً في الخلق، فمنها العالي والسافل، ومنها مخلوقاته الكبير والصغير، ومنها الطويل والقصير، ومنها الرطب واليابس، ومنها السائل والجامد، ومنها القوي والضعيف، ومنها الناطق والصامت، ومنها الحي والميت، ومنها الذكر والأنثى، ومنها المتحرك والساكن، ومنها العذب والمالح، ومنها الثابت والنامي، ومنها اللين والقصي: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ﴾ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلِمَةٍ بَالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ [القمر/٤٩-٥٠].

لا يحتاج الله إلى أن يعينه أحد على الخلق، هو جل جلاله يقول للشيء كن فيكون. بصفة واحدة من صفاته خلق هذا الكون العظيم، فانظر إلى الملك والملكوت؛ لترى الخالق يخلق، والرزاق يرزق، والرحمن يرحم، والقادر ينتقم، والمعطي يعطي، والفعال يفعل ما يشاء، فتهب الرياح بأمره، وتموج البحار بإذنه، وتنمو النباتات بإذنه، وتتكلم الألسنة بإذنه، وتسمع الأذان بإذنه؛ هو الذي يملك السمع والأبصار: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۗ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُذْقُونَ ﴾ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

فسبحان الخالق العظيم الذي أحكم وأحسن خلق ما خلق، فلا يستطيع الخلق كلهم أن يخلقوا مثله، فضلًا عن أن يخلقوا أحسن منه: ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ ۗ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ﴿١٠١﴾ [الأنعام: ١٠١].

عليم بما كان، وما يكون وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، والخلق كلهم لو

اجتمعوا ما استطاعوا أن يخلقوا ذبابًا أحقر شيء ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ. وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ [الحج/ ٧٣-٧٤].

فاعبدوا القوي العزيز، ودعوا الضعيف الذليل: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَجْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦].

والله سبحانه هو الرب الخالق، الذي خلق المخلوقات كلها، وتفرد بالملك والخلق وحده، هو الخالق القادر الذي يدبر وحده أمر الممالك والخلائق، في السماء والأرض، وفي الدنيا والآخرة، وفي عالم الغيب وعالم الشهادة، وأجرى عليهم أحكامه الكونية، وأحكامه الدينية، وأحكامه الجزائية وحده لا شريك له: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾ [الملك: ١].

وهو سبحانه الخلاق العليم الذي يعلم كل مخلوق في ملكه، ويسوق إليه رزقه، ويراه ويسمعه وهو يتناوله: ﴿وَكَأَنِّ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٦٠﴾ [العنكبوت/ ٦٠].

فسبحان الله، موسى ﷺ فتح الله على سمعه، فقيل له: اضرب هذا الحجر؛ فضربه فانكسر كسرتين، ثم قيل له اضرب إحدى الكسرتين فضربها؛ فانكسرت وإذا فيها في داخلها حشرة صغيرة يسيل لعابها، فسمع موسى تسييحها وهي تقول: سبحان من يعلم مكاني، ويسمع كلامي، ويذكرني ولا ينساني؛ لأن موسى لما أراد أن يذهب إلى فرعون خاف على نفسه وأهله، فالله ﷻ أراه ذلك حتى يطمئنه: أن الله ﷻ يحفظهم، كما يحفظك فهو يحفظ ما وراءك.

فسبحان السميع العليم بكل مخلوق وبكل ذرة في ملكه؛ فهو الرزاق الذي يسوق الأرزاق إلى الخلائق ويرى جميع المخلوقات وهي تتناول أرزقها: ﴿وَكَأَنِّ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٦٠﴾ [العنكبوت/ ٦٠].

وهو سبحانه الخلاق القدير الذي لا يعجزه شيء، الذي خلق جميع الخلق عنده كخلق

ذرة، يستوي عنده الصغير والكبير في الخلق، بل الخلق كله أمامه صغير؛ لأن هو الكبير المتعال جل جلاله، فهو الخلاق القدير الذي لا يعجزه شيء، الذي خلق جميع الخلق ويبعثهم بعد موتهم، في لمحة واحدة كخلقه نفساً واحدة: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [لقمان/ ٢٨].

فلا إله إلا الله، سبحانه الخلاق القوي القاهر، العظيم الذي خلق كل عظيم في ملكه العظيم، خلقه عظيم في حجمه، عظيم في شكله، عظيم في كبره، عظيم في صغره. هذه البعوضة الصغيرة لها مائة عين، وثلاثة قلوب، وست سكاكين في خرطومها، وثمانية وأربعون سنناً، وهي تشم من تريد على مسافة طويلاً.

فعظمتها جل جلاله في خلق الصغير، وفي خلق الكبير، في خلق الجامد، وفي خلق السائل، في خلق العالي وفي خلق السافل، في خلق الناطق، وفي خلق الصامت، فلا إله إلا الله كم عظمتها! وكم عظمة خلقه! وكم كثرة مخلوقاته جل جلاله! ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر/ ٨٦].

فسبحان الخلاق القوي القاهر، العظيم الذي خلق كل عظيم في ملكه العظيم، البصير الذي يرى كل شيء في ملكه العظيم، كبيراً أو صغيراً: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ [١٧] ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [١٨] ﴿فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَبٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [١٩] [المؤمنون/ ١٧-١٩].

وسبحانه الخالق لكل شيء، البارئ لكل شيء، المصور لكل شيء، المبدع لكل شيء. هو سبحانه الخلاق، عظيم الخلق، كثير الخلق، حسن الخلق، كبير الخلق، خلق السموات والأرض، وخلق المجرات والجبال، وخلق الليل والنهار، وخلق كل شيء؛ فتبارك الله أحسن الخالقين: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَىٰ أَيْلُ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فسبحان القادر على كثرة الخلق عددًا كالنجوم والذرات، والهباءات، وقطرات الأمطار، وورق الأشجار، وذرات الرمال، والأنفاس، والكلمات.

وسبحان القادر على عظمة الخلق نوعاً، كالعرش العظيم، والكرسي الكريم،  
والسموات السبع الطباق الشداد، والأرضين السبع، وما فيهن، وما عليهن، وما بينهن  
من المخلوقات التي لا يحصيها إلا هو: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ  
السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ  
(٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ  
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤)﴾ [الحشر: ٢٣-٢٤].

هو الخالق الذي قدر خلق كل شيء، البارئ الذي أوجد كل شيء من العدم، المصور  
الذي أعطى الصورة الحسنة لكل مخلوق، فهذا جبل، وهذا حيوان، وهذا إنسان، وهذا  
رجل، وهذه امرأة، وهذا ماء، وهذه شمس، وهذا قمر، هو الذي أعطى الصورة الحسنة  
لكل مخلوق، المبدع الذي خلق كل شيء على غير مثال سابق: ﴿بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (١١٧)﴾ [البقرة: ١١٧].

أما الإنسان فقد يخلق الشيء من الأشياء الموجودة، ويسمى خالقاً مجازاً، فالله هو الخالق  
الأعلى، والإنسان هو الخالق الأدنى، لكن فرق بين خلق الخالق، وخلق المخلوق، فالله  
خلق المخلوق، وخلق فعله وصفاته، والناس بفطرتهم يعلمون أن خالق الكون وما فيه  
هو الله وحده، وكذلك إبليس، ولكنهم لا يعرفون عن الله العظيم ما يجعلهم يعبدونه  
ويطيعونه، فلا بد من زيادة العلم، ولا بد من سقي الفطرة التي فطر الله الناس عليها  
بطلب العلم، والتعرف على الله من خلال الآيات الكونية، والآيات القرآنية، فسقي  
الفطرة بالنظر في الملك والملكوت؛ حتى يزيد الإيمان الفطري بالإيمان الكسبي، فيمتلئ  
القلب بالإيمان؛ فيتحرك الإنسان بجوارحه ولسانه بطاعة الله ﷻ، وعبادته بالحب  
والتعظيم والذل له: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ  
يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَلِكُمْ (١١)﴾ [محمد/ ١٩].

فالإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، إذا حمل العبد على طاعة الله؛ فهذا الإيمان الذي  
يريده الله، وهو كاف للفوز بالجنة والنجاة من النار.

أما إذا كان الإيمان بحجم لا يكفي لحمل الإنسان على طاعة الله، فذلك هو الخسران  
المبين، كإيمان إبليس والكفار: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ [الفان/ ٢٥].

إذا عرفتم أن الله هو الخالق؛ فيجب أن تعبدوه وحده جل جلاله.

فلا بد للمؤمن من تقوية الإيمان بالنظر في الآيات الكونية، والآيات الشرعية، ومجاهدة النفس على فعل الأوامر، ليسارع العبد إلى أنواع الطاعات، ويكف عن المعاصي والشهوات المحرمة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ؕ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ؕ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ؕ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ [النساء/ ١٣٦].

يجب أن تتعرفوا على أركان الإيمان الستة، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، ليزيد الإيمان، وتقوى الأعمال، فالله ﷻ يريدنا أن نترقى إلى أعلى درجة في الإيمان، وهي الإيمان المطلوب؛ فالإيمان ثلاثة أقسام: إيمان موجود، وإيمان مفقود، وإيمان مطلوب.

فنجتهد على الإيمان الموجود؛ لنحصل الإيمان المفقود؛ لنرقى إلى درجة الإيمان المطلوب، الذي تحصل به مواعيد الله العظيمة في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا نَتَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

النظر والتدبر في الآيات الكونية، والآيات القرآنية: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْطِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١].

واعلم أن معرفة أسماء الله الحسنى شيء، وفهمها شيء آخر، والتعبد لله بموجبها شيء فوق ذلك.

أن يعيشها الإنسان، ويتصف بها، شيء آخر فوق ذلك ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

إذا علمت أن الله عليم، فاعلم أنه يعلم كل شيء، وتخلق بهذه الصفة، فتعلم وعلم الناس: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا

عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعْمَلُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩].

وإذا كنت تعلم أن الله قوي، فكن قويًا في توحيدك، في إيمانك، في عبادتك، في أعمالك، فالله ﷻ يجب الأقوياء في دينه: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة/ ٦٣].  
وإذا عرفت أن الله سميع فلا تسمعه إلا ما يجب، وإذا عرفت أن الله بصير فلا تفعل إلا ما يجب.

وإذا عرفت أن الله كريم، فيجب أن تفهم أن كل هذا الكون من عطائه، السموات، والأرض، وما فيها من جميع المخلوقات من كرمه، فكن كريمًا بوقتك فاجعله لله، كريمًا بأقوالك قل للناس قولًا حسنًا، كريمًا بهالك، كريمًا بأخلاقك.  
وإذا عرفت أن الله رحمن؛ فاعلم أن رحمته وسعت كل شيء، وتخلق بهذا الاسم وارحم الناس.

قال النبي ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ، يَرْحَمَكُم مَن فِي السَّمَاءِ»  
أخرجه أحمد والترمذي (١).

وهكذا نتعبد لله ﷻ بمعرفة أسمائه، وفهمها، والتخلق بها على شاكلة العبودية.  
وهو سبحانه الخلاق العليم بكل شيء على التمام والكمال وحده لا شريك له، خلق وصور، وأبدع وأحسن الخلق في جميع المخلوقات: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (٨٦)  
[الحجر: ٨٦].

والإنسان يخلق ويطور، اخترع الهاتف، اخترع السيارة، اخترع الطائرة والسفينة، وكل سنة يطور، ويطور، ويطور.

أما الله ﷻ فيخلق خلقًا عظيمًا على غير مثال سابق، على كمال الحسن والتمام والكمال؛ لأنه الخلاق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (٨) [طه: ٨].

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (١٢) [الطلاق: ١٢].

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٦٤٩٤)، وأخرجه الترمذي برقم (١٩٢٤).

فهو الخلاق العليم، خلق ما نبصر، وما لا نبصر، خلق ما نراه وما لا نراه، خلق عالم الغيب وعالم الشهادة، خلق الدنيا والآخرة: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ (٣٨) ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ (٣٩) [الحاقة/ ٣٨-٣٩].

فما أظهره الله ﷻ لنا ذرة فيما لم يظهره لنا، عالم الغيب لا نعلمه، الجنة والنار ما وصلنا إليهما حتى نعرفهما، لكن جاءنا عنهما بعض الأخبار الصادقة من ربنا ﷻ فتؤمن به، فالمستور عنا أكثر من المكشوف، ولكن الله كشف لنا ما يؤهلنا للإيمان به، ويرغبنا في عبادته، ويحرك قلوبنا والستتنا وجوارحنا، هو سبحانه الخلاق الذي يخلق ما يشاء، ويفعل ما يريد، خلق سبحانه خلقًا في البر لا يعلم بهم أهل البحر.

الأسماك في البحر لا تعلم عن الإنسان شيئًا، الأسماك عالم كبير، ونحن لا نعلم عنهم إلا من دخل في البحر رأى هذه الأمة التي تعمل، وتطلب الرزق، وتتحرك، وتسبح بحمد ربها: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (١) [الجمعة: ١].

فهو سبحانه هو الخلاق الذي له القدرة المطلقة في الخلق، خلق الجو، والبر، والبحر.

خلق سبحانه خلقًا في البر لا يعلم بهم أهل البحر، وخلق في البحر خلقًا لا يعلم بهم أهل البر، وخلق في السماء خلقًا لا يعلم بهم أهل الأرض: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (١١) [لقمان: ١١].

وخلق الله في الأرض خلقًا لا يعلم بهم أهل السماء، وخلق في الجو بين السماء والأرض خلقًا لا يعلم بهم أهل السماء والأرض، وخلق في السماء والأرض خلقًا لا يعلم بهم أهل الجو؛ لأنه الخلاق العليم، فيجب أن نعبد وحده لا شريك له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٠٢) [الأنعام/ ١٠٢].

فما أسفه عقول من أشرك مع الله غيره في العبادة: ﴿أَيْشِرُّونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ﴾ (١١١) ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ (١١٢) [الأعراف: ١٩١-١٩٢].

فكل من لا يخلق لا يستحق أن يعبد: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (١٧) [النحل/ ١٧].

وصفة الخلق من الصفات العظيمة التي نراها كل يوم، ولكن لكثرتها ينصرف الإنسان

عنها، ولإلفه لها لا يلتفت إليها، لكن لو كسفت الشمس التفت إليها، ولو رجت الأرض التفت إليها: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرْنِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦-٨].

والله أمرنا أن ننظر في الآيات الكونية، والآيات الشرعية؛ لأن هذا النظر يشمر الإيمان بالله، وعبادة الله وحده، ويولد الخوف من الله، والتعظيم لله، والحب لله. فلا إله إلا الله كم عظمته وجلاله وجماله، وكم عظمة ملكه وسلطانه! وكم عظمة نعمه وإحسانه، وكم عظمة مخلوقاته!.

خلق جل جلاله من الملائكة، والجن، والإنس، والجماد، والنبات، والحيوان أمماً وقبائل وشعوباً لا يعلمها، ولا يحصيها، ولا يحيط بها إلا من أحاط بكل شيء علماً، فلا إله إلا الله كم عظمة مخلوقاته! ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام/ ٥٩].

والكل خلق الله، والكل ملك الله، والكل عبد الله، والكل جند الله، والكل يشهد بوحدانية الله، والكل يسبح بحمده، والكل يخضع لأمره: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ حَقَّ يُرِيدُ الْأَرْضَ وَالسَّمَاسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج/ ١٨].

فاعرف أيها العبد اللبيب نفسك، وتعرف على أسماء ربك وصفاته، وتعرف على أسماء وصفات من تعبد؛ حتى تأتي العبادة منك بالحب الكامل، والتعظيم الكامل والذل الكامل لله ﷻ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءِإِنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

فربك يخلق ما يشاء، وربك ينعم بنعم لا تعد ولا تحصى، وربك يمسك السماء أن تقع على الأرض؛ فلا بد أن ترجوه، ولا بد أن تخافه، ولا بد أن تحبه، ثم تنصب قدميك تعبدًا لله باستحضار صفة الخلق، فالصلاة لها جسد وهو القيام والركوع والسجود، ولها روح وهو تعظيم الله، والانكسار بين يديه، والبكاء والخشوع والتضرع: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ



﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ ﴿المؤمنون: ١ - ٢﴾.

فاعرف أيها العبد نفسك، حتى تعرف ربك، وتعرف على أسماء وصفات من تعبد قبل أن تعبد، واعلم من تناجي؟ وماذا تقول؟ وماذا تعمل؟ وماذا تبني؟ وماذا تهدم؟ وماذا تريح؟ وماذا تخسر؟ ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلِتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ دَسَّوْا اللَّهَ فَأَنْسَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر: ١٨ - ٢٠].

والله ﷻ فعال يفعل ما يشاء، لا يعجزه شيء، ولا يمتنع عليه شيء، يخلق ما يشاء، ويختار ما يشاء، أحياناً يخلق ويرزق بالأسباب، كما يخلق النبات بأسبابه، والحيوان بأسبابه، والآدمي بأسبابه: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾﴾ [الطارق/ ٥ - ٨].

وأحياناً يخلق ويرزق بلا أسباب، كما رزق مريم ابناً بلا ذكر، وطعاماً بلا شجر: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس/ ٨٢].  
وأحياناً يظهر قدرته بضد الأسباب، كما جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم ﷺ: ﴿قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنبياء/ ٦٩ - ٧١].

وأحياناً ينجي بأسباب الهلاك، كما أنجى موسى من البحر وأهلك فيه فرعون، بامر واحد، وبحر واحد، في وقت واحد: ﴿فَلَمَّا تَرَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْأَخْرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْأَخْرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ [الشعراء: ٦١ - ٦٨].

فالله ﷻ أظهر قدرته في هذا وأخفى قدرته في ذلك، الله ﷻ يظهر قدرته في بعض مخلوقاته، ويخفي قدرته في بعضها؛ ليعلم عباده أنه القادر على كل شيء، ليعبدوه وحده لا شريك له، ولا يتعلقوا بأحد سواه: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾

﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ [النحل/ ١٧ - ١٨].

وأحياناً يهلك بأسباب النجاة كما أهلك فرعون مع ملكه، وخسف بقارون مع كثرة أمواله.

وخلق الله ﷻ هذا الإنسان بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه الأسماء كلها تشريعاً له على غيره، ليكون في الدنيا خليفة، ويوم القيامة جليسه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤ - ٥٥].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠].

فسبحان الخلاق العليم الذي خلق هذا الإنسان من تراب، ثم جعل نسل هذا الإنسان من ماء مهين؛ ثم أخرجه من بطن أمه مختلف الألوان، والأطوال، والأشكال، والأحجام، والألسن، والصفات، كم أظهر الله قدرته في خلق هذا الإنسان ظاهراً وباطناً.

خلق الله ﷻ هذا الإنسان، وأظهر قدرته في خلق الإنسان، فأخرجه من هذا الماء المهين، الذي فيه هذه القطرة بعدد البشرية، ولكن لا يحيا منهم إلا واحداً أو اثنين: ﴿ذَلِكَ عَلِيمٌ بِالْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾﴾ [السجدة: ٦ - ٨].

فهذا الإنسان خلقه الله بأشكال وأحجام وصفات مختلفة:

منهم الرحيم والشديد، والعربي والعجمي، والبصير والأعمى، والسميع والأصم، والناطق والأبكم، والأبيض والأسود، والطويل والقصير، والذكي والغبي، والعاقل والمجنون.

ومنهم كريم وبخيل، وحسن وأحسن، ومؤمن وكافر، ومحسن وظالم: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يس/ ٣١].

يعني فاعبدوه جل جلاله وأطيعوه فتبارك الله أحسن الخالقين، الذي أظهر قدرته في خلق هذا الإنسان من نطفة من ماء مهين: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾

ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَنَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤].

فالبدن والغرس في أرحام الأرض، كنطفة الذكور في أرحام الإناث، هذه الأرض أم تنبت ولها رحم، تستقبل النباتات في بطنها ثم تخرجهم أشجاراً مختلفة، ونباتات مختلفة، فلا إله إلا الله كم عظمة خلقه!

فإذا نزل الأمر من الخلاق العليم؛ حسب التقدير السابق لكون كل شيء أرادته الله، استجاب وأطاع ذلك المخلوق لأمر الخالق وظهر، شكلاً، ونوعاً، وعدداً، من نبات، وحيوان، وإنسان.

قال سبحانه في خلق الإنسان ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِئِنَّهَا وَبَهْبٌ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُرْوِجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى/ ٤٩ - ٥٠].

وقال سبحانه في خلق الحيوان: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النور: ٤٥].

وقال سبحانه في خلق النبات: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾ [النحل/ ١٠ - ١١].

وقال سبحانه في خلق الجماد وهو أوسع المخلوقات: ﴿إِنِّي رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِي ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

فالمؤمن يجدد إيمانه في كل لحظة، على المؤمن كما يجدد لباسه، أن يجدد إيمانه في كل يوم، كلما ازدت بالله علماً، ازدت إيماناً، وازدت عملاً وازدت أخلاقاً وتعبداً، فنشهد أن لا إله إلا الله، ونشهد أن محمد عبده ورسوله" في الصلاة، كل ذلك فيه تجديد الإيمان،

والشهادة لله بالوحدانية، ولنبه بالرسالة، وتقديم التحية لمن خلقك، ورزقك، وهداك، والصلاة والسلام على من كان سبباً في وصولك إلى ربك، وما يرضي ربك: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي الْبَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرَيْنِ﴾ ﴿١١٤﴾ [هود: ١١٤].

هو سبحانه الخالق القادر على كل شيء، الخالق الذي خلق الخلق كله، ثم يعيده كله، لأنه على كل شيء قدير، خلق الخلق كله، ثم يعيده كله كما كان، إظهاراً لقدرته جل جلاله: ﴿وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٧﴾ [الروم/ ٢٧].

هو العزيز الذي لا يمتنع عليه شيء، الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه. هذا ربي وربك لا إله إلا هو الخلاق العليم، فاعبده ولا تلتفت لما سواه: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ ﴿٦٥﴾ [مريم/ ٦٥].

فسبحان الملك الحي القيوم الذي حكم على كل نفس بالموت، وقضى على كل مصنع بالخراب، مصنع النبات، مصنع الإنجاب، وقهر كل متحرك بالسكون، كل شيء سوف يسكن، وحكم على كل موجود بالفناء: ﴿كُلُّ مَنَّ عَلَيْهَا فَإِنَّ ﴿٦٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ﴿٢٧﴾ [الرحمن/ ٢٦-٢٧].

والله خلقنا للبقاء لا للفناء، ولكن حكم علينا بالموت والفناء، إظهاراً وتمييزاً للحي القيوم الذي لا يموت، من الحي الذي يموت، ولإتمام حكمته في البدء والإعادة والثواب والعقاب ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا أَنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ ﴿٤﴾ [يونس/ ٤].

فالمطيع مجازى بالحسنات، والكافر مجازى بعمله، فدار الآخرة دار الجزاء والحساب والثواب والعقاب، فلا إله إلا الله، ما أجهلنا بربنا، وما أجهلنا بأسائه وصفاته، فسبحان من خلق الإنسان، ثم حكم عليه بالموت؛ ليمتاز الخالق الباقي من المخلوق الفاني، ثم يعيده بعد الموت، ليبقى في حياة لا يفنى بعدها أبداً: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

خَلِيدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَلِيدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ [التغابن: ٩-١٠].

ينادى أهل الجنة: أما أن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وتشبوا فلا تهرموا أبدًا، وتنعموا فلا تبأسوا أبدًا، وتحبوا فلا تموتوا أبدًا.

الله ﷻ يوم القيامة يعطيك من صفاته فتكون أبدياً، طعامك أبدي، نعيمك أبدي، صحتك أبدية، حياتك أبدية.

وقد جعل الله الخلاق العليم لكل مخلوق بداية ونهاية، ليدل بذلك على حدوثه ونقصه، وليمتاز المخلوق الذي له بداية ونهاية، عن الخالق الذي ليس له بداية ولا نهاية ولا أول ولا آخر: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد/٣].

فالنظر في الآيات الكونية، والنظر في الآيات الشرعية، هما أعظم مصادر الإيمان، وهما بابان عظيمان: نظر في الآيات الكونية مخلوقاته وأفعاله، ونظر في الآيات الشرعية شرعه وآياته في كتابه العزيز جل جلاله: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١].

فانظر إلى قدرة الخلاق العليم في البدء والإعادة، مليارات المليارات من النباتات التي تتكرر في الصحاري، في كل عام، وفي كل وقت بالمليارات، أمر بالخلق، وأمر بالشكل، وأمر بالثمرة، وحجم الثمرة.

انظر إلى قدرة الخلاق العليم في البدء والإعادة؛ لتعلم أن بعد هذه الحياة موت، ثم بعد الموت بعث، ثم بعد البعث حساب، ثم بعد الحساب ثواب أو عقاب: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت/١٩-٢٠].

فمن نظر في عالم البحار، في عالم الفضاء، في عالم النبات؛ علم أن الله ﷻ يتودد إلى عباده بأن يعرفوا أنه الخالق، يتودد إليهم بنعمه؛ ليشكروه ويعبدوه ويطيعوه، ثم بعد الحساب يساق المؤمنون إلى الجنة، ويساق الكفار إلى النار: ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُؤْمِدُ يَنْفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ

كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ [الروم/ ١٤-١٦].

فسبحان الله عدد خلقه، وزنة عرشه، ورضا نفسه، ومداد كلماته، سبحان الخالق القادر على كل شيء، الذي خلق فأبدع، وصور فأحسن، وصنع فأتقن، وقدر فهدى، وحكم فعدل، ولطف وأحسن الإحسان كله: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾  
﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ [السجدة/ ٦-٧].

هو سبحانه الخالق البديع الذي بدأ كل شيء أولاً؛ فلم يسبقه فاعل إلى فعل مثله، الخالق الذي خلق كل شيء على غير مثال سابق، الخالق البديع الأول قبل كل شيء، الخالق الذي أبدع أول كل شيء، وصور أول كل شيء، وأحسن صورة أول كل شيء: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَىٰ يَكُونُ لَهُ، وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١].

هو سبحانه الخالق البديع الأول قبل كل شيء، هو الأول قبل كل شيء، الخالق الذي أبدع أول كل شيء من المخلوقات، أبدع خلق السماء، والأرض، والنبات، والجماد والحيوان وغيرهم، وصور أول كل شيء، وأحسن صورة أول كل شيء: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد/ ٣].

هو البديع في ذاته فلا يشبهه شيء من خلقه، هو الخالق الذي ليس كمثلته شيء في الخلق، ليس كمثلته شيء في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿١﴾ اللَّهُ الضَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ [الإخلاص: ١-٤].

هو القادر الذي ليس كمثلته شيء في القدرة، العليم الذي ليس كمثلته شيء في العلم، الحي الذي ليس كمثلته شيء في الحياة؛ فحياة الله ﷻ لا أول لها ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية، لكن حياة الإنسان موهوبة، الحي أحياء، والله ﷻ وهبه الحياة، ويسلبها منه إذا أراد منه أن يموت، ليظهر الحي القيوم الذي لا يموت أبداً، من الحي الذي يموت ويفنى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥].

هو البديع في أفعاله، الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

واعلم أن حفظ أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى لا يكفي، فلا بد من فهمها، وحفظها، وفهم معانيها، والتعبد لله بها، وحظ كل مؤمن من أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، أن يكون مسلماً مؤمناً، كريماً رحيماً، عفواً حليماً، لطيفاً ودوداً، يعني يوجد هذه الأفعال، يظهر الأخلاق الحسنة، وينشر الأخلاق الحسنة، ويكرم الناس، ويعلم الناس، ويتصف بصفات الخالق، لكن على شاكلة العبودية: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

أما حظه من اسم الله البديع، فهو أن يظهر كل سنة، ويسبق إلى كل طاعة، ولا يتدع شيئاً لم يرد به الشرع، في العقيدة، والعبادة، والدعوة، والسلوك، وغير ذلك: ﴿وَمَا ءَأْتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر/٧].

فالبديع جل جلاله خلق الإنسان فرداً لا شبيه له، وأعطاه حرية الاختيار والإرادة، وأذن له أن يجتهد ويبدع فيما لم يرد فيه نص: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء/٥٩].

الله ﷻ هو الملك البديع الذي خلق كل شيء، وأذن للإنسان أن يبدع أشياء في مجال عالم الجماد، ومجال عالم النبات والحيوان بالتصنيع والتهجين والزراعة وغيرها، ومنع وحذر الإنسان أن يتدع في الدين شيئاً لم يرد به الشرع: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام/١٤٤].

هو سبحانه البديع، الحق الذي له الجمال كله، الذي زين السموات والأرض، الذي أضاءهن بنوره العظيم، وأمسكهن بقدرته القاهرة: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور/٣٥].

﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [الحج/٦٥].

فالله أكبر، ما أعظم خلقه في ملكه العظيم، انظر إلى عجب إبداع الخالق العظيم، وجميل صنعه وإتقانه في خلق السموات والأرض، وما بينهما، وما فوقها من العرش العظيم، والكرسي الكريم، وما بين السماء والأرض من الرياح والسحب والنجوم والأفلاك،

والشمس، والقمر: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر: ٦٢ - ٦٣].

انظر كيف سخر الملك القادر على كل شيء أمر المخلوقات في العالم العلوي، والعالم السفلي، وصرف تلك المخلوقات بينها بمشيئته النافذة في طلوعها وغروبها، وخنوسها وكنوسها، واجتماعها وافتراقها: ﴿وَأَيُّهُ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسَلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ۚ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس/ ٣٧ - ٤٠].

فسبحان الخالق العظيم الذي أبدع رؤوس العالم، من الملائكة الذين يملؤون السموات السبع، والجن والإنس، الذين يملؤون الأرض، وأنواع الجماد والنبات والحيوان؛ هو الخالق العظيم الذي أبدع رؤوس العالم، هو الخلاق العليم، الذي خلق رؤوس العالم، والمخلوقات العظيمة في العالم، من العرش والكرسي، والسموات والأرض، والملائكة، والجن، والإنس، والروح، وأنواع الجماد والنبات، والحيوان: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠١ - ١٠٢].

وإن أردت رحمك الله متين العلم الذي يملأ القلوب بالإيمان فانظر رحمك الله إلى مسألة عظيمة، إلى مسألة كبيرة، إلى عجب خلق الله لهذا المعرض العظيم، والمصنع البديع، وكيف ملأه الخلاق العليم بعجائب المخلوقات: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرَ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس/ ١٠١].

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَشْبَعْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّتَبِعٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [ق: ٦ - ١١].

﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ



بِهَيْجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ يَأْنِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتِينَ وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴿الحج: ٥ - ٧﴾.

فالكون كتاب مفتوح للتدبر، والقرآن كتاب مفتوح لمن شاء، فهذا من متين العلم الذي دعا الله ﷻ إليه، بالنظر والتدبر في الآيات الكونية؛ والآيات القرآنية.

فسبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

وإنما يعجب بظاهر الدنيا من لا يرى نزهة الملكوت، وأعظم من نزهة الملكوت رؤية الذي خلقه، وأبدعه وصوره: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤].

الله ﷻ أعطانا أسماعاً وأبصاراً وعقولاً فكيف نستعملها في معرفة الله، وكيف نستعمل الجوارح في طاعة الله وعبادته: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

أما من لم يستعمل ذلك فقد خسر دنياه وأخراه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

من خلق هذا الكون العظيم، ومن ملأه بالمخلوقات الكبيرة والصغيرة، ومن يحفظه ويدبره؟.

وعن أي علم كان هذا الملكوت العظيم، وعن أي قدرة أظهر الخلاق العليم هذه المخلوقات، وعن أي قوة قهر ما قهر القهار جل جلاله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ [الزمر/٦٧].

فسبحان الخالق، الذي خلق الخلائق كلها، ودبر الأمور كلها، وأخرج الكون من العدم بقدرته، وأنار الكون بنوره، وملاه بآثار رحمته، وجزى نعمه؛ حتى ذلت العقول لعظمته، وتصاغرت لكبريائه، وخشعت لجبروته، وقنتت لعزته، وسجدت لجلاله، وسارعت إلى طاعته وعبادته: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤٤﴾ [الإسراء/٤٤].

الله ﷻ أمرنا بأن نتعرف على أسمائه وصفاته وأفعاله فقال ﷻ: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٠﴾ [العنكبوت: ٢٠].

فمن نظر في ملك الله العظيم، وفي ملكوته الكبير، عرف أن أسماء الله ﷻ ظاهرة في هذه المخلوقات العظيمة، فمن رأى السموات والأرض والجبال والأشجار والأنهار والبحار، والنبات والحيوان، علم أن لها خالقاً، وأن هذا الخالق قادر، وأنه سميع، وأنه بصير، وأنه عليم، وأنه حي، وأنه قيوم، ومن رأى النعم ذكر المنعم، ومن رأى العطاء ذكر المعطي سبحانه، ومن رأى الأرزاق ذكر الرازق سبحانه.

وهكذا الكون كله مظهر لأسماء الله وصفاته وأفعاله، وهذه الصفة صفة الخلق، أظهر الله جميع أسمائه وصفاته لخلقه، كما أظهرها لهم في القرآن. ولهذا أمرنا الله بالنظر في الآيات الكونية، والتدبر للآيات القرآنية، لتعرف الله بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

فالله ﷻ هو خالق هذا الكون وخلق هذه الصورة على ما يريد جل جلاله. فالله وحده هو الخالق، وكل ما سواه مخلوق: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَدْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآذِنُوا لَهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿٣﴾ [فاطر: ٣]. ففي الكون اثنان: خالق ومخلوق، وملك وعبيد، ورب ومربوب.

فسبحان الخالق العليم الذي خلق كل شيء، خلق الإنسان من تراب، وخلق الملائكة من نور وخلق الجن من مارج من نار.

هو سبحانه الخالق، الذي خلق الخلائق كلها، هو الذي خلق الأول من المخلوقات

كلها، وهو الذي خلق الآخر من المخلوقات كلها: ﴿أَفَعِينَا بِالْحَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق/ ١٥].

فهو سبحانه الخلاق الذي يخلق ما يشاء، في أي وقت شاء، والحمد لله الذي عرفنا بأسمائه وصفاته، بصفات كماله وجلاله وجماله، حتى نعبده بالحب والتعظيم والذل له: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

والفرق بين خلق الله وخلق المخلوقين، أن الله يخلق من العدم، والإنسان يخلق شيئاً من شيء موجود، وما خلقه الله ينمو ويكبر، وخلق المخلوق لا ينمو ولا يكبر، والله إذا أراد أن يخلق شيئاً قال له: كن فيكون، أما المخلوق فيجهد نفسه بالتفكير، والتصوير، والتجميع والتحريك، وقد يقدر وقد لا يقدر، والإنسان يشكل الأزهار، ويصنع الحيوانات، ولكنه لا يستطيع أن يهب لها الحياة، والله يخلق ما يشاء من النباتات والحيوانات كيف شاء، ويهب لها الحياة، أما الإنسان فهو يصنع بالعقل الذي خلقه الله، ومن المادة التي خلقها الله، وخلق الله كله لحكمة، أما الإنسان فيخلق بلا حكمة ولا علم في كثير من الأحيان: ﴿مَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون/ ١٤].

لا يستطيع الخلق كلهم أن يخلقوا كما خلق الله، ولو اجتمعوا؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، وَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وقال النبي ﷺ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.  
وقال النبي ﷺ: «إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هَذِهِ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ، وَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ» متفق عليه<sup>(٣)</sup>.

وقد توعد الله ﷻ كل من أراد أن يغير ما خلق الله بالعذاب الأليم.  
كما قال إبليس لربه فيما حكى الله عنه: ﴿وَلَا ضَلَّيْنَهُمْ وَلَا مَنِّينَهُمْ وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَبْتِكُنْ

(١) متفق عليه/ أخرجه مسلم برقم (٢١١١)، والبخاري برقم (٥٩٥٣)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه/ أخرجه مسلم برقم (٢١٠٩)، والبخاري برقم (٥٩٥٠)، واللفظ له.

(٣) متفق عليه/ أخرجه مسلم برقم (٢١٠٧)، والبخاري برقم (٥٩٥١)، واللفظ له.

ءَاذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مِرْيَةَ فِي غَيْرِك خَلَقَ اللَّهُ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ [النساء/ ١١٩].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَعَنَ اللَّهُ الْوَأَشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ ، وَالنَّامِصَاتِ وَالْمُتَمَصَّصَاتِ ، وَالتُّفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ» متفق عليه<sup>(١)</sup>. فسبحان الخالق الذي خلق كل شيء، وأتقن وصنع كل شيء: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٨٨﴾ [النمل/ ٨٨].

هو سبحانه الخلاق الذي خلق جميع المخلوقات كما يشاء صورةً، وشكلاً، وحجماً. ولماذا خلق الله الخلق؟ خلقهم ليشهدوا بوحدانيتته، ويسبحوا بحمده، وليكونوا مظهرًا لأسمائه وصفاته، وجلاله وجماله، وخلق الإنس والجن لعبادته وطاعته، لكن العبادة اختيارية، أما عبادة المخلوقات فهي تسخيرية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ الْمَتِينُ إِلَّا زَرْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

وقال سبحانه: ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤٤﴾ [الإسراء: ٤٤]. خلق سبحانه جميع المخلوقات؛ ليظهر كمال قدرته، وكمال علمه، وكمال رحمته.

والخلق هو التقدير المستقيم، فالله لكمال علمه وقدرته قدر مقادير الخلائق كلها، وكتبها قبل أن يظهرها: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمِجٍ بَالْبَصْرِ ﴿٥٠﴾ [القمر: ٤٩-٥٠].

وقال النبي ﷺ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ» أخرجه مسلم<sup>(٢)</sup>.

فإنه ﷺ قدر خلق المخلوقات في علمه أولاً، ثم كتبها في اللوح المحفوظ، كتب في اللوح المحفوظ كل ما سيكون من المخلوقات، والأحوال، والأشياء إلى يوم القيامة، ثم شاء أن يظهر ما كتب؛ فقال لكل شيء كتبه: كن؛ فكان وظهر مطابقاً لما في اللوح المحفوظ،

(١) متفق عليه/ أخرجه مسلم برقم (٢١٢٥)، والبخاري برقم (٤٨٨٦)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٣).

وأظهرها من العدم.

فهذه مراتب القدر: العلم، والكتابة، والمشية، والخلق: ﴿الْمَ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج / ٧٠].  
الله سبحانه له القدرة المطلقة، يخلق بلا أسباب، إظهاراً لقدرته: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس / ٨٢].

ويخلق بالأسباب إظهاراً لحكمته: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [٥] ذَلِكَ يَأْنِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [٦] وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ [٧] [الحج / ٥ - ٧].

يخلق بالأسباب إظهاراً لحكمته جل جلاله، وأنه يضع الشيء في موضعه، خلق هذه المخلوقات بالأسباب إظهاراً لحكمته لماذا؟ ليكون ذلك سبيلاً للاقتداء بحكمه الشرعي، في النكاح، وفي الأكل، والشرب، وفي العبادات والمعاملات: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف / ٧].

ويخلق سبحانه بصد الأسباب كما خلق يحيى عليه السلام مع كبر والديه.

فكل ذرة في الكون لا بد أن تمر بمراتب القدر الأربعة:

تقديرها في علم الله، ثم كتابتها، ثم مشيئة الله لتنفيذ ظهورها، ثم خلقها وإظهارها.

## التعبد لله ﷻ باسمه الخالق .. الخلاق

اسم الله الخالق أعظم الأسماء ظهوراً في الكون والقرآن، وبهذا الاسم تظهر أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، فكل ما نراه في الكون هو مظهر من آثار أسمائه وصفاته في هذه المخلوقات العظيمة، فكيف نتعبد لله باسمه الخالق جل جلاله؟ من عرف الله بأسمائه وصفاته، وآياته ومخلوقاته العظيمة؛ عظمه وكبره، وحمده وشكره؛ لما يراه من آياته العظيمة، ومخلوقاته العجيبة: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

ومن نظر في هذا الكون العظيم؛ رأى بقلبه وبصره وبصيرته الخالق جل جلاله، يخلق ما يشاء، والرازق يرزق من يشاء، ورأى الرحمن يرحم من يشاء، والقادر يفعل ما يشاء، والغفار يغفر لمن يشاء، والواهب يهب ما يشاء، والعزيز يعز من يشاء، ويذل من يشاء، فهو الذي تفرد وحده بالخلق والإيجاد والتصوير، والأسماء الحسنى، والصفات العلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ ﴿٨﴾ [طه/ ٨].

من عرف أن ربه الخالق وحده لا شريك له، وحده وأفرده بالعبادة، ولم يلتفت لأحد سواه، ولهذا أنكر الله على المشركين الذين يوقنون بأنه الخالق وحده، ثم يعبدون معه من لا يخلق: ﴿أَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ ﴿١١١﴾ [الأعراف/ ١١١].

ومن عرف أن ربه الخالق وحده لا شريك له، أحبه وذل له؛ لأنه الذي خلقنا وخلق كل شيء، خلقنا وأنعم علينا بنعم لا تعد ولا تحصى؛ فالطعام منه، والهواء منه، والمشروبات منه، وكل نعمة منه، أنعم علينا بنعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد بالأقوات في كل يوم، ونعمة الهداية للصرط المستقيم، ونعم داخل الإنسان من السمع والبصر والعقل، ونعم خارج الإنسان مما خلقه الله وسخره للإنسان: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ [النحل: ٥٣].

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ [النحل/ ٧٨].

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ﴾

وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرِ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ  
الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتُمْ تُصِرُّونَ ﴿٣٢﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

ومن عرف الله سبحانه باسمه الخالق شكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى؛ لأنه يراها في كل وقت، يرى الخالق خلق النعم وبثها في هذا الكون، فحيثما سرت الهواء موجود، والماء موجود، والطعام موجود، من عرف الله باسمه الخالق؛ شكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وأطاعه واستحى منه أن يعصيه بنعمه التي خلقها: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

ومن عرف الله باسمه الخالق قبل دينه، وعمل بشرعه، وحكم به، وتحاكم الله، لأنه الشرع الذي رضيهِ الخالق لعباده ديناً، فلا أحسن منه، ولا أحكم منه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿٣﴾﴾ [المائدة/٣].  
﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًا نَقَّشَ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣].

ويجب على العبد المؤمن أن ينظر في ملكوت السموات والأرض، ويتدبر ويتفكر فيما خلق الله ليزيد إيمانه، وتحسن عبادته: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾﴾ [آل عمران/ ١٩٠-١٩١].

﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس/ ١٠١].

فكلما نظر في الكون يزيد الإيمان، وكلما يزيد الإيمان تزيد الأعمال، وتحسن الأخلاق، وكلما تزيد الأعمال، وتحسن الأخلاق يأتي رضا الله، وكلما جاء رضا الله أصلح الله أحوال العبد في الدنيا، ثم سعد هذا الإنسان عند الموت، ثم زادت سعادته في القبر، ثم

بلغت كما لها في الجنة، فالنظر والتدبر في الآيات الكونية سبيل الإيمان: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية/ ١٧ - ٢٠].

﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: ٣٠].

فاستعن بالله، وتوكل عليه وحده، والجا إليه وحده، وعذ به وحده من شر ما خلق، واستجر بكلماته من شر خلقه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَسِيفِ ﴿٥﴾﴾ [الفلق/ ١ - ٥].

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَسِيفِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْغِيثَةِ وَالنَّكَاثِ ﴿٦﴾﴾ [الناس/ ١ - ٦].

وقال النبي ﷺ: «من نزل منزلاً فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

ومن عرف الخالق الذي خلق جميع المخلوقات؛ خاف منه لكمال ذاته وأسمائه وصفاته، وعظمة جلاله، وعظمة ملكه وسلطانه: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٤٩ - ٥٠]؛ لأنهم عرفوا الله، فخافوا منه، واستجابوا لأمره.

والمؤمن يعتقد جازماً أن ما قدره الله من الخلق والأمر كائن لا محالة؛ فيؤمن بالله، ويفعل الأسباب التي أمره الله بها.

وحظ العبد من اسم الله الخالق، أن يجتهد على نفسه بالاستقامة، والمبادرة إلى الأعمال الصالحة، والمشاركة إلى الخيرات؛ فيعمل في كل يوم أعمالاً جديدة من العبادة، والذكر، وتلاوة القرآن، وأنواع الإحسان ويجتهد على غيره بالدعوة إلى الهدى، وتعليم الجاهل، والإحسان إلى الخلق: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٨).



وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

وإذا عرفت الخالق فيجب بعد هذه المعرفة أن تكبره وتعظمه لعظمة ذاته، وعظمة مخلوقاته، وأن تحبه وتحمده، لجميل إحسانه وأن تطيعه وتعبدته، لماذا؟ لأن له الخلق كله والأمر كله، والملك كله، وجميع النعم منه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وإذا عرفت الخالق فهل عرفت ماذا يريد منك الخالق؟ وماذا تريد من الخالق؟ وهل أنت عبد الخالق؟.

يجب أن تكون عبد الخالق، ويجب أن تكون عبد الرحمن، ويجب أن تكون عبد الرزاق، ويجب أن تكون عبد السميع، حتى تعرف أن الله ﷻ يسمعك، وأنت يجب أن تسمع منه، وتعمل بما سمعت: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أَهْلُ الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧ - ١٨].

فهذه الأسباب الحسنی تذكرك بربك، الذي له الأسماء الحسنی، والصفات العلی، فأنت عبد السميع، عبد البصير، عبد الكريم، عبد القوي، عبد الخالق.

إذا عرفت الخالق فهل عرفت ماذا يريد منك الخالق؟ وماذا تريد أنت من الخالق؟ إنه يريد منك أن تعلقو وتسموا بالإيمان بالله وعبادته وحده لا شريك له، لتفوز برضوانه والجنة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ﴿٢٢﴾ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].

فاجعل حياتك كلها في العمل بما يحبه ويرضاه: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

فإذا رضيته في الدنيا رضي عنك وأرضاك يوم تلقاه: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَنَطَمِنُ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٢٨﴾ [الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ

وَحُسْنُ مَثَابٍ ﴿٢٩﴾ [الرعد: ٢٨ - ٢٩].

كم ملأنا البيوت بأنواع الأواني والفرش! وملأنا الجيوب بالأموال! كيف نملاً قلوبنا بالإيمان؟، ونملاً أوقاتنا بالأعمال الصالحة: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَأَسْجَدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

حتى يمتلئ قلبي بالإيمان، ارتفع عن الرتبة الحيوانية، وعن الرتبة السبعية، وعن الرتبة الإبليسية؛ لأرتقي للدرجة الملكية، التي مزاجها سمعنا وأطعنا: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ءَ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ءَ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ءَ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فالمؤمن إذا آمن بالأعلى؛ ارتقى إلى العلو، إلى الفردوس، وإذا تشبه بالأدنى نزل في أسفل سافلين، فصار مع السفليين من الكفار والشياطين والسباع والحيوانات.

فلا بد من التعبد لله باسم الخالق جل جلاله، أنت عبد الخالق الذي هذا خلقه، فكم يظهر منك في هذه الحياة الدنيا من الأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الحسنة، والأدعية والأذكار، وأنواع الإحسان: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

أنت عبد الرزاق، انظر إلى الأرزاق واشكر الرزاق، أنت عبد الملك، فاملك نفسك واقهرها على طاعة الله، واجتناب معصية الله.

هو جل جلاله الخالق وأنت المخلوق، هو الرزاق وأنت المرزوق، هو الملك وأنت العبد، هو الغني وأنت الفقير: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ءَ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

أنت عبد الخالق، وأنت أمة الخالق، ويريدك الخالق أن تكون في الدنيا خليفة في الأرض، هياً لك السكن في الأرض قبل أن تخلق، وهياً لك الطعام والشراب قبل أن توجد،

وأكرمك بكرامات كثيرة؛ لأنه يريدك خليفة في الأرض، تعبد ربك، وتدعو الناس إلى عبادته: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

لقد أحسن الله خلقك، وأطلق جوارحك، لتعبد بها ربك. فجميع أيدي المخلوقات ليس لها أصابع تعمل بها، أما أنت فالله حرر يديك، تنفق بها، وتصنع بها، وتسبح بها، وأكرمك وجعلك تمشي قائماً على رجلين، وما سواك يمشي على أربع، أو على اثنتين من المخلوقات، وحرر يديك وأطلقها لتفعل بها ما تشاء، وتبدع ما تشاء، وأعطاك السمع؛ لتسمع به ما تؤمر به، وتسمع أحسن شيء وهو القرآن، وأعطاك العين؛ لترى بها الآيات الكونية، والآيات القرآنية.

فانظر بها في ملكوت السموات والأرض، وانظر فيها بالآيات القرآنية، وأعطاك العقل الذي تعرف به الخالق، وتعبد به بما يليق بجلاله: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل / ٧٨].

فلا إله إلا الله، ما أعظم ملكه! وما أعظم أسماؤه وصفاته! وسبحانه وتعالى عما يشركون: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فسبحان من خلق الإنسان في أحسن تقويم، وخلق الإنسان من أصغر شيء، من نطفة، وخلق الطائر الكبير من بيضة، وخلق الأجسام الكبيرة من الذرات الصغيرة، وخلق البحار من القطرات، وخلق الأشجار من حبة، وخلق النبات من بذرة: ﴿ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [٦] الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ [٧] ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ [٨] [السجدة: ٦-٨].

فيا عبد الخالق أعبد الذي خلقك من ماء مهين، واشكر من أنعم عليك بأنواع النعم والعطايا: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ [٥٨] ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ [٥٩] نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ [٦٠] عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ [٦١] وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ

الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكُّرُونَ ﴿٦٢﴾ [الواقعة: ٥٨ - ٦٢].

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَلَعًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الواقعة: ٦٨ - ٧٤].

فحيثما سرت، في أي مكان أو زمان، يمين أو شمال، أمام أو خلف، تنظر إلى أعلى، أو تنظر إلى أسفل، فثم مخلوقات الله، خلقها الله تسبح بحمده؛ وتشهد بوحدانيته فكن مثلها في الكرم، وفي الإنتاج، وفي التسييح والتقديس: ﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِيحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤].

فلا إله إلا الله ما أعظم خلقه، فاعبد من هذا خلقه، ومن هذه قدرته، ومن هذه أرزاقه، ومن هذا صنعه، ومن هذا ملكه: ﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَأَصْطِرِّ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم/ ٦٥].

هو الخالق الذي أكرمك على جميع المخلوقات: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء/ ٧٠].

فسبحان من أكرمك بالماء الذي خلقه لتشربه، والطعام الذي خلقه لتأكله، والهواء الذي خلقه لتتنفس منه، والأرض التي تسكنها، والمناظر التي تسرك، والشمس التي ترى بنورها الأشياء، والبر الذي تسير فيه، والجو الذي تطير فيه.

فلا إله إلا الله: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسَّغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾ [لقمان: ٢٠].

وسبحان من أكرمك بالعين التي تبصر بها، والأذن التي تسمع بها، واليد التي تعمل بها، والرجل التي تمشي بها، والعقل الذي تعقل به: ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ

وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ [الملك: ٢٣].

خلق الله كل شيء يعبد ربه ولا يفهم إلا نفسه، كل المخلوقات والجمادات لا تفهم إلا نفسها، وخلقك لتفهم كل شيء، لتعرف الخالق، والمخلوق، وتعرف الرازق والمرزوق، وتفهم كل شيء، لتصل إلى خالق كل شيء، فتذكره وتشكره وتعبده: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس / ١٠١].

فتفكر أيها الخليفة البشرية فإن الله قد أعطاك السمع والبصر والعقل، لتعرف الخالق من المخلوق، والصور من المصور، وتطيع الملك الحق، وتعصي نفسك وهواك وشيطانك؛ فتفكر أيها الخليفة في الأرض، في ملك الله العظيم، وفي عظمة أسائه وصفاته؛ فأنت خليفة في الأرض، وتفكر في بديع آياته ومخلوقاته، واستغفر لذنبك، وتب إلى ربك، واعبده بما يليق بجلاله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد / ١٩].

فهذا التعبد لله بأسمائه الحسنى، هو ثمرة هذه المعارف الإلهية، فالخالق سبحانه خلق جميع المخلوقات لماذا؟ ليظهر لعباده كمال قدرته، وسعة علمه، فإذا عرف الناس العظيم حقاً، والكريم حقاً، والقاهر حقاً، أحبوه حقاً، وعبدوه حقاً، وخافوا منه حقاً: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

وإذا كان الله ﷻ هو الخالق وحده لا شريك له، فهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُمْ مِّنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم / ٤٠].

ولهذا حمد الله نفسه على كمال قدرته على الخلق، وعاب على من انصرف عنه إلى غيره، وعدل به سواه، فقال سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام / ١].

فحمد الله ﷻ نفسه على أنه خلق السموات والأرض، وجعل الظلمات والنور، فهذه

المعرفة تجعل الإنسان يوحد ربه، ويكفر بما سواه، فنحمد الله ﷻ على نعمة التوحيد والإيمان، ونعوذ به من كفر الكافرين، وشرك المشركين، وضلال الضالين، فتعالى الله عما يشركون: ﴿أَيْشُرْكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١١١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأعراف/ ١٩١-١٩٢].

فالتدبر والنظر في الكون يثمر للعبد كمال التوحيد والإيمان، وكمال التعظيم والحب والحمد لله رب العالمين: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذُ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الدُّنْيَا وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء/ ١١١].

ومن نور الله بصيرته بالإيمان؛ لم ير في الكون إلا اثنان: ملك وعبيد، وخالق ومخلوق، وغني وفقراء، وقوي وضعفاء، ومصور وصور، وعزيز وأذلاء: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٤]. فمن أراد أن يعرف أن ربه هو الخالق وحده لا شريك له؛ فعليه أن يمعن النظر في آيات ربه الكونية في السماء والأرض، لتلوح له دلائل قدرة الخلاق العليم، وحكمته في صنع هذه المخلوقات، وحكمته في خلق السماء المرفوعة، والأرض المفروشة، وأصناف النبات، وأنواع الحيوان، وأقسام الجماد، وعجائب خلق الإنسان: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت: ١٩-٢٠].

فما أعظم النظر والتدبر في الملك والملكوت! وهذا النظر والتفكر من أعظم دلائل التوحيد والإيمان، وأفضل أنواع العبادة: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق/ ٦-٨].

واعلم أن الملك الحي القيوم الذي يُنزل كل لحظة أوامر الخلق والإيجاد، وأوامر التصريف والتدبير، وأوامر النفع والضرر، هو الإله الحق الذي أنزل أوامره الشرعية على عباده إكراماً لهم، وإحساناً إليهم، وتشريفاً لهم، وعنايةً بهم؛ ليكونوا في الدنيا خلفاء

الأرض بحسن عبادة الله، وتنفيذ أوامره، وليصلوا إليه بعد الموت بأحسن صورة وأحسن عمل، وأحسن خلق؛ فيجزئهم يوم القيامة بالجنة والرضوان بحسنهم وإحسانهم: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس/ ٢٦].

ويجعلهم ربهم يوم القيامة بالقرب منه، كما تقربوا إليه في الدنيا بطاعته؛ يكونوا يوم القيامة قربه في مقعد صدق: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤ - ٥٥].

فسبح بحمد ربك العظيم، الخلاق العليم، واستعن بربك القدير على ذكره وشكره وحسن عبادته، ولا تدعي القدرة بنفسك على أعمالك، ولا تجحد ما أنعم الله به عليك، ولا تنكر ما أسداه إليك من الخير، ولا ما صرفه عنك من الشر، وقل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة/ ٢ - ٧].

واعبد ربك بما ورد في شرعه، وأحسن عبادته، وإياك أن تبدع شيئاً يقطعك عنه، ويكون عليك إثمه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف/ ١١٠].

وأظهر كل سنة، وسابق إلى كل فضيلة، وسارع إلى كل مكرمة وبادر إلى كل طاعة. قال النبي ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وَزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

ورابط وفقك الله لما يحبه ويرضاه، واصبر، وصابر، واصطر لعبادة ربك العظيم؛ فعن قريب يرجعك إليه، ويجزيك بأحسن ما عملت، ويقدمك على أكرم ما قدمت ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران/ ٢٠٠].

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠١٧).

فالله عَلَيْكَ بيده خلق المخلوقات، وأنت أعطاك الله عَلَيْكَ الأعمال والأقوال والأخلاق، فتقرب إلى ربك بعد معرفته بما يحبه ويرضاه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَسَجَدُوا وَعَابَدُوا رَبَّهُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ [الحج / ٧٧].

وسارع إلى كل فضيلة: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

واقنت لربك الأعلى، واسجد له، وسبحه ليلاً طويلاً، فهو أحق من عبد، وأحق من شكر، وأرحم من ملك، وأكرم من أعطى، وأعظم من خلق: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ ﴿٦٥﴾ [مريم / ٦٥].

وكن قائماً بين يدي ربك بالعبادة في كل وقت: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِئٌ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٩﴾ [الزمر / ٩].

وكن قائماً بين يدي خلقه بالدعوة إلى الله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٠٨﴾ [يوسف / ١٠٨].

وكن قائماً بين يدي الخلق بالإحسان: ﴿وَإَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١١٥﴾ [البقرة / ١٩٥].

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة / ٨٣]. ولا تجعل ما أنعم الله به عليك من النعم حجةً عليك، يقطعك عن ربك، ويشغلك عن عبادته؛ بل استعن به على ما يحبه الله ويرضاه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿١٧٢﴾ [البقرة / ١٧٢].

تقربوا إلى ربكم باستعمال ما أنعم به عليكم في مرضاته؛ لتكونوا يوم القيامة في مقعد صدق عند مليك مقتدر؛ ولتروا الأنبياء آدم ونوحاً، وإبراهيم، وموسى وعيسى ومحمداً عليهم الصلاة والسلام، وغيرهم من الأنبياء والصديقين والصالحين يوم القيامة: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ أُولَئِكَ أَخْرَجْنَا مَعَهُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّارِ وَالصَّالِحِينَ وَالشُّهَدَاءَ﴾



وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾  
[النساء/ ٦٩ - ٧٠].

واعبد ربك الخلاق العليم الذي خلق الخلائق، وقدر المقادير، وأحسن الخلق، وأحكم الصنع، فلا رب لك سواه، ولا إله لك غيره، فأطعه وعبده، تفوز بجنته ورضوانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾  
[التوبة: ٧٢].

ومن أراد أن يعبد الله حقًا فليعرفه حقًا: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي مِثْقَالِ ذَرَّةٍ وَاللَّيْلَ نَوْمًا وَالنَّهَارَ نَوْمًا يَذُرُّ الْأَمْرَ مِمَّا يَشَاءُ بِإِذْنِهِ ذَرِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس/ ٣].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].  
﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِإِطَاقَةِ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].  
﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك، وعظيم سلطانتك؛ أنت الملك الحق القوي القدير، الخلاق العليم، الغفور الشكور، لا إله إلا أنت، ولا رب لنا سواك، فاغفر لنا وارحمنا برحمتك يا عزيز يا غفور، يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا، يا ذا الجلال والإكرام.  
 اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وكفر عنا سيئاتنا، وتوفنا مع الأبرار، يا من خلقنا في أحسن  
 تقويم، أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأحسن أقوالنا وأعمالنا وأخلاقنا، وارزقنا حبك،  
 وحب من يحبك، وحب العمل الذي يقربنا إلى حبك يا ذا الجلال والإكرام.  
 ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، يا أرحم الراحمين.  
 ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ  
 الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصفات / ١٨٠ - ١٨٢].  
 سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

البارئ

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله الباريء

الله عز وجل هو الباريء الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السموات والأرض: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

فمعرفة الله أعظم غذاء القلوب، ومعرفة الله بأسمائه وصفاته هو أعظم أبواب التوحيد، وأول أبواب التوحيد، وأوسع أبواب التوحيد، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وحده بذلك: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

فمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، والتعبد له بموجب تلك المعرفة، أعظم أعمال القلوب، فكما أن القلوب لها غذاء، فكذلك الأبدان لها غذاء، والعقول لها غذاء، فأعظم غذاء القلوب هو معرفة الله بأسمائه وصفاته: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

وهذا الغذاء يثمر للعبد تحقيق التوحيد الخالص، وتخليص القلب من كل شائبة شركية أو بدعية، ويطهر النفس من كل دنس ومعصية، ويحرك القلب والجوارح لعبادة الله بما يحبه ويرضاه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [٤]. [الأنفال: ٢-٤].

ولاشك أن مقصود جميع العبادات: أقوالاً، وأفعالاً، وأذكاراً وأدعية، وجميع الأوامر، أن يأتي في قلب المؤمن اليقين على الله وأسمائه، وصفاته وأفعاله، فيعبد الله كأنه يراه. اليقين على الله أنه موجود، وعلى أسمائه وصفاته وأفعاله، وأن له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، فإذا جاء اليقين على الله، آمنت به، وتوكلت عليه، ولم ألتفت لأحد سواه، وإذا جاء اليقين على الله وأسمائه وصفاته؛ جاء اليقين على قوله

وقول رسوله ﷺ: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

إذا عرفت أن الله هو الملك الذي له الأوامر الملكية القدرية، فله كذلك الأوامر الشرعية الإلهية، ومنه النعم التي لا تعد ولا تحصى، آمنت به، وكبرته، وأحبته، وعبدته: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥].

إذا عرفت الله؛ عرفت أن كلامه وكتابه حكيم، وأنه عظيم، وأنه لا يأمر إلا بكل خير، ولا ينهاى إلا عن كل شر.

فإذا جاء اليقين على الله ﷻ وأسمائه وصفاته، جاء اليقين على قوله وقول رسوله ﷺ، ثم جاء اليقين على وعده ووعيده، والوعد والوعيد مترتب على فعل الأوامر، واجتناب النواهي: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣] ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: ١٤].

فإذا جاء اليقين على الله، جاء اليقين على أوامره، ثم جاء اليقين على وعده ووعيده، ثم جاءت من العبد العبادة التي يريد بها الله ويحبها، بالحب الكامل لله، والتعظيم له، والذل له، والرجاء له، والخوف منه جل جلاله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خِشَعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وإذا جاء اليقين بأركانه الثلاثة هذه عظم العبد ربه؛ لأنه عرف عظمة أسمائه وصفاته، وعظمة ملكه وسلطانه، وأحبه لما يرى من الإنعام والإحسان والإكرام، وذل له؛ لأنه عرف أنه هو الصغير، وربّه هو الكبير، وأنه هو الفقير، وأن ربه هو الغني، وأنه هو العبد، وأن ربه هو الملك، وأنه هو العاجز، وأن ربه هو القادر: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

فمن عرف ربه حقاً أقبلت نفسه على الطاعات، ونفرت من المعاصي، أقبلت على الطاعات؛ لأنها تعلم أنها تطيع الملك العظيم القادر، الذي له الأسماء الحسنی، والصفات العلی، وبيده ملكوت كل شيء.

ونفرت من المعاصي؛ لأنها تعرف أن ربه عزیز، قوي، قادر، قهار، جبار، سمیع، بصیر، لا يخفی عليه شيء، ولا يمتنع عليه شيء. فسبحان ذي الجبروت، والملكوت، والكبرياء، والعظمة.

فالنفس تخاف وتنفر من معصيته؛ لما ترى من عظمتها، ولما تعلم من شدة عذابه لمن عصاه: ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَيُّ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٤٩ - ٥٠].

وتسارع إلى فعل الخيرات لأنها عرفت الله بأسمائه الحسنی، صفاته العلی، وعرفت أسماء الجمال، وعرفت أسماء الجلال، فأمنت به، وأذعنت لطاعته؛ فهي تحبه، وتعظمه، وتخاف منه، وتخاف من عقابه، وترجوا ثوابه: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥ - ١٧].

لهذا لا بد من الاهتمام بأعمال القلوب؛ حتى يدخل الإيمان في القلب، وإذا جاء الإيمان جاء كل شيء، ومن أعظم أعمال القلوب معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، لهذا نحن ندرس هذه الأسماء الحسنی؛ لتتعبد لله ﷻ بها، ونتخلق بها، ونتصف بها على شاكلة العبودية، فالله يريد لنا الكمال، وقد خلق الله الإنسان ظلومًا جهولًا، ويئوسًا وقنوطًا، وكنودًا، وضعيفًا، فالله ﷻ يريد أن يرقيه، ويحسن صنعته؛ بالإيمان والأعمال الصالحة حتى يكون في أعلى مقام؛ لأن الله يريد في الدنيا خليفة في الأرض، ويريد في يوم القيامة في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

فالله ﷻ بين في كتابه أسماء الحسنی، وبينها في كونه العظيم، جعل أسماء الله الحسنی مودعة في المخلوقات، فأنت إذا رأيت السموات العظيمة، والنجوم المنتثرة، والشمس المضيئة، والقمر الساري، والأرض الممدودة، والجبال الراسية، والعيون المتفجرة،

والأنهار الجارية، والبحار الزاخرة، والنبات المختلفة، والأشجار المثمرة إذا رأيت هذه الأمور؛ عرفت أن لهذا الخلق خالق، ولهذا الملك مالك، ولهذا الأرزاق رازق؛ وهو الله ﷻ: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

فحينئذ ستحبه، وتتعلق به، وتستفيد من خزائنه؛ لأن الإنسان فطرة يلجأ للقوي؛ ليستفيد من قوته، ويلجأ للغني؛ ليستفيد من غناه، ولا أقوى من الله، ولا أغنى من الله، ولا أكبر من الله، ولا أعظم من الله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠٢] ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [١٠٣] [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ امتلأ قلبه بالإيمان، وتحرك جوارحه بالأعمال الصالحة، فكما أنه إذا جاء الماء دبت الحياة في كل شيء، فكذلك إذا جاء الإيمان جاءت الأعمال الصالحة من كل شيء.

فنحن نريد أن نجتهد وننظر في الآيات الكونية، والآيات الشرعية؛ حتى يأتي الإيمان في قلوبنا، فإذا جاء الإيمان جاء مع الإيمان كل شيء، من الأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق العالية، وعشنا بفكر الأنبياء، وجهد الأنبياء، وأقوال الأنبياء، وأعمال الأنبياء، وأخلاق الأنبياء: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [١١] [الأحزاب: ٢١].

الله ﷻ من علينا ببعثة النبي ﷺ، وبين لنا طريقة حياته، فحياة النبي ﷺ محفوظة. أحسن حياة حياة النبي ﷺ، أحسن حياة، وأيسر حياة، وأفضل حياة، وأجمل حياة، وأطهر حياة هي حياة الأنبياء، وأفضل حياة الأنبياء حياة النبي ﷺ، فقد فرق الله ﷻ الأخلاق العالية في جميع الأنبياء، ثم جمعها في سيد الأنبياء، ثم فرقها في أمة سيد الأنبياء: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أُمَّتُهُ﴾ [الأنعام: ٩٠].

فكما يجتهد أهل الدنيا على الحديد، ويُخرجون منه أنواع الصناعات، ويجتهدون على الذهب والفضة، ليخرجوا منها أنواع النقود والحلي، كذلك نحن نجتهد على الإنسان ليكون مؤمناً تقياً صالحاً.

قال النبي ﷺ: «النَّاسُ مَعَادِنٌ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فُقُّهُوا» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

فنجتهد على هذه المعادن، ونبحث عنها، ونستخرجها؛ حتى نرييها، فينفع الله ﷻ بها أنفسها والعالم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

هذه الطاقات مدفونة في البشر، لكن أين هم؟ ومن هم؟ لا بد من الجهد على الناس، كما أنه لا بد من الجهد على التراب حتى نستخرج منه الحديد، ونستخرج منه المنافع، ونستخرج منه الذهب، ونستخرج منه البترول.

فالجهد على البشر أعظم من الجهد على الكائنات الأخرى، الكائنات الأخرى فيها منافع، لكن لا بد من جهد عليها حتى نستفيد منها كالحديد وغيره.

كذلك البشر لا بد من الجهد عليهم بالدعوة، حتى نستخرج من هؤلاء من أراد الله هدايته، ثم يخرج أبو بكر الصديق، عمر بن الخطاب، عثمان، علي، خالد بن الوليد، زيد بن ثابت، معاذ بن جبل، ابن عباس، ابن عمر، أبو حنيفة، الشافعي، مالك، أحمد وغيرهم من أئمة السلف.

فلا بد من الجهد على البشر، حتى نرقيهم في العلم؛ ليكونوا في الصف الأول الذي يحبه الله ﷻ: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

والباعث لهذا الجهد العظيم هو معرفة الله، ومحبة أن يُطاع في الكون كله، ولا يُعصى أبدًا، وأن يعظم وحده، ويكبر وحده، وأن يحب وحده، وأن يطاع ويطاع رسوله ﷻ. حب المؤمن لهذا الشيء يحركه للعمل لينقل النور إلى الأماكن المظلمة، ويحمل الإنسان بالإسلام، ويحرك جوارحه بطاعة الله ﷻ.

هذا فكر الأنبياء، فكر الأنبياء أن يدلوا المخلوق على الخالق، ويدلوا العبيد على الملك، فيعرفونهم بأسمائهم وصفاتهم حتى يؤمنوا به ويعبدوه وحده: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٣٨).



فمن أسماء الله ﷻ الخالق، البارئ، المصور: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر / ٢٤].

فالله ﷻ هو الخالق البارئ المصور، كيف نعرف الله ﷻ بهذا الاسم العظيم؟ وأنه هو البارئ الذي برأ هذه المخلوقات؟ ففي قلب الإنسان أماكن واسعة لمعرفة الرب ﷻ بأسمائه وصفاته، ونتيجة لهذه المعرفة تتحرك الجوارح بالطاعة والألسنة بالذكر والدعاء: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثُونَكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

هو سبحانه الخالق البارئ وحده لا شريك له، خلق جميع المخلوقات، وبرأ جميع الجمادات والنباتات والحيوانات، والنسبات، والهيئات، والحركات، وأظهرها كما قدرها وعلمها: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [٢٢] لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الزمر: ٦٢ - ٦٣]. فكل شيء مكتوب، من المخلوقات، وأعمال المخلوقات، الله خلق الشمس وخلق حركاتها إلى أن تقوم الساعة، وخلق الأرض، وعلم ما سيكون منها، وما سيخرج من جوفها، وخلق كذلك آدم وعلم ما سيخرج من صلبه، وهكذا الله ﷻ هو الذي خلق المخلوقات، وبرأها، وأوجدها من عدم، وأوجدها لحكمة.

وهو سبحانه الخالق البارئ، الذي برأ الخلق، وأوجدهم على غير مثال سابق: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

هو الذي أحسن كل شيء خلقه، فظهر في أجمل صورة، وأحسن شكل: ﴿ذَٰلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [٦] الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة/ ٦ - ٧].

فسبحان الخلاق العليم الذي خلق جميع المخلوقات بخلق متقن: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨].

فهو البارئ الذي برأها من العدم إلى الوجود، على أحسن صورة، وأتقن صنع. مصنوعات البشر، في كل يوم نضيف إليها، السيارة مرت بمراحل، الطائرة مرت بمراحل، الأجهزة الكهربائية مرت بمراحل، لكن الله ﷻ يخلق الإنسان والمخلوقات

على التمام والكمال، في أحسن صورة، شكلاً ووظيفة؛ لأنه الخلاق الذي خلق من عدم، والذي خلق على غير مثال سابق، والذي خلق كل شيء لحكمة، فالشمس للإنارة، والأرض للإنبات، والأذن للسمع، واللسان للكلام؛ وهكذا.

فالله سبحانه الخالق البارئ الذي خلق الخلق في العالم العلوي والعالم السفلي بريئاً من التفاوت والتناقض، سليماً من التباين والخلل؛ فظهر كما أراد خلقاً حسناً سوياً، ليس فيه اختلاف ولا تناقض، ولا نقص ولا عيب، بريئاً من كل خلل: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ ۝٢ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾ [الملك / ١ - ٤].

الله ﷻ يأمرنا أن ننظر في صنعه وخلقته، سواءً في المخلوقات العظيمة كالسموات والأرض، أو فيما دونها من الحشرات والذرات الصغيرة: ﴿قُلِ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠١﴾ [يونس: ١٠١].

• الله ﷻ جعل لكل ذرة في ملكه ثلاثة أوامر:

أمرٌ بالإيجاد .. وأمرٌ بالبقاء .. وأمرٌ بالنفع والضر، والتحريك والتسكين: ﴿إِن رَّبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى الْيَلِيلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤].

هو جل جلاله عظيم، وملكه عظيم، ودينه عظيم، وأوامره عظيمة، وثوابه عظيم، وعقابه عظيم، فهو سبحانه الذي خلق جميع المخلوقات بريئة من التفاوت، والتناقض، سليمةً من التباين والخلل، وإنما تفسد الأشياء بسبب تصرفات الناس، وبسبب اعتداء الناس: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٤١﴾ [الروم / ٤١].

فإذا صار هناك خلل في الاستقامة، ونقص في الدين، يظهر الفساد في البر والبحر؛ لأن شؤم المعصية يعم النباتات والحيوانات وسائر المخلوقات: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١٤﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ

وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ [هود: ١١٢ - ١١٣].

فكل الكون مطيع لربه إلا الإنسان، أحياناً يطيع، وأحياناً يعصي، فإذا أطاع انسجم مع المخلوقات الأخرى، وسبح بحمد ربه مع الذين يسبحون لربهم: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿١﴾ [الجمعة / ١].

كل الخلائق تسبح بحمده، والإنسان إذا أطاع الله وسبح بحمده، شارك غيره من المخلوقات في التسبيح: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾﴾ [الأعلى / ١ - ٣].

فسبح مع المسبحين الذين يسبحونه وينزهونه عن النقائص والعيوب، والشبيه والمثيل: ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ عَلَوًا كَبِيرًا﴾ ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتِ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤٤﴾ [الإسراء / ٤٣ - ٤٤].

فسبحان الخالق البارئ المصور، الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لا يكون أبداً، الخالق البارئ الذي قدر كل شيء قبل وقوعه من الخير والشر، والعافية والبلاء، والنعم والمصائب، والخوف والأمن: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِن ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿٢٢﴾ [الحديد / ٢٢].

من قبل أن نوجدها بعد العدم، أو نوجدها من العدم، فالله ﷻ كتب كل شيء. قال النبي ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ. فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: رَبِّ وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» أخرجه الترمذي وأبو داود<sup>(١)</sup>.

الله ﷻ هو خالق الكون العظيم، وخالق كل شيء فيه، من الحركات والسكنات، والمخلوقات الكبرى في العالم العلوي والعالم السفلي، والمخلوقات الصغرى.

كل شيء خلقه الله خلقه بقدر؛ بقدر في جنسه، ونوعه، وشكله، وحجمه، وبقدر في كميته، ونوعيته، ووظيفته، فكل شيء خلقه لحكمة؛ لأنه حكيم في أحكامه القدرية، وحكيم في أوامره الشرعية: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمِجٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ [القمر: ٤٩ - ٥٠].

وكل شيء مكتوب في ديوان اللوح المحفوظ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ ﴿٥٥﴾ وَكُلُّ

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٣٣١٩)، وأبو داود برقم (٤٧٠٠) وهذا لفظه.

صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾ [القمر: ٥٢ - ٥٣].

وهو سبحانه عالم الغيب والشهادة، العالم بالظواهر والبواطن، الشافي من كل داء، المبرئ من كل سوء، هو جل جلاله عالم الغيب والشهادة؛ يعلم ما في العالم العلوي والعالم السفلي، ويعلم ما في الدنيا وما في الآخرة، ويعلم ما هو غائب عنا وما هو مشهود لنا، هو العالم بالظواهر والبواطن، فكل شيء مكشوفٌ لله ﷻ، ظاهر الإنسان وباطنه: ﴿وَاسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٣ - ١٤].

هو الشافي من كل داء؛ لأنه واحد لا شريك له في أسمائه وصفاته، هو الملك، وهو القادر، وهو الغني، وهو الكريم، وهو العفو، وهو الرحمن، وهو اللطيف، لا شافي إلا هو جل جلاله، ولكن نحن مأمورون بفعل الأسباب؛ لأننا في دار الأسباب، وفعلنا للأسباب امتثالاً لأمره لا اعتماداً على الأسباب، فنفعل الأسباب كأنه لا يعمل إلا هي، ونتوكل على الله كأن الأسباب لم توجد، وليست بشيء: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٢٣].

فمن تعظيم الله فعل الأسباب التي أمر بها شرعاً، فعظم الله بامثال أمره، ونفعل الأسباب التي جعلها الله أسباباً لإقامة الدنيا، وأسباباً لدخول الجنة.

فربنا عظيم وهو مالك الملك، وييده كل شيء، ولا شريك له في أسمائه وصفاته وأفعاله، كما قال إبراهيم ﷺ: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ الْآقِدْمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء: ٧٥ - ٨٢].

وهو سبحانه الخالق البارئ المصور، الذي جعل الذوات محمولة في الأجسام، إذا أخرج الإنسان النطفة، هذه الذوات محمولة في الأجسام، مخزونة في الأصلاب، خلقها الله جميعاً في صلب آدم ﷺ، جميع ذرات البشرية، كلهم في صلب آدم، فأخرجهم الله ﷻ من صلب آدم، وخلقهم وبرأهم جل جلاله، ثم أشهدهم على أنفسهم كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ

رَبِّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَنفَهُكُنَّا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٣].

قالوا ذلك قبل أن ينزلوا إلى الأرض، وقبل أن يروا الأشياء والأسباب. فكل واحد منا الآن قد شهد هذه الشهادة بذرة منه، فهذه الذرات تنتقل من صلب إلى صلب.

فسبحان الله ما أعظم خلقه وتدييره في ملكه العظيم، وما أعظم خلق هذا الإنسان: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٤].

فكل ذرة منا هي كانت حية لما أخذ الله ﷻ الشهادة على بني آدم، أخرجنا من صلب آدم ذرات، وشهدنا بشهادة التوحيد، فأقرنا الله بأنه هو الرب الواحد الأحد، ولا يؤدي الشهادة إلا حي يعلم ما يقول.

فلا نقول مثلاً: الشمس تضيء، والأرض تُنبِت، أو اللسان هو الذي تكلم، لا؛ الله هو الواحد الأحد، الذي خلق كل شيء، وهو الذي له الخلق والأمر، فقبل أن نرى فعل المخلوقات شهدنا بشهادة التوحيد: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢].

فلما أنزل الله آدم وزوجه إلى الأرض، هناك بدأوا يرون الأسباب تفعل، وأبتلوا بالشهوات الحيوانية، مع الأوامر الملكية الشرعية، وبدأنا نقول الدواء يشفي، والماء يروي، والطعام يُشبع، والشمس تنور، والأرض تُنبِت، وهذا نوع من الشرك.

والإيمان أن تحترق المخلوقات إلى الخالق، فترى الخالق يفعل في مخلوقاته ما يشاء، وترى الصور وتحترقها إلى المصور، وأنه هو الذي صورها بشكل يميز بعضها عن بعض: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

فهذا هو الإيمان أن ترى ربك بأسمائه وصفاته يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فهو سبحانه الذي خلق المخلوقات كلها، الذي جعل الذوات محمولةً في الأجسام، فنحن من قبل في أصلاب آبائنا، وآباؤنا في أصلاب آبائهم، وهكذا إلى عهد آدم، هذه الذرات والذوات التي شهدت بالوحدانية لله، وأقرت بالربوبية، قد شهدت ذلك المشهد العظيم، فهي حية في ذلك الوقت، وهي حية إلى يومنا هذا، ثم بعد ذلك إذا خرجت ورُكبت في الجسم تموت، وإذا ماتت سوف تبعث: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٦].

فجميع البشرية شهدوا هذه الشهادة لله بالوحدانية؛ ولذلك الله ﷻ يقول: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية/ ٢١].

ذكر الناس بالعهد الأول، الذي أقروا لله فيه حينذاك بالربوبية، فما بالهم لما نزلوا إلى الأرض، ورأوا الأشياء تفعل نسبوا الفعل لها من دون الله؟ بل جميع المخاليق عبيد لله، السحب من عبيد الله يأمرها الله فتمطر، والشمس من عبيد الله يأمرها فتنور، والأرض من عبيد الله يأمرها فتنبت، واللسان من عبيد الله يأمره فيتكلم.

وهكذا كل الخلق مخاليق عبيد لله؛ فليس بأيديهم شيء، الخلق والأمر كله للواحد الخالق البارئ وحده لا شريك له، فخلقنا جميعاً في صلب آدم ﷺ، وسوى هذه الذوات بقدرته وخلقها حينذاك مبرأة من العناء والشرك في العهد الأول، وبرأها على الإسلام: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

فسبحان من فطرها على الإقرار له بالوحدانية قبل خروجها من عالم الغيب، فهي قانتة لبارئها مسلمة لخالقها: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢].

الذرية كلها بقدر طرف الإبهام، كل البشرية لو وضعوا فيه لوسعهم، من عظمة خلق الله ﷻ في خلق الصغير، وهذا الصغير يكون كبير، كما أن النواة التي تخلق منها النخلة، أو شجرة التفاح أو الليمون، هذه حبة صغيرة، ننظر كيف علو هذه الشجرة وعظمتها! والنخلة كذلك.

هذه الذوات الله ﷻ ينقلها من صلب إلى صلب ومن رحم إلى رحم، حتى تأتي هذه

القرون المتوالية، حتى إذا تم أمر الله، وبلغ أهل الجنة عددهم، وأهل النار عددهم، وبلغ الكتاب أجله أقام الله القيامة: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

فهذا النظر والتدبر، يجعل الإنسان يقبل على عبادة ربه بالمحبة والتعظيم والذل له، فأنت قد شهدت هذه الشهادة، ونحن جميعاً قد حضرنا هذه الشهادة: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢].

لستم غافلين؛ قد شهدتم هذه الشهادة أمام ربكم: ﴿أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف / ١٧٣].  
ما دمتم أقررتم بأن الرب الذي يرببكم هو الله ﷻ فيجب أن تطيعوه وتعبدوه وحده لا شريك له.

فكما أن الإنسان يتنعم بعباء الربوبية خلقاً وقوتاً؛ يجب عليه كذلك أن يخضع لأوامر الألوهية بالتكليف بالأمر والنهي، خاصة أن هذا الأمر والنهي، وهذا التكليف من الملك العظيم، لمصلحة المخلوق الصغير، هو لمصلحتنا نحن والله غني عنه، لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قَلَّ لَّا تَمْتُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُمُ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات / ١٧].  
والغني لا يحتاج إلى الفقير: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

الله خلقنا في أحسن تقويم، وجعلنا خلفاء الأرض، وأمدنا بالأقوات، وهدانا سبل رضاه جل جلاله، وأعاننا على ذلك، وحببه إلينا، فكم نعم الله ﷻ علينا لا تُعد ولا تُحصى، فيجب أن نعبد هذا المنعم الغني، ونحن الذين نربح عليه: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦].

فهذه هي التجارة الرباحة مع الملك الذي يضاعف الحسنه إلى عشر أمثالها، إلى سبعائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة: ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧].

فسبحان الخالق البارئ المصور، الذي قدر المخلوقات والأشياء على مقتضى حكمته؛ فخلق الأرض للسكن، والإنبات، وخلق الشمس للإنارة، وخلق الجن والإنس لعبادته، وخلق كل شيء يسبح بحمده، ويشهد بوحديته، هو ملك عظيم يخلق ما يشاء، فعلاً لما يريد، الملك ملكه، والخلق خلقه، والأمر أمره، وأنا عبده، وليس عند العبد إلا امثال أوامر سيده: ﴿وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ٥﴾ [البينة: ٥].

هو جل جلاله الخالق الذي قدر المخلوقات والأشياء على مقتضى حكمته، الخالق البارئ الموجد لها بعد العدم، المصور لها كيف شاء، الذي إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون، على الصورة التي يريد، وعلى الشكل الذي يريد، في الوقت الذي يريد، ويظهره في الوقت الذي يريد، بالحجم الذي يريد: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ٦٨﴾ [القصص / ٦٨].

فالله ﷻ أمرنا أن نكون في هذا المقام العالي، أن نؤمن بالله ﷻ، ونؤمن أن بيده ملكوت كل شيء، ونسعد في الدنيا والآخرة؛ لأننا نلجأ ونتوجه ونتوكل على رب عظيم: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ١٣٦﴾ [آل عمران: ١٣٩].

الله يريدنا أن نكون خير لبرية، لا شر لبرية، فالله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ٦﴾ [البينة: ٦]. لماذا؟؛ لأنهم كفروا بالله، الذي ظهوره أعظم ظهور، فالله ﷻ هو الحق، وكل ما سواه باطل، فالذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين كفروا بما فطروا عليه، كل مخلوق مفسطور على التوحيد: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٣٠﴾ [الروم: ٣٠].

أما المؤمنون فبقوا على الفطرة لأنهم خير البرية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ٧﴾ [البينة: ٧].

ثم نسقي هذه الفطرة، ليزيد الإيذان بالنظر في الآيات الكونية، والنظر في الآيات القرآنية، فيزيد الإيمان، فهذه الفطرة فطر الله ﷻ الناس عليها.

ثم من الله علينا بإنزال الكتب، وإرسال الرسل، وإعطاء السمع والبصر والعقل، حتى



نظر وتدبر في الملك والملكوت، فذاك إيمان فطري، وهذا إيمان كسبي نجتهد عليه:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فالكفار كفروا بالله جحدوا الرب بالكلية، قالوا: لا خالق، والمشركون تنقصوه وقالوا: إن الله له شريك في الأسماء والصفات، والمُلْك، والتدبير، والعبادة، فالشرك تنقص لرب العالمين، الله ﷻ لا يحتاج إلى أحد، ولا يشرك في حكمه أحدا، ولكن المشركين جعلوا معه شريكا، وهذا من التنقص لله ﷻ، فهؤلاء في الدنيا في العذاب والشقاء، ويوم القيامة في نار جهنم؛ لماذا؟ لأنهم شر البرية، كل الخلائق تسبح بحمد ربها، كل الخلائق أطاعت ربها إلا من ضل من بني آدم: ﴿تَسْبُحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤٤﴾ [الإسراء: ٤٤].

فكل يسبح ربه إلا هذا الإنسان، الذي أعرض عن ربه وكفر به، أو أشرك معه غيره من صنم وحجر.

والمشركون في مكة كان في قلوبهم أن الله ﷻ هو خالق كل شيء، وبيده كل شيء:

﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ [لقمان: ٢٥].

ولكنهم في قلوبهم خوف، فعبدوا الأصنام، لتشفع لهم عند الله: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٢-٣].

والشيطان سول وزين للناس أن يعبدوا الأصنام؛ لأن الأصنام لا تعلم بمن يعبدها، وليس عندها تكليف ولا أمر ولا نهي، ولا ثواب ولا عقاب، لو ما عبدوها ما عملت شيئا، ولو عبدوها ما علمت شيئا، ولأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل، لكن الشيطان زين لهم عبادة الأصنام؛ لأن الأصنام ليس عندها تكاليف، بل هي مخلوقة، والإنسان إما أن يعبد الله أو يعبد عبد الله، من شجر أو حجر أو صنم، لأنه مطبوع على الافتقار:

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ﴿١٥﴾ [فاطر: ١٥].

فكل ما سوى الله عبد له، فإما أن تعبد الله الذي عرفته بأسمائه وصفاته، أو تعبد عبد الله، وعبد الله لا يدري عن عبادتك، كالأصنام والأحجار والأموات، فالشيطان يريد من

الناس أن يعبدوا غير الله؛ لأن غير الله ليس عنده منهج يسير الناس عليه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [٥٠] [القصص / ٥٠].

وفي الحقيقة أن الكفار يعبدون الشيطان بواسطة الأصنام: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَنُوا اللَّهُ يَلْعَنُهُمْ وَالَّذِينَ لَا تَحْبِبُّوا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ أَلَمْ يَكْفُرُوا لِمَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَنُوا اللَّهُ يَلْعَنُهُمْ﴾ [٦١] [يس: ٦٠-٦٢].

فلهوى مشروع الشيطان، والهدى شريعة الرحمن جل وعلا؛ فمن لم يكن في طريق الهدى، فقد هوى إلى الباطل، وهوى به الباطل إلى الشرك، وإلى نار جهنم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [٦] [البينة: ٦].

فهم على الفطرة، لكن كفروا، زين لهم الشيطان عبادة الأصنام، قال الله ﷻ: «خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلُّهُمْ، فَجَاءَهُمُ الشَّيَاطِينُ فَأَجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

• فالدين ركنان:

الأول: عبادة الحق بما جاء عن الرسول ﷺ.

الثاني: الإحسان إلى الخلق بما جاء عن رسوله ﷺ: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُحْتَالًا فَخُورًا﴾ [٣٦] [النساء: ٣٦].

هؤلاء الذين آمنوا، وأتبعوا الإيمان بالعمل الصالح، هم خير البرية، التي برأها الله، والله ﷻ يريد أن نكون من خير البرية، ولهذا أنزل القرآن، وأرسل الرسل، وبين الشرائع والأحكام، وبين أنه غفور رحيم، وبين أنه لطيفٌ بعباده، وهياً لهم أسباب المعاش، ليتفرغوا لعبادة ربهم، فعالم الجهاد في خدمتهم، وعالم النبات في خدمتهم، وعالم الحيوان في خدمتهم، والله سخر لهم ما في السموات وما في الأرض؛ ليعرفوا أن الذي خلقهم رحيمٌ، لطيفٌ، كريمٌ، ودودٌ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١١] [الذي جعل لكم الأرض فرشا والسماء بناءً وأنزل من السماء ماءً فأخرج

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٦٥).

بِهِ مِنَ الشَّرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].

فسخر لهم الهواء يتنفسون منه، والماء يشربون منه، والطعام يأكلون منه، والأرض يسكنون فيها.

وهكذا الإنسان بالنظر والتدبر يمتلئ قلبه إيماناً، وإذا امتلأ القلب إيماناً حرك الجوارح بجميع أنواع الطاعات الواجبات والمستحبات، وأداء الحقوق، ونفع الناس، ونفع النفس بالعبادة، ونفع الغير بالدعوة والتعليم والإحسان إلى الخلق: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٧ - ٨].

هؤلاء خير البرية، هم كانوا على الصراط المستقيم في الدنيا؛ فهم يوم القيامة أسرع الناس سيرةً على الصراط المستقيم، بحسب الإيمان تكون سرعة المسير يوم القيامة على الصراط، وبحسب السير على نور القرآن، يكون النور هناك يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الحديد: ١٢].

فمن كان في النور في الدنيا كان في النور يوم القيامة، ومن عاش في الدنيا في ظلمة الجهل، ظلمة الشرك، ظلمة المعاصي، ظلمة البدع، من عاش في الدنيا في الظلام عاش يوم القيامة في الظلمات: ﴿صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنعام/ ٣٩].

ولكن لا بد لذلك من سبب، فالله يهدي من أقبل عليه، وينسى من نسيه، ويزيغ من زاغ عن دينه: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الصف: ٥].  
﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ [الإسراء: ٧٢].  
فإنَّ لَطِيفَ بَعْبَادِهِ، رَعُوفَ بَعْبَادِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة/ ١٤٣].

ولكن الإنسان قد يُعرض عن ربه ولا يقبل عليه، فالله ﷻ يتركه وما تولى، ويوم القيامة سوف يحاسبه: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِمْ إِيثَامٌ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٣٦﴾﴾ [الغاشية/ ٢٥ - ٢٦].  
والهداية أحب إلى الله من الضلالة، ولكن كان من حكمته جل جلاله أن يخلق خلقاً

مسخرين على الطاعة والتسبيح، كالملائكة، وخلق مخيرون بين الإيمان والكفر، جميع الخلائق خيرت أن تتحمل الأمانة، فاختارت أن تكون مسخرة، إلا الإنسان لما عرضت عليه الأمانة، بأن يجعل له اختيار في أن يطيع أو يعصي، يؤمن أو يكفر، يكون من أهل الإسلام أو من أهل الكفر، لما أعطي هذه الأمانة تحملها: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢ - ٧٣].

لماذا هذه الأمانة؟ لأن الله أراد أن يجعل من خلقه من يأتي إليه اختياريًا، وهو قادر ألا يأتي إليه، وهو الإنسان: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان: ٣]. جميع الخلائق جاءت إلى الله، مطيعة لله، مسبحة بحمده، إلا الإنس والجن، فالله ﷻ خلقهم مخيرين، فمن جاء إليه اختياريًا، أحب إليه ممن يأتي إليه إجبارًا وقسرًا، فجميع الملائكة مطيعون لله، لا يعرفون المعاصي أبدًا؛ لأن الأوامر تأتيهم من جهة واحدة، ليس عندهم شهوات تشغلهم عن عبادة ربهم: ﴿يَسْحَبُونَ أُلَيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ٢٠].

أما نحن فنحن لما خلقنا الله ﷻ وتحمّلنا الأمانة، فالله ﷻ جعل ابتلاء في مقابل الأوامر الملكية الشرعية؛ الشهوات الحيوانية، فالنفس لها محبوبات، والروح لها محبوبات، وجعل بجنب العقل الوحي، فمن قدم الوحي على العقل فاز، ومن قدم العقل على الوحي خسر، وركب هذا الإنسان من نفس وروح، هذه لها غذاء، وهذه لها غذاء، وبعث الله الأنبياء والرسل؛ ليقووا الروح على عبادة الله، والتذكير بالله ﷻ؛ لتقود هذا الجسد إلى أنواع الطاعات والخيرات والأعمال التي يحبها الله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٧ - ١٠].

فإذا ترك الإنسان بلا مذكر صار ضحية للشيطان، وللنفس، والنفس أمارة بالسوء، النفس تريد تكميل محبوباتها في الدنيا، تكميل المطعومات والمشروبات، والملبوسات، والمركوبات والمنكوحات، هذه شهوات النفس، النفس الحيوانية مقابلة للروح الملكية، فالخالق الباري خلق الإنسان له ظاهر وباطن، وجعل فيه ملكات، جعل فيه ملكة

العقل، ملكة الفكر، ملكة الذكاء، ملكة الحفظ.

وخلق القلب وجعل فيه الحب والبغض، والأمن والخوف، والإيمان والكفر، جعل القلب قابلاً لهذا وهذا: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

وكذلك خلق الله طاقات في بدن الإنسان، طاقة بدنية، وطاقة حسية، وطاقة ذوقية، وطاقة سمعية، وطاقة بصرية، جعل فيه طاقات مختلفة؛ فهذا الإنسان خلقه ظاهراً وباطناً فيه عجب: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات / ٢١].

فالله يريد أن نكون من خير البرية باتباع ما جاء عن الله ورسوله، هؤلاء خير البرية الذين يريدهم الله ﷻ؛ هم الذين جاءوا إلى الله اختياراً، وهم قادرون أن لا يأتوا، قادرون أن يعصوا.

هؤلاء الذين جاءوا إليه اختياراً، وهم قادرون أن لا يأتوا إليه، ولا يؤمنوا به: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَن خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٨].

هؤلاء مقابل ما تحملوا في الدنيا من المشاق، والصبر على طاعة الله، والصبر عن معاصي الله، والصبر على أقدار الله، والصبر على الجهاد في سبيل الله، والصبر على الدعوة، هؤلاء الذين اجتهدوا وعملوا في الدنيا بهذه الأبدان لله: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البينة / ٨].

هذه الجنة: ﴿أَكُلُوهَا دَائِمًا وَظِلُّهَا﴾ [الرعد / ٣٥].

هذه الجنة هي دار السلام، ليس فيها أي مرض، وأي خوف، وأي جوع، وأي عطش: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٧].

خالدين فيها بصفات الكمال، يناديهم مناد بقوله: «أما أن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وتشبوا فلا تهرموا أبداً، وتنعموا فلا تباؤوا أبداً، وتحياوا فلا تموتوا أبداً» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

لماذا هذه الأبدية؟ لأنهم في دنياهم في نيتهم أن يطيعوا الله أبداً، ولو أعطوا عمر نوح أو أكثر، فإله أعطاهم مقابل هذه النية العظيمة خلوداً في الجنة.

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٣٧).

والعاصي والكافر في نيته أن يعصي الله أبداً ما بقي ولو أعطي عمر نوح أو أكثر، فالله خلده في النار بحسب نيته: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣ - ١٤].

ورضى الله عنهم؛ لأنهم أرضوه بالتوحيد والإيمان، والأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق العالية، واتبعوا كتابه، واتبعوا نبيه، ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

فهنيئاً للسابق واللاحق من المؤمنين: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

الله ذكرهم بصفاتهم: السابقون الأولون من المهاجرين الذين تركوا كل شيء من أجل الدين، والأنصار الذين بذلوا كل شيء من أجل الدين، والذين اتبعوهم بإحسان، فجاء الأمر الثالث، وهو رضوان الله عليهم، ورضاهم عنه.

جنة المعرفة التي فيها الأُنس والسكينة والطمأنينة في الدنيا، وجنة الآخرة التي سوف يقدم عليها المؤمن بعد الموت: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦].

فأسعد الناس هو الذي آمن بالله وأتقاه، وكل القلوب متوحشة، وكل النفوس متباعدة متباغضة متحاسدة إلا المؤمن فقلبه مطمئن بذكر الله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَثَابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٨ - ٢٩].

هذه النفس المطمئنة يقال لها يوم القيامة: يا أيها النفس المطمئنة بالإيمان بالله والأعمال الصالحة، ارجعي إلى ربك راضية عن الله؛ مرضية تجدين هناك كل ما تريدن: ﴿يَأْتِيَنَّهَا أَلْفُؤْسٌ مَطْمَئِنَّةٌ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخِلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخِلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾

[الفجر: ٢٧ - ٣٠].

وهناك تجد ما وعدك الله به من أنواع النعيم واللذات والمسرات في جنات النعيم، والله راض عنك.

والمسلم سيرجع إلى ربه بالتوحيد، والإيمان، والأعمال الصالحة، كل هذه الأعمال ترافق المسلم يوم القيامة، ليزداد سروره، فنسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه.

ودروسنا هذه وأمثالها مما فيه تذكير بالله وأسمائه وصفاته، ومعرفة جلاله وجماله، من أعظم أنواع العبادة؛ لأن الإنسان لو عبد الله مائة سنة وما في قلبه تعظيم الله، ولا عنده معرفة بمن يعبد، فهذا الله ﷻ يقول عنه: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الماعون/ ٤ - ٥].

أما المؤمن الذي في قلبه تعظيم الله، قبل أن يتعبد له، فهذا يدخل في العبادة بالحب لله، والتعظيم لله، والذل له: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

توجل قلوبهم هيبةً لله، وخوفاً منه، وحباً له، وإجلالاً له؛ لأنهم عرفوا ربهم بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فآمنوا به وسجدوا لعظمته. والله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى والأفعال الحميدة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ٨].

واسم الله الباري ورد في القرآن مرةً واحدةً في قوله سبحانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٤].

وورد مرتين مقيد ومضافاً، كما قال سبحانه في سورة البقرة: ﴿فَتَوْبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَنَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ النَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾ [البقرة/ ٥٤].  
واسم الله الخالق والبارئ والمصور، كل واحد منها يُطلق على الآخر، ولكن إذا أُفرد

الواحد منهما عن الآخر، فلكل واحد معناه، فالبارئ هو الخالق الذي أوجد المخلوقات كلها من العدم، وأبدعها على غير مثال سابق.

هو سبحانه البارئ السالم المنزه المبرأ من كل عيب ونقص، المنزه عن الشبيه والمثيل وعن صفات المخلوقين: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١-٤].

هو سبحانه البارئ الذي برأ الخليقة كلها وأوجدها من العدم، وخلق الخلق بريئاً من العيب والنقص والتفاوت، ويميز بعضه عن بعض بالأشكال والألوان والأحجام، فالله أكبر كم أنواع المخلوقات، وكم صفاتها! وكم ألوانها! وكم أحجامها! ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلِقُ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

هو البارئ الذي خلق المخلوقات صالحةً للغاية التي يريد لها منها جل جلاله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ۝٥٠﴾ [القمر: ٤٩-٥٠].

كل شيء له قدر في كميته، وكيفيته، ونوعيته، وحياته، وموته، فالله ﷻ خلق جميع المخلوقات وبرأها لوظيفة تؤديها في هذا الكون، فالله ﷻ هو الخالق الذي خلق كل شيء، وقدره في علمه، البارئ الذي أوجده من العدم؛ فالله ﷻ قدره في علمه، وبرأه وأظهره للوجود، بالصورة التي يريد.

المحسن الذي أحسن الخلق والتقدير، وأتقن الخلق والتنفيذ، وقدر كل شيء لوظيفة يؤديها، فخلقه كله حسن: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٦ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ۝٧﴾ [السجدة/٦-٧].

فهو المحسن الذي أحسن الخلق والتقدير، وأحسن الهيئة والصورة، وأحسن إلى خلقه بصنوف النعم: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ۝٥٣﴾ [النحل/٥٣].

وأتاكم من كل ما سألتموه: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا لَظَالِمُونَ كَفَّارٌ ۝٣٤﴾ [إبراهيم/٣٤].

والبارئ اسمه سبحانه، والصفة المشتقة منه الإبراء صفة فعل: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي



الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ [الحديد/ ٢٢].

وصفات الفعل تتعلق بالمشيئة، إن شاء الله فعلها، وإن شاء لم يفعلها، كالخلق والزرع والتصوير والبرء، فهو يخلق إذا شاء، ما شاء، بأي حجم شاء، في أي وقت شاء، في أي مكان شاء: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر: ٨٦].

• والبرء له معنيان:

الأول: الخلق والإيجاد من العدم، فالله وحده هو الذي خلق الخلق، وبرأهم من العدم إلى الوجود؛ فجميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي، وعالم الغيب، وعالم الشهادة، وفي الدنيا والآخرة الذي برأها وخلقها وأوجدها من العدم هو الله ﷻ: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

الثاني: البراءة من العيب والنقص، فالله سبحانه هو البارئ البريء من كل نقص وعيب، وأفة ومكروه، في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأحكامه، المنزه عن المثل، والشبيه، والشريك، وعن الصاحبة والولد: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٤]. وأفعاله ومخلوقاته في منتهى الحكمة والحسن والإتقان: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل/ ٨٨].

واسم البارئ جل جلاله يدل على صفة الذات، إذا كان فعلاً لازماً، أي: البارئ السالم المنزه عن كل نقص وعيب، البريء عن الشبيه والمثل، الموصوف بصفات الكمال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

وهذه تبيينه لنا أن نوحده، وأن نعبد، وأن نتعلق به، وأن نسأله، وأن نطيعه وأن نمثله أمره؛ لأن له الأسماء الحسنى.

وإذا عرفت أسماء وصفاته على وجه التمام؛ امتلأ القلب بالإيمان، وجاءت العبادة بالمحبة والتواضع والانكسار بين يدي الله ﷻ، وجاء حب الطاعات، والنفرة من المعاصي: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ

زَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

[الأنفال: ٢-٤].

هو الله الباري من كل نقص وعيب، البريء عن الشبيه والمثيل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾

[الإخلاص / ١-٤].

هو الباري الموصوف بصفات الكمال: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

ويدل كذلك على صفة الإبراء إذا كان فعلاً متعدياً، أي: الباري الذي أوجد المخلوقات، وصور الأجناس، وقدر الأحداث، وأبرأ المظلوم مما أتهم به، كما برأ موسى ﷺ مما قال فيه بنو إسرائيل: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ﴿٦٩﴾﴾ [الأحزاب: ٦٩].

فسبحان من خلق كل شيء على صفة يحقق بها الحكمة من وجوده.

هو سبحانه الذي خلق كل شيء لحكمة، خلق كل شيء لحكمة يؤديها، ويؤدي الشهادة لله بالوحدانية، فكل شيء في الكون، من صغير وكبير، من عالٍ وسافل، جميع المخلوقات شاهدة بوحدانية الله، ومسبحة بحمده، وخاضعة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤].

جميع المخلوقات، كل دابة في الأرض، كل مخلوق، كل كبير، كل صغير بيد الله

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك / ١].

فهو الذي خلق هذا الخلق العظيم، وهو الذي يملك هذا الملك العظيم، وهو الذي له الخلق والأمر في ملكه العظيم: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ ءَاخِذَةٌ بِنَاصِيهَا إِنْ رَزَقْنَاهَا مِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٌ ﴿٥٦﴾ [هود / ٥٦].

فالملك لكمال ذاته وأسمائه وصفاته يستحق أن يعبد، فكيف إذا وعد بالجنة في الآخرة لمن آمن به وأطاعه، ووعد بالأمن والهداية والخلافة في الأرض لمن أطاعه، هذا فضل على فضل؛ لأن عبادة العظيم معناها طاعته، فأنا أطيعه لكمال ذاته وجلاله وجماله، أطيعه؛ لأنه كريم يريد لي كل خير، ويصرف عني كل شر، وأكرمني بأنواع الكرامات: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَيْبِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ﴿٧٠﴾ [الإسراء: ٧٠].

الحمد لله رب العالمين أعطاني خيراً، ومنع عني شراً، الحمد لله رب العالمين أنعم علي، وعلى غيري، الحمد لله رب العالمين استضافني في بطن الأم وخلقني وصورني في أحسن تقويم، ثم أنزلني إلى بطن الدنيا وأعطاني الإيمان والأعمال الصالحة: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم: ٣٤].

فأكمل محبوبات ربك من الإيمان والطاعات في الدنيا؛ يكمل لك محبوباتك يوم القيامة في الجنة، حيث لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ويستضيفك في بطن القبر، فالقبر إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، ويستضيفك في يوم القيامة إما في القصور الملكية أو في السجون الجهنمية: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتٌ عِدْنُ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ [طه: ٧٤-٧٦].

• فالناس خارجون من الدنيا إلى دارين:

إما ذاهبون للقصور الملكية في جنة عرضها السموات والأرض، وهم المؤمنون.

أو ذاهبون إلى سجن من سجون جهنم، وهم الكافرون.

فالذي عرف ربه بصفات الجلال والجمال، يخاف مقام ربه؛ فيقف بين يديه محبباً له، خائفاً من عقابه، راجياً لثوابه: ﴿أَمَنْ هُوَ قَلْبُكَ عِندَ إِلَهِكَ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ ﴿١٠٠﴾ [الزمر: ١٠٠].

فمن خاف مقام ربه استقام في عبادته: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ ﴿٤٦﴾ [الرحمن / ٤٦].

فإذا دخل أهل الجنة الجنة، ورثوا منازل الكافرين فيها، وإذا دخل أهل النار النار، ورثوا منازل المؤمنين فيها.

كما قال سبحانه عن المؤمنين: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿١١﴾

[المؤمنون/ ١٠-١١].

وحقاً أن من عرف الله بأسمائه، وصفاته، وأفعاله وملكه وسلطانه، ودينه وشرعه، وتعبده لله بذلك، أنه في جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة، فهذا العبد هو الذي يخاف الله، فتراه بين يديه عابداً، وبين يدي خلقه داعياً ومعلماً ومحسناً، لا يرجو إلا الله، ولا يخاف إلا من الله، ولا يحب إلا الله المحبة التي تستلزم العبودية، فهو دائماً في جميع أوقاته عنده غيرة على أوقاته وعلى بدنه أن يضيع بغير منفعة: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ خَنيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١١١﴾ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿١١٣﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٣].

فمن سلم قلبه وجوارحه لربه في الدنيا طاعةً بفعل الأوامر، واجتناب النواهي؛ سلم الله له يوم القيامة القصور الملكية التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٧﴾ [السجدة/ ١٧].

والعلم قبل العمل، والعلم بالله وأسمائه وصفاته أول العلوم وأزكاها وأعلاها وأشرفها، وعليه مدار جميع الأعمال؛ فهو أساس، والمباني تقوم فوقه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩].

فمن عرف الله حقاً عبده حقاً، فهذا العبد الذي عرف الله حقاً، إن أبتلي صبر، وإن أذنب استغفر، وإن أنعم الله عليه شكر، هذا العبد يمشي في النور، مجلسه نور، وكلامه نور، وأقواله نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، وكل حياته نور: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١١٢﴾ [الأنعام: ١٢٢].

﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ

أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ [الزمر: ٢٢].

الله ﷻ هو الخالق البارئ المصور الذي له الأسماء الحسنی، هو الخالق لكل شيء، وكل ما سواه مخلوق له، وكل ما سواه عبد له.

فسبحان الخالق البارئ المصور، الذي خلق كل شيء على صفة يحقق فيها الحكمة من وجوده، فكل مخلوق له وظيفة، إلى جانب عبادة الله ﷻ.

كل مخلوق خلق لعبادة الله فهو يسبح بحمده تسخيرًا، ويؤدي وظيفته في هذا الكون، فكم نعم الله على هذا الإنسان الذي قبل الأمانة، فكل ما في الكون من النعم والمخلوقات كلها خلقت من أجل هذا الإنسان؛ ليتفرغ لعبادة ربه: ﴿الْمَرْتَرُوا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرًا وَبَاطِنًا وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

فكل ما سوى الله نعمة، والمخلوقات إما نعمة أو منعم عليه: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل: ١٨].

هو سبحانه البارئ الذي خلق بحرًا من الماء تعيش فيه مليارات الأسماك، وخلق بحرًا من الهواء يسبح فيه ما شاء الله من المخلوقات والذرات الطائرة في هذا الفضاء، وخلق بحرًا من النور، وخلق من كل شيء زوجين اثنين: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام / ١٠٢].

هو سبحانه الخالق البارئ الذي خلق المخلوقات على نحو يحقق سلامة وجودها، والغاية من خلقها؛ فخلق كل شيء وجعله في قرار مكين يحفظه ليؤدي وظيفته.

فالعين التي خلقها الله للإنسان والحيوان، العين خلقها الله للرؤية؛ لنرى بها الأشياء، فالعين للرؤية، ومكانها الذي يحقق لها السلامة في المحجر الذي تسكن فيه.

والدماغ مكان العلوم في الجمجمة، محفوظ في هذا العظم المستدير، والنخاع الشوكي في العمود الفقري الذي يحفظ توازن الإنسان، والقلب في القفص الصدري، خلقه الله ﷻ.

قال ﷻ: ﴿أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ﴾ متفق عليه<sup>(١)</sup>.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢) واللفظ له، ومسلم برقم (١٥٩٩).

هذا القلب موضوعٌ في مكان يحقق سلامة وجوده، ويؤدي الوظيفة في هذا المكان، والرحم موضوع في مكان الحوض؛ ليسلم الجنين في بطن أمه، ومعامل كريات الدم الحمراء في نقي العظام، في المخ الذي في داخل العظام، هذه الملايين التي تخلق في كل ثانية، موجودة في نقي العظام.

وكذا اللسان موضوعٌ في الفم، وعليه سوران عظيمان، سور من العظام وهو الأسنان، وصور من اللحم وهو الشفتين: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل / ٨٨].

خلق الحبة، وخلق فيها الأشجار الطويلة العظيمة، هذه الحبة الصغيرة فيها مخلوقات عجيبة.

خلق سبحانه الجبال وجعلها رحماً للمعادن: الذهب، الفضة، الحديد، المنجنيز، الألمونيوم، النحاس، الرصاص، وغيرها: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [لقمان: ١١].

فالله ﷻ خلق المخلوقات وجعلها في أماكن يحقق لها سلامة وجودها، والغاية من خلقها.

فالمعادن مودعات في خزائن الله، وضعها الله ﷻ في هذه الجبال، وفي الجبال أكثر من مائة معدن، منها: الحديد، ومنها النحاس، والذهب والفضة، وغيرها من المعادن المختلفة، من الذي خلقها؟ ولأي شيء خلقها؟ خلقها الله، لأنه ملك يخلق ما يشاء وهذه المخلوقات تسبح بحمده، وتشهد بوحدانيته: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجمعة: ١].

فالملك العظيم تسبح له مخلوقاته العظيمة الكثيرة، الصغيرة والكبيرة، من العرش العظيم، إلى الكرسي الكريم، إلى السموات السبع، والأراضين السبع، ومن فيهن من المخلوقات المختلفة، والذرات: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نفَقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

فالنظر والتدبر والتفكر في الأنفس والآفاق، يجعل الإنسان يقف ذليلاً أمام عظمة الخالق وكبريائه، وعظمة ملكه وسلطانه، كلما نظر الإنسان في الكون ازداد إيمانه، وكلما

ازداد إيمانه، ازدادت أعماله الصالحة.

فالنظر والتفكير في الآيات الكونية، والنظر والتفكير والتدبر في الآيات القرآنية هما سبيلا المعرفة الإيمانية: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

أمرٌ بالنظر، ليس نظر نزهة وتفرج، بل نظر اعتبار وتفكير وتدبر: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [٦] ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [٧] ﴿تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [٨] [ق: ٦-٨].

أيها الناس من عاش مات، ومن مات فات، وكلما هو آت آت، إن في السماء لخبراً، وإن في الأرض لوعبراً، آيات محكمات، ومطر ونبات، ونجوم تزهو، وبحار تزخر، وليل داج، وسماء ذات أبراج، أيها الناس مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون؟! أرضوا فأقاموا، أم تركوا فناموا.

فالنظر والتدبر هو سبيل الإيمان، يجعل الإنسان يصل من المخلوقات إلى الخالق؛ فيعبده بما شرعه على لسان رسوله ﷺ، ويجعله يتجاوز الدنيا إلى الآخرة، يجعله يتجاوز الأموال والأشياء وقضاء الأوقات في الاستكثار منها، إلى الاستكثار من الإيمان والأعمال الصالحة، فيزيد إيمانه في كل يوم، وتزيد أعماله في كل يوم، وتتحسن أعماله في كل يوم؛ والله يحب المحسنين: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [٣٦] [يونس: ٢٦].

فإحسان العمل مطلوب، وتوجيه العبادة إلى الواحد الأحد من أعظم الإحسان، وعبادة الله كأنك تراه من أعظم الإحسان.

الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه؛ فإذا رأيته ببصيرتك لم تعصه، فإن لم تستطع هذه الدرجة فعلى الأقل اعلم أنه يراك.

فالإحسان في عبادة الله درجتان:

الأولى: عبده بالرغبة؛ فتراه بقلبك وبصيرتك رباً خالقاً ورازقاً، وغنياً وكريماً، وغفوراً ورحيماً، وعفوياً وحليماً، ولطيفاً ومحسناً، وهذه أكمل الدرجتين.

الثانية: عبده بالخوف، فتراه ملكاً عظيماً، قاهراً جباراً، قوياً عزيزاً، وهذه دون الأولى.

• والعبد بين يدي ربه له خمس حالات:

الأولى: طاعات يؤديها.

الثانية: معاصي يتجنبها.

الثالثة: نعم يشكر الله عليها.

الرابعة: ابتلاءات يصبر عليها.

الخامسة: ذنوبٌ يستغفر الله منها، وكل هذه عبادة بين العبد وربّه.

فيجد العبد اللذة إذا امتثل أوامر الكبير؛ لأن الله هو الكبير جل جلاله، وأمره كبير، فأنا لا بد أن أطيعه، لأن طاعتي له ثمرتها راجعة إلي؛ فالله يرضى عني، ويجعلني أسعد الناس في الدنيا، ويوم القيامة أكون بالقرب منه في مقعد صدق عند مليك مقتدر: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) ﴿[الأحزاب: ٧١].

ومعاصي أجنبها، استحي من ربي إن أسكن في ملكه، وأكل من نعمه، وأعصيه بنعمه.

فالعبد حقًا، يفعل الطاعات، ويجنب المعاصي: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٧) ﴿[الحشر: ٧].

ونعم يشكر الله عليها: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨) ﴿[النحل: ٧٨].

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١١٠) ﴿[النساء/ ١١٠].

وكذلك ابتلاءات يصبر عليها، فالإنسان في هذه الدنيا مبتلى، إما مبتلى بالعافية والصحة والمال، حتى ينظر الله ﷻ ماذا يفعل بهذه النعم، أو مبتلى بالفقر والجوع والمرض، هل يصبر على ما أصابه.

فالناس في ابتلاء، إما غنيٌ يبتلى بالشكر، أو فقير يبتلى بالصبر، وكلاهما على خير: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٥) ﴿[إبراهيم: ٥].

فالله سبحانه هو الخالق العظيم الذي خلق الإنسان، وخلق فيه هذه الآيات العجيبة.

فسبحان من خلق الإنسان، وخلق فيه هذه الأعضاء والجوارح والعجائب، والوظائف الظاهرة والباطنة: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ (٢٠) ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (٢١) ﴿وَفِي السَّمَاءِ



رَزَقَكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ [الذاريات/ ٢٠ - ٢٢].

فالرزق في السماء، ولكنه يقسم على الناس في الأرض، ولو كان في الأرض؛ لتقاتل الناس عليه.

النظر والتفكير والتدبر في الأنفس والآفاق، يجعل الإنسان يقف بين يدي ربه معظمًا له، مكبرًا له، حامدًا له محبًا له: ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣].

• والعبد بين يدي خلق الله له ستة أوامر:

الإحسان إلى خلق الله، والدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم شرع الله، والنصيحة للمسلمين: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فإذ أدى العبد ما بينه وبين ربه، وأدى ما بينه وبين خلقه، فقد استكمل الإيمان: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

• والفرق بين الخالق والبارئ والمصور:

أن الخالق: خلق كل شيء على غير مثال سابق، وخلق كل شيء من لا شيء. أما البارئ: فهو الذي برأ كل مخلوق، وميزه عن غيره؛ ليؤدي وظيفة من بين خلقه؛ فالأرض للإنبات، والشمس للإنارة، واللسان للكلام، والماء للشرب، والنار للإحراق.. وهكذا: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلَّاقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٤].

فتدبر خلق الله، بعض أجرامه ملتهب كالشمس، التي درجة الحرارة في داخلها أكثر من عشرين مليون درجة، وفي خارجها أكثر من ستة آلاف درجة، ويخرج اللهب منها ويمتد لمسافة نصف مليون كيلو متر تقريباً: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر: ٨٦].

فتدبر في هذا الكون العظيم ترى الآيات العجيبة؛ فبعض الأجرام ملتهب، وبعضها منطفيء، وبعض المخلوقات ساكنة، وبعضها متحركة؛ فالجبال ساكنة، والرياح متحركة،

والأنهار جارية، والبحار متلاطمة، وبعض المخلوقات حارة كالشمس، وبعضها بارد كالقمر، وبعضها جامد كالتراب، وبعضها سائل كالمياه، وبعضها رطبة، وبعضها يابسة، وبعضها ناطق، وبعضها صامت، وبعضها ذكور وبعضها إناث: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [١١] ﴿ [لقمان: ١١].

فالله ﷻ خالق كل شيء، فهو ﷻ الواحد القهار الذي يخلق ما يشاء حجماً ولوناً وشكلاً ووظيفة، ولهذا استحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [١٠٢] ﴿ [الأنعام: ١٠٢].

فكل من عبد غير الله فهو جاهل وسفيه: ﴿ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ تَأْمُرُوتِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ [٦٤] ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [٦٥] ﴿ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [٦٦] ﴿ [الزمر/ ٦٤-٦٦].

اعبد الخالق، اعبد الملك، الذي له ملك السموات والأرض، وملك الرياح، وملك الجبال، وملك الأرزاق، ويده الملك والملكوت، اعبد القوي الذي يمسك السماء بقوته، أعبد الخالق الذي خلق كل شيء بقدرته: ﴿ ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [٣] ﴿ [يونس: ٣].

اعبد الكريم الذي أرزاق جميع الخلق من عنده جل جلاله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [١١] ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۗ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [٢٢] ﴿ [البقرة: ٢١-٢٢].

هو الخالق البارئ الذي خلق العالم العلوي، والعالم السفلي، وخلق عالم الغيب، وعالم الشهادة، وخلق الدنيا والآخرة، وخلقك وخلق صفاتك: ﴿ ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [١٠٢] ﴿ [الأنعام: ١٠٢].

من جعل الأرض قراراً؟ وثبت عليها كل شيء؟ وكلما علا الإنسان؛ انعدمت الجاذبية، وكلما هبط زادت الجاذبية: ﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَادًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْثَرُ هَمًّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٦١] ﴿ [النمل: ٦١].

وكذلك البحار مساحتها ثلاثة أرباع الأرض تقريباً، وذلك ليكون سطح الماء أوسع فيتبخر منه الماء إلى الأرض اليابسة ويُسقيها، فمن خلق هذا وهذا؟ هو الذي خلق كل شيء جل جلاله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ١٤].

من خلق الرياح وسيرها في الكون؟ ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٧].

• الرياح خلق عظيم من خلق الله وهي ثمان:

أربع في البر .. وأربع في البحر.

من خلق هذه الرياح؟ من سخر للسحب هذه الرياح؟

• سخر الله للسحب ثمان رياح:

رياح تثيره، ورياح تسيره .. ورياح تقله .. ورياح تجمععه .. ورياح تسوقه .. ورياح تؤلف بينه .. ورياح تلقحه .. ورياح تفرقه إذا نزل على الأرض: ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون ﴾ [الروم: ٤٨].

فأوسع باب وأيسره نعرف به الواحد الأحد، هو باب النظر والتدبر والتفكير: ﴿ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس / ١٠١].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٤].

وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾  
[الغاشية/ ١٧- ٢١].

فمن هذا خلقه، ومن هذا ملكه، ومن هذه قدرته، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَلِكَ مُلْكُ اللَّهِ رَبِّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٤﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾  
[الأنعام: ١٠٢- ١٠٣].

## التعبد لله ﷻ باسمه الباري

الله ﷻ خلق هذا الإنسان، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، لأنه يريد أن يرفعه إلى أعلى الدرجات؛ ليتحلى بالصفات والأخلاق العالية، يعلو عن الحيوان، بالصفات الملكية التي يجبها الله ﷻ، يأتي إلى ربه بمزاج سمعنا وأطعنا؛ فيسمع لكلامه، ويطيع أمره في الدنيا؛ ليسعد يوم القيامة بالقرب منه، ورضوان الله عنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۗ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۗ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٧-٨].

فاعلم أيها العبد المسلم أنك خلق من الخلق الذي يوحد ربه ويسبح بحمده في كل حين، فوحد ربك مع الموحدين، وسبح بحمده مع المسبحين: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة / ١]. فسبح باسم ربك العظيم، وسبح اسم ربك الأعلى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر / ٣].

إذا عرفت ربك الخالق الباري المصور؛ فحقق ذلك بالتوبة النصوح من كل منهي عنه، وابتعد عن كل منهي عنه، وارجع نفسك إلى بارئها بفعل كل مأمور به، وإيثار كل محبوب عنده، بفعل الطاعات، واجتناب المعاصي، وتقديم مراد الرب منك على مراد النفس، قدم مراد الرب وهو تقديم محبوبات الرب من الطاعات من الواجبات والمستحبات، على مراد النفس من الشهوات: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم / ٨].

قدم مراد الله على مراد النفس: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ

مَتَعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أُوذِيكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ [آل عمران: ١٤ - ١٥].

وانظر في كل لحظة إلى ربك يخلق ويبرأ المخلوقات ويوجدتها من عدم، كم يخلق كل يوم من مليارات النباتات في هذه الصحاري الواسعة، كم مليارات المخلوقات التي يبرأها الله ﷻ في البحار، كم مليارات المخلوقات الطائرة في الفضاء، كم مليارات المخلوقات التي تدب على وجه الأرض.

انظر وتدبر فكلما نظرت وتدبرت ازداد إيمانك، وكلما زاد علمك بربك زاد إيمانك به؛ وزاد خوفك منه، وزاد حبك له، وزاد تعظيمك له، وحسنت عبادتك له: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ ﴿٢٨﴾ [فاطر: ٢٨].

وذكر نفسك كل يوم بأخذ ربك الميثاق عليها عند أول خلقها؛ فقد شهدت هذا المشهد العظيم، وأقررت لربك مع من أقر بالإيمان: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢].

فذكر نفسك بأخذ ربك الميثاق عليها عند أول خلقها، وما أعطته من العهود في بدء أمرها، وذكرها بنعماء بارئها عليها، فالله خلقها، وخلق جميع المخلوقات، وسخرها لها: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ ﴿٢٠﴾ [القصص: ٢٠].

وذكرها بنعماء ربها عليها، كيف سواها في أحسن تقويم، وفطرها على الدين القيم، وذكرها بالملك الغفور الرحيم؛ لعلها تؤوب إلى ربها، وتسير إلى ما فيه رشدها: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٤٠﴾ [المائدة/ ٣٩ - ٤٠].

وليكن لك في كل يوم ذكر جديد، ودعاء جديد، وتسبيح جديد، وإحسان جديد،

وعمل صالح جديد، وتوبة جديدة: ﴿بِأَيِّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ  
 بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ  
 وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ [الأحزاب / ٤١ - ٤٣].

وكن بريئاً سليماً من الأقوال السيئة، والأعمال السيئة، والأخلاق السيئة، وتجمل بأحسن  
 الأقوال والأعمال، والأخلاق والآداب: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ  
 وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ  
 وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ  
 فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً  
 وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥].

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ  
 وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٩٠﴾ [النحل: ٩٠].

واعلم رحمك الله؛ أن سبيل فلاح النفس في الإسلام يكون بترك هواها، والأخذ بها إلى  
 مراد بارئها وحملها على المسارعة إلى فعل الخيرات طوعاً وكرهاً حتى يصير ذلك منها  
 عادة لها: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ  
 ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ [الحديد / ٢١].  
 ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ  
 ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ  
 يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران / ١٣٣ - ١٣٤].

وكن من خير البرية، واعمل بأعمال خير البرية، ابتداءً بالأنبياء والرسل، خاصةً سيدهم  
 محمد ﷺ، فمن عمل بأعمال خير البرية؛ جمعه الله ﷻ بخير البرية يوم القيامة، وهم  
 المؤمنون في الجنة، وبخير البرية وهم الأنبياء والرسل، وبرب البرية وهو الله ﷻ: ﴿إِنَّ  
 الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَهَرِيرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ [القمر / ٥٤ - ٥٥].

﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

وَمَسْكِنَ طَيْبَةً فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ وَّرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

[التوبة: ٧٢].

وحينئذ يستقيم لك أمر نفسك، فتحببنا بمراد بارئها، ويموت مرادها، ومن فعل ذلك أعانه الله وتاب عليه: ﴿كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٥٤﴾ [الأنعام: ٥٤].

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَن هَدَانَا اللَّهُ﴾ ﴿٤٣﴾ [الأعراف: ٤٣].

﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٩﴾ [النمل: ١٩].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ﴿٨﴾ [آل عمران: ٨].

والحمد لله رب العالمين، على ما أنعم علينا بنعمه التي لا تُعد ولا تُحصى، ونسأله المزيد من فضله جل جلاله.

الحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً، ملء السماء وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، على نعمك التي لا تُعد ولا تُحصى، هديتنا للإسلام وجعلتنا من خير أمة أخرجت للناس.

والحمد لله الأول قبل كل شيء، الآخر بعد كل شيء، الظاهر فوق كل شيء، الباطن دون كل شيء، الحمد لله الأول بلا أول كان قبله، الآخر بلا آخر يكون بعده.

الحمد لله الذي خلق الخلق بقدرته ابتداءً على غير مثال سابق، وجعلهم في قبضته أحياءً وأمواتاً، وجعل لكل روح منهم قوتاً معلوماً، ورزقاً مقسوماً، ثم ضرب له في الحياة أجلاً محدوداً، ونصب له أمداً معلوماً، يخطوا إليه بأيام عمره، حتى إذا بلغ أقصى أثره، واستوعب حساب عمره، قبضه الله إليه ثم ساقه إلى ما ندبه إليه من عظيم ثوابه أو شديد عقابه، عدلاً منه وإحساناً: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ ﴿٣١﴾ [النجم: ٣١].

والحمد لله الذي عرفنا بنفسه وأسمائه وصفاته وآلائه، وفتح لنا أبواب العلم بربوبيته،



وألوهيته، وأعاننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وهدانا إلى الإخلاص له بتوحيده، وعصمنا من الإلحاد والشك في أمره.

والحمد لله الذي اختار لنا محاسن الخلق، فخلقنا في أحسن تقويم، وأجرى علينا طيبات الرزق، وسخر لنا ما في السموات وما في الأرض، فكل المخلوقات منقادة لنا بقدرته، وصائرة إلى طاعتنا بعزته.

والحمد لله الذي أغلق عنا باب الحاجة إلا إليه، وركب فينا أعضاء البسط والقبض، وخلق فينا جوارح الأعمال، وغذانا بطيبات الرزق، ثم أمرنا ونهانا ليختبر طاعتنا، وابتلانا بالسراء والضراء ليختبر صبرنا وشكرنا، ثم خالفنا أمره وركبنا متون زجره، فلم يعاجلنا بالعقوبة بل أكرمنا بوسع رحمته، وشملنا بحلمه وعفوه، وانتظر توبتنا ورجعتنا إليه برأفته.

والحمد لله الذي فتح لنا أبواب فضله، وفتح لنا أبواب رحمته، وفتح لنا أبواب جنته، والحمد لله الذي هدانا إلى الإسلام، وأرسل إلينا سيد الأنام، ووضع عنا ما لا طاقة لنا به، ولم يكلف أنفسنا إلا وسعها، والحمد لله بكل ما حمده به خلقه، وأقرب ملائكته إليه، وأكرم خليقته عليه، وأرضى حامديه لديه، حمداً يفضل سائر الحمد.

والحمد لله الذي من علينا ببعثة محمد ﷺ دون الأمم الماضية، فأدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

والحمد لله الذي خلق السموات والأرض وأمسكها بقدرته، ورفع السماء بقوته، وأدحى الأرض بمشيئته، وملاً الكون برحمته ونعمه.

والحمد لله الذي خلق الليل والنهار بقوته، وميز بينهما بقدرته، وجعل لكل واحدٍ منهما حداً محدوداً، وأمداً ممدوداً، ونفعاً معلوماً.

والحمد لله عدد ما خلق في الأرض والسماء، وعدد ما علا في الهواء، وعدد ما كن تحت الثراء، ليس لنا من الأمر إلا ما قضيت، ولا من الخير إلا ما أعطيت.

اللهم يا كريم يا رحمن ارحم وجوهًا خرت لعظمتك ساجدة، وألسنةً نطقت بتوحيدك  
وذكرك، ولهجت بحمدك وشكرك، وقلوبًا ذلت لعز ربوبيتك وألوهيتك خاشعة،  
وعقولًا تصاغرت لكبريائك خائفة، وعيونًا من خشيتك باكية، وجوارحًا سعت إلى  
أماكن عبادتك طائعة، يا واسع الرحمة، يا سريع الرضا.  
اللهم إنا نسألك برحمتك التي وسعت كل شيء، وبقوتك التي قهرت بها كل شيء،  
وبعزتك التي لا يقوم لها شيء، وبعظمتك التي ذل لها كل شيء، وبوجهك الباقي بعد  
فناء كل شيء، أن تنصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين.  
اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات.  
سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسَيْنِيَّةِ

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

المصور

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله المصور

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى في السموات والأرض: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/ ٨].  
والإنسان الله ﷻ خلقه في أحسن تقويم، وأعطاه هذا اللسان.

• وهذا اللسان عبوديته في أمرين:

الأول: الكلام عن الله بالدعوة إلى الله.

الثاني: الكلام معه بذكره ودعائه وعبادته.

فالكلام معه هو العبادة، نقول: سبحان الله، والحمد لله، اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني، سبحان ربي العظيم، سبحان ربي الأعلى.

أما الكلام عنه: فهو أن نتكلم عنه بأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه ووعدته ووعيده؛ ليزيد الإيمان في القلب فنقول: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

ونقول: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٢٤﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

فعبودية اللسان في الكلام مع الله، والكلام عنه، والكلام معه هو العبادة، والكلام عنه هو الدعوة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

والله سبحانه أراد أن يُعرف؛ فخلق هذا الكون العظيم، وجعله مكاناً لأوامره الملكية، وأوامره الشرعية، وأوامره الجزائية: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝١٢﴾ [الطلاق/ ١٢].

وإذا علمتم أن الله عليمٌ بكل شيء، قادر على كل شيء، محيط بكل شيء، غني عن كل

أحد، قادر على كل أحد، قاهر لكل أحد، أمتتم به، وعبدتموه وحده لا شريك له. هو الملك وحده لا شريك له، له ملك السموات والأرض، وله ما في السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله ما بين السماوات والأرض، وله غيب السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض؛ وله مقاليد السماوات والأرض، وله ميراث السموات والأرض.

والكل خلقه، والكل عبيده يسبح بحمده: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [التغابن / ١].

والمالك الذي هذا ملكه هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر: ١٣].  
 فالله سبحانه عرفنا بأسمائه وصفاته؛ لأنه بمعرفة هذه الأسماء والصفات يكون حسن العبادة لله، وقوة التعبد لله ﷻ، وحضور القلب؛ بين يدي الله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

• وأسماء الله ﷻ من حيث معانيها تنقسم إلى أربعة أقسام:

الأول: الأسماء الدالة على صفة ذاتية للرب جل جلاله.

والصفة الذاتية: هي كل صفة لا تنفك عن الله أبداً، ولا تعلق لها بالمشيئة، ومن هذه الأسماء: الحي، القيوم، السميع، البصير، العليم، الخبير، القوي، العزيز، العلي، الكبير، فهذه الأسماء وأمثالها صفات ذاتية للرب لا تنفك عنه أبداً: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ لَهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

الثاني: الأسماء الدالة على صفة فعلية للرب جل جلاله.

والصفة الفعلية: هي كل صفة تتعلق بالمشيئة؛ إن شاء الله فعلها، وإن شاء لم يفعلها، ومن هذه الأسماء: الخالق، البارئ، المصور، الرزاق، التواب، العفو، الغفور، الرحيم، وأمثالها، فهذه صفات فعلية، إن شاء الله فعلها، وإن شاء لم يفعلها؛ فهو يخلق ما يشاء، في أي وقت شاء، لأي مخلوق شاء، ويصور ما شاء، في أي وقت شاء.

فالخالق سبحانه يخلق إذا شاء، ويكرم إذا شاء، ويرزق من يشاء، ويتوب على من يشاء، ويرحم من يشاء، ويغفر لمن يشاء: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن

يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ [الفتح / ١٤].

فهذه الصفات الفعلية يفعلها الله إذا شاء، ولا يفعلها إذا شاء.

أما الصفات الذاتية، والأسماء الذاتية؛ فهي أسماء لازمة لا تنفك عن الله ﷻ، كالسميع، والبصير، والعليم، والخبير وأمثالها.

الثالث: الأسماء الدالة على التقديس والتنزيه للرب جل جلاله.

ومن هذه الأسماء: القدوس، والسلام، السبوح، وأمثالها؛ فهو سبحانه الملك السلام من كل نقص، وعيب، وآفة، القدوس السبوح المنزه عن جميع النقائص والعيوب، المنزه عن كل ما ينافي صفات كماله وجماله، المنزه عن الضد والند والكفء والمثيل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى / ١١].

الرابع: الأسماء الدالة على جملة أوصاف عظيمة حسنى للرب ﷻ.

ومن هذه الأسماء العظيمة: اسم الله العظيم، الحميد، المجيد، الملك، الصمد، وأمثالها من الأسماء الحسنى؛ فالعظيم من له كمال العظمة في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ومملكه، وسلطانه، والحميد يدل على كثرة حمده، وكثرة الحامدين له، وكثرة ما يُحمد عليه.

والمجيد يدل على عظمة صفاته وكثرتها وسعتها، وعلى عظمة مملكه وسلطانه وتفرده بالجلال والجمال والكمال، والمجد والسؤدد والشرف، فهو جل جلاله ملك عظيم، فلا بد من معرفة الملك الذي نعبد، ونعرف أسمائه وصفاته؛ حتى نعبده بموجب هذه الأسماء والصفات: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

• وقد خلق الله في كل إنسان ثلاث أواني:

الأولى: آنية المعلومات.

الثانية: آنية الإيانيات.

الثالثة: آنية المطعومات والمشروبات.

فآنية المطعومات والمشروبات هي المعدة التي نشترك فيها مع الحيوانات، يشترك فيها

الإنسان مع الحيوان، فالله ﷻ جعل الأكل والشرب سبباً لبقاء الحياة في الإنسان والحيوان.

وأنية المعلومات وهي العقول التي يشترك فيها المسلم والكافر، كل يتعلم أنواع العلوم من علوم التجارة، والصناعة، والزراعة، وعلوم الدين المختلفة: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٨٥﴾ [الإسراء: ٨٥].  
وأنية الإيمانيات هي القلوب، وهذا الإناء يُمَلَأُ بالإيمانيات، والإيمانيات هي أركان الإيمان الستة، تملأ القلب إيماناً فيعرف العبد ربه، ثم يكبره ويعظمه، ويعرف نعمه وإحسانه، ثم يحبه ويشكره.

وهذه المعارف تملأ القلب إيماناً، والقلب يحرك الجوارح بالطاعة، ويزين الإنسان بالأخلاق العالية، فإذا هو يتصف بالصفات التي يجيها الله من الأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق العالية: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

وبهذه المعارف العظيمة يترقى الإنسان إلى أن يكون قوله كقول الأنبياء، وأعماله كأعمال الأنبياء، وأخلاقه كأخلاق الأنبياء: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿١١﴾ [الأحزاب: ٢١].

فهذه المعارف القلبية هي أهم شيء في الحياة، أهم شيء يميز الإنسان عن غيره من الكفار والحيوانات والبهائم؛ هو الإيمانيات التي تربطه بالمؤمن الذي خلقه، فيعرف ربه فيأنس به، ويستوحش من غيره، يعرف ربه بأسمائه وصفاته فيتعلق به، ولا يلتفت لأحد سواه، يعرف ربه جل جلاله بأسمائه وصفاته، فيعبده وحده لا شريك له؛ لأنه قاضي الحاجات، ومجيب الدعوات، السميع لكل شيء، البصير بكل شيء، القادر على كل شيء، المحيط بكل شيء: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٦﴾ [الأنعام: ١٠٦].

هذا هو الرب الذي نعبد، وإذا عرفنا أحببناه، وعظمناه، وتوجهنا إليه بقلوبنا، وحررنا

جوارحنا بطاعته، وأشغلنا ألسنتنا بذكره وشكره ودعائه جل جلاله.

والله ﷻ هو الخالق البارئ المصور، الله ﷻ أمرنا أن نتعرف عليه أولاً، ثم نعبده بموجب هذه المعرفة، ونعبده تعظيماً لجلاله وجماله، لأنه أهل أن يحمد، وأن يعبد، وهو كريم يعطي من آمن به وأطاعه الأمن والطمأنينة في الدنيا، وفي الآخرة يعطيه الجنة، ويرضي عنه ويكرمه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٧﴾ [النحل: ٩٧].

الله سبحانه هو الخالق البارئ المصور، الذي صور جميع المخلوقات، والقلب آنية الإيمان، لا بد أن يسمع القلب كلام الإيمان عن طريق الأذن، فالمتكلم يتكلم بلسانه، وهو أول ما يخاطب قلبه، فاللسان يقول للقلب: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فنحن نخاطب القلوب؛ لتعرف أن الله أكبر، وأنه الخالق، وأنه الرازق، وأنه القادر، وأنه الهادي، وأنه الغفور، وأنه الرحيم؛ حتى تتعلق القلوب بالله وحده لا شريك له: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرٍ لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ ﴿٣٧﴾ [ق: ٣٧].

وعبادتنا لله ﷻ قوتها، ودوامها، وحلاوتها تكون بعد المعرفة التامة لله بأسمائه وصفاته، وأفعاله وخزائنه، ووعدته ووعيده: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ [فاطر: ٢٨].

### • فمغذيات القلوب التي تملأ القلب بالإيمان هي:

أن نعرف الله .. ونعرف أسماءه .. وصفاته .. وأفعاله .. وخزائنه .. ووعدته .. ووعيده .. ونعرف ملائكته .. وكتبه .. ورسله .. واليوم الآخر .. والقدر خيره وشره: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالِكُنَّ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَالِكُنَّ الَّذِي نَزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ ءَالْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ سَلِيلًا بَعِيدًا﴾ ﴿١٣٦﴾ [النساء: ١٣٦].

بهذه الأمور العظيمة يمتلئ القلب إيماناً فيزداد حبه لله، وتعظيمه لله، وتكبيره لله ﷻ، وذكره لله، وطاعته لله، وعبادته لله، واستغفاره لله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ءَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩].



فالله سبحانه بين لنا أسماؤه وصفاته؛ حتى نتعلق به وحده، ونعرف أنه واحدٌ في ذاته، واحدٌ في أسمائه، واحدٌ في صفاته، واحدٌ في أفعاله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص / ١ - ٤].

هو الواحد الأحد، هو الرزاق الذي ليس كمثلته أحدٌ في الرزق، هو المصور الذي ليس كمثلته أحدٌ في التصوير: ﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ ۚ إِنَّهُ وَاحِدٌ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝١١٣﴾ [البقرة: ١٦٣].

فهو سبحانه الخالق البارئ المصور، الذي صور جميع المخلوقات والموجودات كيف شاء، وصور كل صورة على غير مثال سابق، بل على الصورة التي يريد، والصفة التي يختار: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَحِيبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١٠١﴾ [الأنعام / ١٠١].

هو سبحانه المصور الذي صور خلقه بأشكال وهيئات توافق تقديره، وعلمه، ورحمته، وحكمته، وتناسب مصالح الخلق ومنافعهم: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٢٤﴾ [الحشر / ٢٤].

فسبحان الرب الخالق الذي قدر كل شيء قبل إيجاده، على مقتضى حكمته البالغة، البارئ الذي أبرأ ما قدره فأوجده من العدم، المصور الذي شكل كل موجود على الصورة التي أوجده عليها؛ لتميزه على غيره؛ فهذه شمس، وهذا قمر، وهذه سماء، وهذه أرض، وهذا جبل، وهذا بحر، وهذا إنسان، وهذا حيوان؛ خلقه وقدره، ثم أظهره من العدم إلى الوجود بالبرء، ثم صوره بالصورة التي تدل على حُسن المصور، وتميز هذه الصورة عن الصورة الأخرى من المخلوقات: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٦﴾ [آل عمران: ٦].

واسم الله المصور نطق به القرآن اسماً: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٢٤﴾ [الحشر: ٢٤]. وتكرر في القرآن فعلاً: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ [الأعراف / ١١].

والمصور من أسماء الأفعال المتعلقة بمشيئة الله، إن شاء صور وإن شاء لم يصور، إن شاء

خلق وإن شاء لم يخلق، إن شاء رزق وإن شاء لم يرزق.

فإن شاء عَلَيْكَ في أقل من ثانية يصور مليارات الصور من المخلوقات، بأمره الملكي: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٨٢﴾ [يس / ٨٢].

ينزل المطر على الأرض؛ فتنبت من كل زوج بهيج مليارات من صور النباتات المختلفة اللون والحجم والطول والقصر: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ ﴿٥﴾ ذَلِكَ يَأْنِ لِلَّهِ أَنْ يَخْلُقَ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ يُخَيِّرُ أَلْمَوْتِ وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ [الحج: ٥ - ٧].

وهو سبحانه القادر الحكيم الذي صور خلقه على صور مختلفة؛ وصورهم فأحسن صورهم وأتقن صنعهم: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٨٨﴾ [النمل / ٨٨].

هو سبحانه المصور الذي صور جميع المخلوقات بأنواع الصور الجليلة والجميلة، الظاهرة والخفية، الحسية والمعنوية، الكبيرة والصغيرة، فلا إله إلا الله الخالق الذي قدر كل شيء بعلمه وحكمته، الباري الذي أظهر كل موجود من العدم، المصور الذي شكل كل موجود بصورة تميزه عن غيره، وتدل على كمال قدرة من خلقه وصوره: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٤].

فإن شاء يقدر الأشياء في علمه أولاً، ثم يُخرج مقدوره من العدم إلى الوجود، ثم يصوره بصورة تميزه عن غيره، بياناً لقدرته عَلَيْكَ وتمييزاً لهذه المخلوقات بعضها عن بعض.

فسبحان المصور الذي صور كل صورة، وأبدع كل موجود، بصور عظيمة مختلفة، لا يُحصى إلا الله، ولا يعلم عددها إلا الله، لا يشبه بعضها بعضاً. في عالم الجهاد صور مختلفة متنوعة متكررة، وفي عالم النبات صوراً مختلفة متنوعة متكررة، وفي عالم الحيوان صور مختلفة متنوعة متكررة، وفي عالم الإنس صور مختلفة متنوعة متكررة، وفي عالم الملائكة مثل ذلك، وفي عالم الجن مثل ذلك: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

بِالْحَقِّ وَصَوْرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٧﴾ [التغابن / ٣].

فما أعظم خلقه وتصويره لمخلوقاته: ﴿الْمَرَّةَ تَرَى أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَبِيٌّ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴿٢٨﴾ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ [فاطر: ٢٧-٢٨].

والله سبحانه وزع الحظوظ على الناس، فالجمال حظ، وحسن الصورة حظ، والجاه حظ، والذكاء حظ، والغنى حظ، هذه كلها نعم الله ﷻ أعطها للبشر، وكل هذه الحظوظ امتحانٌ وابتلاء في الدنيا، لينظر الله ﷻ من يستعملها في طاعته، ومن يستعملها في معصيته، ومن يشكر الله عليها، ومن يجدها ويكفرها.

وسوف يكون الحساب والجزاء يوم القيامة على استعمال هذه الحظوظ في طاعة الله أو معصيته: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٠﴾ [العنكبوت / ٢-٣].

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ [الأنبياء / ٣٥].  
والحظوظ يوزعها الله في الدنيا توزيع ابتلاء، ثم يوزعها يوم القيامة توزيع جزاء: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ [الإسراء / ٢١].

فهذه النعم التي من الله ﷻ علينا بها، وهذه الصور، وهذه الحظوظ كلها امتحان وابتلاء من ربنا ﷻ، أعطانا الله ﷻ إياها لنستعملها في طاعته؛ فمن صرفها في طاعته، أكرمه الله ﷻ بحسن الصورة يوم القيامة، وحسن الصور في جنات النعيم، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وزاد حسنه وجمال صورته يوم القيامة: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ [يونس: ٢٦].

ومن استعملها في معصية الله، زاد قبحه في الدنيا، وساء عذابه يوم القيامة: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنْ آتِلٍ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ [يونس: ٢٧].

والله سبحانه هو الخالق البارئ المصور الذي خلق آدم ﷺ على صورته؛ فالله سميع

وأعطى آدم السمع، والله بصير وأعطى آدم البصر، والله قوي وأعطى آدم القوة، والله عليم وعلم آدم من علمه.

قال ﷺ: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

فله أسماء وصفات تليق بجلاله، وللإنسان أسماء وصفات تليق به على شاكلة العبودية، فالله قوي ولا بداية ولا نهاية، ولا أول ولا آخر لقوته، وعنده خزائن القوة.

فهو قوي؛ هو الذي أعطاني صفة القوة، وقوتي محدودة وقوة الله مطلقة، قوتي نعمة من نعم الله ﷻ، وقوة الله صفة ذاتية له، فله القوة جميعاً، وله العزة جميعاً، وله الكبرياء في السموات والأرض: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

فالله ﷻ خلق آدم بيده، وأعطاه من الصفات التي تليق به على شاكلة العبودية، وأعطاه من الأسماء والصفات، ورغبه فيها، وهي الأسماء والصفات التي يحبها جل جلاله: ﴿التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُتَكَبِّرُونَ الْمُبْتَغُونَ أُلُوفًا مَالًا لَمْ يَغْتَبِ بَاطِلًا الْأُمُورُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

فتتصف بالصفات التي يحبها الله، فالله يحب المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، والصادقين والصادقات، والصابرين والصابرات، الله يحب التوابين، يحب المحسنين، ولكرامة الإنسان على ربه وهبه من صفاته، وتجلي بها عليه، فالله يريد ويشاء ويختار، وقد وهب الله الإنسان من ذلك على ما يليق به، فالإنسان يريد ويشاء ويختار: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (٢٨) ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٩) [التكوير/ ٢٨-٢٩].

والله يحب ويُبغض، ويعطي ويمنع، ويكرم ويهين، ويسط ويقبض، وقد وهب الإنسان من ذلك على ما يليق به، والله فرد لا مثيل له، وقد جعل الإنسان فرداً لا شبيه له من المخلوقات، والله بديع وجعل الإنسان يبدع في الأشياء على ما يليق به، ولكن على شاكلة العبودية، والله مصور وأقدر على التصوير على ما يليق بك، فإذا صنعت شيئاً فاصنعه بصورة حسنة، وصنعة متقنة، فإحسان الصنعة من الدين؛ فإن الله يحب العبد إذا عمل عملاً أن يتقنه.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٢٢٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦١٢).

## • والصور نوعان:

أحدهما: محسوس مشاهد يدركه الخاصة والعامّة، ويدركه الإنسان وكثير من الحيوان كصورة الشمس والقمر، والسماء والأرض، والإنسان والحيوان، والماء والشجر.  
الثاني: معقول يدركه الخاصة دون العامّة كالصور والحظوظ التي اختص بها الإنسان من العقل والذكاء، والأخلاق، ونحوها من الصفات.

والله سبحانه هو المصور الذي صور جميع المخلوقات بأنواع الصور الظاهرة والباطنة والحسية والعقلية؛ فلكل مخلوق صورته، ولكل صنعته، ولكل شكله، ولكل حجمه، ولكل وزنه: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر/ ٦٢].  
فالله أكبر! ما أعظم الله! وما أعظم خلقه! وما أعظم تدبيره! وما أعظم تصويره! فسبحان الخالق البارئ المصور الذي أبدع صور المخلوقات وزينها بحكمته، وأعطى كل مخلوق صورته، على مقتضى مشيئته وحكمه.

والله سبحانه كما صور الأبدان فتعددت وتنوعت؛ كذلك نوع الأخلاق فتعددت وتنوعت صور الأخلاق في الإنسان والحيوان، وأعظم تكريم للإنسان من ربه، أنه خلقه على صورته، أسماء وصفات؛ ليستخلفه في الأرض.  
عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُونَ ذِرَاعًا» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

فالله خلق آدم وصوره، وجعل له سمعًا وبصرًا، وعلمًا وحكمًا، وخلافةً وملكًا، وغير ذلك من الأوصاف المشتركة التي يصح إطلاقها على الخالق والمخلوق، ولكل ما يليق به، فالله له سمع، والإنسان له سمع، وسمع الإنسان مخلوق محدود، لكن سمع الله ﷻ ذاتي ومطلق، وسمعنا نعلمه، لكن سمع الله لا نعلم كيفيته، لكن نشبهه الله، فكما لا نعلم كيفية ذاته جل جلاله، كذلك لا نعلم كيفية صفاته: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى/ ١١].

هو السميع الذي ليس كمثل أحد في السمع، هو البصير الذي ليس كمثل شيء في البصر، وهكذا نقول في جميع الأسماء والصفات.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٢٢٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦١٢).

والله له صورة، وآدم له صورة، فصورة الحق سبحانه لا يعلمها إلا هو، أما صورة آدم فعلمها؛ وهكذا في بقية الأسماء والصفات: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ اللَّهُ الصَّكْمُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُوَلِّدْ ۝٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص / ١ - ٤].

والله جل جلاله هو الخالق القادر على كل شيء، وصور خلقه على صور مختلفة، وهيئات متباينة، من الكبر والصغر، والطول والقصر، والحسن والقبح، والرطوبة واليبوسة، والذكورة والأنوثة، والحرارة والبرودة، ذلك لأنه هو الخالق البارئ المصور؛ فهو يستحق من أجل ذلك العبادة والطاعة: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝١٠٣﴾ [الأنعام / ١٠٢ - ١٠٣].

وخلق الله وتصويره عظيم محكم، فلا يستطيع مخلوق أن يخلق أو يصور مثله، فضلاً أن يخلق أفضل منه: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝١١﴾ [لقمان / ١١].

فكل ما تراه في الكون: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ۝٨٨﴾ [النمل / ٨٨].

فما دام هو الخالق وحده؛ فيجب أن نعبد وحده: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

أحوالنا بيده، أمورنا بيده، حياتنا بيده، قوتنا بيده، عزنا بيده؛ فلا بد أن نعبد وحده، وعبادة الله هي طاعته فيما أمر ونهى، العبادة بمعناها العام هي طاعة العابد لمعبوده فيما أمر به أو نهى عنه مع الحب الكامل، والتعظيم الكامل والذل الكامل له ﷻ: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَقْلًا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [يونس: ٣].

فالله سبحانه يريد منا أن نتعرف على أسمائه وصفاته كي نعبد بمقتضى هذه الأسماء والصفات، عبادة إنسان يشاهد ربه.

فالإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، أعبده كأنك تراه خالقاً حياً، قيوماً رزاقاً، ملكاً قوياً، قادراً قاهراً، لطيفاً رحيماً، غفوراً توباً، شهيداً حكيماً؛ سميعاً بصيراً تعبد الله كأنك تراه، فأنت تحتاج إليه في قوتك، وفي حياتك، وفي رزقك،

وفي هدايتك، فتقف بين يديه مكبراً له، حامداً له، سائلاً له، مستغفراً له، وفي النهاية تقدم له التحية فتقول في أعظم اتصال بينك وبينه في الصلاة: "التحيات لله والصلوات والطيبات.

فالله ﷻ يريد منا أن نتغذى قلوبنا بمعرفته، ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله.

والأصل الدعوة إلى الله، أن نعرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، فنكبره ونعظمه، ثم نستجيب لأمره، ونعرف وعده ووعيده؛ حتى يكون هذا محرراً لنا للطاعات، وزاجر لنا عن المعاصي: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُتُونَكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩].

الله ﷻ هو الخالق البارئ المصور، الذي خلق الخلق وصورهم على صور مختلفة، وهيئات مختلفة من الحسن والجمال، والشكل واللون، والطول والقصر: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُم فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٤﴾ [غافر: ٦٤].

الإنسان له بصر يدرك به المحسوسات، وله بصيرة يعرف بها خالق هذه المخلوقات، فالبصيرة ترى المصور، والبصر يرى الصور، والصور وسيلة لمعرفة المصور، فالخلق يدل على الخالق، والصور تدل على المصور، والمؤمن يتجاوز المخلوقات إلى الخالق، ويتجاوز الصور إلى المصور؛ فيكبره ويعظمه، ويحبه ويحمده، ويتعرف على ما يحبه ويرضاه حتى يعمل به، ويتعرف على ما يُسخطه ويغضبه؛ فيجتنبه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ ﴿٢٨﴾ [فاطر: ٢٨].

فكل مخلوق خلقه الله وميزه بصورة خاصة، تميزه عن غيره من المخلوقات، فالله قادر على خلق الخلائق بصور وألوان وأشكال مختلفة، وقد فعل جل جلاله، فالبشرية الآن أكثر من سبعة آلاف مليون، كل واحد لا يشبه الآخر؛ كل واحد له طبعة خاصة، وصورة خاصة، ورائحة خاصة، وصوت خاص، ولون خاص: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٤].

وكذا في عالم النبات، النباتات أكثر من أربعين مليون صنف، وكل صنف تحته أجناس

وأمم وقبائل، ولكل نبتة من أربعين مليوناً صورة خاصة، وطبعة خاصة، وشكل خاص، وحجم خاص، وثمره خاصة: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ ﴿٥﴾ [الحج: ٥].

وكذلك في عالم الجماد وفي عالم الحيوان، مليارات المخلوقات، حيوانات في البر، وحيوانات في الجو، وحيوانات في البحر، ولكل حيوان، ولكل طير، ولكل سمكة، شكل خاص، وصورة خاصة، وحجم خاص: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَبِيُّبٌ سُودٌ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ ﴿٢٨﴾ [فاطر: ٢٧-٢٨].

فسبحان الخلاق العليم، الذي يخلق ويصور ويحيي ويميت، ويعطي ويمنع، ويبسط ويقبض، ويعز ويذل: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

هو الخالق البارئ المصور، يختار الصورة التي يريد، للمخلوق الذي يريد، بالحجم الذي يريد.

هو الله الخالق البارئ المصور جل جلاله، فكل مخلوق ميزه القادر الحكيم بصورة خاصة تميزه عن غيره من المخلوقات، فلكل مخلوق من المخلوقات طبعة خاصة، وصورة مستقلة: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٠٦﴾ [البقرة/ ١٠٦].

هو سبحانه المصور الذي إذا أراد شيئاً قال له: كن؛ فيكون على الصورة التي يختار، والشكل الذي يريد، والحجم الذي يشاء، في أحسن صورة، وأتقن صنع: ﴿ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٦﴾ ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ﴾ ﴿٧﴾ [السجدة/ ٦-٧].

فلا إله إلا الله، وسبحان الخالق البارئ المصور، الذي خلق السموات والأرض وما فيها وما عليهما، وما فوقهما، وما تحتها؛ وما بينهما فأحسن خلقهما، وخلق الإنسان في أحسن صورة، وأكمل هيئة: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ



بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيْرُ ﴿٣﴾  
[التغابن/ ٢- ٣].

وسبحان المصور الذي خلق الأشياء، ثم صورها على شكل تتميز به عن غيرها من تقدير، وتخطيط، وحجم، ولون، وتركيب، من أجل ذلك يستحق ربنا ﷻ أن نكبره، وأن نمجده، وأن نحمده، وأن نشكره، وأن نمثل أوامره، ونجتنب نواهيه، لذاته وجلاله وجماله، وإنعامه وإحسانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٦٤﴾ [البقرة/ ١٦٤].

فالعقل طاقة جبارة في الإنسان، والذكاء طاقة جبارة في الإنسان، والحب طاقة جبارة في الإنسان، والقوة طاقة جبارة في الإنسان، فيجب استعمال هذه الطاقات في معرفة الحق، والعمل بالحق، والدعوة إلى الحق، والصبر على إبلاغ هذا الحق: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر/ ١- ٣].

عمل المسلم هو العمل بالدين، والدعوة إلى الدين، وتعليم الدين هذا هو عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ فالأنبياء أعطوا الدعوة والدعاء، الدعوة والعبادة، ونحن خير أمة أخرجت للناس، وظيفتنا وظيفة نبينا ﷺ، انتقلت منه إلينا، فلا نبي بعد النبي ﷺ، وهذه الأمة قائمة على عمل الدعوة، الدعوة إلى أي شيء؟ الدعوة إلى الله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ [فصلت: ٣٣].

فالدعوة أصلها الدعوة إلى الله، أن نعرفه أولاً ثم نمثل أوامره، ونمجد الله، نعظم الله؛ ونكبر الله، ونحمد الله، فالله يجب أن يسمع الكلام منا، ولذا قال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١- ٤].

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ

إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

[البقرة: ٢٥٥].

فعبودية اللسان في الكلام عن الله، أو في الكلام معه، الكلام عنه بالدعوة إليه، وتعليم شرعه، والكلام معه بعبادته جل جلاله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ [فصلت: ٣٣].

فالله سبحانه هو رب العالمين، وأحسن الخالقين، خلق كل شيء، وأبدع خلقه، وأحسن صورته، قدره أولاً، ثم أظهره ثانياً، ثم أحسن صورته ثالثاً؛ فالله ﷻ أظهر الحسن على جميع مخلوقاته، فجميع مخلوقات الله حُسنى، وحسنة، ليس فيها قبيح، إنما هي درجات في الحسن، فحسن وأحسن، وجميل وأجمل: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ [السجدة: ٦-٧].

ومن أعظم ما خلق الله العرش، والكرسي، والسماوات، والأرض، ومن أعظم ما خلق الله في الأرض هذا الإنسان: ﴿لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ [غافر/ ٥٧].

وقد خلق الله هذا الإنسان في أحسن تقويم، ولذلك يقول الله ﷻ: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿٦١﴾ [الذاريات/ ٦١].

فمن أعجب ما خلق الله في الأرض هذا الإنسان؛ فقد خلقه الله ﷻ من بين المخلوقات بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وخلق على صورته، وأحسن صورته، وأحسن تقويمه، وأقسم على ذلك فقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ [التين: ٤-٦].

فالله ﷻ خلق الإنسان في أحسن صورة، وأحسن تقويم، وأحسن فطرة؛ فطرة الله التي فطر الناس عليها، فالبشر كالمعادن، الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، المعادن التي اجتهدنا عليها أخرجنا منها آلاف الصناعات، مثل الحديد، ومثل الذهب والفضة، وغيرها، كذلك هذا الإنسان إذا اجتهدنا عليه؛ جاءت فيه الصفات التي يحبها الله ﷻ من الإيمان والتوحيد، والصدق، والصبر، والكرم، والعفو والإحسان، وهكذا، فبالجهد

على البشر ينتج: ﴿التَّيْبُوتُ الْعِيدُوتُ الْحَمِيدُوتُ السَّكِينُوتُ الرَّكِينُوتُ  
السَّجِدُوتُ الْأَمْرُونُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُوتُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونُ لِحُدُودِ اللَّهِ  
وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

فلا إله إلا الله! ما أعظم أسماؤه وصفاته، وما أعظم خلقه وتصويره.

فسبحان الخالق البارئ المصور، الذي يصور النبات والحيوان والإنسان في ظلمات  
الأرض والأرحام كيف يشاء، في أي وقت شاء في أي صورة شاء: ﴿هُوَ الَّذِي  
يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَإِلَهِ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران/ ٦].

الله ﷻ يصور هذه المخلوقات في الظلمات، النباتات تصور في ظلام الأرض، والحيوان  
والإنسان في بطون الأمهات.

### • فالأرحام ثلاثة:

الأول: أكبر الأرحام؛ هو رحم الأم الكبرى، الأرض هي أكبر أرحام المخلوقات،  
أولادها جميع النباتات؛ حتى البشر خلق منها؛ فالأم في بطنها أكثر من أربعين مولوداً،  
تلدهم بأمر الله، إذا نزل الماء من السماء إلى الأرض؛ أنبتت من كل زوج بهيج بأمر الله  
ﷻ: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ  
زَوْجٍ بَهِيحٍ﴾ [الحج: ٥].

الثاني: الإنسان يخلقه الله في بطن أمه في ظلمات الرحم، وكذلك الحيوانات يخلقها الله في  
بطون الأرحام.

الثالث: الكلام يخلقه الله في اللسان، فالألسنة أرحام الكلام: ﴿وَمَنْ آتَيْنَاهُ خَلْقًا  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفْنَا السِّنِينَكُمْ وَالْوَنُوكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الروم: ٢٢].

فسبحان من يخلق في الظلمات، ويصور في الظلمات، ثم يُخرج هذه الصور في أحسن  
صورة وأتقن صنع: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل/ ٨٨].

فلا إله إلا الله خالق كل شيء، المصور الذي يصور مخلوقاته كيف يشاء، ويحسن صورها  
كيف شاء، ويبدع صورها كيف شاء، ويفاوت بينها في الخلق والتصوير والحسن، عالم

الغيب والشهادة، البصير بالصغير والكبير، السميع بالسر والجهر، المصور لكل صورة في العالم العلوي، والعالم السفلي، الكريم بكل نعمة، العليم بكل ذرة: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾﴾ [الحديد/ ٤ - ٥].

فهذا هو الخالق جل جلاله، وهذا هو المصور جل جلاله، وهذا هو الملك جل جلاله، ومن هذه قدرته، وهذا ملكه، وهذا خلقه، وهذه أسماؤه وصفاته وأفعاله، وهذه مخلوقاته أهل أن يعظم، وأهل أن يكبر، وأهل أن يحب ويعبد، وأهل أن يحمد ويشكر: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ رَبِّكَ أَلَمْ يَكْرِمْ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار/ ٦ - ٨].

الله يغار عليك، يريد أن تكون موحدًا مؤمنًا تقيًا؛ لتفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة، يغار عليك من الشيطان أن يأخذ سمعك، وبصرك، وعقلك، ويتصرف في مالك وحياتك: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالْكَاسِ لَرُءٍ وَفٍ رَجِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة/ ١٤٣].

فسبحان الله ما أعظم خلقه، وما أعظم الصور التي صورها، لو نظر إلى صورة واحدة منها وهي أنت أيها الإنسان، فقد كنت معدومًا فأوجدك الله، أوجدك بأحسن صورة، فانظر رحمك الله إلى ربك الخالق البارئ المصور، كيف خلقك في أحسن تقويم: ﴿مَنْ خُنِّ خَلَقْتَهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا أَمْثَلَهُمْ بَدِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ [الإنسان/ ٢٨].

كيف خلقك في أحسن تقويم، فقد خلق الله الإنسان من تراب، ثم من نطفة، ثم ركب أعضائه بعضها فوق بعض، وقسم جل جلاله تلك القطرة السائلة، وصورها بقدرته كيف يشاء في الظلمات، فجعل المصور بعض هذه النطفة لحمًا وبعضها عظمًا، وبعضها شحمًا، وبعضها نخًا، وبعضها عصبًا، وبعضها شعرًا، وبعضها عروقًا، وبعضها جلدًا، وبعضها ظفرًا، وبعضها أذنًا، وبعضها عينًا، وبعضها أنفًا، وبعضها فمًا، وبعضها سنًا، وبعضها يدًا، وبعضها رجلًا، فلا إله إلا الله! كم لله من عظمة في خلق هذا الإنسان من تلك النطفة!.

ثم خلق المصور داخل الإنسان ما لا يحصيه إلا هو، من المصانع والأجهزة، كالجهاز

الهضمي، والجهاز العصبي، ومصانع التصفية، والهضم، والتحلية، والتكرير، والدفع  
والجذب، والتهوية، والحركة، كالقلب، والكبد، والمعدة، والعينين، والأذنين، والرئتين،  
والكليتين: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ  
﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا  
الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون/ ١٣-١٤].

فلا إله إلا الله! كم عظمة هذا الاسم العظيم، عظمة اسمه المصور، كم يملأ القلب  
إيماناً، وكم يرى الإنسان من الصور المبتوثة في ملكوت السموات والأرض: ﴿قُلْ  
أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾  
[يونس/ ١٠١].

فسبحان الله ما أتقن صنعه، وما أحسن تصويره: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ  
بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوْسًا وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ  
بَهِيحٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق/ ٦-٨].

وخص الخالق المصور كل عضو من أعضاء الإنسان بوظيفة يؤديها، ومكان يخالف  
مجاوره، وجعل الكل يتعاون مع بعض في خدمة الإنسان، ويسبح بحمد ربه الرحمن.  
فللعين وظيفة، وللأذن وظيفة، ولللسان وظيفة، وللکبد وظيفة، وللأيدي وظيفة،  
وللأرجل وظيفة، وللکبد وظيفة، وللمعدة ذرة في الإنسان وظيفة تؤديها، وتسبح بحمد  
رهبها، وتشهد بوحدانيته وجلاله وجماله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤].

ثم أعد الخالق البارئ المصور تلك القطرة المصورة لمعاني صفات المخلوق، وأسمائه،  
وأخلاقه من عقل، وعلم، وقدرة، وهذه النعم الباطنية، أعطى الله للإنسان العقل  
والعلم، والقدرة والإرادة، والكرم والحلم، والعقل والفهم، والصبر والصدق، وغيرها  
من الصفات المحمودة، والتي جبل الله الإنسان على حبها، ولكن الشيطان يريد أن  
يصرفه عنها: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا  
تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الملك: ٢٣].

● فللإنسان مصرفان:

مصرف للطاعة .. ومصرف للمعصية.

فالأنبياء قاموا على مصرف الطاعات أقوالاً، وأعمالاً، وأخلاقاً، والشياطين قاموا على مصرف المعاصي أقوالاً، وأعمالاً، وأخلاقاً: ﴿هَذَا أَنَّى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان/ ١-٣].

فالله أعطانا أحسن شيء وهو السمع، فلنسمع به أحسن شيء وهو القرآن، والسنة، وهذا الدين الحق، ونسمع عن أسماء ربنا وأسمائه وصفاته، وأعطانا اللسان نتكلم به بأحسن شيء، وهو الثناء على ربنا ﷻ، والدعوة إلى دينه، وذكره وشكره.

والله ﷻ أعطانا البصر لنبصر به أحسن شيء، ننظر في الآيات الكونية وننظر في الآيات الشرعية؛ فالإنسان لله، وأعضاؤه لله، فلا يجوز له أن يتصرف فيها في غير ما أراد الله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝١٥٦﴾ [البقرة: ١٥٦].

فتبارك الله رب العالمين، وتبارك الله أحسن الخالقين، وتبارك الله خير الرازقين: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢﴾ [الذاريات/ ٢٠-٢٢].

فالله يريد من هذا الإنسان أن يأخذ أحسن دين، ويعمل بأحسن عمل، ويقول أحسن قول، لينال يوم القيامة أحسن مقام: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ۝٥١ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٢﴾ [الدخان/ ٥١-٥٢].

فما أعظم المؤمن عند ربه في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ۝٥٥﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

فلا إله إلا الله كم كرم الله ﷻ، وكم نعمه على هذا الإنسان، وخلق الله لهذا الإنسان الذي كرمه، أنواع الجماد والنبات والحيوان المسخر لمائدة الطعام والشراب، فهي مفتوحة الأبواب له، في البر والبحر والجو، يأكل منها حيث شاء، إلا ما يضره؛ فقد فطره الله على البعد عنه، وحذره منه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝١٦٨﴾ [البقرة/ ١٦٨].

فالله ﷻ هو الذي أوجد الإنسان من عدم، ولما خلقه أمده بالقوت الذي جعله سبباً لبقاء حياته، وأتقن الله خلق هذا الإنسان، وهياً له مائدة الطعام والشراب حيثما صار،

فحيثما كان فالهواء موجود، ونور الشمس موجود، والطعام والنبات والحيوان موجود، وبعد أن أتم الله خلق الإنسان؛ وهياً له مائدة الطعام والشراب؛ أنعم الله عليه بنعمة أعظم منها تصله بخالقه، وتصله بدنياه وأخراه، فما هي؟

هي الدين الحق الذي أنزله على رسوله، وأتمه وأكمله لسيد الخلق ﷺ وأتمته: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة/ ٣].

فمن أسلم واستسلم لربه في الدنيا؛ سلم الله له يوم القيامة الملك العظيم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلَكًا كَبِيرًا﴾ ٢٠ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوْا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ رُبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيَكُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾ [الإنسان: ٢٠-٢٢].

من سلم قلبه وجوارحه لربه جل جلاله في الدنيا، أطلق الله له جوارحه يوم القيامة فيما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ عَفْوَِرٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

وثبت حياته وأحواله على أحسن حال حيث يُنادى أهل الجنة: «أما أن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وتحبوا فلا تموتوا أبداً، وتنعموا فلا تبأسوا أبداً، وتخلدوا فلا تموتوا أبداً» أخرجهم مسلم (١).

فهذه جنة المعرفة التي من دخلها في الدنيا؛ أدخله الله جنة الآخرة يوم القيامة، جنة المعرفة أن أعرف الرب المعبود بأسائه وصفاته، وأعرف نعمه وإحسانه، وأعرف ملكه وسلطانه، وأعرف نعمه وشرائعه، وأعرف ثوابه وعقابه، وأكون بين يديه مكبراً له، حامداً له، مستغفراً من ذنبي، مطيعاً لأمره مجتنباً لنهيهِ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِئَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

هذا هو العبد المطيع لربه، هذا هو العبد الذي يحبه الله ﷻ، هذا هو العبد الذي اشتراه الله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةِ﴾

(١) أخرجهم مسلم برقم (٢٨٣٧).

ما هي صفات هؤلاء الذين اشتراهم الله؟ هم الذين يملكون الصفات العالية، الله لا يشتري إلا السلع الغالية، ويعطي الشيء الغالي على العمل الغالي، للشخص الغالي.

مَنْ هُم الَّذِينَ اشْتَرَاهُمُ اللَّهُ؟ هُم مَن اتَّصَفُوا بِعَشْرٍ صِفَاتٍ: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّاجِدُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].  
نَسَأَلُ اللَّهَ ﷻ بِأَسْمَائِهِ الْحَسَنَى، وَصِفَاتِهِ الْعُلَى، أَن يَجْعَلَنَا وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.

فَهَنَّاكَ السَّعَادَةَ، وَهَنَّاكَ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ، فَدَارِ السَّلَامَ لِمَن دَخَلَ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام/ ١٢٧].

فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ عَلَى نِعْمَتِهِ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، وَلَهُ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ عَلَى جَزِيلِ نِعْمَتِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَلَهُ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ عَلَى دِينِهِ وَشَرْعِهِ، وَلَهُ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ عَلَى فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٢ ﴿الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ﴾ ٣ ﴿مَلِكَ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ٤ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ٥ ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ٦ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة/ ٢-٧].

وَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ صُورَةَ آدَمَ ﷺ وَذَرِيَّتَهُ، هِيَ الَّتِي تَحَقِّقُ فِيهَا مَعَانِيَ التَّصْوِيرِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَظَهَرَ فِيهَا الْكَمَالُ وَالْجَلَالُ وَالْجَمَالُ؛ لِأَنَّهُ اجْتَمَعَ فِيهَا التَّقْدِيرُ وَالتَّصْوِيرُ وَالْحُسْنَ وَالْجَمَالَ، وَالتَّفْضِيلُ وَالتَّكْرِيمُ، وَالْخُلُودُ بَعْدَ الْمَوْتِ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء/ ٧٠].

فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَأَحْسَنَ الْخَالِقِينَ، أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ أَحْسَنَ دِينٍ، فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، وَخَلَقَ آدَمَ أَحْسَنَ مَخْلُوقٍ، خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَجَعَلَهُ وَذَرِيَّتَهُ خَلَفَاءَ الْأَرْضِ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/ ٣٠].



فمن آمن ازدادت صورته حُسناً وجمالاً، في الظاهر والباطن: ﴿صَبَغَةَ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبَغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ﴾ [البقرة/ ١٣٨].  
 ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ [٢٢] إِلَى رَيْهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ [القيامة/ ٢٢ - ٢٣].

فمن نور قلبه بالتوحيد والإيمان والتقوى؛ نور الله صورته جمالاً ونوراً في الدنيا والآخرة: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [١٢] [الحديد: ١٢].

ومن كفر ازدادت صورته قبحاً وسفلاً في الظاهر والباطن: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [٤] ثُمَّ رَدَدْتَهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ [التين/ ٤ - ٦].

فتصور صور الخلق يوم القيامة وتبيض وتسود، وتثاب النفوس وتُعاقب حسب إيمانهم وكفرهم وأعمالهم: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [١٦] وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَبِهِ رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ [آل عمران/ ١٠٦ - ١٠٧].

فسبحان الكريم الذي أكرم بني آدم بحُسن الخلق، وحُسن الخلق، وحُسن الصورة، وحُسن الرزق، وحُسن الدين، وحسن العمل، وحُسن الثواب: ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسَ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ [٣٦] [الأعراف/ ٢٦].

فالخلق والإيجاد والرزق هو عطاء الربوبية، والهداية وعبادة الله وتوحيده والإيمان به، هو عطاء الألوهية، فذاك عطاء ربوبيته وهذا عطاء ألوهيته، وعطاء ألوهيته تشریف لهذا العبد الذي خلقه الله: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامُكُمْ بِلِ اللَّهِ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [١٧] [الحجرات: ١٧].

بأن يعبد رباً واحداً، ومن لم يعبد واحداً، فلن يتركه الشيطان حتى يعبد ما سوى الله ﷻ، والإنسان إما عابد لله، أو عابد لعبد الله، وعبادة الواحد تغنيك عن عبادة كل أحد: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ وَليّاً فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٤] [الأنعام: ١٤].

ويجب على الإنسان أن يعرف أن خلق وتصوير الخالق المصور لا غاية له، ولا منتهى له؛ فالخالق العليم جل جلاله يخلق ويصور في كل آن ما لا يعلمه ولا يُحصيه إلا هو من المخلوقات والصور في السماء والأرض، وفي الدنيا والآخرة: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلَّاقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر/ ٢٤].

فالكل خلقه، والكل عبده، والكل يشهد بتوحيده، والكل يسبح بحمده، والكل خاضع لمشيئته، والكل مسرع لإرادته؛ لأنه الملك الحق والرب الحق، والإله الحق، الذي له ما في السموات وما في الأرض: ﴿سُبِّحَ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء/ ٤٤].

فسبحان ربنا العزيز الكبير، الخالق العليم، القوي القادر على كل شيء: ﴿ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فليحرص كل مسلم ومسلمة على معرفة ربه العظيم بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة دينه وشرعه، ومعرفة ثوابه وعقابه، والعمل بموجب ذلك قاصداً وجه ربه الكريم؛ ليكون من الفائزين: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة/ ٥].

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب/ ٧١].

الله ﷻ يريد منا معرفة هذا الاسم العظيم؛ لنعرف كمال عظيمته وجلاله وجماله في تصوير المخلوقات المختلفة في العالم العلوي، والعالم السفلي.

فالله وحده هو المصور الذي صور المخلوقات كلها بشتى أنواع الصور التي تتكرر في كل ثانية، فلكل مخلوق صورة تخصه وتميزه عن غيره، في ذاته وصفته، ولونه وشكله، وذلك كله دال على جلال الله وجماله: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

فالتصوير كله من المصور وحده جل جلاله، وذلك يقتضي أن لا يتشبه الإنسان بما انفرد الله به من الخلق والتصوير.

قال ﷺ: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

والله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، خلق جميع المخلوقات وأظهرها من العدم، وصورها كما شاء على مقتضى الحكمة، إظهارًا لجلاله وجماله، وإحسانًا إلى خلقه، وتحقيقًا لمصالحهم، وإظهارًا لقدرته، وجميل إحسانه: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

ومن عرف ذلك وحد ربه وكبره وأحبه ومجده، وحمده وشكره، وأفرده بالعبادة وحده دون سواه: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

فلا يجوز للإنسان أن يشرك مع الله غيره إذا عرفه بأسمائه وصفاته: ﴿أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾ [الأعراف: ١٩١-١٩٢].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٥٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٠٩).



فُرُوجَهُمْ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً  
وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥].

فجمال الأحكام والآداب والسنن على المسلم والمسلمة، أجمل من الأزهار والأوراق  
والثمار على الأشجار.

والتصوير لذوات الأرواح من الكبائر، فالله ﷻ لعن المصورين، وتوعدهم بالعذاب  
الأيام.

### • وفي التصوير آفتان عظيمتان:

الأولى: أن في تصوير ذوات الأرواح مضاهاةً لخلق الله.

قال ﷺ: «قال الله ﷻ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً  
أَوْ شَعِيرَةً» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

الثانية: أن التصوير ذريعة للشرك وقد حصل ذلك في قوم نوح لما صوروا صالحهم  
ليذكروهم، ثم بعد ذلك عبدوهم: ﴿وَقَالُوا لَا نَدْرَأُ الْهَتِكُمْ وَلَا نَدْرَأُ وَدًا وَلَا سَوْاعًا وَلَا يَغُوثَ  
وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا نَزِدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ [نوح/ ٢٣ - ٢٤].

فالتصوير كله للمصور، الذي يصور خلقه كيف شاء، في أي وقت شاء؛ وجمال الظاهر  
والباطن مطلوبٌ من المسلم، لكن الأصل جمال الباطن.

قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صَوْرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»  
أخرجه مسلم<sup>(٢)</sup>.

فجمال صورتك أيها المسلم بالصفات التي يجبها الله من الإيمان والتقوى، والصدق  
والصبر، والذكر والشكر، والإحسان بالقول والفعل، والركوع والسجود، والخضوع  
والخشوع: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ  
السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٥٥٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢١١١).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤).

وَلَشَرَّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ [التوبة/ ١١٢].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللّٰهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوْهُ بُكْرَةً وَّاَصِيْلًا ﴿٤٢﴾﴾

[الأحزاب/ ٤١-٤٢].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَرْكَعُوْا وَّاَسْجُدُوْا وَّاعْبُدُوْا رَبَّكُمْ وَّافْعَلُوْا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ

تُقْلِحُوْنَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج/ ٧٧].

فالله ﷻ ملاً الدنيا بمحوباته هو، وهي جميع أنواع الطاعات، والواجبات والمستحبات، وملاها بمحوبتك أنت من المطاعم والمشارب، والملابس والمراكب، والمسكن والمناجح، كل ذلك امتحان للعباد: ﴿أَحْسَبَ النَّاسُ اَنْ يُتْرَكُوْا اَنْ يَقُوْلُوْا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُوْنَ ﴿٢﴾ وَّلَقَدْ فْتَنَّا الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ اللّٰهُ الَّذِيْنَ صَدَقُوْا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِيْنَ ﴿٣﴾﴾

[العنكبوت: ٢-٣].

وملاً الآخرة بمحوباتك أنت؛ ففي الجنة مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ اَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ ﴿١٧﴾﴾

[السجدة: ١٧].

وفوق ذلك رؤية الله، وسماع كلامه: ﴿وَجُوْهُ يَوْمَئِذٍ نّٰضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ اِلَى رَبِّهَا نٰظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾

[القيامة/ ٢٢-٢٣].

فمن جمل نفسه في الدنيا بالإيمان والتقوى؛ جملة الله يوم القيامة بأحسن صورة.

كن أحسن الناس صورة؛ فكما أحسن الله صورتك خلقاً؛ فجمل صورتك بالإيمان والتقوى والصفات التي يجبها الله: ﴿وَنَفْسٍ وَّمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُوْرَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ اَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس/ ٧-١٠].

واشكر من خلقك وزرقتك وهداك: ﴿وَاَعْلَمُوْا اَنَّ فِيْكُمْ رَسُوْلَ اللّٰهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِيْ كَثِيْرٍ مِّنَ الْاَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَّلٰكِنَّ اللّٰهَ حَبَّبَ اِلَيْكُمْ الْاِيْمَانَ وَزَيَّنَّهٗ فِيْ قُلُوْبِكُمْ وَكَرِهَ اِلَيْكُمْ الْاَكْفَرَ وَّالْفُسُوْقَ وَّالْعَصِيّٰنَ اُولٰٓئِكَ هُمُ الرّٰشِدُوْنَ ﴿٧﴾ فُضِّلًا مِّنَ اللّٰهِ وَنِعْمَةً وَّاللّٰهُ عَلِيْمٌ حَكِيْمٌ ﴿٨﴾﴾

[الحجرات: ٧-٨].

فالحمد لله على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى .

وإذا أحسنت صورتك أمام ربك، وأمام خلقه بالقول الحسن، والعمل الصالح، والخلق الطيب، فاجتهد على تحسين صور الناس الظاهرة والباطنة بالإيمان والتقوى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت: ٣٣].

هذه صبغة الله، فكيف ننقل هذه الصورة الحسنة لتكون صورة لكل إنسان على وجه الأرض؟ ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ لِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف/ ١٠٨].

فالله ﷻ هو المصور وحده لا شريك له، وحرّم على عباده أن يصوروا الصور لذوات الأرواح، لما فيها من مضاهاة خلق الله، ولهذا قال الرسول ﷺ: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

#### • والمصورون ثلاثة أقسام:

الأول: من صور الصورة لتعبد؛ وهذا صانع الأصنام، فهذا كافر، وهو أشدهم عذابًا.  
الثاني: من صور الصورة قصد مضاهاة خلق الله، واعتقد ذلك، فهذا كافر، له من أشد العذاب ما للكفار، ويزيد عذابه بزيادة قبح كفره.

الثالث: من لم يقصد بالصورة العبادة، ولا المضاهاة، وهذا فاسق، وصاحب ذنب كبير لكنه لا يكفر.

والتصوير سبب في عبادة الأصنام كما حصل في قوم نوح، وسبب لفساد الأخلاق كما في زماننا هذا، فالتصوير للنساء، والتصوير للمغنيين والمغنيات والعاشرات، هو الذي نقل العربي، والفساد في العالم؛ فهو أفسد الأخلاق في زماننا، وأفسد التوحيد في الأمم السابقة، وما عبد غير الله ﷻ إلا بسبب التصوير.

متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٥٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٠٩).

فلنجنب التصوير، ونعلم أنه ذنب عظيم، وقد ورد في تحريم التصوير أكثر من ثلاثين حديثاً، كلها صحت عن النبي ﷺ.

فلنجنب تصور ذوات الأرواح، ولا نتعدى حدود الله، وندع التصوير للمصور جل جلاله، ونكتفي بالصور التي صورها الرب، التي تذكر بالرب، الذي صور السموات والأرض، والجبال والبحار، والشمس والقمر، وصور الإنسان والحيوان، وغير ذلك من المخلوقات: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فسبحان الملك القادر على كل شيء، الذي يصور جميع الصور في العالم العلوي والعالم السفلي، والتصوير من صفات الأفعال؛ فهو سبحانه يصور أعداداً لا يُحصيها إلا هو، لا تُعجزه أعداد يصورها، ولا صور يخترعها، ولا أشكال يبتدعها؛ لا إله إلا هو؛ فاعبده واملاً وقتك بما يحبه ويرضاه من أنواع الطاعات، واملاً وقتك وقلبك ولسانك بحمده كما ملأ لك الكون بنعمه الظاهرة والباطنة: ﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [١٣٠] وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [١٣١]. [طه/ ١٣٠ - ١٣١].

فسبحان الخالق البارئ المصور، الذي خلق صور البشر كلهم من نفس واحدة، وخلق زوجها.

فلا يشترك اثنان قط في صورة واحدة؛ فليكن هذا الخلق والتصوير واعظاً لك، وموجباً لطاعة مولاك وتقواه: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١]. [النساء/ ١].

فهل ترى أيها المسلم، وأيتها المسلمة، هل ترى في الكون إلا الخالق والمخلوقات والمصور والمصورات، والملك والمملوكات، والأمر والمأمورات، والقاهر والمقهورات.



إذا عرفت ذلك؛ فاعبده، وتوكل عليه، يُسعدك ويرضيك في دنياك وأخراك: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ  
 اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ  
 بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [يونس / ٣].

واعلم أن ربك وحده لا شريك له هو المتفرد بالخلق والتصوير، والتقدير والتدبير، وإنما  
 كلف عبده الإنسان باستصلاح صفات نفسه، وإحالتها إلى ما يحبه ويرضاه، من التوحيد  
 والإيمان والإسلام والإحسان، والتقوى ومحاسن الأقوال، والأعمال والأخلاق، فاهرع  
 رحمة الله وإياك إلى الخالق البارئ المصور، الهادي إلى ما يحبه ويرضاه، وقف ببابه متذللًا  
 بين يديه، واسأله أن يوفقك ويهديك إلى الصراط المستقيم، وسُبل مرضاته، متوسلاً إليه  
 بتوحيده قائلاً: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ  
 وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا  
 الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة / ٢-٧].

والزم باب العبودية والطاعة لله، ولا يغرنك الشيطان، فتعمل بمعصيته، أو تعمل بما  
 يرضيه تارة، وما يُسخطه تارة، فتندم وتحسر: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ  
 بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ  
 أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البقرة / ٨٥].

وأكثر من الحمد والشكر لربك رب العالمين، الذي خلق فسوى، وصور فأحسن، وأنعم  
 فأكرم، السابق إلى عبادته بأنواع الإحسان، لا إله إلا هو الرحمن الرحيم.

واعمل بشرع ربك، وادعُ إلى سبيل ربك، واصبر على ما أصابك، لعلك تُفلح وتنجو  
 من الخسار: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
 وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر / ١-٣].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].  
 ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا آتَيْتَنَا وَتَوَّعْنَا لِمَا أَتَيْنَا لَا تَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾

[آل عمران: ٥٣].

﴿ رَبَّنَا ءَايَاتِكَ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَدْ آتَيْنَاكَ النَّارَ ﴿٢٠١﴾ ﴾

[البقرة: ٢٠١].

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٨].

اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وجميع سخطك.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت غير من زكها، أنت وليها ومولاها.

اللهم افتح لنا أبواب رحمتك، ويسر لنا سبل معرفتك، وارزقنا صدق توحيدك، وحسن

عبادتك يا أرحم الراحمين.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات إنك

سميعٌ قريبٌ مجيب الدعوات.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

## في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

### الباب العاشر

ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية :

٤٢ - اسم الله الغني .

التعبد لله عز وجل باسمه الله الغني .

٤٣ - ٤٤ - اسم الله الرزاق .. الرزاق .

التعبد لله عز وجل باسمه الرزاق .. الرزاق .

٤٥ - ٤٦ - اسم الله الكريم .. الأكرم .

التعبد لله عز وجل باسمه الكريم .. الأكرم .

٤٧ - اسم الله الحميد .

التعبد لله عز وجل باسمه الله الحميد .

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحَسَنَاتِ

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الغني

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله الغني

الله جل جلاله له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

اسم الله ﷻ الغني من أسمائه الحسنى جل جلاله، والله ﷻ خلق هذا الإنسان، وخلق فيه طاقات وملكات وقدرات وأمرنا أن نستعمل هذه الطاقات والملكات والقدرات في معرفته، في التعبد له، ودعوة الناس إليه: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل/ ٧٨].

فطريق التوحيد الأعظم هو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه ووعدته ووعيده: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثُونَكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

#### • هذه سبع مسائل عظيمة:

معرفة الله .. ومعرفة أسمائه .. وصفاته .. وأفعاله .. وخزائنه .. ووعدته .. ووعيده.  
هذه المعارف إذا جاءت في القلب مع أركان الإيمان، امتلاء القلب إيماناً، فنطق اللسان بالذكر والحمد لربه، والتعظيم له، وتحركت الجوارح بطاعة الله، وجاءت العبادات تشتهيها النفوس، فتؤديها إلى ربه بالحب له، لما تراه من إنعامه وإحسانه، وكمال أسمائه وصفاته، وعزة جلاله وجماله جل جلاله، فتؤدي العبادة بالحب لربه، والتعظيم له، والذل له لما تعلمه من عظمة أسمائه وصفاته، وشهود الكبرياء له، وعظمة ملكه وسلطانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [٢٢].  
﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٢٣] ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٢٤].  
[الحشر: ٢٢-٢٤].

فهذه المعرفة هي غذاء القلوب، وإذا تغذت القلوب بالإيمان، انقادت الألسنة والجوارح

لطاقته وذكره، والتسليم لأمره، والتوكل عليه، والوقوف ببابه، وسؤاله، والاستغناء به عما سواه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأَنْفَال: ٢ - ٤].

فالله ﷻ له صفات الجلال، وله صفات الجمال، فمن صفاته جلاله أنه القوي، القادر، القاهر، الواحد، الأحد، الصمد، العزيز الجبار وغيرها. ومن صفات جماله أنه الرحمن، الرحيم، الحليم، العفو، الغفور، الرزاق، الكريم، الغني، اللطيف.

فلا بد من معرفة صفات جلاله، وصفات جماله. والناس كذلك رجالاً ونساءً، إما أن تظهر فيهم صفات الجلال، أو صفات الجمال، أو هما معاً.

كل واحد من البشر إما أن تظهر عليه صفات الجمال، أو تظهر عليه صفات الجلال والهيبة، نسأل الله ﷻ أن يرزقنا من هذه وهذه، من صفات الجلال وصفات الجمال. فصفات الجمال لله تولد في القلب حب الله، وصفات الجلال تولد في القلب الهيبة والتعظيم والذل للكبير المتعال جل جلاله.

هذا القلب يحتاج إلى وجبات إيمانية، تملأه إيماناً وتوحيداً، ورغبةً في الطاعات، ونفوراً من المعاصي، وأعظم المعارف هو معرفة لا إله إلا الله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرْ لَذُنُوبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثُونَكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩]. واعلم أن الله غني حميد، لا بد أن نعرف أن الله غني عما سواه، حميد على جميل إحسانه، هو المحمود في العالم العلوي والعالم السفلي جل جلاله.

هو الحميد الذي يحمده أهل السماء وأهل الأرض، لجلاله وجماله. فالله ﷻ هو الغني الحق الذي استغنى عن الخلق كلهم، بعظمة ملكه، وجلال كبريائه، وعز سلطانه، وكمال قدرته، وعظمة خزائنه: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾ [لقمان/ ٢٦].

الله ﷻ ملك عظيم، له ملك عظيم، وملكه العظيم يدل على كمال غناه، ونحن من مملكته وعبيده، فكل ما سوى الله عبد لله، كان معدومًا فأوجده الله، وحين أوجده فهو في ملكه، وحياته وموته بيده.

والله ﷻ من على الإنسان وجعله مختارًا أن يؤمن أو يكفر، أو يطيع أو يعصي، وأنعم عليه بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وزوده بالسمع والبصر والعقل؛ ليتلقى الوحي من ربه؛ ويعرف الخير من الشر، والحق من الباطل: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف / 29].

فمن أحسن فلنفسه، ومن أساء فعليها، والله غني عنه وعن عمله: ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 6].  
فالله غني، ومظاهر غناه ممدودة في الكون؛ كل ما نراه من المخلوقات ملكه جل جلاله، فالله ﷻ غني بملكه العظيم.

الله ﷻ له ملك السموات والأرض، وله ما في السموات وما في الأرض، وله غيب السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض، وله ميراث السماوات والأرض.

كل العوالم له، عالم الجهاد بأنواعه، من جماد من سماء من أرض، ومن ماء، ومن بحار، ومن معادن، ومن ذرات: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الأنعام: 31].  
[لقمان: 26].

كل هذه الجهاديات ملكه، وتحت تدبيره وتصرفه.  
وعالم النبات بصنوفه التي أحصى منها الخلق الآن ما يزيد على أربعين مليون من العائلة النباتية.

هذا كله ملكه، وكل عائلة قبائل، وشعوب، وأفراد وأسر، النخل عائلة، التفاح عائلة العنب عائلة، القمح عائلة.

هذه الخلائق كلها ملكه، مودعة في خزائنه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر / 21].

وعالم الحيوان في البر والجو والبحر ملكه، جميع عالم الحيوان ملكه، وعالم الإنسان ملكه،

يعيش على وجه الأرض الآن أكثر من سبعة مليارات من البشر، كلهم يسكنون في ملكه، ويأكلون من رزقه.

هو الغني الذي لا تنقص خزائنه أبدًا، لأن المحدود إذا أخذ من المحدود ينقص، أما المحدود إذا أخذ من غير المحدود فلا ينقص أبدًا، سبحانه هو الغني له ما في السموات والأرض جل جلاله: ﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص / ٥٤].

فالله ﷻ هو الغني الكريم، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨].  
لا بد أن نعرف هذا؛ حتى يتأثر القلب، وإذا تأثر القلب تأثرت الجوارح، فصار الإنسان مستسلمًا لربه الغني، ومتوكلاً عليه، ومفتقرًا بين يديه.

وهو سبحانه الغني الكريم الذي له خزائن السموات والأرض، وخزائن الدنيا والآخرة، وخزائن عالم الغيب وعالم الشهادة، وعنده خزائن كل شيء، وله كل شيء، له ما في السموات وما في الأرض: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠].

فكل شيء يسبح بحمده، ويشهد بوحدانيته، ويخضع لقهره: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].

هو الغني الذي لا بداية لغناه، ولا نهاية، ولا أول ولا آخر، والغنى صفة ذاتية له، فهو الغني والغني هو الذي لا تنقص خزائنه أبدًا مع كثرة الإنفاق، لأن من تنقص خزائنه فقير إلى ما نقص؛ حتى يعيده مرة أخرى، لكن الله ﷻ لا تنقص خزائنه أبدًا، فهذه السموات والأرض، وما فيهن من المخلوقات، كل هذا من خزائنه جل جلاله: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

هو سبحانه الغني الذي بيده كل شيء، وله كل شيء: ﴿وَإِنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر / ٢١].

هو سبحانه الغني الذي يقول للشيء كن فيكون، والخلائق كلها بيده، فهو سبحانه الغني، وكل ما سواه فقير، الغني عن كل ما سواه، الغني الذي لا حاجة له إلى أحد أصلاً، بل الخلق كلهم فقراء إليه، وإلى فضله وإحسانه: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ



وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ [فاطر / ١٥].

فسبحان الغني الذي لا يعجزه ما يريد: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلِمَةٍ بِلَبْسٍ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٤٩-٥٠].

وهو سبحانه الغني الكريم، الذي أغنى جميع الخلق من فضله، فكما أنه لا خالق غيره، فكذلك لا رازق غيره، ولا رب غيره، ولا إله غيره ولهذا استحق العبادة، لجلاله وجماله، وكمال أسماؤه وصفاته وإنعامه وإحسانه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فأنا لا أعبد فقيراً، ولا أعبد ضعيفاً ولا أعبد جاهلاً، ولا أعبد عاجزاً، إنما أعبد رب السموات والأرض، ملك السموات والأرض، الغني الحميد، العزيز القادر، الغني الكريم جل جلاله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

فالله ﷻ يريد لي الكمال؛ لأنه أمرني أن أتصل به، ومن كان في معية العزيز فهو عزيز، ومن كان في معية القوي فهو قوي، ومن كان في معية الغني فهو غني، استغنى بفضل الله ونعمته ودينه عن كل ما سوى الله ﷻ: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

فهو سبحانه الغني الكريم، المحسن الذي يجود على خلقه بصنوف النعم في كل ثانية، فعالم الحيوان، وعالم النبات، وعالم الجن، وعالم الإنس، ومن في البر والبحر، كلهم قاعدون على موائد نعمه، وكلهم يأكلوا من رزقه، وكلهم يسكنون في ملكه: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود: ٦].

فسبحان الصمد، الذي تصمد إليه الخلائق كلها في العالم العلوي، والعالم السفلي، وفي البر والجو والبحر، تصمد إليه في قضاء حوائجها؛ فيشفيها من مرضها، ويرزقها من فضله، ويُغنيها بعد فقرها؛ لأنه الحي القيوم الذي له الملك كله، وله الخلق كله، وله الأمر كله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٣﴾﴾ [الإخلاص: ١-٤].

فالله وحده هو الخالق الذي خلق الخلق وحده لا شريك له، بحرفين من كلامه خلق

الخلق: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ [يس / ٨٢ - ٨٣].

خلق الكثير كخلق القليل عنده سواء: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَافًا وَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿٢٨﴾ [لقمان: ٢٨].

بيده ملكوت كل شيء، إذا شاء ليلاً كان ليلاً، إذا شاء نهاراً، كان نهاراً، إذا شاء برداً كان برداً، إذا شاء حراً كان حراً، إذا شاء أمناً كان الأمن، إذا شاء أن يكون الخوف، كان الخوف، إذا شاء ذكراً كان ذكراً، إذا شاء أنثى كان أنثى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٦٨﴾ [القصص: ٦٨].

هو الواحد الأحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وكل ما سواه فقير إليه، فقير إليه في وجوده، وفي حركته وسكونه، وفي طعامه وشرابه، وفي حياته وموته: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ﴿١٥﴾ [فاطر / ١٥].

وهو سبحانه الخالق الذي خلق الخلق وحده لا شريك له، وهو الغني الذي يرزقهم وحده لا شريك له، فيجب عليهم أن يؤمنوا به، وأن يعبدوه وحده لا شريك له، لماذا؟ لأنه الخالق الذي خلقهم، وهو الرزاق الذي يسوق إليهم أرزاقهم، سوق الأرزاق إلى هذه العوالم الكثيرة يحتاج إلى قوة، وإلى قدرة، وإلى علم، وإلى سمع، وإلى بصر: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨].

فسبحان القوي المتين، الغني الكريم الذي يسوق الأرزاق لجميع الخلائق في كل لحظة، بل كل إنسان، كل مخلوق، كل كائن من عالم النبات، وعالم الحيوان، وعالم الإنسان، وعالم الجن وغيرهم كلهم تساق إليهم أرزاقهم كميةً ونوعيةً، ومكاناً وزماناً، وكل هذه الأرزاق من خزائن الغني، فكيف بغيب السموات؟ وكيف ما عند الله ﷻ؟! ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرَهُ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ ﴿٢٧﴾ [الزمر: ٦٧].

الله ﷻ له كل شيء، ولا يعجزه شيء، فهو الغني الذي يستحق أن يعبد وحده، وأن يشكر فلا يكفر، فاعرف ربك بأسمائه وصفاته، حتى تعبد الله بالحب والتعظيم والذل

له، وتكون الطاعات له شهوات: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيْتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

فيجب علينا بعد المعرفة أن نعبد الرب الذي خلق وورزق، الرب الغني، الرب الذي له صفات الجلال والجمال: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

يجب أن نعرف الله بأسمائه وصفاته؛ حتى لا نجعل له أنداد في أسمائه وصفاته وأفعاله، ولا نعبد مع الله غيره، بل نعبد وحده لا شريك له؛ لأنه هو الخالق الذي خلقنا، وخلق أرزاقنا، وخلق الخلق كله جل جلاله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

هو جل جلاله الواحد الأحد، الذي خلق كل أحد، الغني الكريم الذي قسم الأرزاق على كل أحد، وذكر الكل ولم ينس أحدًا، وهو الملك الغني الذي أنعم على الخلائق بنعمه التي لا تُعد ولا تُحصى: ﴿وَأَتَانَكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْنَ إِنَّهَا لَلْإِنْسَانِ لَظُلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

ظلوم لنفسه، وظلوم لغيره، كفار بنعم الله، أعطاني الله السمع والبصر والعقل ماذا عملت بهذا؟ أعطاني الوقت ماذا عملت به؟ أنعم علي بنعم من الطيبات ماذا عملت بها؟ وماذا عملت بعد الانتفاع بها؟ أنعم علي وأنعم علي غيري، أعطاني خيرًا، وصرف عني شرًا، فهل حمدته وشكرته، هل آمنت به وعبدته: ﴿الَّذِينَ تَرَىٰ إِلَىٰ الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٣٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَبَسَّ الْقَرَارُ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم: ٢٨-٢٩].

هو جل جلاله الملك الغني الذي أنعم على الخلائق بنعمه المختلفة، القوي الذي يسوقها إليهم في البر والجو والبحر في كل آن، لأنه له خزائن السموات والأرض. فسبحان الغني الذي يملك كل شيء، وعنده خزائن كل شيء، خزائن الرحمة والقوة والعزة بيده، خزائن المخلوقات والأشياء والذرات بيده، خزائن الحبوب والثمار والمياه

بيده، خزائن الجهاد والنبات والحيوان بيده، خزائن الأسماك والأبصار والعقول بيده، خزائن الحروف والكلمات والأرقام والأنفاس بيده: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِإِقْدَارٍ مَعْلُومٍ ﴾ [الحجر / ٢١].

هو الغني سبحانه عن كل ما سواه، الغني عن جميع خلقه، المسلم والكافر، والبر والفاجر، والعالم والجاهل، والغني والفقير، والعبيد والملوك: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [إبراهيم / ٨].

فالله غني حميد جل جلاله، غني عن العالمين، فقد كان الله، ولم يكن شيء قبله، كان الله ولم يكن معه شيء، وكان عرشه على الماء، ثم خلق الخلائق، فالله عز وجل أول ما خلق الله القلم أمره بكتابة كل شيء، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ: اكْتُبْ، فَقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ» أخرجه أبو داود<sup>(١)</sup>.

فجری في تلك الساعة ما قدر الله من المخلوقات من عالم الجهاد، والنبات، والحيوان، والأرزاق، والآجال وغير ذلك.

فالله عز وجل يعلم ما كان وما يكون وما سيكون؛ لأنه عالم الغيب والشهادة، وعلمه مطلق، فهو غني بذاته وأسمائه وصفاته، ومملكه وسلطانه، لا يحتاج إلى أحد، بل كل أحد محتاج إليه، فسبحان الملك العظيم الغني الكريم عن كل أحد، الذي يحتاج إليه كل أحد: ﴿ سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [يونس: ٦٨].

هو الغني الحميد الذي لا يعامل أحداً معاملة إلا ويستحق عليها الحمد، سواء كان فيما يحب أو فيما يكره، فما يقضيه الله عز وجل كله خير: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [لقمان / ١٢].

فالذي يشكر يشكر لنفسه، والله غني قبل أن يخلقنا، وإذا أعطانا فهو غني، فالله عز وجل لا تنقص خزائنه، فهو الغني بذاته، الغني الذي وهب الغنى لكل غني، الغني الكريم الذي يعطي عباده من نعمه كل آن، من يطيعه ومن يعصيه، الغني الذي أغنى بعض عباده عن بعض، وأحوج بعضهم إلى بعض، هو الغني الذي قسم الغنى على عباده بالعدل، وما من غني في الوجود إلا وهو من جناب الغني ممدود: ﴿ أَهْمٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٤٧٠٠).

قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ  
بَعْضًا سُلْخِيًّا وَرَحِمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ [الزخرف: ٣٢].

كل غني غناه من ربه الذي وهبه الغنى؛ لأن الغنى لا يأتي إلا من غني، من خزائن  
الغنى، والله ﷻ ابتلى عباده إما بالغنى وإما بالفقر؛ ليظهر عبودية الشكر عند بعضهم،  
وعبودية الصبر عند البعض الآخر: ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فَتَنَّا وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾  
[الأنبياء: ٣٥].

فتؤمن بالقضاء والقدر، ونعلم أن الله ﷻ حكيم يضع الشيء في موضعه، ويعلم أن عبده  
هذا لا تصلح له إلا الحال التي هو عليها، من غنى أو فقر، أو صحة أو مرض، ولكل  
عبوديته ولكل أجره وثوابه، لكن لا بد من الإيثار والعمل الصالح: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا  
مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل / ٩٧].

الله يعطينا الصلاة على أكمل وجه، الصوم، الدعوة، التعليم، بر الوالدين، يعطينا على  
الناقص الأجر الكمال؛ لأنه عظيم لا يعطي إلا العظيم؛ فيكتب لنا العمل الناقص  
كاملاً، ويعطينا على قدر هذا الكمال من فضله أجراً عظيماً: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ  
وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠].

فالحمد لله رب العالمين أن أعطانا الأسماع والقلوب والأبصار؛ لنعرف ربنا بأسمائه  
وصفاته، ونستأنس به، ونتلذذ بعبادته، ونذكره كثيراً، ونحمده كثيراً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ  
لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب / ٤١ - ٤٣].

فالله ﷻ يتودد إلينا بنعمه، ويعرفنا بأسمائه وصفاته؛ حتى نتوجه إليه وحده، لا نلتفت  
إلى أحد سواه، فله عزيز يريدنا أن نكون أعزة لا نذهب إلى ذليل مثلنا، أو دوننا من  
أحجار وأصنام، أو فوقنا من الكواكب، فلنذهب إليه وحده ولا نذل أنفسنا إلا للعزیز،  
لأن المؤمن عزيز لا يذل نفسه إلا للعزیز، لا يذل نفسه لذليل مثله، أو فوقه، أو تحته من  
المعبودات الأخرى: ﴿قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِيْ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ

وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ  
وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴿الزمر: ٦٤ - ٦٦﴾.

واعلم أن شأن الخالق أنه غني عن كل ما سواه، وشأن مخلوقاته أنهم جميعاً فقراء إليه، في خلقهم، وإمدادهم، وحياتهم، وبقائهم وموتهم: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أُمَّمُ الْفُقَرَاءِ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر / ١٥].

غني عن كل ما سواه، ومن سأل ربه الكريم أعطاه وأكرمه وأعزه، ومن سأل عبيده أذلوه وأهانوه وحقروه؛ فسل ربك الغني الكريم الذي يملك كل شيء: ﴿اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٦﴾﴾ [لقمان / ٢٦].

فاسأله؛ لأنه الغني الحميد الذي يعطي من أطاعه ومن عصاه؛ لأن خزائن النعم عنده: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

ومن استغنى بالله أغناه وكفاه، ومن أخذ من الدنيا ما شاء، أخذ بقدره هما وعمًا وعناء: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَزْهَقَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة / ٥٥].

ومن استغنى بالله عما في أيدي الناس أغناه الله، وأرضى عنه الناس، والله يغار على عبده أن يسأل غيره، فاسأل الغني يغنيك من فضله.

قال النبي ﷺ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعْنِ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» أخرجه الترمذي (١).

ومن احتاج إلى مخلوق، كان أسيره، ومن استغنى عنه كان نظيره، ومن أحسن إليه كان أميره، هذه ثلاث مسائل عظيمة، إذا احتجت إلى أحد من الناس في حاجة كنت أسيره؛ لأنه ملكك بها أعطاك، ومن استغنى عن المخلوق كان نظيره.

فأنا إذا احتجت أسأل ربي: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف / ٨٦].

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦).

حوائجي أطلبها من ربي الصمد جل جلاله، الذي له كل شيء، وعندة خزائن كل شيء، ومن أحسن إليه كان أميره؛ إذا أحسنت إلى أحد، كنت أميره بهذا العطاء الذي أعطيته. الله سبحانه هو الغني الذي أغنى جميع الخلق غناءً مطلقاً، فكلهم ينعمون بما أعطاهم الغني من الأرزاق، من الصحة والعافية، والطعام والشراب، وغير ذلك، وأغنى خواص خلقه بما أفاض على قلوبهم من الإيمان، ومعرفة جلاله وجماله، ومعرفة آلائه وإحسانه: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة / ٤].

فهو سبحانه الغني بذاته، والعبد فقير إليه بذاته، والعبد محتاج إلى ربه في جميع أحواله، لا غنى له عن ربه الغني أبداً.

في أبداننا أجهزة عظيمة، جهاز الدورة الدموية، والجهاز التنفسي، والجهاز العصبي، والجهاز الهضمي، وأجهزة كثيرة تعمل بهذا البدن، الغني هو الذي وهبها، والغني هو الذي يصرفها ويديرها: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدْبِرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقِنُونَ﴾ [٣١] ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [٣٢].

[يونس: ٣١-٣٢].

فألهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، وحاجة العبد إلى ربه لذاته لا لعله أوجدت تلك الحاجة، نحن فقراء بالذات إلى الله الغني الذي يملك الحاجات، وجميع الحاجات مستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته، وخاضعة لأمره، فسل ربك ما شئت، فالله لا يعطيك إلا ما ينفعك في دنياك وآخرتك.

أما الإنسان فهو يسأل ما يقدر عليه، لكن إذا أردت أن تسأل فاسأل أعظم شيء، ما هو أعظم شيء؟ أعظم شيء طلب الهداية: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [١] ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [٧] [الفاتحة / ٦-٧].

فلا إله إلا الله كم عظمة غناه، وكم عظمة ملكه وسلطانه! العالم العلوي والعالم السفلي، كله عبد فقير مملوك لربه الملك العزيز الجبار، ذو العظمة والملكوت والجلال والكبرياء: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [لقمان: ٢٦].

العرش له، والكرسي له، والعرش محيط بالكرسي، والكرسي محيط بالسموات،

السموات محيطة بالأرض، والله محيط بكل محيط، له ملك السموات والأرض، العرش له، والكرسي له، والسموات له، والأرض له، وما في السموات له، وما في الأرض له، وعالم الغيب له، وعالم الشهادة له، والدنيا له، والآخرة له؛ وله كل شيء: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

هو ملك عظيم جل جلاله، فإذا هلك العظيم، ومن عليك، وعرفك بأسمائه وصفاته، وأرسل إليك الرسل، وأنزل الكتب؛ فقد قامت الحجة عليك فاحمد الله على هذه النعمة: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مَلَّةَ آبَائِهِمْ خَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٦١] قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [١٦٢] لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ [١٦٣] [الأنعام/ ١٦١ - ١٦٣].

فسبحان من له الملك كله من جميع الوجوه.

ملك السموات، ملك الأرض، ملك الجبال، ملك البحار، ملك الحبوب، ملك المعادن، ملك الأموال، ملك الأنفس، ملك الملائكة، ملك الجن، ملك الإنس، ملك عالم النبات، ملك عالم الجماد، كل هذه ملكه: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوْتِي الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكِ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتَعَزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران/ ٢٦].

لا إله إلا أنت: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٧].

كم من الخلائق التي يرزقها الله ﷻ؟! كم في عالم البحار من مخلوقات، كم يدب على وجه الأرض من مخلوقات؟! كل الخلائق تأكل من نعمه، ولا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة، وفقر العالم كله إلى الغني سبحانه، فقر ذاتي لا يعلل، كل مخلوق فقير إلى خالقه.

• كل مخلوق من الخلائق مطبوع على أربع صفات:

فقير .. ضعيف .. عاجز .. محتاج.

محتاج إلى الخالق يخلقه، وإلى قوي يخلقه بهذه الصورة، وهو عاجز عن إدارة نفسه، وبقاء حياته، فكل مخلوق مطبوع على أربع صفات، تجعله يقف بباب الغني، باب القوي، بباب القادر، ويشهد لربه الغني بالغنى، ولنفسه بالفقر، ولا يملك إلا أن يسبح بحمده، مع المسبحين: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا



فَفَقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ [الإسراء / ٤٤].

فيا حسرةً على العباد! ما أجهلهم بربهم: ﴿ تَكَ أَيْدِي اللَّهِ تَتَلَوَّهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثية: ٦].

هذا بيان القرآن أعظم بيان، والكون المنظور أعظم مكان، نتعرف من خلالها على ربنا بأسمائه وصفاته، فمتى نعرف، وإذا عرفنا فيجب أن نعمل وأن نكبر الكبير، ونعظم العظيم، ونشكر المنعم جل جلاله؛ لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَتَوَلِّكُمْ ﴾ [محمد: ١٩].

فكل ما سوى الله ﷻ فقير إليه في خلقه وإيجاده، وفي بقائه، وفي حياته، وفي تدبيره وفي إمداده: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [هود / ٦].

لا إله إلا الله، كم عظمة علمه! وكم عظمة قدرته، وكم عظمة غناه! ومن فضل الله ﷻ علينا أن جعلنا فقراء إليه حتى نقف ببابه في كل حين: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١].

• وفقر جميع المخلوقات إلى ربها نوعان:

الأول: فقر إلى ربوبيته؛ وهو فقر المخلوقات بأسرها إلى خالقها؛ فكل الخلائق فقيرة إلى ربها في خلقها، وبقائها، وحفظها، ورزقها، وتدبيرها: ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر / ٦٢].

هو خلق الشمس، وهو الوكيل عليها، يعطيها الإنارة والحرارة ويجريها في السماء من المشرق إلى المغرب، فهي سامعة مطيعة؛ ولذلك هي محبوبة، لأن عندها مزاج السمع والطاعة له، فكل مطيع لربه محبوب، والسحب مطيعة تؤدي وظيفتها في إنزال الغيث في كل مكان من العالم؛ فهي محبوبة، لأنها سمعت وأطاعت لربها، ونحن متى نكون فائزين محبوبين لربنا وخلقنا؟ إذا أطعنا الله ﷻ، وخرجت منا المنافع لأنفسنا ولغيرنا: ﴿ وَالْعَصْرُ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر / ١-٣].

فالله يمسك السماوات والأرض أن تزولا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤١﴾ [فاطر: ٤١].  
 لو رفع الله عنها أمر البقاء، لخرت السماء على الأرض، لو رفع الله أمر البقاء عن الكون؛  
 لذهب وفني ولا نعلم أين ذهب، ولكن الله يبقيه بقدرته: ﴿وَيُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى  
 الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [الحج: ٦٥].

الثاني: فقر المخلوقات إلى ألوهيته وعبوديته، وهو فقر أنبيائه ورسله وعباده المؤمنين،  
 وهذا هو الفقر النافع، ولبه الافتقار إلى الله في كل حال.

هذا الفقر المطلوب، أن أقف بين يدي ربي منكسراً بين يديه، مكبراً له، حامداً له، معظماً  
 له، أقف بين يديه، أظهر فقري أمام الغني، وأظهر ضعفي أمام القوي، وأظهر عجزتي  
 أمام القادر جل جلاله، وأتكلم مع السميع الذي يسمعني، ومع البصير الذي يراني،  
 وأشكو إليه حالي، وأسأله قضاء حوائجي.

وأقف بين يديه في كل حين، ذاكراً له، ومكبراً له، وحامداً له؛ لأن الوقت له، والمكان له،  
 والإنسان له، فإذا اخترت ما يحبه ويرضاه أسعدني في الدنيا والآخرة، هذا الفقر إلى  
 ألوهيته وعبوديته، فخلقنا ورزقنا من عطاء ربوبيته، وعبادتنا له وحده لا شريك له، من  
 عطاء ألوهيته، ومن تشریف ألوهيته لنا، بأن جعلنا نعبد واحداً حتى لا نذل لغيره من  
 الخلائق، بل جعلنا عبيد له بالاختيار، فنحن نأتي إليه اختياراً، وكل ما سوى الإنس  
 والجن أتوا إليه اضطراراً، فاخترنا أن يكونوا مسخرين، وهذا هو الفقر النافع، ولبه  
 دوام الافتقار إلى الله ﷻ في كل حال: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ  
 الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

هذا من فضل ربي، ليس بيدي شيء، لا أعتد على قوتي، ولا على علمي، ولا على مالي،  
 ولا على ملكي: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ ﴿٧٦﴾ [ص: ٧٦].  
 وفرعونية كما قال فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ ﴿٢٤﴾ [النازعات: ٢٤].  
 وعندني قارونية: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨].

بل كل شيء من فضل الله ومنه علينا، فنحن فقراء إليه، ونفع عطاء الربوبية، وعطاء  
 الألوهية، عائد على العبد الفقير، والله غني عن الخلق، وما يعملون، هو الغني قبل أن

يخلق الخلق، وبعد أن أعطاهم: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت/ ٦].

ولماذا نعبده؟ لنفوز بثوابه، ولنكبر الكبير، ونعظم العظيم الذي له الملك كله، وله الخلق كله، وله الأمر كله، جل جلاله.

فهو أهل أن يعبد، فمن حقه أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فسبحان الغني لذاته عن كل ما سواه، الغني الذي لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، الغني الكريم المحسن إلى عباده بكل خير، الرحيم بهم مع كثرة معاصيهم، لكمال غناه وكرمه وكمال رحمته وإحسانه: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَأَلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ [النحل/ ٥٣].

وقال النبي ﷺ فيما رواه عن الله تبارك وتعالى: (يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَىٰ أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ مِّنْكُمْ، لَمْ يَنْقُصْ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ اجْتَمَعُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، ثُمَّ أُعْطِيتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مَا سَأَلَ، لَمْ يَنْقُصْ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْبَحْرُ يُغْمَسُ فِيهِ الْخَيْطُ غَمْسَةً وَاحِدَةً).

يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْفَظُهَا عَلَيْكُمْ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمِدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

هو سبحانه الكريم الذي دل خلقه عليه، وأرشدهم إلى سؤاله، وفتح لهم أبواب خزائنه العظيمة، وأعطاهم وأغناهم وهو الغني عنهم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥٦] أُرِيدُ مِنْهُمْ مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ [٥٧] إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ [٥٨]. [الذاريات/ ٥٦-٥٨].

فاعبدوه واسألوه ووحده وتوجهوا إليه وحده، فنحن الآن في دار الإيمان والعمل، وغداً نكون في دار الثواب والعقاب، فهذه الدنيا محدودة المكان والزمان، لا تليق بالمؤمن

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

الذي وحد ربه، فالله لا يرضى للمؤمن إلا أن يعيش في القصور الملكية بعد أن يمتثل  
الأوامر الإلهية في الدنيا، ثم يسكنه يوم القيامة القصور الملكية: ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ  
مَلِكٍ مُّقْدِرٍ ۝٥٥ ﴾ [القمر / ٥٥].

أسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم وجميع المسلمين والمسلمات من هؤلاء، والله ﷻ هو  
الصمد الذي جميع الخلائق تصمد إليه في جميع حوائجها.

ومن قصد إلى الله تعالى، ثم رجع عند حوائجه إلى غير الله، ابتلاه الله بالحاجة إلى الخلق،  
ثم نزع الرحمة من قلوب الخلق عليه، فتراه بينهم مذموماً مخذولاً، لماذا؟ ليعود إليه: ﴿ لَا  
تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ۝٢٢ ﴾ [الإسراء: ٢٢].

فالله ﷻ من فضله علينا أننا إذا توجهنا إليه في الصلاة، ثم رجعنا عند الحوائج إلى غيره؛  
يبتلينا بالحاجة إلى الخلق، حتى تظهر منة الخلق علينا، ثم نعود إليه، بعد أن عرفنا عجز  
غيره وفقره: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ۝٢١٣ ﴾ [الشعراء: ٢١٣].

ومن صدق في افتقاره إلى الله ﷻ، وشهد قدرته وغناه؛ ورجع إليه بحسن العرفان، أغناه  
الله عما سواه، ورزقه من حيث لا يحتسب، وأعطاه من حيث لا يرقب: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ  
يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ  
جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٣ ﴾ [الطلاق / ٢ - ٣].

فسبحان الغني الحميد الذي كل غنى ونعمة في العالم من فضله وإحسانه، كل غنى  
ونعمة ظاهرة وباطنة، وكل طاعة فمن فضله وإحسانه، وكل شر وسوء فمن فعل  
العبد: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۝٧٩ ﴾ [النساء: ٧٩].

الله ﷻ بين الخير من الشر، فكل الخير من فضل الله عليك، وكل الشر من فعل العبد،  
وسوء اختياره.

هو جل جلاله الغني الحميد، الذي أغنى عبده المؤمن بمعرفة ربه بأسمائه وصفاته،  
وأغناه بمعرفة دينه، فصار له حكمة بالغة، وسداد في الأقوال وصواب في الأفعال،  
وحسن في الأخلاق، وهذا هو الغني الحقيقي المحمود المطلوب: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ  
فَإِذْكَ فَلَيْفَ رَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨ ﴾ [يونس / ٥٨].

والله عَزَّ وَجَلَّ غني كريم، يعني عامة الخلق بالمال، والجاه، والعافية، والأولاد، وغيرها من النعم، ونعمه عظيمة على كل من أطاعه وعصاه، على كل من آمن به، وكفر به، هذه النعم العامة كلها من رب العالمين: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

الله غفور يتوب على عبده الذي عصاه مهما كانت ذنوبه، رحيم بعباده؛ ولهذا أنزل المطر ماءً عذباً، ونور لنا الكون بهذه الشمس، وأسكننا في الأرض التي تنبت من كل زوج بهيج، فهو غفور لمن تاب وأناب، لمن عصى الله، لأنه رحيم بعباده: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج / ٦٥].

ومن الناس من يغنيه الله عَزَّ وَجَلَّ بتصفية الأحوال، هؤلاء هم خواص الخلق، الذين اجتباهم وهداهم، وأغناهم عما سواهم: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [لقمان / ٥].

### • فأنواع العطاء من ربنا الغني قسان:

عطاء مادي وعطاء معنوي.

فالله عَزَّ وَجَلَّ أغنى أوليائه بكمال الإيمان والتقوى، وأغناهم بأحسن الأقوال، الإيمان غنى، والصدق غنى، والكرم غنى، والعلم غنى، والإسلام غنى، والحكمة غنى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ [الشرح / ١-٤].

والهداية غنى، والرعاية غنى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿٨﴾﴾ [الضحى / ٦-٨].

وجدك عرياناً فكساك، وجائعاً فأطعمك وسقاك، وخائفاً فآمنك: ﴿إِلَّا يَلْفُ فُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِلَيْهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ [قريش / ١-٤].

فما أعظم عطاء الغني لعباده: ﴿وَقَالُوا إِن نَّبِيعَ الْمُدَيِّ مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نُمَكِّنْ

لَهُمْ حَرَمًا مِمَّا يُحِبُّ إِلَيْهِ ثَمَرَتْ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾  
[القصص / ٥٧].

### • وأعظم أسباب المعاصي:

هو الجهل بالله وأسمائه وصفاته، فلا يعصي الله إلا جاهل، جاهل بربه، وبأسائه وصفاته، وجاهل بملكه وسلطانه، وجاهل بدينه وشرعه، وجاهل بوعده ووعيده: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿٣٥﴾ [الأنعام / ٣٥].

ولا يكفر بالله ويعصيه إلا سفيه: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٣٠﴾ [البقرة: ١٣٠].  
ومن عرف ربه الغني استغنى به عن سواه، وافتقر إليه في جميع أحواله.

وكلما افتقر العبد إلى ربه زاده غنى، وكلما تدلل إليه زاده عزاً وثواباً وكلما توجه إلى الخلق زاده ذلاً، واستهانوا به، وذلك من فضل الله عليه، ليعود إلى ربه: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ ﴿٦﴾ [الزمر / ٦].

﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٧﴾ [الزمر: ٧].

فسبحان الغني الرحيم الحليم الذي لا يعاجل عباده بالعقوبة، وهو القادر: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُمْ مَا يَشَأْ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ [الأنعام / ١٣٣].

هو الغني ذو الرحمة، وخزائن غناه ممدودة برحمته إلى خلقه، لأنه هو الرحمن الرحيم. وأعلم أن أغنى الأغنياء هو من عرف ربه بأسمائه وصفاته، وسارع إلى مرضاته بأنواع الطاعات، وأنفق في سبيل الله على عباده مما أعطاه ربه، وأعطى مما أعطاه ربه من نعمه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ [الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين] ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

فالله ﷻ خلق الإنسان في هذه الدنيا، وملاً الدنيا بمحوباته هو جل جلاله، وملاً الجنة

بمحبوباتنا نحن، محبوبات الرب: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّاجِدُونَ  
الرَّكَعُونَ السَّجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ  
وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة/ ١١٢].

وملأ الآخرة بمحبوباتنا نحن المؤمنين: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي  
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ  
أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

الله ﷻ يريد من عبده أن يكون في أعلى مقام في الدنيا، بأن يكون خليفة، يكون خليفة  
يطيع من استخلفه، وينفذ أوامره على نفسه بالعبادة، وعلى غيره بالدعوة: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا  
جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ  
عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص/ ٢٦].

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ  
الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

فلا يليق بالإنسان أن ينزل من رتبة الخلافة إلى رتبة البهائم والحيوانات، والسباع  
والشياطين، فيضر نفسه ويضر غيره، بل يجب عليه أن يجلس على كرسي الخلافة، فيتلقى  
الأوامر ممن استخلفه، وينفذها على نفسه، وينفذها على غيره، هذه وظيفتنا، ووظيفتنا  
تشريف لنا؛ ولذلك الإسلام شرفنا، وحاجتنا، ومسؤوليتنا، الإسلام شرفنا، يرفعنا من  
الرتبة الحيوانية، والرتبة السبعية، والرتبة الإبلية، إلى درجة عالية، درجة الأنبياء  
 والمرسلين، والملائكة المقربين: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ  
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

والمؤمن من امتلأ قلبه بالإيمان الكامل الحقيقي: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ  
وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا  
سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة/ ٢٨٥].

فارجعنا إليك على أحسن حال، بالتوحيد الكامل، والعمل الكامل، والأقوال الحسنة،  
والأخلاق العالية؛ هذا مراد الله ﷻ منا.

واسم الله الغني ورد في القرآن ثمانية عشر مرة، وورد في السنة في حديث عائشة ان النبي

ﷺ قال: «اللهم أنت الله لا إله إلا أنت، أنت الغني، ونحن الفقراء، أنزل علينا الغيث، واجعل ما أنزلت لنا قوة وبلاغاً إلى حين» أخرجه أبو داود<sup>(١)</sup>.

والله سبحانه هو الغني الذي له كل شيء، ولا يحتاج إلى أحد في أي شيء، وكل أحد محتاج إليه في كل شيء.

سبحانه هو الغني، الذي غناه صفة ذاتية له، فصفة الغنى لا تنفك عنه أبداً، وغناه لا أول له ولا آخر، ولا بداية له ولا نهاية، قدرته لا أول لها ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية، إنها المخلوق الذي غناه له أول وآخر، وله بداية وله نهاية، أما الله ﷻ فأسمائه وصفاته لا بداية لها ولا نهاية، ولا أول ولا آخر، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

هو الغني الذي استغنى بهاله من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والملك العظيم، عن الخلق كله، وكل ما سواه من المخلوقات فقير إليه فقراً ذاتياً، من الذرة الصغيرة، إلى العرش العظيم.

الله ﷻ أعظم مخلوقاته العرش، والله ﷻ لا يحتاج إلى العرش، بل العرش محتاج إليه، في خلقه وبقائه، الله ﷻ لا يحتاج إلى أحد، فالعرش أعظم المخلوقات محتاج إلى الرب في خلقه وبقائه، والله غني عن كل ما سواه: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ﴿٢٦﴾ [لقمان: ٢٦].

لا بد أن يتكلم اللسان ويخاطب الإنسان قلبه، حتى يعرف أن الله هو الغني الحميد، فيتوجه إليه في سؤاله، ولا يتوجه لغيره: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿١﴾ ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ ﴿٢﴾ ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ﴿٣﴾ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ﴿٤﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

وقد اقترن اسم الله الحميد مع اسمه الغني عشر مرات، كما قال سبحانه: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ﴿١٥﴾ [فاطر: ١٥].

وذلك والله أعلم إشارة إلى كمال غناه عن عباده، وأنه ليس به حاجة لأحد من خلقه، ومع ذلك فهو الغني الحميد الذي يحمده من شكره وأطاعه وعبده، مع أنه هو الذي خلقه، وهو الذي يمكنه من الطاعة، وهدها إليها، ويجازي المحسن بأفضل جزاء،

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١١٧٣).



وطاعات العباد وثوابها كلها من جوده وإحسانه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٦١) [الصافات / ٩٦].

واقترن اسم الله الحليم مع اسمه الغني مرة واحدة في القرآن، كما قال سبحانه: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ (٦٣) [البقرة / ٢٦٣].

وسر ذلك والله أعلم أن الله غني عن الناس وصدقاتهم، وهم المحتاجون لثواب الصدقات، فلا يمن أحد على غيره بصدقة، لأنها من الغني سبحانه.

والله أعطاك لتعطي، وثواب الصدقة عائد على من تصدق بها، ومع هذا فالله غني حليم لم يعاجل المان بالعقوبة، بل أمهله لسعة حلمه، ليتوب إلى ربه: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ (٢٧) ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ (٢٨) [النساء: ٢٧ - ٢٨].

والله سبحانه مع غناه التام من كل وجه، فهو موصوف بصفات الكمال من كل وجه، موصوف بالحلم على من عصاه، مع عطائه الواسع للبر والفاجر، والمؤمن والكافر.

فلا يمن المسلم الذي أعطاه الله بصدقته، مع قلة ما يعطي، لا يمن على الناس، هذا من فضل الله ﷻ، وليقل: هذا من فضل ربي، وإذا أعطاك الله فليراك معطيًا، وإذا أعناك الله فأكرم الناس بما أعطاك الله من مال أو علم أو خلق أو جاه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٤) [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

أما اسم الله الكريم، فاقترن باسم الله الغني في القرآن كذلك مرة واحدة، في قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ. وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (٤٠) [النمل / ٤٠].

وذلك والله أعلم إشارة إلى أن الله غني عن كل ما سواه، كريم على من أطاعه وعصاه؛ لأنه لا يريد لعباده إلا كل خير، ومن كفر فضل الله عليه، ولم يشكر إحسانه إليه، فعبد غير الله، فإن الله غني عن شكره، وهو كريم في إمهاله ورزقه لمن عصاه؛ لعل تتابع إحسانه إليه يرده إليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٤٣) [البقرة / ١٤٣].

فسبحان الغني بذاته وأسمائه وصفاته، ومملكه وسلطانه، عن كل أحد، الغني الذي كل

موجود سواه محتاج إليه في كل أحواله، في إيجاده، وإمداده، في جلب ما ينفعه، في دفع ما يضره، في أمور دينه ودنياه، محتاج إلى إنعام وإحسان الغني الحميد، وإلى هدى الغني الحميد: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر / ١٥].

ومن هداه الله سبل رضاه فليشكر ربه على ما أعطاه: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قَلَّ لَّا تَمْنُوا عَلَيَّ إِلَّا سَلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات / ١٧].

فالذي يتصل بالمؤمن سبحانه يجد الأمن، الذي يتصل بالقوي قوي، الذي في معية الكبير كبير، الذي في معية الصغير صغير، والذي في معية الغني غني، لأنه يقف بين يديه، يطيع أمره، ويجتنب نهيه، ويستغفر من ذنبه، ويصبر على بلائه، ويتنظر عطاءه.

هو سبحانه الغني الذي لا تنقص خزائنه مثقال ذرة مع كثرة الإنفاق، الغني الذي لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، ولو كفر به كل العالمين: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران / ٩٧].

هو الغني عن كل ما سواه: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [إبراهيم / ٨].

ربنا محمود على عظمة أسمائه وصفاته، محمود على عظمة ملكه وسلطانه، محمود على عظمة نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى.

هو سبحانه الغني الحميد الذي أحسن ويحسن إلى عباده بصنوف النعم والإحسان، في جميع الأماكن والأزمان والأحوال، يحسن إليهم، ويتودد إليهم، ليعبدوه وحده، ويطيعوه وحده، يعطيهم ويتودد إليهم بالنعم لا لجلب منفعة إليه، ولا لدفع مضرة عنه. بل لأن رحمته وسعت كل شيء وعطاؤه رحمة منه وإحسان إلى خلقه: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأنعام / ١٣٣].

هو سبحانه الغني عن كل ما سواه، الغني الذي كمل بنعوته وأوصافه وأفعاله الجميلة، الغني لجميع مخلوقاته، المنزه عن كل ما ينافي غناه من النقائص والعيوب، والصاحبة الولد، والشريك والمثيل والمعين: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكَلِدْ

وَلَمْ يُولَدْ ﴿٢﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ [الإخلاص / ١ - ٤].

هو الغني المحمود على كمال ذاته وأسمائه وصفاته: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذَلْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكِبْرَةٌ كَبِيرًا ﴾ [الإسراء / ١١١].

إذا عرف القلب ربه بأسمائه وصفاته، كم تكون عبوديته! كم يكون حاضرًا في جميع الميادين عبادةً، ودعوةً، وتعليمًا، وإحسانًا إلى الخلق، فهو يتنقل في الطاعات يريد مرضاة ربه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿١٩﴾ لِيُوقِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فاطر: ٢٩ - ٣٠].

هو سبحانه الغني الذي له كل شيء، ويحتاج إليه كل أحد في كل شيء: ﴿ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦١﴾ ﴾ [لقمان / ٢٦].

وهو الغني عن كل أحد في ألوهيته، فالله ﷻ لا يحتاج إلى عباده أن يعبدوه، بل نحن نحتاج إلى عبادة الله، والعبادة هي طاعة العابد لمعبوده فيما أمر به، وفيما نهى عنه، مع الحب والتعظيم والذل له: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٥].

فأنا المحتاج لعبادته، لأنني أربح عليه، هو الذي خلقني وهداني، وبين لي الدين الحق الذي يوصلني إليه، ويوصلني إلى الجنة؛ فله المنة والفضل علي، فعتاء ربوبيته بخلقه ورزقه وإمداده بالأقوات، وعتاء ألوهيته أن عرفني بالصراط المستقيم الموصل إلى رضوانه والجنة، وهداني إليه.

هو الغني عن كل أحد بألوهيته: ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ [العنكبوت / ٦].

ويقول الله ﷻ في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

وهو سبحانه الغني الذي أغنى جميع الخلائق من فضله؛ فكلهم يسكنون في ملكه، وينعمون بنعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿ وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٥).

فَالِيهِ تَجْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ [النحل: ٥٣].

نعمة السمع والبصر والعقل، نعمة الطعام والشراب، نعمة الأمن والعافية، نعمة الهداية، من نعم الله ﷻ.

وهو سبحانه الغني، الذي أغنى خواص خلقه بما فاض عليهم وعلى قلوبهم من العلوم والمعارف الربانية، والحقائق الإيمانية؛ فتراهم بين يديه عباداً وبين يدي خلقه دعاءً إلى الله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنْتَءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ [الزمر / ٩].

ومن صفات الأنبياء والرسل وأتباعهم، أنهم يبلغون رسالات الله؛ ويخشون ربهم ويعبدونه جل جلاله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ [التوبة: ٧١].

لأنني أحب أن يعبد الله، أغار على الناس أن يطيعوا الشيطان، أغار على الناس أريد أن يدخلوا الجنة، أغار على الناس خوفاً من عذاب جهنم، فالداعي في قلبه الغيرة على الناس، وبقلبه التعظيم للرب؛ فهو يحب لكل أحد أن يعظم ربه؛ لأنه العظيم الذي لا أعظم منه، الكبير الذي لا أكبر منه، الكريم الذي لا أكرم منه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨].

فلمسلم يغار على نفسه، ويغار على غيره، إذا عرف ربه يريد أن يعرف الناس؛ ولهذا الكلام إذا خرج من القلب وصل إلى القلب، وكلام الداعي إما داء وإما دواء، فإن خرج من القلب فهو دواء يأتي بعده الشفاء؛ لأن الله ﷻ جعل الدعوة وسيلة للهداية، سبباً للهداية، والله قادر أن يهدي الناس جميعاً بأمر واحد، كما نور لهم الكون بكوكب واحد: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ [الأنعام / ١٤٩].

• ولكن الله من علينا بثلاثة أمور:

أعطانا الكفار محل دعوتنا.. وأعطانا الجاهل محل تعليمنا.. وأعطانا الفقير محل صدقاتنا. وابتلانا بالسفهاء محل حلمنا، وابتلانا بالظلمة محل صبرنا: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتَّكِبُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ

الْكَذِبِينَ ﴿٣﴾ [العنكبوت: ٢-٣].

فالله ﷻ فتح لنا هذه الأبواب، والله ﷻ قادر أن يهدي الناس، لكن من فضل الله ﷻ علينا أن أعطانا وظيفة الأنبياء والرسل وهي العبادة، والدعوة، والتعليم، والإحسان إلى الخلق، هذه هي دورة أصول الدين الإسلامي: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

الله ﷻ إذا أغنانا، فلا بد أن نُغني الناس، الله أعطانا فرصة حتى نكسب الأجور.

الله ﷻ احتفى بهذا الإنسان، وخلقه بيده؛ لأنه يريد خليفة في الأرض، ولا يليق بالخليفة أن ينزل إلى رتبة من دون الخليفة، وقد توجه الله بهذا التاج: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠].

هو سبحانه الغني الذي من علينا بالنعم الظاهرة والباطنة، فأغنى قلوب المؤمنين بالعلوم والمعارف الربانية، والحقائق الإيمانية، فأغناهم به عن سواه، فتعلقت قلوبهم به وحده، ولم يلتفتوا لأحد سواه: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة / ٤].

فليسعد المؤمن بما أعطاه ربه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس / ٥٨].

الأنبياء أعطوا الإيمان والأعمال، وكذلك هذه الأمة، أما الأموال والأسباب فالله ﷻ يعطيها من يحب ومن لا يحب، وإذا أعطانا الله من المال والنعم؛ فهو قد ابتلانا بعبودية الشكر: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: ٧].

وإذا ابتلانا بالفقر والمصائب فهو يريد منا أن نحقق له عبودية الصبر: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

الله ﷻ غني يريد من العبد أن يكون غنياً، ومن كمال غناه جل جلاله أنه قارد على تنفيذ

مراداته في جميع مخلوقاته، خلق البحر ماءً سائلاً، وخلق الأرض تراباً جامداً، وخلق الجبال، وخلق الحيوانات، وخلق النباتات، وخلق الشمس، وخلق القمر، هو الغني، ومن كمال غناه أنه قادر على تنفيذ مراداته في جميع مخلوقاته، خلقاً وتديراً ورزقاً، في كل مكان، وفي كل زمان وفي كل حال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

الغني واحد، والرزاق واحد، عنده خزائن كل شيء، ويعلم بكل حال، وبكل أحد، ويملك كل شيء: ﴿سُبْحٰنَهُ ۗ هُوَ الْغَنِيُّ ۗ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٦٨].

فهذا الرب الغني الكريم، النفوس مضطرة إلى عبادته، وسؤاله، والاستفادة من خزائنه. بكمال المعرفة بالله، تأتي قوة العبادة والأنس بالعبادة، والوحشة من الانصراف إلى غير الله.

الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، بسم الله الرحمن الرحيم نقولها على ما سنفعل، والحمد لله على ما فعل الله لنا من الخلق والرزق والهداية، والسمع والبصر والعقل، وغير ذلك من النعم، فالله عظيم من كمال غناه أنه قادر على تنفيذ ما يريد في جميع المخلوقات كلها خلقاً وتديراً؛ لأن له الخلق والأمر: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يَدِيرُ الْأَمْرَ ۗ فَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقِونَ ﴿٣١﴾ ۗ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلٰلٰلُ فَأَنَّى تُصْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

هو الذي يملك السمع والأبصار، وهو الذي يخرج من حبة مئيتة مليارات المخلوقات من النباتات، ويخرج من بيضة واحدة مليارات المخلوقات من الدجاج والبيض. ويدبر الأمر في العالم العلوي والعالم السفلي، أوامر التصريف والتدبير، أوامر التحريك والتسكين، أوامر النفع والضرر، من الذي يدبر الأمر؟ ليل ونهار؟ وحر وبرد؟ وحرارة وبرودة؟ وأمطار ورياح، من يدبر الأمر؟ من يصرف الرياح؟ من الذي يثير السحاب؟ من الذي يسير السحاب؟ من يدبر الأمر؟ الله وحده لا شريك له: ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾

الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ [يونس: ٣٢].

فإذا عرفنا الله بأسمائه وصفاته توجهنا إليه بالعبادة، وأكثرنا من الاستغفار، خاصة بعد العبادات الكبار، بعد الصلاة، بعد الصوم، بعد الحج، استغفر الله من التقصير في العبادة، وبقدر نقص المعرفة ينقص الإيثار ثم تنقص الأعمال، وبقدر المعرفة يقوى الإيثار ثم تقوى الأعمال، وقوة الأعمال في أمرين: أن تكون خالصة لله ﷻ، وأن تكون على سنة النبي ﷺ، هذه المقبولة: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة / ٢٧].

فسبحان الغني عن كل ما سواه! الذي جعل عباده فقراء إليه، من رحمته جعلنا فقراء إليه في كل شيء؛ حتى نقف ببابه، ولا نقف بباب غيره؛ وحتى لا نستغني بالنعمة عن المنعم: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿٦﴾ أَن رَّاهُ اسْتَفْتَى ﴿٧﴾﴾ [العلق / ٦-٧].

كم ممن اغتر بباله وجاهه وقدرته، إبليس قال: أنا خير منه؛ لأنه افتخر بجنسه وبطاعته وعبادته لربه: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾ [ص: ٧٦].

وفرعون أطغاه ملكه: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْأَخْرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾﴾ [النازعات: ٢٤-٢٥].

فأنا، ولي، وعندي، ويدي، الأربع لله وحده: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾﴾ [طه: ١٤].

وقال سبحانه: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ رِّقَّةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال سبحانه: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١].  
ومن كمال الغني العظيم جل جلاله، وكمال غناه وحبه لعباده، أنه يأمرهم بدعائه وسؤاله في كل وقت؛ لأنه الغني وحده، ومن كمال غناه أنه يأمر عباده بدعائه وسؤاله في كل وقت، ويعددهم بإجابة دعائهم، ويؤتيهم من فضله ما سألوه وما لم يسألوه، لأن العطاء أحب إليه من المنع: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر / ٦٠].

ويتودد إلى عباده ليتقربوا إليه ويسألوه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ

دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا فَلَيْسَتْ جَيْبُوا لِي وَلِيَوْمُنَا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ [البقرة / ١٨٦].  
 فالله ﷻ أظهر أسماءه الحسنى في كتابه العظيم، وأظهر آياته الكونية، وجعلها مظهرًا  
 لأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة، فالخلق يدل على الخالق، والرزق يدل  
 على الرازق، والحكمة تدل على الحكيم، وأنار الرحمة تدل على الرحمن، والقوة في خلق  
 السموات والأرض، وخلق الجبال والبحار تدل على القوي، وغير ذلك من الأسماء  
 الحسنى التي تدل على جلال وجماله: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى  
 يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

فهذه الأسماء الحسنى، والصفات العلى، مغذية للقلوب بالتوحيد والإيمان الذي يحرك  
 البدن للعمل الصالح، والقول الحسن، والخلق الحسن، فالله ﷻ أمرنا أن نتعرف عليه،  
 بقوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ  
 مُتَقَلِّبِكُمْ وَّمُتَوَكِّفُكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

فهذه المعرفة هي أم المعارف، وأول المعارف، وأكبر المعارف، أن نعرف الله ﷻ بأسمائه  
 وصفاته وأفعاله وخزائنه، ووعدته وووعيدته، والقرآن كله يتكلم عن هذه المسائل العظيمة  
 فالعلوم تنقسم إلى قسمين:

العلوم العالية .. والعلوم السافلة.

العلوم العالية: هي العلم الإلهي، وأعظمه معرفة الله، ومعرفة دينه وشرعه، والعمل  
 بموجب ذلك: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ  
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

أما العلوم الأخرى: فهي العلوم السافلة التي هي أدنى؛ ومنها ما هو مباح، ومنها ما هو  
 محرم، فالمباح علم الطب، والهندسة، والزراعة، والتجارة وغيرها، فهذه علوم مباحة، لما  
 فيها من المنافع.

وأما العلوم المحرمة كتعلم السحر والكهانة، لما فيها من ادعاء علم الغيب الذي لا  
 يعلمه إلا الله وحده.

فالله ﷻ خلق الإنسان وعلمه أمور دينه، وأمور معاشه، لكن المؤمن يعمل في حياته على  
 أنه عبد يتلقى الأوامر من ملك الملوك الذي خلقه وسواه، وأسكنه في الأرض، وأطعمه



من رزقه، فهو يَأْتَمِرُ بأمره: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقُ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٤﴾ [الأَنْعَامُ: ١٠٢].

ولهذا فجميع عباداتنا، وجميع أعمالنا، وأنفاسنا وحركاتنا، كلها عبادة، لأن الله ﷻ أمرنا بامتثال أوامره في كل حال، فالنوم له أكثر من ستين سنة، نوم الإنسان هذا عبادة، وعند الأكل أكثر من خمسين سنة إذا فعلها المسلم يكون في عبادة، وهكذا لله أوامر عند الزواج، وأوامر عند السفر، وأوامر عند طلب العلم، وأوامر عند الوضوء، وأوامر في الصلاة، هذه الأوامر هي العلم الإلهي، فيتعبد المسلم لربه بهذا العلم، فهو في دائرة العبودية في كل أحواله وأموره: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١١٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿١١٣﴾ [الأَنْعَامُ: ١٦٢ - ١٦٣].

كل ما سوى الهادي ضال، ومن ضل تاه عن الطريق، ولم يصل إلى المقصد، فالهادي يهدي من يشاء من خلقه إليه وإلى دينه؛ لأنه يعلم أن هذا الإنسان صالح لدخول الجنة، وصالح لعبادة الله ﷻ: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٥٤﴾ [الحج: ٥٤].

والله ﷻ أقام الحجة وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأعطى العقول والأسماء والأبصار، فهيأ جميع الأسباب للهداية، ولكن الناس كالأرض، منها ما يقبل الماء فينبت من كل زوج بهيج، ومنها ما لا يقبل، كالحجارة، والأرض السبخة: ﴿وَأَبْلَدُ الطِّيبِ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ آيَاتِنَا لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ [الأعراف: ٥٨].

والله خلق هذا وهذا؛ ليبين عظمته في خلق المتضادات، والله ﷻ عليم بما كان وما يكون وما سيكون، والله ﷻ لا يجبر أحداً على المعصية، ولا يأمر بالفحشاء والمنكر أبداً؛ بل يأمر بالعدل والإحسان: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٩٠﴾ [النحل: ٩٠].

فنحن نعبد رباً غنياً، عنده عطاء الربوبية من الخلق، والأقوات، والأرزاق، ومنه عطاء الألوهية وهو الأمر الشرعي الإلهي، الذي يربطنا بالواحد الأحد، ويربطنا بالملائكة المقربين، ويربطنا بإخواننا المؤمنين، ويربطنا بالجن المؤمنين، هذا أعظم رابط، رابطة

الإيمان، ورابطة التوحيد: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤].

الله ﷻ هو الغني الذي تفضل علينا بهذا وهذا، الله ﷻ يريد لنا في الدنيا أحسن شيء وهو هذا الدين: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: ١٢٥].

ويريد لنا يوم القيامة أعظم مقام: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِندَ مَلِكٍ مُّقْدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

ووعد المؤمنين بالفردوس في الجنة بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨].

فالله لا يرضى لعبده المؤمن الذي استغنى بالله، وقبل من ربه هذا الخير، وشكره عليه وعمل به، لا يرضى له أن يكون سكنه، يوم القيامة إلا في الفردوس الأعلى، وسقف الفردوس الأعلى عرش الرحمن والله فوق العرش: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾﴾ [طه/ ٥].

وما تحت العرش هو جنة المؤمن.  
قال النبي ﷺ: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَسَقْفُهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.  
وعرش الرحمن أعلى شيء، وأوسع شيء، وأنور شيء، ولذلك الله ﷻ جعل هذا المخلوق أعظم المخلوقات.

• وأعظم صفات العرش العظيم:

أعلى شيء، وأوسع شيء: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وأنور شيء، والنور جل جلاله قد استوى عليه: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥].

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٤٢٣).

كذلك الله يريد للعبد أن يتصف بصفات العرش، الأولى أن يكون أعلى شيء: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٣٨﴾ [آل عمران: ١٣٩].

أنتم الأعلى، لأنكم اتصلتم بالعلي الأعلى، واتخذتم منهجاً تسرون عليه من العلي الأعلى، وامتلتم أمر العلي الأعلى، فيوم القيامة تخلدون في أعلى عليين، في الفردوس الأعلى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ ﴿١٠٧﴾ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ ﴿١٠٨﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨].

الثانية: أن يتسع قلبه لجميع أنواع العبادات؛ فإذا امتلأ القلب بالإيمان؛ اتسع لجميع أنواع الطاعات، وانشرح الصدر لجميع الواجبات والمستحبات والسنن، فيكون أوسع شيء، والله خلق الدنيا وملاها بمحوباته هو، من أنواع العبادات: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِنُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١٢﴾ [التوبة: ١١٢].

ومحوبات رب العالمين هي أوامره الشرعية، فالله خلق الدنيا وملاها بمحوباته هو من أجلك أنت، حتى تأخذ من هذه المحوبات ما تتقرب به إلى ربك، فيضاعف لك أجره يوم القيامة، ويوصلك إلى الجنة: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِمْ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ [البقرة: ٢٥].

فالله ﷻ يريد من العبد أن يتسع صدره للتوحيد والإيمان، يتسع صدره للطاعات والعبادات، والأقوال الحسنة، والأخلاق العالية؛ فيكون أوسع شيء: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٢٢﴾ [الزمر: ٢٢].

الثالثة: من الصفات التي يريد بها الله ﷻ للعبد؛ أن يكون قلبه أنور شيء؛ فالقلب الذي فيه الشرك والكفر مظلم؛ ولذا يتخبط في الظلمات والشبه والشكوك. أما القلب المملوء بالإيمان، فقد تنور بما يحبه الله من التوحيد بالإيمان والأعمال الصالحة. فنور العين لا يكفي بل لا بد من النور الإلهي الذي نجتهد عليه حتى نتحصل

عليه: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيَّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زِينٌ لِّلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنعام / ١٢٢]؛ فإذا تطابق قلب المؤمن مع صفات العرش العظيم صار سكن هذا المؤمن الفردوس: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِٗٓ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٢].

والله سبحانه يريد أن نترقى بالصفات؛ حتى نكون في هذه الدرجة العالية، صفاتنا تطابق صفات العرش علوًا، واتساعًا، ونورًا: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧]. فسبحان الملك الغني الذي جميع الخلائق عبيده، وجميع الكائنات ملكه.

والكل في العالم العلوي، والعالم السفلي، وفي عالم الغيب، وعالم الشهادة، الكل يسبح بحمده، ويشهد بوحديته، ويخضع لقهره، ويستجيب لمشيئته، ويسرع إلى إرادته: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦١﴾﴾ [القمان: ٢٦].

هذه الكلمات العظيمة القلب يقبلها؛ لأنها حق، والحق إذا سكن في القلب؛ امتلاً نوراً وإيماناً سبحانه هو الغني الكريم الذي يستحق أن يعبد، وأن يشكر، وأن يطاع، وأن يذكر فلا ينسى: ﴿سُبْحٰنَهُۥ وَتَعَالٰى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٣-٤٤].

هو سبحانه الغني الذي لا تنقص خزائنه أبداً مع كثرة الإنفاق ليلاً ونهاراً، مكاناً وزماناً، لأنه الملك الذي له خزائن كل شيء، له ما في السموات وما في الأرض، وله ملك السموات والأرض؛ وله خزائن السموات والأرض، وله مقاليد السماوات والأرض، وله ميراث السماوات والأرض، وله غيب السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض، وله ملك الدنيا والآخرة، وله عالم الغيب والشهادة: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُۥ وَمَا نُنزِلُهُۥ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٦١﴾﴾ [الحجر/ ٢١].

الله ﷻ غني، وخزائنه ملئ بكل شيء، وخزائن كل شيء عنده. خزائن السموات، خزائن الأرض، خزائن النجوم، خزائن النباتات، خزائن الحيوانات،

خزائن الذهب، خزائن الكلام، خزائن الرحمة، خزائن العلم.

خزائن كل شيء عند الله ﷻ، وخزائنه لا تحتاج إلى المواد، بل هو بديع السموات والأرض: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (١١٧) [البقرة: ١١٧].

له الخلق كله، وله الملك كله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) [الملك/ ١].

فسبحانه إحسانه وجوده وإنعامه على خلقه مدرار، متواصل في جميع الأوقات والأماكن، ويده الكريمة سحاء الليل والنهار بالعطاء.

قال النبي ﷺ: «إِنَّ يَمِينَ اللَّهِ مَلَأَىٰ لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَنْقُصْ مَا فِي يَمِينِهِ» أخرجه البخاري (١).

هو الغني هو الذي لا تنقص خزائنه أبداً، فإن نقصت مثقال ذرة، أو فلساً فهو فقير؛ لأنه محتاج في غناه إلى هذا الفلس، والله غني لا تنقص خزائنه أبداً.

فالمحدود إذا أخذ من المحدود نقص، أخذ مائة من مائة ألف ريال تنقص، والمحدود إذا أخذ من غير المحدود لا ينقص أبداً: ﴿إِنَّ هَذَا الرِّزْقَ مَا لَهُ مِنْ نَقَادٍ﴾ (٥٤) [ص / ٥٤].

والله غني بذاته عن جميع مخلوقاته، الوهاب من رزقه لكل واحد، فهو الذي وهب السمع، والبصر، والعقل، والطعام، الشراب، والسكن، وسحر الليل والنهار، وكل شيء، هو الله الغني بملكه، غني بعلمه، غني بفضله فالله غني عن العالمين، فلا إله إلا الله الواحد الأحد، الغني الكريم، الذي لو يجتمع أهل السموات والأرض.

وأول الخلق وآخرهم وقاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطاهم ما سألوه؛ ما نقص من ملكه شيئاً.

قال الله ﷻ في الحديث القدسي: « يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ» أخرجه مسلم (١).

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٤١٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

إذا المخيط أدخل في البحر ماذا يحمل معه من الماء؟.

فلو اجتمع الأوائل والأواخر، والإنس والجن، وجميع المخلوقات، ثم سألوا كلهم، ثم جمعت أسئلتهم هذه كلها، وجعلت في سؤال واحد ثم سألت المخلوقات كلها وطلبت من ربهما هذا السؤال العظيم، ما نقص مما عند الله شيئاً، ولا مثقال ذرة: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر / ١٥].

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان / ٢٧].

الله ﷻ غني بأسمائه وصفاته وأفعاله، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [٢٢] هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ [٢٣] هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [٢٤] [الحشر: ٢٢-٢٤].

• هو الغني وكل ما سواه فقير إليه من كل وجه:

في إيجاده .. وبقائه .. ونفعه وضره .. وحرته وسكونه .. وقوته وضعفه: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

• واسم الله الغني يشتمل على صفتين لله ﷻ:

الأولى: صفة ذات؛ لا تنفك عن الله أبداً كما قال الله سبحانه: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر / ١٥].

فالله غني والغني صفة ذاتية له؛ فالغني لا يكون فقير أبداً، فهو الغني الذي غناه مطلق، وغناه لا أول له ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية؛ إما الإنسان فغناه حادث، وغناه موهوب وغناه محدود، أما الله ﷻ فالغنى صفة ذاتية له، فهو الغني عن كل ما سواه، وكل ما سواه محتاج إلى غناه.

الثانية: صفة فعل؛ كما قال سبحانه: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ شَاءَ﴾ [التوبة / ٢٨].

لأنه الغني الذي يغني عباده من فضله، وصفة الفعل تتعدى إلى الخلق، فالله عليم يعلم الخلق، رزاق يرزق الخلق، غني يغني من شاء من عباده: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التوبة/ ٢٨].

هو سبحانه الغني الذي يملك كل شيء، وعنده خزائن كل شيء، الذي يغني عباده بما شاء من صنوف النعم الظاهرة والباطنة، فيعافي الإنسان في بدنه، ويهديه إلى دينه، ويهبه المال، ويرزقه العيال، ويدر عليه الأقوات، والهواء الذي يتنفس منه، والطعام الذي يأكل منه، والماء الذي يشربه: ﴿وَأَتَانَكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

فسبحان الغني الذي لا إله غيره، ولا إله نجبه ونتودد إليه ونعبده إلا الله وحده. هو الغني الذي لا إله غيره، ولا رب لنا سواه، له الملك كله، وله الخزائن كلها، يتصرف في الملك كله، ويعطي من يشاء ما شاء من فضله ورزقه لعالم الحيوان، وعالم الإنسان، وعالم الجن، وعالم الملائكة، وغير ذلك من المخلوقات: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يَدْبُرُ الْأُمُورَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْفِقُونَ﴾ [٣١] ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [٣٢]. [يونس: ٣١-٣٢].

أما الغني من الخلق بآله ومنصبه فغناه غالباً يطغيه عليهم: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ﴾ [٦] ﴿أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْتَى﴾ [٧] [العلق/ ٦-٧].

أما الغني الحميد سبحانه فإنه مع كونه غنياً عن الخلق كلهم فهو رحيم بهم، لطيف بحالهم، محسن إليهم، مع كثرة معاصيهم، وقلة طاعاتهم.

الله أكبر! كم من الخلق من الكفار، والمشركين، والسحرة، والدجالين، والفجار، والفساق، كم الله عَلَّمَ ينعم عليهم بالعتاء والعافية والهواء ونور الشمس والقمر، والطعام الذي يأكلونه، والشراب الذي يشربونه، كل هذا من عطاء الربوبية؛ لأنه ليس هناك باب نأخذ منه هذه الأرزاق إلا باب واحد، باب الواحد الأحد الغني عن كل أحد، المعطي لكل أحد: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الحج: ٦٤].

ولا يقول على الله غير الحق إلا من لم يعرفه بأسمائه وصفاته، فالجاهل هو الذي يقول على الله غير الحق، ولهذا لا بد أن يسأل: ﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل/ ٤٣].

والعالم لا بد أن يعلم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ [١٥٩] إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [١٦٠] [البقرة/ ١٥٩ - ١٦٠].  
تابوا من بعد ما ظلموا، وبينوا ما كتموا، وأصلحوا ما أفسدوا.

فواجب على الجاهل أن يتعلم، وواجب على المعلم أن يعلم، فهذان أمران مطلوبان؛ فإذا تعلم الجاهل، وعلم العالم، ارتفع الجهل، وسارت الأمة إلى ربها على هدى وبصيرة وارتفعت عن درجة الحيوانات، وعن درجة السباع، وعن درجة الشياطين، إلى درجة الملائكة: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

اغفر لنا عن تقصيرنا، وعدم قدر الله ﷻ حق قدره: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة/ ٢٨٥].

فلا يقول على الله ﷻ غير الحق إلا جاهل بربه، وجاهل بأسمائه وصفاته، وجاهل بدينه وشرعه.

ولهذا لا بد من تغذية القلوب بالإيمانيات، وتغذية العقول بالعلميات، كما تغذى الأجسام بالماديات والطعام والشراب، والله واهب هذا وهذا: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرُوا إِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

فمن عرف ربه آمن به وأحبه وأطاعه، ومن جهله قال عليه غير الحق كاليهود: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران/ ١٨١].

والنصارى الذين قالوا على الله غير الحق: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ رَبَّ اللَّهِ تَالِثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ



كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ، وَاللَّهُ عَفُورٌ  
رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ [المائدة: ٧٣ - ٧٤].

لكن المؤمن الذي عرف ربه يخشاه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ  
كَبِيرٌ﴾ ﴿١٢﴾ [الملك / ١٢].

ويتوكل عليه ويعبده: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ  
عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا  
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ  
كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

فمعرفة الله هي سبيل عبادته، ومحبته، وتعظيمه وتكبيره.

فسبحان الغني الحميد الذي لا يعامل عباده إلا معاملةً يحمد عليها: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالتَّاسِ  
لِرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٤٣﴾ [البقرة / ١٤٣].

• فكل ما يقضيه لعباده مبني على أربعة أمور:

الرحمة .. والعدل .. والحكمة .. والإحسان.

لأن الله جميل، ولا يفعل بعباده إلا ما هو جميل، سواءً كان هذا الشيء محبوباً تحبه النفس،  
أو مكروهاً تكرهه النفس، ففي قدر المكروه خير كثير، والله يعلم وأنتم لا  
تعلمون: ﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ﴿١٩﴾ [النساء / ١٩].

فكل معاملة من الله ﷻ لعباده كلها خير، وحكمة، ورحمة، وعدل، وإحسان: ﴿إِنَّ اللَّهَ  
لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٢٤٣﴾ [البقرة: ٢٤٣].

• والناس على درجتين:

الأولى: أن يستعملهم الله في مقام الشكر، فيوصل النعم إليهم بقوته؛ لعل النعمة تحرك  
قلوبهم لذكره وحمده وتمجيده، وتحرك جوارحهم لطاعته وعبادته: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْهِ تَاعِبُونَ﴾ ﴿١٧٢﴾

[البقرة: ١٧٢].

الثانية: أن يتبليهم بالابتلاءات لعل هذا البلاء يردهم إليه، يصبرون مع شدة البلاء،  
 فينالوا أجر الصابرين: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ  
 وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾  
 أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].  
 والله ﷻ ابتلى أيوب ﷺ سبعة عشر عاماً في البلاء؟ والعلاج تحت قدميه، لكن الله يريد  
 منه أن يتحصل على صفة الصبر التي يريد: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾  
 [ص / ٤٤].

فلما جاءت هذه الصفة قيل له: ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٤﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ  
 وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴿٤٣﴾﴾ [ص / ٤٢ - ٤٣].  
 هذا من رحمة الله ﷻ بعباده، فهو يريدهم في مقام الشكر، وفي مقام الصبر: ﴿إِنِّي فِي  
 ذَلِكَ لَأَيُّتٌ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥٥﴾﴾ [إبراهيم: ٥].

• الناس في هاتين الدرجتين:  
 إما غني شاكراً.. أو مبتلى صابراً.

والله عزيز حكيم ما منع إلا ليعطي، وما ابتلى إلا ليعافي، وما قبض إلا ليسط،  
 فاصبر: ﴿إِنَّمَا يُوفِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠].  
 فالمؤمنون حقاً يصبرون، ثم يرضون بما قدر الله ﷻ، وفوق ذلك يحمدون الله على هذا  
 الابتلاء؛ لأن الابتلاءات في باطنها خيرات كثيرة، تجعل الإنسان يذهب إلى جميع  
 الجهات فيجدها مغلقة، ويبقى باب العلي الأعلى مفتوحاً؛ فيركع لربه ساجداً في  
 حضيض الأرض، ليتجه دعاءه إلى العلي الأعلى، والله يسمع دعاءه حين ينزل إلى السماء  
 الدنيا تكريماً لعباده في ثلث الليل الآخر من كل ليلة فيقول: «هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأَسْتَجِيبَ  
 لَهُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

هو يسمع لو لم ينزل إلى السماء الدنيا، ولكن تودداً لعباده وإكراماً لهم ينزل كما يليق  
 بجلاله، ويخبر عباده بأنه ينزل، يسألوه ويدعوه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٩٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٥٨).

فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ  
يُرْشَدُونَ ﴿١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦].

هو جل جلاله الغني الذي يغني عباده بما شاء من فضله، يعطينا من عطاء الربوبية،  
ويعطينا من عطاء الألوهية، فالحمد لله أن خلقنا في أحسن تقويم، وجعلنا من المسلمين،  
وأمدنا بالأقوات، وهدانا إلى الصراط مستقيم: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

هو سبحانه الغني الذي يغني عباده بما شاء من فضله، ويغني بعضهم عن بعض، لكن  
يجوج الجميع إليه سبحانه؛ فكلنا فقراء إليه، من الملك إلى أدنى إنسان في الخليقة، فكلهم  
فقراء إلى الله في الطعام، والشراب، والهواء، والعافية، وإدارة هذا البدن، نحن فقراء إلى  
الله في كل شيء، فإذا أعطانا العقل فهو قادر أن يسلبه فنكون مجانين، وأعطانا البصر  
وهو قادر أن يسلبه فنكون عمياً، وأعطانا السمع وهو قادر أن يسلبه ويجعل الإنسان  
أصم؛ فنعم الله لا تُعد ولا تُحصى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ  
رَحِيمٌ﴾ ﴿١٨﴾ [النحل: ١٨].

الله ﷻ هو الغني الذي يغني عباده بما شاء من فضله، ويغني بعضهم عن بعض، ويرزق  
بعضهم من بعض: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ  
جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ  
فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا نُنَادِي هَتُولَاءِ وَهَتُولَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ  
عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ۗ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ  
تَقْضِيلاً ﴿٢١﴾ [الإسراء/ ١٨-٢١].

الله أكبر! كم درجات المؤمن والمؤمنة يوم القيامة، وكم جناتهم؟ وكم سعة تلك  
الجنات؟ يدخل الجنة له مثل هذه الدنيا عشر مرات، بسماواتها السبع، وأراضيها السبع،  
هذا أصغر قصر لأدنى مسلم في الجنة: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ  
الْعَظِيمِ﴾ ﴿٢١﴾ [الحديد: ٢١].

فالله عَلَّمَ واسع، وغني، وكريم، وقادر لا يعجزه شيء، خلق البحر كخلق القطرة، خلق الجبل كخلق الذرة: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٨٢﴾ فَسَبَّحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ [يس / ٨٢ - ٨٣].

فسبحان من هذه نعمه، وهذه قدرته: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿٢٨﴾ [لقمان: ٢٨].

هو سبحانه الغني الذي كل غني منه جل جلاله، والله عَلَّمَ أحوج بعضنا إلى بعض؛ وأحوج الجميع إليه وحده لا شريك له: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ [الزخرف: ٣٢].

فالله عَلَّمَ أحوج الإنسان إلى أعضائه، وأحوج الإنسان إلى أخيه الإنسان، ليعينه، وأحوجه إلى المخلوقات من الهواء والطعام والشراب، ليشعر بفقره وعجزه وأحوج جميع الخلائق إليه في وجودها، وفي بقائها نفعها وضرها: ﴿سُبْحَانَكَ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٦٨].

فالقلب لا بد أن يعرف العظيم، ويعرف الغني، ويعرف الكبير؛ ويعرف القادر، ويعرف الكريم حتى يتوجه إليه، ولا يقف بباب الفقير.

هو سبحانه الغني الكريم الذي قسم الأرزاق على جميع العباد: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ [الزخرف / ٣٢].

فسبحان الغني الذي لا يحتاج إلى أحد، الغني الذي يحتاج إليه كل أحد: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات / ٥٦ - ٥٨].

والرزاق لا بد أن يكون عنده خزائن يرزق منها الخلق، فالله عَلَّمَ ملاً خزائنه بجميع ما يحتاجه خلقه.

هو الله الغني ذو الفضل العظيم، كل ما في خزائن الغني الله لا يحتاجه، وإنما العباد يحتاجون إلى ذلك، والله ملك كريم، والملك لا بد أن يكون له عطاء لعباده، ولا بد أن يكون له إكرام لمن أطاعه، وله عقوبة لمن عصاه في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ [طه: ٧٤-٧٥].

فهذا الرب الذي نعبد له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة. فسبحان الملك الغني الذي أفاض الخير على عباده في كل مكان وزمان، ورزقه لكل أحد موجود، وفضله على كل أحد مشهود: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ [النحل: ٥٣].

بقدر إيمانك، بقدر طاعتك، بقدر عطائك، بقدر إحسانك، ستنال ما يرضيك: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ ﴿٥﴾ [الضحى: ٥].

هو سبحانه الغني الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هداه، هو الغني الذي أعطاك السمع والبصر، وأعطاك الأيدي والأقدام، وأعطاك العقل والذكاء، والتفكير والتصوير، هو سبحانه الغني الذي أغناك بمعرفته وعبادته عما سواه، هو الغني الذي أغناك عن عبادة غيره: ﴿يُمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٧﴾ [الحجرات/ ١٧].

فالله سبحانه يغني من يشاء أحياناً بالعلم أو المال أو الجاه أو القوة، وهذا عطاء الربوبية ويعطي من يشاء الإيثار والهداية والقرب منه، والسداد في الأقوال والصواب في الأفعال، محاسن الأخلاق، وهذا عطاء الألوهية: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿١١﴾ [الحديد/ ٢١].

• وعطاء الله ﷻ على قسمين:

الأول: من الناس من يغنيه الغني الحميد بكثرة الأموال، فتجد عنده الأموال والقصور، والمزارع والمصانع، وهذا عطاؤه لجميع الأمة المسلم والكافر، والبر والفاجر: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ [النحل: ٥٣].

الثاني: ومن الناس من يغنيه الله ﷻ بتصفية الأحوال فلا يعطيهم من الدنيا ما يشغلهم عن عبادته، والدعوة إليه، والجهاد في سبيله.

فالله ﷻ يحمي عبده المؤمن من التوسع في الدنيا، إنما يعطيه ما يحتاج ليظل بباب العبودية مفتقراً منكسراً بين يدي ربه.

وهذا أعظم باب يدخل منه الإنسان على ربه، باب الافتقار إلى الله ﷻ، باب الافتقار إلى الغني الذي عنده خزائن كل شيء: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد/ ٢١].

فسبحان من كل أسمائه حسنى، وكل صفاته عليا، وكل أفعاله جميلة وحكيمة، وكل ما في الكون من نعمه فمن خزائنه: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نَّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [النحل/ ٥٣].

هو سبحانه الغني الذي لا شريك له، ولا مثل له، ولا عدل له، ولا كفو له: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس/ ٦٨].

فكم في السموات والأرض من الخيرات والبركات! فلا إله إلا الله، وسبحان الله العلي العظيم الغني الكريم الذي لا يحتاج إلى أحد، فهو الغني قبل أن يخلق الخلق، وبعد أن خلق الخلق، الذي استغنى عن جميع الخلق لعظمة ملكه، وعظمة خزائنه، وعز سلطانه، وكمال قدرته، وجميع خلقه فقراء إلى فضله وإحسانه وإنعامه: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

يعطي من أطاعه وعصاه، لأن باب العطاء بيد واحد جمع العطاءات في هذا الكون بيده وحده، عطاء النباتات بأمر الله، عطاء الأرزاق بأمر الله، والله ﷻ يعطي العباد من فضله ونعمه من أطاع ومن عصا، هذا عطاء الربوبية، لعل من كفر تذكره النعمة بالمنعم؛ فيعود إلى ربه، وإلى فطرة الله التي فطر الناس عليها: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

هو سبحانه الغني عن جميع الخلق من جميع الوجوه، والخلق كلهم فقراء إليه من جميع الوجوه، فلا يتحرك ساكن، ولا يسكن متحرك إلا بإذن الله: ﴿مَّا مِّن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ

بِنَاصِيئِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ [هود / ٥٦].

والله سبحانه هو الغني، وليس كمثله شيء في أسائه وصفاته وأفعاله.

هو الغني الذي لا أول ولا آخر ولا بداية ولا نهاية لغناه، والإنسان غني؛ لأن الله أغناه بفضلته، فخلقه أولاً، وأمهه بالأقوات ثانياً، وبالأموال ثالثاً وهكذا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [يونس: ٦٠].

فالإنسان غني؛ لأن الله أغناه بفضلته وجوده وإحسانه، وغنى الله مطلق غير مقيد ولا محدود، وغنى المخلوق حادث محدود موهوب، فقد يكون الإنسان غنياً بالمنصب، يكون ملكاً ورئيساً، أو رئيس دائرة، غنياً بالمنصب، لكنه فقير إلى المال، إلى الزوجة، إلى الولد، إلى العافية، إلى الأمن، لكن الله هو الغني الواحد الأحد في غناه، ليس كمثله أحد في غناه: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥].

هو الغني الذي صمدت إليه جميع المخلوقات في حوائجها: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص / ١ - ٤].

وغنى الله دائم ذاتي، وصف ذاتي له لا ينفك عنه أبداً، أما الإنسان فغناه يسبقه فقر، ويتبع غناه فقر، غنى الإنسان، كان قبل فقيراً، ثم أغناه الله، وبعد غناه يكون فقيراً، ويتبع غناه فقر: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه / ٨].

فلا إله إلا الله الغني الذي له الكمال المطلق في كل شيء، في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، هو الغني الذي لا يحتاج إلى العرش وحملته، ولا يحتاج إلى الكرسي وعظمتته: ﴿سُبْحٰنَهُۥٓ بَلْ لَّهُۥ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ﴿١١٦﴾﴾ [البقرة: ١١٦].

إذا عرفنا الملك، وعرفنا الغني، وعرفنا القادر، وعرفنا الكريم، والحليم والرحيم، فلماذا لا نعبد؟ لماذا لا نتوكل عليه؟ لماذا لا نسأله؟ لماذا لا نوحده؟ لماذا تلهينا الشهوات الحيوانية عن الأوامر الشرعية؟ لابد من لزوم الجوا الإيماني؛ حتى يزداد الإيمان، وإذا زاد الإيمان؛ امتلأ القلب بالإيمان، ثم تحرك اللسان بالذكر والتمجيد لربه، وسؤاله واستغفاره، وتحركت الجوارح بطاعته: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ

قُلُوبِهِمْ وَإِذَا تَلَيْتَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأَنْفَال: ٢-٤].

الجو الإيماني غير الجو العلمي، وغير الجو الصناعي، وغير الجو الزراعي، وغير جو الشهوات، فالأجواء الغافلة كثيرة، وكلها مذمومة إلا الجو الإيماني، الذي يذكر فيه الله، ويعظم الله، وتذكر فيه أسماؤه وصفاته وأفعاله، وخزائنه، ووعدته ووعيدته، فالجو الإيماني يذكر بالله، وينشط القلب لعبادة الله، ثم تظهر الآثار على سائر المدن، على الأذن فتسمع ما يجب الله، على اللسان فيتكلم بما يجب الله، على العين فترى ما يجب الله، على القدم فتمشي إلى ما يجب الله ﷻ: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

فالله أكبر كم جنة المعرفة وصل إليها من هداهم الله ووفقهم، هذه الجنة تحتاج إلى بكاء، وإلى دعاء، وإلى افتقار: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

هو الغني وحده، وأخبرنا أنه غني عن الخلائق كلها، لم يخلق الخلق ليستكثر بهم من القلة، ولا يستأنس بهم من الوحشة، ولا ليتقوى بهم من ضعف، ولا ليستغني بهم من حاجة، ولا لينصروه من ضعف، وإنما خلقهم إظهاراً لقدرته في خلق المخلوقات المختلفة، ودلائل على وحدانيته، وخلقهم ليذكروه ويعبدوه، ويتذللوا للملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، ولا يتوجهوا إلى غيره من المخلوقات الأخرى.

فالإنسان خلق مفطوراً على الافتقار، فإما أن يكون عبداً لله، أو عبداً لعبد الله من المخلوقات، فكل ما سوى الله عبيد لله، تعبد الله ﷻ، وتسبح بحمده: ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ۚ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].



ونفوس الكفار إن لم تستجب لله بألسنتها، فذراتها تسبح بحمد ربها.

فالله عَلَّمَ خلق هذه المخلوقات، ليذكروه، ويعبدوه، وينالوا ثوابه، وهو الغني عن جميع عباداتهم، وأذكارهم، وصدقاتهم: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت/ ٦].

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ٥٧ ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ زَرْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ﴾ ٥٧  
[الذاريات: ٥٦-٥٨].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أُنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ١٥ [فاطر/ ١٥].

وجهد الإنسان بأنواعه، الجهاد بالنفس .. والجهاد بالمال .. والجهاد باللسان، نفعه عائد عليه، والله غني عنه: ﴿وَلَقَدْ ءَايَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ ١٢ [لقمان: ١٢].

فهو سبحانه الغني الكريم الوهاب الذي يعطي من شاء من خلقه بسؤال، وبدون سؤال، ولكن أعظم الأبواب لعطاء الغني باب الإيمان والتقوى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

## التعبد لله ﷻ باسمه الغني

الله سبحانه هو الغني، وأخبرنا أنه الغني، وجميع ما في الكون من فضله ومن عطائه، لأنه الغني، وخزائنه مملوءة، فهو الغني الحق عن كل ما سواه من الخلق.

وخزائن الغني مملوءة بكل شيء، وجميع المخلوقات مفتقرة بل مضطرة إليه في خلقها وبقائها، وإمدادها وسائر أحوالها: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [لقمان: ٢٦].

فالله غني عن جميع العالمين، والغني هو الذي يخلق ما يشاء، ويأمر بما يشاء، ويعطي ما يشاء، ولا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة.

والله ﷻ يجب أسماؤه وصفاته، ويجب ظهور آثارها فيمن اصطفاه من خلقه؛ فالله كريم يجب أن تظهر صفة الكرم في خلقه، الله عفو يجب العفو وأهل العفو، والله مؤمن يجب المؤمنين، والله تواب يجب التوابين: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

الله ﷻ يجب ظهور أسماؤه وصفاته فيمن اصطفاه من خلقه، ولكن على شاكلة العبودية، ومن أجل هذا بين الله ﷻ في كتابه أسماؤه الحسنى، وأظهرها في آياته ومخلوقاته، لماذا؟ لندعو الله بها، ونعبده بمقتضاها، فنقول: يا غني أغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عن سواك، يا عليم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا، يا رحمان ارحمنا، يا غفار اغفر لنا .. وهكذا: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

هو جل جلاله الغني الذي يجب ظهور آثار هذه الأسماء في خلقه، فإذا أغناك الغني جل جلاله من فضله فاستغن بالغني عما سواه، ولا تلتفت لأحد سواه، وقف ببابه مع الفقراء المحتاجين المتواضعين، ولا تقف بباب غيره من الفقراء العاجزين، فالغريق لا ينقذ الغريق: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أُنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

فتوجهوا إليه بالنعمة الظاهرة والباطنة، وسلوه من فضله فخرائن كل شيء بيده: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

وإذا سألت فاسأل الله وحده، وإذا استعنت فاستعن بالله وحده، فهو الغني الذي صمد لجميع حوائج الخلق، كلهم، وجميع الخلائق تصمد إليه في جميع حوائجها، وأنت عبده فلا تذلل نفسك بسؤال غيره من العبيد مما لا يقدر عليه إلا هو: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص / ١ - ٤].

وقال النبي ﷺ لابن عباس: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ» أخرجه أحمد والترمذي<sup>(١)</sup>.

وإذا أغناك الغني من فضله، وأعطاك من رزقه، من النعمة الظاهرة والباطنة، وجاد عليك بإحسانه، فاشكره على ما أولاك من نعم، واحمده على ما خصك به من التكريم، واستعمل ذلك كله فيما يحبه ويرضاه: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات / ١٥].

واعلم أن الغني سبحانه إذا أعطاك مالا فانفقه فيما يحبه ويرضاه، على نفسك، وعلى غيرك، وتقرب به إليه يضاعف لك أجره، ويخلف عليك أحسن منه: ﴿ إِنْ تَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ قَرَّبْنَا حَسَنًا يَضَعُفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [التغابن: ١٧ - ١٨].

وإذا علمك العليم جل جلاله من علمه؛ فاعمل به، وتقرب به إليه، وعلمه عباده تكن ربانياً: ﴿ مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يُوْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦) وهذا لفظه، وأحمد برقم (٢٦٦٩).

لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾  
[آل عمران / ٧٩].

فالغني ينفق من ماله، والعالم الذي أعطاه الله العلم لا يجوز له أن يكتفم هذا العلم، بل يعمل به، ويعلمه غيره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُمْ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٩ - ١٦٠].

ومن علم الناس ازداد علمه، وكثر خيره، وزادت حسناته: ﴿كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩].

وقدم الله التعليم على العلم؛ لأن التعليم هو المعلم للإنسان، تعليم الناس هو الذي يكشف حقيقة الإنسان، وأنه لا يعلم كل شيء، لأن الناس يسألونه ولا يستطيع الإجابة فيتعلم، فتعليم الناس هو الطريق الأعظم لمعرفة العلم؛ لأنه لا يكشف الإنسان إلا إذا وقف أمام الناس وسألوه فلم يجب، ليعلم أنه ليس بكل شيء عليم؛ إنما العليم بكل شيء هو الله، فليتوجه إلى العليم ليعلمه: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه / ١١٤].

فسبحان من خزائن العلم عنده وحده: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥].

أوتينا من العلم قليلاً من عالم الشهادة، ولكن أكثر عالم الشهادة لا نعلمه، وعالم الغيب لا نعلمه، فالله ﷻ هو العليم الذي أحاط بكل شيء علماً.

فالله ﷻ غني، ويريد من عبده المسلم، ومن أمته المسلمة، أن يكونوا أغنياء بهذا الدين، وأن يستغنوا بالله عن سواه، وأن يغنوا الخلق بالأموال، بالخلق الحسن، بالعلم النافع، بفتح أبواب الخير: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

فادع الناس إلى ربهم، وعرفهم بأسماء الله وصفاته وأفعاله، ليعظموه ويكبروه، وعرفهم بنعمه وإحسانه؛ ليجبوه ويشكروه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ

الْحَسَنَةَ وَجَدَلَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ  
بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴿النحل: ١٢٥﴾.

وتاج هذه الأمة هو الدعوة إلى الله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ  
إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿فصلت/ ٣٣﴾.

فالداعي إلى الله أجره عظيم، وكل من يعلم الناس أجره عظيم، وكل من يتعلم العلم  
أجره عظيم.

قال ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»  
أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

فأجر الداعي إلى الله عظيم، لا يستطيع أحد أن يدفعه، لو جمعنا ما في السموات  
والأرض من الذهب والفضة وكل شيء، لا يساوي أجر دعوة إنسان إلى الإسلام.

فأجر الدعوة لا أحد يقدر على المكافأة عليه إلا الله ﷻ: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ  
أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٦٤﴾ ﴿الشعراء: ١٦٤﴾.

فكل شيء يمكن دفع أجرته إلا أجر الدعوة إلى الله، تعليم شرع الله، والإحسان إلى  
الخلق، كل ذلك لعظمته لا يقدر عليه إلا الله: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجَرْتُمْ  
إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿٤٧﴾ ﴿سبأ: ٤٧﴾.

هو القادر الغني الذي يعطيني الأجر آمن الناس أو لم يؤمنوا، اهتدوا أو لم يهتدوا.

فأنفق مما آتاك الله من العلم، وحرك لسانك بذكره وشكره، واستعمله بالدعوة إليه،  
وتعليم شرعه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدَلَهُمْ بِالَّتِي هِيَ  
أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿النحل/ ١٢٥﴾.

فعبودية اللسان إما بالكلام مع الله بالعبادة أو الكلام عنه بالدعوة فكلام اللسان مع ربه  
بالعبادة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾  
[الأحزاب: ٤١ - ٤٢].

وكلامه عن ربه بالدعوة: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ  
الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٩).

الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ  
 الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴿الحشر: ٢٢-٢٤﴾.

• وظيفة المسلم بين يدي ربه خمسة أمور:

طاعات يؤديها .. معاصي يجتنبها .. ذنوب يستغفر الله منها .. نعم يشكر الله عليها ..  
 ابتلاءات يصبر عليها.

وإذا جبلك الله على الخلق الحسن، وأعطاك من مكارم الأخلاق؛ فاشكره على هذه  
 النعمة وتعبد له بذلك، فاتق الله حيثما كنت؛ لأنه أهل التقوى وأهل المغفرة، وأتبع  
 السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ  
 فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ  
 وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿آل عمران / ١٦٤﴾.

واصبر لحكم ربك، وأحسن إلى العباد، واصبر على الأذى ابتغاء مرضاة الله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ  
 وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿الأعراف / ١٩٩﴾.  
 من أجل الله ﷻ، اصبر على ما أصابك، وصل من قطعك، واعط من حرمك، واعف  
 عن ظلمك، وأحسن إلى من أساء إليك؛ تكن غنياً.

افعل ذلك كله ابتغاء مرضاة الله، يقلب الله عدوك صديقاً، ومبغضك محباً، ويهدي  
 بسببك ضالاً: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ  
 ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ  
 كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَرُّوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّمَا  
 يَنزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ ﴿فصلت: ٣٣-٣٦﴾.

الشیطان يريدك أن تشتغل بالشهوات العاجلة عن الكرامات الآجلة يوم القيامة.  
 فإذا نزغك الشيطان فاستعد بالله من الشيطان، يحفظك من شره وكيدته ومكره.  
 فسبحان الملك الغني الذي له كل شيء، فهو الغني بذاته، والغنى وصف ذاتي له، وكل  
 ما سواه من الخلائق مفتقر إليه.

فالخلق كله له، والملك كله له، والأمر في العالم العلوي والعالم السفلي والدنيا والآخرة، وعالم الغيب والشهادة كله له: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].  
ومن عرف ربه بالغنى المطلق أفردته بالعبادة؛ لأن الفقير إذا عرف الغني قصده ولم يتوجه إلى غيره.

والله من رحمته أن أفقرنا إليه؛ حتى نوحده ولا نلجأ لاحد سواه من الفقراء، فمن عرف ربه بالغنى المطلق؛ أفردته بالعبادة، ووقف ببابه يسأله من فضله، ويستغفره من ذنبه، ويشكره على إحسانه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فربك الغني أهل أن يطاع فلا يعصى، وأن يشكر فلا يكفر، وأن يذكر فلا ينسى.  
ومن عرف كمال غنى العزيز الرحيم؛ افتقر إليه في جميع أموره فالفقر صفة لازمة لكل مخلوق كما قال موسى ﷺ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: ٢٤].  
فالفقر صفة ملازمة للعبد، وعبد الغني سبحانه استغنى بربه عن كل ما سواه.

فالغني غني النفس، زاهد بما في أيدي الناس، راض بما قسم له ربه، كما قال ﷺ: «لَيْسَ الْغِنَىٰ عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَىٰ غِنَى النَّفْسِ» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.  
فالله سبحانه هو الغني الذي أغنى عباده، وأكرمهم بما ينفعهم في الدنيا والآخرة، ودعاهم للإنفاق في وجوه الخير والإحسان.

فالله أعطاهم، لينفقوا في وجوه الخير والبر والإحسان، والاستكثار من الطاعات، فإنفاق الجوارح في الطاعات، وإنفاق اليد في الأموال، وإنفاق اللسان، بالذكر والدعاء والدعوة والتعليم: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [الحديد: ٧].

فالله الغني أعطانا بأمره من فضله، وفتح لنا وجوه الإنفاق، ودعانا للإنفاق في وجوه الخير والبر والإحسان والاستكثار من الطاعات والقربات، ووعدنا على ذلك الأجور

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٤٤٦).

العظيمة: ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن / ١٧].

يعطي على الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام / ١٦٠].  
 فمن أراد العزة فليعبد العزيز، وليكن عبداً للعزيز، ومن أراد الأمن؛ فليتصل بالمؤمن، وليكن عبداً للمؤمن الذي يملك الأمن، الأمن السياسي، الأمن الاقتصادي، الأمن الغذائي، الأمن الصحي، من أراد الأمن فليتصل بالمؤمن، ليستفيد من نعم المنعم بالعتاء الجزيل، ومن أراد الغنى فليسال الغني، ليكون غنياً بربه وبدينه عمن سواه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥].

ولا غنى لأحد عن بركة الغنى، لا غنى لأحد من الخلق عن عطاء الربوبية ولا عن عطاء الألوهية، ولا غنى لأحد عن عطاء الغني، وإحسانه إلى عباده: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

والدنيا يعطيها الله من يحب ومن لا يحب، فليسال الإنسان ربه من فضله ما يعينه على طاعته، ولا حرج في ذلك، كما قال النبي ﷺ: «بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، خَرَّ عَلَيْهِ رَجُلٌ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَحْتَجِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَعْنَيْتَكَ عَمَّا تَرَى، قَالَ بَلَى يَا رَبِّ، وَلَكِنْ لَا غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.

والغني على الإطلاق هو ربك الواحد الأحد لا شريك له، وأما غنى العبد فمن فضله وإحسانه، وأفضل الغنى الذي يعطاه العبد هو معرفة الغني ﷻ، والعمل بدينه جل جلاله، فعطاء الله ﷻ للأبدان لكل الخلق، وعطاء القلوب لخواص الخلق: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد / ٢١].

وهذا أعظم الغنى، غنى القلب، غنى النفس.

قال ﷺ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ» أخرجه البخاري<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٣٩١).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٤٤٦).



والفرح بهذا الغني هو الأصل: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

ومن كان الله الغنى في قلبه فقد أغناه عن كل ما سواه، ولقد امتن الله ﷻ على رسوله ﷺ بقوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر / ٨٧].  
وقال ﷻ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَنِي ضَالِّينَ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

﴿وَلَا تُمَدَّنْ عَيْنَكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [١٣١] وَأَمْرَ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطِرِّ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [١٣٢] [طه: ١٣١-١٣٢].

ومن منعه الله من الصالحين، من الأشياء والأموال الدنيوية، فقد أعطاه في الدنيا الأعمال الزكية، وادخر له في الجنة النفائس الأخروية من دخول الجنة، ورؤية الرب ﷻ، فنرى من الصالحين من هو فقير، فالله ﷻ ابعده الدنيا من بين يديه؛ حتى يمشي إلى الله ﷻ بجميع أعضائه، ويبدل جميع طاقاته، ليجاهد في الله حق جهاده: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [٨] [الحشر: ٨].

من منعه الله من الصالحين من الأموال في الدنيا، فقد أعطاه في الدنيا الأعمال الزكية، وادخر له في الجنة النفائس الأخروية، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [٣٠] نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ [٣١] ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [٣٢] [فصلت / ٣٠-٣٢].

فمن افتقر إلى الله بقلبه حقاً، وسأله العز الباقي، والنعيم المقيم؛ أغنى نفسه الفقيرة بعلومه المنيرة، واستعاد ما فقد، واستفاد وأفاد، وصلح وأصلح، واستقام وأقام، وأنفق مما لا يخاف عليه النفاد، فهذا هو الغنى حقاً، أن يعطيك الله الدين، والدعوة إلى الدين،

وتعليم الدين، ونشر الدين: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

هو الغنى الذي يُغنيك بفضلِه عن سواه، وهذا هو عطاء الألوهية، فإذا أغناك الغنى في الدنيا بهذه الأعمال الصالحة، فسوف تبني قصور الجنة، ومن حرم هذا الغنى فإنما يبني سجون الجحيم: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٣].

فإن الله ﷻ إذا أغناك بالدين، فأنت غني عن كل ما سوى الله ﷻ، فهذا هو الغنى المطلوب، وهذا الغنى يجب أن نغني به الناس؛ حتى يتوجهوا إلى الغنى، ولا يلتفتوا إلى الفقراء؛ فهذا هو الغنى الأعظم في الدنيا والآخرة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُمُ عَلَىٰ تَجْرِعٍ تُنَجِّحُكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِر لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠-١٣].

كما قال الله ﷻ: ﴿وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الصف: ١٢].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُمُ عَلَىٰ تَجْرِعٍ تُنَجِّحُكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠].

فهذه التجارة هي التي أمرنا أن نتاجر مع الله ﷻ بها، هذه التجارة الرباحة.

ففي القرآن تجارتان: تجارة رابحة، وتجارة خاسرة، تجارة رابحة للمؤمنين كما سبق.

وتجارة خاسرة للكافرين: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦].

فالْمؤمن بين يدي ربه قانت، بين يدي ربه عابداً ذاكراً خاشعاً، يكسب الحسنات، ويعظم العظيم، ويحمد المنعم: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَاتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

وبين يدي خلقه داعياً و معلماً و محسناً، وكل هذه تجارة مع الله ﷻ، ولها أرباح عظيمة، وقصور واسعة رضوان الله، ورؤيته، والقرب منه، وسماع كلامه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

فمن عرف هذا الغنى لم يلتفت لما سواه، ومن حرم هذا الغنى، فلو نال جميع ملك الدنيا فهو فقير: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَزَّهَقَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة/ ٥٥].

فلا إله إلا الله كم عظمة الله! وكم تودد الله لعباده بنعمه! وكم رحمة الله التي وسعت كل شيء! يا حسرة على العباد ماذا علموا! وماذا جهلوا! وماذا قدموا لأنفسهم!.

فسبحان الغني الذي لا حد لغناه، فالجنة الحقيقية في الدنيا هي معرفته وعبادته بنور هذه المعرفة: ﴿ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

فاللهم أغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عن سواك، اللهم أغننا بالعلم، وزينا بالحلم، وأكرمنا بالتقوى، وجمالنا بالعافية، يا من هو الإله ولا معبود لنا سواه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

شأن الرب الغني أنه لا يحتاج إلى أحد، وشأن العبد أنه يحتاج إلى غيره في كل شيء، ومن استغنى بالله أغناه، ومن أحسن إلى غيره كان أميره، ومن احتاج إلى غيره كان أسيره، ومن استغنى عنه كان نظيره.

ومن احتاج إلى ربه فهو عزيز، ومن احتاج إلى الخلق فهو ذليل لهم، بقدر ما تسأل الخلق بقدر ما تجمع من الذلة، فاسأل ربك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

سئل الحسن البصري رحمه الله، بما نلت هذا المقام؟ فقال: باستغنائي عن سؤال الناس، وحاجتهم إلى علمي.

فكلما استغنى المؤمن عن الناس أعزه الله، وكلما استغنى عن الناس أحبوه، وكلما استغنى بربه اطمأن قلبه: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجَبَ] [٢٩].

[الرعد: ٢٨-٢٩].

فهذه المعارف تولد في القلب الإيمان المطلوب الذي يريده الله، فالمؤمن إذا عرف ربه استغنى بربه عن سواه، المؤمن غني لا يشتهي ما لا يجد، لأن هذا عطاء الله له في هذا

الوقت، ولا يكثر إذا وجد، فازهد فيما عند الناس يحبك الناس، وارغب فيما عند الله يحبك الله، والمؤمن قانع بما آتاه الله من الدنيا، مجتهد مسابق مسارع لكل ما أراد الله من الأعمال، والأقوال، والأخلاق التي يجيها، ومن أخذ من الدنيا مالا أخذ بقدره همًا وغمًا، فيكفي الإنسان من الدنيا ما يكفيه لإقامة دينه: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوَّةً» متفق عليه (١).

وقال النبي ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَانَتْهَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحِذَافِيرِهَا» أخرجه الترمذي (٢).

ومن اعترف بقلبه بفقره إلى ربه أغناه من فضله، وبارك له في رزقه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [٢] ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ [الطلاق / ٢ - ٣].

فالغنى الحقيقي أن تعرف الحق وتصل إليه، وتأنس به، وتفترق إليه: ﴿إِنَّمَا يَوْمُنُ بِكَايِنَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [١٥] ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [١٦] ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٧] [السجدة: ١٥ - ١٧]. فالملء من يظهر الفاقة والمسكنة لربه الغني، لأنه فقير إلى ربه، فكلما افتقرت إلى ربك زادك غنى، وكل ما تواضعت له زادك رفعة، وكل ما ذللت له زادك عزة.

واستغن بربك الغني الذي لا ينسى أحدًا، وكن بما عند الله أوثق بما في يدك، فما في الغيب أقرب مما في الجيب.

وإذا أغناك الله بالأموال؛ فأغن من حولك مما وهبك الله ﷻ من الأولاد والأقارب: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة / ٢٦١].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٦٠)، ومسلم برقم (١٠٥٥) واللفظ له.

(٢) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٢٣٤٦).

ولكن الغني جل جلاله جعل للغني أسباباً، وأمرنا بفعلها، ومن ذلك التفرغ للعبادة إذا حان وقتها وكثرة الاستغفار: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِيبِنِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح/ ١٠-١٢].

ومن ذلك إظهار الفاقة لله ﷻ، والمتابعة بين الحج والعمرة. قال النبي ﷺ: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ» أخرجه الترمذي (١).

ومن أسباب الغنى تقوى الله ﷻ في كل حال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف/ ٩٦].

ومن ذلك الزواج: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْزِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾ [النور/ ٣٢].

ومن ذلك التوكل على الله وحده: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [التوبة: ٢٨].

ومن ذلك الاستغناء بالله وعدم سؤال الناس: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المؤمنون ﴿١٣﴾﴾ [التغابن/ ١٣].

ومن ذلك صلة الرحم كما قال النبي ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» متفق عليه (٢).

ومن ذلك إخراج الصدقات، والزكوات، والإحسان إلى الخلق: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [البقرة: ٢٦١].

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٨١٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٨٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٥٧).

فهذا الإنفاق الله ﷻ يشكره لعبده ويخلفه عليه، فأنفق ينفق الله عليك في الدنيا والآخرة وذكر النبي ﷺ أنه في كل ليلة ملكان ينزلان ويدعوان بقولهما: اللهم اعط كل منفق خلفاً، وأعط كل ممسك تلفاً.

ومن ذلك الدعاء: الله ﷻ ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة، ويقول: هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من داع فأستجيب له، فهذه هي أهم أسباب الغنى، وأسباب الغنى المذكورة في القرآن والسنة بالتفصيل، ولكن ما هي أسباب الفقر؟ من أعظم ذلك المعصية، فالعبد يحرم الرزق بالذنب يصيبه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦].

ومن ذلك سؤال الناس، فالذي يسأل الناس ولا يسأل الله ﷻ، فالله ﷻ يغضب عليه. قال ﷺ: «ثلاثة أقسم عليهن.. ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عزاء، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر» أخرجه الترمذي (١).

ومن أسباب الفقر التعامل بالربا: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة/ ٢٧٦]. ومن أسباب الفقر الكذب في البيع والشراء، كما قال النبي ﷺ: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن بنا وصدقا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما» متفق عليه (٢).

ومن أسباب الفقر كثرة الحلف في البيع. قال النبي ﷺ: «الحلف منفقة للسَّلعةِ مَحَقَّةٌ لِلْكَسْبِ» متفق عليه (٣). ومن أسباب الفقر منع الزكاة. قال النبي ﷺ: «وَمَا مَعَ قَوْمٍ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْ لَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا» أخرجه ابن ماجه (٤).

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٢٣٢٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٠٧٩) واللفظ له، ومسلم برقم (١٥٣٢).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٠٨٧)، ومسلم برقم (٦١٠٦) واللفظ له.

(٤) صحيح / أخرجه ابن ماجه برقم (٤٠١٩).

ومن أسباب الفقر القنوط، وضعف اليقين: ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

فهذا التعب لله ﷻ باسمه الغني جل جلاله.

فإن أعطاك الغني جل جلاله، بدنًا قويًا، وقلبًا شجاعًا، وعلماً نافعًا، ومالًا وافرًا، وخلقًا فاضلاً؛ فاستعمل ذلك في طاعة من خلقك، واحمده على هذه النعم، واستعملها في عبادة ربك الذي خلقك وأغناك، واجتباك وهداك، بفعل كل محبوب إليه، وترك كل مكروه لديه، ليرضى الله عنك ويرفع درجاتك، ويغفر ذنوبك، ويزيد حسناتك: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرٌ عَلَىٰ تَحَرُّقٍ نُجِحِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ ١٠ ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ١١ ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ١٢ ﴿وَأُخْرَىٰ يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَسِرٌّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠-١٣].

وأنفق من كل ما أعطاك الله من الخير في مرضاته؛ يحبك الله، ويرضى عنك، ويخلف عليك خيراً منه: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ [سبا/ ٣٩].  
واعلم أن الذي أعطاك هو الذي أمرك أن تعطي عباده، لتنال بذلك الأجر، فأنفق من أحسن ما أعطاك الله، تنال أحسن منه برًا وأجرًا وثوابًا: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران/ ٩٢].

وبادر إلى الإنفاق قبل أن يحال بينك وبينه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ١٣٣ ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

أنفق من وقتك، من علمك، من مالك، من خلقك، أنفق على كل محتاج، يرضى الله عنك ويرضيك: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧].

﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وِلْدَانِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحاف/ ١٥].

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنَ بِالصَّالِحِينَ ﴾ [٨٣] وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ  
﴿ ٨٤ ﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ [٨٥] [الشعراء / ٨٣ - ٨٥].  
﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي ﴾ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا  
نَارًا ﴿ ٢٨ ﴾ [نوح / ٢٨].

اللهم اغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عن سواك،  
اللهم اصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي،  
وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي.

واجعل الحياة زيادةً لنا في كل خير، واجعل الموت راحةً لنا من كل شر.

اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، والفوز بالجنة والنجاة من النار، يا  
أرحم الراحمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الرزاق.. الرزاق

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله الرزاق.. الرازق

الله ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السموات والأرض : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

ومن فضل الله ﷻ علينا أن بين لنا في القرآن أسماء الله ، وصفاته ، وأفعاله ، وخزائنه ، ووعدته ، ووعيده، وبين لنا في الآيات الكونية، عظمة الخلق التي تدل على أن خالق هذا الكون عظيم وكبير ، وعليم حكيم ، وسميع وبصير ، وقوي وغني وملك كريم : ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

فالله أخفى أسماءه وصفاته في الآيات الكونية في مخلوقاته، وأظهرها في كتابه، ومن علينا بمعرفتها ، حتى نعرف من نعبده؟ ، ومن نكبر؟ ، ومن نحب؟ ، من نشكر؟ ، من نسأل؟ ، من ندعو؟ : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

فالمعرفة أعظم شيء ، أعظم شيء أن يعرف الإنسان ربه .

العلم علمان: علم إلهي ، وعلم إنساني، والعلم الإلهي الذي جاء به محمد ﷺ في مكة النبي الأمي، للأمة الأمية، هو الذي ابتلع العلم الإنساني عند فارس والروم . وهذا العلم يسعد به الإنسان في الدنيا والآخرة، وهو أول علم: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد/١٩].

فأعرف المعبود قبل التعبد له؛ فهذا العلم يزكي القلوب ، ويسعد النفوس، وينقل الإنسان من معرفة المخلوق إلى معرفة الخالق ، ومن الدنيا إلى الآخرة، ومن عالم الشهادة إلى عالم الغيب ، ومن الاهتمام بالتوسع في الأموال والأشياء والشهوات، إلى التوسع والمسارعة إلى الخيرات والطاعات والقربات : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [١٢].

[الطلاق: ١٢] .

فمعرفة الله ﷻ هي أعظم المعارف وهي أصل العبادات كلها ، وأساس خشية الله ﷻ : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد: ١٩] .

وبحسب هذه المعرفة تكون قوة المحبة، وقوة التعبد ، وقوة التكبير ، وقوة التعظيم لربنا ﷻ ، وبحسب هذه المعرفة ، وبحسب هذا التعبد؛ تكون محبة الله لعبده ، وعنايته به ، وإكرامه ، وسوق الأرزاق إليه، واسم الله الرزاق من أسماء الله الحسنی التي ظهرت آثارها في الكون وتظهر آثارها في الكون في كل ثانية؛ في عالم الجهاد ، وعالم النبات ، وعالم الحيوان ، وعالم الإنسان : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِوْنَ ﴾ [٣١] فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ [٣٢] .

[يونس: ٣١-٣٢] .

ومعرفة الله بأسمائه وصفاته أفضل العلوم وأزكاها ، وهو أول علم واجب : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد: ١٩] .

[محمد: ١٩] .

وفضل معرفة الله على معرفة خلقه كفضل الله على خلقه، وفصل كلام الله على كلام خلقه كفضل الله على خلقه : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٥] .

فمن أراد أن يكلم الله فليدخل في الصلاة، ومن أراد أن يكلمه الله فليقرأ القرآن، والقرآن أخبار وأوامر .

أخبار عن الخالق وأسمائه وصفاته، وأفعاله ، وأخبار عن المخلوق في الدنيا والآخرة، خلق السماء والأرض وخلق الجنة والنار، وغير ذلك : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩] .

وأخبار القرآن أحسن الأخبار ، وهي ثلاثة أقسام :  
أخبار الماضي .. وأخبار الحاضر .. وأخبار المستقبل .

فأخبار الماضي للتبشير : ﴿ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي

هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٠﴾ [هود: ١٢٠].

وأخبار الحاضر للتطبيق: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧].

وأخبار المستقبل للترغيب والترهيب: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾  
﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣-١٤].

وعلينا تصديق أخبار القرآن ، وامثال أوامره ، واجتناب نواهيه : ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ نَقَشِعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣].

فيجب علينا أولاً أن نعرف الله ﷻ بأسمائه وصفاته، معرفةً تحملنا على محبته وحده ، وتعظيمه ، وتكبيره ، وطاعته وعبادته ، لجلاله وجماله ، وعظمة ملكه وسلطانه ، وعظمة نعمه وإحسانه : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

• والعلم الشرعي ثلاثة أقسام:

علم بالله.. وعلم بخلق الله.. وعلم بأوامر الله.

• والعلم بأوامر الله ثلاثة أقسام:

علم بأمره الكوني الجاري في هذا الكون، بالخلق والإيجاد ، والتصريف والتدبير: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

في كل ثانية مليارات الأوامر الملكية الكونية تجري في الكون بالخلق والإيجاد، والتصريف والتدبير، والتحريك والتسكين : ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

لا بد أن نتعرف على أوامر الله الكونية في هذا الكون، أرأيتم لو غابت الشمس هذا اليوم كيف تكون الحياة؟ يكون الكون أشد ظلام من السواد، ولكن بأمره الكوني حرك الشمس، لأنه هو الذي يجريها في العالم: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

فالعلم بأمره الكوني يولد قوة الإيمان، وقوة التعظيم، وقوة المحبة لله ﷻ، وقوة الخشية له. الثاني: علم بأمره الشرعي: لا بد أعرف أوامر الله الشرعية التكوينية، افعل كذا، ولا تفعل كذا، فالطاعات كلها أغذية نافعة، والمنهيات كلها سموم مهلكة، والإنسان ممنوع أن يتناول السموم، أو يمد يده إلى ما هو محرم، من سرقة أو زنا أو غش وغير ذلك من الكبائر والمحرمات.

الثالث: علم بأمره الجزائي على كل عمل يعمله الإنسان: ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [٧٤] وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمَلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الَّتِي ﴿٧٥﴾ [طه: ٧٤-٧٥].

### • فأوامر الله ثلاثة أقسام:

الأول: علم بأمر الله الكوني: وهو ما في هذا الكون من الآيات والمخلوقات. الثاني: علم بأمره الشرعي: وهو ما ورد في القرآن والسنة من الأوامر والنواهي. الثالث: علم بأمره الجزائي: وهو وعده ووعيده، بدخول الجنة لمن أطاعه، ودخول النار لمن عصاه، والعلم بالله، وبأمره الشرعي، فرض عين على كل مسلم ومسلمة: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

أول فرض هو أن تعرف الله قبل أن تعرف أنواع العبادة، تعرف المعبود المستحق للعبادة، وتعرف من أنت حتى تعلم أنك ضعيف فقير عاجز محتاج، كنت معدوماً فأوجدك الله، ولما أوجدك فأنت في ملكه ومملوك له، حياتك وموتك بيد الله، إذا شاء الله أبقاك، وإذا شاء أماتك، وإذا شاء أغناك.

• آيات الله في الكون ثلاثة أنواع:

آيات كونية كانت ، وهي خلقه الموجود الآن مثل، خلق السماء، خلق الأرض، خلق النجوم، خلق الشمس، خلق القمر، خلق الأرض، خلق الجبال، خلق البحار، خلق الإنس، خلق الجن، خلق الملائكة: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (٢٣) [الزمر: ٦٢] .

وآيات تكوينية: أفعاله الكونية في ملكه في كل وقت، ففي كل يوم هو يحيي ويميت، ويعز ويذل، ويسيطر ويقبض، ويعطي ويمنع، هذه أفعاله، ففي كل ثانية ينزل من الله مليارات الأوامر التكوينية بالإحياء والإماتة ، والعزة والذلة ، والشفاء والمرض، والأمن والخوف .

فرينا عظيم له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى : ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقَوْنَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١-٣٢] .

وآيات قرآنية: كلامه؛ وكلامه: أخبار وأوامر، أخبار نصدقها، وأوامر نمتثلها : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١١٥) [الأعام: ١١٥] .  
فالتدبر والتفكر في هذه الآيات يزيد الإيوان، وبقدر التفكير والتدبر تأتي قوة المحبة لله وقوة التعظيم له: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١١٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾ [آل عمران/ ١٩٠-١٩١] .

فكثرة الذكر تولد كثرة التفكير، وكثرة التفكير تولد كثرة الذكر؛ فمن عرف أن الله هو العظيم، الذي له ملك كل شيء وييده كل شيء، رجاه ، وخاف منه ، وأحبه ، وحمده وشكره ، وكبره وعظمه ، واستحيا من معصيته : ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوْسًا وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ [ق: ٦-٨] .

فهذه القلوب لها أغذية، ومن لم يأخذ هذه الأغذية الإيمانية؛ فلا بد أن يأخذ أغذيةً مسمومة، وهي الأغذية التي يصرها الشيطان مجاناً للإنسان، ليجلسه في مجالس الغفلات والشهوات، والتوسع في المباحات؛ حتى يصرفه عن الآخرة إلى الدنيا ومن الخالق إلى المخلوق، ومن الأعمال الصالحة إلى الإهتمام بالأموال والأشياء: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ٦٠-٦٢].

فلا بد للإنسان أن يترقى في معرفته، يترقى عما دونه من الحيوانات التي ليس عندها إلا تقلب في الشهوات، من مأكولات ومشروبات، والرتبة السبعية التي طبيعتها الافتراس، القوي منها يأكل الضعيف، والرتبة الإبلية التي شأنها الفساد والإفساد، ويترقى ويصعد إلى مرتبة الملائكة الذين مزاجهم سمعنا وأطعنا: ﴿أَمَّا أُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ أَعْيُنُهُمْ تَجْعَلُ اللَّهُ كَيْفَهُمْ هُمْ يَسْتَمِعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

غفرانك على التقصير الكبير في معرفة الله، والتقصير في التبعده، والتقصير في أن العبادة لا تليق به، والتقصير في الدعوة إلى الله، والتقصير في الإحسان إلى خلق الله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

فلا بد أن أستغفر الله؛ لأن عبادتي لا تليق بالعلي العظيم، ولكنه كريم، يقبل العمل القليل، ويعطي عليه الأجر الكبير؛ لأنه بالناس رؤوف رحيم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

فإنك من كمال رحمته بعباده، أن عرفهم بأسمائه وصفاته، وأسماء الله وصفاته مذكورة في القرآن، والله ﷻ بينها في القرآن، والكون كله يشير إليها.

فهذا الخلق العظيم يدل على أن الله ﷻ واحد، لا يستشير أحداً في الخلق، وأنه قادر على خلق العظيم والكبير والصغير، وأنه غني عنده خزائن كل شيء، وأنه حكيم يضع الشيء في موضعه، وخبير يخلق جل جلاله ما يشاء بحكمته، خلق الماء والتراب، خلق الليل والنهار، وخلق العالم العلوي والعالم السفلي، فالله ﷻ أمرنا بمعرفته؛ فمعرفة الله ﷻ هي التي تولد العبادة التي يريدنا الله، والتي هي قائمة على ثلاثة أمور:

حب كامل لله .. وتعظيم له .. وذل له جل جلاله .

فأنا أعبد الله لذاته وجلاله وجماله، وأعبده طمعاً في ثوابه ، وخوفاً من عقابه، لأني أعيش في ملكه، وأرى آياته ومخلوقاته في كل لحظة، وكلها مسخرة لي، فرينا جل جلاله عظيم، بين لنا أسماؤه وصفاته، لنعبده بالحب والتعظيم والذل له : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

فإذا عرفته أقبلت على عبادته، واشتغل اللسان بذكره، وتحركت جوارحي بطاعته، هذا أمر عظيم، ومنة كريمة أن من الله ﷻ علينا بمعرفته لنحبه ونعظمه ونعبده ، ونحن في عبادة من أعظم العبادات بل هي أعظم العبادات، لأننا نتعلم الدين، لنعمل بالدين ، وننشر الدين : ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩] .

فالله ﷻ من أسماؤه العظيمة الرزاق الذي يرزق به كل أحد : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥٦] مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ إِنْ اللَّهُ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨] .

وقال ﷻ: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [١١] [الجمعة/ ١١] .

فالله ﷻ هو الرزاق الذي خلق الأرزاق كلها في السماء والأرض، وهو جل جلاله ملك مالك لجميع الأرزاق، ومعطيها وموصلها إلى خلقه، الرزاق الذي يصرفها ويقسمها بين خلقه في كل وقت، حسب علمه وحكمته وإرادته: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات/ ٥٨] .

هو الرزاق الذي خلق الأرزاق، وعنده خزائن الأرزاق، وهو قوي يوصل الأرزاق إلى المرزوقين، وعليم يعلم من يحتاج إلى هذه الأرزاق، ومتين خزائنه لا تنقص أبداً . أما المخلوق فخزائنه تنقص مع الإنفاق .

فهو سبحانه الرزاق الرزاق، واسع الرزق، كثير الأرزاق المادية والمعنوية، الذي يملك جميع خزائن الأرزاق، الذي وسع جميع الخلق رزقه، ورحمته، وأنواع إحسانه: ﴿وَإِنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر/ ٢١] .



هو غني يملك كل شيء ورزاق ينفق من هذه الخزائن على مخلوقاته في العالم العلوي، والعالم السفلي، في السماء، وفي الأرض، وفي البر، وفي البحر. فهو سبحانه الرزاق الصمد المتكفل بأرزاق الخلائق كلها، القائم على كل نفس خلقاً، وإيجاداً، وتدبيراً، ورزقاً، القائم على كل نفس بما يقيمها من قوتها، الرزاق لكل مخلوق رزقاً بعد رزق.

فالله أكبر! أرزاق متوالية، رزق بعد رزق، رزق مادي، ورزق روحي وهو الإيمان، رزق من المال والطعام والشراب، ورزق من العلم، والحكمة، ورزق من الأخلاق:

﴿ وَمَا يَكُم مِّن تَعَمَّةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣].

هو الرزاق لكل مخلوق رزقاً بعد رزق، المكثّر منه لعباده، كم من الأرزاق التي تصرف للعباد كل يوم، من خلقها؟ ومن أوصلها؟ ومن الذي يكررها كل وقت؟ أمر الرزق بيده؛ فهو لا يحتاج إلى مواد حتى يخلق الأرزاق: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [٨٢] فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

[يس: ٨٢-٨٣].

بحرفين من كلامه خلق السماوات السبع الشداد، وخلق الأراضين السبع، وخلق الجبال، والسهول، وخلق البحار والأنهار، وخلق الجنة والنار، ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ﴾ [٤٩] وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمِجٍ بِلَبِّصِرٍ ﴿٥٠﴾ [القمر: ٤٩-٥٠].

هو الذي خلق جميع أرزاق العباد، ولا يقطع عنهم الرزق أبداً، المتفرد بالزرع والإنعام وحده لا شريك له: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٨].

هذا الهواء رزق من فضل الله يتنفس منه الإنسان والحيوان والنبات، كل يوم يأخذ الإنسان من هذا الرزق ثلاثمائة وستين متراً مكعباً هواء، هذا من فضل الله الذي ملأ هذا الفضاء العظيم بين السماء والأرض: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

هو الرزاق الكريم الرحيم الذي يعطي من يطيعه، ومن يعصيه، والكريم من الناس إذا سُئِلَ أعطى، وإذا عاهد وفي، ولا يبالي كم أعطى، ولمن أعطى؛ فكيف بكرم الأنبياء والرسل، وكيف بكرم رب السموات والأرض: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ

جَمِيعًا قَبَضْتُهُ، يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّتُ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحٰنَهُ ۚ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ [الزمر: ٦٧].

هو الغني وكل ما سواه فقير إليه، الله أخبرنا أنه الرزاق؛ حتى لا نذل أنفسنا لغيره، فتوجه إليه؛ لأن خزائن كل شيء بيده: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَدْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا هُوَ فَأَنْ تُوَفَّقُوا﴾ [فاطر / ٣].

مصانع تنتج التمور، أو تنتج التفاح، أو تنتج القمح، أو تنتج الهواء، أو تنتج الماء، هذه المصانع: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨]. وكل مصنوع من أجلك، وكل ما تراه من نعمة فهو من أجلك أيها الإنسان: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [لقمان / ٢٠].

هذا الملك الكريم الذي غمر خلقه بأنواع نعمه وأرزاقه يجب عليهم أن يعبدوه، ويشكروه وريكفروه: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل: ٧٢].

الله جل جلاله أعطانا هذا العقل الجبار، الذي يعرف أن وراء الخلق خالق، ووراء الصور مصور، ووراء الأرزاق رزاق، وتعرف عليه ونتعرف به على ما يأمرنا به، وما ينهانا عنه، ونتعرف عليه ليخبرنا ما هي قصة حياتنا؟ وكيف نعيش، وما المطلوب منا، وما مرادنا منه، وما مراده منا: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثْوَكُمْ﴾ [حمد: ١٩].

فالقرآن فيه علم الأولين والآخرين، فيه تبيان كل شيء، فمن قرأ القرآن فقد عرف كل شيء، ومن لم يقرأ القرآن فلم يعرف شيئاً: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

ومن أعظم النعم، ومن أعظم الأرزاق، أن من الله ﷻ علينا بنعمة الإسلام، فنسلم قلوبنا وجوارحنا لربنا السلام، ومن أسلم قلبه وجوارحه لله في الدنيا، رضي عنه السلام، وأدخله الجنة دار السلام: ﴿هُم دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴿١٣٧﴾ [الأنعام/ ١٢٧].

فهو سبحانه الرزاق، الذي يرزق جميع مخلوقاته ، ولا ينسى أحداً ، ولا يمكن أن الله يخلق الخلق ولا يرزقهم : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود: ٦].  
الواحد منا لو كانت عنده مائة رأس من الغنم لا يمكن يغلق عليها الباب فيتركها تموت، هذه جناية كبيرة .

والله ﷻ لا يمكن أن يخلق الخلق، ويتركهم بلا أرزاق، بل ساق إليهم الأرزاق المادية بعبء الربوبية، وساق إليهم الأرزاق الروحية بأن أرسل إليهم الرسل ، وأنزل الكتب، وأعطى العقول والأسماع والأبصار التي تعقل عنه وتستقبل الوحي ، وتعمل به : ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الملك: ٢٣].  
فالمؤمن عزيز؛ لأنه اتصل بالعزیز، وملك ، لأنه ملك جوارحه وسخرها في طاعة الله، وقوي؛ لأنه اتصل بالقوي، وكبير؛ لأنه عرف الكبير، وعرف أن ما سوى الله كله صغير .

فالذي يتصل بالكبير ، ويعمل مع الكبير هو كبير، والله يجب من عباده أن يتصفوا بالصفات التي يجبها من العلم والرحمة، ورزق الخلق ، والإحسان إليهم ، والعفو والإيمان، فالله يجب المؤمنين، ويجب التوايين ، ويجب المحسنين : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].  
فالله ﷻ يجب ظهور صفاته على شكل نعم في الخلق؛ فهو كريم يجب الكرم والكريم، ورزاق يجب الإنفاق، فاليد العليا خير من اليد السفلى ، فالله ﷻ كريم ورزاق يجب من عباده أن يتصفوا بهذه الصفات .

هو سبحانه الرزاق الذي يرزق جميع مخلوقاته، ويوصل إليهم أنواع الأرزاق، في كل مكان وفي كل زمان بلا كلفة ولا مشقة، السميع للسائلين، العليم بالمحتاجين، الذي يعطي السائل وغير السائل، والصامت والناطق، والغافل والذاكر، والمطيع والعاصي، لأن رحمته وسعت كل شيء، ورزقه من رحمته : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٠].

هو وحده السميع للسائلين ، العليم بالمحتاجين ، وهو سبحانه الرزاق الذي قسم الأرزاق بين خلقه، وساقها إليهم بقدرته، إيصال الأرزاق أمر عظيم ، وعجيب ، وكبير، خلق الأرزاق آية، وإيصالها إلى الخلق آية عظيمة، ومعرفة المرزوقين ، وحاجاتهم من الرزق المادي والمعنوي الله تكفل به .

هو الصمد الذي تصمد إليه جميع الخلائق بحوائجها، وهو قاضي الحاجات : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرِّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٨] .

فجميع الحاجات في العالم العلوي والعالم السفلي ، وجميع حوائج الخلق، وجميع الحاجات كلها في خزائنه، جميع حوائج الناس والخلائق كلها عنده : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ [الحجر: ٢١] .

هو قاضي الحاجات، وجميع الحاجات مستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته ، الهواء لا يمتنع عليه، الطعام لا يمتنع عليه أن يوصله لمن شاء، بأي قدر شاء، في أي وقت شاء، لأي مخلوق شاء : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ أَسَلَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر: ٢٣] .

فهو سبحانه الرزاق الذي قسم جميع الأرزاق بين خلقه، كمية ونوعية ، ومكاناً وزماناً ، وساقها إليهم بقوته ورحمته فلا ترى أحداً إلا يأكل من رزقه، ويسكن في ملكه، وينعم بفضلها : ﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف/ ٣٢] .

فالمؤمن والكافر ، والمطيع والعاصي، والناطق والصامت، والغني والفقير، والإنسان والحيوان، الكل قعود على موائد نعمه التي لا تعد ولا تحصى : ﴿ كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٠] .

فسبحان الملك الكريم الرزاق، الذي يرزق الخلائق جميعاً في كل زمان ومكان مهما كثر عددهم، وتنوع أجناسهم، واختلفت حاجاتهم : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ﴾

فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْفِقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ [يونس / ٣١-٣٢].

فسبحان ربنا العظيم الغني ، الرزاق الكريم ، الرؤوف الرحيم بعباده .

وسبحان من قسم الأرزاق بين خلقه في كل زمان ومكان ، كميةً ونوعية .

هذا طير السماء يأكل من رزقه ، وهذا وحش الأرض يأكل من رزقه ، وهذا حيوان البحر يأكل من رزقه ، وهذا حيوان البر يأكل من رزقه ، وهذا الإنسان يأكل من رزقه :

﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [هود / ٦].

فالأرزاق كلها في السماء ، ولكن التسليم في الأرض : ﴿ فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ [الذاريات / ٢١].

هذه آيات ثلاث عظيمة ، الرزق في السماء ليس في الأرض ، إنما مكان التسليم في الأرض ؛ لأن الزرق من عطاء الربوبية ؛ والله ﷻ ساوى بين خلقه في عطاء الربوبية ،

ساوى بين خلقه في العطاءات ، ولكن المجموع العام أن عطاء الربوبية واحد لجميع خلقه ، لأن الله قسم الأرزاق على خلقه على حد سواء ، عطاء الربوبية شامل للمؤمن

والكافر ، فالرزق في السماء مكتوب ومقدر لا يزيد ولا ينقص ، لكنه يزيد ويتبارك بالإيمان والتقوى كما قال ﷻ : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف / ٩٦].

فالأرزاق كلها في السماء ، ولو كانت الأرزاق في الأرض لتقاتلنا عليها ، فجميع الأرزاق في السماء ، وكلها مقدره لكنها مخفية وراء الأسباب ، ونحن أمرنا بفعل الأسباب لا

لجلب الرزق فقط ، إنما لامتثال أمر الله في طلب الرزق ، لامتثال أمر الله عند النوم ، لامتثال أمر الله عند الأكل ، لامتثال أمر الله عند الخوف فله أوامر تتمثل في كل حال .

فالله يجب أن تتمثل أوامره ونتحصل على الرزق ، له أوامر في الكسب والمعاش ، باب البيع والشراء ، وباب المعاملات أكثر من ثلاثين باباً من الأبواب كلها في طلب الرزق ،

هذه أوامر يجب أن تتمثل كما يمثل أمر الله في الوضوء والصلاة والصيام والحج ، فالأرزاق في السماء لا تزيد ولا تنقص قد كتبها الله ﷻ : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا

تُوَعَدُونَ ﴿٢٢﴾ [الذاريات/ ٢٢].

وليست بجدة الإنسان وكسبه ، الإنسان قد ينام في بيته ، ويدخل عليه رزقه بدون سبب ، لا يعلم الإنسان أن هذا البيت الذي يسكنه سوف يمر عليه طريق واسع وبيته قيمته مائة ألف ريال مثلاً ، ما يدري إلا وقد ثمن هذا البيت بعشرة ملايين .

فالأرزاق كلها في السماء وقتها ومقدارها ونوعها وصاحبها ومكانها ، كل ذلك مقدر لكل مخلوق : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [هود: ٦] .

فالرزق في السماء ، والرزاق أمرنا أن نبتغي عنده الرزق وحده ؛ لأنه الرزاق ، يرزق بالأسباب ، وبدون الأسباب ، وبضد الأسباب ، ولكننا مأمورون بفعل الأسباب ، ولكن الأسباب لا تعمل بنفسها ، بل لا بد أن نفعل الأسباب بجوارحنا ، ونتوكل على الله في طلب الرزق بقلوبنا ؛ لأنه الرزاق ، فنلقي الحب في الأرض ، فتوجه إلى خالق الحب أن ينبتة : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ [٦٣] ﴿ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ وَأَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ [٦٤] ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا فَظَلَّمْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ [٦٥] [الواقعة/ ٦٣ - ٦٥].

فالأرزاق بيد الله ﷻ ، يعطيها للسان للعامل وغير العامل ، في اليمن أسرة من الأسر رجالها يعملون في دول الخليج لطلب الرزق ، فالله ﷻ جعل هذه الأسباب ، في ظاهرها طلب الرزق ، وفي باطنها أن الإنسان يأخذ اللقاحات من غيره ، إما عالم يعلم غيره ، أو جاهل يتعلم من غيره .

فهذه الأسرة رجالها انتشروا في دول الخليج يطلبون الرزق ، وتركوا النساء ، ومعهن أخ لهم ، لكن هذا الأخ رجل ضعيف مسكين ، ولكنه محافظ على الصلاة ، جلس عند النساء وعند الأولاد ففي يوم من الأيام وهو يعمل في جبل ، يكسر الحجارة ليبنوا مسجداً ، فأخذ يكسر مع الرجال من أهل قريته ، وهو يكسر خرج له حجر أخضر ، وفي باطن هذا الحجر جوهرة عظيمة نفيسة لها إشعاع ، ففرح بها وذهب بها إلى بيته .

ثم جاء أخوه من إحدى دول الخليج ورآها ، فذهب بها إلى أهل الذهب ، فأعطوه بها مائة ألف ريال يماني ، فجاء بها إلى السعودية وطلبت منه بمليون ريال سعودي ، فلم ينشر صدره لبيعها ، وذهب بها إلى أوروبا وهناك باعها بمليون يورو ، تعادل ستة

ملايين ريال سعودي فأخذ هذا المال، وجاء إلى بلده، وجاء إخوته، واستقروا في بلدهم. فهذا الرجل البسيط، كيف الله ﷻ جعل رزق هذه الأسرة على يده، وأصبحوا الآن من التجار ورجال الأعمال، بسبب هذا الرجل الذي لا يفقه من أمور الدنيا شيئاً.

الله ساق له الرزق؛ ليعلمنا أنه الرزاق وحده، وليس بالطاقة، وقوة العمل، والعضلات، والأبدان تأتي الأرزاق، إنما الأرزاق تأتي من الرزاق، والشفاء يأتي من الشافي، والعلم يأتي من العليم، فكل شيء بيده، وكل شيء له، وهو الوهاب الذي يهب عباده ما يصلحهم.

فهو سبحانه الرزاق الذي رزق الأبدان الأطعمة والأشربة، ورزق القلوب العلم والمعرفة.

هو الرزاق الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه، خص الأغنياء بوجود الرزق، وخص فقراء المؤمنين بشهود الرزاق، فإذا أخذ من الفقير بعض الرزق المادي، عوضه بالتجلى والأنس به جل جلاله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر/ ٩].

والله حكيم عليم إذا أغرق الغني بالنعيم المادي حرمه من نعيم القرب، ولذلك الله يعطي على وفق الحكمة، ويعطي ما يصلح العباد: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۗ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء/ ٣٠].

فهو يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، إنه كان بعباده خبيراً بصيراً؛ لأن الخلق خلقه، ويعلم ما يصلحهم، وما تزكو به نفوسهم: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرِّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾

[الذاريات: ٥٦-٥٨].

ومعرفة هذا الاسم من أهم المهمات؛ لأنها تتصل بحياتنا في كل لحظة، ونرى آثار رزقه في هذا الكون العظيم في كل زمان ومكان فلندكر ربنا الذي خلقنا، وخلق أرزاقنا، وأوصلها إلينا، وأجزل لنا العطاء، ونحرك اللسان بالثناء والتمجيد والتكبير لربنا العظيم: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة/ ١٥٢].

ومن أراد أن يذكره الله، فليذكر ربه بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی.

واسم الله الرزاق ورد في القرآن مرة واحدة في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات/ ٥٨].

أما اسم الله الرزاق فقد ورد في القرآن خمس مرات ، لكنه مقيد بصيغة التفضيل كما قال سبحانه: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾ [سبأ/ ٣٩].  
واسم الله الرزاق صيغة مبالغة، مأخوذ من الفعل رزق يرزق فهو رزاق ورزاق " للدلالة على كثرة الأرزاق ، وكثرة الأنواع ، وكثرة المرزوقين .

الرزاق صيغة مبالغة للدلالة على كثرة الأرزاق ، فكم عدد الأرزاق التي خلقها الله ﷻ من الأرزاق المادية والروحية؟!

أنواع مختلفة ، وعوائل مختلفة ، من الأرزاق ، من الأطعمة والأشربة والألبسة، ومن الأخلاق والأعمال الصالحة، فالرزاق صيغة مبالغة للدلالة على كثرة الأرزاق، وكثرة الأنواع ، وكثرة المرزوقين : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

خلق الأرزاق كلها ، وخلق الأنواع كلها، وخلق المرزوقين كلهم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء/ ٧٠].

أفلا يشكرون هذه النعمة، وهذا العطاء الكريم من الرب الزرّاق الكريم جل جلاله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

وليس يصح في الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل؛ فعظمة الله ﷻ وكبرياؤه، وعظمة ملكه وسلطانه، لا تخفى على أحد، ولكن الناس إما جاهل ، وإما مستكبر، وإما عاقل .

فالجاهل يُعلم والمستكبر يجاهد حتى إما أن يخضع لدين الله، أو يُحكم بأمر الله ولو بقي على كفره ، لأن الدين كله يجب أن يكون لله وحده : ﴿وَقَلِّبُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِئْتَهُ وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].



فسبحانه الملك لا إله غيره ، ولا رب سواه ، هو الغني الرزاق الذي يرزق الخلق أجمعين ، الرزاق الذي تكفل بجميع أرزاق جميع أهل السموات والأرض ، في كل حين: ﴿ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرًا إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالْيَهُ تَجْتَرُونَ ﴾ [النحل/ ٥٣].

خزائن الأموال، خزائن الطعام، خزائن الشراب، خزائن الذهب، خزائن الحبوب، خزائن التمور، خزائن الحديد، خزائن النحاس، خزائن العقول، خزائن الذكاء، خزائن التفكير، خزائن العيون، خزائن الأسماع، خزائن الأبصار، خزائن الأبدان، خزائن الشمس، خزائن الأقمار، خزائن النجوم، خزائن العزة، خزائن الذلة ، كلها بيد الله وحده لا شريك له: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الحجر/ ٢١].

فالله أكبر ، هو المستحق للعباد لذاته، هو المستحق للعبادة وحده والعبادة هي التأله والتعبد لمن له صفات الكمال والجلال والجمال : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٣].

والرزاق من أسماء الجلال فهو رزاق كريم ، فنعبده لجلاله ، ونعبده لجماله، ونعبده لعظيم نعمه وإحسانه إلى خلقه : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٥].

هو الرزاق الذي وسع رزقه جميع الخلق، المؤمن والكافر، والإنسان والحيوان، والملائكة والجان، يسوق جل جلاله أرزاقه إلى الضعيف الذي لا حيلة له، كما يسوق رزقه إلى القوي ذي المرة السوي، هذا يفعل الأسباب ويرزق ، وهذا قاعد في بيته يأتيه الرزق من حيث لا يدري، بهبة ، أو وصية أو ميراث أو هدية أو غير ذلك: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات/ ٥٨].

هو جل جلاله الرازق الرزاق الذي تكفل بأرزاق وأقوات الأبدان والقلوب؛ فجميع مخلوقاته تنعم بهذه الأرزاق، فرزق بعد رزق، ومرزوق بعد مرزوق، وأرزاق كثيرة متنوعة في كل حين: ﴿ وَءَاتَاكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا لِلْإِنسَانِ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

لم توصله النعم للمنع، ولم توصله صفات الجلال ليخاف من العظيم الذي خلق السموات والأرض، وخلق النار وخلق البحار، ولم توصله صفات الجمال لربه، ليشكر من خلقه ورزقه وهده.

هو سبحانه الرزاق الذي أفاض على عباده جميع أنواع الأرزاق المادية والروحية، ولهذا خمس سور من القرآن كلها افتتحت بالحمد:

سورة الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٢-٥].

وسورة فاطر: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر / ١].

وسورة الأنعام: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام / ١].

وسورة الكهف: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾﴾ [الكهف / ١].

وسورة سبأ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾ [سبأ: ١].

فنحمد الله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، على غذاء الأبدان، وغذاء القلوب.

سبحانه أرزاقه متوالية، وأرزاقه منوعة، وأرزاقه كثيرة، على كل مخلوق من عبيده.

هو سبحانه الرزاق الذي قدر مقادير الخلائق وأرزاقهم، قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وتكفل وحده بإيصال الأرزاق إلى أهلها، في كل زمان ومكان: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مُقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعِبَادَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الزمر / ٦٢-٦٣].

وقال النبي ﷺ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرَّشُهُ عَلَى الْمَاءِ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

هو عليم بما كان، وما يكون، وما سيكون، هذه قدرته، قدرته أن خلق، ويخلق، وسيخلق، ما شاء، كما شاء.

فسبحان الملك الرحيم بعباده، الرزاق الذي جميع الأرزاق منه، الرزاق الذي أفاض على

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٣)

عباده من الأرزاق ما لم يجعل لأبدانهم وقلوبهم قواماً إلا به : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٨] .

فهو خلقنا جل جلاله ورزقنا وهو الذي يميئتنا، ينقلنا من دار إلى دار، وهناك الأرزاق مفتوحة، حيث لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧] .

فالله أكبر ما أعظم جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة، فمن عرف الخالق جل جلاله بأسمائه وصفاته استأنس به ، وعبده وحده لا شريك له ، ولم يلتفت لأحد سواه: ﴿ ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢] .

والله سبحانه رزاق ويرزق، فالرزاق صفة ذاتية له جل جلاله، وصفة فعلية له جل جلاله . هو سبحانه الرزاق، والرزق من صفات الله الفعلية، وهي كثيرة في القرآن كما قال سبحانه: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا ﴾ [النحل/ ١١٤] .

ويقول سبحانه: ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [النور/ ٣٨] .  
واسم الله الرزاق اقترن مع اسم الله القوي والمتين مرة واحدة في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات/ ٥٨] .

وسر ذلك والله أعلم أن في اقتران القوي والمتين كمال مع كمال، هو قوي ومتين جل جلاله، غني لا حد لغناه، قوي لا حد لقوته، فالقوة صفة جلال، والمتين صفة جلال، فهو كمال إلى كمال، فاقتران القوي والمتين كمال آخر في القوة والقدرة .

ومن آثار قوته وقدرته سبحانه أن خلق جميع الأرزاق، وتكفل بإيصالها إلى كل مخلوق بقوته وقدرته، في كل زمان ومكان، وهذا ما لا يقدر عليه إلا الله القادر على كل شيء : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ (٤) ﴾ [الإخلاص/ ١-٤] .

فهو وحده القادر على إيصال هذه المخلوقات أرزاقها وأقواتها، في البر، والجو، والبحر، في السماء وفي الأرض، وفي الدنيا والآخرة .

والله سبحانه أخبرنا أنه الذي خلق السموات السبع ، وما فيها من المخلوقات ، والأرضين

كذلك؛ لنعرف أنه قادر على كل شيء، وعلمه محيط بكل شيء، وكرمه ورحمته وسع كل شيء: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق/ ١٢].

وإذا عرفتم ذلك عرفتم ربكم بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، أنتم به، وعبدتموه، واحببتموه، وكبرتموه، فهو مالك الملك، بيده كل شيء، والأرزاق كلها بيده، وكل شيء خزائنه عنده جل جلاله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَوْنَكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

والقلوب تستأنس بمثل هذا الكلام عن ربنا ﷻ، فتنبت الذكر والشكر، والتمجيد والتحميد، والتسبيح والتقدیس لربنا ﷻ، وتنبت الأعمال الصالحة، والأقوال الحسنة والأخلاق العالية، هذه القلوب تزكوا بالإيمانيات، كما أن الأبدان تصح بالمطعومات والمشروبات، والعقول تكبر بوجود المعلومات، حتى الحيوان المعلم أفضل من الحيوان غير المعلم، الكلب المعلم له قيمة، والكلب الجاهل لا قيمة له ويقدر العلم يكون حب الله وتعظيمه وخشيته: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر/ ٩].

فسبحان مالك الملك الذي له الملك كله: له ملك الهواء، ملك الشمس، ملك القمر، ملك السموات، ملك الأرض، ملك الجن، ملك الملائكة، ملك الإنس، بيده الملك كله، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب] [آل عمران/ ٢٦-٢٧].

سبحانه وتعالى هذه أملاكه، وهذه أرزاقه، وهذه نعمه وهذه أسماؤه، وهذه صفاته؛ فهو أهل أن يحمد، وأهل أن يعبد، وأهل أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر.

فالحمد لله رب العالمين أن رزقنا الكلام عنه، ورزقنا السماع عنه، وأذن لنا في الكلام عنه: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [وله الكبرياء في السموات

وَالْأَرْضُ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجنائفة/ ٣٦-٣٧].

هو عزيز قبل أن يخلقنا، وخالق قبل أن يخلقنا، وواحد قبل أن نوحده، وكبير قبل أن نكبره، ولكننا نكبره ونحمده، لنسمع قلوبنا أنه ليس في الكون كبير إلا واحد: ﴿ وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَاكٍ مِنْ الدُّلِّ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء: ١١١].

وإذا عرفت الكبير لا تقف بباب الصغير أبداً، تقول: الله هو الرزاق، إذاً لا تقف بباب المخلوق؛ لأن الرزاق يسوق لك الرزق، لكن افعّل الأسباب التي ترضيه من الإيثار والأعمال الصالحة، وافعّل الأسباب التي أمرك بها، تناول الدواء، واعمّل بجوارحك لكسب رزقك، ورزقك وشفاؤك بيد الرزاق جل جلاله، ولكنه مخفي وراء الأسباب: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

ولماذا تخفي المطالب وراء الأسباب؟ لأن الله ﷻ يريد أن تمتثل أوامره عند الكسب، وأوامره عند الأكل، وأوامره عند المرض، وأوامره عند النكاح، وأوامره عند السفر، وأوامره عند النوم، وهكذا الله يجب أن تمتثل أوامره في كل حال، لأن إصلاح أحوالنا مقرون بفعالها: ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الحشر: ٧].

فسبحان ربنا الرزاق القادر على كل شيء، القائم على كل نفس، الذي قسم الأرزاق على جميع الخلق، وأوصلها إلى كل أحد، الرزاق الذي أوصل الأرزاق إلى كل أحد ولم ينسى أحداً من الخلق: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ [مريم/ ٦٤].

فواجب المسلم أن يأكل الطيبات ويعمل صالحاً: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة/ ١٧٢].

فاشكر المنعم، لا تجلس على النعمة كما يجلس الحيوان، وتفكر بأنواعها وأشكالها، ولا نذكر الذي خلقها، كيف ساقها إلينا، وكيف جعل معدة الإنسان قابلة لها: ﴿ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

هذه أموالنا ندخلها في صناديق وفي الخزائن وتبقى كما هي، لكن هذه الفواكه، وهذه النباتات، وهذه الحيوانات تكبر وتزيد وتتكاثر .

وهذه أنواع البر والخبز والحبوب نأكلها، فالله يؤلف بين الحار والبارد، والحامض والحلو، والرطب واليابس، واللحم والبر، يؤلف بينها، ثم تخرج بقدره الله ﷻ دماً صافياً .

ومن هذا الدم تأتي السكريات التي تجري، لتغذي جسم هذا الإنسان .  
الله الذي خلق الأرزاق، وساق الأرزاق، هو الذي جعل الجسم قابلاً لهذا الطعام وتحويله إلى مادة غذائية نافعة .

هو الذي خلق القلوب، وجعلها قابلة للإيمان؛ فتستقبل الوحي، وتنبت من كل خلق كريم من الإيمان، والتقوى، والصدق، والإحسان، والخلق العالي، والقول الحسن، والعمل الصالح هو جل جلاله .

هذه القلوب لا بد من فتحها، وفتحها بالنظر في الآيات الكونية، والنظر في الآيات

القرآنية: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤] .

﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ ٦ ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رُوسًا وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ ٧ ﴿ تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ ٨ ﴿ [ق: ٦-٨] .

فسبحان الرزاق الذي خلق جميع الأرزاق، الذي يعطي كل مخلوق رزقه وقوته، على ما حدده وقدره، مكاناً وزماناً، كما وكيفاً، فلا يزيد ولا ينقص: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ٦ ﴿ [هود: ٦] .

وسبحان الرزاق الذي قسم الأرزاق بين جميع مخلوقاته: ﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ ٣٢ ﴿ [الزخرف: ٣٢] .

فالأرزاق مقسومة، والأنفاس معدودة، والخطوات محدودة، والآجال مكتوبة .  
هذا ما جرى به القلم من الآجال والأرزاق والأحوال: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴾ ٣٩ ﴿ [النبأ: ٢٩] .

فسبحان ربنا العظيم الذي هذا خلقه ، وهذه نعمه ، وهذا ملكه وسلطانه .

والله سبحانه جميع الخلائق تنعم برزقه؛ لأنه الرزاق الذي يرزق العباد ما يصلحهم وينفعهم في الدنيا والآخرة، وما من مرزوق في العالم العلوي والعالم السفلي إلا وهو ساكن في ملك الله ﷻ، متمتع برزقه ، مغمور بكرمه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات/ ٥٨].

هو سبحانه الرازق الكريم الذي يرزق بالأسباب، ويرزق بدون الأسباب، ويرزق بضد الأسباب .

فرزق الله لعباده بالأسباب كما جعل الماء سبباً في نبات الزروع، والنكاح سبباً في الإنجاب: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبِينَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفِكْهَةً وَأَبَا ﴿٣١﴾ مَتَاعًا لَكُمْ ۚ وَلَا تَنْعَمَكُمُ ﴾ [عبس/ ٢٤ - ٣٢].

وقال سبحانه : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ أَصْلَبٍ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ ﴾ [الطارق/ ٥ - ٧].

الله ﷻ يرزق بالأسباب، لتتمثل أوامره في فعل الأسباب والله يجب أن يطاع، وله أوامر كثيرة على خلقه ، ومن ضمن هذه الأوامر طلب الرزق، فطلب الرزق له أسباب، فنفعل الأسباب بجوارحنا ، ونتوكل على الله بقلوبنا : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غُلْبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣].

ويرزق سبحانه بدون الأسباب كما رزق مريم طعاماً وثمرًا بلا شجر، ورزقها ابنًا بلا ذكر: ﴿ كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران/ ٣٧].

والله عظيم لا يعطي إلا العظيم، والحقير لا يعطي إلا الحقير القليل، لكن الله عظيم ، ولا يليق بجلاله إلا أن يعطي العظيم، ولكنه عليم حكيم بما يصلح عباده : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٣٠].

لعلمه بعباده وما يصلحهم، وأما العطاء يوم القيامة لأوليائه فهو عظيم لا يتصوره أحد: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة/ ١٧].

فلا بد في الدنيا من الإيمان والعمل ، حتى يوم القيامة يصل الإنسان لهذا الرزق العظيم ، وهو رزق دائم لا ينقطع ولا ينفد أبداً في جنات النعيم ؛ لأن الذي ينفد هو المحدود ، والمحدود هو الذي عند المخلوق ، لأن الله ﷻ أعطاه فهو ينفق منه لمصلحته ، لكن عطاء الله ﷻ لا ينقص أبداً ، لأن خزائن الله لا تنقص أبداً: ﴿ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴾ [ص/ ٥٤].

العقل لا بد أن يعقل هذه المسائل العظيمة ، والقلب لا بد أن يفقه هذه المسائل المتينة ، هذه مسائل كبيرة من العلم الإلهي ، الكلام عن العظيم لا بد أن يكون عظيماً ، والكلام عن الكبير لا بد أن يكون كبيراً .

الله ﷻ أمرنا أن نتكلم عنه ، وأن نشي عليه ، وأن نمجده ، وأن نكبره ، حتى نعبده ؛ لأنه يحب أن يعبد بأحسن عبادة ، وأحسن ذكر ، وأحسن صلاة ، وأحسن دعاء ؛ فدلنا على ما يرضيه ؛ وهدانا لما يحبه ، لأنه يريد لنا المقام العالي في الجنة ، وأنه نفوز بالقصور الملكية بعد العمل بالأعمال الصالحة في هذه الدنيا التي من الله ﷻ علينا بوجودنا بها ، لنكسب الإيمان والأعمال الصالحة : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ [٣] أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ [٤] [الأنفال: ٢-٤] .

ويرزق سبحانه بضد الأسباب ، لأنه فعال لما يشاء ، يقول للشيء : كن فيكون : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [٨٢] فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ [٨٣] [يس: ٨٢-٨٣] .

فهو يرزق بالأسباب ، ويرزق بدون الأسباب ، ويرزق بضد الأسباب كما سقى موسى ﷺ وقومه الماء من حجر يابس : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [البقرة/ ٦٠] .

• وفي خروج الماء من الحجر خمس معجزات:

أن الحجر يفتح بالماء بضربة العصا .. وكمية الماء .. ونوعية الماء .. وأنه يفتح وقت



الحاجة إذا ضرب.. ويغلق كذلك .

فسبحان الله العظيم الذي أخرج هذه العيون العظيمة من هذا الحجر اليباس .  
فهو جل جلاله يرزق بالأسباب ، وبدون الأسباب ، وبضد الأسباب؛ لأن قدرته مطلقة، والأسباب مخلوقة، والأسباب مفعولة، هي بأمر الله ﷻ تعمل .  
والله جعل للدنيا أسباباً ، وللآخرة أسباباً، فأسباب الآخرة: الإيمان والأعمال الصالحة، وأسباب الدنيا لأننا مأمورون بالكسب ، حتى نتمثل أوامر الله في الكسب: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة/ ١٠].

• ورزق الله ﷻ لعباده نوعان:

الأول: رزق له سبب؛ كما جعل الله الزراعة والتجارة والصناعة ونحوها أسباباً وطرقاً يرزق بها عموم الخلق، هذه أسباب يرزق بها أهل التجارة والصناعة وغيرهم، أسباب يرزق بها عموم الخلق؛ فالله ﷻ هو الذي خلقنا في هذه الدنيا، وجعل لنا فيها معاش: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩-٢٠].

فهذه أسباب عامة، للرزق يرزق بها عموم الخلق: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].  
الثانياً: رزق يرزقه الله عبده بلا سبب منه، كأن يسوق له رزقاً سماوياً من حيث لا يحتسب، أو يسوق له رزقاً بدون جهد منه، بهدية ، أو عطية ، أو ميراث، أو هبة.. ونحو ذلك: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [٢] وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢-٣].

الله أكبر! ما أعظم قدرة الله ﷻ في خلق الأرزاق ، وفي إيصالها إلى مستحقيها ، فالله جعل لنا في هذه الدنيا معاش ، فلنتمثل أمر الله في هذه المعاش ، ونطلب الرزق الحلال .  
ومن أعظم نعم الله ﷻ علينا أن عرفنا بأسائه وصفاته، لتحيا القلوب بذكره، وتتحرك الألسنة بتكبيره وحمده ، وتتحرك الجوارح بعبادته: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ

يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

[آل عمران: ٧٣ - ٧٤].

والله ﷻ ما أخبرنا باسمه الرزاق إلا لنسأل الرزق من الرزاق ، ونرزق غيرنا مما أعطانا الله من العلم ، ومن الأخلاق العالية، ومن الأموال التي رزقنا الله منها، فالله يريد أن يرانا نرزق ونعلم ، ونكرم ونرحم، ونعطي ونحسن ، يريد أن يرى صفاته في مخلوقاته :

﴿ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فالله أمرنا أن نطلب المعاش ، ونحصل الرزق بالسير في الأرض، والمشي في مناكبها والتعبد لله بذلك : ﴿ وَالْأَرْضُ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرِزْقِينَ ﴾ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ [الحجر: ١٩ - ٢١].

فواكه الصيف، فواكه الشتاء، الحبوب والثمار ، الزروع والخضار ، هذا ينبت في شهر كذا، وهذا ينبت في فصل كذا : ﴿ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

الله ﷻ يخبرنا بهذه الأمور، بهذه المسائل العظيمة، حتى نخلص له العبادة ، ونتوجه إليه وحده ونحن أعزة ، فيجب أن نتصل بالعزیز، ولا نذل أنفسنا للفقير الضعيف المحتاج من الخلق : ﴿ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ [الذاريات: ٥٠ - ٥١].

فلا إله إلا الله ، كم جهلنا بأسماء ربنا وصفاته وأفعاله ، وخزائنه ، ودينه وشرعه ، ومملكه وسلطانه، ووعدته ووعيده ، ولكن الله ﷻ رؤوف رحيم هداانا إلى هذه المجالس الإيمانية؛ لنعرف عنه ما يجب له من التوحيد والإيمان؛ وحسن العبادة فهو جل جلاله الرحمن الرحيم بعباده، الذي قسم أرزاقهم من كل شيء بالسوية، وفضل بعضهم على بعض في الرزق، لكمال علمه بما يصلحهم : ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾ ﴿٧١﴾ [النحل: ٧١].

فلننظر إذا أردنا أن نبني عمارة من العمارات ، كم يرزق من الناس بسبب بناء هذه العمارة؟ هذه العمارة لرجل غني مكونة من عشرة أدوار، كم يعمل فيها من السباكين ، والمليسين، والكهربائيين، والمبلطين، والدهانين، والحراس، وأهل الحديد، وأهل الفرش، يدخل فيها أرزاق كثيرة تساق إلى الناس بواسطة إنشاء هذه العمارة، ليتخذ بعضها بعضًا سخريًا: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢] .

هذا عطاء الربوبية ، لنعيش فيه في الدنيا ، ونعرف العظيم فنعظمه ، ونعرف الكريم فنشكره، وعطاء الألوهية أن تكون في الدنيا خليفه ، وفي الآخرة جليسة : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤-٥٥] .

فسبحان الرزاق الذي قسم الأرزاق بحكمته بين العباد : ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْدِ رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعِزَّةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [النحل / ٧١] .

هذه سورة النعم سورة النحل، من قرا سورة النحل عرف عظمة نعم الله ﷻ ، وعظمة خلقه .

وكل ما سوى الله إما نعمة وإما منعم عليه ، وكل ما نراه في الكون إما نعمة وإما منعم عليه ، المطر نعمة، الهواء نعمة، الأرض نعمة، اللسان نعمة، الأذن نعمة، الصدق نعمة، الإيثار نعمة، الإحسان نعمة الرحمة نعمة: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل / ١٨] .

فمن وهبها لنا كرمًا منه فيجب علينا أن نفتح معه علاقة، فنكبره ونثني عليه ، ونحمده ونشكره على نعمه ، لأنه هو العظيم الذي خلق كل شيء، والكريم الذي أعطى كل شيء، هذا هو أصل العبادة التي يجبها الله .

معنى العبادة طاعة المعبود في كل ما أمر به ، ونهى عنه، مع كمال الحب المقرون بالتعظيم والتذلل لله ﷻ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢] .

وهو سبحانه في عطائه ورزقه هو الحكيم العليم الخبير بما يصلح عباده ، فلو أعطى الناس فوق حاجتهم ، لحملهم ذلك على البغي والعدوان والطغيان من بعضهم على بعض أشراً وبطراً : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْتَى ﴿٧﴾ ﴾ [العلق / ٦-٧].

و فرعون طغى وتجر؛ لأن الله ﷻ منَّ عليه بالملك والمال والغنى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [القصص / ٤].

ولو أفقرهم جميعاً لأهلك بعضهم بعضاً، وسفك بعضهم دماء بعض؛ فالإنسان يريد أن يأكل ويشرب ويلبس، فإذا لم يجد ذلك فلا بد أن يفتك القوي بالضعيف فسبحان الله الحكيم الخبير بما يصلح عباده : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٠].

فيعطي كل واحد من خلقه ما يصلحه ، وما يكفه عن الفساد والبغي في الأرض؛ لأنه أعلم حيث يجعل رسالته وهدايته ، ورزقه وفضله : ﴿ وَلَوْ سَئَطُ اللَّهِ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الشورى / ٢٧].

يسقط على هذا ليلتيه هل يشكر أو لا يشكر، ويقدر على ذلك ويفقره ، لينظر هل يصبر أو لا يصبر؟ لكنهم في عطاء الألوهية سواء، الله ﷻ جعل الدين الكامل لجميع الناس، أعطاهم العقول والأسماع والأبصار، وأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وهذا يتفاضلون : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات / ١٣].

فالإنسان الكريم هو من بذل جميع الطاقات التي فيه لنفع نفسه بالتعبد ، ونفع غيره بالدعوة، والتعليم ، والإحسان إلى الخلق .

فسبحان ربنا العظيم الخبير ببواطن الأمور ، البصير بطواهرها، الرزاق الذي يرزق الأجنة في بطون الأمهات، كم جنين في بطون الأمهات، والزرع في قرار الأرض، والسباع في مهامه القفار، والطيور في جو السماء ، والأسماك في قعر البحار : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١١٢﴾ ﴾

تُدْرِكُهُ الْأَبْصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

فالحمد لله أننا لا ندركه بأبصارنا، لو لرأيناه عياناً بأبصارنا ما عصيناه أبداً، ثم بهذا يبطل التكليف، ولكنه من علينا بأن حجبتنا عن رؤيته في الدنيا، وفتح لنا باب الرؤية يوم القيامة، فمن رآه ببصيرته في الدنيا، يراه ببصره يوم القيامة: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

فللمؤمنون يرون ربهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر .

نسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم وجميع المسلمين والمسلمات، ممن يرون ربهم يوم القيامة في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

الحمد لله الذي أكرمنا بمعرفة أسمائه وصفاته، فإذا ذكرنا الرزاق ذكرنا المرزوقين وذكرنا أنواع الأرزاق، فجاءت في قلوبنا محبته، لأنه أنعم علينا، وأنعم على غيرنا، وأعطانا خيراً، وصرّف عنا شرّاً؛ فله الحمد كثيراً كما ينعم كثيراً وكما يرزق كثيراً: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٢-٥].

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [ق/ ٩-١١].

هو الذي خلق ويسر وأوصل رزق كل حي، وهداه لتحصيل معاشه .

هو الخلاق الرزاق الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، خلق الإنسان في بطن أمه، وخلق الطير في جوف البيضة، وخلق هذه النباتات بأصلاّب الأشجار والزروع، فكم من المواليد النباتية يخلقها في كل يوم؟ مليارات النباتات، مليارات الثمرات، مليارات الحبوب .

الذي خلقها من هو؟ الذي نوعها من هو؟ الذي يسوقها لأهلها من هو؟ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر/ ٨٦].

ومن هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله هو الرب الذي يستحق العبادة والطاعة : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ [النحل/ ١٧- ١٨].

غفور لكم على ما صدر منكم من التقصير والمعاصي، رحيم بكم حيث يوالي عليكم نعمه، كي تذكروه وتؤثر فيكم النعمة لعلكم تهتدون إليه .

وتعبودونه وحده لا شريك له ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُم فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٠﴾ [يونس: ٣].

• وخص الله المؤمنين برزق خاص وهو نوعان:

الأول: غذاء قلوبهم بالتوحيد والإيمان، والعلم النافع، والعمل الصالح: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ [يونس/ ٥٨].

هذا العطاء من ربنا ﷻ، خصنا بالتوحيد والإيمان، وجعلنا من المسلمين، وهدانا إليه بفضل: ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ [الحديد/ ٢١].

الثاني: رزق أبدان المؤمنين بالرزق الحلال، فالإنسان إما أن يأخذ رزقه بحلال أو حرام، الله خص أوليائه بأن جعل رزق أبدانهم رزقاً حلالاً، حتى يستجاب دعاءهم؛ فيغني الله ﷻ عبده المؤمن بحلاله عن حرامه ويفضله عن سواه، وهذا الرزق وسيلة ومعين للمقصود الأعظم وهو التوحيد والإيمان وعبادة الله ﷻ، وامثال أوامره، واجتناب نواهيه : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ [البقرة/ ١٧٢].

وقال سبحانه : ﴿ يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِن الطَّيِّبَاتِ وَاَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ [المؤمنون/ ٥١].

فإذا رزق الله العبد الإيمان، والعمل الصالح، والرزق الحلال؛ فقد تمت أموره، واستقامت أحواله الدينية والدنيوية والبدنية: ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ [الحديد/ ٢١].

فسبحان الكريم الذي أكرم عباده بالنعم المادية والروحية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة/ ٣].

اللهم أغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عن سواك، اللهم إنا نسألك رضاك والجنة، ونعوذ بك من سخطك والنار .

اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهننا، وارفعنا ولا تضعنا .

اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا ، وما أنت أعلم به منا ، يا ذا الجلال والإكرام .

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى يا أرحم الرحمين، يا ذا الجلال والإكرام: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [١٨٠] ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [١٨١] ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٨٢] [الصفات/ ١٨٠-١٨٢].

فالله سبحانه هو الرزاق الذي خلق الأرزاق، ويسر وصولها لكل حي، وهدى كل مخلوق إلى معاشه: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [١] ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ [٢] ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [٣] [الأعلى/ ١-٣].

وهو الرزاق الذي هدى من عباده من شاء للتوحيد والإيمان والعمل الصالح .

فهذا فضل من ربنا ﷻ، يعلم من يزكو به، ويفتح قلبه لذلك، ويجعله من القابلين له: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة/ ٤].

فهو عليم بمن يصلح للهداية ، ومن لا يصلح لها، عليم بمن يصلح لدار كرامته ، ومن لا يصلح لها ، لكنه خلق الإنسان ، وجعله مختارًا يختار ما يشاء من الإيمان أو الكفر ، والطاعة أو المعصية، والله ﷻ رحيم بالعباد، رغبتهم في الطاعات ، ووعدهم عليها الجنة، وحذرهم من المعاصي، وتوعدهم إذا كفروا النار: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [٢٩] [الإنسان: ٢٩].

وهو كذلك عليم بما كان وما يكون وما سيكون، وعلمه لا يعني إجباره للناس على الهدى أو على الضلالة، إنما هو رغب في الطاعات والإيمان، وحذر من المعاصي والكفر:

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [٧٠] [الحج: ٧٠].

فأعظم أرزاق الدنيا الإيمان، والعمل الصالح، والرزق المادي الحلال، وهذا كله من فضل الله ورحمته، ثم يكمل الرزاق الرزق للمؤمنين بجنات النعيم على الدوام، بلا عد ولا حد ولا قيد ولا حسابان: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر/ ٤٠].

فهناك العطاء مطلق، والعمر مطلق، والنعيم مطلق: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

اللهم ارزقنا ما تصلح به قلوبنا من الإيمان والعلم والهدى والعمل الصالح، وارزقنا ما تصلح به أبداننا من الرزق الحلال الهني الطيب، وارزقنا حسن القناعة بما أعطيتنا؛ حتى لا نطلب ما منعنا، ولا نحب تعجيل ما أخرت، ولا تأخير ما عجلت .  
والله سبحانه رزاق يرزق جميع الخلق من فضله؛ المؤمن والكافر، والإنسان والحيوان، فالؤمن يستعين بما قسمه الله له من رزق على طاعة مولاه، والكافر يتمتع به في الدنيا، وله النار يوم القيامة؛ لأنه لم يشكر الرزاق الذي خلقه ورزقه .

فعطاء الربوبية لجميع الخلق، وكذلك عطاء الألوهية لجميع الخلق: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢].

فعطاء الربوبية لجميع الخلق: فالله ﷻ هو الذي خلق الخلق، وتكفل بأرزاقهم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦].  
فعطاء الكافر متعة يتمتع بها قليلاً، ثم يلقي وراءه الجحيم يوم القيامة .

لماذا ؟ ، لأنه لم يشكر المنعم، ولم يعرف المنعم، ولم يؤمن بالمنعم ﷻ، واستمتع بنعمة، وكفر به ﷻ؛ فهذا جزاؤه أن يشقى في الدنيا، وفي الآخرة له عذاب النار وبئس المصير: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [٣٨] وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ



أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ [البقرة: ٣٨-٣٩].

والله ﷻ قد قطع الأرزاق ، وقسمها لجميع المخلوقات، فكل نفس سوف تأخذ رزقها بلا زيادة ولا نقص لا محالة :

قال النبي ﷺ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنْ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ» أخرجه ابن ماجة وابن حبان<sup>(١)</sup>.

فنفعل الأسباب في طلب الرزق؛ لأننا في دار الأسباب، ومن آمن بالرزاق سعى في طلب رزقه كما أمره الرزاق، وسعى في طلبه كما سعت هاجر بين الصفا والمروة لطلب القوت والرزق؛ فرزقها الله بعد بذل الجهد والسعي بقاء زمزم: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك / ١٥].

وقال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة: ١٠].

فالله أوامر تمثل عند الوضوء، وأوامر تمثل عند الصلاة، وأوامر تمثل عند الصوم، وأوامر تمثل عن البيع والشراء، وأوامر تمثل عند الكسب، وأوامر تمثل عند النكاح، وأوامر تمثل عند السفر، وأوامر عند الصحة، وأوامر عند المرض، وأوامر عند الخوف : ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

فالؤمن في جميع أحواله عابد لله ، لأن العبادة هي طاعة المعبود ﷻ بما أمر به ، ونهى عنه، فالذي خلق الخلق واحد، والذي يرزقهم واحد، والذي يستحق العبادة التي هي الطاعة لله ﷻ في جميع ما أمر به هو واحد، والله لا يأمر إلا بما هو خير، وما أغلق بابًا من أبواب الخير إلا وفتح أضعافه من أبواب الخير، فالله هو الفتح الذي بيده الخير وهو على كل شيء قدير: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦].

(١) صحيح/ أخرجه ابن ماجة برقم (٢١٤٤)، وأخرجه ابن حبان برقم (٣٢٣٩) وهذا لفظه.

وأعظم أنواع الرزق هو العلم بالله، وعبادته بموجب ذلك ولهذا امتن الله على رسوله ﷺ بقوله: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

فمن عرف ربه عرف كل شيء، ومن جهل ربه لم يعرف أي شيء .  
فالعلم الإنساني بالنسبة للعلم الإلهي كالذرة بالنسبة إلى الجبل .  
العلم الإلهي هو العلم بالله وأسمائه وصفاته، وأفعاله وخزائنه، ووعدته ووعدته، ودينه وشرعه، هذا أعظم واجب .  
ولهذا أرسل الله ﷻ به رسوله؛ لأن الخلق محتاجون إلى ذلك .

فلنتبع الطاعة بالطاعة، والإحسان بالإحسان؛ ليعطينا الله ﷻ كل يوم من رزقه وفضله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف/ ٢٢].  
أما الملك والمال فيعطيهم الله ﷻ من يحب من أوليائه، ومن لا يحب من أعدائه .  
فأعطى الله لمن يحب من أوليائه الملك لسليمان، والمال لعثمان، وأعطاه من لا يحب من أعدائه: فأعطى الملك لفرعون، وأعطى المال لقارون، لكنه لا يعطي الدين إلا من يحب .

فرزق الإنسان سوف يصل إليه في وقته المقدر كميةً ونوعيةً ومكاناً وزماناً، والرزق الذي كتبه الله ﷻ لك يعرف عنوانك، وأنت لا تعرف عنوانه، فرزقك سوف يصل إليك في وقته المقدر .

هذا عهد الله لخلقه: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود/ ٦].

فالأرزاق قد قُسمت، وسوف تصل إلى المخلوقات جميعاً؛ لأن الله قوي يوصل هذه الأرزاق إلى المرزوقين، وعليم يعلم بآماكنهم، ويعلم بحوائجهم، فرزقك مقطوع من كل نوع، وسوف يصلك كميةً ونوعيةً، ومكاناً وزماناً، فلا تستعجل فتطلبه بأسباب الحرام، فهذه الثمرة من هذه النخلة، وهذه التفاحة من تلك الشجرة، وهذه الخبزة من ذلك البر، وهذه اللحمية من ذلك الحيوان، وهذه السيارة من ذلك الحديد، وهذا

الحليب من تلك البقرة .

هذه أرزاق مقسومة بين العباد، وسوف تصل إلى كل أحد قُسمت له، لكن فلانًا قد يشترها بماله، وقد يأكلها عند صديقه، وقد تصله هديةً، وقد يسرقها، وقد يأخذها بالتسول، وذلك كله باختياره هو، والمقسوم له سوف يصل إليه : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [هود: ٦] . وما أخذه الإنسان من الأرزاق بالطرق المحرمة فسوف يسأل عنه ويعاقب عليه: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴾ [٢٥] ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ [الغاشية/ ٢٥-٢٦] .

وسوف يسأل عن الرزق الحلال: هل استعمله في طاعة الله؟ أو في شهوات النفس من دون عمل؟ ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسَعَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [٩٢] عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر/ ٩٢-٩٣] . وقال النبي ﷺ: « لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ: عَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ » أخرجه الترمذي (١) .

وكل إنسان سوف يُسأل: ماذا أجبتم المرسلين؟ وماذا كنتم تعملون؟

والله كريم رزق الأبدان بالأطعمة والأشربة، ورزق القلوب بالعلم والمعرفة، والعلم والمعرفة أشرف الرزقين، كما قال سبحانه عن موسى ﷺ: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَأَيْنْتَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [القصص/ ١٤] .

وقال سبحانه: ﴿ أَهْمٌ يَقْسَمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْحِرِيًّا وَرَحِمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٢] .

وقال سبحانه: ﴿ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ [طه/ ١٣١] .

فهو سبحانه الملك الحي القيوم، الغني الرزاق الذي لا ينسى أحدًا .

هو الرزاق الذي غذى نفوس الأبدان بتوفيقه ﷻ، وحلى قلوب الأخيار بتصديقه، فلا لذة عندهم إلا بحسن مناجاته، وذكره، وحمده، وسؤاله: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٤١٧) .

ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأَنْفَالُ / ٢-٤].

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات / ١٥].

الله ﷻ أعطانا لنعطي، أعطانا لنستعين بها أعطانا على طاعته، وأمرنا بطلب الرزق، لنتمثل أوامر الله في الرزق، لكن هذا العمل لا دخل له بحصول الرزق؛ الرزق فقط من الرزاق، فهو ﷻ يعطي بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب .

أما طلب الكسب والمعاش فنحن مأمورون به شرعاً ؛ لنتمثل أوامر الله في الكسب، ولأننا في دار الأسباب، ولا بد للإنسان أن يكتسب في هذه الحياة الدنيا .

وطلب الرزق مشروع بنصوص القرآن والسنة؛ لأن الأموال والأرزاق إذا كانت بيد المسلم نفع الله بها الأمة، ونفع بها النفوس؛ من كفالة الأيتام، وبناء المساجد والمستشفيات، والإنفاق على الفقراء، وعلاج المرضى، ونشر العلم، وإعانة طلاب العلم، فاليد العليا خير من اليد السفلى، وفي كل خير، فمجالات التعبد أوسع عند الغني أكثر من الفقير، ولهذا أمرنا بطلب الكسب الحلال؛ حتى ننعف أنفسنا، وننعف غيرنا: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ [الأعراف / ٣٢].

فامتثال أمر الله في طلب الرزق كامتثال أمر الله في الصلاة والوضوء والحج وغيرها، هذه عبادة، وهذه عبادة، والكل من دين الله : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ [الجمعة: ٩-١٠] .

لكن ينبغي للمسلم ألا تشغله أمواله وأولاده عن طاعة مولاه، وعبادة من رزقه وهدهاه: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ

ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَيْرٌ يُمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ [المنافقون/ ١١].

الله ﷻ أمرنا بما يصلح ديننا ، ودياننا ، وأخرانا، وامتنال أمر الله في هذه الأمور الثلاثة عبادة لله ﷻ : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

والناس جميعاً خلق الله، وقد تكفل بأرزاقهم، ووعدهم بذلك، والله لا يخلف الميعاد : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ ﴿٦﴾ [هود: ٦].

ولكن إنما يحرم الإنسان من الرزق بسبب معاصيه : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ﴿٩٦﴾ [الأعراف: ٩٦].

والله سبحانه قسم الأرزاق المادية ، وقسم الأرزاق الروحية ، بين خلقه، وهم في عطاء الربوبية سواء، لكنهم متفاوتون في أنواع العطاء : ﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ ﴿٣٢﴾ [الزخرف: ٣٢].

فهذا غني، وهذا فقير، وهذا رزقه في التجارة، وهذا رزقه في الصناعة، وهذا رزقه في الزراعة، وهذا رزقه في الطب، وهذا رزقه في الهندسة، وهذا رزقه في البناء، وهذا رزقه في المصانع، وهكذا عطاء الربوبية للجميع .

ونوع الله ﷻ الأرزاق، ونوع المرزوقين في جميع الحاجات : ﴿ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ ﴿٦﴾ ، فأنا أحتاج إلى ما عند أخي من طب، أو من مال، أو من سيارات، أو من مزروعات،... وهكذا، وهو يحتاج إلى ما عندي من أطعمة أو ملابس ونحو ذلك. والخلق جميعاً في عطاء الألوهية سواء؛ لكنهم مختلفون في القبول والإعراض، والإيمان

والكفر.

والله ﷻ بعث الأنبياء والرسل ، ليدعوا الناس جميعاً، إلى عطاء الألوهية الذي هو الدين: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل/ ٣٦].

هذا عطاء الألوهية؛ من الله علينا بالدين الكامل ، بفعل الأوامر ، واجتناب النواهي؛ لنسير على صراط مستقيم : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

والرزق هو كل ما ينتفع به؛ فالمال رزق ينتفع به، والطعام رزق ينتفع به، واللباس رزق ينتفع به، والبيت رزق ينتفع به، والزوجة رزق ينتفع به، والأولاد رزق ينتفع به، والزوج رزق ينتفع به، والعلم رزق ينتفع به، والإيمان رزق ينتفع به، والأخلاق رزق ينتفع به، والأعمال الصالحة رزق ينتفع به، كل ذلك من نعم الله الواسعة على عباده: ﴿وَمَا يَكْفُرُ مِنكُمْ شَيْءٌ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا لَعَنَّا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ عَلِيمٌ﴾ [النحل: ٥٣].

وقال سبحانه : ﴿وَمَا يَكْفُرُ مِنكُمْ شَيْءٌ مِّنْ نَّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تَزَكَّيْكُمْ إِذًا مَّا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ﴾ [النحل: ٥٣].

وقال سبحانه : ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمُ وَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُم فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤].

هو سبحانه الرزاق في الدنيا والآخرة، وهو رزاق قبل أن يرزقنا، وقبل أن يخلق الأرزاق، وقبل أن يخلق المرزوقين، فهو رزاق، والرزاق صفة ذاتية له، وصفة فعلية، فهو يرزق ويعطي ولا تنقص خزائنه أبداً : ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

ومن عرف الرزاق لم يبال بما فاته من الأرزاق؛ لأنه يعلم أن رزقه سيأتيه في وقته ومكانه كاملاً: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [النحل: ١١].

كِتَابِ مُبِينٍ ﴿٦﴾ [هود/٦].

هذه عقيدة المسلم؛ يعلم أن رزقه سوف يأتيه في مكانه وزمانه ، وكميته ونوعيته، فلا يبالي بما فاته من الأرزاق؛ لأنه يعلم أن رزقه سيأتيه ، ولن يأخذه غيره ، لكن عليه أن يتفرغ لعبادة مولاه، ويقوم بعبادته ، وامثال أوامره، غنياً كان أو فقيراً، فما كتب له من الرزق الذي يصلحه سوف يأتيه، أما الرزق الكامل فهو يوم القيامة : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦- ٥٨] .

والله سبحانه يبارك في الأرزاق مع الإيثار والتقوى، فيجعل كسبها حلالاً، وإنفاقها في أمور البر والإحسان، وتنزل فيها البركة، وتتكاثر كميةً، وتنوع أصنافاً، وتكرر أوقاتاً . وكذا العبد يحرم الرزق بالذنب يصيبه؛ إنذاراً له ليتوب إلى ربه، فالبركة تكريم، والحرمان تأديب وتهذيب، البركة تكريم من الله لمن آمن وعمل صالحاً، والحرمان تأديب وتهذيب: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

فالعطاء من ربنا ﷻ يبارك فيه للمؤمنين؛ لأنهم يذكرون اسم الله عليه، ويتقربون إليه بطاعته، وينفقونه فيما يحبه الله ويرضاه ، ويستعينون به على عبادة الله ، فيبارك لهم في أرزاقهم، والحرمان تأديب وتهذيب، ولكن لئلا يتعلق الإنسان بالنعمة دون المنعم، وبالعطاء دون المعطي؛ الله ﷻ يتلى حتى يتوجه إلى من ساق إليه هذا الخير، ويعود إلى ربه: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمْرَاتِ وَبَشِيرٍ وَالضَّرِيبِ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٥ - ١٥٧].

الله ﷻ بهذا الابتلاء يفتح للإنسان أبواب الهداية، فيتوجه إلى ربه، ويرى الكبير يفعل ما يشاء ، ويرى المحسن يحسن، ويرى الرزاق يرزق، ويرى القوي يبطش، ويرى الرحمن يرحم، ويرى التواب يتوب، ويرى العفو يعفو ﷻ : ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ

• فرزق الله لعباده نوعان:

رزق الأبدان بالأطعمة والأشربة والأموال، وغيرها من أنواع الأرزاق المادية. ورزق القلوب بالتوحيد والإيمان والأعمال الصالحة، والأخلاق العالية.

• وكذلك الفقر نوعان:

فقر الأبدان وهو ثلاثة أنواع:

الأول: فقر القدر: وهو ما اختاره الله لعبده، فالله يعلم أن فلاناً لا يصلح له الغنى، فيعطيه بقدر حاجته، ولا يهمله، ولو أعطاه الغنى فالله يعلم أنه سوف يطغى .

ولذلك فقر القدر هو ما اختاره الله لعبده، واختيار الله أحسن من اختيار العبد.

الثاني: فقر الكسل: وهو أن يكسل الإنسان عن طلب الرزق، وهذا مذموم .

الثالث: فقر الإنفاق: فالله ﷻ أعطى الإنسان مالا لينفق في أنواع الطاعات، ينفق في

سبيل الله ينفق، على الأيتام والفقراء والمساكين، كما فعل أبو بكر بماله، حين خرج بكل ماله في سبيل الله، فقال له النبي ﷺ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا أَبَقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟ قَالَ: أَبَقَيْتُ لِهَيْبَةِ اللَّهِ

وَرَسُولِهِ» أخرجه أبو داود والنسائي (١).

فالأول قدر الله لعبده بمرض أو عذر يقعه عن الكسب، أو غير ذلك من الأسباب .

فهذا معذور، والله حكمة في ذلك .

أما فقر الكسل فصاحبه مذموم، فلا بد أن يطلب المعاش، ويكسب الرزق، ويمثل

أوامر الله ﷻ في طلب الرزق: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن

رِزْقِهِ ۗ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ [الملك/ ١٥].

أما فقر الإنفاق في سبيل الله فهو أحسن شيء، وهو ممدوح، والله ﷻ يضاعف لصاحبه

الأجر والثواب؛ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ

أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ ۗ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ

عَلِيمٌ ﴿٣٦١﴾ [البقرة/ ٢٦١].

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٦٧٨)، وأخرجه النسائي برقم (٩١٦٦) وهذا اللفظ.



• والناس يأخذون أرزاقهم من ستة أبواب:

الباب الأول: باب الإيمان والتقوى، فهذا أشرف الأبواب، وأحسن الأبواب، وهو الذي أعطاه الله ﷻ الأنبياء والرسل والمؤمنين: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٢﴾) [الطلاق/ ٢ - ٣].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

الباب الثاني: باب الدعاء والاستغفار: ﴿ فَكَلَّمْتُ سْتَعْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمَدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح/ ١٠ - ١٢].

الباب الثالث: باب العمل والكسب في البيع والشراء والتجارة والصناعة والزراعة وغيرها .

ونحن مأمورون بذلك كما أمرنا بالصلاة: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الجمعة: ٩ - ١٠].

فأداء الصلاة عبادة، وطلب الرزق الحلال عبادة، ولكل واحد منهما وقته .  
فالأرزاق بيد الرزاق وحده، ونحن نفعل الأسباب لامثال أوامر الله في كسب المعاش، لأنه يجب أن نمثل أمره في كل حال .

الباب الرابع: باب الصدقات، والزكاة، والهبات، والوصايا، والمواثيق، والهدايا، والعطايا: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٢﴾ ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣].

فإنه يسوق الأرزاق للإنسان من خلال هذه الأبواب بلا جهد منه .

الباب الخامس: باب الغش، والربا، والسرقات، والسحر، وبيع المحرمات، وغيرها من المكاسب المحرمة بالكذب والاحتيال.

الباب السادس: باب سؤال الناس تكثراً، وهذا أخس الأبواب .  
قال النبي ﷺ : «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ تَكْثُرًا؛ فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَهْرًا، فَلَيْسَتْ قِلَّةٌ أَوْ لَيْسَتْ كَثْرَةٌ»  
أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

فهذا أخس الأبواب ، لأنك بالسؤال تشكو الخالق إلى المخلوق، ولو سألت الله ،  
وشكوت أمرك إلى الله؛ لأعطاك ما سألت : ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ  
وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ، وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ  
مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣-٨٤].

الحمد لله رب العالمين أن عرفنا في كتابه بأسمائه وصفاته، وأخبرنا أن له الأسماء الحسنی،  
والصفات العلی، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى؛ حتى نقبل على عبادة ملك غني  
كريم ، رحيم رزاق ، عفو غفور ، شكور لطيف : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ  
يَدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].  
فسبحان من هذه أساؤه وصفاته ، وهذه أفعاله في ملكه .

فالرزق يدل على الرزاق، والخلق يدل على الخلاق، والصور تدل على المصور، والنعم  
تدل على المنعم، والإحكام يدل على الحكيم ، والرحمة تدل على الرحيم .

ولهذا ظهور الحق أبين من كل بين، أبين من الشمس في رابعة النهار، ولكن للقلوب  
بصائر، وللعيون أبصار، فمن استعان ببصره ترقى في بصيرته، فرأى الملك يفعل في  
ملكه ما يشاء: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ  
﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠٤١).

الْجَبَّارُ الْمَتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمَصَوِّرُ  
لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾  
[الحشر: ٢٢-٢٤].

اصطفى الملك من مملكته هذا الإنسان، فخلقه بيده، ونفخ فيه من روحه ، وأمره  
بشرعه؛ لأنه يريد له أن يكون في الدنيا خليفة، وفي الآخرة جليسه .

فسبحانه ما أكرمه! ، وما أعظم رزقه! ، وما أوسع علمه ورحمته! ففضل الله على خلقه  
عظيم، ونعمه وأرزاقه واسعة لا تخطر على قلب بشر: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي  
الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ﴿٧٠﴾  
[الإسراء: ٧٠].

وأنواع نعمه وأرزاقه وأعدادها لا يمكن عدّها ولا إحصاؤها: ﴿وَأَتَّكُم مِّن كُلِّ مَا  
سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ﴿٣٤﴾  
[إبراهيم/٣٤].

فلا بد من الجهد على هذا الإنسان؛ حتى يعرف من هو الرب الرزاق؟ من هو الغني  
الكريم؟ من هو الرب الرحمن الرحيم؟ من هو الرب القادر القاهر ، من هو الرب  
العزیز الجبار؟.

فإذا عرف ربه بأسمائه وصفاته آمن به ، وعظمه وكبره ، وأحبه وشكره ، وأطاعه وعبده:  
﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ  
وَمَثَلَكُمُ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩].

وخزائن الغني سبحانه مملوءة بجميع الأرزاق، ويعطي منها جميع الخلائق في كل مكان  
وزمان، ومع هذا العطاء العظيم المتواصل المدرار لا تنقص مثقال ذرة؛ لأن المحدود  
ينقص، والرزق المحدود إذا أخذ من غير المحدود لا ينقص أبداً: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن  
تَفَادٍ﴾ ﴿٥٤﴾ [ص/٥٤].

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ﴿٣٦﴾ [لقمان/٢٦].

والغني الذي لا تنقص خزائنه أبداً، فإذا نقصت مثقال ذرة فهو فقير لا يستحق العبادة، لكن خزائن الغني لا تنقص أبداً: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٦٨].

فسبحان الغني الكريم الذي يملك كل شيء، ويقول للشيء كن فيكون، لو سأله جميع الخلائق بأوسع سؤال فأعطاهم، لم ينقص ذلك مما عنده مثقال ذرة: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص / ٥٤].

وقال النبي ﷺ فيها روى عن الله تبارك وتعالى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَىٰ أَتَقَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَىٰ أَفَجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

هذا الملك العظيم الذي يجب أن نعبد بالحب الكامل، والتعظيم الكامل، والذل الكامل، ونتشرف أننا عبيده وماليكه؛ فنذكره في كل مجلس، ونذكره في صلاتنا، ونذكره في أوقاتنا كثيراً: ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللّٰهَ ذِكْرًا كَثِيْرًا﴾ [٤١] وَسَبِّحُوْهُ بُكْرَةً وَّاَصِيْلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِيْ يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَٰئِكَتُهٗ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمٰتِ اِلَى النُّوْرِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِيْنَ رَحِيْمًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

فإذا ذكرتموه بأسمائيه وصفاته أطعتموه ولم تعصوه؛ ووحدتموه ولم تشركوأ به شيئاً. والله خلق الدنيا لنستعين بها على طاعة الله ﷻ، وكل ما أعانك من الدنيا على الدين فهو من الدين، وكل ما أعانك على الدنيا فهو من الدنيا.

فالله خلق الدنيا لنا، ولكن نحن خلقنا للآخرة، فالدنيا زينة، والمقصد الآخرة، الثياب زينة، لكن المقصد ستر العورة، لبس الثوب زينة، أبيض وأسود وأصفر وأحمر، لكن

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

المقصد ستر العورة، والحفظ من الحر أو البرد، هكذا الدنيا زينة، والمقصد الآخرة : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤] .

فالله ﷻ من فضله علينا أن عرفنا باسمه الرزاق، واسمه الرزاق . فسبحان مالك الأرزاق الذي تكفل بأرزاق جميع الخلق، العليم بأحوال خلقه وما يصلحهم، يبسط الرزق على من يشاء، ويقدره على من يشاء، وله في ذلك حكمة بالغة: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء/ ٣٠] .

فالله حكيم عليم، يضع رزقه عند من يشكره، ويعطي عباده عطاءً واسعاً، ويعطي بعض عباده عطاءً أقل؛ لأنه أعلم بمن يشكر ومن يكفر، فهو يعلم أن الناس منهم من لا تصلح حاله إلا بالغننى، ومنهم من لا تصلح حاله إلا بالفقر، ولا يعلم ذلك إلا الله وحده لا شريك له: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى/ ٢٧] .

ثم إن الله يريد من عبده إذا أعطي خيراً أن يشتغل بوظيفة الشكر، وبعبادة الشكر، وإن لم يُعط صار فقيراً يعمل بعبودية الصبر: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم: ٥] .

• ولأهل الدين صفتان:

إما شاعر .. وإما صابر.

ونحن مُبتلون بذلك، فكثرة الرزق في الدنيا لا تدل بذاتها على محبة الله للعبد، ورضاه عنه، فإله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولكنه لا يعطي الدين إلا لمن يحب، ومن أعطاه الله الدنيا والدين فهو مبتلى: ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الصَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي العُرْفَتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبأ/ ٣٧] .

فالذين عندهم أموال وأولاد يتسع أجرهم وثوابهم بكثرة الإنفاق، وكثرة المسبحين

والعابدين والذاكرين من أولادهم .

والإيمان والتقوى من أعظم الأسباب للحصول على الأرزاق النافعة، والكفر والفجور سبب عظيم لنقص الأرزاق ومحق البركة، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف/ ٩٦].

والأرزاق تزيد بالشكر والطاعة، وتنقص بالكفر والمعاصي: (وَإِذْ تَأَذَّتْ رُءُوسُكُمْ لِمَن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلِمَن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم/ ٧].

والله سبحانه هو المنعم على عباده بجميع أنواع الأرزاق المادية والروحية، وأعظم رزق يرزقه الله عبده وأحسنه وأفضله ، وأكمله وأكرمه ، وأعلاه وأدومه ، هو التوحيد والإيمان، واللجنة ورضوان الرب جل جلاله: (وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾ [الطلاق/ ١١].

ولا بد للمسلم أن يعرف أن المخلوقات كلها مخترنة في الأرزاق، والأرزاق كلها مخترنة في خزائن السماوات والأرض، فالأرزاق لها خزائن، خرج من خزائن الأرزاق هذه المخلوقات العظيمة التي نراها، هذه، السماوات والأرض وما فيها من المخلوقات كلها مخترنة في الأرزاق، والأرزاق كلها مخترنة في خزائن السماوات والأرض، وخزائن السماوات والأرض كلها ذرة من خزائن الملك الغني الحميد جل جلاله: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦١﴾﴾ [لقمان/ ٢٦].

والله سبحانه كما أخرج البرايا من مستقرها إلى مستودعها في القبور، حتى ظهرت من الأرحام جيلاً بعد جيل، فالله أخرج البرايا من بطن إلى بطن، فكم يخرج من الأرض من المواليد والأرزاق! وكم يخرج من الأرحام من الذكور والإناث!.

هو سبحانه أخرج الأرزاق والأعمال كل لحظة في الوقت الذي قدره: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلِمَةٍ بَالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مَّدَكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾﴾ [القمر/ ٤٩-٥٢].

كل شيء مكتوب، كل شيء مكشوف لله؛ الماضي والحاضر والمستقبل: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ صَغِيرٍ

وَكَبِيرٌ مُسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ [القمر/ ٥٣].

مسجل ومكتوب قدرًا أنك سوف تعمله، ومكتوب تنفيذًا إذا عملته، وسوف تحاسب عليه إذا عملته، ولكن هذا العلم علم انكشاف لا علم إجبار، فالله يعلم كل شيء، وأعطى الخيار لعبده أن يختار ما يشاء: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [التكوير: ٢٧].

فسبحان الملك العظيم الذي يملك جميع خزائن الأرزاق، الغني الذي لا أحد أغنى منه، وكل غني غني منه، الكريم الذي لا أحد أكرم منه، الرحمن الذي لا أحد أرحم منه، والرزاق الذي كل رزق في العالم العلوي والسفلي من رزقه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

هو الرزاق الذي يرزق كل مرزوق في مكانه وزمانه، في الوقت الذي يريد، بالقدر الذي يريد، بالنوع الذي يريد: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨].

هو الكريم الذي أعطى جميع الخلق من رزقه، الرزاق الذي يرزق جميع الناس من مسلم وكافر: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

لهواء مسخر، المطر مسخر، الأرض المنبثة مسخرة، الشمس التي تنير مسخرة، وهكذا كل شيء مسخر للإنسان: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجاثية: ١٣].

هو الملك العظيم الذي له الخلق كله، وله الأمر كله، وإليه يرجع الأمر كله، الذي تفرد بالوحدانية، وتفرد بالخلق والرزق، وتوحد بالإحياء والإماتة، واختص بالأسماء الحسنی والصفات العلی، الذي ليس له شريك ولا مثل: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُمْ مَن شَيْءٍ سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الروم/ ٤٠].

هو الملك الغني القادر على كل شيء، الذي يملك خزائن كل شيء، فلنعبده لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعظمة نعمه وإحسانه، بيده كل شيء، وعنده خزائن كل شيء؛ خزائن المخلوقات، خزائن الأرزاق، خزائن النعم، خزائن الأموال، خزائن المياه،

خزائن الحبوب، خزائن العلم، خزائن القوة، خزائن الرحمة، خزائن العذاب، خزائن النور، خزائن الظلام، خزائن الإيمان، خزائن الأخلاق، خزائن التصريف والتدبير، خزائن كل شيء في قبضته، وتحت تصرفه: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُ إِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر / ٢١].

فسبحانه ما أعظمه! وما أعظم ملكه وسلطانه! وما أوسع أرزاقه ورحمته ومغفرته! وما أعظم حلمه على من عصاه! .

فسبحان من خلق الخلق كله، وبيده الملك كله، وإليه يرجع الأمر كله، وعنده خزائن الرزق كله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

هو سبحانه الملك الحق، الغني عن كل ما سواه، الرازق لكل مخلوق: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس / ٣١].

ومن هذه عظمته، وهذه أساؤه وصفاته، وهذه نعمه؛ أفلا نعبده، ونكبره، ونحمده وحده لا شريك له؟ ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس / ٣٢].

وإذا كان الله ﷻ هو الرزاق للعباد وحده؛ فهو المستحق للعبادة منهم وحده لا شريك له: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١١] الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

ويجب علينا أن نعلم أن الرزق هو الحلال لا غير، والحرام اسمه المتاع، فالؤمن يستعين بالرزق الحلال على طاعة مولاه، ويشكر ربه عليه، ثم يصير إلى الجنة .

والكافر يتمتع بهذا المتاع والشهوات في الدنيا، ثم يصير إلى جهنم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦].

فجميع الأرزاق خلقًا وتقسيمًا تنزل من السماء من رب الأرض والسماء، ثم توزع على



أهل الأرض بالعدل كما أراد الله: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات/ ٢٢].  
فالقضاء في السماء، والتسليم في الأرض.

والرزاق سبحانه غني كريم، وخزائنه مملوءة بأصناف الأرزاق، ويجب أن نسأله ولا نسأل غيره، وهو يصرفها بين عباده بحكمته كما يشاء.

فالله سبحانه أظهر سنته، وأخفى قدرته في سنته؛ امتحاناً وابتلاءً للعباد، وتنبهًا لبريته، واطهاراً لقدرته: ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [٥] ذَلِكَ بَانَ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ [الحج/ ٥-٧].

فسبحان ربنا الملك الحق الذي يملك خزائن الأرزاق، ويملك مجاري الأرزاق على مدى الدهور والقرون، ويقسمها على كل مخلوق كميةً ونوعيةً ومكاناً وزماناً، وسع برزقه كل أحد، ولم ينس أحداً: ﴿ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف/ ٣٢].

هذا الاسم العظيم الرزاق كم في التبعذ لله به من الأجر العظيمة! وكم في معرفته من زيادة الإيمان! ونحن الآن عرفنا الله ﷻ، وعرفنا شيئاً عن اسمه الرزاق، فكيف نتبعذ لله ﷻ بهذا الاسم العظيم؟.

## التعبد لله ﷻ باسمه الرزاق .. الرزاق

لابد للعبد من معرفة ربه بأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله، ومعرفة خزائنه، ومعرفة دينه وشرعه ، ومعرفة وعده ووعيده ، ليعبد ربه حقاً كما عرفه حقاً :

• وتحقق العبودية الكاملة لله ﷻ بثلاث مسائل :

الأولى: إزالة العقائد الفاسدة من القلب، وتطهير القلب من الشرك والكفر والنفاق والرياء والحسد، وغير ذلك من الأشياء النجسة والسيئة : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۗ ﴿٧﴾ فَالْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۗ ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۗ ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس: ٧-١٠] .

الثانية: تزكية القلب بمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة دينه وشرعه، ومعرفة خزائنه ، ومعرفة وعده ووعيده : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ۗ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩] .

الثالثة: الاشتغال بعبادة الله ، بعد التخلية والتحلية تأتي التزكية باشتغال العبد بعبادة الله وحده، فمن استنار قلبه بمعرفة جلال الله ظهر الخشوع والتواضع على جوارحه : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۗ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۗ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأعلى: ١٤-١٥] .  
فلا بد من هذه الأمور الثلاثة ، تخلية ، ثم تحلية ، ثم تزكية .

هذه المعارف العظيمة عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله تولد حسن التعبد لله ﷻ .

والتعبد المطلوب هو التعبد لله بالحب والتعظيم والذل له جل جلاله، فالمؤمن إذا علم أن ربه هو الرزاق الرزاق وحده لا شريك له؛ اطمأن قلبه بما قسم له ربه، فلا يخاف ضيق العيش، ولا قلة ذات اليد، فإن رزقه آتية لا محالة، ولا ينقص منه مثقال ذرة، فالرزق يطلب العبد كما يطلبه أجله : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۗ ﴿٦﴾ ﴾ [هود: ٦] .

فخزائن الأرزاق عند الله ، وأبواب الرزق مفتوحة في كل زمان ومكان .

فالإنسان إذا عرف الرزاق؛ فعليه أن يكسب الرزق الذي يرزق منه الناس؛ لأننا في دار الأسباب، فالمطلوب فعل الأسباب، والله ﷻ جعل للرزق مفاتيح، ليست مفاتيح

الرزق واحدة، بل هي كثيرة.

ومفاتيح الرزق الحلال التي يُسْتَنْزَلُ بها الرزق من الرزاق جل جلاله كثيرة، من هذه المفاتيح.

الأول : الاستغفار والتوبة إلى الله ﷻ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح/١٠-١٢].

وكما قال هود ﷻ في القرآن: ﴿وَيَقَوْمٍ أَسْتَعْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُؤْبَأُ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود/٥٢].

الثاني : التبكير في طلب الرزق :

قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا» أخرجه أبو داود والترمذي<sup>(١)</sup>.

الثالث : الدعاء : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/١٨٦].

الرابع : تقوى الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق/٢-٣].

فنفعل الأسباب بجوارحنا، ونتوكل على الله بقلوبنا؛ لأننا نعلم أن مخرج الرزق من الرزاق وحده: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف/٩٦].

الخامس : اجتناب المعاصي: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم/٤١].

فالمعاصي اجتنابها سبب لحصول الرزق.

السادس : التوكل على الله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾﴾ [الطلاق/٣].

وقال النبي ﷺ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ؛ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٣٤٢)، وأخرجه الترمذي برقم (١٢١٢) وهذا لفظه.

خِمَاصًا، وَتَرَوْحُ بَطَانًا» أخرجه الترمذي وابن ماجه<sup>(١)</sup>.

السابع : حفظ الأوقات بأنواع العبادة: ﴿ فِي بَيُوتِ أَدْنِ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ، يُسَبِّحُ لَهُ، فِيهَا بِالْعُدْوِ وَالْأَصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ تَحْدَرُ وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النور/ ٣٦-٣٨].

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الجمعة: ٩-١٠].

الثامن : المتابعة بين الحج والعمرة :

قال النبي ﷺ: «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ؛ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ» أخرجه الترمذي والنسائي<sup>(٢)</sup>.

التاسع : الإنفاق في سبيل الله: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۗ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سبا/ ٣٩].  
وقال النبي ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ» أخرجه مسلم<sup>(٣)</sup>.

العاشر : الإنفاق على طلبة العلم :

قال أنس بن مالك ﷺ: كان أخوان على عهد رسول الله ﷺ، فكان أحدهما يأتي إلى النبي ﷺ، والآخر يجتري، فشكا المحترف أخاه إلى النبي ﷺ، فقال: «لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ» أخرجه الترمذي<sup>(٤)</sup>.

الحادي عشر : صلة الرحم، كما قال النبي ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٤٤)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٤١٦٤) وهذا لفظه.

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٨١٠)، وأخرجه النسائي برقم (٣٥٩٧) وهذا لفظه.

(٣) أخرجه مسلم برقم (٩٩٣).

(٤) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٣٤٥).

فِي أَثَرِهِ؛ فَلْيَصِلْ رَحْمَةً» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

الثاني عشر: إكرام الضعفاء والفقراء والمساكين، والإحسان إليهم: قال مصعب بن سعد قال: رأى سعد رضي الله عنه أن له فضلاً على من دونه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزُقُونَ إِلَّا بَضْعَفَائِكُمْ؟» أخرجه البخاري<sup>(٢)</sup>. وفي لفظ: «إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعْفِهَا بِدَعَائِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ، وَإِخْلَاصِهِمْ» أخرجه الترمذي، والنسائي<sup>(٣)</sup>.

الثالث عشر: الهجرة في سبيل الله من أجل إعلاء كلمة الله، ونشر دين الله: ﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء/ ١٠٠].

الرابع عشر: صدق البيان في البيع والشراء، وجميع المعاملات: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيْنَا بُورِكْ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا» متفق عليه<sup>(٤)</sup>.

فهذه أهم مفاتيح الرزق، وأبواب الرزق مفتوحة لكل أحد.

فإذا رزقك الله من فضله، وخيره، وإحسانه، ونعمه؛ فارزق منه الناس، تنال به عظيم الأجر، ويأتيك الخلف من الله بأعظم منه: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ/ ٣٩].

أيها العبد الفقير أسأل الرزاق أن يرزقك ما ينفعك في دينك ودنياك وأخراك.

وأعظم شيء تطلبه من ربك الرزاق الكريم سؤال الهداية، فأعظم سؤال يُسأل هو سؤال الهداية، نسأل الله الهداية في الدنيا، واللجنة والرضوان في الآخرة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧) [الفاتحة/ ١-٧].

(١) متفق عليه/ أخرجه مسلم برقم (٢٥٥٧)، والبخاري برقم (٢٠٦٧)، واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٨٩٦).

(٣) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (١٧٩٧)، وأخرجه النسائي برقم (٣١٧٨) وهذا لفظه.

(٤) متفق عليه/ أخرجه مسلم برقم (١٥٣٢)، والبخاري برقم (٢٠٧٩)، واللفظ له.

فهذا أعظم سؤال يسأله المؤمن ربه ، ولهذا فإن هذا الدعاء فرض في كل صلاة .  
 فاللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت وتولنا فيمن توفيت .  
 اللهم إنا نسألك علماً نافعاً، ورزقاً طيباً، وعملاً متقبلاً .

اللهم انفعنا بما علمتنا، وعلّمنا ما ينفعنا، وارزقنا علماً نافعاً، فمن عرف ربه الرزاق،  
 ورأى نعمه وأرزاقه التي لا تعد ولا تحصى؛ أحبه، وأطاعه، وأفردته بالعبادة؛ لأن الله هو  
 الذي خلق الخلق، وخلق أرزاقهم جميعاً، وأوصلها إليهم، فهو المستحق للعبادة؛ لأنه  
 الخالق الرزاق المنعم بكل نعمة، وحده لا شريك له : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ  
 الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٨] .

وكل ما سوى الله ليس بيده شيء : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [النحل/ ٧٣] .

والله سبحانه كريم، يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيثار إلا لمن يحب،  
 وهذا هو أعظم أنواع الرزق: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ  
 عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات/ ١٧] .

فمن عرف ربه حقاً تعلق به وحده لا شريك له؛ لأنه المتفرد برزق الخلائق وحده، لكن  
 على هذا العبد فعل الأسباب المشروعة لطلب الرزق، وعدم الاعتماد عليها، لأن كل  
 شيء بيد الله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِن خَلْقٍ عِوَى اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ  
 وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآذِنُوا لَهُ فَنُفِثُوا ﴾ [فاطر/ ٣] .

والمؤمن الحق يطلب الرزق من ربه بالأسباب المشروعة، ويحتمل جميع الأسباب المحرمة  
 في طلب الرزق، ولا يخاف من المخلوق في قطع الرزق عندما يساومه على رزقه في ترك  
 الحق، أو فعل الباطل؛ لأنه يعلم ويتيقن أن رزقه بيد الرزاق الذي يسمعه ويراه، والذي  
 خلقه وحده، والذي عنده خزائن الأرزاق وحده : ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مَن  
 عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا  
 يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون/ ٧] .

وإذا علم المؤمن أن الأرزاق كلها بيد الله وحده، وما في يد العبد من رزق فهو من ربه

وحده؛ إذا عرف ذلك ابتعد عن الشح والبخل، وسارع إلى البذل والجود؛ بالإففاق مما رزقه الله من علم، أو مال، أو جاه، أو تعبد، أو دعوة، أو تعليم، أو إحسان للخلق :

﴿المر ١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ [البقرة/ ١- ٣].

فهم ينفقون مالاً، ينفقون علمًا، ينفقون دعوةً، ينفقون من عطاء الله ﷻ لهم : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢- ٤] .

والله سبحانه قد أعطى الإنسان بصراً يبصر به الأرزاق، وبصيرةً يبصر بها الرزاق، فليحرص كل مؤمن ومؤمنة أن يجعل أكبر همه في السعي لنيل الرزق الأعظم، والفضل الأكبر، والمقام الأسمى، وهو رضوان الله وجنته، في العمل بشرعه ودينه في حياته؛ لينال الرضوان والجنة بعد مماته: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقْنَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ [الحج/ ٥٨]. والجنة والرضوان أعظم الرزق وأكرمه وأدومه: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾ [الطلاق/ ١١].

والله ﷻ أعطانا هذا الرزق في الدنيا، وهذه النعمة الكبيرة، وهذا الدين : ﴿ أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ [المائدة: ٣].

وأعطانا رزقاً آخر، وهو الجنة والرضوان حين نلقاه : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عِدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ [التوبة: ٧٢].

فسل ربك الرزاق من غذاء الأجساد والأبدان، وغذاء القلوب والأرواح، فيد الله ملأى لا تغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، يعطي ولا تنقص خزائنه مثقال ذرة .

وكان النبي ﷺ إذا أسلم الرجل علمه الصلاة، ثم أمره بأن يدعو بهؤلاء الكلمات في صلاته قبل أن يتعلم القرآن يأمره بهذه الكلمات الخمس: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

وفي رواية: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ» أخرجه مسلم<sup>(٢)</sup>.

فليتفكر العبد في نفسه، ولينظر إلى هذه الأرزاق، وينظر الرزاق كيف ساقها إليه من فضله، من عطاء مادي لجسده، ومن هداية وتوحيد وإيمان لقلبه: ﴿ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُرِيدُونَ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣].

فخذ رزقك من أبواب الحلال، واحذر أن تأخذه من أبواب الحرام، فمن أخذه من أبواب الحرام، شقي به، ولم يستجب دعائه إذا دعا ربه: ﴿ وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَكٰفِرُونَ ﴾ [التوبة/ ٨٥].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبُّ، يَا رَبُّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُدِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟» أخرجه مسلم<sup>(٣)</sup>.

ومن أسباب حصول الرزق: الصلاة والمداومة عليها، وحث الأهل عليها: ﴿ وَأَمْرًا هَلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرَ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعِيقَابُ لِلنَّاقِثِ ﴾ [طه/ ١٣٢].

والله سبحانه تعالى هو الغني الكريم الرزاق، فأسأله جميع حوائجك الصغيرة والكبيرة، فهو الصمد الذي صمد لجميع حوائج الخلق، والخلق جميعًا يصمدون إليه في حوائجهم، فأسأله الرغيف وما دونه، وأسأله الهداية، وأسأله الفردوس والرضوان: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات/ ٥٨].

واعلم أنك لا تأخذ من الرزق إلا ما قُدِّرَ لك، فكن مطمئنًا؛ فإنك تأخذ من خزائن الملك التي لا تدخلها اللصوص، ولا تأكلها السوس: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ﴾

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٧).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٠١٥).



وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿١١﴾ [الحجر/ ٢١].

فأنت تسأل غنياً كريماً، خزائنه مלאى، وتيقن أن رزقك سيصل إليك، فلا تُذَلِّ نفسك  
لغيرك من الناس، ورزقك سيصل إليك قطعاً، في موعده قطعاً، لأن معه عنوانك،  
فاطلبه من الكريم بالسر، يصلك بالعزة من ربك مباشرة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي  
عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ  
يُرْشَدُونَ﴾ ﴿١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦].

سل الغني إذا قمت في صلاتك ليلاً أو نهاراً، سله بينك وبينه فقط، لا تعرض حوائجك  
على الناس، بل اطلبه من الرب الكريم السميع البصير في السر، إذا سألت فاسأل الله،  
وإذا استعنت فاستعن بالله: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

فإن أظهرت حاجتك لمؤمن وسألته؛ فسوف يرسل الله لك من يقضيها من المؤمنين،  
لكن بواسطة إنسان.

إذا شكوت الحال إلى غير الله من الكفار، فقد يقضيها الله لك على يد كافر تذل له،  
ويمتهنك، فلا تَشْكُوْ حالك إلا لربك الغني، الرزاق، الكريم، السميع لجميع  
الأصوات، العليم بجميع الأحوال، القادر على جميع الأشياء: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرْبِي  
إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٦﴾ [يوسف/ ٨٦].

وارفع حاجتك إلى ربك سرّاً: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ  
الْمُعْتَدِينَ﴾ ﴿٥٥﴾ [الأعراف/ ٥٥].

فمن أراد أن يشكو حاله فليشك حاله إلى ربه سرّاً؛ لأنه قاضي الحاجات، ولا يشك الله  
إلى خلقه؛ بل يحسن الظن بربه، ولا يذل نفسه لغيره: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ  
الْمُعَذِّبِينَ﴾ ﴿٢١٣﴾ [الشعراء/ ٢١٣].

فتوجه إلى ربك، وأسأله العافية، وأسأله الرزق، وأسأله الهداية، فالأرزاق حاجات،  
لكن الهداية مقصد: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ  
إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

والله ﷻ قد يضيق عليك رزق المادي والروحي؛ وذلك لذنب فعلته لتتوب منه، فإذا تبت إليه أعطاك ما يغنيك، وأكرمك بما يسعدك في الدنيا والآخرة :  
توبةً جديدةً، وإيماناً جديداً، وطاعةً جديدةً، وحباً جديداً، وحياءً جديداً، وتعظيماً جديداً للربك .

وقد يمنعك رزقاً؛ لأنه يعلم أن صلاحك بذلك، لأنه يجب أن يسمع دعاءك، وحلاوة مناجاتك .

وقد تكون لك منزلة لا تبلغها إلا بالصبر على أحوالك: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٣٠] .  
فهو الحكيم العليم الذي يضع الشيء في موضعه، فارضُ بما قسم لك الرزاق من مال، أو جاه، أو علم، أو خلق، أو أم، أو أب، أو لون، أو جنس، أو حال، أو طول، أو قصر، أو زوجة، أو ولد، ونحو ذلك من عطاءات ربك الكريم، فمن رضي بما قسم الله له فهو أغنى الناس .

وأما ما أمرك الله به من امتثال أوامره واجتناب نواهيه ، في العبادات والمعاملات والمعاشرات والأخلاق؛ فسارع إليه، وسابق فيه، وكن الأول في كل طاعة وقربة فرضها ونفلها : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالضَّرَّاءِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤] .

فكن الأول في كل فريضة وفضيلة : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨] .

واعلم أنك مستخلف في كل ما أعطاك الله، وهو أمانة لديك ، فأحسن الإنفاق فيما يحبه الله ويرضاه : ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ ﴾ [الحديد/ ٧] .

فيدك على مالك يد أمانة ، لا يد ملك، فاتق الله في كسبك وإنفاقك: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا اللَّهُ وَلَتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر/ ١٨] .

واحمد الله على نعمه التي ساقها إليك من كل بلد: ﴿ وَقَالُوا إِن نَّبِيعِ الْمُدَىٰ مَعَكَ نُنْخَطَفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نُمْكِن لَهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجِئُ إِلَيْهِ ثَمَرْتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصص: ٥٧].

وإذا أكلت من هذه الأرزاق فاحمد الله على هذه النعم، لتحصل على رضوان الله، إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْهِ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢].

فسبحان الله! يخلق، ثم يرزق، ثم يرضى، فما أعظم تودده إلى عباده! ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالْكَاسِ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة/ ١٤٣].

فهذه المسائل العظيمة في اسم الله الرزاق علينا أن نتفقه فيها ونعرفها، وعلينا أن نتعبد لله عَزَّ وَجَلَّ بها؛ حتى يظهر أثر اسم الرزاق جل جلاله في حياتنا، فخالق المخلوقات، وقاسم الأرزاق جل جلاله تكفل بكل شيء، وكل رزق مقدر ونافذ من الله إلى صاحبه لا يخطئه رزقه إلى غيره أبداً، كما لا يخطئه أجله، ولن يموت أحد من الخلق حتى يستكمل أجله، ويأكل رزقه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٨].

أصل التوحيد، وذروة اليقين أن تعلم أن الله رب العالمين هو الرزاق وحده لا شريك له، وأن جميع الأعمال وجميع الأسباب من التكسب والعمل، وجميع المخلوقات في السموات والأرض من جماد ونبات وحيوان -إنما هي ظروف وأوعية أودعها الله ربها العطايا الأرزاق، تسلمها لمن شاء من خلقه بإذنه، وعلمه، وأمره: ﴿ وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الحجر: ٢١].

فهذه الخزائن ظروف تحمل الأرزاق، وتسلمها لمن أمرت بتسليمه إياه من الرزاق، لأن الله وحده هو الرزاق، لا رازق غيره: ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات/ ٥٨].

فلنشكر الرزاق الذي ساق إلينا الأرزاق، ويسر لنا الانتفاع بها، باستعمالها في طاعته: ﴿ يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [المؤمنون: ٥١].

ومن سعى في طلب الرزق فلينظر بقلبه إلى الرزاق الذي يقسم الأرزاق جل جلاله، لا إلى القسمة؛ لترضى بالقسم، وترضى بالمقسوم، مع السعي بالجسم في الكسب، ننظر إلى الرزاق الذي يقسم الأرزاق، حتى نرضى بالقسم، ونقنع بالمقسوم، مع السعي بالجسم:

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة/ ١٠].

ننظر إلى من يقسم الأرزاق، وإذا جاءنا الرزق نرضى بما قسمه الله، ومع هذا نتيقن أن ما أصابنا من الرزق لم يكن ليخطئنا، وما زوي عنا فلن نقبضه أبداً، ولو وقف معنا جميع الخلق: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر/ ٢].

فلا بد أن نفقه هذه المسائل، ونعتقد بها بالقلب؛ حتى نطمئن على أرزاقنا، ونتفرغ لعبادة ربنا، العاقل لا يشغله ما رزقه الله من الدنيا وإن كثر عن الغاية التي خلقه الله من أجلها، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، والدعوة إليه، وتعليم شرعه، والإحسان إلى عباده: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَمَّوْا أَنْفُسُوهُمَا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ الْجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾ [الجمعة/ ١١].

فاجعل ما رزقك الله من الرزق المادي سبباً معيناً على رضاه وتقواه، تكن من السعداء في الدنيا والآخرة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [١٤] و﴿ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [١٥] بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى/ ١٧-١٤].

وعلى المسلم ألا يخرج في طلب التكسب إلى نية التكاثر، وسبيل التفاخر؛ فيدفعه ذلك إلى الحرص على طلب الكسب من أبواب الحرام، أو تسخط الأقدار إذا لم تكن لك على ما تريد، فإن طلب الرزق عبادة، والأمر مفروغ منه، فلا تخالف من أمرك بالكسب الحلال، وقسم لك الرزق بالميزان.

ولتكن قلة الشيء عندك أثر من كثرته، فقليل يغني، أحسن من كثير يلهي ويطغي:

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا طَغَى﴾ [٦] أَلَمْ يَرَهُ أَنَّهُ اسْتَمَعَ﴾ [٧] [العلق/ ٦-٧].

واعلم أنه ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفנית، أو لبست فأبليت، أو تصدقت

فأمضيت، وما سوى ذلك فليس لك، فأنفق ينفق الرزاق عليك: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُلْهِكُمْ ءَأْمُولَكُمْ وَلَا ءَأَوْلَادَكُمْ عَن ذِكْرِ ءَأَلَلَّهِ ءَوْمَن يَفْعَلْ ذَءَأِكَ فَاُولَءَأِكَ هُمُ ءَأَخْسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفَقُوا مِن مَّا رَزَقْنَكُمْ مِّن قَبْلِ ءَأَن يَأْتِيَكُمُ ءَأَحَدُكُمُ ءَأَمَوْتُ فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ ءَأَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّءَأَلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَكِن يُؤَخَّرُ ءَأَلَلَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ ءَأَجَلُهَا ءَأَوَءَأَلَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون/ ٩- ١١].

فلننفق مما أعطانا الله من الأموال، ومن العلم، ومن الدعوة، ومن الأخلاق، وكما أن العلم من العليم؛ فالرزق كذلك من الرزاق وحده لا شريك له: (يَأْتِيهَا النَّءَأَسُ ءَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ ءَأَلَلَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِّنْ خَلْقٍ غَيْرِ ءَأَلَلَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَءِ ءَوَءَأَلْءَرْضِ ءَأَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ءَأَفَأَنفَ تُوَفَّكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر/ ٣].

فالله ﷻ قسم الأرزاق، وهو أعلم بعباده، فخص الفقراء بعباء قليل من الرزق، وخص الأغنياء برزق كثير من عطائه ليظهر كمال غناه وقدرته وحكمته، ويظهر عبودية العطاء من هذا الغني، وعبودية الصبر من هذا الفقير .

فالخبير العليم بعباده قسم الأرزاق بينهم بالعدل، فخص الأغنياء بوجود الأرزاق، وجعلهم آنية للحمد والشكر، والإنفاق والإحسان إلى الخلق .

وخص الفقراء بوجود الرزاق، وجعلهم آنية للصبر على الابتلاء وأرزاق الأغنياء، فكم ينالون من الصبر! ولهذا الصنف أجره على حمده وإنفاقه، وهم الأغنياء، ولهذا أجره على بلائه وصبره، وهم الفقراء، والله رب هذا وهذا: ﴿يَبْسُطُ الرَّرْزُقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ ءَأَانَ بَعْبَادِهِ خَيْرٌ ءَأَبْصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء/ ٣٠].

وقال النبي ﷺ: «عَجَبًا لَأَمْرِ المُّؤْمِنِ! إِنَّ ءَأَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَءَأِكَ لِءَأَحِدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنَّ ءَأَصَابَتُهُ سَرَّاءُ شَكَرٍ؛ فَءَأَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنِ ءَأَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبْرٍ؛ فَءَأَانَ خَيْرًا لَهُ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

فَسَلْ رَبَّكَ جَمِيعَ ءَأَمُورِكَ، وَأَنْزِلْ بِهِ فَاقْتِكَ، وَأَشْكُ إِلَيْهِ مَصِيبَتِكَ، فَبِيَدِهِ كُلُّ شَيْءٍ، وَلَيْسَ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٩).

بيد أحد سواه شيء، بل الخلق والأمر والملك كله لله وحده لا شريك له، فاعبده وحده لا شريك له: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١٧﴾ [العنكبوت/ ١٧].

واعلم أن الملك العظيم يعطي العظيم؛ فاطلب من ربك العظيم كل عظيم في الدنيا والآخرة، وليكن سؤالك رحمك الله على قدر المسئول جل جلاله؛ لا على قدر حاجتك؛ فربك جزيل العطايا والمواهب في الدنيا والآخرة: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۗ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ ﴿١٣﴾ [فاطر: ١٣].

وأعظم سؤال في الدنيا هو سؤال الهداية: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿٦﴾ [الفاتحة/ ٦].

وأعظم إكرام من الله في الآخرة رؤية الرب، ورضوانه، وسؤال الفردوس: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٧٢﴾ [التوبة: ٧٢].

فالله جل جلاله هو الملك الحي القيوم الرزاق الكريم، أمرنا بسؤاله، وطلب منا أن نسأله، وطلب منا أن نتصف بصفة الرزق: ﴿وَمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ ﴿٣﴾ [الأنفال/ ٣]. فطلب الحوائج من الله عز ، وطلبها من غير الله ذل، وهو سبحانه أحق من تذل له العبد .

ومن عرف الله لم يسأل غيره، ومن عرف الغني لم يقف بباب الفقير، ومن عرف الكبير استغنى به عن الصغير: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٤﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فسبحان الذي يملك الأرزاق كلها ، ويقسمها بين خلقه! فيرزق الأجساد الطعام والشراب بألوانه وأشكاله، ويرزق القلوب بأنواع المعارف والعلوم، وصفات الإيثار واليقين.

ومن استغنى بالله أغناه عما سواه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۗ وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

والمؤمن يسعد في كل عبادة وطاعة، ويكسب أجراً عظيماً، وينال ثواباً كريماً من ربه ﷻ:  
 ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨) ﴿الَّذِينَ  
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُ﴾ (٢٩). [الرعد/ ٢٩].

فالكريم يوالي نعمه ويزيدها على عبده بقدر طاعته وإيمانه، والله ﷻ عرفنا باسمه  
 الكريم، واسمه الرزاق، واسمه الغني، واسمه الرحمن الرحيم، لندعوه ونسأله .

خلق سبحانه الكون وملاه لعباده بأنواع الأرزاق التي تراها الأبصار والبصائر، وسخر  
 لهم الآيات والنعم التي تذكرهم بربهم، وتقربهم إليه، ويسر لهم أنواع الطاعات التي  
 تسعدهم في الدنيا والآخرة: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٦) ﴿وَلَهُ  
 الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٣٧) [الجاثية: ٣٦-٣٧].

فسبحان الملك الحق الذي خلق جميع الخلق ، ليجود عليهم بإحسانه، ويعود عليهم  
 بإنعامه أولاً، ثم ليعرفهم بذاته وأسمائه وصفاته، ثم ليأمرهم وينهاهم بحق الربوبية؛  
 ليؤدوا له حق العبودية بالمحبة والتعظيم والذل له جل جلاله؛ ليتبين الملك حقاً من  
 العبد حقاً: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ  
 شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (١٢) [الطلاق/ ١٢].

وبعد المعرفة يكون العمل: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبُدُوا  
 رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٧٧) [الحج: ٧٧].

واعلم أن الله جل جلاله يرزقك من فضله لتشكره ، وترزق منه كل محتاج إليه بما تقدر  
 عليه من علم ومال وخلق وجاه، وغير ذلك مما أعطاك الغني الكريم من فضله، فتذكر  
 الغافل ، وتعلم الجاهل، وتهدي الضال، وتطعم الجائع، وتواسي المحتاج، وترحم  
 الصغير، وتوقر الكبير، وتحلم على السفية: ﴿لَنْ نَسْأَلَكَ الْبَرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا  
 تُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (٩٢) [آل عمران/ ٩٢].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢٣) [الأعراف/ ٢٣].  
 ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (٥٢)

﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي  
بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل / ١٩].

اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك،  
اللهم إنا نسألك من الخير كله، عاجله وآجله، ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من  
الشر كله، عاجله وآجله، ما علمنا منه وما لم نعلم .

اللهم إنا نسألك علماً نافعاً، وعملاً متقبلاً، ورزقاً واسعاً يا رب العالمين .

اللهم أعطنا ولا تحرمننا، وزدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وارفعنا ولا تضعنا.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصفات / ١٨٠-١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك .



# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الكريم.. الأكرم

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله الكريم.. الأكرم

الله ﷻ أمرنا أن نعرفه، ونعلم من هو الإله والرب الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى؛ والأفعال الحميدة، لأنه يريد منا أن نعبد ونطيعه، بكمال الحب، وكمال التعظيم، وكمال الذل له: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَوْنَكُمْ﴾ [١٩] ﴿محمد/١٩﴾.

والله يحب أسماءه وصفاته، ويجب من عباده أن يتصفوا بها على شاکلة العبودية. فالله ﷻ كريم، يحب الكريم، والكريم قريب من الله، وقريب من الناس، ومحجوب عند الله، ومحجوب عند الناس.

والله شكور يحب الشكر والشاكرين، والله ﷻ محسن يحب الإحسان والمحسنين، والله مؤمن يحب المؤمنين، فيريد منا أن نتعرف على أسمائه وصفاته؛ لنعبده ﷻ بمقتضى هذه المعرفة: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [١٢] ﴿الطلاق: ١٢﴾.

فمعرفة الأسماء والصفات في باب التوحيد بمنزلة الرأس من الجسد، ومنزلة القلب من البدن، لا يستقيم التوحيد إلا بعد معرفة المعبود، ثم معرفة أوامره ونواهيه، ثم التقرب إليه بذلك بالحب والتعظيم والذل له ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [٢] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [٣] ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [٤] ﴿الأنفال: ٢-٤﴾.

فالله سبحانه له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة.

ومن أسمائه الحسنى الكريم والأكرم: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [٦] ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ﴾ [٧] ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [٨] ﴿الانفطار/٦-٨﴾.

وقال سبحانه: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [١] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [٢] ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [٣] ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [٤] ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمُ﴾ [٥] ﴿العلق/١-٥﴾.

فالله ﷻ هو الكريم الذي لا أكرم منه، الكريم الواسع الذي عم بعطائه وإحسانه جميع خلقه؛ المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي والإنسان والحيوان، فكل من في السموات والأرض عبده، والله يمدهم من أرزاقه، ويعطيهم من خزائنه: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هُنُوْلًا وَهُنُوْلًا مِّنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ ﴿٢٠﴾ أَنْظَرَ كَيْفَ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ ﴿٢١﴾ [الإسراء/ ٢٠-٢١].

فهو سبحانه الكريم الكثير الخير، دائم الفضل والإحسان في الدنيا والآخرة. الكريم الذي سهل خيره، ويقرب تناول ما عنده، القريب لمن دعاه، المجيب لمن سأله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ ﴿١٨٦﴾ [البقرة/ ١٨٦].

فكم يجيب الله ﷻ من السائلين! وكم يغيث من المستغيثين! وكم يُفْرِج من كُرب المكروبين! فهو كريم، وغني، ورزاق، وكريم، وحي قيوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، يسمع أصوات الخلائق في العالم العلوي والعالم السفلي فيجيب دعاءهم.

وهو سبحانه الكريم الذي له قدر عظيم، فله الأسماء الحسنى، والصفات العلى، الواحد الأحد، الغني عن كل أحد، المحيط بكل أحد، العظيم الذي لا يحيط به أحد: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢﴾ [يونس: ٣].

هو الكريم الذي له الملك كله، وله الحمد كله، وهو على كل شيء قدير، له الحمد على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى، وكل ما في ملكه من كرمه ﷻ، فله ملك السموات والأرض، وله عالم الغيب وعالم الشهادة، وله ملك الدنيا وملك الآخرة.

هو ﷻ كريم، وله قدر عظيم، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾ [الملك: ١].

هو الكريم الذي عنده خزائن كل شيء، وله خزائن السموات والأرض، الكريم ﷻ الذي يعطي، ولا تنقضي خزائنه، ولا تنقص أبدًا: ﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ ﴿٥٤﴾ [ص/ ٥٤].

فيعطي سبحانه ولا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة؛ لأنه لو نقص من ملكه أو من رزقه شيء لاحتاج إليه، والله غني عن الحاجة، الفقراء والعبيد هم المحتاجون إلى الخلق

والإيجاد والإطعام، وغير ذلك من صنوف النعم من ربنا ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ  
الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

وهو سبحانه أكرم الأكرمين، لا يوازيه كريم، ولا يعادله نظير، الكريم الذي كل ما في  
الكون من كرمه، الكريم الذي وهب الإنسان الكريم ما يتكرم به: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي  
ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا  
تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٠].

فهو سبحانه الكريم بذاته، وكرمه لا أول له ولا آخر، هو الكريم الذي يعطي ويكرم من  
يشاء في كل مكان وزمان، الكريم الذي يعطي بلا سؤال ولا عتاب: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَذُو  
فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [غافر: ٦١].  
هو الحي بجميع صفات الكمال، فهو حي بالسمع، والبصر، والقوة، والقهر، والكبرياء،  
والعظمة، والعزة، والرحمة، والرزق.

هو الحي بجميع الأسماء الحسنى والصفات العلى، حي بجميع صفات الكمال، فهو الحي  
القادر القاهر الرازق اللطيف الحليم الغني الرزاق الكريم السميع البصير: ﴿هُوَ الْحَيُّ  
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

كنتم أمواتاً فأحياكم، ثم رزقكم، ثم يميئتمكم، ثم يحييكم جل جلاله، فهو ﷻ الحي، بيده  
الحياة والأحياء، ويده الأرزاق، وهو كريم غني، وكريم قوي، وكريم مع قوته وغناه  
فهو يتكرم بما شاء من الأرزاق، فضله عظيم لا حد له: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ  
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [غافر: ٦١].

وهو سبحانه الغني الكريم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال  
الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ٨].

هو سبحانه الكريم الذي قدر فعفى، وعاهد فوقى، وسئل فأعطى، ولا يبالي كم أعطى،  
ولمن أعطى؛ لعظيم قدرته، وعظيم ملكه وسلطانه، وكمال كرمه وغناه، وسعة رحمته  
وعلمه جل جلاله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ  
الرَّحِيمُ ﴿٢٣﴾﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ  
الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ

الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

[الحشر: ٢٢-٢٤].

فالواجب على العباد معرفته أولاً، ثم عبادته بموجب هذه المعرفة ثانياً: ﴿فَاعَلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرَ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

وإذا عرفت الأمر سهل عليك تطبيق الأوامر، فالدين تصديق الأخبار، وتطبيق الأحكام، والإيمان تصديق وتطبيق، تصديق الأخبار، وأعظم الأخبار: الأخبار عن الله بأسمائه وصفاته ﷻ.

والله ملأ كتابه بأسمائه وصفاته؛ لنعرفه، ونوحده، ونعبده، ونتوكل عليه، ولا نلتفت لأحد سواه.

وقد ورد اسم الله الكريم في القرآن مرتين:

الأولى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّبَكَ رَبِّكَ الْأَكْرَبُ﴾ [الانفطار / ٦].

الثانية: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِّي كَرِيمٌ﴾ [النمل / ٤٠].

أما اسم الله الأكرم فقد ورد في القرآن مرة واحدة: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [الذي علم بالقلم / ٤] ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٣-٥].

وهو سبحانه الكريم الجامع لكل ما يحمد عليه من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والإنعام والإحسان والإكرام، والملك العظيم، والسلطان الكبير: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه / ٨].

والكريم يطلق على الحسن، والشيء النفيس، والشيء العظيم، والشيء الواسع، والشيء الجميل، ويطلق على الغني والجماد الجامع للمحاسن والفضائل، والمنعم على غيره بجزيل العطاء وإجابة الدعاء، وهذا على وجه الكمال لا يكون إلا الله وحده.

فالله ﷻ له الأسماء الحسنى، وهو واحد لا شريك له، وهو العظيم في ذاته وأسمائه وصفاته وملكه وسلطانه.

وهو الواسع الذي كل شيء ملكه، واسع الفضل، واسع العطاء، واسع الكرم، واسع الإكرام، واسع الإنعام.

هو الجميل في ذاته، وهو الغني عن كل ما سواه، الجامع للمحاسن والفضائل، المنعم على غيره بكل نعمة، الذي يجيب الدعاء، ويكشف البلاء.

وهذا على وجه الكمال لا يكون إلا لله وحده، فالله هو الكريم الأعلى، وخلق من خلقه من يريد له أن يكون كريماً، يستفيد الكرم ممن أكرمه، ويتكرم على غيره بتعليم غيره، ودعوة غيره، والإحسان إلى غيره: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

فسبحان الملك الكريم الأكرم الذي قدر فعفا مع كثرة من يعصيه، وسئل فأعطى، وعاهد فوفى، ولا يبالي كم أعطى؟ ولمن أعطى؟ فجميع الخلائق قاعدون على موافق نعمه، متنعمون بفضله، الملك ملكه، والمكان مكانه، والزمان زمانه، وكل شيء منه جل جلاله: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ (٥٣) [النحل: ٥٣]. هو سبحانه الكريم الأكرم، والأكرم كالأكرم صيغة تفضيل، فلان أكرم من فلان، وفلان أكبر من فلان، ولكنها في باب أسماء الله تدل على قوة الكرم، وعظمة الكرم، فلأكرم يدل على قوة الكرم؛ لأنه هو أكرم الأكرمين.

وكل كرم في العالم من كرمه وإكرامه، وكل مكرمة في الكون فالكريم هو الذي تكرم بها، فهي هنا ليست صيغة تفضيل، الأكرم يدل على قوة الكرم وعظمتها، وتكرار الإكرام للخلائق في العالم العلوي والعالم السفلي: ﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ [العلق: ١ - ٥]. فالله ﷻ كريم ليس كمثل شيء، ولا يقاس به شيء: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) [الشورى: ١١].

هو الكريم الذي ليس كمثل شيء في الكرم، وهو السميع البصير الذي يسمع جميع المخلوقات في آن واحد، ويبصر جميع المخلوقات في آن واحد، من يطيعه ومن يعصيه، فيشكر لهذا المؤمن، ويمهل العاصي؛ لأنه حلِيم كريم، يريد لعبده أن يكون في جنته لا في ناره: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٦٠) [يونس: ٦٠]. هو سبحانه الكريم المتوحد بالجلال، فله صفات الجلال كلها، والمتوحد بصفات الجمال

والكبرياء والعظمة، والأسماء الحسنی، والصفات العلی: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ اللهُ الصَّكْمُ ۝٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ ۝٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص / ١-٤].

هو جل جلاله الكريم الأكرم الذي وصف نفسه بالكرم، ووصف عرشه بالكرم، فقال سبحانه: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ۝١١٦﴾ [المؤمنون / ١١٦].

ووصف كتابه بالكرم فقال: ﴿إِنَّهُ لَقَرَّءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩].

ووصف رسله بالكرم فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠﴾ [الحاقة / ٤٠].

ووصف أوليائه بالكرم فقال سبحانه: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسَكُمْ﴾ [الحجرات / ١٣].

وملأ الأرض بأنواع كرمه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝٧﴾ [الشعراء / ٧].

كم خلق الله الكريم سبحانه في الأرض من النباتات! فالأرض هي الأم الكبرى، وأولادها مجموع النباتات والأشجار التي على ظهرها، فكل أم تلد مواليدها، وهؤلاء المواليذ كرماء، كل حبة قمح أو ذرة أو فول أو عدس، كل نخلة، كل شجرة للتفاح، للعب، للتين، للزيتون تخرج ثماراً كثيرة، وتكون كريمة بما فيها من النوى الذي يوضع في الأرض فينبت مرة أخرى ويتكاثر: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرَجُ مِنْهُ حَبًّا مُتْرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَعَيْرَ مُشْتَبِهًا ۚ أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٩٩﴾ [الأنعام: ٩٩].

كم أنبت الله من زوج كريم على ظهر هذه الأرض! وملائكته كلهم كرام: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠﴾ كِرَامًا كَنِينِينَ ۝١١﴾ يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ [الانفطار: ١٠-١٢].

هو جل جلاله الكريم الأكرم الذي يعطي بسؤال وبلا سؤال، ويعطي إذا سئل، وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء؛ لأنه عظيم، والعظيم لا يعطي إلا العظيم: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [يونس: ٣].

هو الكريم الذي عم بإحسانه جميع الورى، فكل ما في الكون من كرمه، وكل ما سواه من الخلاق دال على كمال قدرته وعلمه، وكمال رحمته وإحسانه، وكمال غناه وكرمه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق/ ١٢].

وإذا عرفتم الكريم، وإذا عرفتم القوي، وإذا عرفتم العليم؛ فاعبدوه وحده لا شريك له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

هو سبحانه الأكرم وحده لا شريك له، كثير الخير، فكل خير في السموات والأرض بأنواعه المختلفة، وبتكراره في كل وقت، من فضله وإحسانه.

هو الأكرم وحده لا شريك له كثير الخير، دائم الإحسان، الكريم الذي أنعم علينا بنعم كثيرة لا تُعد ولا تُحصى، في ذواتنا، ومن حولنا: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

هو جل جلاله عالي الشأن، والمجد والحمد كله له سبحانه، لا إله غيره، ولا رب سواه، فكل ما سواه نعمة أو منعم عليه، نعمة من الكريم الذي يعطي لا لعوض؛ إنما هو كريم بذاته، وكريم بأفعاله، والعطاء أحب إليه من المنع: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨].

الله ﷻ عرفنا بأسمائه وصفاته؛ حتى نجبه، وحتى نعظمه، وحتى نتوجه إليه بالعبادة، ونطيعه وحده لا شريك له؛ لأننا لا نجد أحدًا سواه عظيم في ذاته، عظيم في أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

ولهذا مجد الله نفسه، وحمد نفسه في القرآن فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢] ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٢-٤].

وقال سبحانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [٢٢] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٢٣] ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ



الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

وقال سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: ١].

مجد الله نفسه في القرآن؛ حتى نعرفه جل جلاله؛ حتى نشني عليه، حتى نحبه لما نراه من كرمه ونعمه وإحسانه فالخير كله بيده، والنعم كلها منه، والخلق والأمر له، والملك له: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك / ١].

هو سبحانه الكريم الأكرم في ذاته وصفاته وأفعاله، له علو الشأن في كرمه وإكرامه، فلا إنعام يرقى إلى إنعامه، ولا كرم يسمو إلى كرمه، فالكريم من البشر يكرم، ولكن يريد العوض من حمد أو ثناء أو انتفاع، لكن الكريم سبحانه يكرم لذاته؛ لأن الكرم صفة ذاتية له لا تفك عنه، وتتعدى إلى خلقه، فيكرم من أطاعه، ويهين من عصاه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ، مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨].

فلا كرم يسمو إلى كرمه، الهواء من كرمه، الطعام والشراب من كرمه، هذا النور الذي نمشي به من كرمه، الأرض من كرمه، العقل من كرمه، السمع من كرمه، الطمأنينة من كرمه، فلا كرم يسمو إلى كرمه، ولا عطاء يوازي عطاءه.

له وحده الملك والخلق والأمر: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف / ٥٤].

فسبحان الكريم الأكرم المحسن بما لا يجب عليه، الكريم الذي يصفح عن التقصير في كل حق وجب له، الغفور لكل ذنب تاب إليه العبد منه: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء / ١١٠].

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ [النساء / ٢٨].

فسبحان ربي الكريم الذي يجود على جميع خلقه بأنواع الإحسان والإنعام، وأنواع الخير والعتاء، الكريم الذي عم بجوده الأوائل والأواخر، والمؤمن والكافر، والناطق والصامت.

هو الكريم الرحيم الذي تعرف إلى عباده بأسمائه وصفاته، وملكه وسلطانه، الذي تحبب إلى خلقه بنعمه وآلائه، الكريم الواسع الذي عم بجوده وكرمه جميع الكائنات، وملاً جميع العالم العلوي والعالم السفلي بأنواع كرمه وفضله، وجوده ونعمه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥].

فسبحانه من كريم لا تعد نعمه ولا تحصى! ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

فالكرم صفة ذاتية لله، وصفة فعلية للرب سبحانه، فالكرم والإكرام لا ينفك عنه أبداً جل جلاله، فكرمه لا أول له ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية، وهو كريم يكرم خلقه بأنواع الكرامات لقلوبهم وأبدانهم، ومن كرمه هذا العطاء من الطعام والشراب، ومن كرمه هذا الدين العظيم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة/٣].

فهو سبحانه الكريم الذي أكرم الخلائق بأنواع الكرامات، وصنوف الإحسان. فهو الكريم الذي يكرم ويعطي في كل آن من أنواع البر والإحسان للقلوب والأبدان، والإنسان والحيوان، والملك والجان، وجميع الخلائق يتنعمون بنعمه، ويسألونه المزيد من فضله؛ لأنه الصمد الذي يُصمَد إليه في جميع الحوائج، الصمد الذي له الأسماء الحسنی والصفات العلی، فهو الغني، وهو الكريم، وهو الرزاق، وهو الملك، وهو القادر، وهو العليم، فيسأله العباد جميع حاجاتهم في كل وقت، ويعطي ولا تنقص خزائنه مثقال ذرة: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

والكريم لا يرد سائلاً أبداً، وما من أحد سأل الله إلا وأجاب، إما يجيبه ويعطيه سؤله في الدنيا، وإما يدخره له في الآخرة، وإما يصرف عنه بلاءً سيصيبه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فالله كريم لا يرد سائلاً أبداً، وما دعانا للسؤال إلا ليحيينا، ومقصود الدعاء ليس فقط قضاء الحاجة؛ إنما مقصود الدعاء أن نتوجه إلى الله دائماً في جميع أمورنا، نتوجه إليه وحده، ولا نذل أنفسنا للإنسان، للثيم، للبخيل، للصغير؛ بل نكرم أنفسنا بسؤال الكريم الذي عنده خزائن الكرم، والذي يجب أن يكرم، فهو يكرم جميع الخلق، ولا ينسى أحداً: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ (١٣) ﴿فاطر: ١٣﴾.

وهو جل جلاله الأكرم الموصوف بجميع المحامد، المنزه عن جميع العيوب والنقائص، الذي يصدر عنه جميع أنواع الإكرام والإنعام على خلقه، آناء الليل وآناء النهار. هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، كم يسأله وكم يستغفره من أهل الكربات والحاجات! وهو يقضي جميع الحوائج للإنسان والحيوان، وكل من يسأله في البر والجو والبحر، والعالم العلوي والعالم السفلي.

الله أكبر، ما أعظم ملكه وسلطانه!، الله أكبر ما أعظم أسماؤه وصفاته!، الله أكبر ما أعظم سعة عطائه ورحمته وفضله وإحسانه! هو الكريم الذي يعطي الخلائق ليلاً ونهاراً على مر الدهور والأعوام، في كل زمان ومكان؛ لأنه الملك الرحيم الكريم الذي يجب الإكرام والإحسان: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدْبِرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٣١) ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ (٣٢) ﴿يونس: ٣١-٣٢﴾.

فاسم الرب إذا وضع على شيء حلت فيه البركة، وضع اسمه على السماء فاستقلت، وعلى الأرض فاستقرت، وعلى الماء فسال، وعلى التراب فجمد، وعلى العين فأبصرت، وعلى اللسان فتكلم، وعلى الأذن فسمعت، وعلى اليد فتحركت، وعلى القدم فمشت: ﴿بِزَكَاةٍ مِنْ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٧٨) ﴿الرحمن: ٧٨﴾.

فله صفات الجلال، وله صفات الجمال، ومن صفات الجمال: الإكرام لمن أطاعه ومن عصاه؛ لأن الخلق خلقه، والملك ملكه، وهو جل جلاله كريم لا يرجو على عطائه أحداً، بل هو الكريم بذاته جل جلاله، ﴿وَمَا يَكُمُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ (٥٣) ﴿النحل: ٥٣﴾.

هو الكريم الذي يدفع النقم، ويسبغ النعم، ويرفع الدرجات، ويغفر الذنوب، ويكفر السيئات، كل نعمة منه، فلنذكره ولنعبده ونطيعه؛ لأن حوائجنا بيده، والعزة تكون لنا إذا اتصلنا بالعزیز، فمن اتصل بالعزیز فهو عزیز: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنَّ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر/ ٣]. هو الذي يرزقنا، والرزق نوع أو صفحة من صفحات كرمه جل جلاله، وأنواع كرمه لا تُعد ولا تُحصى، فكل ما في الكون من كرمه، وأنواع كرمه لخلقه لا حد لها ولا عد.

فهو الكريم الذي أنعم بكل نعمة، هو الكريم الذي يضاعف الحسنات، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة، إلى أضعاف كثيرة، إلى وآتيناه من لدنا أجراً كريماً، وأجراً كبيراً، وأجراً وعظيماً: ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧].

فهو جل جلاله الكريم الذي إذا أعطى أعطى؛ لأنه عظيم، والعظيم لا يعطي إلا العظيم، يعطي على قدر شأنه، لا على قدر سؤال العبد، فهو يعطي فوق ما يطلب العبد؛ لأنه عليم بحاجات العبد، لكنه يجب أن يسأل، يجب أن يسمع صوت عبده في طلب الشفاء والرزق والعلم والهداية، يجب أن يسمع أصوات عباده، متضرعين منكسرين بين يديه: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

والله قادر أن يهدي الناس جميعاً، وأن يرزق الناس جميعاً، كما أعطاهم نور الشمس جميعاً؛ قادر أن يرزقهم جميعاً، لكنه يجب أن يسمع أصوات عبده من الحيوان والطير، والناس والملائكة، يجب أن يسمع ذكر هؤلاء بالتسبيح، والتقدیس، والتعظيم، والسؤال، والاستغفار؛ لأنه ملك أهل أن يعبد، ملك عظيم له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

فهذه جنة المعرفة التي هي موجودة بيننا في الدنيا، ونسأل الله ﷻ كما جمعنا في هذه الجنة التي نتعرف فيها على ربنا أن يجمعنا في جنة الآخرة يوم القيامة، وأن نرى الكريم الذي رأينا أنواع كرمه في هذه الدنيا: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ [٢٢] إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [٢٣] [القيامة/ ٢٢-٢٣].

وأن يجمعنا كذلك بنبيه ﷺ، وأن يجمعنا في جنة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فهو جل جلاله كريم، وأمرنا أن نتعرف على الكريم، فننظر في الكون؛ حتى نعرف الكريم من؟ الخالق من؟ الرازق من؟ العظيم من؟ القوي من؟ ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا هِيَ مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ بَصْرَةً وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦-٨].

السموات بشمسها وقمرها ونجومها وما فيها كلها من كرمه: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْطَى الْآيَاتِ وَالنُّذُرِ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس / ١٠١].

والارض وما فيها كلها من كرمه: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعَبَا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَيْكِهَةً وَأَبًا ﴿٣١﴾ مِّنْعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس: ٢٤-٣٢].

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَدَّلْنَا بِقَوْمٍ سَعِيًّا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَمَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلْنَا أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾﴾ [النبأ: ٦-١٧].

هذا فعله في الدنيا، فكيف فعله يوم القيامة؟ إذا رأيت الجنة التي عرضها السموات والأرض، ولأدنى مسلم في الجنة وما فيهم دنيء مثل هذه الدنيا عشر مرات، كيف بك إذا رأيته، ورأيت أنبياءه ورسله، ورأيت النعيم المقيم؟: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾﴾ [المائدة: ٩].

ومن لم يعرف الله في الدنيا لم يره في الآخرة، فمن لم يره في الدنيا ببصيرته لن يراه يوم القيامة ببصره: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾ [المطففين: ١٥-١٦].

فهو سبحانه كريم، ويريدنا أن نتعرف عليه، ونعرف مظاهر كرمه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

هو الكريم الذي أنعم بكل نعمة، الذي يضاعف الحسنات، ويكفر السيئات، ويغفر

الذنوب ويفرج الكرب، ويغني الفقراء، ويشفي المرضى، ويهدي الضال، ويعلم الجاهل، ويؤمن الخائف، الله أكبر ما أعظم كرمه!، وكل خلقه يسبح بحمده: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة/ ١٤٣].

فسبحانه ما أعظمه! وما أكرمه! وما أحلمه على من عصاه! ﴿سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَى عَمَّا يُقُولُونَ عَلَوًّا كَبِيرًا﴾ [٤٣] تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ. وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ [الإسراء/ ٤٣-٤٤].

حليماً على هذا الإنسان الذي يشتغل بالنعمة عن المنعم، ويغفل عن ربه، ويشتغل بالشهوات، ويُعرض عن الأوامر، هو حليم يمهل له لعله يتوب، فإذا تاب إليه قبله وأكرمه: ﴿هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعُ لَكُمْ﴾ [الشورى: ٢٥].

والكرم صفة عظيمة، وصفة نرى آثارها في الكون، وهي مشتقة من اسم الله الكريم واسمه الأكرم، والكريم هو الذي يكرم عباده بكل خير: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَدِيِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [٧٠] [الإسراء/ ٧٠].

فالكرم والإكرام والتكريم بيده وحده لا شريك له، فمن أكرمه الله فهو الكريم، ومن أهانه الله فلا مُكْرِم له، مهما كان عنده من العلم، ومن المال، ومن القوة. فمن أكرمه الله بالإيمان والتقوى فهو الكريم المكرم، ومن أهانه الله فلا مكرم له، والله يعلم من يستحق الإكرام ممن لا يستحق الإكرام، فيهدي لنوره من يشاء، ويضل من يشاء: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [١٨] [الحج/ ١٨].

المُلك مُلكه، والخلق خلقه، والأمر بيده، وهو يفعل ما يشاء، ولكنه كريم، ورحيم، ولطيف، هو الكريم الأكرم الذي جميع أنواع ثوابه كريم: ﴿إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [١٨] [الحديد/ ١٨].

فكل ثوابه كريم، لا يعطي على قدر العمل؛ إنما يعطي على قدر عظمته، وعلى قدر

كرمه: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

فجزاؤه كريم جل جلاله، ومن كرمه أعطى هذا العطاء العظيم في الجنة، فالجنة قصور، مملأها الله ﷻ بأنواع الخيرات، وأنواع المحاسن، وأنواع النعم، في نعيم أبدي وصحة أبدية: ﴿ هَلْ هُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٢٧].

وهو الكريم الأكرم الذي يكرم عباده بأنواع الكرامات؛ ليصلوا إليه مكرمين، ثم يصلوا إلى دار كرامته، والمؤمن التقى يصل إلى ربه الكريم يوم القيامة مباشرة: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [مريم/ ٨٥].

ثم يدخلهم الجنة إكراماً لهم، فهو أكرمهم، ومنّ عليهم بنعمة الهداية، بعد نعمة العطاء من الطعام والشراب، والنعم المادية المحسوسة؛ أنعم عليهم؛ ليصلوا مكرمين إلى دار كرامته: ﴿ إِنْ جَحْتَبُوا كَبَائِرَ مَا نُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفَرْ عَنْكُمْ سَعَاتِكُمْ وَنَدْخَلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [النساء/ ٣١].

كلُّ أحد يعرف قصره في الجنة، ليس في الجنة بيوت؛ بل قصور ملكية لمن سلم قلبه وجوارحه للملك جل جلاله في الدنيا، فالله يوم القيامة يدخله في القصور الملكية؛ لأنه لا يرضى لعبده إلا أن يعيش في القصور الملكية، في النعيم الأبدي، والحياة الأبدية: ﴿ فَأَلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحج/ ٥٠].

فرزقه كريم، وثوابه كريم، وأصحاب الجنة هم في أعظم نعم الكرم والتكريم، والإكرام والكرامات: ﴿ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [المعارج/ ٣٥].

هو جل جلاله الكريم الأكرم الذي جميع ملائكته كريم: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كُنُوزًا ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار/ ١٠-١٢].

﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [التكوير: ١٩-٢٠].

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأنبياء/ ٢٦].

فالملائكة الله ﷻ خلقهم من نور، وأكرمهم بطاعته، فهم محبوبون على الطاعة: ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحریم/ ٦].

يقومون بالتسبيح والتقديس والتكبير لله ﷻ، ولا يعرفون المعاصي أبداً، وهم ينفذون الأوامر في كل حين: ﴿فَالْمُدْرَبَاتِ أَمْرًا ٥﴾ [النازعات: ٥].

ينفذون الأوامر بأمر الله ﷻ، فملك الموت يقبض الخلائق، وميكائيل يكيل القطر، وإسرافيل ينفخ في الصور، وجبرائيل يرسله الله ﷻ بالعذاب على الأمم، ويرسله بالوحي على الرسل.

فهم كرماء بالتسبيح، والله أكرمهم بالمقام الأعلى، وقد ملأ الله السماء كلها بالملائكة، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك قائم، أو راعع، أو ساجد لله ﷻ، جبلهم في كل آن بالتسبيح والتقديس: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ١٩﴾ [التسبيح: ١٩] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ٢٠﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠].

هو جل جلاله الكريم الذي دعانا لمعرفته، الكريم الذي أكرم بني آدم بأحسن الكرامات، وأعظم الكرامات، وأعلى الكرامات: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ٣﴾ [المائدة: ٣].

خَلَقْنَا مِنْ كَرَمِهِ، وَفُوتْنَا مِنْ كَرَمِهِ، وَهَدَيْتَنَا مِنْ كَرَمِهِ، فهو الهادي الكريم الواهب لكل كرامة جل جلاله.

هو سبحانه الكريم الذي أكرمنا بالدين، وأمرنا بكل كريم من الأقوال الكريمة، والأعمال الكريمة، والأخلاق الكريمة، وبعث نبيه ﷺ ليتمم في الأمة مكارم الأخلاق، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» أخرجه أحمد والبيهقي<sup>(١)</sup>. وفي رواية للبيهقي: «مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»

فالله يريد من عبده أن يتصف بصفاته على شاكلة العبودية، ويأخذ هذه الصفات على أنها نعمة من الله، فإذا أكرمك الكريم فكن كريماً بأقوالك، كبر الكبير، وعظم العظيم، واحمد المنعم، والكريم سبحانه يريد من الإنسان أن يتكرم، أولاً يُكرم نفسه بالإيمان والتوحيد، ويتكرم على غيره وعلى نفسه بحسن الاستقامة، والقيام بالدعوة، فهو كريم يريد من عبده أن يكون كريماً في أقواله، وأعماله، وأخلاقه، وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، والدعوة إليه، وتعليم شرعه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ

(١) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٨٩٣٩) و البيهقي برقم (٢٠٥٧٢).



صَلِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ [فصلت: ٣٣].

الانسان آلة للأعمال فإذا خرجت منه الدعوة ودعا الناس إلى الله؛ كبروا ربهم، وشكروه؛ ليكرمهم يوم القيامة بجنة عرضها السموات والأرض: ﴿كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ [آل عمران / ٧٩].

يُعَلِّمُ من دخل في الإسلام، يعلمه كيف يتوضأ، كيف يصلي، كيف يصوم، كيف يقسم الميراث، كيف يقيم الحدود: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا يُخَلِّقُ لَهُمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٢﴾ [الجمعة: ٢].  
هو سبحانه الكريم الذي بره وخيره وإحسانه إلى جميع خلقه مدرار أثناء الليل وأثناء النهار، في كل زمان ومكان.

هو الكريم الذي له جميع المحاسن والمحامد، والجلال والجمال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٨﴾ [طه / ٨].

وإذا عرفت الكريم فاعبده، وكن عبدًا للكريم، واسأل الكريم، وقف بباب الكريم، ولا تقف بباب اللئيم، كن دائمًا بين يدي الكريم عابدًا له، ممجدًا له، حامدًا له، سائلًا له، مستغفرًا له، داعيًا إليه، معلمًا لشرعه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٦٢﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

هو سبحانه أكرم الأكرمين، وكل كرم وكرامة في العالم فمن كرمه وإحسانه. كل ما سوى الله من كرم وكريم، فكله من كرمه وإحسانه: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ تُرِيدُوا إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَالْيَهُ تَجْرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ [النحل: ٥٣].

عمَّ بإكرامه المؤمنين والكافرين، والمحسنين والمسيئين، فشكر للمحسن إحسانه، ووالى نعمه على من عصاه؛ ليذكره بنعمه، لعله يتوب إليه.

الله ﷻ عم بإحسانه الجميع؛ لأن عطاء الربوبية للجميع، الماء، النور، الهواء، الأرض، الأرزاق، الصحة، العافية، عطاء الربوبية فيه وحده لجميع الخلق؛ لأنه لا إله غيره ولا رب سواه، وعطاء الألوهية تكريم وتشريف لهذا الإنسان، أن يعرف الرب الذي أنعم عليه بالنعمة، هو الذي أطعمه وسقاه وهده؛ وسوف يستدعيه لدار أخرى خالداً فيها أبداً، فيها حياة بلا موت، ونعيم بلا بؤس، وغنى بلا فقر، وعافية بلا بلاء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَلًا مِّنْ عَفْوِرٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾

[فصلت: ٣٠-٣٢].

فنحمد الله أن عرفنا بأسمائه وصفاته؛ حتى نعبده، لأن الإنسان خلق ليقى، وما سواه سيفنى، إلا ما استثناه الله ﷻ كالعرش والكرسي، والجنة والنار وغير ذلك، فالله ﷻ خلق الإنسان ليقى، ولكنه يمر بمراحل، في بطن الأم، ثم يأتي إلى بطن الدنيا، ثم إلى بطن القبر، ثم يأتي إلى الدار الآخرة، وهناك حياة بلا موت، أهل السعادة في دار السعادة، وأهل الشقاوة في دار الشقاوة: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الروم: ١٤-١٦].

فالله يريدنا أن نكون في هذه الحياة نتصف بالصفات التي يجب؛ لأننا يوم القيامة سنقدم عليه بالصفات، بالإيمان والأعمال: ﴿ فَأَلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ ﴾

[الحج: ٥٠-٥١].

فالكفار فيساقون إلى نار جهنم فوراً، وليس لهم موازين، لا يمرون على الصراط، هؤلاء إلى جهنم فوراً، أما المؤمن هو الذي توزن أعماله، ولهذا المؤمن يحشر إلى ربه مباشرة: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا ﴿٨٦﴾ ﴾

[مريم: ٨٥-٨٦].

هذا الرب العظيم الذي تعطينا لرؤيته، والقرب منه، وسماع كلامه، يسلم عليك يوم القيامة: ﴿ سَلَّمَ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يس/٥٨].

والملائكة جميعاً يسلمون عليك؛ جبريل وميكائيل وإسرافيل: ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

والسلام والتسليم في الجنة دائم بين المؤمنين: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا إِلَّا قِيلاً سَلَامًا ﴿٦١﴾ ﴾ [الواقعة/٢٥-٢٦].

وأنت عند ربك في دار السلام والأمان: ﴿لَهُمْ دَارُ الْمَسْكُونَةِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ وَلِيُّهَا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٧].

هذه النعم العظيمة، وهذا العطاء الكبير، لا يأتي إلا من رب كريم، الله ﷻ كريم بكل شيء، وبكل خير، وببده الخير، والشر ليس إليه؛ الشر من فعل الإنسان، ولكن الله قدره، وكتبه، وشاءه؛ فظهر، ولكن الله لا يجبه؛ لأن الشر يجلب الشر للإنسان، والعقوبة من الله: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء/ ١٢٣].

هو سبحانه الشكور الذي يشكر للمحسن إحسانه، والإحسان منه في الأصل، ووالى نعمه على من عصاه؛ ليدكره بنعمه، لعله يتوب إليه، يمهل لعله يتوب: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

ومن إكرامه الذي لا ينتهي له إفضاله وإنعامه وإحسانه إلى من يكفر بنعمه، ويعبد غيره، ويجعل هذه النعم وسيلةً يتوصل بها إلى معاصيه، أعطاه ربه اللسان فعصى الله به، وأعطاه البصر فابصر به ما حرم الله، وأعطاه السمع فسمع به ما حرم الله، وأعطاه اليد فسفك بها الدماء، ولكن الله حلیم على عباده، يريد لهم الخير، ويريد بهم اليسر، ولا يريد بهم العسر: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ورحمته سبحانه سبقت غضبه، والعفو أحب إليه من الانتقام؛ لأنه بالناس رءوف رحيم. فسبحان ذي الملك والملكوت، والعزة والجبروت، والكبرياء والعظمة! له الملك كله، وببده الخير كله، ومنه الفضل كله، وأنواع إكرامه وإحسانه إلى خلقه لا تُحصى، وهي سابعة منه على خلقه في الدنيا والآخرة، فلا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

هو سبحانه الكريم الذي أعلم الخلق بأسائه وصفاته، بما ذكره في كتابه؛ ليعرفوه، ليوحدوه، ليكبروه، ليجبوه، ليعبدوه، ويسألوه.

هو الغني الكريم الذي يرزقهم ويعافهم، الذي تكفل بقضاء حاجاتهم، فهو قاضي

جميع الحاجات، وجميع حاجات العباد بيده، وجميع الحاجات مستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته، وخاضعة لأمره، وهو مع أوليائه، ينصرهم، ويستجيب دعاءهم، فمن دعا الله باليقين أجاب الله دعاه.

نوح عليه السلام دعاه لأنه كريم قام بالدعوة إلى الله، وبدنه مشغول بطاعة الله وعبادة الله، فدعا الله تعالى؛ فاستجاب دعاه فوراً: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ﴾ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوَجْهِ وَدُسِّرَ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ﴿[القمر: ١٠-١٤].

وأجاب أيوب عليه السلام حين دعاه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴿[الأنبياء: ٨٣-٨٤].

ويونس عليه السلام دعاه فأجابه: ﴿وَإِذْ التُّونُ إِذْ ذَهَبَ مُغْلِظًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُفَجِّئُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴿[الأنبياء: ٨٧-٨٨].

وزكريا عليه السلام دعا ربه فأجابه: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴿[الأنبياء: ٨٩-٩٠].

فسبحان الكريم الذي بيده مفاتيح كل شيء: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢﴾ ﴿[فاطر: ٢].

هو سبحانه الكريم الذي يجب أن يسأل، ولا يرضى أن يسأل غيره؛ فإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، لأنه صمد، ولا يريد من عبده أن يذلوا أنفسهم لغيره: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ ﴿١٨٦﴾ ﴿[البقرة/ ١٨٦].

والله كريم ما دعانا لسؤاله إلا ليجيبنا، لكن قبل السؤال يكون الشاء: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِلَهِكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ

الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ [الفاتحة/ ٢-٦].

ما تعريفه؟ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بنعمة الهداية ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ الذين عرفوا الحق وتركوه ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الذين عرفوه وضلوا عنه.

وهذا أعظم سؤال في القرآن الكريم.

فنعمة الهداية من أعظم النعم، وهي عطاء الكريم، هذا عطاء الألوهية، والنعم المادية عطاء الربوبية، فننظر حين التعبد إلى عظمة الربوبية، ونتصاغر لكبرياء الرب ﷻ، وننظر لذلة العبودية، ننظر إلى عظمة الرب، وذلة العبد.

لا بد أن نتصور في قلوبنا عظمة الرب العظيم، الملك، الغني، الكريم، الرحمن، الرحيم، وننظر إلى ذلة العبودية، فأنا ضعيف، فقير، عاجز ومحتاج، كنت معدوماً فأوجدني الله، ولما أوجدني أطعمني وسقاني، ومنَّ عليَّ بنعمة الهداية، وأعطاني الجوارح التي أطيعه بها، وضاعف لي العمل: وقبله مني: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أُنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

ويستضيفني يوم القيامة في جنة عرضها السموات والأرض: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴿٣٧﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

فسبحان من فتح للناس باب العمل: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت/ ٦].

هو سبحانه الكريم الذي أكرم خلقه بعبادته وحده لا شريك له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

ولهذا لا بد أن تكون العبادة حقيقية، ولا تكون حقيقية إلا إذا جاء الخضوع والخشوع، خضوع بالجوارح، وخشوع بالقلوب: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ [المؤمنون/ ١-٢].

ومن عرف الله حقاً عبده حقاً: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾﴾ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

قف بين يدي الكريم، العظيم، السميع، البصير، القوي، القادر، القاهر، معترفاً بذنوبك وتقصيرك وعجزك.

أقف بين يدي ربي خائفاً منكسراً، معترفاً أنني كثير الذنوب في سمعي، وفي بصري، وفي لساني، ما قمت بأداء الواجبات، ولا انتهيت عن المنهيات، قصرت في أعمالي، وأنسب النعم إلى نفسي، وإذا جاءني ابتلاءات شكوت الخالق إلى المخلوق.

فلا بد للمسلم أن يعرف الحق ويعمل به، ويعرف الباطل ويجتنبه، ويعرف الحق لذاته، ويعمل به، ويدعو الناس إليه، ويعرف الباطل ويحذره، ويحذر الناس منه.

فمن دخل جنة المعرفة أدخله الله جنة الآخرة، فجنة المعرفة في الدنيا هي معرفة الله، ومعرفة دينه وشرعه، ومعرفة وعده ووعدته؛ والعمل بموجب ذلك، حتى أقف ببابه، ولا أقف بباب أحد سواه، فإذا عرفت العظيم عظيمته، وعظمت أوامره، وعظمت كتابه، فنلت ثوابه العظيم جل جلاله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثُونَكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

الله سبحانه أراد منا أن نعرف أسماءه وصفاته، لكي نعبده بكمال الحب والتعظيم والذل له.

قال النبي ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

التعرف على أسماء الله وصفاته من أعظم العبادات، وهو أصل العبادات بالتعرف على ذلك يمتلئ القلب بالإيمان، وملء القلب بالإيمان عبادة، وتقوى الله عبادة، والتوكل على الله عبادة، ومحبة الله عبادة، لكن لا بد من عمل القلب، وعمل الجوارح معاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨].

هذا وعد من الله ﷻ، أن من آمن وعمل صالحاً فله الجنة، بل أعلى الجنة؛ جنات الفردوس التي سقفها عرش الرحمن، فالله لا يرضى لعبده المؤمن أن يكون أدنى بل

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٩٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٧٧).

يريده الأعلى، والله هو العلي الأعلى، الرحمن الذي على العرش استوى، وجنة المؤمن سقفا عرش الرحمن.

أكرم مخلوق تحت العرش هو هذا المؤمن الذي آمن وعمل صالحاً؛ لأنه اتصف بصفات الكريم، بصفات الرحمن الرحيم، بصفة العفو، بصفة الإحسان، بصفة الرزاق، فهو سبحانه الكريم الرحيم الحليم الذي يتودد إلى عباده بأنواع كرمه؛ ليؤمنوا به، وينالوا منه أعلي الكرامات، وينادي عبده من البشر فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

هو الكريم الذي يرزق المطيع والعاصي، إن خالفت أمر الله فلم تؤمن، لم تصل، لم تطع الله؛ فالله إن قصر في أداء فريضته لن يمنع عنك الرزق، وتبقى في هذه الحياة، ويوم القيامة تنال الجزاء، لكن عطاء الربوبية مستمر من الله، وعام لجميع الخلق المؤمن والكافر، الهواء للجميع، الماء للجميع، الطعام للجميع، فهو جل جلاله رحيم بعبده ولو كفر به، فهو يوالي نعمه لعلها تذكره به فيؤمن بالله الذي له الأسماء الحسنى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِمَّتُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

فكم عم الكريم بكرمه وإحسانه من آمن به وكفر به، ومن أطاعه ومن عصاه، فهل الكريم منع من كفر به وعصاه نواله وإنعامه؟ لا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمد: ١٢].

هو سبحانه الحليم، وحلمه وسع كل شيء، ورحمته وسعت كل شيء، وعلمه وسع كل شيء، وورقه وسع كل شيء، فسبحانه ما أعظمه وما أكرمه! ﴿قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ

أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ  
الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ [الزمر / ٥٣].

فهو يغفر جميع الذنوب إلا الشرك لمن مات عليه؛ لأن الشرك أكبر جريمة، وأكبر جناية،  
وفروعه هذه الذنوب والمعاصي: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ  
وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ ﴿٤٨﴾ [النساء: ٤٨].

فمن أكرم الناس؟، أكرم الناس هم المؤمنون، وأكرم المؤمنين هم الأنبياء والرسل الذين  
عرفوا الله، وعبدوه بموجب هذه المعرفة، وأكرم الخلق كلهم سيد الأولين والآخرين،  
الذي كان أحسن الناس خلقًا وخلقًا، وكان خلقه القرآن: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ [القلم / ٤].

النبي ﷺ كان أجود الناس، وأكرم الناس، وأعلم الناس، وأعبد الناس، وأخشى الناس،  
وأتقى الناس لربه ﷻ، وأشد الناس حياءً من ربه، وأحسنهم تواضعاً: ﴿لَقَدْ  
جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ  
بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨].

ونهى عن إطرائه، ولما سُئل عن الكريم؛ تواضع وقال: «الكَرِيمُ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ  
ابْنِ الْكَرِيمِ: يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.  
فيوسف هو النبي الجميل، جميل بطاعته، وصدقه، وإخلاصه لربه، وحسنه وجماله،  
قالت فيه النساء: ﴿فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ  
كَرِيمٌ﴾ ﴿٣١﴾ [يوسف / ٣١].

فجميع الملائكة كرماء، بالطاعة، وبالنوع، وبالعبادة، وبالتسبيح، والتكبير، والتعظيم  
لربهم ﷻ، ومع ذلك يقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، وما أطعناك حق  
طاعتك، وما ذكرناك حق ذكرك، فيوسف ﷺ لما أخلص لله؛ فأخلصه الله من كل ما  
سوى الله، لما أخلص لله ﷻ في عبادته، وتوحيده، وإيمانه، وتقواه؛ أخلصه الله أوخلصه  
الله من كل ما سوى الله: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا  
الْمُخْلِصِينَ﴾ ﴿٢٤﴾ [يوسف / ٢٤].

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٦٨٨).



فمن أخلص لله في عبادته؛ أخلصه الله أو خلصه الله من كل ما سواه، فلا يشتغل بالنعمة عن المنعم، ولا بالدنيا عن الآخرة، ولا بالأموال والأشياء عن الإيمان والأعمال الصالحة: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

والكرم صفة، والكريم ليس ضد البخيل، الكريم ضد اللئيم، والعطاء ضد البخل، والكريم من البشر يشبه الربيع الذي فيه الثمرات التي يحبها الناس، والربيع يحبها الناس، وكذلك الكريم من البشر يحبها الناس؛ لأنه يعطيهم مما أعطاه الله، من مال، أو علم، أو منافع، والربيع تحب أن تراه في كل وقت، وكذلك الكريم من البشر تحب أن تجلس معه في كل وقت؛ لتستفيد من ماله، ومن علمه، من جاهه، من خيره، وتكره أن تفارقه؛ لأنك في جلوسك معه ترى الجميل، وترى الكريم الذي تأخذ منه الأشياء الجميلة، والمنافع والمكارم، فتحب أن تراه في كل وقت، وتكره أن تفارقه كالربيع.

وإذا غبت عنه اشتقت إليه؛ لما ترى من أنواع إكرامه وإحسانه إليك، فهذا الكريم من البشر، هذا هو الربيع بأزهاره، وثماره، وجماله، وهذا الإنسان الكريم بهاله، بعلمه، بخُلُقِه، لا تحب أن تفارقه، وتشتاق إليه إذا غبت عنه، فكيف بالكريم ﷺ؟! لو رأيته لرأيت أحسن الناس وجهًا، وجهه كالقمر وكالشمس في الإنارة، فكيف إذا من الله ﷻ عليك بتلاوة كتابه الكريم؟ ﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩].

القرآن كله أخبار صادقة، وأحكام عادلة، فكيف إذا رأيت الكريم، وعبدت الكريم الذي هو الكريم حقًا، وله الكرم المطلق، الذي أنزل كتبه الكريمة، وأرسل رسله الكرام، وخلق الملائكة الكرام؟ كل ذلك إكرامًا لعباده: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات: ١٧].  
فما أعظم حرمان من حرم نفسه من عطاء الكريم: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ رَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: ٦-٨].

أغرك حلمه؟ أم غرتك نعمه؟ الله ﷻ دعاك إلى هذه الدنيا، وأمرك بالعمل، ونحن قادمون إليه بما عملنا من الشيء الجميل، أو الشيء القبيح: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية/ ٢٥-٢٦].

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٦-٨].

خلق العباد لرحمته، وإكرامه، وإنعامه، ولكن الناس أنفسهم يظلمون، فيشركون بالله، ويعصون الله، ويشتغلون بالنعمة عن المنعم، ويزداد طغيانهم، كلما أنعم الله عليهم ليتوبوا ويذكروا المنعم هم يزدون في الطغيان، فمن هداه الله فهو المهتدي، ومن أضله فهو الضال، فكن مع الكريم لتنجو: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر/ ١-٣].

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا اللَّهُ عَلِيمٌ خَيْرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣].

فالؤمن يعلو على غيره من الكفار والحيوانات بإيانه وتقواه، وأخلاقه الكريمة.

فالإنسان إن لم يكن على الصراط المستقيم؛ فلا بد أن ينزل إلى أسفل سافلين: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ [التين: ٤-٨].

فإذا كان الدين أظهر شيء، والخالق جل جلاله أبين شيء، ونحن لم نعرفه، ولم نتعامل معه، ولم نعمل بدينه، ولم نكن عبيده، فكيف نكون؟ ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ ءَايَتُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي ﴿١٢٦﴾﴾ [طه/ ١٢٤-١٢٦].

والمنازل يوم القيامة حسب الأعمال: ﴿الْمَلَأْتُ يَوْمَئِذٍ بَنِينَ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا فَاُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾ [الحج: ٥٦-٥٧].

فأعظم النعمة الهداية، أعظم نعمة أن تعرف الله، أول علم يجب أن نتعلمه هو معرفة الله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَوْنِكُمْ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩].

فالمؤمن حقاً، والكريم حقاً، من أكرم نفسه بحملها على طاعة الله ورسوله، وصرها عن معصية الله ورسوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس/ ٧-١٠].

وقال سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى/ ١٤-١٥].

هذه أخبار صادقة، لا بد أن نأخذها باليقين، نسمعها باليقين، ونعمل بها باليقين: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب/ ٧١].

فحمل النفس على طاعة الله ﷻ، وهذا هو الكريم الذي عرف الله وأطاعه واتقاه: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَفْقَنُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات/ ١٣].

المؤمن كريم بأقواله، بأعماله، بأخلاقه، كريم على نفسه بالإيمان، كريم على غيره بالدعوة والإحسان، هذا هو الكريم الذي تخرج منه المنافع.

أما اللئيم فلا يخرج منه شيء حسن ونافع، فهو مبغوض من الرب، ومبغوض من الخلق، ولا أقبح من الكفر، ولا أنجس من الشرك، ولا أصر من هاتين النقيصتين الشرك والكفر، وكذا الكبر والنفاق، وغير ذلك من شعب الكفر والشرك: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤].

والله سبحانه كريم، ما أوجدنا إلا ليرحمنا ويكرمنا ويسعدنا في الدنيا والآخرة، ومن ظن غير ذلك فبجهله قد ظن ظن السوء، وظن السوء مذموم: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران/ ١٥٤].

الله هو الرحمن الرحيم ما خلق العباد إلا ليرحمهم، ويعافهم، ويرزقهم، ويكرمهم، ويسعدهم في الدنيا والآخرة، خلق الناس لرحمته فقط، ولكن الناس يخرجون من الطاعة إلى المعصية، ومن التوحيد إلى الشرك: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [يونس/ ٤٤].

عطاء الربوبية ينعم به الكافر والمشرك، والذي يصنع الخمر، ويقترف الجرائم والزنا

والفساد، فكم يكون حجم نعمه على من أطاعه في الدنيا والآخرة؟! ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥].

الله ما خلق الخلق أبداً إلا ليكرمهم، ويرحمهم، ويسعدهم بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فإذا خالفوه فالله من كرمه أن يتليهم ليعافهم، ويردهم إليه: ﴿وَبَلَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الأعراف: ١٦٨].

فالله الرحمن الرحيم وسعت رحمته كل شيء، والأصل الرحمة، ورحمة الخلق جميعاً: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر: ٧].

هذه نصوص القرآن لا بد أن نأخذها باليقين، ونتعبد لله بها باليقين؛ لننال الثواب من الله عليها حقاً، كما أخبر الله ﷻ في كتابه، وكما أخبر رسوله ﷺ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ [النساء: ١٧٤-١٧٥].

علينا أن نكرم أنفسنا بطاعة الله ورسوله، ونكرم أهلنا وأولادنا بما يرضاه الله الكريم الذي خلقهم؛ فنربي أولادنا على القرآن والسنة، وعلى إكرام أزواجهم وأولادهم، ونربي بناتنا على إكرام أزواجهن؛ لينعم الجميع بكرامات الكريم، ويشيع الإكرام والكرم في بيوت الناس: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦١﴾﴾ [الأعراف/ ٩٦].

والوقت جندي من جنود الله، فمن آمن بالله؛ وفقه الله لطاعته، ومن أحب الله ملأ وقته بما يحبه الله ويرضاه، ووقفه للعمل الصالح الذي يرضيه جل جلاله.

والله الكريم سبحانه يعطي بركة الوقت لمن يحب، وعمل بما يجب، وينزع بركة الوقت ممن لا يحب، ويعمل بما لا يجب: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة/ ٧١].

يملاً وقت المؤمن والمؤمنة بما يحبه الله ويرضاه من الأعمال القلبية، والأعمال البدنية، الأعمال الخاصة بالنفس، والأعمال المتعدية للغير من الدعوة، والإحسان إلى الخلق: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنْتَ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر/٩].

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

ومن عرف الله ملاً وقته بهذه الخيرات والبركات: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ. وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

فإذا أطعت ربك الكريم؛ طوع لك الوقت، وملاه بالخيرات، وبارك لك فيه، وأجزل لك الأجر والثوبة عليه، وإذا عصيت ربك؛ نزع الله البركة من وقتك: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر/١٧-١٨].

وقال سبحانه: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٦٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشَرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٦٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٦٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْنَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي ﴿١٦٦﴾﴾ [طه/١٦٣-١٦٦].

والله ﷻ من فضله وكرمه وإحسانه إلى عباده أن عرفهم بأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه، في كونه المنظور، وفي كتابه المسطور؛ ليعبدوا الله بموجب هذه الأسماء والصفات: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

والله ﷻ غني عن العباد، وعن عبادتهم، وهو الكريم بكل نعمة، فهو سبحانه كريم، وكل مخلوقاته كريمة، فالتراب كريم، إذا وضع عليه الماء أنبت من كل زوج بهيج، والماء يسقي الأنعام والحيوانات والإنس، والتراب كريم بالخصوبة: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾﴾ [الشعراء: ٧-٨].

والأرض كريمة تنبت مليارات النباتات في كل ثانية، في كل مكان، وفي كل زمان، الجهاد كريم، والتراب كريم بالخصوبة والمعادن، والنبات كريم بكثرة الثمرات، والحيوان كريم بالتكاثر والنتاج، والمؤمن كريم بالتقوى، والأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة؛ فهذه المخلوقات كلها كريمة: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان: ١١].

فخلقه كله كريم، كله يثمر وينتج، وفيه منافع كثيرة: ﴿ وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].  
اتصفوا بصفة الهجرة والنصرة، وضحوا بأوقاتهم وأموالهم وأنفسهم، وبذلوا ما يجوبون من الأموال والأشياء؛ حتى قام دين الله ﷻ.

هذا هو الكريم الذي يتقي الله فيفعل الأوامر، ويجتنب النواهي، ويمشي حيث احتاج الدين يميناً وشمالاً وشرقاً وغرباً، كالشمس التي تنور العالم. والمؤمن غرٌّ كريم؛ لأنه صادق صريح في قلبه، حسن الظن بربه، وحسن الظن بالخلق، فأصل سلامة الصدور لقلوب الناس، أما المنافق فهو خبٌّ لئيم، يكذب ويخادع ويمكر بالعباد.

فهو سبحانه الكريم الذي تكرم بكل شيء، السموات والأرض من كرمه، الشمس والقمر والنجوم من كرمه، الماء والهواء والنور من كرمه، الطعام والشراب واللباس من كرمه، الطاعات والحسنات من كرمه، العافية والصحة من كرمه، الدين كله من كرمه وإحسانه، الجنة دار كرامته، والنار دار عقوبته، والأمن والعافية من كرمه جل جلاله؛ لأنه الكريم، فكل كرم في العالم من كرمه: ﴿ وَمَا يَكُومُ مِّنْ نَّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرًا إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالْيَهُ تَجْرُؤُونَ ﴾ [النحل: ٥٣].

فكل كرم يعيش فيه الخلق فمن كرمه جل جلاله؛ لأنه الكريم الذي وهب الكرم لكل كريم يتكرم، هذا يتكرم بهاله، وهذا بعلمه، وهذا بقوته «يَا عِبَادِي، كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ عَنْهُ لِكُلِّ كَرِيمٍ يَكُومُ مِّنْ نَّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرًا إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالْيَهُ تَجْرُؤُونَ» [النحل: ٥٣].

هَدَيْتُهُ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ» أخرجه مسلم (١).

فهو جل جلاله الكريم الذي أكرم خلقه بأنواع الكرامات لأبدانهم وقلوبهم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧٠) ﴿[الإسراء: ٧٠].

دفع البلاء كرم منه، تكفير السيئات كرم منه، مغفرة الذنوب كرم منه، كل ذلك من كرمه جل جلاله، فهو عظيم وكريم، يعطي على الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، إلى الأجور الكبيرة التي ليس لها حد، فمن عمل مع الله بغير حساب؛ أخذ أجره بغير حساب: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١٠) ﴿[الزمر/ ١٠].

ولكن لا بد أن يتقيد بقيود الشريعة، فالوضوء له حدود، والصلاة لها حدود، والزكاة لها حدود، والصيام له حدود... وهكذا: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفُسُكُمْ خَيْرٌ لِّأَنْفُسِكُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

فاللؤم من يكثر من النوافل، يتبع الفرائض بالنوافل؛ فيقوم بالآداب أولاً، وبالسنن ثانياً، وبالفرائض، ويكون عمله خالصاً لوجه الله ﷻ، ومن ثم يحصل له اليقين.

وزبدة اليقين حسن الظن بالكريم جل جلاله، أنه يعطي عطاء ليس له حد، ويغفر الذنوب جميعاً جل جلاله، إلا الشرك لمن مات عليه؛ لأنه كريم: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١١٠) ﴿[النساء/ ١١٠].

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٦١) ﴿[البقرة: ٢٦١].

مضاعفة الحسنات من كرمه: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا﴾ [الأنعام/ ١٦٠].

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢٤٥) ﴿[البقرة: ٢٤٥].

والله ﷻ كريم؛ والكريم هو الذي يعطي قبل أن يسأل، والسخي هو الذي يعطي بعد السؤال، الكرم أعلى من السخاء، فالكرم مجمع الخيرات والبركات، واللؤم هو مجمع

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

الشرور والنقائص.

والله سبحانه هو الكريم الذي وهب الإنسان الفقير ما يتكرم به، فهو الذي أعطانا لنعطي.

هو سبحانه الكريم بذاته، وأسمائه، وصفاته وأفعاله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨].

الله عرفنا بأنه الكريم؛ حتى نقف بباب الكريم، ولا نقف بباب اللئيم، ونغلق باب المخلوق الناقص، العاجز، الفقير، المحتاج، فمن شرف العبد أن يعبد الكريم، ويجب الكريم، ويسأل الكريم، ويتصف بالكرم الذي يجبه الله: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل / ٤٠].

والله سبحانه هو خالق كل شيء، خلق الجن والإنس لعبادته وحده لا شريك له، وهذا من كرمه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥٦] ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ﴾ [٥٧] ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [٥٨] [الذاريات: ٥٦-٥٨].

وهذه هي العبادة الخاصة الاختيارية، أما العبادة العامة فكل الخلائق عبيده، خاضعون لأمره: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [١٣] [مريم / ٩٣]. ولكن ليس كلهم عباده إلا من استجاب له: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾ [٦٣] ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [٦٤] [الفرقان: ٦٣-٦٤].

فعباد الله هم الذين قبلوا أوامره الشرعية، فقبلوا الدين، وآمنوا بالله وأطاعوه؛ فيجب على جميع الخلق كما تنعموا بعباء الربوبية من الخلق والزرق والأقوات؛ أن يأخذوا عطاء الألوهية؛ ليكسبوا الدنيا والآخرة، فيمثلوا أوامره ويطيعوه في الدنيا؛ ليسعدوا في الدنيا والآخرة ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [٧١] [الأحزاب / ٧١].

فالكريم سبحانه يجب أن يسعد هذا الإنسان في الدنيا والآخرة؛ ولهذا من عليه بعباء الربوبية، وبعطاء الألوهية الذي هو الدين: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [٦٤] ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ



الَّذِينَ أَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٤-٦٥].

وأحوال الناس في العبادة تختلف بحسب ما أعطاهم الكريم من فضله وإحسانه، فالله ﷻ أعطانا جميعاً نعماً لا تُعد ولا تُحصى، والمجموع العام لكل إنسان من النعم المادية يساوي الآخر؛ فعطاء الربوبية للجميع، فهذا عنده مال، وهذا فيه عافية، وهذا رزق أولاداً، فالمجموع العام من عطاء الربوبية الله ﷻ أعطى الخلق ما يصلحهم على حد سواء.

فأحوال المسلمين في العبادة فتختلف بحسب ما أعطاهم الكريم من فضله وإحسانه؛ فالله أعطانا العطاءات الكبيرة؛ حتى نعبد الله بموجب هذه العطاءات.

فإذا كنت عالماً فعبادتك بعد أداء الفرائض، تعليم الناس دينهم، وإن كنت غنياً فعبادتك الأولى بعد أداء الفرائض، الإنفاق في سبيل الله، فيما يحبه الله ويرضاه؛ من مواساة الفقراء والمحتاجين، والبذل لإعلاء كلمة الله، والإحسان إلى الناس: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل

عمران: ١٣٣-١٣٤].

وإن كنت زوجاً فعبادتك الأولى حُسن رعاية حقوق الزوجة، وحسن تربية الأولاد.

وإن كنت قوياً فعبادتك الأولى إحقاق الحق، وإنصاف المظلوم.

وإن كنت طبيباً فعبادتك الأولى علاج الناس، والرفق بهم، وتهيئة أجسامهم لفعل الطاعات، فالطبيب إذا نوى هذه النية فالكريم سبحانه يعطيه على قدر نيته، وهكذا في جميع العطاءات التي أعطهاها الله ﷻ ووزعها على عباده، فهذه تسمى عبادة الهوية، الله أعطاني مالاً، أعطاني قوةً، أعطاني علماً، كنت رجلاً، كنت امرأةً، كنت ابناً، وهكذا، هذه تسمى عبادة الهوية والنعمة التي أكرمك الله بها.

وهناك عبادة أخرى اسمها عبادة الظرف والحال، إذا جاء عندك ضيف، فعبادتك الأولى بعد أداء الفرائض إكرام هذا الضيف، والعناية به، فالضيف إذا دخل دخل برزقه، ورحل بذنوب أهل البيت؛ فتكرم الضيف طاعة لله ورسوله.

قال النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.  
 وإن كنت ابناً أو بنتاً وعندك أب مريض، فعبادتك الأولى رعايته والقيام عليه.  
 وإن كنت عارفاً بالبلاد والطرق، ورأيت ضالاً؛ فعبادتك الأولى هدايته إلى ما يهدف  
 الوصول إليه، فهذه تسمى عبادة الظرف والحال الذي يحل بالإنسان.  
 وهكذا إذا كانت هناك جماعة؛ فعبادتنا الأولى إطعام الفقراء والمساكين.  
 وإذا انتشرت البدع فعبادتنا الأولى أن نقيم السنة لتزول البدعة.

وهناك عبادة أخرى تسمى عبادة الوقت، فلكل وقت عبادة؛ فصيام رمضان له وقت،  
 والفرائض لها أوقات، ووقت السحر للتهجد وتلاوة القرآن، والنهار وقت الكسب  
 والعمل، والدعوة، وللأكل والنوم والمعايشة أوقات معلومة نتعبد لله بها: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ  
 كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ  
 تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

وذكر الله له كل الأوقات: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [٤١] وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً  
 وَأَصِيلًا [٤٢] [الأحزاب: ٤١-٤٢].

والدعوة إلى الله لها كل الأوقات: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ  
 اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٠٨] [يوسف: ١٠٨].

• فالؤمن يتعرف على هذه الأنواع من العبادات ويقوم بها:  
 الأولى: عبادة الهوية؛ إذا أعطاك الله من النعمة فالله يريدك أن تستعمل هذه النعمة في نفع  
 نفسك، ونفع الناس.

الثانية: عبادة الظرف والحال؛ حينما يحل أي أمر بالمسلمين، فعبادة الظرف أن تقوم على  
 المرضى، وتكرم الضيوف، وتهتم بالديك، وهكذا.

الثالثة: عبادة الوقت؛ فالله ﷻ قسم الأعمال على الأوقات، فالأوقات إناء للأعمال،  
 المكان إناء للأشياء، والأرض مكان للجبال والبحار والنبات وغيرها، والزمان مكان  
 للأعمال، فلكل وقت عمل، يجب أن نتعرف على هذا العمل وكيف نقوم به في وقته:

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦١٣٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٤٧).

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

• وهذه الأصول الكبرى في الدين:

أولاً: أن نتعلم كل يوم، ليزيد إيماننا وتوحيدنا، وتأتي طاعاتنا وعباداتنا على السنة، ونعبد الله بكمال الحب والتعظيم والذل لله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

ثانياً: أن نتعبد لله بموجب هذه المعرفة: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَسَجَدُوا وَعَبَدُوا رَبِّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: ٧٧].

ثالثاً: أن نتخلق بالأخلاق الإسلامية التي يحبها الله، فالله يحب أسماءه وصفاته، ويجب من تخلق بها من عباده: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فنتعلم الدين؛ حتى نعبد الله على بصيرة، ونعلم الدين؛ حتى ينتشر العلم في العالم؛ فيعبد الله بما شرع رسول الله ﷺ: ﴿كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩].

ثم هذا الخير العظيم نقله للناس عن طريق الدعوة إلى الله، فيدخل أهل المشرق والمغرب في الدين بسبب الدعوة إلى الله. فالله كريم، والرسول كريم، والمؤمن يجب أن يكون كريماً، ينفع نفسه بالاستقامة وطاعة ربه، وينفع غيره بالدعوة والنصح، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإحسان إلى الخلق.

لأن للتعبد بين يدي الله وقتاً، ولكسب المعاش وقتاً، وللإحسان إلى الخلق وقت.

فالله ﷻ كريم، ومن كرمه جل جلاله أن أعطانا العقول التي تعقل، والأذان التي تسمع، والأبصار التي تبصر: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل: ٧٨].

فسبحان الكريم الذي أكرم الإنسان الذي حمل الأمانة، بأحسن الكرامات، فسخر له ما في السموات وما في الأرض، وأرسل إليه الرسل، وأنزل عليه الكتب، وزوده بالعقل،

وضاعف له الأجر، واستخلفه في الأرض، وفضله على غيره من خلقه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ﴿٧٠﴾ [الإسراء: / ٧٠].

وهذا إكرام من الله الكريم له؛ لأنه قبل حمل الأمانة، فالإنسان هو المخلوق الأول رتبة؛ لأنه قبل حمل الأمانة: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ ﴿٧٢﴾ [الأحزاب: / ٧٢].

فهذا الإنسان الذي حمل الأمانة؛ الله ﷻ سخر له ما في السموات وما في الأرض: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ ﴿٢٠﴾ [لقمان: ٢٠].

هذا التكريم، لتعرفوا الخالق من المخلوق، والرازق من المرزوق، وتعرفوا الرب الكريم الرحيم فتعبدون الله ﷻ بموجب هذه المعرفة: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

والإنسان هو المخلوق المكرم من ربه بأنواع الكرامات. فقد خلقه الله بيده، وخلق الله ﷻ في أحسن تقويم، وأمده بالسمع والبصر والعقل، وأمده بنعمة البيان: النطق، والإشارة، والكتابة، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض.

وهو المخلوق المكلف الذي خير بين أن يؤمن أو يكفر، أو يطيع أو يعصي.

هو المخلوق المكلف بالعبادة الاختيارية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ [الذاريات: / ٥٦].

والعبادة هي طاعة المعبود فيما أمر به، وفيما نهى عنه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرْشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

فاعبدوا ربكم الذي ترون مظاهر كرمه في الكون، ولا تتوجهوا إلى غيره في سؤال حاجاتكم.

فسبحان الكريم الأكرم، الذي يعطي من سأل ومن لم يسأل، الكريم الذي لا ينقطع عطاؤه أبداً، ولا تنفذ خزائنه أبداً، ولا ينقص ملكه أبداً، الكريم الذي يعطي ما شاء لمن شاء من الخلائق، بأي قدر شاء، في أي وقت شاء، في أي مكان شاء: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات/ ٥٨).

هو رزاق وقوي، يوصل النعمة والأرزاق إلى أهلها في البر والجو والبحر، في العالم العلوي، والعالم السفلي.

هو سبحانه الكريم الذي يجازي المؤمنين بفضله، ويجازي الكافرين بعدله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء/ ٤٠). ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الأنعام: ١٦٠).

والله سبحانه خلق الإنسان وعلمه ما لم يكن يعلم، فلا يمكن للإنسان أن يعبد الله إلا إذا عرف الله، فمعرفة المعبود قبل عبادته، لا بد أن نعرف من نطيع، من نعبد؛ قبل أن نتعرف على أنواع العبادة، وكيف نقوم بهذه العبادة: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثُونَكُمْ﴾ (محمد: ١٩).

فالله سبحانه خلق الإنسان وعلمه ما لم يكن يعلم، وأمره أن يتعلم عن طريق القراءة علمه أن يتكلم بلسانه، ويكتب بيده، ويشير بيده أو برأسه، هذه أنواع البيان.

فالله سبحانه خلق الإنسان، وعلمه ما لم يكن يعلم؛ لأنه العليم الذي وهب العلم لكل عالم، وعلمه ما لم يكن يعلم، وأمره أن يتعلم عن طريق القراءة؛ والقراءة أوسع أبواب العلم، قراءة في القرآن المسطور بالقراءة والتدبر، وقراءة في الكون المنظور الذي هو هذا الملك والملكوت العظيم الذي يولد الإيمان في القلب: ﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَن لَّفَظٍ ٦ أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْفَىٰ ٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ٨﴾ (العلق / ١-٨).

## • والقراءة أربعة أنواع:

الأول: قراءة البحث والإيمان، اقرأ أيها الإنسان من أجل أن تؤمن بربك العظيم، وتعرف نفسك، وتعرف ربك بأسمائه وصفاته، اقرأ كتاب ربك: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ

﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾ [العلق: ١-٢].

خلق الله كل شيء، خلق العالم العلوي والعالم السفلي، وعالم الغيب، وعالم الشهادة، وعالم الدنيا وعالم الآخرة: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾﴾ [العلق / ١].

وأول ما تقرأ اقرأ نفسك: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾ [العلق / ٢].

كان الإنسان نطفة، ثم علقته، ثم مضغته، ثم صار عالماً، و صار كبيراً، و صار قوياً و صار كريماً، أول ما يقرأ الإنسان نفسه، فيعرف أنه ضعيف، فقير، عاجز، محتاج، جاهل:

هذه قراءة البحث والإيمان، اقرأ عن ربك العظيم وعن أسمائه وصفاته وأفعاله؛ لتعرف الملك حقاً، الكبير حقاً، العظيم حقاً، الكريم حقاً، العفو حقاً، الرحمن حقاً: ﴿بَدِيعُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَى يَكُونُ لَهُ وُلْدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

وَكَيْلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾

[الأنعام: ١٠١-١٠٣].

هذه أفعاله الكبرى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَىٰ

لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦-٨].

الثانية: قراءة الشكر والعرفان، اقرأ في هذا الكون، وانظر للنعم، وانظر للأرزاق من خلقها؟ ومن يسر وصولها إليك؟: ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٢﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾﴾ [العلق / ٤].

اقرأ لترى أن ربك الكريم أنعم عليك بنعمة الإيجاد، وأنعم عليك بنعمة الإمداد بالأقوات، وأنعم عليك بنعمة الهدى والرشاد، ربك الأكرم تكرم عليك بكل نعمة،

خلقتك في أحسن تقويم، وأمدك بالأقوات المختلفة، وأمدك بزد القلوب وهو الإيمان والتوحيد، وقبلك أن تكون عبداً له، واقفاً بين يديه، تسأله الحاجات، وتستغفر من

الذنوب، وتشكر النعم التي لا تُعد ولا تُحصى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ

وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنُهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴿[لقمان: ٢٠].

الثالثة: قراءة التسليم والإذعان، فما كل ما يقرأه الإنسان يفهمه، فلا يفهمك ما لم تفهم ولا يعلمك ما لا تعلم إلا الله: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ ﴿[النساء: ١١٣].

فالإنسان جاهل لا يعرف إلا القليل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿[الإسراء: ٨٥].

ولهذا أمرنا بالازدياد من طلب العلم: ﴿فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ﴿[طه: ١١٤].

فقرأ قراءة التسليم والإذعان؛ لنسكت ونستسلم، ونقبل ما جاء من الوحي من الكلام عن الله وأسمائه وصفاته، والكلام عن أمور الغيب، عن الملائكة، عن الجنة، عن النار، عما يجري في عرصات القيامة، أكل ما لا أعلمه إلى علام الغيوب، فألتقى الوحي من السماء، فما لم أعلم يعلمني إياه العليم، العليم هو الذي يعلم الغيب والشهادة، ويعلمني ما لم أكن أعلم؛ فكل شيء عجز العقل عن إدراكه علمنا الله به من أمور الغيب، فأخبرنا عما يجري في عرصات القيامة، وعن الجنة، وعن النار، وعن الملائكة، وعن كل شيء من الأمور الغيبية: ﴿ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ﴿[السجدة: ٦-٧].

فقراءة البحث والإيمان؛ ليزيد الإيمان، وقراءة الشكر والعرفان؛ لأعرف المنعم فأشكره وأعبده وحده، وقراءة بالتسليم والإذعان؛ وهو أن ما أعجز عنه آخذه عن طريق الوحي.

هذه القراءات كلها محمودة، وكلها مطلوبة شرعاً، وكلها تملأ القلب بالإيمان: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴿[العلق: ١-٥].

الرابعة: قراءة العدوان والطغيان، ولذلك جاء بعدها: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِنْسَافٍ ﴿٦﴾ أَنْ رآهُ اسْتَعْتَصَبَ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾﴾ ﴿[العلق: ٦-٨].

فكل قراءة لما يفسد البشرية، ويدمر أخلاقها، ويدمر الحياة والأحياء، وذلك بصنع القنابل الذرية والفسفورية، والغازات السامة، وإشاعة الفحشاء، والعري، والفساد، وأكل أموال الناس بالباطل، كل ذلك من الظلم والعدوان والطغيان، كل من قرأه، وعمل به، ونفذه، فهذا كله محرم؛ لأنه من العدوان والطغيان، بالعلم الذي يهلك الحرث والنسل، وهذه قراءة الكفار الذين يأكل القوي منهم الضعيف، ويستعبد كبارهم صغارهم بالقوة، وهذا ما هو حاصل الآن: ﴿يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ﴿٧﴾﴾ [الروم: ٧].

فترك هذه القراءة؛ قراءة العدوان والطغيان، فلا نتعلم كيف نطغى، وكيف نفسد في الأرض، بل نتعلم ونبحث في كتاب ربنا وسنة نبيه ﷺ، ونعرف النعم لنشكر المنعم، ونقرُّ أننا لا نعرف كل شيء، فما لا نعلمه نسأل الذي خلقنا أن يعلمنا ويكشف لنا عنه. هو جل جلاله عالم الغيب والشهادة، كشف الماضي القديم الذي ما عشناه، فأخبرنا عن أحوال الأنبياء والرسل مع أمهم، وكشف لنا عن المستقبل وما سيجري فيه، وما بعد الموت، وما يجري بعد الموت: ﴿الْمَلِكُ يُومِدُ لِلَّهِ يُحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾ [الحج: ٥٦-٥٧].

فسبحان ربنا الكريم الذي عم بعطائه وإحسانه جميع خلقه، وأمهل بكرمه المكذب له، ووالى عليه نعمه، ولم يقطع عنه فضله؛ لعله يتوب إليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالْكَاسِ لَرُءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٣].

هو سبحانه الكريم الأكرم الحق الجامع للمحاسن والمحامد، الذي له قدر عظيم وسلطان كبير، كثير الخير والعطاء، والمنعم بكل نعمة، الكريم الذي لا يرد من سأله، ولا يخيب من رجاه، الكريم الذي يعطي من خزائنه لما لا يحصى من الخلائق: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن: ٢٩].

هو جل جلاله الكريم الذي لا أكرم منه، حسن الأسماء، علي الصفات، محمود الفعال، كريم الهبات، جزيل العطايا: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: ٨]. فسبحان ربنا الكريم، الذي يعفو عن المذنبين، ويتوب على المخطئين، ويجسن إلى



المحسنين، ويكرم المطيعين، ويغفر للمسيئين، ويعفو عن الظالمين: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٣﴾ [يونس: ٣].

فسبحان الكريم الرحيم الذي يضاعف الحسنات؛ فلا يرضى بالعطاء القليل، ويغفر السيئات؛ لأن المغفرة أحب إليه من الانتقام؛ لعظمة كرمه ورحمته بعباده، ويدفع البليات، ويرفع الدرجات: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

له الأسماء الحسنى، وله الصفات العلى، الكريم الذي استوى على عرشه بصفة الرحمة: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿٥﴾ [طه/ ٥].

هو عزيز كريم ينفس كل كرب، ويزيل كل هم، ويشفي كل مريض، ويجب كل سائل، ويهلك كل عدو، ويرحم كل مخلوق، ويجود بكل خير، ويدفع كل شر: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ أَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

والله سبحانه هو الكريم الذي اصطفى رسله من عباده، وأكرم رسوله محمداً ﷺ بالوحي والنبوة، وعظيم الصفات، وعلو النسب، والمقام المحمود يوم القيامة، فهو ﷺ أكرم الرسل، وأتقاهم، وسيدهم، وأقربهم، وأثرهم عنده.

وأكرم هذه الأمة ببعثته ﷺ إليها: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٢٨﴾ [التوبة/ ١٢٨].

هو سبحانه الكريم الأكرم الذي وهب المؤمن الإيـان، فالإيـان من كرمه، والعمل الصالح من كرمه، والأخلاق الحسنة من كرمه؛ فالله خلق الإنسان وخلق صفاته، لكن الإنسان له حق الاختيار بين الصفات الحسنة، والصفات السيئة، بين الإيـان والكفر، بين الطاعات والمعاصي: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٠٤﴾ [يوسف: ١٠٤].

هو سبحانه الكريم الذي وهب المؤمن الإيـان، وحببه إليه، وزينه في قلبه، وكره إليه الكفر والمعاصي، وعمر قلبه بالإيـان؛ فأسرع في طاعة ربه بقلبه ولسانه وجوارحه: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَنْ كَنَّا اللَّهُ حَبَّ إِلَيْكُمْ الْإِيمَنَ وَزَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ﴾ ﴿٧﴾ [فصلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٨﴾ [الحجرات: ٧-٨].

يعلم من يشكر النعمة ممن لا يشكر النعمة، يعلم من هم أهل للكرامة، ومن هم أهل للإهانة، بعلمه السابق، وهو سبحانه الكريم الذي من على جميع المخلوقات كلها بنعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهداية، ونعمة الإسعاد.

هو سبحانه الذي أنعم علينا بنعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهداية للصراف المستقيم؛ فكل أحد ينعم بفضله، ويأخذ من خزائن كرمه، ويستطعم من موائد نعمه: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ [النحل / ٥٣].

ومن أعظم نيل أسباب كرمه تقواه جل جلاله، فالأكرم عنده سبحانه هو الأتقى من عباده، فاتق الله رحمك الله في السر والعلانية، والقول والعمل؛ تكن من المكرمين في الدنيا والآخرة: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ﴿١٣﴾ [الحجرات / ١٣].

فالله سبحانه كريم حلیم، حسن التجاوز عن خلقه، مع كثرة أذى الخلق له، وإسرافهم في معصيته، وكم أحسن إلى من كفر به وكذبه، وكذب رسله وكتبه، وظلم عباده؛ لأنه الكريم الرحمن الذي أمهل من عصاه، وأنعم عليه فلم يقطع عنه رزقه، ولا هواءه، ولا عافيته، هو الكريم الذي أمهل من عصاه وأنعم عليه؛ لعله يتوب ويرجع إليه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٧٣﴾ أفلأ يتوبون إلى الله ويستغفرونه، والله عفورٌ رحيمٌ ﴿٧٤﴾ [المائدة: ٧٣-٧٤].

من هذه المقالة العظيمة: ﴿أفلأ يتوبون إلى الله ويستغفرونه، والله عفورٌ رحيمٌ﴾ [المائدة / ٧٣-٧٤].

يرغبهم في التوبة بعد هذه المقالة العظيمة؛ لأنه كريم رحمن جل جلاله. وقال النبي ﷺ: «لَا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَىٰ أَدَىٰ يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ ﷻ، إِنَّهُ يُشْرِكُ بِهِ وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وأظهر من هذا كرمًا أن الكريم سبحانه ما عادى إبليس، ولعنه وطرده، وتبرأ منه إلا من أجل آدم ﷺ وذريته حين أبى السجود لآدم، واستكبر عليه، واحتقره؛ لأن إبليس يريد

(١) متفق عليه، أخرجه مسلم برقم (٢٨٠٤) واللفظ له، والبخاري برقم (٦٠٩٩).

هذا السجود أن يكون له؛ لأنه من العباد، فأبى السجود لآدم واستكبر، فالله عكس لعنه وطرده: ﴿قَالَ يَبْلِيسُ مَا مَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ [ص: ٧٥-٧٨].

ثم أعلم سبحانه آدم وزوجه وذريتهما بعداوته ليحذروه ويتخذوه عدواً بقوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخَذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر / ٦].

فجميع أوامر الملك جل جلاله كلها كريمة؛ لأنها تأتي بالحسنات والدرجات العلى، وتأتي بمغفرة السيئات، وتأتي بعبادة الحق، فكل خلقه كريم، وكل أوامره كريمة، فسبحان الكريم الرحيم اللطيف بعباده، الكريم الذي يتحبب إليهم بالنعم، ويبالغ في تحذيرهم من عدوهم حفظاً لهم، وهو عن ذلك كله غني، لا افتقار به لأحد، سوى فضل جوده، وعظيم كرمه، وجزيل إحسانه: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم / ٦٥].

في الرحمة؟ في القوة؟ في الرزق؟ في الملك والسلطان؟ في الدين والشرع؟ في الأسماء الحسنى والصفات العلى؟ ليس له سمي.

فسبحانه ما أغناه وما أكرمه وما أحلمه! ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَكِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [الحج / ٦٤].

هو سبحانه الجبار على الطغاة والظلمة، الجبار للمنكسرة قلوبهم بين يديه.

آلى الجبار على نفسه أن من اتبع الشيطان من الخلق ولم يتب، ليعادينه وليدخله معه في نار جهنم في دار لعنته وعذابه: ﴿قَالَ فِعْرَنُكَ لَأَعُوْبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص / ٨٢-٨٥].

ومن عادى الشيطان منهم، وتبرأ منه، وآمن بربه العظيم واتقاه رضي الله عنه، وأدخله دار كرامته: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

وسوف يجازي الله كل إنسان بحسب عمله: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾ [الحج / ٥٦-٥٧].

ومن نظر في الآيات الكونية، والآيات الشرعية؛ رأى أن سبل كرم ربنا ﷻ واسعة، وطرق إحسانه إلى خلقه لا حد لها أبداً، وخزائن جوده لا نهاية لها: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس / ٦٨].

هو سبحانه الذي يجزي على الحسنة بعشر أمثالها وأكثر، ويجزي على السيئة بمثلها: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وجعل الكريم سبحانه عقاب السيئة بمثلها، أو يغفرها، أو يمحوها، ويبدلها بحسنات، ثم يضاعفها، ويفرح بتوبة المذنبين، وكثرة السائلين؛ لكمال غناه وكرمه ورحمته: ﴿قُلْ يٰعِبَادِىَ الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰٓ اَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا اِنَّهٗ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيْمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر / ٥٣].

فسبحانه ما أعظم كرمه! وما أوسع رحمته! وما أحلمه على من عصاه! وكل شيء يأتي عليه العد والإحصاء من أعمالنا يمكن عده، إلا أسماء الله وصفاته، وكلماته، ومخلوقاته، وأرزاقه، ومقدراته؛ فلا تُعد ولا تُحصى أبداً. فله الحمد أبداً: ﴿فَلِلّٰهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمٰوٰتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

يمكن أن أعد أموالى، تجارتي، كل ما أملك، يمكن عده، لكن أسماء الله وصفاته وأفعاله وخزائنه ومخلوقاته لا يمكن عدها؛ لأن العظيم خلق هذه المخلوقات العظيمة لتسبح بحمده، وكلما خلق سبحانه شيئاً زاد ملكه، وزاد المسبحون له، وزاد الحامدون له، وزاد العابدون له: ﴿ذٰلِكُمْ اللّٰهُ رَبُّكُمْ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ خَلِقُ كُلَّ شَيْءٍ فَاَعْبُدُوْهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

والكرم هو فعل جميل لا لغرض، إنما أفعله تجملاً؛ لا حاجة فمن وهب المال لطلب نفع، أو دفع ضرر، أو خلاص من ذنب؛ فليس بكريم، والمؤمن كريم يعمل الأعمال الصالحة

ابتغاء مرضاة الله، لا لمدح ولا ثناء، ولا ذكر ولا مكافأة: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء/ ١١٤].

والكريم من الناس من صدرت عنه المحاسن الكبيرة ابتغاء مرضاة الله، كمن ينفق ماله في سبيل الله، وينفق أوقاته في طاعة الله، وينفق عمره في الدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلقه: ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات/ ١٣].

هو سبحانه الأكرم الذي كل خير منه، الأكرم الذي صدرت عنه كل نعمة؛ فهو أكرم الأكرمين، وخير الرازقين، وخير الفاتحين، وأرحم الراحمين.

هو الكريم الذي خلقك في أحسن تقويم، وأمدك بنعمه التي لا تُعد ولا تُحصى، وأكرمك بالسمع والبصر والعقل، وهداك للإيمان به، وخلق لك من جنسك امرأة هدية لك، وآواك في بيت، وأطعمك ألوان الطعام والشراب، ورزقك المال والولد، وتمتعك بالصحة والأمن والعافية؛ فاعرفه، واذكره كثيرًا، وتدبر في آياته الكونية والشرعية؛ لتعبده بالحب والتعظيم له، والذل له واشكره على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ١-٥].

كلما قرأت في هذا الكون عرفت الكريم المحسن إلى عباده، فعبادتي له أن أشكره على النعم، وأن أعمل بما أمر، وأكبره في كل حين: ﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

فالكريم صفة عظيمة للرب، يتقلب في مقتضاها المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي، والناطق والصامت، وينعم بها جميع الخلق: ﴿لَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان/ ٢٠].

والإكرام من الله سبحانه وتعالى خاص بعباده وأوليائه المؤمنين؛ فهو لا يكرم بالكرامة

الخاصة وهي الإيـان، والعمل الصالح، ورضوانه، والجنة، إلا من يجبه ويرضاه:  
﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ  
بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧].

والله علم من بعض الناس صلاحيته للإيمان؛ فهداه للإيمان، وعلم من فلان أنه لا يؤمن  
فلم يهده؛ لأنه يعلم ما كان وما يكون وما سيكون، ولكنه جل جلاله كريم أقام الحجة،  
فأعطى الأسماع والأبصار والعقول، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، فقامت الحجة على  
الناس، منهم من قبل هذا الدين، ومنهم من لم يقبله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا  
أَنَّ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ  
الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦].

فيا أيها الإنسان، ما ظهر لك في هذه الدنيا مما يشبه الإكرام للكافر والعاصي؛ فلأن الله  
عز وجل كريم، لا خالق ولا رازق إلا هو، وجميع خلقه قاعدون على موائد نعمه، ولعلمهم  
يتوبون إذا رأوا كرمه وإحسانه: ﴿وَلَوْ لَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ  
بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُررًا عَلَيْهَا  
يَتَكُونُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرَفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ  
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الزخرف: ٣٣-٣٥].

ومن أصر من هؤلاء الناس على كفره ومعصيته؛ فما يأخذه من هذا النعيم ليس بإكرام،  
بل هو استدراج ومكر بهم؛ جزاءً على أعمالهم الفاسدة، ليأخذهم على أوفر ما  
جنوه: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ  
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [آل عمران: ١٧٨].

ومن عميت بصيرته فلن ينفعه بصره: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ  
لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة: ٥٥].

فسبحان الكريم الذي دعانا للتعرف على آلائه ونعمه وأنواع إكرامه؛ لنعبده بالحب  
والتعظيم والذل له.

هو الكريم الذي خلق المخلوقات، وخلق الأرزاق، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل:  
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِن

ذَلِكُمْ مِّنْ شَيْءٍ سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ [الروم: ٤٠].

هو الكريم الذي خلق الناس، وعافاهم، وأطعمهم، وكساهم، ودعاهم إلى ما يسعدهم في دنياهم وأخراهم: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فسبحان الغني الكريم الذي كل الكون عطاء من عطاياه، هو الكريم الذي أقام الحجة على الخلق، وتفضل عليهم بكل نعمة، وتفضل على المؤمنين، وحبب إليهم الإيمان، وتفضل على العلماء بأن علمهم من علمه، وتفضل على الأغنياء برزقه، وتفضل على الفقراء بأن منعهم ما يشغلهم عنه، وتفضل على المرضى بالعافية، وتفضل على الضال بالهداية، وتفضل بالهداية والتقوى على من آمن به: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد/ ٢١].

فسبحان الكريم الحق الذي كل رسله إلى عباده كريم، وكل كتبه كريم، وكتابه القرآن أعظمها وأحسنها وأكرمها: ﴿إِنَّهُ لَقَرِيبٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الواقعة/ ٧٧-٨٠].

فهو قرآن كريم، فيه الهدى والبيان، والعلم والحكمة، والتوحيد والإيمان، والفضائل والبشائر، والسنن والآداب، والثواب والعقاب، وكل خير ونور، يهدي إلى الحق، وإلى طريق مستقيم، كما قالت الجن: ﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ رَبَّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن/ ١-٢].

فسبحانه الملك الحق المتفرد بالعطاء والمنع، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وسع عطاؤه وإحسانه في الدنيا الخلق كلهم، أما يوم القيامة فعطاؤه الذي لا يخطر بالبال خاص بالمؤمنين به: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأعراف/ ٣٢].

فسبحان الكريم الذي عم بعطائه وإحسانه جميع المخلوقات، وملاً كونه العظيم بفضله وكرمه، ونعمه المتنوعة، فلا يخلو مخلوق من إحسانه أبداً في كل زمان ومكان على مر الدهور والعصور، لأنه أكرم الأكرمين، وأجود الأجودين، وأرحم الراحمين.

هو الكريم الذي كتب على نفسه الرحمة، وأفاض على خلقه النعمة: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٥٤/ الأنعام].

سبقت رحمته غضبه، وسبق حلمه عقوبته، وسبق عفوه مؤاخذته: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [٢٣] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٢٣] ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٢٤] [الحشر: ٢٢-٢٤].

هو الكريم، الفضل كله بيده، والخير كله منه، والمملك كله في قبضته، والخزائن كلها له، أحب شيء إليه البر والعطاء، والرحمة والإحسان: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١] [الملك: ١].

وأحب شيء إليه أن يرحم عباده، ويجود عليهم بما عنده، ويوسعهم فضله، ويضاعف أجورهم: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [١٦٣] [البقرة: ١٦٣].  
هو الكريم الذي يتعرف إلى عباده بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی، ويتحبب إليهم بنعمه وإحسانه؛ ليعرفوه، ويسألوه، ويعبدوه وحده لا شريك له: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٨٠] [الأعراف: ١٨٠].

وحبه جل جلاله للجود والعطاء والإحسان فوق ما يخطر ببال الخلق، والإحسان أحب إليه من العدل، والعطاء أحب إليه من المنع، والرحمة أحب إليه من العقوبة.

والله سبحانه هو الملك الذي بيده الملك، الغني الذي عنده الخزائن كلها، الكريم الذي أنعم على عباده بجميع النعم: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ [٥٣] [النحل: ٥٣].

بيده ملك السموات والأرض، ملك الأرزاق، ملك العلوم، ملك الأمن: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٣٦] [آل عمران: ٢٦].



فسبحان العزيز الكريم الذي كل خير ورحمة وإحسان منه جل جلاله، فهو الكريم الذي ابتداء خلقه بالنعمة من غير استحقاق، خلقنا ورزقنا، وهدانا وأعاننا، وضاعف لنا الأجر؛ فيجب علينا الإكثار من ذكره وحسن عبادته، وكما ملاً الكون بنعمه؛ التي لا حد لها، فلنملؤه نحن بحمده وذكره وتسبيحه وتمجيده: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ؕ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٤].

هو الكريم الرحيم الذي يعطي الجزيل، ويستر العيوب، ويغفر الذنوب، ويعفو عن السيئات، وينسي العبد معاصيه، وينسي الناس أعمالهم: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء/ ١١٠].

هو جل جلاله الكريم الأكرم الذي لا تتخطاه الآمال، إذا أعطى أسعد، وإذا أولى فضلاً أجزله، ثم ستره، ثم بارك فيه: ﴿نَبِّذْكَ أَتَمُّ رَيْكَ ذِي الْمَلَأْلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرحمن/ ٧٨].

هو سبحانه الكريم الذي أحسن إلى عباده بكل خير، كثير النوال والعطاء، دائم المعروف والإحسان، ذو الطول والإنعام: ﴿ذِي الطُّولِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهِي الْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾ [غافر/ ٣].

هو الكريم الذي يعطي من غير منة، ولا يحوج عبده إلى وسيلة، هو العزيز الكريم الذي يعطي ما لا يحصى من النعم، ولا يبالي كم أعطى، ولمن أعطى، وإذا رفعت حاجة إلى غيره لا يرضى؛ لأنه الغني الكريم القادر على كل شيء: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ. وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ. وَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر/ ٦٧].

هو الكريم الذي يعطي على العمل القليل الثواب الكبير، بل أعطى عباده الدنيا كلها من هواء ونور، وطعام وشراب، وحلي ولباس، ومسكن ومركب وأرزاق: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة/ ٢٩].

هو الكريم الولي الحميد، الذي يحمي من لاذبه، هو الكريم الحميد الذي لا يضع من لاذبه، ولا يسلم من التجأ إليه، ولا يخيب من رجاه، ولا يرد من دعاه ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

فأكثر أيها المسلم وأيتها المسلمة، من ذكره وحمده، والثناء عليه، فليس أحب إليه من مدحه والثناء عليه؛ ولذا حمد نفسه فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الرحمن الرَّحِيمِ ٢] ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ] [الفاتحة/ ٢-٥].

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [١] [الأنعام: ١].

فالله ﷻ يثني على نفسه بهذه الصفات العظيمة، ويأمرنا بالإكثار من ذكره وتسيبحه: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

فالله سبحانه كريم، وهو أعلم بأسمائه وصفاته من خلقه، فلهذا أثنى على نفسه. وقال النبي ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنَ اللَّهِ؛ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَعْيَرَ مِنَ اللَّهِ؛ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

فهو سبحانه الرب العظيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وكل صفة من صفاته تولد إيماناً جديداً، وحباً جديداً، وتعظيماً جديداً، وحياء جديداً، وعبادة جديداً، وطاعة جديداً، وتوبة جديداً: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثْوَلِكُمْ﴾ [١٩] [محمد: ١٩].

فإذا عرفنا هذه الأسماء وهذه الصفات؛ ازداد إيماننا، وامتألت قلوبنا بالإيمان، ثم تحركت ألسنتنا بحمده، وشكره، واستغفاره، والدعوة إليه، وجوارحنا تحركت بعبادته، والركوع والسجود له: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [٢] [الذين يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٦٠).

رَزَقْنَهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

فكل صفة تزيد الإيمان في قلب المؤمن، وتحرك لسانه وجوارحه في عبادة الله.

هو سبحانه الكريم الذي يبسط الرزق لمن يعلم أن حاله تصلح بالغنى، الحكيم الذي يقبض الرزق عمن يعلم أن حاله لا تصلح إلا بالفقر: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ ﴿٣٠﴾ [الإسراء / ٣٠].

فالبسط كله عن الكريم صادر، والمنع كله إلى الحكيم راجع، والعطاء كله بسط، والمنع كله قبض، والكل صادر من الحكيم العليم البصير بعباده، يبسط لمن يشاء من عباده ما شاء من الرزق، والعلم، والإيمان، والعمل، والخير، والخُلُق، ويقبض عمن شاء من عباده ذلك، وهو العليم بمن يستحق هذا وهذا: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٤﴾ [الملك / ١٤].

فسبحان الكريم الذي يبسط ويقبض برحمته الواسعة، وحكمته الشاملة، وقدرته النافذة.

هو الحكيم الخبير الذي يبسط لمن يشاء من عباده في ماله، أو علمه، أو عمره، أو حياته، أو خُلُقَه، أو عافيته، ويقبض عمن شاء ذلك: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٢٤٥﴾ [البقرة / ٢٤٥].  
والقبض والبسط كله بيد الله وحده لا شريك له: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢﴾ [فاطر: ٢].

ولا يمنع أن يكون القبض والبسط والعطاء والمنع لأسباب من الناس، متى قاموا بها حصل لهم ما قدر الله لهم، فالأسباب في الدنيا محل حكمته وسنته الجارية: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ ﴿٤٣﴾ [فاطر / ٤٣].

وقال النبي ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ؛ فَلْيَصِلْ رَحْمَتَهُ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٨٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٥٧).

فللدنيا أسباب، وللآخرة أسباب، لكن الله ﷻ هو القادر على كل شيء؛ يعطي بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب، ويمنع بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب؛ فهو فعال لما يشاء: ﴿الَّذِينَ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٠٦﴾ [البقرة: ١٠٦].

فلإيمان بالله، وتقوى الله ﷻ من أعظم الكرامات، ومن أعظم أسباب بسط الرزق: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ [الأعراف: ٩٦].

فالعطاء كله بسط، والمنع كله قبض، وكل ذلك بيد الله الذي يقبض ويبسط وحده لا شريك له، ويحيي ويميت وحده لا شريك له، وقد يقبض الله عن عبده في الدنيا المحبوبات التي تشغله عن ربه؛ ليبسط له في الآخرة كل ما يحبه ويرضاه.

وقد يبسط الله لمن أعرض عنه في الدنيا ما يجب؛ ليعذبه به في الدنيا، ويقبض عنه ما يجب في الآخرة: ﴿فَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ [التوبة: ٥٥].

واعلم رحمك الله أن البسط والقبض يدخل في جميع التدابير الربانية الملكية لربنا الكريم، وهذه فائدة عزيزة، إذا عرفها الإنسان انحلت عنه جميع العقد، ووكل رزقه إلى الرزاق، واشتغل بما طُلب منه من الإيمان والعمل الصالح.

والبسط والقبض من ربنا الكريم يدخل في جميع التدابير الربانية على الخلائق. فالغنى بسط، والفقر قبض، والنعيم بسط، والبؤس قبض، والحياة بسط، والموت قبض، والأمن بسط، والخوف قبض، والخصب بسط، والجذب قبض، والصحة بسط، والمرض قبض، والعزة بسط، والذلة قبض، وهكذا كل صفة تقابل الأخرى.

والقوة بسط، والضعف قبض، والفرح بسط، والحزن قبض، والرضا بسط، والغضب قبض، والإيمان بسط، والكفر قبض، والتوحيد بسط، والشرك قبض، والطاعات بسط، والمعاصي قبض، وهكذا: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾ ﴿٦٦﴾ [الرعد: ٦٦].

فسبحان العليم الكريم الذي علم الإنسان ما لم يعلم، هو الحكيم العليم الذي جعل أنواع الخير كلها بسطاً، وأنواع الشر كلها قبضاً، ليذكر العبد ربه الذي يقلب الأحوال، ويدبر الأمور، ويده ملك الدنيا والآخرة، ويستيقظ من غفلته، ويشكر ربه، ويصبر على بلائه، ويتوب إليه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [٣٥] [الأنبياء / ٣٥].

فالحياة كلها تقلب، الحياة بسط وقبض، وغنى وفقير، وأمن وخوف، وعافية ومرض، الله ﷻ يقلب الأحوال، ويدبر الأمور؛ ليستيقظ الإنسان، ويعرف أن الذي يملك هذا هو الذي يملك تغييره، هو الذي جاء بالمرض، وهو الذي يسلبه، هو الذي جاء بالعافية، وهو الذي يأتي بعدها بالمرض، فيتوجه إلى ربه ﷻ: ﴿ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠٢] [الأنعام: ١٠٢].

فالله ﷻ حكيم عليم، الملك ملكه، والخلق خلقه، وهو رب العالمين. هو الحكيم الذي يربي الأجسام بالطعام والشراب، وهو الذي يربي النفوس بتقليبها من حال إلى حال، من بسط إلى قبض، ومن أمن إلى خوف، ومن عافية إلى مرض.

فسبحان الخالق المالك لزمان كل شيء، يقبض ويبسط كيف شاء، وهو الحكيم العليم: ﴿ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [١٣] [فاطر: ١٣].

يسط العقل للإنسان فيفهم، ويقبضه فلا يفهم شيئاً، ويبسط القلب فيتسع، ويقبضه فيضيق، ويبسط الصدر فيشرح، ويقبضه فلا يتسع لشيء: ﴿فَمَن يُرِدْ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يَضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [١٢٥] [الأنعام / ١٢٥].

وحظ المسلم من هذا الاسم الكريم أن يقبض ويبسط؛ حتى في الدعوة إلى الله، فيذكر الناس بالله وقدرته، ورحمته وعفوه، وإحسانه وإكرامه، وكذلك يذكرهم بعذابه وعقوبته وناره لمن عصاه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [١٣] [هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن].

الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ [الحشر / ٢٢-٢٣].  
 وقال سبحانه: ﴿نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّ أَنَا الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ  
 الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠].

فمن أعظم البسط الهداية للدين الحق، وأعظم القبض الضلالة عن الدين الحق: ﴿فَمَنْ  
 يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ  
 ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَعُدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا  
 يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام / ١٢٥].

والقبض حق الله منك، والبسط حظك من الله الكريم، كلما قبض الله عنك، كلما جاءك  
 الابتلاء فاعلم أنه قبض لتعود إليه، فيعيد عليك النعمة، فتشكره وتتوب إليه، فالقبض  
 حق الله منك؛ لأنك خالفت أمره، وهو يريد أن يربيك، لتعود إليه، والبسط حظك منه،  
 فكلما أطعته زاد عليك النعمة، أصح بدنك وعافاك: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ  
 غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ  
 أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح / ١٠-١٢].

فهذا العلم الخاص علم البسط والقبض، هذا هو التوحيد لرب العالمين جل جلاله في  
 مفعولاته، وفي مقدراته، وتقديراته في الخلق، القبض حق الله منك، رحمةً منه ابتلاك؛  
 ليردك إليه، لتتوب إليه، والبسط حظك منه، فإذا أعطاك النعمة فاشكر الله على النعمة،  
 وكل الطيبات، واعمل صالحًا، فهذه الدنيا دار مفر لا دار مقر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
 كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة / ١٧٢].

فسبحان الكريم الذي بسط لعباده المؤمنين كل خير، وقبض عنهم كل شر، وجعل ما  
 أصابهم من الشر نعيمًا في صورة عذاب، يصفى توحيدهم، ويرفع درجاتهم، ويمحو  
 سيئاتهم: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ  
 الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ  
 مِّنَ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة / ١٥٥-١٥٧].

فسبحان الكريم الذي أنعم على المؤمنين والكفار، وجعل ما أنعم به على الكفار

والعصاة في الدنيا مكرًا بهم، واستدرأجًا لهم؛ لحرمان شاءه لهم في الآخرة: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (١٧٨) [آل عمران / ١٧٨].

بدل الاستكبار يعذبون بالعذاب المهين، فلما هانوا على ربهم بإعراضهم عنه، ونسيانهم له ولدينه؛ عاجلهم وأشغلهم بعذاب في صورة نعيم؛ جزاءً على عملهم السيئ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ (٤٤) فَقَطَّعَ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ [الأنعام: ٤٤ - ٤٥].

فسبحان الملك الجبار الذي بيده مقاليد الأمور كلها، لا قابض لما بسط، ولا باسط لما قبض، وهو الحكيم الخبير، إذا بسط الكريم بسط؛ حتى لا فاقة أبدًا؛ وإذا قبض قبض، حتى لا فاقة أبدًا، هو الكريم، وعطاؤه كريم، وهو عظيم وعطاؤه عظيم، يقبض على الإنسان جميع أموره: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ أَمَلِكِ تَوَتَّىٰ أَمَلِكِ مَن تَشَاءُ وَتَنَزِعُ أَمَلِكِ مَن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٦١) [آل عمران / ٢٦].

فسبحان الكريم الأكرم، ذي الطول والإنعام على جميع الخلق، الذي ينعم بالجزيل من الأرزاق، ويعفو عن الكثير من السيئات: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلُولِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ﴾ (٢) [غافر / ٣].

هو الغني الكريم الذي يداه بالإنعام والإحسان إلى عباده مبسوطة، ينعم بجزيل النعم، ويدفع شر النقم، ويعطي من يطيعه ومن يعصيه، ويرحم من أحسن وأساء، بره لا يُنسى أبدًا، ذو الطول والإنعام والإحسان وحده لا شريك له: ﴿وَأَتَاكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّتَ الْإِنْسَانَ لَطَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (٢٤) [إبراهيم / ٣٤].

هو سبحانه ذو الجلال والإكرام، المستحق أن يهاب لعظمة سلطانه، ويثنى عليه بما يليق بعلو شأنه، وجميل إحسانه، الذي له الحمد كله من جميع خلقه، ولا إكرام ولا كرامة ولا مكرمة إلا وهي صادرة منه سبحانه: ﴿بَنَزَكَ أَنَّم رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٧٨) [الرحمن / ٧٨].

فسبحان ذي الجلال والإكرام، والعظمة والكبرياء، الحي الذي لا يموت، وكل ما سواه يموت: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن / ٢٧].  
 ذو الجلال في ذاته، ذو الجلال في أسمائه، ذو الجلال في صفاته، ذو الجلال في أفعاله، ذو الجلال في إكرامه، فائض منه على خلقه.

فالإكرام صفة عظيمة فائضة منه جل جلاله على خلقه، فلا جلال ولا كمال إلا وهو له، ولا إكرام ولا إحسان إلا وهو فائض منه على خلقه.

فسبحانه الملك الحق الذي جميع أسمائه وصفاته وأفعاله دالة على جلاله وجماله وكماله، وكل أفعاله تجاه خلقه إكرام ظاهر جلي، أو باطن خفي، إكرام إيجابي بالنعم الظاهرة، وإكرام سلبي بالنعم الباطنة التي هي المصائب: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

الظاهرة: هي النعم الحسية الظاهرة، والباطنة: هي المصائب.

فمن تدبر وتأمل في حياته، وتدبر في المخلوقات، وتدبر في هذا الكون العظيم؛ يرى نعم الله الظاهرة والباطنة على عباده سابغة، فما أعظم نعم الله على الإنسان! وما أحسن إكرامه له! وما أعظم رحمته به! أعطاه ربه جل جلاله عقلاً يدرك به الأشياء، وعيناً ينظر بها إلى الأشياء، وأذناً يسمع بها الأصوات، وجهة الصوت، ونوع الصوت: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل: ٧٨].

وأعطاه يداً يأكل ويشرب بها، ويأخذ ويعطي بها، ويسلم ويكتسب بها، ويكتب بها، ويقرب ويبعد بها، وأعطاه الكريم أنفاً يشم به الأشياء، ولساناً يتكلم به، وأسناناً يطحن بها الطعام، ورجلين يمشي بهما، كل ذلك وغيره إكرام منه ذو الجلال والإكرام: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء / ٧٠].



فسبحان ربنا العزيز الكريم الأكرم الذي جعل الهيبة لكل من آمن به وأطاعه، وجعل الذلة لكل من كفر به وعصاه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لِأَعْلَبِ بْنِ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ [المجادلة / ٢١].

فالرزق إكرام منه، والصحة إكرام منه، والعلم إكرام من الله، والجاه والشرف إكرام من الله، والزوجة والأولاد إكرام منه، والزوج والولد إكرام منه، وكل خير ونعمة إكرام منه: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرًا إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالِيَهُ تَجْهَرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ [النحل / ٥٣].

فإذا تمتع الإنسان بهذه النعم؛ فليشكر ربه الذي أنعم عليه بها، فإذا تمتعت أيها الإنسان بهيبة ومكانة؛ فاعلم أن الله هو الذي رفع لك ذكرك، فتواضع له: ﴿الَّذِي نَشَرَّكَ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ [الشرح / ١-٤].

وإن أفقدك العزيز الكريم هيبتك، وجاء أحقر الناس فتطاول عليك؛ فإنما يريد العزيز أن يعلمك أن الجلال والهيبة منه، لا بسبب مالك وجاهك وقوتك وعلمك: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فليتوكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٣﴾ [التغابن / ١٣].

وكلما أعطاك الله ﷻ من إكرامه وإنعامه، وأكرمت الناس بذلك؛ فاعلم أن الله أكرمك به فأكرمت به.

هو الكريم الذي أعطاك فأعطيت، وأغناك فأغنيت، وعلمك فعلمت، منه وحده النعم السابغة الظاهرة والباطنة؛ لأنه وحده ذو الجلال والإكرام: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ ۖ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ ﴿١١٣﴾ [النساء / ١١٣].

وإذا علمت أن الله وحده ذو الجلال والإكرام؛ فيجب أن تجله وتشكره.

وإذا علمت أنه وحده ذو الإكرام، فيجب أن تحبه، وتكرم عبادته، وتعظمه، وتجل كتابه، ورسوله، وعباده، وبيوته، وشعائره، وأوامره: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحٰنَهُ ۗ وَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ [الزمر: ٦٧].

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السموات والأرض: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

وأسماء الله ﷻ كلها توقيفية ثابتة في القرآن والسنة، ودورنا في هذا الشرح هو الجمع والإحصاء لما ورد في القرآن والسنة، ثم حفظ هذه الأسماء، ودعاء الله ﷻ بها دعاء ثناء ودعاء طلب، كما قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

فحفظ الاسم ونفهم معناه ودلالته على كمال الله ﷻ، ونتعبد لله بذلك على شاكلة العبودية؛ فالله ﷻ مَنْ عَلِمْنَا بِأَن خَلَقْنَا فِي أَحْسَن تَقْوِيمٍ، وعرفنا بآياته ومخلوقاته، وبأسمائه وصفاته، ثم دعانا للتخلق بذلك.

## التعبد لله ﷻ باسمه الكريم.. الأكرم

الله تبارك وتعالى هو الكريم الحق من جميع الوجوه، هو الكريم بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وإحسانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر / ٢٤].

ولكمال ذاته وأسمائه وصفاته؛ هو أهل أن يُعبد، وأن يحمد ويشكر، وأن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويعبد ولا يعبد أحد سواه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

ومقتضى معرفة العبد بهذا الاسم الكريم، وباسمه الأكرم؛ أن يكون كريماً في جميع أموره وأحواله مع ربه ﷻ، ومع نفسه، ومع الناس، وبذلك يحصل العبد على مرضاة ربه، ويظفر بمحبته؛ فالله ﷻ كريم يجب معالي الأخلاق، وكريم الفعال، ويجب المتصفين بها والدعاة إليها، وبذلك أنزل كتبه، وأرسل رسله.

قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» أخرجه أحمد (١).

لذلك أنزل كتبه، وأرسل رسله، وشرع دينه؛ ليُعبد الواحد الأحد، ويشكر الواحد الأحد، ويطاع الواحد الأحد جل جلاله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات / ٥٦].

والتعبد لله ﷻ بمعاني أسمائه وصفاته مقصود الرب من خلقه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

### • والدين كله مجموع في أمرين:

عبادة الحق جل جلاله .. والإحسان إلى الخلق: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

(١) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٨٩٣٩).

وفي هذا وهذا الأجر عائد على العبد لا على الرب؛ لأن الله ﷻ هو رب العالمين، الغني الذي لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ﴿٣٦﴾ [لقمان: ٢٦].

والله سبحانه كريم يحب كل كريم، وشكور يحب كل شاكر، وعفو يحب كل عفو، ومؤمن يحب كل مؤمن، ومحسن يحب كل محسن، وسلام يحب كل مسلم، ورزاق يحب كل رازق اتصف بصفاته جل جلاله على شاكلة العبودية، وهو تواب يحب كل تائب: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ [البقرة: ٢٢٢].

فمقصود الرب من خلقه التحلي بمكارم الأخلاق، وذلك بالإيمان والتوحيد، وصرف العبادة لمستحقها، ودعوة الناس إلى عبادة الحق، والإحسان إلى الخلق: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

والتحلي بمكارم الأخلاق أثقل شيء على النفس، وهي أثقل شيء في الميزان يوم القيامة؛ ولهذا مدح الله ﷻ رسوله ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ [القلم / ٤].

وبحسن الخلق يدرك المؤمن درجة الصائم القائم.

قال النبي ﷺ: ﴿إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ﴾ أخرجه أبو داود<sup>(١)</sup>.

فمقصودنا من التعبد باسم الله الكريم أن نتصف بهذا الاسم، فعليك أيها العبد بطاعة الله ورسوله، ولزوم السنة، فما أكرم أحد نفسه بمثل طاعة الكريم الحق سبحانه وتعالى، ولن يبينها بمثل معصيته: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ﴿١٤﴾ [النساء: ١٣ - ١٤].

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٤٧٩٨).

وعليك بأداء الفرائض، واجتناب المناهي، بوجه طلق سمح، وقلب متذلل منكسر بين يدي ربه الرحمن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [١٢ / الملك].

والمسلم إذا علم أن ربه هو الكريم؛ فعليه أن يتوجه إليه بكمال الإيثار، وكمال التقوى وكمال الحب والتعظيم والذل لله ﷻ، وأن يكرم كتابه باتباع ما جاء فيه، ويكرم أنبياءه ورسله باتباعهم، وحسن الاقتداء بهم في إيمانهم وتوحيدهم وأخلاقهم ودعوتهم، ويكرم أوامر ربه وشعائره بالفرح بها، وحسن أدائها، ويكرم نعمه بوضعها في موضعها اللائق، وشكر الله المنعم بها: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات / ١٣].

فالمسلم بقلبه ولسانه وجوارحه يطيع ربه، ويحسن إلى خلقه، هذا هو الكريم، أن تخرج المنافع مني لنفسي ولغيري، وأن أوجه هذه الأعمال إلى ربي على طريقة رسوله ﷺ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [٧ / الحشر: ٧].

والكرم فعل ما ينبغي لا لغرض إلا ابتغاء مرضاة الله: ﴿إِنَّمَا نُنْعَمُكُمْ لُوجْهِ اللَّهِ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [١] ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا﴾ [١٠] ﴿فَوَقَّهْمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَةً وَسُرُورًا﴾ [١١] ﴿وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [١٢] [الإنسان: ٩-١٢].

فكن كريماً محسناً تؤدي إلى كل ذي حق حقه، بطيب نفس، وسعة صدر، وإن قدرت أن تزيد فزد يزدك الله من فضله: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْئِيلِ وَالْتَهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [١٧٤ / البقرة: ٢٧٤].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُيُوكُمْ لِيَنَّ شُكْرَتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلِيَنَّ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [٧ / إبراهيم: ٧].

ذكر لي أحد الإخوة أن هناك رجلاً من التجار عنده مال مبارك، فأعطى الله ﷻ عشرة بالمائة من ماله سوى الزكاة وبدأ ينفق، وكان له مسجد، وهذا المسجد هو يصلي فيه، ثم

بدأت تزداد الناس للصلاة معه، وسؤاله من هذه المنافع والفضائل التي يضعها الله ﷻ عند بعض خلقه، من علم أو مال أو غيره، هذه المنافع إن شكروها زادت.

وإن لم يشكروها نقلها إلى غيرهم، فهذا الرجل بدأ يستلم الأوراق من الناس، ويسدد للناس الديون التي عليهم، ويبني البيوت للفقراء والمساكين، ويساعد في بناء المستشفيات، وغير ذلك من أبواب البر المختلفة، وبدأ الناس يكثرون؛ حتى صار المسجد ثلاثة صفوف، ثم هو ينفق من هنا والله يزيد أمواله من هناك.

فزاد ماله وزاد إنفاقه، فكثرت الأموال، فاستشار من حوله وقال: لعلنا نقلب المسألة؛ نعطي تسعين بالمائة نفرقها على الخلق ابتغاء وجه الله، ويكفينا عشرة بالمائة، وعمل بهذه الطريقة، فكلما يعطي الله ﷻ يعطيه: ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [فاطر: ٢٢].

فالكريم جل جلاله إذا أعطى أعطى، وإذا منع منع، هو يعطي لينظر من يعطي ابتغاء وجهه، فهذا فضل الله.

قال ﷻ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة، فهو يقضي بها ويعلمها» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وإذا كان لك أيها المسلم على غيرك حق يتعذر عليك أخذ جميعه فلا تستقصه، وأبق للكرم موضعاً، فما استقصى كريم قط، ومن أكرم بخير أكرمه الله، وغفر له ذنوبه: ﴿ وَلَا يَأْتِلِ أَوْلُوا الْفَضْلَ مِنْكُمْ وَالسَّعَةَ أَنْ يُؤْتُوا أَوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور / ٢٢].

المؤمن كريم، ينفق على نفسه، وينفق على دينه، وينفق على غيره، فكن كريماً، وإياك والشح والبخل، والحرص والطمع، وجميع مساوئ الأخلاق، بل كن مؤثراً لمرضاة ربك، مقدماً لمحوبات ربك على ما تحب نفسك: ﴿ وَيُؤْتِرُونَكَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَهُ فَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر / ٩].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣) واللفظ له، ومسلم برقم (٨١٥).

فأنفق ينفق الله ﷻ عليك، واجتنب البخل فيما أعطاك الله من نعمة، فلا داء أدوا من البخل، ولا شر أشر منه، فإن أعطاك الكريم علماً فتكرم به، وعلم غيرك، وإن أعطاك مالاً فأنفقه على المحتاجين، وإن أعطاك قوةً فساعد بها الضعفاء: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران / ١٨٠].

وعامل الناس بمثل ما عاملك الله الكريم به؛ حيث لم يكلفك جل جلاله إلا بعض وسعك، ثم رد نفع ذلك عليك، وعطاؤه لك كثير، وضاعف لك الأجر، فأجره كبير، وأجره كريم، وأجره عظيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء / ٤٠].

فتخلق بأخلاق الكريم، وكن كريماً على نفسك، وعلى غيرك.

واحمد الكريم الذي خصك بالتوحيد والإيمان، وأعانك على ذكره وشكره وحسن عبادته، وعافاك في الدنيا من السجود للصنم، وقطع عنك ما يحول بينك وبينه؛ حتى لا يشغلك به عنه: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة / ٥٤].

وسبح بحمد ربك الكريم الحكيم الذي يعسر على عباده ما يشغلهم عنه، ويسر لهم ما يعينهم على طاعته، وما يغنيهم عن سواه، ويفتح على جميع خلقه ما يسعدهم ويصلح أحوالهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

فهو الكريم الذي يستر على العصاة وهم المجاهرون، هو الكريم الذي يحسن إليهم وهم المسيئون، هو الكريم الذي يعفو عنهم وهم الظالمون، ويصبر على أذاهم وهم المعتدون: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء / ١١٠].

يفعل الكريم جل جلاله هذا الكرم وهذا الإكرام على مدى الدهور والقرون مع خلقه كلهم، المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي، مع جلاله وكبريائه، وعظمة سلطانه، وغناه

عن خلقه؛ لأنه الكريم الرؤوف الرحيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٦٥﴾ [الحج / ٦٥].

هو الكريم الذي يرسل نعمه المادية، ونعمه الروحية، على الخلق كلهم في كل آن: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٣٧﴾ [الجاثية / ٣٦-٣٧].

فهو جل جلاله غني عن العالمين، وخيره إلى الخلق مدارر ومستمر، جميع الأرزاق يسوقها الله ﷻ للخلق كلهم، سواء المؤمن والكافر؛ لأن عطاء الربوبية للجميع. أما عطاء الألوهية فينعم به ويسعد به من آمن بالله، فعطاء الربوبية من الخلق والإيجاد والأقوات تكريم، وعطاء الألوهية تكريم وتشريف: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢]. والله ﷻ دعانا إلى الائتمام به في حسن معاملة أكرم من خلقه وهو الإنسان.

دعانا لإكرام هذا الإنسان، والعناية به، والاحتراف به وإكرامه؛ حتى نُعرِّفه على ربه ليكبره، ونعرفه بنعمه ليشكره: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿وَمَا يَزْنَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٣٦﴾ [فصلت / ٣٣-٣٦].

ولكي تكون كريماً بأخلاقك صل رحمك الله من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك، وأحسن إلى من أساء إليك، فهذه أصول الأخلاق العظيمة، ومنها تتفجر الأخلاق الكريمة الأخرى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

من أجل أن يعرف الناس ربهم، من أجل دعوة الناس إلى ربهم يتنازل الإنسان عن حقوقه، ويفي بحقوق غيره، فأحسن إلى من أساء إليك، وكف لسانك عن الأذى والخنأ



والمكروه والفحشاء، وعود نفسك السخاء: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وعود يدك العطاء، وعود لسانك الذكر والشكر والحمد والثناء لربك الكريم، وعود لسانك الدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله ﷻ، وصن نفسك عن شر الأمور.

هذا هو التبعد لله باسمه الكريم، أن تعمل الفضائل، وتجتنب الرذائل، أن تتحلّى بالأخلاق الكريمة التي تخرج المنافع من بدنك، ومن قلبك لنفسك وللناس: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

وصن نفسك عن شين الأمور، وتنزه عن اللؤم والغرور، وسائر الصفات الذميمة، وترفع عن الدقة والاستقصاء في الأمور، فما استقصى كريم قط، واصفح عن المعتدين، واعف عن الجاني؛ يعفُ الله ﷻ عنك: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ لَهُمْ لَوْ كُنْتَ قَطًّا غَلِيظًا الْقَلْبَ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وأحسن للمسيئين، وتجاوز عن المذنبين، واشمل بمعروفك من استطعت من الخلق، من إنسان أو حيوان، مسلم أو كافر، أحسن إلى الناس جميعاً، واعلم أن إساءتك إلى مجوسي أو عابد صنم أو ملحد أو مشرك كإساءتك لمسلم؛ لأن هذا عرف الدين من خلال إساءتك أنه عدوان وظلم وجور، فأبعده بسوء أخلاقك عن الدين بهذه الإساءة، ولهذا الله ﷻ يقول: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة / ٨].

فعليك بحسن الأدب مع ربك بتوحيده والإيمان به، وحسن تقواه. وحسن الأدب مع نفسك بحملها على الطاعات، وزجرها عنالمعاصي. وحسن الأدب مع أهلك بحملهم على طاعة الله، والعناية بهم، والإنفاق عليهم. وحسن الأدب مع جيرانك وأقاربك، تعاهدهم بالمال والنصيحة، وانشر فضائلهم، واستر معائبهم، واقبل من محسنهم، وتجاوز عن مسيئهم، وتغافل عن زلاتهم، وأقل

عشراتهم، ولا تطالبهم بكل حقك عندهم؛ وتذكر أنك لم تؤدِّ الحق الكامل لربك: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا﴾ [النساء/ ٣٦].

وبهذه الأخلاق العالية والأقوال الحسنة ينسطون إليك، وتملك زمامهم بيديك، ويأسر حبك قلوبهم، ويرضى الله عنك، ويفتحون لك قلوبهم، ويقبلون كلامك؛ فتؤثر فيهم، ويكونوا في صحيفتك: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْعَائِلِينَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

فما أعظم حسن الخلق! وما أعظم حلم الكريم جل جلاله على خلقه! وما أسوأ أدبهم مع ربهم! فهم يعصونه بنعمه مع عظيم سلطانه، وجزيل إنعامه، ودوام مشاهدته لهم. وهم يشركون به، وهو يتودد إليهم، ويدعوهم إلى التوبة: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٧٣] أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣ - ٧٤].

فسبحان الكريم الذي يتودد بنعمه إلى خلقه؛ حتى يعرفوه، ويحبوه ويعبدوه، لما يرون من عظيم عطائه، وجزيل إحسانه، وعظمة جلاله وكبريائه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فسبحان من حلمه وكرمه وعفوه ورحمته وإحسانه مبسوط لجميع خلقه؛ حتى أخرجهم ذلك إلى عصيانه جهاراً؛ وذلك لكمال حلمه، وقلة مطالبته إياهم بكل حقه، وكثرة صفحه عن زلاتهم، ودوام ستره لمخازيهم، وعظيم صبره على أذاهم، ولكن الله عليم حكيم يمهلهم ليتوبوا: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِا كَلِمَةً مِّن دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر/ ٤٥].

فمن أراد أن يجتمع بالكريم، فليتعرف على الكريم جل جلاله، ومظاهر كرمه في ملكه، ويكون عبدًا للكريم، عبدًا للرحمن، عبدًا للعزیز، ليكون عزيزًا، وليكون كريماً لابد أن يستشعر الإنسان أنه عبد للكريم، وعبد الكريم لابد أن يكون كريماً، وأعظم الكرم هو الاتصاف بالصفات التي يجباها الله من التوحيد والإيمان والتقوى، وسائر الصفات التي اتصف الله ﷻ بها، ودعانا للاتصاف بها: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ومن أعظم الكرم أن تعبد ربك كأنك تراه، تعبده بقلبك وجوارحك، تعبده كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وهذا مقام الإحسان، وإياك أن تجعله أهون الناظرين إليك، فتستتر من سواه، وتبارزه بالمعاصي كأنك لا تراه ولا يراك؛ فاتق الله ﷻ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [٢١٧] الَّذِي يَرْبِكُ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ [الشعراء/ ٢١٧- ٢٢٠].

وقدم رحمك الله مراد ربك منك على مرادك منه، فهو يريد أن تكون عزيزًا، تكون كريماً، تكون من المحسنين، من المؤمنين، من المتقين.

قدم مراد ربك منك، على مرادك منه؛ لأنه يريدك له، فكن عبدًا للمؤمن، عبدًا للقوي، عبدًا للكريم، عبدًا للغني، وأكمل محبوباته في الدنيا؛ يكمل لك محبوباتك في الآخرة، وكن من خواصه وأوليائه تَنَلْ رَحْمَتَهُ وَرِضْوَانَهُ، وتنعم بكرمه في الدنيا والآخرة: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُهِجْرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة/ ١٠٠].

أنعم الله عليك بأنواع التكريم فكن كريماً؛ فالمؤمن كريم بوقته، كريم بباله، كريم بعلمه، كريم بنفسه، فإذا أكرمك الله فكن كريماً؛ فالكريم حقاً من اتصف بالصفات التي يجباها الله، الكريم حقاً من إذا ابتلي صبر؛ لأن الله ﷻ يريد أن يكرمه بالصبر، فالصبر جوهره عظمة، فإذا أراد الله ﷻ أن يستخرج منك هذه الصفة، ويصفك بها؛ ابتلاك ببليه؛ حتى تظهر عبودية الصبر في حياتك: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ

وَالْأَنْفُسَ وَالشَّمْرَتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة/ ١٥٥ - ١٥٧].

والحلم جوهره عظمة، وإذا أراد الله ﷻ أن يستخرج منك صفة الحلم؛ لتكون حليماً، إذا أراد منك أن تكون حليماً ابتلاك بسفيه يؤذيك، ويخطئ في حقك، ويسيء إليك؛ ليستخرج منك هذه الجوهره وهي الحلم، فلا تنظر إلى سفه السفهاء عليك، ولكن انظر إلى جمال المبلي ماذا يريد منك؟ يريد منك ألا تقابل السفه بالسفه، بل تقابله بالحلم والعتو والصفح: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُقْلَهُ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُقْلَهُ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ [فصلت: ٣٤ - ٣٥].

وإذا أراد الله ﷻ أن يستخرج منك عبودية الشكر؛ أعطاك نعمة، وأمدك بالخيرات والأقوات؛ فزاد مالك، أو زاد علمك، فإذا أراد أن يستخرج منك عبودية الشكر أعطاك؛ لأنه لا شكر إلا بعد رؤية النعمة، نعم على نفسي، ونعم على غيري، ونعم في العالم العلوي، وفي العالم السفلي، ونعم يوم القيامة، ونعم في الدنيا؛ فنعمة الله لا تُعد ولا تُحصى: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ [النحل: ٥٣]. فإذا أراد الله أن يستخرج منك عبودية الشكر؛ أعطاك علماً، أو أعطاك مالاً، أو أعطاك أولاداً أو أعطاك عافية؛ لينظر هل تشكر أم تكفر، فالعبد في مقامين إما أن تكون من الشاكرين، أو تكون من الصابرين، شاكرين على النعم، أو صابرين على البلايا.

فالمؤمن من إذا ابتلي صبر، وإذا أعطي شكر، وإذا أذنب استغفر، الكريم من العبيد من خشي الله في السر والعلانية، وعدل في الغضب والرضا، واقتصد في الفقر والغنى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿١٢﴾ [الملك: ١٢]. الكريم حقاً من العبيد من إذا سُئِلَ أعطى، وإذا عاهد وقى، ولا يبالي كم أعطى، ولمن أعطى، هذا هو الكريم من العبيد، لأنه كلما ينفق؛ الله يخلف عليه النفقة: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ ﴿٣٩﴾ [سبا: ٣٩].

الكريم حقاً من العبيد من وصل من قطعه، وأعطى من حرمه، وعفا عن ظلمه، وأحسن إلى من أساء إليه، الـكريم حقاً من العبيد من اتقى الله ففعل ما أمره الله، واجتنب ما نهى الله عنه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَى﴾ [الحجرات/ ١٣].

الكريم حقاً دائم العبودية والذكر لربه ﷻ؛ فصمته ذكر، ونطقه ذكر لربه، ونظره عبرة، فهل أنت أيها المسلم كـريم؟ وهل أنت عبد للكريم؟ وهل تحب مكارم الأخلاق؟ الـكريم من العبيد من إذا هجرته وصلك، وإذا مرضت عادك، وإذا استعنته أعانك، وإذا سلمت عليه أجابك، وإذا غبت عنه سأل عنك، وإذا مت شهد جنازتك.

الكريم من العبيد حقاً من إذا سأله لام نفسه، لماذا تركته ونسيته حتى لجأ إلى سؤالني، لماذا لم أسأل عنه قبل أن يسألني، هذا هو الـكريم الذي تخرج منه منافع؛ ولهذا أكرم الناس هم الأنبياء؛ لأنهم تخرج منهم كرامات للناس ومنافع للناس: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْيِهِمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

فالله كـريم، وكتاب الله كـريم، وملائكته كـرام، وأنبيأؤه ورسله كـرام، وأنا يجب أن أتصف بصفات الـكريم على شاكلة العبودية؛ فأكرم نفسي بطاعة الله، واجتنب معصية الله ﷻ.

والمؤمن أكرم الناس تعبداً للكريم الذي خلق أباهم بيده، واحتفي بهم، وأكرمهم، وأحسن إليهم لعلهم يبتدون إلى ربهم ويعودون إليه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾

[آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

فالكريم من أساء الله الحسنى العظيمة، التي يجب علينا أن نتخلق بها؛ لنكون بأعلى درجات الكرم، ومن أراد الكرامة فليتكرم في الدنيا: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢].

الكريم من البشر يتغافل ولا يغفل، واللئيم يدقق في العيوب، ويستوفي جميع الحقوق؛ فلا يتنازل عن شيء من ماله، وأي زلة يذكرها، ينشر القبايح ويستر الفضائل.

فاللهم إنا نعوذ بك من جار السوء؛ إن رأى خيراً كتمه، وإن رأى شراً أذاعه، ونعوذ بك من إمام سوء؛ إن أحسنت لم يقبل، وإن أسأت لم يغفر.

فإن الله ﷻ هو الكريم الذي أكرم بكل نعمة، الكريم الذي يستر العيوب، ويغفر الذنوب، ويضاعف الأجور، فيجب أن نتصف بهذه الصفات، نستري عيوب الناس، ونغفر الذنوب، ونضاعف الأجر لمن عمل لدينا.

هو الكريم الذي يعطي على العمل اليسير الأجر الجزيل، فالإنسان يعمل في عمر قصير، ويُعطى جنة عظيمة مخلداً فيها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾﴾ [البينة: ٧-٨].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَىٰ عَنِ الْعَبْدِ يَأْكُلُ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبُ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا» أخرجه مسلم (١).

فإن الله ﷻ ملك الملوك، الغني عن كل ما سواه، يرضى عنك بأكلة واحدة أو شربة واحدة تحمد الله عليها، والكلمة الطيبة صدقة، والاستغفار لله يسقط جميع الذنوب: ﴿قُلْ يٰعِبَادِىَ الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر/ ٥٣].

هذا من كرمه جل جلاله، فالاستغفار يسقط جميع الذنوب فيما بينك وبين ربك، البشر لا يسقطون ديونك عنك، لكن الله ﷻ اسمه الغفار، واسمه الغفور، فهو غافر الذنب جل جلاله، والمغفرة أحب إليه من الانتقام والمؤاخاة: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء/ ١١٠].

والقوي الكريم، الغني عن كل ما سواه؛ يدعوك لتطيعه لتفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة، والنفع عائد عليك، مع أنه قادر على إجبارك لو أراد: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٤).

أَرْكَعُوا وَأَسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ [الحج / ٧٧].

تودد إليك بأن هذا العمل نفعه عائد عليك، والله قادر أن يجبر الناس على ما أراد كما أجبرهم على هذا الخلق، وهذا اللون، وهذا النوع من ذكر وأنثى، وطويل وقصير، وأبيض وأسود: ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء / ٤].

لكنه كريم، فالأمر من الأوامر الشرعية من كرمه، والتعليم من كرمه؛ والأجر من كرمه، حتى نقبل على العمل، فنؤديه لله بكمال الحب والتعظيم والذل لله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

### • فهذه ثلاثة أمور:

الأوامر الشرعية والكونية من كرمه، حتى نعرفه ونعبده.  
والتعليم للأوامر من كرمه؛ حتى نقبل على الطاعة، ونحذر المعصية.  
والأجور من كرمه؛ لأننا عبيده لا نستحق عليه شيئاً؛ لأننا مماليكه.  
والعبد لا يستحق على سيده شيئاً؛ لأنه ملكه، لكن من كرمه أنه بين لك الحق، ويسره لك، وحببه لك، وأعانك على عمله، ثم ضاعف لك أجره؛ لأنه كريم.  
أما المخلوق فلا يسمى كريماً؛ حتى يكرم، لكن الله كريم قبل أن يخلق من يكرم، هو واحد قبل أن نوحده، وكبير قبل أن نقول: الله أكبر، وحميد قبل أن نحمده، وقبل أن يخلق الحامدين له وغفور قبل أن يخلق المستغفرين له: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

فما أعظم نعم الله على عباده: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم / ٣٤].  
واعلم أنك لن تصل إلى الله إلا إذا تخلقت بكمال موهوب من الله.

فالله هو الكريم الوهاب، الذي وهب العلم، وهب الكرم، وهب الرزق، وهب الرحمة، فتخلق بكمال الموهوب من الله، فأنت كريم إذ اتصلت بالكريم، ومن كان في معية العزيز فهو عزيز، ومن كان في معية الملك فهو ملك، ومن كان في معية الكريم فهو كريم.

ولا يكون في معية الكريم إلا كريم، أما اللئيم فالكريم لا يحبه جل جلاله، فإذا اتصلت بالكريم فأنت كريم. فلا بد للمسلم أن يتعرف على الكريم، ويتصل بالكريم، ويتخلق بأخلاق الكريم، لكن على شاكلة العبودية: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

والكريم والأكرم على الإطلاق هو الله ﷻ، أما العبد فهو كريم إذا أكرم بما أكرمه الله به من مال، أو علم، أو جاه، أو قوة، أو أي نعمة من النعم، فهو لا يكرم إلا إذا أكرمه الكريم الأعلى جل جلاله: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

والكرم اسم جامع لكل ما يُحمد من الأقوال والأعمال والأخلاق، فالكريم على الإطلاق واحد لا شريك له، فهو الكريم سبحانه، وكل ما سواه من كرمه، وكل كرم من الناس فهو من فضل الله الكريم وحده لا شريك له.

هو الأول في الكرم، الآخر في الكرم، العظيم في عطائه، الكبير في ذاته، العليم بكل ذرة، الحفيظ لكل كلمة، البصير بكل شيء، المحسن بكل شيء: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

هو الكريم الذي كل خير ورزق منه جل جلاله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران/ ٣٧].

فهو جل جلاله الكريم الأكرم، البر الرحيم بعباده، الذي لا ينفد ولا ينقطع عطاؤه وإحسانه إلى خلقه، الذي يعفو عن الذنوب، ويستر العيوب، ويضاعف الأجور. فهو العظيم الذي لا يعطي إلا العظيم، يعطي المؤمن جنة عرضها السموات والأرض، بل يعطيه عشرة أمثال هذه الدنيا؛ لأنه كريم، والعطاء أحب إليه من المنع.



والمسلم إذا عرف ربه بالكرم والجود، والإحسان والإنعام؛ أحبه وحمده، وأطاعه بقلبه ولسانه وجوارحه، وفعل ما يحبه وירضاه، واجتنب ما يسخطه ويكرهه، وبادر بالتوبة مما لا يرضيه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ ﴿٢٨﴾ [فاطر: ٢٨].  
 وَمَنْ أَحَبَّ اللَّهُ أَحَبَّ كُلِّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ، وَأَحَبَّ كِتَابَهُ، وَرَسَلَهُ، وَمَلَأَتْكَتَهُ، وَدِينَهُ، وَعَمَلَ بِكُلِّ مَا يَحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ.

ومن عرف الله بصفة الكرم والإحسان والإنعام؛ استحيا منه، وسارع إلى ما يرضيه، وانكسر بين يديه، وملاً أوقاته بحمده وشكره على إكرامه له، وستره عليه، ومغفرته لذنوبه، فمع كثرة الذنوب من جميع الخلق لم يمنع الله عطاءه وكرمه عنهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٤٣﴾ [البقرة/ ١٤٣].

هذا الهواء لعموم الناس، نور الشمس لعموم الناس، الأرض تعطي النباتات لعموم الناس، الحيوانات تتناسل لعموم الناس، فيأكلون من لحومها، ويشربون من ألبانها، هذا عطاء الربوبية، وليس له إلا باب واحد؛ باب الله ﷻ؛ فهو الذي خلق جميع المخلوقات، وسخرها لنا: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ [النحل: ٥٣].

هو الكريم الذي منه جميع النعم، فما سوى الله إما نعمة، أو منعم عليه، كل ما سوى الله نعمة، كل ما سوى الله من خلق السموات والأرض، والهواء والجبال، والبحار والأنهار، والنباتات والجمادات، والحيوانات، وكل المخلوقات، كلها من نعم الله ﷻ، ومنعم عليه وهو هذا الإنسان الذي يتنعم بهذه النعم، لعلها تذكّره بربه؛ ليشكره على هذه النعم: ﴿الْمُرْتَدُونَ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّثِيرٍ﴾ ﴿٦٠﴾ [لقمان: ٢٠].

فإذا عرفتم ذلك فاعبدوه جل جلاله، لأنه هو المستحق للعبادة، فالعبد إذا عرف ربه الكريم، ورأى مظاهر كرمه في هذا الكون، وتقلب في نعمه، يراها تصل إليه وإلى غيره؛ فيتعلق بالله وحده، ويتوكل عليه، ويفوض أموره إليه، ويسأل حاجاته منه؛ لأن الله ﷻ

عزیز یغار علی عبده أن یسأل غیره، فإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، فالخلاق کلها لیس بأیدیهم شیء، الأمر کله لله، الأمر من قبل ومن بعد الله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ أَلْتَّيْلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَيْثَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

فحوائج الخلق بيد واحد، المفتاح بيد واحد؛ فلا نتوجه إلا إليه، والله خلق الأحوال؛ لينظر أين نتوجه في الأحوال؟ في حال الفقر، أو المرض أو الخوف، أين نتوجه؟ إلى المخلوق أم إلى الخالق؟ فإن توجهنا إلى الخالق فله يقضي الحاجة مباشرة، كما دعا يونس عليه السلام في بطن الحوت، فالله تعالى استجاب له ونجاه من الغم: ﴿وَذَا التُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ فاستجبتنا له، وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُفَجِّجُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

ودعا نوح عليه السلام فالله تعالى أنزل من السماء ماءً، وفجر من الأرض عيوناً. ودعا أيوب عليه السلام فكشف الله عنه الضر، فالله يأتي بالأحوال؛ لينظر أين يتوجه العبد في حال الأحوال المكروهة؟ هل يتوجه إلى الحال؟ إلى المخلوقات؟ أم ينظر إلى جمال المبتلي، وأنه يريد أن يستخرج من عبودية الصبر، فكن الأول في الصبر، الأول في الحلم، الأول في الكرم.

الله هو الأول، فعلي أن أكون الأول، في الصف الأول، في الأقوال الحسنة، في الأعمال الصالحة، في الأخلاق العالية: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر: ١١-١٢].

الله تعالى كما خلق الإنسان في أحسن تقويم، يريد منه أن يأتي بأحسن عمل، وأحسن قول، وأحسن عبادة، وأحسن خلق: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يونس: ٢٦].

فمن عرف الكريم استحميا منه أن يعصيه في ملكه، وهو قاعد على موائد نعمه.

من عرف الكريم تعلق به وحده، وتوكل عليه وحده، وتوجه إليه في جميع حاجاته. إن كان مريضاً يسأل الشافي أن يشفيه، وإن كان فقيراً يسأل الغني أن يغنيه، وإن كان ضعيفاً يسأل القوي أن يقويه؛ لأن عنده خزائن القوة؛ لأنه الكريم الذي لا نهاية لكرمه، فيطمع العبد في كرمه ورحمته، ولا يلتفت لأحد سواه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

والمكرم هو من آمن بالله، واتصل بالكريم، ووقف بباب الكريم، يستغفره، ويكبره، ويسأله، ويحمده، ويدعو الناس إليه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٩١﴾ [الزمر: ٩].

وعطاء المال والبنون والأولاد، هذا ليس دليلاً على الرضا: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا نُمَدِّدْ هَهُؤُلَاءِ وَهَهُؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ [الإسراء/ ١٨ - ٢٠]. مذمومًا: لا حامد لك، مخذولًا: لا ناصر لك.

فالله سبحانه كريم، يحب الكريم، يحب المحسنين، يحب الشاكرين، يحب أهل الكرم من عباده؛ فكن كريماً بأخلاقك، وخالق الناس بخلق حسن: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ [الأعراف/ ١٣٣].

وكن كريماً بوقتك، اجعله في طاعة الله، والإحسان إلى الخلق، وإغاثة الملهوف، وإعانة المحتاج: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١١٤﴾ [النساء/ ١١٤].

وكن كريماً بعلمك؛ فعلم الجاهل، وذكر الغافل: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تُدْرَسُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ [آل عمران/ ٧٩].

واجعل كل وقتك في عبادة الله، والدعوة إلى الله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ [فصلت: ٣٣].

كن كريماً صابراً على ما يصيبك في سبيل الله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وجزاء الصبر لله لا حد له: ﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿١٠﴾ [الزمر: ١٠].  
صل من قطعك، وأعط من حرملك، واعف عن ظلمك، وأحسن إلى من أساء إليك، من أجل أن يأتي الدين في حياة الناس.

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبْتَظْمِ وَالْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

والمؤمن كريم بأقواله وأعماله وأخلاقه وأمواله؛ لأنه شكور يشكر النعمة بالانتفاع بها، وينفع الناس بها، ويشكر الله عليها: ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿١٧﴾ [التغابن/ ١٧].

فالمؤمن خصه الله ﷻ بأنواع الإكرام والكرامات، فهو دائم الإكرام لنفسه ولغيره: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ ﴿١٥﴾ [الأعلى/ ١٤-١٥].

﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٠٤﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

والله سبحانه هو الكريم، ما قبض إلا ليعسط، وما منع إلا ليعطي، وما ابتلى إلا ليعافي فإن كنت جاهلاً بهذا فاسأل الكريم أن يعلمك: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ﴿١١٤﴾ [طه/ ١١٤].  
وإن كنت فقيراً فاسأل الكريم الغني أن يعينك ويرزقك من فضله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ﴿١٥﴾ [فاطر/ ١٥].

وتوسل إلى ربك بحسن الاستقامة: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

هو سبحانه الحي بكامل الصفات: صفة الكرم، صفة العفو، صفة الإحسان، صفة الرزق، صفة القوة، صفة الحلم ، والله يمدح نفسه بأنه الحي، وحي بكامل الصفات: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٥].

وإن كنت ضالاً فاسأل الكريم الهداية، «يا عبادي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

اسأل ربك الكريم الهداية في كل وقت، في كل صلاة: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٢] الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [٣] مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ [٤] إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [٥] أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ [٦] صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ [٧] [الفاتحة: ٢-٧].

اسأل الله يفتح لك أبواب الهداية، فهو كريم يجب أن تكون في أعلى مقام، وفي أعلى عمل، وفي أعظم القصور يوم القيامة: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي جَنَّتِ وَنَهْرٍ [٥٤] فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ [٥٥] ﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

وإن كنت مذنباً فاسأل العفو الغفور أن يغفر لك: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف/ ٢٣].

﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوْءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء/ ١١٠].

وإن كنت مريضاً؛ فاسأل الكريم الشافي أن يشفيك: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء/ ٨٠].

والله ما جاء لك بالمرض إلا ليستخرج منك عبودية الصبر، ويريد منك أن تتوجه إليه في قضاء حاجتك، فقضاء الحاجات بيد الله ﷻ قد تكفل بها: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي ۙ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

أَسْتَجِبَ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾

[غافر: ٦٠].

فالإجابة حاصلة من الكريم قطعاً، لكن الله ﷻ يريد أن نتعود على سؤاله في جميع الأحوال، ولا نذل أنفسنا لغيره من مخلوق مثلنا، أو مخلوق دوننا من أحجار وأصنام، فالكريم يغار على عبده أن يسأل اللئيم، أو يسأل البخيل، أو يسأل الفقير.

بل اسأل الغني الكريم القوي القادر، الذي أوصل إليك رزقه في بطن أمك، وفي بطن الدنيا، وفي البر، والجو، والبحر؛ لأنه سبحانه الكريم الذي خيره مدارار على جميع المخلوقات، الكريم الذي يعطيك كل خير، ويصرف عنك كل شر: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ أَسْلَمَ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

هذه أسماء ربنا وصفاته؛ إذا عرفناها توجهنا إليه، ولم نلتفت إلى أحد سواه، الله عزيز يريد مني أن أكون عزيزاً، والله قوي يريد مني أن أكون قوياً، والله رحمان يريد مني أن أكون رحيماً، والله كريم يريدني أن أكون كريماً، والله مؤمن يريدني أن أكون مؤمناً، فلأمور كلها بيد الواحد الأحد؛ فالملك ملكه، والخلق خلقه، والأمر أمره، جاد بكرمه على كل أحد، ولم ينس أحداً: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ [الأنعام/ ١٧-١٨].

﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢﴾ [فاطر/ ٢].

هو الواحد الأحد، القادر على كل أحد، الغني عن كل أحد: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿١٣﴾ [البقرة: ١٦٣].

وإذا كان النبات كريماً، والحيوان كريماً، فأنت يجب أن تكون كريماً؛ فتعبد الكريم بما يليق بجلاله، وتدعو الناس إلى الكريم لينالوا كرامته، وينعموا بفضله وإحسانه: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

فتدعو الناس إلى الكريم لينالوا من كرمه، وينعموا بفضله في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٢٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهُى أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت/ ٣٠ - ٣٢].

فيا عبد الكريم، ويا أمة الكريم، لقد أكرمكم الله الكريم بنعمة الإيجاد ونعمة الإمداد، ونعمة الهداية، فلنكن جميعاً كالملائكة في الطاعة والعبادة، ولنكن كالشمس تجري في الكون بالنور والإنارة، وكالسحب تمر بكل البلاد وتسقي الأنعام والعباد، وكالأرض إذا نزل عليها بأمر الله ماء السماء؛ أنبتت من كل زوج بهيج، وأنبتت من كل زوج كريم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران/ ١١٠].

﴿كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران/ ٧٩].  
﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيحٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٥ - ٧].

فلحمد لله رب العالمين أن جعلنا من خير أمة أخرجت للناس، وأكرمنا بأنواع الكرامات التي أعلاها، الهداية لهذا الدين، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

الله ﷻ هو الكريم الأكرم، أجود من سئل، وأكرم من أعطى، وأحب شيء إليه أن يرجى ويؤمل، ويسأل، ويدعى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر/ ٦٠].

هو جل جلاله الكريم الأكرم، الذي خلق الخلق، وسخر لهم ما في السموات والأرض، ثم أكرمهم بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وشرع لهم الدين، وأذن لهم في مناجاته وسؤاله في أي وقت أرادوا: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات: ١٧].

والله ﷻ كريم، حي، قيوم، لا ينام، ولا يمل؛ ولا يغفل، ولا ينسى. الله ﷻ سميع بصير لجميع مخلوقاته، ومنّ علينا بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وهدايتنا إلى الصراط المستقيم.

فالحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً ملء السماء، وملء الأرض، وملء ما شئت من شيء بعد، والحمد لله حمداً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران/ ١٦٤].

والكريم سبحانه من كرمه أن شرع لعباده التوبة من الذنوب؛ ليتوب عليهم، وأمرهم بالاستغفار ليغفر لهم، ورغبهم في الرحمة ليرحمهم: ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣].

ورغبهم في السؤال ليعطيهم، ورغبهم في الاستغفار ليغفر لهم: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام/ ٥٤].

فسبحان الكريم الأكرم الذي شرع لعباده من الطاعات ما يمحو به الذنوب، ويرفع به الدرجات، ويزيد به الحسنات، من الأدعية والأذكار، والوضوء والصلاة، والصدقة والزكاة، والصيام والحج، وصلة الأرحام، وغيرها من القربات والطاعات الموصلة إلى روضات الجنات: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ،



زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

[الأنفال/ ٢ - ٤].

فبادر رحمك الله إلى فعل ما يحبه الكريم ويرضاه؛ تسعد في الدنيا والآخرة ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ [الحج/ ٧٧].

واعلم نور الله قلبك بحسن معرفته، واستعمل جوارحك في حسن عبادته؛ أن الكريم الحق منه التوفيق والعطاء أولاً وآخراً، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولا مقدم لما أخر، ولا مؤخر لما قدم، المملك ملكه والخلق خلقه، والأمر أمره، وعباده وخلقهم محل إحسانه ورحمته، فالعبيد كلهم له، والمال كله له، والدين كله منه والثواب كله منه، وكل ما في الكون من نعمه وحده: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ [النحل/ ٥٣].

وكل نعمة، وكل فضل، وكل إحسان، يدل على الكريم الأكرم سبحانه، ويتطلب منا الشكر والحمد والثناء؛ باستعمال النعمة في موضعها، وشكر الله عليها، والاستعانة بها على طاعة الله.

هو الكريم جل جلاله في العالم العلوي والعالم السفلي، الكريم في الدنيا والآخرة، هو الكريم جل جلاله الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وهو الأول في الأسماء الحسنى، والصفات العلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٨﴾ [طه: ٨].

ومن هذا شأنه، وهذا إحسانه، وهذا كرمه؛ كيف لا يحبه العبد؟ وكيف لا يستحي منه جل جلاله؟ وكيف لا يخاف منه؟ وكيف يقبل أن يصرف شيئاً من أنواع العبادة إلى غيره؟ وكيف يستأنس بغيره ويعرض منه؟ وكيف يتعلق بغيره ويتعد عنه؟ ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَىٰ الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَىٰ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ ﴿٤٦﴾ [الحج/ ٤٦].

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِ بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٤﴾ ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ

دُونَ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ؛ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً  
وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ [الأحقاف / ٤ - ٦].

فالحق واضح وأبين من كل بين: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي  
الْصُّدُورِ﴾ ﴿٤٦﴾ [الحج / ٤٦].

ومن يهد الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، نسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم هداةً  
مهتدين، فاللهم اهدنا، واهد بنا، واجعلنا سبيلاً لمن اهتدى.

واعلم أن الكريم قد أكرمك بالإيمان والتوحيد؛ فاعبده مخلصاً له الدين، وما أكرمك إلا  
لعلمه أنك أهل للكرامة؛ أهل للكرامة في الدنيا بالتوحيد، والإيمان، والعطاء من  
الأرزاق، وأهل لأن تكون يوم القيامة: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ﴾ ﴿٥٥﴾  
[القمر / ٥٥].

الكريم أكرمك بالإيمان والتوحيد؛ فاعبده مخلصاً له الدين، والعبادة هي طاعة العابد  
لمعبوده فيما أمر به، مقرونة بالخشوع والتذلل له، والتعظيم له جل جلاله.

فاحمد ربك الكريم الذي أكرمك بالتوحيد والإيمان، وحبب إليك الطاعة، فاعبده  
مخلصاً له الدين؛ واملاً جميع أوقاتك بذكره وحمده، كما ملأ الكون لك بفضلته  
ونعمه: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ ﴿١٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾  
[الحجر / ٩٨ - ٩٩].

ولا يشغلك أحد من خلقه عنه، فكن في الليل مع الكريم، احمده واسأله، وفي النهار  
أكرم خلقه، وعلمهم الدين، وادعهم إليه، وأحسن إليهم، وكن في الليل مع الغني؛  
اسأله من فضلته، وفي النهار أنفق على عباده مما أعطاك الله من مال وعلم وخلق  
وخير: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ  
إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾  
أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

[الأنفال: ٢ - ٤].

أحد الإخوة من كبار النصارى درس في الفاتيكان ست سنوات، ومعه ست شهادات، وتعلم النصرانية، وأخذ رتبة عالية في النصرانية، وسبحان الله! لما أراد له الهداية ساقه ليعمل في إحدى دول الخليج، ولعلها في بلاد الحرمين، فجاء إلى هذه البلاد، وتنصر على يديه اثنان لا أدري ما جنسيتهما، ولكنه ظل يبحث عن الحق، وينشر الدين الذي جاء به. وقال: نحن في دين النصرانية على ضلال، يقول: نحن نعبد الصليب، ولما رأى المنارة فوقها الهلال، قال: والمسلمون يعبدون الهلال، إنما نحن نعبد الصليب، وهم يعبدون الهلال، فلم يطمئن لهذا ولا هذا، ولكنه نظر للإغراء المادي والعطاء الجزيل للكنيسة، وهو يقوم بعمله بالتنصير، ولما أراد الله ﷻ هدايته، بحث عن ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية، يقول: فما وجدته إلا في بلدة المجمععة، فلما وجدته فتحت الكتاب وقرأت: ﴿الذَّارِعَاتُ ۙ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْبِرِّ ۙ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفَسَادِ ۙ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْبِرِّ ۙ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفَسَادِ ۙ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْبِرِّ ۙ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفَسَادِ ۙ﴾ [البقرة/ ١ - ٢].

هذا كلام رب العالمين كلام عظيم، ذلك الكتاب ﴿الذَّارِعَاتُ ۙ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْبِرِّ ۙ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفَسَادِ ۙ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْبِرِّ ۙ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفَسَادِ ۙ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْبِرِّ ۙ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفَسَادِ ۙ﴾ [البقرة/ ١].

هذه الحروف المكون منها القرآن: ﴿الذَّارِعَاتُ ۙ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْبِرِّ ۙ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفَسَادِ ۙ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْبِرِّ ۙ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفَسَادِ ۙ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْبِرِّ ۙ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفَسَادِ ۙ﴾ [البقرة/ ٢].

من أول يوم هو حق: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ۙ﴾ [البقرة/ ٢].

صفتهم: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۙ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۙ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۙ﴾ [البقرة/ ٣ - ٥].

يقول: فتأثرت من هذا، فقرأت آيات كثيرة من سورة البقرة، ثم قرأت في آل عمران، ثم قرأت في سورة مريم، وعلمت الحق في عيسى عليه السلام، يقول: فانشرح صدري للإسلام فأسلمت والحمد لله، كان اسمه دي لويس، فسمى نفسه محمد شريف.

والله ﷻ بفضله ومنه أعطاه الهداية، وأسلم على يديه ما لا يقل عن عشرين ألف من النصارى من دول مختلفة، وفي أوقات مختلفة، وفي مجلس واحد - وهذا شيء رأيته أنا أسلم على يديه من كبار القساوسة ممن لهم مقام كبير في دين النصارى؛ حتى أنه أسلم على يديه شخص نصراني كان يعلق الصليب، وجاء بأكثر من مائة شخص نصراني

وجمعهم في مكان، وتكلم معهم، وكنت حاضراً في ذلك المجلس، فتكلم هو عن النصرانية.

ثم تكلم عن الإسلام، وفي ذلك المجلس أسلم تقريباً نصف الحضور، حوالي خمسة وخمسون شخصاً، ومن النساء أسلم كذلك مجموعة.

فالله ﷻ هو الذي حركه، الذي هداه هو الذي يسير الكواكب في الكون، هو الذي يسير الخلق بحسب علمه، من أراد الله به خيراً؛ سيره في أعمال الأنبياء والرسل: ﴿هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [يونس: ٢٢].

وكنت معه في السفر في روسيا، فقال لنا: تجولت في هذه البلاد، وأفسدت وأضللت الناس، ونقلتهم من الشيوعية إلى النصرانية، والآن أريد أن أدعوهم إلى الله، والحمد لله دعا إلى الله، وجاء بمجموعة وأسلمت على يديه، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فهو الكريم جل جلاله الذي يفرح بتوبة عبده، وكل الصحابة كانوا في الجاهلية يعبدون الأصنام إلا القليل من الحنفاء، وكانوا شر القرون، فصاروا بفضل الله خير القرون، فصاروا الصف الأول، واقتدى الناس بهم، وهم قدوة الناس إلى يوم القيامة، وهذا من عطاء الكريم جل جلاله: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فكن في الليل مع الغني الكريم؛ اسأله من فضله، في النهار أنفق على عباده مما أعطاك الله من مال وعلم وخير، فليس الوقت لك، الوقت لله، والعمر لله، والسمع لله، والبصر لله: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِثْلَ آبَائِهِمْ خَيْرًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٦١] قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [١٦٢] لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ [١٦٣] ﴿[الأنعام/ ١٦١ - ١٦٣].

فمن سلم قلبه وجوارحه وأوقاته لله في الدنيا؛ سلمه الله يوم القيامة القصور الملكية مع الخلود والنعيم الدائم: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢].

وكن في الليل مع العفو الحليم، اسأله أن يغفر لك، وأن يعفو عنك، ويحلم عليك، ويحلم على الأمة، وفي النهار اعفُ عن ظلمك من الناس، وأحسن إلى من أساء إليك، واحلم على من أعاذك، فتجرّع هذه المرارات واصبر على ذلك؛ ابتغاء مرضاة الله ﷻ.

ففي الليل تناجي رب الخلق: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلَنْتَ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

وفي النهار تحسن إلى الخلق: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾﴾ [المزمل / ٧].

والسبّاح لا بد أن يحرك يديه ورجليه وإلا غرق في الماء، رزقك الله لسأنا يتحرك بين الناس بالأخلاق العالية، بالأقوال الحسنة، بالفضائل، بإكرام الناس، بتأليف قلوبهم؛ حتى يقبلوا الدين الذي تحمله، فكن في النهار تعفو عن ظلمك، وأحسن إلى من أساء إليك، واحلم على من أعاذك: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران / ١٣٣ - ١٣٤].

واعلم أن الكريم أعطاك من نعمه، وخصك بهديته، وحبب إليك عبادته، فاجتهد على ذرية آدم ﷺ ليتوبوا إلى ربهم، ويهتدوا إلى خالقهم، وتفوز أنت بالهدى وجزيل الأجر، بالدعوة إلى الله، وتعليم أحكام دينه، وإنفاق الأوقات والأموال في سبيله

● فالدنيا مجلسان:

مجلس للرحمن .. ومجلس للشيطان.

فالناس إما في مجلس ملكي .. أو في مجلس حيواني .. أو في مجلس إبليسي.

فأحسن المجالس وأعلى المجالس هي المجالس الإيمانية التي يتعرف المسلم فيها على ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويتحلى بالأخلاق التي يحبها الله، ويذكر محاسن الدين بين الكفار الذين فيهم القبائح، فيعودوا يحملون المحاسن محسنين مؤمنين بربنا ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت / ٣٣].

والدعوة إلى الله تكليف وتشريف، وتخفيف: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل / ١٢٥).

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً». أخرجه البخاري (١).

«بَلِّغُوا»: تكليف، «عَنِّي»: تشريف؛ لأنك نائب النبي ﷺ في أمته، «وَلَوْ آيَةً» تخفيف. فمن رحمة الله ﷻ بنا أن جعل كل واحد منا يدعو إلى الله بما معه من القرآن، وأقله آية، فلنحرص على معالي الأخلاق وجميلها، ونتصف بالصفات التي يحبها الله.

ويحذر من التعرض لسخط الرب بفعل ما يغضبه وارتكاب ما حرمه، فمن فعل ذلك وأقبل على المعاصي والمنكرات والفواحش؛ فقد استدعى من الكريم الرحيم خلاف ما هو موصوف به من البر والجود والإحسان، وعرض نفسه لسخط ربه وعقوبته، وأن يُصير سخطه موضع رضاه جل جلاله، وانتقامه وعقوبته موضع كرمه وعطائه ومثوبته، فالعاصي بمعصيته يجعل الله ﷻ يصير سخطه موضع رضاه: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الزخرف: ٥٥).

والله يحب المؤمنين، ويجب المتقين، ويجب المحسنين، لكن العاصي بمعصيته يجعل الله ﷻ ينتقم، ويرد الظالم عن أشياء تهلك الحرث والنسل: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم / ٤١).

فالله ﷻ يستعمل من صفاته خلاف ما هو موصوف به؛ بسبب هذا العاصي، وهذا الفاجر، وهذا الكافر: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (المائدة / ٧٨).

جاءتهم اللعنة بسبب المعصية والاعتداء: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٧٩) تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٦١).

مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسَهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾  
[المائدة/ ٧٩ - ٨٠].

فمن عصى ربه الكريم؛ فقد استدعى بمعصيته وفجوره من أفعال ربه ما سواه أحب إليه منه، وهو الجود والإحسان والبر: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف/ ٩٦].

وإذا بسط الله لك في مالك أو علمك أو جاهك أو أخلاقك؛ فأنفق مما آتاك الله من فضله، وأحسن إلى عباده كما أحسن الله إليك، وأنفق ينفق عليك: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [الحديد/ ٧].

واشكر من بسط لك نعمه، وقبض عنك نقمه، بلزوم طاعته، ودوام ذكره وشكره وحسن عبادته، وامثال أوامره، واجتناب نهيه؛ تسعد في الدنيا والآخرة: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٢ - ١٣٣].

ومن ضيق الله ﷻ عليه في ماله، أو علمه، أو خلقه، أو جاهه؛ فليلجأ إلى الكريم وحده، وليطلب منه مدده وعونه وفضله، فلا باسط لما قبض، ولا قابض لما بسط، فهو ما منع إلا يعطي، ولا قبض إلا ليبسط، ولكن يريد من عبده أن يسأله.

● فإذا أكرمه فكشف عنه ضره، وأعطاه النعمة؛ فاز هذا العبد بسبع كرامات:

توبة جديدة .. وإيمان جديد .. وحياء جديد من ربه .. وحمد جديد لربه .. وحب جديد لربه .. وتعظيم جديد لربه .. وطاعات جديدة لربه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [البقرة: ٢١٦].

وكذلك إذا كشف عنه الضر، سأل ربه أن يشفيه من المرض، فشفاه الله ﷻ؛ فحين ذلك يحصل له سبع كرامات: توبة جديدة، وإيمان جديد، وتعظيم جديد لله ﷻ، وحمد جديد لله، وحياء جديد من الله، وحب جديد للكريم جل جلاله، وطاعات جديدة خلاف ما سبق.

والنعم والبلاء هذه فائدتها أنها تعطي للمسلم هذه الكرامات، ولكن الناس تنظر إلى النعمة، وينشغلون بها أكثر، ويستغنون بها عن المنعم، أو البلاء، فيجتهدون في رفع البلاء ولا ينظرون إلى جمال المبتلي، فهو ما ابتلاك إلا ليربيك، ويرقيك إلى درجة عالية، فالبلايا تكفر الذنوب، وترفع الدرجات: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

فنسأل الله ﷻ أن يمن علينا بجنة المعرفة، معرفة الله بأسمائه وصفاته، ومعرفة ملكه وسلطانه، ومعرفة نعمه وإحسانه، ومعرفة دينه وشرعه، ومعرفة وعده ووعيده، هذه جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة.

من أعظم ثمراتها: رضوان الله ﷻ، ورؤية الرب ودخول الجنة، فهذه جنة المعرفة: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٨-٢٩].

والمسلم يكره الموت؛ لأنه سيخرج من هذه الجنة؛ جنة المعرفة، وجنة التعبد لله، وجنة حب الله ﷻ، وجنة معرفة أحوال الأنبياء، والسير على هدي الأنبياء، نسأل الله ﷻ أن يرزقنا وإياكم ذلك.

فنشكر الله ﷻ في حال البسط، ونرضى بالقضاء، واجتنب الضجر حال القبض، والحذر من مفارقة الأدب مع الله في حال البسط، بالإدلال والمنة: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّينَ ﴿٣٥﴾﴾ [سبا/ ٣٥].

﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوِّدَكَ فَعَدَدَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار/ ٦-٨].

غرك حلمه، غرتك نعمه، فلا تغرنك هذه، واشتغل بأداء أوامر المنعم عن النعمة، واستعن بالنعمة على طاعة المنعم: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة/ ١٧٢].



فَاللَّهُ عَزَّ مِنْهُ كُلُّ نِعْمَةٍ، وَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنْكَ، وَعَنْ غَيْرِكَ، وَعَنْ جَمِيعِ الْعَالَمِينَ: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت/ ٦].  
 فمن عمل صالحاً فلنفسه، ومن أساء فعليها: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء/ ٧].

فاجتهد في طاعة ربك، وارض بما قسم الله لك، ولا تمن وتنبسط في حال البسط، ولا تشك في حال القبض؛ لعلك تنجو: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَاؤًا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [٦٠] ﴿يَسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [٦١] [المؤمنون/ ٦٠ - ٦١].

فكل فضل وتوفيق منه جل جلاله، وكل معصية وذنب فهو من الإنسان: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ [النساء/ ٧٩].

فسارع إلى الخيرات، ولا تطلب من الدنيا ما زواه الله عنك، وصرفك عنه برحمته: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/ ٢١٦].

واعلم أن ربك ذو الجلال والإكرام وحده لا شريك له، هو القوي القادر القاهر، وهو الكريم الأكرم، هو ذو الجلال والإكرام وحده لا شريك له، واسأله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب، فإذا حلت بك مصيبة، أو نزلت بك بلية وملمة، أو أصابتك نكبة؛ فالجأ إلى ذي الجلال والإكرام؛ فهو قادر قوي قاهر، وكريم حلیم رحيم، الجأ إلى ذي الجلال والإكرام؛ فإنه لا يقدر على رفعها عنك إلا هو: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ أَرْضِ أَيْلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [٦٢] [النمل/ ٦٢].

فسبحان من جلاله قهر كل شيء، وجماله فتح باب القبول والوصول، وجماله وجماله ظهر في كل شيء من مخلوقاته: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [٨] [طه/ ٨].  
 ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَرْجُلَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [١٤٧] [آل عمران: ١٤٧].

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾

[الفرقان: ٧٤].

اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، و عليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت .  
اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن  
والإنس يموتون، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل  
شيء قدير؛ لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة، وله  
الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا.

اللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم يا كريم، افتح لنا أبواب رحمتك، واهدنا لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق، لا  
يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها، لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.

يا أرحم الراحمين، ويا أكرم الأكرمين، اللهم أغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن  
معصيتك، وبفضلك عمن سواك، يا أرحم الراحمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك .  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحَسَنَاتِ

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الحميد

# موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

## اسم الله الحميد

الله عَلَّمَ هو الحميد، واسم الحميد من أسماء الله الحسنى الجامعة: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ  
الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

• وأسماء الله الحسنى من حيث معانيها تنقسم إلى أربعة أقسام:

الأول: الأسماء الدالة على صفات ذاتية للرب جل جلاله، والصفة الذاتية هي كل صفة لا تنفك عن الذات، ولا تعلق لها بالمشيئة؛ ومن هذه الأسماء: الحي، القيوم، السميع، البصير، العليم، الخبير؛ فهذه أسماء لا تنفك عن ذات الله، ولا تعلق لها بالمشيئة؛ فالله قوي أبداً، عزيز أبداً، عليم أبداً، سميع أبداً.

الثاني: الأسماء الدالة على صفة فعلية للرب عَلَّمَ، والصفة الفعلية هي كل صفة تتعلق بالمشيئة، إن شاء الله فعلها، وإن شاء لم يفعلها، ومن هذه الأسماء:

الخالق، الرازق، التواب، العفو، الغفور، الرحيم، وغيرها من الأسماء، فالخالق جل جلاله يخلق إذا شاء، ويكرم إذا شاء، ويرزق إذا شاء، ويتوب على من يشاء، ويرحم من يشاء، ويغفر لمن يشاء.

الثالث: الأسماء الدالة على التقديس والتنزيه للرب عما لا يليق بجلاله، ومن هذه الأسماء: القدوس، السلام، السبوح، وأمثالها، فهو سبحانه سلام من كل نقص وعيب وآفة، قدوس سبوح، منزّه عن جميع النقائص والعيوب: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

الرابع: الأسماء الدالة على جملة أوصاف عظيمة حسنى للرب جل جلاله.

ومن هذه الأسماء: اسم الله العظيم، واسم الله الحميد، واسم الله المجيد، الملك، الصمد؛ وأمثالها من الأسماء العظيمة الجامعة.

فالعظيم جل جلاله مَنْ له كمال العظمة في ذاته وأسمائه وصفاته؛ فهو عظيم في ذاته وأسمائه وصفاته، وعظيم في ملكه وسلطانه، وعظيم في أقداره وفي أفعاله جل جلاله،

وعظيم بما أنزل من هذا القرآن العظيم، ومَنَّ علينا بهذا الدين العظيم .  
والحميد يدل على كثرة حمده، وكثرة الحامدين له، وكثرة ما يُحمَد عليه .  
فاسم الله الحميد من الأسماء الجامعة لعدة أوصاف، يدل على كثرة حمده، فكلُّ يحمده،  
هو حمد نفسه، والملائكة يحمِدونه، ويسبحون بحمده، والخلائق كلها تحمده، وتسبح  
بحمده: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

ويدل كذلك على كثرة الحامدين له، وكثرة ما يُحمَد عليه من النعم التي لا تعد ولا  
تحصى، الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجليلة، والمثل الأعلى في  
السموات والأرض: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].  
وعبودية هذا اللسان مرتبطة بالقلب؛ فما في القلب ينطق به اللسان، وأحياناً ينطق  
اللسان بما ليس في القلب كالمنافقين .

#### • عبودية اللسان في أمرين:

أن تتكلم مع الله .. وأن تتكلم عنه .

فالكلام معه هو العبادة، رب اغفر لي وارحمني: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا  
لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف/ ٢٣].

فتتكلم معه، تكبره، وتعظمه، وتسأله، وتستغفره، وتحمده .

والكلام عنه هو الدعوة فتقول: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ  
الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [٢٢] هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ  
الْمُهَيَّبُ [الحشر/ ٢٢-٢٣].

وتقول: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [١] اللَّهُ الصَّمَدُ [٢] لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ [٣]  
[الإخلاص/ ١-٣].

وقد ورد اسم الله الحميد في القرآن سبع عشرة مرة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ  
وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر/ ١٥].

فهو سبحانه الحميد الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلا، والأفعال الحميدة،  
والملك والسلطان، وله من أسباب الحمد ما يقتضي أن يكون محموداً؛ وإن لم يحمده أحد؛

فهو الحميد الذي حمد نفسه قبل أن يحمده أحد، هو الحميد المحمود عند خلقه؛ لما أولاهم من نعمه، وبسط لهم من فضله، وعمهم بإحسانه، الذي يحمده خلقه في كل زمان ومكان، الذي له الحمد كله في كل حال، له الحمد على نعمة السراء والضراء، وعلى كل نعمة: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ [النحل/ ٥٣].

هو سبحانه الحميد الذي أسأؤه أحسن الأسماء، وصفاته أحسن الصفات، وأفعاله أجمل الأفعال، فهي دائرة بين أفعال البر والإحسان التي يُحمد عليها؛ فكل ما نراه في الكون من نعم الله، ومن بره وإحسانه إلى خلقه.

أفعاله جل جلاله دائرة بين أفعال البر والإحسان التي يحمدها، وبين أفعال العدل التي يحمدها؛ لموافقتهما الحكمة والعدل، فمن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف.

وأما العدل فهو أن يجازي العبد على السيئة بالسيئة: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلٍهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].  
فهو المحمود على كل ما في الكون من خلقه وأمره وتدبيره: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه/ ٨].

واسم الله الحميد الصفة المشتقة منه هي صفة الحمد، وهي من صفات الله الذاتية. فهو محمود أبداً قبل أن يخلق الخلق، وقبل أن يحمده حامد.

والله ﷻ قد حمد نفسه قبل أن يحمده حامد، وافتتح خمس سور من سور القرآن بحمده؛ فقال في سورة الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الرحمن الرَّحِيمِ ٢] مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ [٤] [الفاتحة: ٢-٤].

وفي سورة الفاتحة أكثر من ألف ألف مسألة، ومن تأملها بنفسه استخراجها، فكل نعمة تقتضي حمداً، كل نفس من الأنفاس التي يتنفسها الإنسان تقتضي حمداً، الإنسان يتنفس في اليوم أكثر من أربعة وعشرين ألف نفس، على كل نفس على العبد أن يحمده الله على هذه النعمة، فالنعم في داخل الإنسان، في خلقه وتصويره، والنعم خارج الإنسان من الهواء والطعام والشراب، كل هذه النعم تقتضي حمد الله ﷻ: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ

وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

وكذلك افتتح الله سورة الأنعام بالحمد فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ ﴿١﴾ [الأنعام/ ١].  
هذا حمد على نعم الله المادية التي لا تعد ولا تحصى.  
وكذلك الله ﷻ افتتح سورة الكهف: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ ﴿١﴾ [الكهف/ ١].

فهذا حمد على النعم المعنوية.

وكذلك الله ﷻ افتتح سورة سبأ بالحمد فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١﴾ [سبأ/ ١].  
وكذلك الله ﷻ افتتح سورة فاطر بالحمد؛ فقال سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِئِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ زَيْدٍ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾ [فاطر/ ١].

فسورة الأنعام تتكلم عن النعم المادية، وسورة فاطر تتكلم عن النعم المادية، وكذلك سورة سبأ، وسورة الكهف تتكلم على النعم الروحية، وسورة الفاتحة تتكلم عن النعم المادية والروحية معاً.

فالحمد صفة لله ﷻ، هو حمد نفسه قبل أن يحمده حامد من خلقه فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ [الفاتحة/ ٢].

جمعت بين النعم المادية، والنعم الروحية، هو الذي يربينا بنعمه المادية، نعمة الخلق والإيجاد، ونعمة الأقوات؛ وكذلك يربينا بنعمه الروحية، وهي: نعمة إنزال الكتب، وإرسال الرسل.

والصفة المشتقة من اسم الله الحميد هي صفة الحمد، وهي من صفات الله الذاتية، كما قال سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر/ ١].  
وقال النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ؛ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ

مَثَلُ زَبَدِ الْبَحْرِ» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.

فإن الله ﷻ له الحمد أبداً؛ لأنه منعم أبداً، النعم في الدنيا والآخرة، منه وحده.

فله الحمد في الأولى والآخرة على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وعلى أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الجميلة، وعظمة ملكه وسلطانه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادَعُوهُ مَخْلَصِينَ لَهُ الَّذِينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥].

فإنه سبحانه محمود على صفات الجلال والكبرياء، ومحمود على صفات الجمال والإكرام؛ ولهذا اقترن اسم الله الحميد بالمجيد؛ لأنه سبحانه ذو الجلال والإكرام: ﴿رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود/ ٧٣].

فهو جل جلاله الجميل الذي له الجمال التام من جميع الوجوه، جمال الذات، فله الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وجمال الأسماء والصفات، وجمال الأفعال؛ فكل أفعاله جميلة يحمد عليها، وكل صفاته جميلة يحمد عليها: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

فهو سبحانه الحميد ذو الأسماء الحميدة، والصفات الحميدة، والأفعال الحميدة، ولجلاله وجماله، وإنعامه وإحسانه يستحق وحده الحمد والمحامد الكاملة بأسرها على الإطلاق: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٣٦] ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

والحمد لله هو أوسع الصفات، وأعمّ المدائح، والطرق إلى العلم به في غاية الكثرة؛ لأن كل نعمة لا بد أن تقترن بحمد الله؛ فالسماوات، والأرض، والجبال، والبحار، والنباتات، والحيوانات، والملائكة؛ وجميع المخلوقات هذه كلها من نعم الله ﷻ، خلقها شاهدةً بوحدانيته، ومسبحةً بحمده، ومستجيبةً لمشيئته، ومسرعةً إلى إرادته، وخاضعةً لأمره؛ لأنه الملك الواحد القهار، القاهر لكل قاهر: ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء/ ٤٤].

فإنه سبحانه ملاً الكون بنعمه، وكل نعمة مستوجبة لحمده: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٤٠٥).



إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٣٦﴾ [لقمان/ ٢٦].

هو الحميد الذي ملأ الكون بنعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

﴿الْمُرْتَدُونَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ ﴿٤٠﴾ [لقمان: ٢٠].  
وإذا عرفنا ذلك؛ شكرنا المنعم وحمدناه وكبرناه وعظمناه؛ لجلاله وجماله وكبريائه، ولعظمة إحسانه الذي لا يعد ولا يحصى.

فكل ما في الكون من النعم مستوجب لحمد الله ﷻ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ ﴿١﴾ [الأنعام: ١].  
هو الحميد الذي يحمده خلقه في العالم العلوي، والعالم السفلي، في الدنيا والآخرة، من في عالم الغيب، ومن في عالم الشهادة.

فاسم الله الحميد اسم هو فعيل بمعنى مفعول، أي محمود، ويأتي حميد بمعنى فاعل أي: حامد؛ فهو سبحانه محمود وحامد، هو محمود من خلقه، وحامد لنفسه، وخلقه يحمده.

فهو سبحانه الحميد الذي يحمد ويثني على نفسه، وأسمائه وصفاته، وأفعاله؛ لكماله وجلاله وجماله.

فهو يحمد نفسه جل جلاله، ويثني على نفسه، وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ لأنه أهل أن يحمد لعظيم جلاله وجماله، ولكماله، فهو سبحانه أهل الثناء والمجد، والحمد الخالص؛ لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السماوات والأرض: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ [الفاتحة: ٢-٥].

وقدس ذاته وأسماءه وصفاته وأفعاله عن النقائص والعيوب، وهو سبحانه الحميد الحامد لكل من يستحق الحمد، هو حميد حامد لكل من يستحق الحمد من عباده؛ لإيمانهم به، وطاعتهم له، وحمدهم له.

هو سبحانه المحمود من عباده؛ بحمدهم له، وحسن الثناء عليه؛ لما يروونه من جلاله وكبريائه وعظيم نعمه وإحسانه.

ونحمد الله ﷻ أن أنزل علينا هذه الآية العظيمة التي جمعت جميع المحامد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة/ ٢].

فالحمد لله: جملة اسمية مكونة من مبتدأ وخبر، الحمد: مبتدأ، والله: خبر؛ انتهى الكلام، الحمد شيء، هذا الشيء لا يُصرف إلا لله وحده، لما أقول: هذه الدار لمن؟ هذه السيارة لمن؟، يقال لفلان، فكأن الحمد لا يصرف إلا لمن يستحق الحمد، ومن يستحق الحمد؟ الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى في السماوات والأرض: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٨٢) [الصفات: ١٨٠-١٨٢].

فسبحان الحميد الذي له جميع المحامد والمدائح، الذي حمد نفسه، وحمده غيره؛ لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى.

هو سبحانه الحميد الذي حمد نفسه على وحدانيته، وعلى ربوبيته، وعلى ألوهيته.

فالحمد لله تدل على التوحيد، وتدل على الشكر، ففيها توحيد، وفيها عبادة بتوجيه الحمد للرب.

فهو سبحانه الحميد الذي حمد نفسه على وحدانيته قبل أن يخلق الخلق، وقبل أن يخلق الحامدين له، وقبل أن يعلم الحامد كيف يحمده؛ فهو المحمود جل جلاله، وهو الكبير قبل أن تكبره، وقبل أن يخلق من يكبره، وقبل أن يخلق من مخلوقاته الكبير؛ كالعرش والكرسي، والسماوات والأرض، وغيرها: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) [الحشر: ٢٢-٢٤].

فهو سبحانه الحميد الذي حمد نفسه على وحدانيته، وعلى نعمه وإحسانه، وعلى دينه وشرعه، وحمد نفسه على ربوبيته وعلى ألوهيته؛ فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤﴾ [الفاحة/ ٢-٤].

والله ﷻ عزيز، والعزة صفة كمال لله ﷻ، وهو الحميد، والحمد صفة كمال أخرى، واقتران العزة بالحمد صفة كمال ثالثة لله تعالى كما قال سبحانه: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾ [البروج: ٨-٩].

فله سبحانه الحمد على عزته، وله الحمد على إعزازه لأوليائه، ونصره لجنده، وإهلاكه لأعدائه؛ فالله يحمد على عزته، وعلى جلاله وجماله.

وهو سبحانه محمود على عزته؛ لأنها جارية على سنن الرحمة والحكمة والعدل والإحسان، فهو عزيز لا يُغلب، وهو عزيز منيع، عزيز لا يغلبه أحد، هو الغالب لكل غالب.

لكن عزته جارية على سنن الرحمة، والحكمة، والعدل، والإحسان، كم من عزيز ظالم! كم من عزيز فاجر! لكن الله عزيز، عزته مقرونة بالحمد؛ فهي عزة حمد؛ لأنها منزهة عن كل العيوب والنقائص والظلم؛ ولهذا استحق سبحانه أن يحمد على عزته.

هو سبحانه العزيز الحميد الذي عزته تجري على سنن الرحمة والحكمة والعدل والإحسان، فكل من آمن به جل جلاله، وتمسك بصراطه المستقيم، كانت له العزة؛ لأن الذي يتصل بالعزيز فهو عزيز، والذي يتصل بالملك فهو ملك، والذي يتصل بالمؤمن هو آمن، والذي يتصل بالحميد فهو محمود؛ لأنه اتصل بالحميد، واستفاد من الحميد الصفات والأقوال والأخلاق الحميدة.

فكل إنسان آمن بالله، وتمسك بصراطه المستقيم لا شك تكون له العزة، ويكون له من العزة والحمد بقدر تمسكه بهذا الصراط المستقيم؛ فهو عزيز لا يغلب، ولا يقدر أحد على إضلاله؛ فله الرفعة والعزة في الدنيا والآخرة: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ [سبأ/ ٦].

فالله سبحانه هو الحميد، وهو الغني، وهو القوي، وله من الأسماء الحسنی، والصفات العلی ما يستوجب حمده.

وكذا الغنى صفة كمال لله، والحمد صفة كمال أخرى، واقترانها معاً صفة كمال ثالثة، كما

قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان/ ١٢].

فالله سبحانه حمد نفسه، وحمده خلقه على غناه من جميع الوجوه؛ فهو الغني، وكل ما سواه فقير إليه في إيجاده وبقائه ونفعه وضره: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

فالله سبحانه هو الغني بذاته وأسمائه وصفاته عن كل ما سواه، الغني الذي يغني غيره من خلقه بما يشاء، وهذا أقصى الكمال وأعلاه.

فالله سبحانه غني عن كل أحد، يحتاج إليه كل أحد، حميد قبل أن يحمده أحد، لا يضره الإعراض عن حمده وشكره، ولا ينفعه التقرب إليه بحمده وشكره؛ بل المنتفع هو الإنسان؛ الله هو الغني الذي لا يحتاج إلى أحد، الحميد بذاته قبل أن يحمده حامد، وله جميع المحامد، وإن كفره جميع الخلائق؛ لأنه الغني عن جميع الخلائق: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [لقمان/ ٢٦].

وإذا عرفنا أنه الغني؛ فلنقف ببابه، ولا نقف بباب الفقير، وإذا عرفنا أنه الحميد؛ فلننظر لماذا نحمده؟، نحمده لجلاله وجماله وكبريائه، وعظمته، وجبروته، ونحمده على إحسانه وإنعامه؛ فهو محمود في العالم العلوي، والعالم السفلي، وجميع مخلوقاته عظيمة، والعظيم خلق كل عظيم، من صغير وكبير، والجميع يسبح بحمده، والجميع واقف بباب عبوديته، والجميع من خلقه في العالم العلوي والعالم السفلي متذلل لعظمته، متصاغر لكبريائه، مسبح بحمده، شاهد بوحدانيته: ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يَقُولُونَ عَلَوًا كَبِيرًا﴾ [٤٣] تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٣-٤٤].

والله سبحانه حكيم، والحكمة صفة كمال لله، والحمد كذلك صفة كمال أخرى، واقتران الحميد بالحكيم صفة كمال ثالثة.

واسم الله الحميد من الصفات الجامعة لصفات كثيرة، فالحميد يقتضي اسم الحي، اسم السميع، اسم البصير، اسم الخالق، اسم الرازق، اسم الكريم، اسم الرؤوف، اسم القوي، اسم القادر، نحن نحمده لعظمته، ونحمده لإحسانه.

فالحميد اسم جامع، فإذا جُمع معه اسم آخر جامع فهذا كمال آخر، فالحكمة صفة كمال  
 لله ﷻ، والحمد صفة كمال أخرى؛ واقتران الحميد بالحكيم صفة كمال ثالثة: ﴿وَإِنَّهُ  
 لَكِنَّبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۗ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾  
 [فصلت/ ٤١-٤٢].

فالله سبحانه حكيم ذو حكمة، وذو حُكم نافذ على ما يريد فأفعاله كلها في منتهى  
 الحكمة، والرحمة والعدل، والإحسان والجمال والجلال، كل أفعاله، في منتهى الحكمة،  
 فله الحكم في السماوات والأرض، وله الحكم في الدنيا والآخرة، وله الحكم وإليه  
 ترجعون؛ فهو حكيم ذو حكمة، وذو حكم؛ فالحكم كله لله، وهو الحكيم في أحكامه:  
 ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ  
 تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصاص: ٨٨].

له حكم عالم الدنيا وعالم الآخرة، حكم العالم العلوي والعالم السفلي، وحكم عالم الغيب  
 وعالم الشهادة.

وجميع أحكامه الكونية، وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية كلها في منتهى الحكمة،  
 وربنا جل جلاله حكيم متصف بالحكم العام، النافذ على كل ما سواه، لا مانع له، ولا  
 مدافع: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].  
 والله سبحانه حكيم ذو حكمة، الحكم كله له: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ  
 الْفَصِّلِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنعام: ٥٧].

فهو سبحانه حكيم ذو حُكم، وذو حكمة؛ وهذا أقصى الكمال وأعلاه، وكم من الناس  
 حاكم لكن لا حكمة له! لا بصيرة له! وكم من الناس حكيم لكن لا حكم له!، أما  
 الرب سبحانه فهو حاكم له الحكم في السماوات والأرض، وحكيم كل أحكامه في  
 منتهى الحكمة، يضع الشيء في موضعه، وهو المحمود على كل ذلك.

فالحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً، ملء السماء، وملء الأرض وملء ما  
 شئت من شيء بعد، أهل الشناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما  
 أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد.

فهو سبحانه حكيم حاكم على غيره، وحكيم في أفعاله، وقدم سبحانه في هذه الآية ذِكْر

الحكيم على الحميد؛ لأن الحمد مفرّع على الحكمة.

فالله سبحانه استحق الحمد كله على نعوت جلاله وجماله، وكمال حكمته في خلقه وأمره.

والله سبحانه محمود على ولايته؛ لأنها ولاية كمال ورحمة، وإحسان إلى الخلق؛ ولهذا قرن الله ﷻ بين الولاية والحمد بقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى/ ٢٨].

هو الولي الذي ولايته رحمة ولطف، وإحسان وإكرام، وحلم وعفو، فهو سبحانه الحكيم الحميد الذي يحمد على حكمه، وعلى إحسانه إلى خلقه، وعلى غناه، وعلى حكمته، وعلى أسماؤه وصفاته، ويحمد كذلك على ولايته جل جلاله؛ فهو الولي الحميد الذي أنزل كتبه، وأحسن إلى خلقه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة/ ١٤٣].

فيحمد الحميد على حسن ولايته، فهو الولي الحميد الذي أنزل كتبه، وأرسل رسله؛ لتحقيق المصالح والمنافع الدنيوية والشرعية والأخروية، ودفع المضار والمفاسد، وهو المحمود من عباده على هذا وهذا: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص/ ٧٠].

فهو جل جلاله محمود على حسن ولايته لخلق، وحكمه لهم بأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية، فهو المحمود على هذا وعلى هذا: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادَعُوهُ مَخْلَصِينَ لَهُ الَّذِينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥].

فالله سبحانه أمرنا أن نتعرف على أسماؤه وصفاته؛ حتى نعبده بالحب والتعظيم والذل له، ونعرف أنه أحق من عبْد وأحق من شُكر، ونتعرف على نعمه وعلى إحسانه إلى خلقه فاعلم أنه لا إله إلا الله؛ ثم بعد ذلك استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ﴾ [محمد/ ١٩].

وإذا عرفنا الله بأسماؤه وصفاته وأفعاله فيجب أن نملاً الكون بحمده وشكره، كما ملاً لنا الكون بنعمه وإحسانه إلى خلقه؛ ففي كل يوم نستيقظ على عظيم نعم الله ﷻ، رُوح

عَادَت، وَنِعْم زَادَت، وَصَبِحَ أَظْل، وَأَمَّنْ أَظْل، وَعَافِيَةٌ فِي الْبَدَنِ، وَعَيْنٌ تَبْصُرُ، وَأَذُنٌ تَسْمَعُ، وَلِسَانٌ يَتَكَلَّمُ، وَقَلْبٌ يَعْلَمُ، وَعَقْلٌ حَاضِرٌ، وَرَجُلٌ تَمْشِي، وَيَدٌ تَتَحَرَّكُ، فَهَذَا نَقُولُ؟

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النمل: ٥٩].

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ [الفاطحة: ٢-٤].

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [فاطر / ١].

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ ﴾ [الكهف / ١].

فنحمد الله ﷻ على هذه النعم العظيمة التي لا تعد ولا تحصى.

هو سبحانه الغني الحميد الذي حمد نفسه، وأثنى على ذاته؛ لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، لا بد للقلب أن يتذكر هذه الأمور؛ ليكون الحمد بالقلب واللسان والجوارح.

الحمد لله كيف تطبيقها؟ أن ينطق اللسان بالحمد، والقلب يعرف المنعم وأنواع النعم؛ والجوارح تتحرك بأنواع العبادات حتى يكون الحمد لله كاملاً.

وهو سبحانه الحميد الذي يستحق أن يحمد لذاته وأسمائه وصفاته؛ فله الحمد في السماوات والأرض، وهو سبحانه الحميد الذي يستحق الحمد كله؛ لأنه الكريم الرحيم الذي يخلق ويرزق، والحميد الذي يعفو ويغفر، والكريم الذي يكرم ويحسن، لا إله إلا هو ولا رب سواه.

هو سبحانه الولي الحميد المحمود على جميع أقواله وأفعاله، وعلى دينه وشرعه، وعلى قضائه وقدره، وعلى ثوابه وعقابه، وعلى فضله وإحسانه، وعلى ملكه وسلطانه: ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣١﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

فنحمده لكبريائه، ونحمده لأنه ربنا الذي أنعم علينا بنعم لا تعد ولا تحصى، وخلق هذا الكون العظيم، لنعرفه ونحبه ونحمده، ونعبده: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وهو سبحانه الحميد الذي يستحق الحمد كله بجميل فعاله، المحمود عند خلقه بما

أولاهم من نعمه، وبسط لهم من فضله، المحمود بكل لسان، المحمود على كل حال، من جميع مخلوقاته: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٣﴾ [يونس: ٣].

هو سبحانه القوي المتين، الذي يحمده خلقه على عظمته وجلاله وكبريائه، وقوة ملكه وسلطانه، وجزيل إنعامه وإحسانه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ ﴿١٣﴾ [فاطر: ١٣].

هو الحي، والحي صفة جامعة لجميع الصفات، حي بجميع صفات الكمال، هو الحي بالقوة، بالسمع، بالبصر، بالحكمة، بالرحمة، بالكرم: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر/ ٦٥].

وهو الغني الحميد، غني عن جميع طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، لكن احمده لتنالوا فضله في الدنيا والآخرة: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر/ ٦٥].

هو سبحانه الحميد الذي لا يفعل أبدًا إلا ما يحمد عليه، الحميد الذي يحمد على السراء والضراء، ويحمد في حالة الشدة والرخاء، ويحمد في حال العافية والبلاء: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ﴿٦٦﴾ [لقمان/ ٢٦].

يحمده خلقه على المحبوب والمكروه، على العطاء والمنع، على البسط والقبض، ونعمة الله في القبض والمنع أعظم من النعمة في العطاء؛ لأن النعمة تشغل العبد عن المنعم، وأما المنع فهو يجعل العبد يقف بباب العبودية مفتقرًا إلى ربه، منكسرًا بين يديه، يسأله من فضله، ويسأله رضاه، ويستغفر من ذنبه.

هو سبحانه الحميد الذي جمع جميع المحامد، المستحق وحده للحمد على الإطلاق، وله الحمد في كل حال، في كل زمان ومكان، وكل خلقه يسبح بحمده: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾ [التغابن/ ١].

فله الحمد كثيرًا كما ينعم كثيرًا، ويعطي كثيرًا، ويعفو كثيرًا، حمدًا يوافي نعمه، ويكافئ مزيده: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ ﴿٢﴾ [النصر/ ٣].

له الحمد بالإسلام، وله الحمد بالقرآن، وله الحمد على العطاء، وله الحمد على دفع



البلاء: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ ﴿٩٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ [الحجر/ ٩٨-٩٩].

فالحمد هو العبادة، فالدين نصفان: حمد وصبر، حمد على النعم الظاهرة والباطنة، وصبر على البلاء.

هو الولي الحميد الذي والى بين نعمه، فمنعمة بعد نعمته، ومنة بعد منته، هو الولي الحميد الذي والى بين نعمه ومننه، وتابع بين غفرانه وإحسانه، وأنعم على جميع الخلائق بنعم لا تعد ولا تحصى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٨﴾ [النحل/ ١٨].

وموجب النعمة الحمد، النعمة تقتضي الحمد لله، الله ﷻ أنعم علينا، ويوالي النعم علينا في كل يوم، والعافية والأمن والأرزاق تتوالى علينا في كل يوم، بل في كل لحظة. فله الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شاء من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

له الحمد جل جلاله على كماله، وله الحمد على جلاله، وله الحمد على جماله، وله الحمد على آلائه وإحسانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۗ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ ﴿١﴾ [الأنعام/ ١].

له الحمد على نعمة الخلق، خلق هذه السموات السبع الشداد، وخلق هذه الأرضين السبع، وملأهما بال مخلوقات من عالم الجماد بأنواعه، وعالم الحيوان بأنواعه وعالم النبات بأنواعه، وعالم الإنسان بأنواعه، وعالم الجن بأنواعه، وعالم الملائكة بأنواعه؛ فله الحمد؛ لأنه رب العالمين: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ يَاكَ تَعْبُدُ وَيَاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ [الفاتحة: ٢-٥].

وليس الحمد أن نقول فقط: الحمد لله رب العالمين؛ بل لا بد للقلب أن يعرف المنعم، ويوجه الحمد لمن يستحق الحمد، ويحرك الجوارح لعبادة الحميد جل جلاله، عبادة ربه

الحميد الذي أنعم عليه بهذه النعم: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا ۖ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سبأ/ ١٣].

فسبحان الملك الحق الذي له الحمد كله! فهو المحمود سبحانه على ما خلقه، المحمود على ما أمر به، وعلى ما نهى عنه، وعلى ما أخبر به، وعلى ما وعد به: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۗ ۝١ قِيمًا لِّبَدْرِ بِأَسَا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢﴾ [الكهف/ ١-٢].

وهو المحمود جل جلاله على طاعات العباد ومعاصيهم، وعلى إيمانهم وكفرهم، وهو المحمود على خلقه الأبرار والفقار، والملائكة والشياطين، وهو المحمود على خلقه الرسل وأعدائهم، وهو المحمود على عدله في أعدائه، كما هو المحمود على فضله وإنعامه على أوليائه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ۗ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ۝٢٨﴾ [الشورى/ ٢٨].

والله ﷻ أعظم من حمد نفسه، وهو المحمود لذاته، ولو لم يُقَمِّ بحمده أحد من البشر، وهو المحمود قبل أن يخلق البشر؛ لأنه أهل أن يحمد ويعبد، وأن يُحِبَّ لذاته، وأسمائه وصفاته، وأفعاله وإحسانه؛ فله الحمد جل جلاله، وعلى مجده وعظمته، وله الحمد على عظمة ملكه، وعظمة كبريائه وجبروته، فالعرش والكرسي، والسموات والأرض، ومن فيهن مخلوقاتٌ لا تساوي ذرة من ملكه جل جلاله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [الملك: ١].

فالله ملك، وهذه من مخلوقاته، وهي بالنسبة إليه.. ونعوذ بالله من أن نشبهه أو نقيس المخلوق إلى خالقه، لكن الكرسي المحيط بالسموات والأرض وما فيهن كالحردلة في ملك الله ﷻ؛ لأنه الكبير العظيم، الكبير الذي لا أول لكبريائه ولا نهاية: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥].

هو الكبير الذي لا أكبر منه، وكل ما سواه صغير، وهو الحميد، وكل ما سواه حامد له، خاضع لأمره: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۝٦٢﴾ [الحج: ٦٢].

الله ﷻ هو الحميد الذي إذا ذكرته ذكرك، وإذا شكرته حمدك، وإذا أطعته أثابك، وإذا

أثنت عليه في الأرض أثنى عليك في السماء: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال الله ﷻ في الحديث القدسي: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا» متفق عليه<sup>(١)</sup>.  
والحمد أعم من الشكر؛ فالمسلم يحمد ربه على كماله وجلاله وجماله، ويشكره لعظيم نعمه وإحسانه.

والله سبحانه هو الحميد الذي افتتح كتابه العظيم بالحمد؛ فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة/ ٢].

وآخر دعاء أهل الجنة: ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ فِيهَا سَلَمٌ وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

وهذا يدل على أهمية الحمد، وعظمة الحمد، وقوة العبودية في الحمد لله ﷻ.

فجميع الطاعات كلها حمد لله ﷻ، واجتناب المعاصي كله حمد لله ﷻ.

ورسوله ﷺ افتتح خطبه بالحمد، فقال: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ» أخرجه مسلم<sup>(٢)</sup>.

والصلاة أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، مشتملة على حمد الله في أولها ووسطها وآخرها؛ فالبداية في دعاء الاستفتاح: سبحانك اللهم وبحمدك، والفاتحة تقرأ في أول

الصلاة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة/ ٢].

وفي الركوع: سبحان ربي العظيم وبحمده، وبعد الرفع من الركوع: سمع الله لمن حمده، ثم بعدها يقول المسلم: الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا... إلى آخر الدعاء.

وفي السجود يقول الإنسان: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي، وقبل السلام: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

(١) متفق عليه / أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥)، ومسلم برقم (٢٦٧٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٨٦٨).

فالله ﷻ له الحمد في الأولى وفي الآخرة، وأهل الجنة آخر دعواهم: الحمد لله رب العالمين: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر/ ٧٤].

ومن نعيم أهل الجنة: كثرة الحمد لربهم، فهذه النعمة نعمة التحميد والتقديس والتسبيح لله ﷻ من فضل الله علينا أنها معنا في الدنيا والآخرة، فأهل الجنة من نعيمهم كثرة الحمد لربهم: ﴿دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَعَآخِرُ دَعْوَتِهِمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس/ ١٠].

وفي ختام حساب الله للخلائق يوم القيامة، وفصل الله بين العباد؛ يحمد الله نفسه على عدله وإحسانه، وتحمده الملائكة، ويحمده جميع الخلائق: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَأُضْطَوْنَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر/ ٧٥].

ورضوان الله ﷻ أعظم نعمة على العبد، يحصل بأسهل شيء، بالحمد لله رب العالمين. قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ يَأْكُلُ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبُ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا» أخرجه مسلم (١).

فالله ﷻ جعل هذه العبودية العظيمة له جل جلاله، وعبادة الملائكة وكافة المخلوقات كلها في العالم العلوي والعالم السفلي هي التسبيح، والتحميد، والتقديس للحميد سبحانه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

والملائكة يسبحون بحمد ربهم: ﴿الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

وحمد الله ﷻ لعباده أن يشكرهم، ويشني عليهم، ويجزيهم بأعمالهم الأجور العظيمة، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة، إلى أضعاف كثيرة، إلى: ﴿لَا تَتَّبِعْتُمْ مَن لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٦٧].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٤).

فالله ﷻ من حمده لعباده أن يشكرهم، ويثني عليهم في الملاء الأعلى، ويجزيهم بأعمالهم الأجور العظيمة، ويجعل لهم محبة في قلوب الخلق ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ ﴿٩٦﴾ [مريم/ ٩٦].

ويتولاهم الله بحفظه وعنايته؛ ويذكرهم في نفسه، ويذكرهم بالجميل في الملاء الأعلى، فمن حمد الله ﷻ لأوليائه أنه أحبهم، وجعل في قلوب الخلق محبتهم، ويستجيب دعاءهم، ويقضي حاجتهم، ويرفع ذكرهم، ويعلي درجاتهم: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿١١﴾ [المجادلة: ١١].

فسبحان الحميد الذي يحمده عباده من جميع مخلوقاته، ويحمد من عباده كل قول حسن، وكل عمل صالح، وكل خلق حسن، ويجزي على ذلك الثواب العظيم جل جلاله. الله ﷻ هو الحميد الذي يحمده أهل السماوات والأرض جل جلاله، وعم نواله.

فبيده جل جلاله المملك والملكوت، وله العزة والجبروت، وله الحمد في الأولى والآخرة، فهو الحميد بكل فعل من أفعال خلقه التي توافق شرعه، والتي تكون خالصة لوجهه، ويجزي على ذلك الثواب العظيم، والأجر الجزيل: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٣٥﴾ [الأحزاب/ ٣٥].

وهذه الصفات الله ﷻ يحبها، ويجب من يتصف بها، ويعطي على ذلك الأجر العظيم. وهذه الصفات من حب الله لها، وحب أهلها أنه اشترى أهلها، واستعملهم في طاعته، من هؤلاء؟ هم من اتصفوا بعشر صفات: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّاجِدُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة/ ١١٢].

هؤلاء أهل الصفات الذين اشتراهم الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآبٍ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة/ ١١١].

هذه صفاتهم، وهذا جزاؤهم، والله يحمدهم على هذه الصفات، ومن حمده لهم أن قبلهم

في هذه الدنيا عبادًا له، وحبب إليهم الإيمان، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وأعانهم على طاعته، وضاعف لهم الأجر؛ فكل هذا من حمد الله ﷻ للعبد.

فالله سبحانه هو الحميد الذي له الحمد كله من جميع الوجوه، الحميد الذي لا أحد منه لنفسه، فأحق من حمد الله هو الله ﷻ، أثنى على نفسه بأن له الحمد كله فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٢-٤].

فله الحمد كله من جميع الوجوه، الحميد الذي لا أحد منه لنفسه، الحميد الذي كل حمد من الخلق من فضله؛ فهو الذي خلق الحامد له، وخلق النعمة التي يحمد عليها؛ فهو الحميد الذي كل حمد من الخلق من فضله، الحميد الذي وهب الحمد لكل حامد بحمد ربه: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة: ٧٤].

فهو الحميد الذي كل حمد من الخلق من فضله، فلولا فضل الله ما حمدته ولا عرفته؛ فله الحمد لأنه الحميد الذي كل حمد من الخلق من فضله، الحميد الذي وهب الحمد لكل حامد فسبح بحمده ربه، هو الحميد الذي أسر قلوب الخلق، وذرات الكون، بما أظهر لهم من أسمائه وصفاته، وجلاله وجماله، ونعمه وإحسانه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

هو الحميد الذي أسر قلوب الخلق كلهم، وذرات الكون كلها، بما أظهر لهم من أسمائه وصفاته، ونعمه وإحسانه؛ فسبحوا جميعًا بحمده: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].

فسبحان الغني الحميد، الكثير الحمد لعباده المؤمنين به، الكثير الحمد لجلاله وجماله، وأسمائه وصفاته، المحمود من جميع خلقه على كماله، وجميل إحسانه.

هو سبحانه الحميد الذي استوجب الحمد واستحقه؛ لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وسعة فضله، وعظيم إحسانه: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِلَىٰ اللَّهِ لَهَوُ الْغَنِيِّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾ [الحج/ ٦٤].

هو الحميد الذي خلقنا، وأمدنا بالنعم، وهدانا إليه، وأحسن إلينا كل الإحسان في الحياة

وبعد الموت، من علينا بنعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهداية، فماذا نقول؟ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٣) مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧) ﴿ [الفاتحة/ ٢-٧].

هو الحميد المجيد الذي مدح نفسه، وحمد نفسه، وأثنى على نفسه؛ ليعرفنا بذاته وأسمائه وصفاته، كي نصل إليه، ونقبل على طاعته، ونحذر معصيته، ونعظمه كما يليق بجلاله، ونطمع في عفوه ومغفرته، وعطائه وإحسانه؛ فهو ربنا الحميد الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) ﴿ [الحشر: ٢٢-٢٤].

هو الحميد الذي هدانا للإسلام، ووفقنا لفعل الخيرات، وأعاننا على أدائها، وحمدنا على فعلها، وأثابنا عليها: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٧) ﴿ [الحجرات/ ١٧].

هو الحميد الذي هداك إليه، ووفقك للطاعات، وحمدك عليها، ومحا عنك السيئات، ولم يحبط عملك، بل عفا عن سيئاتك، وغفر ذنوبك؛ لأنه الغفور الرحيم جل جلاله، محي عنك السيئات، ولم ينجلك بذكرها وكشفها، بل يبدها بحسنات، ثم يضاعفها لك، ثم أنساك سيئاتك؛ لتقبل عليه، وتتوب إليه، وتقف منكسراً بين يديه: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠)﴾ [الفرقان/ ٦٨-٧٠].

وإذا عرف العبد ذلك؛ أعطى مما أعطاه الله، ومما أقدره عليه، ومما شرعه له، ومما حسنه له من طيبات الأقوال والأعمال والأخلاق، فالله طيب لا يقبل إلا طيباً.

والله يحمّد الإنسان على ما يعمله من الصالحات والطيبات: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ۗ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ۗ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنِّي حَمِيدٌ﴾ [البقرة/ ٢٦٧].

فقطع الماء إنفاق، والذكر إنفاق، والدعاء إنفاق، والدعوة إنفاق، والأمر بالمعروف إنفاق، وتعليم شرع الله إنفاق، والحلم إنفاق، والصدق إنفاق، والإحسان إنفاق، نتفق مما أعطانا الله ﷻ من الأشياء الظاهرة والباطنة، من الأشياء التي خارج الإنسان؛ كالأموال والأشياء، وما يملكه الإنسان من الأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة؛ يحرك لسانه بذكر الله، وجوارحه بطاعة الله، وقلبه بالحياء من ربه، والخوف منه، والحب له، والتعظيم له: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

فالرب جل جلاله هو الحميد الذي يستحق الحمد من جميع مخلوقاته، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته، وعظمة كرمه وإحسانه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وأقرب الطرق، وأعظمها، وأشملها، وأسهلها، وأيسرها ندرك به معنى اسم الله الحميد، يحصل لنا عن طريق معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ لاجتماع ما تفرق في العالم بمعانيه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد/ ١٩].

فلكي نعرف اسم الله الحميد نتعرف على أسماء الله الحسنى.

فمثلاً من أسماء الله: الرب، فنعرف أن جميع المخلوقات كلها من خلقه، وهو ربه، فنحمده على هذا الخلق العظيم.

ومن أسماء الله: الخالق، وجميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي، وفي الدنيا والآخرة، وفي عالم الغيب وعالم الشهادة، الله هو الذي خلقها: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٦] لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِءَايَاتِ اللَّهِ



أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ [الزمر: ٦٢ - ٦٣].

فنحمده على عظمة الخلق؛ خلق الكبير والصغير، والطويل والقصير، والأبيض والأسود، والسائل والجامد، والعالي والسافل.

نحمده على عظمة الخلق والإبداع: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٠١﴾ [الأنعام: ١٠١].  
ومن أسماء الله الرزاق، فإذا عرفنا الأرزاق حمدنا الرزاق.

فالنظر في أسماء الله وصفاته يعرفنا بأهمية الحمد للرب ﷻ؛ لأن الله ﷻ جعل الكون مظهرًا لأسماء الله وصفاته وأفعاله، فالنعم تدلنا على المنعم، والأرزاق تدلنا على الرزاق، والخلائق تدلنا على الخالق، والكرم في مخلوقاته؛ فالنبات كريم يعطي من هذه الثمار، والشمس كريمة تعطي النور والحرارة، وكل كريم يدلنا على الكريم، فنتشبه بالكريم، ونعطي ونتكرم بالأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق العالية: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٧١﴾ [التوبة: ٧١].

ومن أسماء الله الرحمن، ننظر في الكون ما مظاهر الرحمة؟ فالشمس ليست قريبة فتحرقنا، ولا بعيدة فتتجمد، والشمس تنير العالم، ننظر لهذا الهواء الذي لا يتحكم به لا ملك، ولا رئيس، ولا دولة، ولا أحد، موجود في كل مكان، وفي كل زمان.

وننظر لنعمة اللسان، كيف هذا اللسان يتكلم؟! فهذه نعم نعرف بها الخالق، ونحمده على هذه النعم: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِئَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

وإذا عرفت أنه لا إله إلا الله؛ عرفت أن كل نعمة منه، وكل خلق له، وكل ملك له، وكل شيء في الكون له؛ فنستغفر الله من التقصير في نقص الإيمان، ونقص الأعمال، ونقص الأخلاق: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَتُونَكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩].

فمن أعظم النعم، وأجل الكرامات أن كان لنا إله حق حي قيوم، أسماؤه كلها حسنى،

وصفاته كلها عليا، إله عظيم، ورب كريم، ورب حميد، تحيرت الأبواب في أدنى العلم بمعرفته، وخشعت العقول والقلوب لعز جلاله، وخضعت الخلائق لعظمة شأنه جل جلاله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

خَلَقَ اللهُ ﷻ أكبر شيء من مخلوقاته وهو العرش العظيم، العرش الكريم، الذي استوى عليه برحمته، وخلق أصغر شيء وهو الذرة، وخلق بين هذا وهذا مخلوقات عظيمة لا يقدر عليها إلا هو، ولا يعلمها إلا هو، ولا يحصيها إلا هو، ولا يدبرها إلا هو؛ فله الحمد والشكر على خلق هذا وهذا: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان: ١١].

مفاتيح السماوات والأرض بيده، فتح السماء بالماء، وفتح الأرض بالنبات: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الزمر/ ٦٣].

وله الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً أن كان لنا رباً وإلهاً واحداً لا شريك له، ولا مثل له: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١-٤].

ليس له شريك في ملكه، وليس له شريك في العبادة، وليس له من يحجبه عن داعيه وسائليه، فله الحمد أن جعل الملك والخلق والأمر كله له، وإلا لحصل فساد عظيم.

هو الرب الذي بيده ملكوت السماوات والأرض: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمَّا اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء/ ١٩-٢٣].

والحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً لا حد له، ولا منتهى لمداه؛ أن جعلنا عبداً لرب عظيم وإله حي قيوم، واحد لا شريك له، لم يجعلنا عبداً مملوكين لشركاء متشاكسين، لا

ندري من نرضي منهم، ولا نقدر على تحمل أوامرهم: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ [الزمر/ ٢٩].

ومن ممن ربنا العظام، ونعمه الجسام، التي يستحق عليها الحمد والشكر، أن كان ربنا عزيزاً لا يُرام، منيعاً لا يضام، أحد صمد، لا يحتاج إلى أحد، ولم يكن له كفواً أحد: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

لا يعجزه شيء، ولا يغلبه شيء، ولا يقوم له شيء، مالك الملك والملكوت، ورب العزة والجبروت، فسبح بحمده وكبره بكرة وأصيلاً: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذُ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكِبْرُهُ تَكْبِيرًا﴾ ﴿١١١﴾ [الإسراء/ ١١١].

الحمد لله رب العالمين على نعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٨﴾ [النحل: ١٨].

وأعظم العبودية شكر المنعم على ما أنعم به من غذاء القلوب والأبدان، ومن إيجاد المنافع، ودفع المضار، والحمد لله على نعمه الظاهرة والباطنة: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ ﴿٢٠﴾ [لقمان: ٢٠].

• والحمد لله رب العالمين تقتضي أربعة أمور:

الحامد.. والمحمود.. والمحمود عليه.. والمحمود به.

الأول: الحامد؛ والحامد هو الله ﷻ، فلم يحمّد الله إلا من عرفه جل جلاله، والله ﷻ هو أحمد الحامدين، هو الواحد الذي شهد لنفسه بالوحدانية، وهو الحميد الذي حمد نفسه قبل أن يخلق الخلق، وقبل أن يخلق ما يحمد عليه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١٨﴾ [آل عمران: ١٨].

فالحامد هو الله ﷻ الذي حمد نفسه على ما له من صفات الجلال والجمال والكمال.

وكذا الحامد هو العبد الذي يحمد ربه الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى، ومنه النعم والإحسان.

الثاني: محمود من هو المحمود، المحمود على جلاله وجماله هو الله ﷻ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ ﴿٢٦﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢٧﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٨﴾﴾ [الفاتحة: ٢-٤].

فنحن نحمد رباً واحداً؛ لأن كل النعم من واحد، سواء كانت نعم مباشرة كضوء الشمس، وهذا الهواء الذي نتنعم به، أو هذا البدن الذي خلقه الله ﷻ في أحسن تقويم، نعم متصلة ونعم منفصلة، أو كانت نعماً جاءتنا بالأسباب على شكل هدية، أو على شكل رزق، فالله ﷻ هو المنعم بما يأتيني مباشرة، وبما يأتيني من غيري الذي سخره الله ﷻ لأن يوصل لي هذا الرزق، فالحمد لله رب العالمين: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

الثالث: محموداً عليه نحمد الله لماذا؟ نحمده على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، ونحمده على كماله، وعظمة جلاله وملكه وسلطانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: ١].  
الرابع: محموداً به، بماذا نحمد الله ﷻ؟ الله ﷻ اختار لنا، وأنزل علينا، هذه اللفظة الجامعة العظيمة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفاتحة/ ٢].

لماذا الحمد لله؟ لأنه رب العالمين، ولأنه الرحمن الرحيم، ولأنه مالك يوم الدين.  
فهو الحميد الذي حمد نفسه، وهو الحميد الذي يستحق الحمد، وهو المحمود من خلقه على نعمه وإحسانه، وعلى ما أنعم به علينا من نعمة غذاء القلوب، وغذاء الأبدان.  
فالله ﷻ جمع في فاتحة الكتاب الدين كله، ولهذا الله ﷻ نص عليها؛ حتى نعلم عظمتها: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر/ ٨٧].  
فالمحمود به هو هذه اللفظة التي اختارها الله ﷻ لنا، الحمد لله رب العالمين.

فما هي صفات الحميد الذي نحمده؟ وما هي أفعاله في ملكه؟ وما هي أفعاله القدرية؟ وما هو دينه الذي أنزله علينا حتى نحمده عليه؟ ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ أَسْلَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ

﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ  
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

فإنه ﷻ بين في كتابه الذي يستحق أن يحمده، بين لنا صفات من نحمده؛ فنحن نحمد  
العظيم العلي الكبير، ونحمد ونمدح ونشكر الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى،  
والأفعال الحميدة، ولا أحد أحق بالحمد من الله، بل الحمد كله وحمد الحامدين كله من  
حمد الله ﷻ، كله نعمة من الله، أن أعطانا النعم، وعرفنا به حتى نحمده: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ  
رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾﴾ [الحجر: ٩٨-٩٩].

فإنه ﷻ في القرآن بين لنا ما يحمده عليه، ولأي شيء استحق الحمد، كما في سورة الرعد،  
وفي سورة النحل، وفي سورة إبراهيم، الله بين لنا ما يحمده عليه، وبين من يجب أن  
تعبدوا؟ من يجب أن تحبوا؟ من توحدون؟ من تسألون؟ فقال عن نفسه أنه أنزل  
الكتاب: ﴿الْمَرَّةَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا  
يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾﴾ [الرعد/١].

أحبُّه لقوته، وعظمة خلقه، ثم استوى على العرش، فهو العلي الأعلى، والإنسان يتصل  
بالأعلى لا بالأدنى، ويتصل بمن له الكمال، لا بمن فيه صفات النقص؛ ليستفيد من  
كماله: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرعد/٢].

الشمس والقمر تجري بأمر الله، ففيهما نور، وهذا نور من نور الله، والإنسان لا يستطيع  
أن يرى الشمس بياضها بالنظر وهي مخلوقة، فكيف برؤية الله ﷻ الذي هو نور  
السموات والأرض؟! ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥].

وقال النبي ﷺ لعائشة، لما قالت: هل رأيت ربك؟ قال: «نور»، أنى أراه؟! حجابُه النور،  
لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

فأنا أحمده جل جلاله على هذه الصفات العظيمة، الشمس تجري بأمره، القمر يجري  
بأمره، النجوم تنير بأمره، الأرض تنبت بأمره، السموات باقية بأمره، الأرض باقية  
بأمره، الملك كله باق بأمره: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ  
ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٩).

بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤].

فمن بيده الخلق والإيجاد والتصريف والتدبير؟ هو الذي يستحق الحمد، خاصةً أن أفعاله كلها جميلة، بيده الخير كله، ولهذا لا بد من معرفة المحمود قبل حمده، ومعرفة النعمة قبل الحمد؛ حتى نعرف من نحمد؟ وعلى أي شيء نحمد؟ ولماذا نحمد؟: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

هو سبحانه الحميد الذي له الأوامر الكونية، وله الأوامر الشرعية، وله الأوامر الجزائية. له الأوامر الملكية القدريّة في الكون خلقاً وتدبيراً وتصريفاً. وله الأوامر الشرعية الموجهة للعقلاء من الإنس والجن والملائكة. وله الأوامر الجزائية يوم القيامة، وهي الوعد والوعيد.

﴿يَذُكِّرُ الْأَمْرَ بِفَصْلِ الْآيَاتِ﴾ لماذا؟ ﴿لَعَلَّكُمْ يَلْقَاءُ رَبَّكُمْ تَوْقِنُونَ﴾ [الرعد/ ٢].

وإذا أيقنتم عرفتم من يستحق الحمد؛ فحمدتموه بالقلب والجوارح واللسان، فالحمد لله رب العالمين، ليس هذا هو الحمد، هذه صيغة الحمد، الحمد أن أعرف من أحمد، ما هي أسماؤه وصفاته؟ وما هي أفعاله في ملكه؟ وما هي نعمه التي لا تعد ولا تحصى؟ ثم أحرك هذا البدن إلى أن ألقى الله بالحمد والشكر على نعم الله ﷻ.

فالدين كله مجموع في الحمد، ولهذا ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة/ ٢]؛ توحيد، وإيمان، وشكر، وعبادة.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى الْأَيْلَ النَّهَارَ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد/ ٣].

فيعرفون المنعم من المنعم عليه، ويعرفون مقدار النعمة، وكم وصل إليه من النعم، وكم وصل إلى غيرهم من النعم، وكم في خزائن الله من نعم: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ﴾؛ قطع متجاورات: هذه جبال، وهذه سهول، وهذه معادن، وهذه بيضاء، وهذه سوداء، وهذه حمراء، وهذه صفراء، وهذا بر، وهذا بحر.

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ﴾؛ العائلة النباتية عرف منها الآن أكثر من أربعين مليوناً من النباتات: ﴿وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ

وَاحِدٍ ﴿٤﴾، كما أن القلوب ينزل عليها وحي واحد، من رب واحد: ﴿وَنُفِصِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٤﴾ [الرعد/٤].

فهذه المعارف تجعل الإنسان يعرف من يحمده، فإذا عرف من يستحق الحمد؛ توجه إليه بالحمد قلباً وقالباً: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ ﴿٢٨﴾ [فاطر: ٢٨].

خلق سبحانه بحراً من الهواء بين السماء والأرض، وبحراً من الماء وهي السحب التي بين السماء والأرض، وبحر من الماء وهو هذا البحر؛ بحر الهواء ينقل الأصوات، ويعيش فيه النبات والحيوان والإنسان، وبحر الماء يعيش فيه ما خلق الله من هذه الأسماك والنباتات المختلفة، وهذا البحر العظيم من المياه العذبة، فنحمد الله ﷻ على هذه النعم العظيمة: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ ﴿١٢﴾ وَيَسْبِغُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ وَأَمَلَيْتِكُمْ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾ [الرعد/١٢-١٣].

فهذه أفعاله في ملكه: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد/١٧].  
الله أكبر! كم من المياه والقطرات التي تنزل من السماء! فنحمد المنعم بها، لو شاء لجعل لها ناراً أو حجارة، ولو شاء لمنعها؛ فعلى كل نعمة لا بد أن نحمد المنعم الذي أنعم بها علينا من غير استحقاق منا، ولكنه الحميد الكريم الرزاق الذي أنعم بكل نعمة؛ فلنحمد الله على هذه النعم التي أعطانا إياها وإن لم نسأله: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ﴿٣٦﴾ [لقمان: ٢٦].

الله أكبر! هذه المياه التي تنزل من السماء إلى أين تذهب؟ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ ﴿٣٣﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴿٣٤﴾؛ فاحمدوا الله على هذه النعمة: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ﴿٢٤﴾ [إبراهيم/٣٢-٣٤].

ظلوم بكفره وجهله ومعصيته، كفار للنعم.

فالله أعطانا النعم لتتعرف بها على المنعم، ثم نعبد المنعم بما أرسل به رسوله، وأنزله في كتابه، ولهذا قال إبراهيم بعد هذه الآيات: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ ﴿٣٩﴾ [إبراهيم/ ٣٩].

حتى نحمد الله ﷻ لا بد أن نعرف ما نحمده عليه؛ من النعم المادية والدينية: ﴿يُنزِلُ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾؛ هذه نعمة العطاء الروحي، نعمة الدين الذي أنزله على القلوب؛ فهو ﴿يُنزِلُ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ ﴿٢﴾ [النحل/ ٢].

وحدوني وأطيعوني، وافعلوا ما أمر به، واجتنبوا ما أنهى عنه، لماذا؟ لأنه الرب الخلاق الذي أنعمت علينا بالنعم المادية والروحية .

فالله ﷻ بين صفته في سورة النحل التي تسمى سورة النعم، فقال: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٣﴾ [النحل/ ٣].

خلق هذين الظرفين الكبيرين، السماوات ظرف للملائكة، والأرض ظرف للبشر، والحيوان، والنبات، والمعادن، والجن، وغير ذلك من المخلوقات: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾؛ ليدل الخلق على الخالق .

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، وجعلها مظهرًا لأسمائه وصفاته؛ حتى لا تتعلق القلوب بأحد سواه، ونعبده وحده لا شريك له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

هو وحده، لم يكن له شريك في خلق هذه المخلوقات، خلق الظرف، وملاً الظرف بأنواع المخلوقات، فكم في داخل الظرفين من المخلوقات؟ ودائمًا الذي في داخل الظرف أعظم من الظرف، فأعظم من في الظرف السفلي هم الناس، وأعظم الناس هم المؤمنون، وأعظم المؤمنين هم الأنبياء، وأفضل الأنبياء هم أولو العزم، وأفضل أولي العزم الخليلان، وأفضل الخليلين محمد ﷺ، الذي كان أحسن الناس خلقًا وخلقًا، وكان خلقه القرآن، والذي زكاه ربه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ [القلم/ ٤].

• وقد أمرنا الله بالاعتداء به، والاهتداء بسيرته، فقال جل جلاله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا﴾ ﴿٢١﴾ [الأحزاب: ٢١].



ثم بعد ذلك ذكر الإنسان الذي يسكن في هذا الظرف، والمطلوب منه أن يحمد الله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ (النحل/ ٤).

خلق الإنسان من نطفة وهذا أوله؛ حتى يعرف نعمة الله ﷻ عليه، خلقه من نطفة، ثم سواه رجلاً، ثم هداه إليه، ثم أمده بالأقوات المادية والروحية، وأنعم عليه، فإذا هو خصيم مبین، يعبد غير الله، ويتعلق بغير الله، ويجادل في الله.

ثم ذكر ما خلق لهذا الإنسان: ﴿وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٥) ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (٦) [النحل/ ٥-٦].

ثم قال بعد ذلك عن عالم النبات: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ (١٠) ﴿يُبْتِئُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١١) [النحل/ ١٠-١١].

يتفكرون في أفعال الخالق، ويشكرونه على نعمه؛ فالعائلة النباتية أكثر من أربعين مليون نوع، هذه المخلوقات خلقت لنا: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة/ ٢٩].

ونحن خلقنا للآخرة؛ فعلينا أن نملأ الكون بحمده كما ملاً لنا الكون بنعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (١٢) [النحل/ ١٢].

فيعرفون من يستحق العبادة، ويعرفون المنعم من خلال رؤية آثار أسماؤه وصفاته في ملكه وسلطانه: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ﴾ (١٣) [النحل/ ١٣].

أكثر من مليون نوع من الخلائق في هذا البحر المظلم الكبير يأكلون ويشربون من فضل الله، سخرها الله لكم، لتشكروه وتعبدوه: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٤) ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٥) [النحل: ١٤-١٥].

هذه الجبال العظيمة الشاهقة في العلو، والبحار العميقة في السفلى، هو الذي خلق هذا

وهذا، هذا فوق الأرض يمتد مسافات طويلة علواً، وهذا أسفل الأرض، والبحر يمتد إلى حوالي اثني عشر كيلو متر تحت الأرض ماءً، وجبال الهيمالايا ترتفع فوق سطح الأرض ثلاثين ألف قدم .

فهذه المخلوقات العظيمة آيات وعبر حتى نعرف من يستحق العبادة، ومن يستحق الشكر، ومن يستحق الطاعة.

كم من الأنهار تجري بأمر الله ﷻ! ، لتسقى البلاد والعباد ، فالبهار راکدة ، والأنهار جارية : ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [لقمان: ١١] .

وحيثما يقرب الإنسان بصره فلا يملك إلا أن يكبر الكبير، ويعظم العظيم، ويحمد الكريم، ويستغفر الغفور، ويفعل الطاعات، ويحتمل المعاصي، ويحدث توبة في كل لحظة : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل/ ١٧-١٨] .

فإن الله ﷻ يوم القيامة يعطي المسلم صحيفة سيئاته وصحيفة حسناته ، ويقول: هذه سيئاتك قد غفرناها لك، وهذه حسناتك قد ضاعفناها لك .

ولهذا آخر شيء في يوم القيامة حمد الله على العدل والإحسان : ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [يونس/ ١٠] .

لأن الخلائق ترى عدله، وترى فضله، والمؤمن له ، سيئات تغفر، وحسنات تضاعف : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۗ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [الزمر: ٧٤] .

فسبحان الحميد الذي حمد نفسه قبل أن يخلق الخلق ، وقبل أن يحمده الخلق جل جلاله، ولهذا الذكر المضاعف علينا أن نقوله دائماً: سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته .

فالحمد لله رب العالمين : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ [١٧] وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ [الروم/ ١٧-١٨] .

لماذا الحمد له؟ لأنه ملاء الكون بما يذكر به، وبنعمه، وكرمه، وإحسانه، وقوته، وقدرته،

ولطفه وحلمه، الكون كله مظهر لأسماء الله وصفاته وأفعاله : ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم/ ١٨].

له الحمد عليّ في خاصة نفسي، أعطاني خيرًا، وصرف عني شرًا، وأحسن إليّ، وأحسن إلى غيري، واستضافني في بطن الأم، واستضافني في بطن الدنيا، وهو الذي يستضيفني في القبر في روضة من رياض الجنة إن أطعته، أو في حفرة من حفر النار إن عصيته .

ويوم القيامة يستضيفني في دار الضيافة دار السلام التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر: ﴿دَعْوُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ فِيهَا سَلَامٌ وَأَجْرٌ دَعْوُهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس/ ١٠].

الحمد لله رب العالمين أن أحسن إلى أوليائه، وظهر عدله في أعدائه.

الملك الحق جل جلاله يظهر من أسمائه وصفاته وأفعاله في ملكه ما يحمد عليه، وما يكبر عليه، وهذه هي العبادة، العبادة أن أكبر الكبير، وأحمد الكريم، في كل وقت، في كل

مكان: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [١٨] ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [١٩] [الروم: ١٨-١٩].  
هذه أفعاله، فالحمد لله رب العالمين، كنا أمواتًا فأوجدنا الله ﷻ.

هذه الأرض القاحلة المملوءة من الغبار، ينزل عليها المطر فتنبت من كل زوج بهيج، تذكرة للإنسان بأن الوحي إذا نزل على القلوب أنبت المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، وأنبت الصادقين والصادقات : ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وأنبت: ﴿التَّائِبِينَ الْعَاقِبُونَ الْحَمْدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

فأنتم تبعثون بصفاتكم التي كنتم عليها في الدنيا؛ فمن عاش على شيء مات عليه، ومن

مات على شيء بُعث عليه: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ [المؤمنون: ١٥-١٦].

والآن موجود من ذرية آدم أكثر من سبعة آلاف مليون من البشر رجالاً ونساء . هؤلاء لا بد من التفكير لهم؛ ليحمدوا الله ﷻ، ويعرفوا الحميد الكبير العظيم الرزاق، وأن يتصلوا به، فلا بد من دعوة الناس، وسقي الفطرة بالدعوة إلى الله؛ حتى تحيا الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ثم دهم على ما يتقربون به إليه بما جاء به محمد ﷺ: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴾ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ الْمَنِّيَّ وَالْوَنُكْمَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ [الروم/ ٢٠-٢٢].

فسبحان الله ما أعظم خلقه، وما أعظم ملكه، وما أعظم قدرته . وأول ما يعرف الإنسان هذه المعارف الإلهية العظيمة؛ يكبر الكبير، ويمجد الكريم: ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٣٦﴾ وَلِلَّهِ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

فهو واحد قبل أن نوحده، ومحمود قبل أن نحمده، وكريم قبل أن نرى آثار كرمه: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمَعُونَ ﴾ ﴿٢٣﴾ [الروم/ ٢٣].

لو ضرب في الإنسان عرق، أو تألم في ذرة من جسمه؛ لما استطاع أن يتعبد لربه، ولا استطاع أن ينام، ولكن نعم الله عليه لا تعد ولا تحصى، وليس في نعم الله قليل، نعم الله كلها كبيرة، وجميع مخلوقاته كبيرة، سواء كبر حجمها؛ كالعرش والكرسي، والسموات والأرض، أو كان خلقها صغيراً؛ مثل الذرة والبعوضة .

هذه البعوضة الصغيرة الضعيفة التي نراها؛ الله ﷻ جعل لها حكمة، وفي خلقها إظهار لقدرة الله، هذه البعوضة خلقها الله لها مائة عين، ولها ثلاثة قلوب، ولها ثمانية وأربعون سنناً، ولها في خرطومها ست سكاكين، وهي تشم رائحة الإنسان الذي تريد أن تمتص دمه من مسافة بعيدة.

فالله أظهر قدرته في خلقه العظيم؛ كالعرش والكرسي، والسموات والأرض، والجبال والبحار، وفي خلق الصغير كالذرة والبعوضة والنملة: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ [الحجر: ٨٦].

ولكل شيء حكمة من الحكيم، والله أظهر قدرته في خلق الكبير والصغير؛ فلنحمده على نعمه التي لا تعد ولا تحصى .

ونعم الله ﷻ تختلف بالنسبة لنا، النعم المادية نعم عظيمة، أن خلقنا الله، وأمدنا بالأقوات من الطعام والشراب .

وفضله علينا في نعمة الهداية أعظم وأعظم، فهذه النعمة للأجساد، وهذه النعمة للقلوب، فنحن نسير بالقلوب إلى علام الغيوب، هذا الجسد سيارة، الذي يقوده هو القلب، يقوده إلى ربه ﷻ بماذا؟ بالدين الحق؛ ولهذا من سار على الصراط المستقيم في الدنيا سار على الصراط يوم القيامة: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فله الحمد والشكر على هذه النعمة ، ونعمة المعرفة أن أعرف الرب الذي يستحق الحمد، الرب الكبير الذي يستحق التكبير، الرب العظيم الذي يستحق التوحيد، الرب الواحد الأحد الذي خلق كل أحد، الغني عن كل أحد ، والذي يحتاج إليه كل أحد : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ (٤) ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

ومن آيات الحميد جل جلاله: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافُ أَسْنِينَكُمْ وَأَلْوَانَكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الروم/ ٢٢].

ومن آياته كذلك: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم/ ٢٤].

استعمل هذا العقل، العقل ناقص بدون الوحي، العقل قد يدرك المحسوسات ؛ لكن ليس له صلة بعالم الغيب، ولا يعرف الغيب، لكنه يستقبل علم الغيب من الله ﷻ ، من الوحي المنزل، فيسير بالوحي إلى ربه ﷻ. ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُم دَعْوَةَ مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [الروم: ٢٥].

هي باقية بأمره، لو رفع عنها أمر البقاء لزالَتْ .

إِذَا يَجِبُ تَكْبِيرُهُ، يَجِبُ تَعْظِيمُهُ، وَيَجِبُ إِجْلَالُهُ، وَيَجِبُ حَمْدُهُ وَشُكْرُهُ، وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ وَتَمْجِيدُهُ: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأَنْعَامُ: ١٠٢] .

أظهر عظمته وقدرته بخلق المخلوقات، وبخلق النعم، وبالإحسان إلى الخلق: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الرُّومُ/ ٢٧] .

فإذا عرفت الكبير والعظيم، وعرفت الكريم والرزاق والغني؛ فيجب أن أتصل به، وأرجع إليه، وأتوب إليه، وأتوكل عليه، وأنفذ أوامره على نفسي، وعلى خلقه. أنفذ الأوامر المتعلقة بالنفس من العبادة، والذكر، والدعاء، وقراءة القرآن، والتطوعات من أنواع العبادات، وأنفذها على غيري بالدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلقه، وهذا مع ما فيه في الظاهر من المشقة؛ إلا أنه هو أصل السعادة: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد/ ٢٨] .

الأرض لا تطمئن إلا إذا نزل عليها الماء؛ فتبتت من كل زوج بهيج، تأتيها الحرارة لا تبتت، تأتيها العواصف لا تبتت، تأتيها الشمس لا تبتت، متى تبتت؟ إذا نزل عليها الماء من السماء، إذا سقيت الأرض بالماء أنبتت، كذلك هذه القلوب تبتت الأخلاق العالية، والأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، متى؟ إذا استقبلت الوحي بهذا العقل الذي من الله ﷻ علينا به، فتؤمن بربها، وتعبد الله وحده: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [٥] ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتِ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [٦] وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ [٧] [الحج: ٥-٧] .

فاحمد الله ﷻ على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، نعمه في الماضي، ونعمه في الحاضر، ونعمه في المستقبل، نحمده على نعمه الماضية، والحاضرة، والمستقبلية في بقية عمرنا، والمستقبلية إلى يوم القيامة، وكذلك نحمده على نعمه علينا يوم القيامة بدخول الجنة،

ورضوانه، والقرب منه، وسماع كلامه، ورؤيته جل جلاله، فنحمد الله ﷻ على هذه النعم العظيمة التي من علينا بها، ونحن أولى الناس بشكرها .

والله سبحانه فطر الناس على هذا، ولهذا من عرف الله بأسمائه وصفاته، وأفعاله وخزائنه، ودينه وشرعه، ووعدته ووعدته؛ توجه إلى ربه، وتاب إلى ربه : ﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

أكثر الناس لا يفقهون، أكثرهم لا يعقلون ، أكثرهم لا يعلمون ، أكثرهم يجهلون .  
إذا يجب أن نعلم عن الله ما يجب له : ﴿ فَأَعْلَمُو أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُوا لِذَنبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَوَلِكُمْ ﴾ [محمد: ١٩].

يجب أن نعرف الإله المعبود، نعرف الكبير لنكبره، نعرف الغني لنسأله، نعرف القادر لنستعين به ، ونعرف الكريم لنشكره على إكرامه لنا ﴿ وَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء/ ٧٠].

فهذا النقص في معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله يولد القعود عن طاعته وعبادته، ويولد الإعراض عنه، ويولد التعلق بغيره من الشهوات .

فالإنسان إما أن يكون عبداً لله، أو عبداً لشهواته وهواه، الإنسان خلق ناقصاً، فطرة الله؛ ليتعلق بالكامل الذي خلق هذا الكون جل جلاله، وأنزل كتبه، وأرسل رسله، رحمةً منه بخلقه، وتسهيلاً لهم لعبادته؛ فجعل لنا مظاهر الجلال حتى نخافه ونهابه .

رؤية الخلق العظيم، وهذه الجبال الشاهقة، وهذه الشمس الملتهبة، وهذه النجوم المتناثرة وهذه البحار الواسعة، كل هذا يدل على جلال الله : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ [٦] ﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [٧] ﴿ تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرِي لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾ [٨] [ق: ٦-٨].

وعرفنا كذلك بنعمه وإحسانه، هذا الهواء اللطيف، وهذا الماء العذب، وهذه الشمس التي نستفيد من نورها، وهذه النعم التي لا تعد ولا تحصى .

فالكون مظهر لجلال الله وجماله، فالله ﷻ أظهر لنا أسماؤه الحسنی في كتابه المنظور، وفي

الكتاب المسطور وهو القرآن .

وأظهر أفعاله في ملكه العظيم ؛ حتى نعرف أن هذه المخلوقات لها خالق، وهذه الصور لها مصور وأن الخالق حكيم، وأنه غني، وأنه قادر، وأنه خبير، وأنه لطيف، وأنه كريم، جميع أسماء الله الحسنى أودعها في مخلوقاته، وكشفها في كتابه، وسنة رسوله ﷺ .  
جميع أسماء الله الحسنى أظهرها الله ﷻ في مخلوقاته في الكون المنظور : ﴿ قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿١٠١﴾ ﴿يونس: ١٠١﴾ .  
هو الخالق الذي خلق كل شيء، الرزاق الذي رزق الخلق؛ فاحمدوه على نعمه التي لا تعد ولا تحصى .

اقرأوا في كتاب الله ترون أسماءه الحسنى ، وصفاته العلى ، وأفعاله الحميدة : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ ﴿٢٥٥﴾ ﴿البقرة: ٢٥٥﴾ .

فمن عرف الله حقاً وحده حقاً، وعبدته حقاً : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴿الحشر: ٢٢-٢٤﴾ .

فالله أكبر! هذه جنة المعرفة، أعظم جنة خلقها الله ﷻ هي هذه الجنة، ومكانها القلوب، وهي محل نظر الله، فلنوقر الله؛ حتى لا نرى في هذه القلوب إلا التوحيد والإيمان، والتوكل عليه، والحب له، والخوف منه، والرجاء له، ونطيعه بقلوبنا وجوارحنا، ونذكره ونشكره ونحمده ونسأله بالسنتنا : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بَنَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ ﴿نوح: ١٣-٢٠﴾ .



أسهل شيء طاعة الله ﷻ وعبادته؛ لأنها أنسب شيء وأحسن شيء، وأبين شيء، وأظهر شيء، ولكن الشيطان يجتهد على الخلق، فيصرفهم عن العبادات إلى الشهوات، وعن الآخرة إلى الدنيا، وعن الهدى إلى الهوى، وعمما يجب الرب إلى ما تحب النفس، ثم يوم القيامة يعتذر منهم، ويقف خطيباً بينهم على كرسي من نار يوم القيامة: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ ﴾ [إبراهيم/ ٢٢] .

فعلينا أن نعلم أن أصل العبودية حمد الله ﷻ، ولكن الحمد لا بد أن تسبقه المعرفة؛ لأعرف من أكبر؟ من أحمد؟ من أشكر؟ من هو الملك الذي له ملك السماوات والأرض، وله ملك الدنيا والآخرة، وله ملك عالم الغيب وعالم الشهادة؟ ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [١٢] ﴿ [الطلاق: ١٢] .

فنحمده لعظمة ملكه .

ونحمده على نعمة التربية لجميع الخلائق: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ [الفاتحة: ٢-٤] .

يجب الرحمن الرحيم من عبده أن يتوب إليه، ولو جاء بقراب الأرض خطايا لغفرها له، يجب من عبده أن يحمده ويوحده .

وهو ملك الملوك، والملوك في الدنيا كثيرون، ولكن المالك يوم القيامة هو الله وحده ، فجميع الملوك من البشر والممالك كلهم خاضعون لأمره: ﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴾ ﴿٢٦﴾ [الفرقان: ٢٦] .

فالحمد لله رب العالمين أن أعطانا العقول التي نعقل بها من يستحق العبادة؟ من يستحق الطاعة؟ من يستحق الحمد؟ .

أعطانا العقول التي ميزنا بها عن المجانين، وعن السفهاء، أعطانا العقول التي نعرف بها الخير من الشر، والحق من الباطل، والفضيلة من الرذيلة .

وأعطانا القدرة التي نعمل بها بالحق، ونجتنب الباطل، ونعرف من يستحق الطاعة ممن

يستحق المعصية، ونعرف عدونا والشيطان والنفس والهوى، هذه نعمة كبيرة من الله، نحمد الله ﷻ على هذه النعم، وهذه العطاءات في خاصة أنفسنا، وفي غيرنا، وفي العالم العلوي، وفي العالم السفلي: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ ﴿٢٠﴾ [لقمان: ٢٠].

إذا هذا التسخير العظيم يستوجب حمدًا من المسخر له: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿١٣﴾ [الجنات: ١٣].  
ونستغفر الله من التقصير في العبادة، ونستغفر الله من التقصير في الدعوة، ونستغفر الله من التقصير في تعليم الخلق دين الله ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩].

تركنا الدعوة إلى الله حتى صارت البشرية تعبد هواها وشهواتها، وأهل الأرض كلهم في الظلمات والخسار؛ إلا من عرف الله، وعبد الله بما شرع الله: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١-٣].

الله أرسل الرسل لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ونجتهد على الخلق الذين حصل فيهم النقص؛ حتى يحصل لهم الكمال على أيدينا، وحتى يعطينا الله الأجر، ولو شاء لكمل الخلق كلهم، ولكن الله ﷻ جعل في الخلق من النقائص والعيوب، ليظهر قدرته، وليعرف الناقص من الكامل، والضعيف من القوي، والعاجز من القادر: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ ﴿١٧٠﴾ [الأعراف: ١٧٠].

لا بد أن نتقل من الإصلاح إلى الإصلاح، ونجمع بين الإصلاح والإصلاح، فأجتهد على نفسي بالاستقامة، وأجتهد على غيري بالدعوة والتعليم، والإحسان إلى الخلق. وبهذا يكون الإنسان محمودًا، ويأخذ من صفات الله ﷻ صفة الحمد، فيحمده الله ويذكره، قال ﷻ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾ ﴿١٥٢﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ ﴿١٦﴾ [مريم/٩٦].

فستغفر الله من التقصير في التكبير والتحميد، والتقصير في كل عمل، وفي كل قول، وفي كل خلق.

فله الحمد كما ينبغي لجلاله وعظيم سلطانه على ما أنعم به علينا من النعم التي لا تعد ولا تحصى، وما أسداه إلينا من النعم الظاهرة والباطنة من جزيل مواهبه، وجميل إحسانه، وكريم أياديه: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

ليس القصد أن ندخل في الدين، بل القصد أن يدخل الدين في قلوبنا، ليس المطلوب أن أسمع عن الله وأسمائه وصفاته ودينه وشرعه؛ فأبقى مثقفاً وعالمًا وشيخًا، المطلوب أن أسمع بأذني، وأوصل هذا السمع إلى قلبي، هذا القلب إذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ تُوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٤﴾ [الحجرات: ١٤].

إن كل ما نرى في الكون مظاهر توجب علينا حمد الله؛ فله الحمد كله، على ما خلقه في السماوات والأرض: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

وله الحمد كله على إجابة دعوة المضطرين، وكشف كرب المكروبين، وقبول توبة التائبين، وإجابة السائلين، وإكرام وإطعام الخلق أجمعين: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَا لَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ [النمل/٦٢].

والحمد لله على نعمة إرسال الرسل: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ [النمل: ٥٩].

وله الحمد كثيرًا على ما يجود به من النعم في كل ثانية قبل سؤالها، ودفع المحن قبل حلولها، وحماية العباد عن مراتع الآثام: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٤٤٣﴾ [البقرة: ٢٤٣].

هو سبحانه العظيم ، وكتابه عظيم ، ودينه عظيم ، ووصف ثوابه بأنه عظيم ، وبأنه كبير ، وبأنه كريم ، فله الحمد على جمال ذاته وأسمائه وصفاته .

وله الحمد كثيرًا على ما يربي به عباده بأحسن الأوصاف ، ويبلغهم ما ينفعهم من ذلك ما لا تبلغه الآمال ، ويهديهم برحمته إلى سبل السلام: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

كم من نعم الله ﷻ علينا التي نراها في كل لحظة؛ حتى تسهل علينا عبادة الله .

فسبحان العزيز الحميد الذي يتحبب إلى خلقه بالنعم وهو الغني عنهم، وهم يتبغضون إليه بالمعاصي مع فقرهم إليه، ومع ذلك يدعوهم إليه، ويناديهم بأحب الأسماء إليه ليرفع مقامهم بين يديه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٢-١٠٣].

فسبحان الكريم الذي أكمل لنا الدين، وأجزل لنا الثواب، الغني الحميد الذي اختار لعباده أحسن الأديان، وأحسن الأقوال، وأحسن الأعمال، وأحسن الأخلاق، وجزاهم بأحسن الثواب: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة/ ٣].

﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِنَبَاً مُتَشَبِهًا مَثَانِي نَقَّشِرُهُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣].

ويعطي الكريم الحميد لمن أحسن العمل أحسن المنازل في الجنة: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ؕ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [يونس/ ٢٦].

والله رؤوف بالعباد، لطيف بخلقه، ما ألطف خطاب الله ﷺ في القرآن لهذه الأمة! إنه يخاطبها كالأنبياء في وعظه إياهم بالتعريض، وحثه لهم بالتحريض، يقول لهم: وسارعوا، سابقوا، كتم خير أمة؛ ألا تحبون أن يغفر الله لكم، وتريته لهم بقص ما أصاب من قبلهم، قص الله ﷺ علينا أخبار الأمم السابقة كقوم نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم .

هذه الأمم السابقة كشف الله لنا عوراتها؛ حتى لا نقع في تلك العورات :

هذه الأمة أعمارها قصيرة ، وذنوبها مغفورة، وعيوبها مستورة، وأعمالها مضاعفة، لماذا؟ لأنها مكلفة بعمل الأنبياء، وهو الدعوة إلى الله إلى يوم القيامة : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾

[آل عمران: ١١٠] .

وكذلك الله ﷺ ألطف لنا الخطاب في بشارتنا بما أعد الله ﷻ لنا من النعيم فقال : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧٢] .

فالله ﷺ ألطف لنا في الخطاب، وبشرنا بما أعد لنا فقال : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥] .

فبشرنا الله بما أعد لنا من النعيم، وأكرمنا بعدم مواجهتنا بخطاب الوعيد، وخصنا بمضاعفة الثواب إكرامًا لنا، والعفو عن سيئاتنا : ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نَكَفَّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ ﴾ [النساء: ٣١] .

كل هذا من تلطف الكريم بنا بأن خاطبنا بهذه الفضائل؛ حتى نرغب في الحق، ونبتعد عن الباطل، ونعمل بالحق، وندعو إليه، ونصبر عليه : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] .

فهذه أعظم جنة في الدنيا، جنة العلم بالحق، والعمل بالحق، والدعوة إلى الحق، والصبر على الحق، ولكن لا يعرف هذه الجنة من عاش في الظلمات، لا يعرف من في الظلمات إلا من كان في النور: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعام: ١٢٢].

ومن رحمته بنا التي يستحق منا الحمد عليها أن جعلنا خير الأمم، وورثة الرسل في الدعوة إلى الله، والعمل بالشرع: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران/ ١١٠].

فمن لم يجد طعم الإيمان، وحلاوته، وحقيقته، ويجد طعم هذه الأذكار والأفكار والمعارف عند تلاوة كتاب الله؛ فعليه أن يعالج قلبه بالإيمان والتقوى، ويكثر من الدعاء بأن يحيي الله قلبه الميت، وأن يصحح له سمعه وبصره: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَالْقِيَامَةَ فِيهَا رَسُولِي وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهَيْجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق/ ٦-٨].  
 ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق/ ٣٧].  
 لا بد للمؤمن من القلب الحاضر، والسمع الحاضر، والشهود بالقلب والقلب .  
 والله سبحانه اختص برحمته من يشاء، وقصد بعذابه من يشاء بحسب علمه السابق، وهو يهدي من يشاء، يهدي من هو أهل للكرامة، ويضل من هو أهل للإهانة، بعلمه السابق لا بإلزامه القاهرة .

فالله أقام الحجة بإعطاء العقول والأسماع والأبصار لكل أحد، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل، ليبلغوا الحق للناس، ولكن منهم من هدى الله، ومنهم من حقت عليه الضلالة بحسب علمه السابق: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦].

والله ﷻ يجب إحسانه أكثر من عدله، ولكن أن الناس يجترئون على المعاصي فيعاملهم

بعده: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ ، هذا فضله : ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا أَمْثَلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿١٦٠﴾ [الأنعام: ١٦٠] .

وهذا عدله، فالمؤمنون بفضلهم ورحمته مخصوصون، والكفار بعده يعاملون، ولكل واحد من الأمرين والجنسين قسطه من الحكمة والرحمة ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١١٩﴾ [آل عمران/ ١٢٩] .

كأن الله ﷻ يقول لنا: فاستغفروه؛ فإنه رحمن رحيم، وهؤلاء الذين يعملون المعاصي لله ﷻ، فالله ﷻ أظهر فيهم عدله؛ إظهاراً لجبروته ، وملكه وسلطانه، وقوته ، وقهره ، وقدرته جل جلاله، وأظهر لأولياته إكرامه وإحسانه؛ إظهاراً لجماله وإحسانه إلى خلقه .

فالابتلاء كله خير للمؤمنين، ورحمة للموقنين، يصح به توحيدهم، وتكفر به سيئاتهم، وترفع به درجاتهم، فله الحمد والشكر والمنة على نعمة العطاء ، ونعمة المنع، ونعمة الغنى ، ونعمة الفقر : ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ ﴿٢﴾ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٣﴾ [العنكبوت/ ٢-٣] .

فهؤلاء المؤمنون بالدين يسعدون، وبالمحنة يتربون، وبالعلم يهتدون، وبالإيمان يصلون، وبالعمل الصالح يصعدون : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ ﴿١٠﴾ [فاطر/ ١٠] .

وهؤلاء هم صفوة الخلق ، وأسعدهم في الدنيا والآخرة : ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّلُوعَاتِ أَنْ يَعْْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ﴿١٨﴾ [الزمر/ ١٧-١٨] .

فسبحان من خلقهم للخيرات، وأعدهم لها، واستعملهم بما يوصلهم إليه، وإلى رضوانه، وإلى الجنة ، بما يسر لهم من السمع والبصر والعقل الذي يستقبل الوحي، وبما يسر لهم من أنواع القربات والواجبات ، والمستحبات فهم دائماً سابقون مسرعون إلى مرضاة ربهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَجَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء/ ٩٠] .

لما يرون من جلال الله وعظمته، وحسن إنعامه إلى خلقه .

وهؤلاء المؤمنون العارفون بالله إن أصابتهم نعمة شكروا ربهم عليها، واستعانوا بها على

طاعته، وحمده عليها، وإن أصابهم مكروه صبروا على ما قدر الله عليهم من المصائب؛ فعوضهم عنها العوض الأكبر، صبروا على المصائب، ثم رضوا بذلك، ثم حمدوا الله على نعمة الصبر، فالله ما ابتلى إلا ليعافي، وما منع إلا ليعطي، وما قبض إلا ليسط : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

والصبر من الله ﷻ : ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٧-١٢٨].

والمصائب خزائن الثواب : ﴿قُلْ لَن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَالْتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة/٥١].

فليتظر العبد الصابر، والعبد الشاكر من ربه كل خير، فالله شاكر عليم : ﴿قُلْ يَعْبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَأَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةٌ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠].

فهؤلاء المؤمنون في كل حال يربحون على ربه، في كل نعمة وبلاء، وفي كل طاعة ومعصية ؛ فهم إذا فعلوا الطاعة شكروا الله، وإذا فعلوا المعصية استغفروا الله، وإذا نزلت بهم نعمة شكروا ربه، وإذا نزلت بهم مصيبة صبروا وشكروا الله على هذه النعمة ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآءٍ أَنَّهُمْ رُبُّهُمْ ءِإِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات/١٥-١٩].

وعلماء الطب، وعلماء الصحة يقولون: إن الإنسان يحتاج يومياً أن ينام إلى ثمان ساعات، حتى يقوى على العمل في النهار، وهذا ليس بصحيح؛ فالإنسان تكفيه ساعتان أو ساعتان ونصف تقريباً؛ وكان النبي ﷺ يقوم الليل إلا قليلاً، ويقوم الليل حتى تتفطر قدماه.

الراحة ليست بالنوم، الراحة من الله، ولكن النوم فيه لذة كما في الاستيقاظ لذة، وهذه



نعمة ، وهذه نعمة، والنوم فيه استعداد للعمل الجديد، وفيه راحة من التعب الذي مر  
بالإنسان، وكل شيء في خزائن الله، السعادة والشقاوة بيد الله، الراحة والتعب بيد الله  
ﷻ، فيجب على المسلم أن يكون ليله بين يدي ربه عابداً له ، حامداً له ، مستغفراً له :  
﴿ أَمَّنْ هُوَ قَلَنْتَ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ  
يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر/ ٩].

والناس بحسب المعرفة: مستقل ومستكثر ومحروم، حسب المعرفة يكون الذكر والدعاء  
والقيام والتهجد، وكذلك في النهار هو مأمور بأن يسبح في هذا البحر العظيم من البشر؛  
فيدعو الناس إلى الله، ويعلمهم شرع الله، ويحسن إلى خلقه؛ حتى يُحمد الحميد ، ويكبر  
الكبير، ويعظم العظيم، ويشكر المحسن : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا  
وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨] .  
فهو دائماً في جميع أوقاته بين يدي ربه، حامداً له، داعياً الله ، معلماً لشرعه ، محسناً إلى  
خلقه .

فهذا الشكر بالقلب واللسان والجوارح : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا  
تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨] .

فأهل الإيمان جعلهم الله درجات في الإيمان والعلم، والعمل والأخلاق، والأجور  
والمنازل، هذه درجات عظيمة، والناس متفاوتون فيها بحسب الإيمان والعلم والعمل :  
﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١] .

وأعلى الناس درجةً في الإيمان ، والعلم ، والعمل ، والأخلاق ، والأجور ، والمنازل ،  
هم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وهم ثلاث درجات .  
ثم بعدهم يأتي الناس حسب درجاتهم : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ  
اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء/ ٦٩ - ٧٠] .

وذلك كله من فضل الله علينا، وبحسب المعرفة تكون قوة التعبد، وقوة الشكر، ويكون البكاء، ويكون الخشوع، ويكون العمل، ويكون رضوان الله .

وحب الله للعبد بحسب حسن أعماله، وحسن أقواله، وحسن أخلاقه، ومسارة في الخيرات: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ [فاطر: ٣٢-٣٤].

الله أكبر! جنة في الدنيا جنة المعرفة، وجنة في القبر روضة من رياض الجنة، وجنة في الآخرة هي أنواع من الجنات: الفردوس، وجنة المأوى، ودار الخلد، ودار السلام .

فسبحان الكريم الذي يجزي على الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة، يرضيه العمل القليل، ويعطي عليه الثواب الكبير، والثواب العظيم، والثواب الكريم: ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾

[النساء: ١١٤].

وقال رسول الله ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ؛ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» أخرج مسلم<sup>(١)</sup>.

والله ﷻ هو الغني الكريم، هو الولي الحميد، المحمود على جميع أفعاله، ينعم على العبد في الدنيا بالعطايا، فإذا استرجعها منه كانت له من عطايا الآخرة، ولهذا رغب الله ﷻ عباده المؤمنين بالصبر على المصائب، ووعدهم على ذلك بجزيل الأجر: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

الذين عرفوا أن الرحمن الرحيم لا يفعل بعده إلا ما فيه مصلحته في الدنيا والآخرة،

(١) أخرج مسلم برقم (٢٩٩٩).

فَأَمَنُوا بِهِ وَأَطَاعُوهُ ، هَؤُلَاءِ أَهْلُ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ ، جَعَلْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ وَوَالِدَيْنَا وَأَزْوَاجَنَا وَذُرِّيَاتِنَا وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ مِنْهُمْ : ﴿ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ٥] .

هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ لَهُمْ نَعِيمٌ أَبَدِيٌّ ، لِأَن فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ الْمُسْتَمِرَّ ، وَالْعِبَادَةَ الْمُسْتَمِرَّةَ ، فَاللَّهُ أَعْطَاهُمْ الْخُلُودَ فِي النَّعِيمِ بِحَسَبِ نِيَاتِهِمْ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمُ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾ [البينة: ٧-٨] .

أَمَّا مَنْ أَوْقَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدْلَهُ ، فَجَعَلَ قِسْمَهُمُ الْكُفْرَ ، وَأَنْوَاعَ الْمَعَاصِي ، وَالتَّقَلُّبَ فِي مَسَاخِطِهِ وَغَضَبِهِ ، نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ ؛ فَهَؤُلَاءِ هُمُ أَهْلُ عَدْلِهِ ؛ الَّذِينَ جَزَاهُمْ بِالسَّيِّئَةِ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ﴿١٦٠﴾ [الأَنْعَامُ: ١٦٠] .

فَهَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ لَهُمْ عَذَابٌ مُّسْتَمِرٌّ ؛ لِأَن فِي قُلُوبِهِمُ الْمَعْصِيَةَ الْمُسْتَمِرَّةَ ، وَالْكَفْرَ الْمُسْتَمِرَّ ، فَاللَّهُ عَذَّبَهُمْ بِالْخُلُودِ فِي الْعَذَابِ بِحَسَبِ نِيَاتِهِمْ : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَاللَّهُمَّ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ ﴿٦٨﴾ [التوبة: ٦٨] .

فَهَؤُلَاءِ مَلَكَهُ وَعَبِيدُهُ ، خَلَقَهُمْ لِمَاذَا؟ لِيُظْهِرَ بِهِمْ مَجْدَهُ وَجَلَالَهُ ، وَيُقِيمَ بِهِمْ أَمْرَهُ ، وَيَتِمَّ بِهِمْ كَلِمَتَهُ ، وَيَصْدُقَ بِهِمْ قَوْلُهُ ؛ فَصَارُوا كُفَّارًا بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ ، وَبَعَثَ الرَّسُلَ إِلَيْهِمْ ، فَأَوْجَدَهُمْ لِيُظْهِرَ بِهِمْ عَدْلَهُ ، وَعِزَّةَ مَلَكَهُ ، وَكَمَالَ قُدْرَتِهِ وَجَبْرُوتِهِ : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّقَتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةَ فَمَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴾ ﴿٣٦﴾ إِنْ تَحَرَّصَ عَلَىٰ هُدْيَتِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ [النحل: ٣٦-٣٧] .

فَسَبْحَانَ مَنْ حَجَبَ عَنِ الْكُفَّارِ هَذَا الْإِيمَانَ ؛ لَعَلَّمَهُ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالشَّرِكِ الَّذِي لَا يَتْرُكُونَهُ : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضَّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ ﴾ ﴿٢٣﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ [الأنفال: ٢٢-٢٣] .

وسبحان من حجب الكفار عنه بأغظ حجاب، فسكنوا عن نوره في قعر الظلمات؛ لِيَتَمَّ عليهم أمره، وينفذ فيهم حكمه: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرْمًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام/ ١٢٥].

فالحمد لله رب العالمين على نعمه السابغة، وله الحمد على أحكامه العادلة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ② الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③ مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ ④ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑦ ﴿ الفاتحة: ٢-٧ ] .

وسبحان الحكيم العليم الخبير الذي خلق في الدنيا المؤمنين والمتقين، وخلق الأنبياء والمرسلين، وخلق الصالحين والمصلحين، وخلق النافعات من النبات والحيوان، وخلق الطيبات والمحجوبات .

وسبحان الحكيم العليم الخبير الذي خلق في الدنيا إبليس وجنوده، وخلق الكفار والفجار، وخلق المؤذيات من العقارب، والحيات، والسباع، والحشرات، وخلق الأشواك والحشائش، والروائح الكريهات، والأمور المؤذيات، والأمراض والمصيبات، خلقها إظهاراً لقدرته في خلق المتضادات، وبياناً لوحدانيته، خلقها لصرف الأشرار إلى أعمال الأبرار، وجذب النفوس إلى الملك القدوس، وجر القلوب من دار الغرور إلى دار السرور، ومن دار الفناء إلى دار البقاء .

فسبحان الحكيم الذي أفعاله كلها في منتهى الحكمة! ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ②٤ ﴿ [الحشر: ٢٤] .

خلق كل ذلك إظهاراً لكمال قدرته، وإبرازاً لما في دار عذابه من الكريهات والمؤلمات، وامتحاناً لعباده بالمرضي وغير المرضي؛ ليعلم من يؤمن به، ومن يكفر به، ومن يطيعه، ومن يعصيه: ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ ③٥ [الأنبياء/ ٣٥].

فكل مخلوق خلقه الله له حكمة، ولكل تدبير حكمة يحمد عليها الرب جل جلاله: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ ⑥ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ⑦ [غافر/ ٦٥].

هو الحي بصفات الكمال من السمع والبصر، والقوة والقدرة، والعلم المحيط، والقدرة الشاملة، والمشية النافذة، والحكمة البالغة .

والله سبحانه هو الخلاق العليم الذي له الملك والملكوت، وله الحكمة فيما يفعل، وفيما يشاء، خلق الخلق من الجن والإنس، وجعل مساكنهم في ثلاث دور .

الأولى: الجنة دار السلام، خلقها الله لطالبي رضاه، العاملين بطاعته وعبادته، خلق فيها كل شيء مرضي، وملاها بكل محبوب، وساق إليها كل مؤمن: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طُبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [الزمر/ ٧٣] .

طابت أفعالكم وأعمالكم، وأخلاقكم وأبدانكم، الآن طبتم فادخلوها، فالطيبة للطيبين، فادخلوها خالدين .

الثانية: النار دار العذاب؛ خلقها الله لمن كفر به، وأغضبه، وأسخطه، وعمل بمعصيته، خلق فيها كل كرهه، وملاها بكل مؤذٍ، وسعرها بكل محرق، وساق إليها كل كافر ومشرك، وظالم ومستكبر، وفساد وفاسق: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [الزمر/ ٧١-٧٢] .

وتلك الدار دار السلام، ودار العذاب وهي النار، هاتان في يوم القيامة .

الثالثة: دار الدنيا التي خلقها الله سبحانه، دار سجن لعباده؛ لينظر كيف يعملون، وأي دار يبتغون بعد موتهم، والدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر .

فنحن الآن في هذه الدار، امتحننا الله بثلاثة أمور :

بالأوامر الشرعية، والشهوات الحيوانية، وبالمصائب القدرية، ليختبرنا في هذه الدنيا؛ فهذه الدنيا دار سجن للمؤمن، لأنه مسجون عن النعيم؛ ليتزود بالأعمال الصالحة، ويستكثر من الأعمال الصالحة؛ ليزداد نعيمه في الجنة .

والكافر يتزود من الأعمال السيئة، وينتظر العذاب يوم القيامة .

قال النبي ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

والله ﷻ خلق هذه الدنيا، وأخرج إلى هذه الدار من دار رحمته ما شاء أن يفتحه منها بالماء، من أنواع الفواكه والثمار والحبوب، وغيرها من النعم التي لا تعد ولا تحصى، ومن القصور ومن اللباس ومن البيوت: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [ق/٩-١١].

من هذه الدنيا سوف تخرجون وتدخلون دار النعيم الأبدي، أو العذاب الأبدي، المؤمن يدخل الجنة، والكافر يدخل النار.

وأخرج إلى هذه الدار الدنيا من دار سخطه وهي النار كل كريبه، ومؤذٍ، ومؤلم، وجمع فيها من المؤذيات والمؤلمات كل مكروه للنفس، وجعل ذلك كله تذكرة بنار جهنم: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَمتَعًا لِلْمُقِيمِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الواقعة/٧١-٧٣].

والعذاب يوم القيامة لأهل النار بالتجميد والتحريق.

قال النبي ﷺ: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: يا رب، أكل بعصي بعضنا، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فهو أشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

فالله سبحانه أخرج من النار إلى هذه الدنيا شدة الحرارة في الصيف، وشدة البرودة في الشتاء.

فهذه إنذارات وتذكير بالدار الآخرة، الزمهرير وشدة الحر مذكّر لنا بنار جهنم؛ وألوان النعيم مذكّر بنعيم الجنة، حتى نعلم أن ما وراءنا من العذاب المقيم، أو النعيم المقيم، فيه إشارات له في هذه الدنيا.

وخلق الجبار سبحانه ذلك كله؛ ليدل على كمال قدرته، وقوة سلطانه، وعظمة ملكه، وكمال أسائه وصفاته: ﴿ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٥٦).

(٢) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٠)، ومسلم برقم (٦١٧)، واللفظ له.

وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأُنعام/ ١٠٢].

خلق ذلك كله وقدره، وأظهره بقسط معلوم، وقدر موزون، وحكمة بالغة: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَّذْكَرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾ [القمر/ ٤٩-٥٣].

فاعملوا بما يحب الله، واجتنبوا مساخطه، لتكونوا يوم القيامة في الجنة بقربه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْنَدٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].  
فسبحان الحكيم العليم، وسبحان من خلص الجنة من الشر كله، فجعل فيها الخير كله بحذافيره، وخلص النار من الخير كله، وجعل فيها الشر كله بحذافيره: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِيتٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣-١٤].

ومزج في هذه الدار الدنيا بين الخير والشر، والحق والباطل، والحلو والمر، والمحبوب والمكروه، والطيب والخبيث، والمؤمن والكافر، والمطيع والعاصي؛ إظهاراً لقدرته جل جلاله: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهَيَّدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الذاريات/ ٤٧-٤٩].

فكن من أوليائه تسعد بجنته ورضوانه، وتسلم من ناره: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

وأظهر جل جلاله من رحمته في هذه الدار ما يشهد بتوحيده، وجعل فيها ما يسهل للمؤمنين مقاصد الخيرات من أنواع النعم والآيات البيّنات: ﴿الْمُرْتَوَىٰ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح/ ١٥-٢٠].

وقال سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

ما أعظم السبل والصراط المستقيم الذي يسير به إلى الهادي، وإلى جنات النعيم!  
وأظهر الولي الحميد جل جلاله قدرة الخالق وعجز المخلوق؛ تسهيلاً لتحقيق التوحيد له  
وحده لا شريك له: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضَ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ  
وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ  
فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ [لقمان/ ١٠-١١].

فإذا عرفت الخالق بأسمائه وصفاته، وجلاله وكبريائه، وعرفت نعمه وإحسانه؛ أمنت به  
وأحببته وعبدته، فلا يتأخر عن الإيمان به، وطاعته وعبادته إلا ناقص العقل المحروم  
الخاسر: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا  
وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ  
الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقد خلق الملك القادر لكل إنسان قصرًا في الجنة لو آمن، وسجنًا في النار لو كفر، ثم بعد  
البعث يرث المؤمنون منازل الكفار في الجنة، ويرث الكفار منازل المؤمنين في النار.  
فاجتهد أن تكون بعد الموت وارثًا لا مورثًا، ترث الفردوس بالإيمان والعمل الصالح.  
قال النبي ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنْزِلَانِ: مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَإِذَا مَاتَ  
فَدَخَلَ النَّارَ وَرِثَ أَهْلَ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ  
الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ﴿١١﴾» أخرجه ابن ماجه<sup>(١)</sup>.

سبحان الحكيم العليم الذي جعل المصائب كلها رحمةً لعباده المؤمنين، خصهم بها،  
وأنعم بها عليهم؛ تذكيرًا لهم، وتخويفًا لهم، لينبههم بها عند غفلتهم، فإذا رأوا النار  
تذكروا نار جهنم، وإذا رأوا المكاره تذكروا ما أمامهم من العذاب والمكروهات في نار  
جهنم، فالمصائب والمكاره نعم توظف العباد لسلوك سبيل الرشاد والنجاة، فيعملون بما  
يحبه ربهم ويرضاه؛ لينالوا بذلك دار الأمان والسلام: ﴿ هُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ  
وَالِيُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ [الأنعام/ ١٢٧].

فهم يتلقون المصائب على أنها نعم من الله ﷻ: ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا  
هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ [التوبة/ ٥١].

(١) صحيح/ أخرجه ابن ماجه برقم (٤٣٤١).



فسبحان من ساق لعباده النعم في صورة مصائب، وجزاهم على الصبر على ذلك بأجزال الأجر: ﴿قُلْ يَعْبادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّادِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠].

فنعيم الدنيا وسرورها، وثمارها وخيراتها، يذكرهم بنعيم الجنة فينشطون للطاعات، والنار ومؤامات الدنيا ومصائبها تذكرهم بعذاب النار وسعيرها، فيكفون عن المعاصي . وبضيق الدنيا وظلمتها يتذكرون ضيق النار وظلمتها، ويتذكرون بأمراض الدنيا وآلامها وأوجاعها ما في النار من ألوان العذاب .

فالنار سجن، وفي داخل السجن أنواع العذاب والتعذيب، والخزي والنكال، والحسرة والندم .

وما في الدنيا من المرض والجوع والعطش والههم والحزن يذكرهم بما في النار من أنواع العذاب الظاهر والباطن: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّادِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

[البقرة: ١٥٥-١٥٧].

هذه كلها مذكرات بالدار الآخرة، بدار الخلود، إما في الجنة أو في النار . فإذا علم المسلم والمسلمة بهذا؛ علم أن كل محبوب للنفس خلقه الله في الدنيا، ليذكر العبد بالمحسوب الأعلى في الجنة، وكل مكروه في الدنيا خلقه الله ليذكره بالمكروه الأكبر في النار .

وكل نعمة من النعم، وكل مصيبة من المصائب، سبيل لحصول المحبوب الأعلى في الدنيا والآخرة، حكمة بالغة، وسنة ماضية، ونعمة سابعة: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان/ ٢٩-٣١].

والله ﷻ أمرنا بمعرفته بأسمائه، وصفاته، وأفعاله لتسعد بعبادته وحده لا شريك له، فقال ﷻ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثُونَكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

وبين كل ذلك في القرآن؛ لتتعرف على أسمائه وصفاته، ونحفظها، ونتعبد لله بموجبها .  
 فالله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى، وهو  
 لذلك أهل أن يحمد، وأهل أن يعبد، وأهل أن يكبر: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا  
 هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .  
 واسم الله الحميد من أوسع أسماء الله التي ظهرت آثارها في الكون، فكل نعمة من نعمه،  
 وكل آية من آياته، وكل أمر من أوامره، وكل خلق من خلقه يدل على جلاله وجماله  
 ومستوجب للحمد من الخلق للخالق ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ  
 وَ لَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧] .

## التعبد لله ﷻ باسمه الحميد

الإنسان إذا عرف ربه بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی، وأفعاله الجمیلة، أحبه ومجده وعظمه وكبره، وحمده وشكره؛ لما يرى من عظمة أسمائه وصفاته، وأخلص له العبادة، وامثل أوامره، واجتنب نواهيه، وتقرب إليه بأنواع الطاعات؛ لأنه عرف الله ﷻ بصفات جلاله، وصفات جماله .

واسم الله الحميد من صفات جماله، ومن صفات جلاله؛ لأن كل نعمة منه، وكل عظمة وكبرياء له: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكِبْرُهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء/ ١١١].

والله سبحانه لكمال ذاته وأسمائه وصفاته هو المستحق وحده للمحامد كلها . فكل ما يحمد به الخلق فهو من الخالق، كل حمد من الخلق موجه إلى الخالق فهو من حمد الخالق؛ لأنه الذي خلق وهدى، وحبب إلينا الطاعات، وعلمنا ما لم نكن نعلم، فالمحامد كلها له جل جلاله، وكل ما يحمد به فمن فضله وإحسانه على خلقه: ﴿ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣] .

وهو جل جلاله الحميد الذي هو أحق بالحمد من كل محمود من الخلق: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام/ ١] .

إن معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله تثمر للعبد الاستسلام لربه بقلبه، ولسانه، وجوارحه، والامتثال لأوامره، والرضا بقدره من كل محبوب ومكروه؛ فلا يستوي إيمان العبد حتى يرى المكروه كالمحبوب قضاءً من الله، وإحساناً إلى عبده؛ فيرضى به .

فمعرفة الحميد جل جلاله، ومعرفة النعم التي يحمد عليها، ومعرفة أسماء الجلال والجمال التي يحمد عليها، تثمر للعبد الاستسلام بقلبه وبدنه لربه، والامتثال لأوامره الشرعية، والرضا بأقداره على هذا الإنسان، وحسن الظن بالله؛ لأن الله جميل لا يفعل إلا كل جميل، وحميد لا يفعل إلا ما يحمد عليه: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادَعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ أَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٥] .

والله سبحانه حميد يحب الحامدين له، ويجب الشاكرين له، ويجب المطيعين له، ويجب المؤمنين به، ويجب المجاهدين في سبيله، ويجب التائبين إليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

فالله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، ويجب من عباده أن يتصفوا بالصفات التي يحبها، ويجب أهلها؛ فالذين اشتراهم الله، واشترى أنفسهم وأموالهم، ما هي صفاتهم؟ ﴿التَّيُّبُونَ الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ السَّخِيحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة/ ١١٢].

هو الحميد الذي نحمده على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وهو جل جلاله الحميد الذي يحمد من خلقه كل جميل؛ فيثني على عباده الذين اتصفوا بالصفات التي يحبها كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الْأُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّالِحِينَ وَالصَّالِحَاتِ وَالْحَفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

هؤلاء أهل هذه الصفات، هم الذين يحبهم الله جل جلاله، ويحمدهم على أفعالهم. فهو حميد، وهو شكور يشكر كل من آمن به، وعمل صالحًا، ومن شكره أنه يضاعف الحسنه بعشر أمثالها، إلى سبعمئة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، ولا شيء أحب إلى الله من الحمد؛ ولهذا حمد نفسه، ومجد نفسه، وأثنى على نفسه؛ لأنه أهل لذلك؛ وليعلم عباده ويرغبهم في حمده وشكره؛ فقال ﷻ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الرحمن الرحيم ٢] ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [إياك نعبد وإياك نستعبد ٥] [الفاتحة/ ٢-٥].

ومن هذه أسمائه وصفاته وأفعاله، وهذه نعمه والآؤه، وهذا ملكه وسلطانه، فهو أهل أن يعبد ويكبر، وأهل أن يحمد ويشكر: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

فالحمد لله رب العالمين أن عرفنا بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وهدانا للإسلام،

وأسبغ علينا نعمه الظاهرة والباطنة .

والمؤمن حقاً من يسعى في تحصيل خصال الحمد من الإيثار والتقوى، والتخلق بالأخلاق الحميدة ، والأفعال الجميلة، واجتناب ما يوجب الذنب والعقوبة من الصفات الذميمة: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣ - ١٣٤].

الله ﷻ يجب من عباده أن يتصفوا بهذه الصفات التي يجبها ، ويحذرونها من الصفات التي توجب الذم : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْحَرُونَهُمْ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءِ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا نَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِاللِّقَابِ بئس الأسم الفسوق بعد الإيثار ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾ (١١) يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبْنَا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُّبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ [الحجرات: ١١-١٢].

فكل هذه الصفات الذميمة التي يذم الإنسان عليها حذرنا الله منها، وكل الصفات المحمودة التي يحمد الإنسان عليها رغبنا الله فيها، ووعدنا على ذلك الجنة.

وحمد المسلم لربه يكون بالقلب واللسان والجوارح، الحمد لله رب العالمين، هذه صيغة الحمد؛ هذا نطق اللسان، لكن المطلوب تحريك القلب واللسان والجوارح بالحمد، وذلك بروية الحميد جل جلاله بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى ، متجلياً بعظمته وجلاله، وكبريائه وجبروته، وإنعامه وإحسانه ، وبذلك يخشع قلبه ، ويحمد ربه .

فيحمد الله الكبير المتعال الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى .

وإذا رأى نعمه وإحسانه عرف أن النعم كلها من الله؛ فيحمد ربه ﷻ باستعمال النعم فيما أمره الله جل جلاله .

ويرى كذلك جمال أوامره وأحكامه الشرعية، بمنتهى الجمال والحكمة والرحمة والإحسان؛ فيحمد ربه على ذلك : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ

عَوَجًا ﴿١﴾ [الكهف: ١].

لو تركنا هملاً لكننا كالحوانات نأكل ما نشتهي، ونشرب ما نشتهي، بلا حد ولا قيد، ولا أمر ولا نهي، ولا تحليل ولا تحريم .

فيحمد المسلم ربه على النعم الظاهرة والباطنة، والخاصة والعامّة .

الحمد لله رب العالمين، كنت ضالاً فهديتني، وكنت جاهلاً فعلمتني، وكنت معدوماً فأوجدتني، وكنت فقيراً فأغنيتني: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٦) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجنّة: ٣٦-٣٧].

فالله ﷻ ذو الجلال والإكرام يُحمد على جماله، وعلى جلاله .

وكل شيء خلقه الله ﷻ فهو ملكه يفعل به ما يشاء، وهو فيما يفعله بما يملك بين أمرين، يقتضي كل واحد منهما الحمد والشكر لله وحده لا شريك له؛ فالملك ملكه، والخلق خلقه، والأمر أمره، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ولكنه حكيم لا يفعل إلا وفق الحكمة المطلقة، والرحمة العامّة لجميع خلقه؛ فإذا فعل سبحانه ما له فعله فهو عدل؛ لأنه ملكه يفعل فيه ما يشاء؛ ليل ونهار، وذكر وأنثى، وعالٍ وسافل، وجبل وماء، هو يفعل في الملك ما يشاء، ويخلق ما يشاء، لم يستشر أحداً من خلقه؛ لأنه الغني عن جميع خلقه: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتَ مُمْتَخِذًا لِلْمُضِلِّينَ عَصْدًا﴾ (٥١) [الكهف: ٥١].

فسبحانه إذا فعل شيئاً فهو عدل، والعدل حمد؛ لأن من حق الملك التصرف في ملكه بما شاء، كيف شاء .

فالله يفعل في ملكه ما يشاء، فيعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ويقدم من يشاء ويؤخر من يشاء، ويقدر على من يشاء، ويسيطر لمن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء جل جلاله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٣٦) [آل عمران: ٢٦].

فإن أعطى وقدم وفضل فهو فضل وإحسان، وهو حمد على حمد، وإن منع فهو عدل، والعدل حمد، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثْوَكُمْ﴾ (١٩) [محمد: ١٩].

إن قلة الطاعات ، وكثرة المعاصي ، سببها الجهل بالله، وكل نقص خارجي سببه نقص داخلي في القلب .

قال النبي ﷺ : « أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » متفق عليه<sup>(١)</sup>.

ومن لم تكن عنده هذه المعرفة؛ فليسأل ربه أن ينور قلبه بنور العلم والإيمان والقرآن: ﴿فَنَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ، وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه/ ١١٤].

فالله سبحانه هو الخالق، وأظهر مخلوقاته في ملكه العظيم ، ليكبر ويحمد على ما خلق . وهو الحميد الذي أظهر ما يحمد عليه من أسماؤه الحسنی ، وصفاته العلی ، ومن نعمه السابغة .

فسبحان الحميد الذي تحمده جميع مخلوقاته، وله الحمد في الأولى والآخرة! وسريان الحمد في المخلوقات، وظهور آثارها في الكائنات أمر مشهود بالأبصار والبصائر، تشهد به الذرات والبريات وكافة أنواع المخلوقات : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فالله له الحمد على إحسانه، وله الحمد على ما له من الأسماء الحسنی ، والصفات العلی ، والأفعال الحميدة ، والمثل الأعلى : ﴿سُبْحَانَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء/ ٤٤].

وأما حمده على إحسانه، فكل نعمة من نعمه التي لا تحصى موجبة لحمده سبحانه، فالإنسان يتنفس في كل يوم أكثر من أربعة وعشرين ألف نفس، كل نفس مستوجب للحمد على من أعطاك هذا النفس، فكم من النعم التي لا تعد ولا تحصى في أنفسنا، ومن حولنا، وفي العالم العلوي، والعالم السفلي، نعمه كثيرة، وكلها مسخرة لك؛ فيجب علينا كما ملأ الله ﷻ الكون بنعمه، وأظهر فيه أسماءه وصفاته أن نملاؤه بحمده وشكره، وتسبيحه وتقديسه جل جلاله : ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٥٢)، ومسلم برقم (١٥٩٩).

اللَّهُ لَا تُحْصِيهَا إِنْكَ الْإِنْسَانَ لَظَلُّومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم: ٣٤].

أما حمده سبحانه على ما له من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، فذلك أعظم وأوسع ، وهو ظاهر متواتر في القرآن والسنة .

فقد حمد الله ﷻ نفسه في كتابه ، على ربوبيته للعالمين ، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة/ ٢- ٤].

وحمد نفسه على كمال أسمائه وصفاته فقال: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَ لَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦- ٣٧].

وحمد نفسه على وحدانيته وألوهيته فقال: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

وحمد نفسه على عظمة ملكه وغناه فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾ [سبا/ ١].

وحمده نفسه على نعمة إنزال القرآن على عباده فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ فَيَمَّا يَلِيذِرَ بِأَسَاسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾ [الكهف/ ١- ٢].

وحمد نفسه على كماله وتنزهه عن العيوب والنقائص والآفات فقال: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدَّلِيلِ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء/ ١١١].

وحمد نفسه على خلقه العالم العلوي والعالم السفلي فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام/ ١].

فسبحان العزيز الحميد! سبحانه ما أعظم شأنه! ، وما أكبر ملكه ، وما أحسن خلقه! ، وما أعظم قدره! ، وما أجمل إحسانه! ، وما أوسع غناه! وما أوسع رحمته! وما أوسع علمه! ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر: ٧].



﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر/ ٦٤-٦٥].

والله ﷻ خلق العالم كله له، فالله ﷻ له ما في السماوات وما في الأرض، خلقه يسبح بحمده، ويشهد بوحدانيته، واختار هذا الإنسان، وجعله مخيراً بين أن يؤمن به، ويكفر به؛ ليعلم من يأتي إليه اختياراً؛ ممن يعرض عنه اختياراً: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإنسان: ٢-٣].

فالله خلق العالم كله له، ومن أجل أن يظهر لعباده عظمة قدرته، وسعة علمه، وجلاله وكبريائه، وعظيم سلطانه، وجزيل نعمه، وسعة رحمته وعفوه، وعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله؛ لتسهل عبادته والتعرف عليه، وإذا عرف الناس ذلك؛ عظموا ربهم وأحبوه، وعبدوه وأطاعوه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].  
فالله ﷻ أبين من كل بين: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۗ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد/ ٣].

أظهر لنا في آياته ومخلوقاته جميع أسمائه وصفاته؛ حتى نعلم أن وراء الخلق خالقاً، ووراء الصور مصور، ولو ظهر لنا بالأبصار، لبطل التكليف؛ لأننا سوف نهابه ونُجِله، فلا نفارق طاعته أبداً، ولا نعصيه أبداً؛ لأننا نراه بأبصارنا، فلا نستطيع مخالفته، ولكن الله سبحانه هو الحكيم العليم الذي مَنْ علينا بأن حجبنا عن رؤيته، فلا نراه في الدنيا بأبصارنا، ولكن نراه بقلوبنا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك: ١٢].

فالإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فيوم القيامة ترى الملك العزيز الحميد بأسمائه وصفاته ببصرك وبصيرتك: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

فسبحان العظيم الغني الحميد الذي خلقنا ورزقنا، وهدانا وكسانا، وأطعمنا وسقانا،  
 فمنه جميع النعم الظاهرة والباطنة : ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَكَأْوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ  
 ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرُ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرُ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ  
 فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى/٦-١١].

والنعمة الكبرى هي الإسلام، والنعمة الصغرى هي ما نأكله ونشربه من النعم  
 المادية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿٣﴾﴾  
 [المائدة/٣].

وقال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: «يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ،  
 فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ الَّذِينَ تُحْطِثُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا الَّذِي أَغْفِرُ  
 الذُّنُوبَ وَلَا أُبَالِي؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ،  
 فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ»  
 أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

فنحن في نعم الله منذ خلقنا الله إلى أن نلقاه، ونعم الله علينا مدرارة، ونحن نعيش في  
 نعمة، وهذه النعم تستوجب منا الحمد الدائم بالقلب، واللسان، والجوارح .  
 فالحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً، ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما  
 بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد .

وأعظم النعم التي تستحق الحمد العظيم الدائم هي نعمة الإسلام الذي هدانا الله  
 إليه: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ  
 صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات/١٧].

والحميد سبحانه إن شكرته على نعمه زادك خيراً وبركة: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن  
 شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم/٧].

فسبحان الحميد الكريم الذي رغب في شكره؛ ليعطي عبده زيادة، لا لأنه محتاج إلى  
 الشكر؛ وإنما لمحبتة لعباده، ورأفته بهم، ورحمته لهم، ووجهه لإسعادهم في الدنيا والآخرة،

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

ومن حمد الله غفر ذنوبه كلها .

قال النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ؛ غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

فمهما بلغت ذنوب العبد وسعتها رحمة الله، الله رحمته وسعت كل شيء، ومغفرته وسعت كل شيء: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

والحمد لله كلمة عظيمة تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض حسنات: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَ لَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

هو سبحانه الغني الحميد المتفضل على عباده بجميع النعم الظاهرة والباطنة، الذي يستحق الحمد والشكر على أسمائه صفاته، وعلى نعمه وإحسانه .

ومن لم يشكر الحميد على نعمه، واستعملها في معصية الله؛ عاقبه الله بأحد أربعة أمور: فإما أن يسلبها عنه كلية، أو يسلبه حلاوتها، قد يعطيه المال والولد، لكن يكون هذا الولد وهذا المال سبباً لشقائه: ﴿فَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة/ ٥٥].

أو يقلب حلاوتها مرارةً بمصيبة تنسيه حلاوتها، فقد يعطيك نعمةً تتبعها نقمة: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام/ ٤٤].

أو يحول هذه النعمة إلى نعمة تشقى بها ليلاً ونهاراً، حضراً وسفراً؛ فأنت شقي بهذه النعم التي أعطاك الله: ﴿وَمَن يُدِلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٣١١﴾﴾ [البقرة/ ٢١١].

فهذه العقوبات لمن أنعم الله ﷻ عليه بالنعم ولم يشكر الله عليها، ولم يستعملها في طاعة الله، إما أن يسلبها عنه بالكلية فيعود فقيراً معدماً بعد أن كان غنياً، أو يسلب حلاوتها،

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٤٠٥)، ومسلم برقم (٢٦٩١)، واللفظ له.

أو يقلب حلاوتها مرارة بمصيبة تتبعها تنسيه حلاوتها، أو يحولها إلى نعمة يشقى بها الإنسان .

والنعم من سنة الله أنها تزيد بالحمد والشكر، وتزول وتفر بضد ذلك: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم/ ٧].

والشيطان يغوي الناس ويضلهم ، لئلا يحمدوا ربهم، وذلك بتبديل نعم الله، فيرى الإنسان بسبب وسوسة الشيطان أن ما أنعم الله عليه من النعم قليلة، وأن ما ليس بيده خير مما في يده؛ من مال، أو ولد، أو زوجة، ؛ يغرك بذلك حتى لا تشكر النعمة، وتعرض على ربك في القسمة، فهو بين يديك ومن خلفك، وعن يمينك وعن شمالك، يزهلك فيما أعطاك الله، ويحرك قلبك إلى أمور ليست عندك؛ حتى يسخط نفسك أو قلبك على ربك، لئلا ترضى بقضائه وقدره: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

ومن رحمة الله أن أخبرنا بعداوة الشيطان لنا لنحذر كيده ومكره: ﴿قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [١١] ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف/ ١٦- ١٧].

فالشيطان يقلب الأمور حتى يزين لك أن ما ليس بيدك مما في يدك مما أعطاك الله ، وقسم لك ، فاحذر خطواته: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١].

والله قسم الأرزاق كلها، فكن حامداً لمستحق الحمد، فقد كان ﷺ أعرف الخلق بالحميد، يقوم الليل حتى تتفطر قدماه؛ شكر الرب على نعمه الظاهرة والباطنة .

كان النبي ﷺ يقوم الليل حتى تتفطر قدماه، فيقال له: إن ربك قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فيقول: «أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

فإذا عرفت الحميد، وأنه هو المحمود على نعمه، وهو المحمود على أسماؤه وصفاته،

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٤٨٣٦)، ومسلم برقم (٢٨١٩).

وعرفت الحميد الذي تحمده الخلائق؛ فلا بد أن أشارك الحامدين بالحمد والشكر، لمن هو أهل للحمد والشكر: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (٧٤) [الواقعة: ٧٤].

وهو الله الذي له الملك كله، وله الخلق كله، وله الأمر كله، وله الحمد كله، وإليه يرجع الأمر كله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ أَلْتَلَّ النَّهَارَ يُطَلِّبُهُ حَيْثُآ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٥٤) [الأعراف: ٥٤].

فنجتهد في جميع أوقاتنا، وفي جميع أحوالنا، على تقوية الإيمان، وحسن عبادة الرب الكريم، بأن نعمل بما يحبه الله ويرضاه، بقلوبنا وألسنتنا وجوارحننا، ولا نأتي من الأقوال والأعمال والأخلاق إلا ما نُحمد عليه من ربنا الحميد المجيد، ويثيبنا عليه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩٧) [النحل: ٩٧].

فلنفعل الأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، ونتصف بالأخلاق العالية؛ يحمدنا ربنا ﷻ، ويثني علينا كما أثنى على المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات.

فالله ﷻ يثني علينا بما نقوم به من الأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق العالية، ويحمدنا على هذا، فاستقم كما أمرت؛ لا كما اشتهيت، استقم كما أمرك ربك جل جلاله، واعمل بشرع الله، وادع إلى ربك، وابذل ما تستطيع في سبيل رضاه؛ يعزك، ويرضى عنك، وينصرك على من عاداك، فالله يحب أن يرى آثار أسمائه وصفاته ظاهرةً فيك، يحب المؤمنين، يحب المتقين، يحب المحسنين، يحب الشاكرين: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨٠) وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ [الأعراف: ١٨٠-١٨٢].

والله سبحانه حكيم عليم، يتلى عباده المؤمنين ليرقيهم ويرفع درجاتهم، ولا يخزيهم أبداً؛ يتلّهم ليؤدبهم، وليرقيهم، وليكفر عنهم سيئاتهم، وفي النهاية يعطيهم ويكرمهم بما يسعدهم في الدنيا والآخرة: ﴿وَالصُّحْحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ

﴿٣﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى  
 ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغْنَى ﴿٨﴾ ﴿[الضحى / ١-٨].  
 والشكر والحمد : ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ  
 فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى / ٩-١١].

حدث بما علمك الله ﷻ عنه وعن دينه ، بما أعطاك الله ﷻ من نعمه الظاهرة والباطنة ،  
 فهو الحميد الذي يُحمد، هو الحميد الذي يحمد ويشكر من خلقه من آمن به، وعبده  
 وحده، وصبر من أجله: ﴿رَحِمْتَ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾  
 [هود/٧٣].

ما هو عمل أهل البيت؟ عملهم العبادات الكاملة، الطاعات الكاملة، الدعوة إلى الله،  
 تعليم شرع الله، الإحسان إلى الخلق : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ  
 يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ  
 وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

هو سبحانه الغني الحميد الرقيب الذي يسمع ويرى جميع مخلوقاته، وهو شهيد على هذا  
 الإنسان ورقيب عليه : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا  
 وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾  
 [النساء: ١].

هو سبحانه الغني الحميد وحده لا شريك له، فمع غناه يعاملنا معاملة الكريم الرحيم  
 التي نحمده عليها : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً  
 إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ لَهْوُ الْغَنِيِّ  
 الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾ [الحج / ٦٣-٦٤].

فهذه النعم العظيمة في العالم العلوي والعالم السفلي بأنواعها وأصنافها وأجناسها  
 تستوجب من الإنسان كثرة الحمد والشكر : ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا  
 فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرًا وَبَاطِنًا وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا  
 هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، هذه من الباقيات الصالحات، فالحميد من العباد هو من آمن بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولًا، واستقام كما أمره ربه، والمؤمنون في ذلك درجات، بحسب علمهم وعملهم تكون درجاتهم: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَيُوفِّيهِمْ أَعْمَلُهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ ﴿١١﴾

[الأحقاف: ١٩].

فأول محمود من البشر سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ، الذي كان أحسن الناس خلقًا وخُلُقًا، وكان خلقه القرآن، واستقام قلبه، وجوارحه، وأقواله، وأعماله، وأخلاقه، في طاعة مولاه، فليكن لنا به أسوة وقدوة؛ فهو أحمد الناس لربه، وأعلم الناس لربه، وأعبد الناس لربه، أقواله حسنة، وأعماله صالحة، وأخلاقه عالية: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا﴾ ﴿٢١﴾ [الأحزاب/ ٢١].

ثم يليه في الحمد لله بقية أولي العزم من الرسل: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ثم بقية الأنبياء والرسل، ثم الصديقون والأولياء، والعلماء الربانيون، والدعاة المخلصون، ثم عامة المسلمين، كل واحد من هؤلاء حميد، ومحمود بقدر إيمانه، وصفاء توحيده، واستقامة أخلاقه، وسداد أقواله، وصلاح أعماله: ﴿وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ ﴿٦٩﴾ [النساء/ ٦٩ - ٧٠].

فمن يطع الله والرسول من هذه الأمة، فسيكون في زمرة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

وبحسب القرب من الله، والعمل بشرعه، يكون القرب من أهل الصفات، وأهل الدرجات العالية.

#### • وحمد الناس لربهم على ثلاث درجات :

الأولى: حمد العوام؛ فهم يحمدون ربهم على إيصال اللذات الجسمانية، من الأكل والشرب والسكن، والملبس، والمركب، والمال، والزوجة، والأولاد، وأمثالها من النعم المادية: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿١٧٢﴾ [البقرة: ١٧٢].

الثانية: حمد الخواص؛ وهم الذين يحمدون ربهم على إيصال اللذات الروحية من حصول السكينة، والطمأنينة، والانشراح، والأمن: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾ ﴿٧٤﴾ [الزمر: ٧٤].

يحمدون ربهم بعد الصلاة أو الذكر أو قراءة القرآن، وغيرها من الطاعات .  
فنحن في الصلاة نقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ [الفاتحة: ٢-٤].

ونقول في الاستفتاح: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك .  
ونقول عند الرفع من الركوع: سمع الله لمن حمده، وبعد الرفع من الركوع: اللهم ربنا لك الحمد، حمداً كثيراً طيباً مباركاً .  
ففي كل صلاة حمد وشكر، وتكبير واستغفار، وثناء على الرب ﷻ؛ فهذا حمد الخواص؛ يحمدون ربهم على إيصال اللذات الروحية التي تحصل لنا من السكينة والطمأنينة بعد الطاعات .

الثالثة: حمد خواص الخواص؛ وهم الذين يحمدون ربهم؛ لأنه أهل أن يحمد، وأهل أن يشكر، وأهل أن يعبد، لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى، هذا حمد خواص الخواص، يحمدونه على جلاله وجماله، وهم يشاركون العوام والخواص في ذلك الحمد: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلٌ مِنَّا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تَتَّكُمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ [الأعراف: ٤٣].

وهذه أعلى درجات الحمد التي يُحمد بها الرب جل جلاله: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [جاثية: ٣٦-٣٧].

فاحمد ربك على كل نعمة أنعم بها عليك، لى غيرك، واحمده على نعمه الظاهرة والباطنة، واحمده على نعمة السراء والضراء، واحمده على دفع البلاء، واحمد ربك العزيز الكريم



ذي المحامد كلها، مجده بالمجد كله .

فهو أهل أن يحمد، وأهل أن يعبد، وأهل أن يمجد، وأن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر .

اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات، وملء الأرض، وما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد .

فالحمد لله رب العالمين على نعمه الظاهرة والباطنة، وعلى نعمه التي لا تعد ولا تحصى، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، ملء السماء وملء الأرض .

والله ﷻ هو الحميد الذي حمد نفسه، وحمد خلقه؛ لأنه أهل أن يحمد، وأن يعبد، وأن يشكر، والله سبحانه قد مدح رسله وأنبياءه بكثرة حمدهم، وشكرهم لربهم .

فأحمدهم محمد ﷺ، اسمه أحمد؛ لأنه أحمد الخلق لربه، وأحمد الحامدين بأنواع المحامد لربه .

واسمه محمد محمود في العالم العلوي والعالم السفلي، محمود عند ربه، وعند ملائكته، وعند الناس .

فالله وملائكته يصلون على النبي، لما له من الصفات والأعمال العظيمة التي يجبها الله :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦] .

فالله ﷻ مدح رسله وأنبياءه بكثرة حمدهم وشكرهم لربهم: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [١٢٠] شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ [١٢١] ﴾

[النحل/ ١٢٠ - ١٢١] .

ونوح ﷺ من الحامدين لربه: ﴿ ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [٣] ﴾

[الإسراء: ٣] .

والملائكة تسبح بحمد ربها لا تفتقر عن ذلك أبدًا: ﴿ الَّذِينَ يَجْلِسُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِءِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [غافر: ٧] .

﴿ [غافر: ٧] ﴾

• والحمد حقاً من حمد ربه بثلاثة أشياء:

الأول: حمد الله باطنياً؛ فكل خلاياك، وكل ذراتك تقول: الحمد لله رب العالمين؛ أنعم علي، وأنعم على غيري، وأعطاني خيراً، وصرف عني شراً، وأنعم علي في بطن الأم، وأنعم علي في بطن الدنيا، وينعم علي في بطن القبر إن آمنت به وأطعته، وينعم علي بكمال النعيم في الجنة؛ ولذلك دعاء أهل الجنة وتسيحهم: ﴿دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَعَآخِرُ دَعْوَتِهِمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٠﴾ [يونس: ١٠].

هذا حمد الله باطنياً، فجميع خلايا الجسم وذرات الجسم، تقول: الحمد لله رب العالمين. الثاني: حمد الله ظاهراً وباطناً، بقلبك، ولسانك وجوارحك: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

الثالث: وهذا أعلاها وأحبها إلى الله، وهو أن تشكر الله وتحمده على نعمه، بتسخير هذه النعم لإصلاح أهل الأرض، واستعمالها في عباده في مرضاته.

أعلى أنواع الحمد، أن تستعمل ما أعطاك الله ﷻ من النعم، لإصلاح أهل الأرض، واستعمالها في عباده في مرضاته، فكلما أعطاك الله نعمة من مال أو ولد أو صحة أو جاه أو علم أو قوة، فاستعملها في مرضاته، وإصلاح أحوال عباده: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿١٣﴾ [سبأ/١٣].

والحمد العملي بصرف جميع النعم في مرضاة الله؛ في سبيل الله، لإصلاح عباد الله: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنَ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١١٤﴾ [النساء: ١١٤].

فاللهم ارزقنا من نعمك ما يعيننا على عبادتك وطاعتك، والإحسان إلى خلقك، وارزقنا حمدك عليها بأنواع المحامد.

فالله أكبر ما أخسر من أصبح متقلباً في النعم غافلاً عن شكر المنعم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا

يَسْمَعُونَ بِهَا أَوْلِيَّتِكَ كَأَلَّا نَعْتَمِدَ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أَوْلِيَّتِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

• حمد العباد لربهم نوعان:

حمد الشكر .. وحمد الشناء.

الأول : حمد الشكر ، وأكثر الخلق لا يعرفون إلا حمد الشكر على النعم، صحة بعد مرض، غنى بعد فقر، هداية بعد ضلالة، فهم لا يعرفون إلا حمد الشكر فقط، وهذا أمر مطلوب ومأمور به .

أكثر الخلق لا يعرفون إلا حمد الشكر، أعطاني النعمة فأنا أشكره عليها، فإذا لم تأتِ النعمة قل حمدي وشكري لربي : ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ ﴾ [الفجر: ١٥-١٦].

الثاني : حمد الشناء : وحمد الشناء والتمجيد والتكبير والتعظيم لله ، أكثر الخلق غافل عنه، وهو حمد الله على عظمته وكبريائه، وجلاله وجماله، وحمده على عظمة ملكه وسلطانه .

ملك الله عظيم، له ملك السماوات والأرض، وله ملك الدنيا والآخرة، وله ملك عالم الغيب والشهادة، وهو رب العالمين، الذي ملأ هذا الملك العظيم بمخلوقات لا تعد ولا تحصى بجملتها فكيف بأعدادها، وذراتها ؛ وكلها تسبح بحمد ربها، وتشهد بوحدانيته : ﴿ سُبْحٰنَهُ وَنَعٰلَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمٰوٰتِ السَّبْعُ وَالْاَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٣-٤٤].

فحمد الشناء أكثر الخلق غافل عنه، وهو حمد الله على عظمته وكبريائه، وحمد الله على جلاله وجماله، وحمد الله على عظمة ملكه وسلطانه، وحمد الله على حسن أحكامه وأوامره : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اٰهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِيْنَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة: ٢-٧].

أحمد الله لأنه رب العالمين : ﴿ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَاَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِاَمْرِهِ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْاَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآبِّينَ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَاَتٰنَكُمْ

مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم/ ٣٢-٣٤].

وحمد الله على النعم العامة الواسعة، أعظم من حمده على النعم الخاصة التي تأتي العبد من رزق أو صحة أو غيرها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ ﴿١﴾ [الأنعام: ١].

وحمد الثناء هو تمجيد الله ، وذكره بأسمائه وصفاته، والثناء عليه بكل المحامد والمدائح والتقرب إليه بعبادته ، وطاعة أمره، فهو أهل أن يحمده، وأهل أن يكبر وأن يعظم، الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض؛ الحمد لله فاطر السماوات والأرض: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١﴾ [سبأ/ ١].

فنحمده على نعمه العامة الواسعة، ونحمده على نعمه الخاصة، ونحمده على جلاله وجماله، والحمد لله رب العالمين على هذه النعم التي عرفنا الله بها، وسخرها لنا، وحبب إلينا حمده وشكره عليها .

والله سبحانه سهل العبادات، وسهل الشكر، وسهل رضاه علينا، بأن يسر لنا من أنواع العبادات ما يقربنا إليه ، ويرفع درجاتنا يوم القيامة لديه؛ فالله يرضى عن عبده إذا حمده على أكلة أو شربة، فلا يفوتك ذلك وذكر الناس بذلك .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

والحمد والذكر أحب شيء إلى الله ، وأعظمه أجراً، فاذا ذكر ربك كثيراً، واحمد ربك كثيراً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

واحمد ربك كثيراً، ولا يشغلك عنه سواه، واصبر على ما أصابك؛ يجبك ربك ويحمدك: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٤).

الْيَلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ [ق: ٣٩-٤٠].

وإذا ضاق صدرك فأكثر من حمد من أنعم عليك: ﴿ وَلَقَدْ نَعَّمْنَا أَنْكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿١٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩٧-٩٩].

﴿ وَمِنْ آيَاتِنَا الَّتِي فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ [طه/ ١٣٠-١٣١].

وإذا أطعت الله ورسوله فاحمد الله: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ ﴾ [النصر: ١-٣].

وقال النبي ﷺ: « أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ » أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

#### • الدين نصفان:

نصف حمد .. ونصف صبر.

فنحمد الله على النعم، ونصبر على البلاء، وفوق ذلك نرضى بالبلاء، وفوق ذلك نشكر الله على نعمة البلاء، كما نشكره على نعمة العطاء .

إنك لن تجد طعم الإيمان، حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك؛ فأقدار الله كلها حكمة ورحمة، فاحمد ربك في جميع أحوالك، في ليلك ونهارك تنال أجراً عظيماً، وثواباً جزيلاً، ومقاماً كريماً.

قال النبي ﷺ: «الطَّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ» أخرجه مسلم<sup>(٢)</sup>.

والحكمة من إكثار ذكر الله ﷻ، أن نذكر الله بأسمائه وصفاته، لنخافه ونهابه، ونكبره ونعظمه، ونذكر نعمه وإحسانه، لنشكره ونحمده؛ فاذا ذكر من عظمة الله وأسمائه وصفاته ما تقدر عليه، لتملأ قلبك بالإيمان، وحب الله، وتعظيمه، وتكبيره، وحمده، وشكره:

(١) أخرجه مسلم برقم (٢١٣٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٢٣).

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴿الحشر: ٢٢-٢٤﴾ .  
 فكل ما نراه في الكون من آثار رحمته: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر/٧].

فأنت مملوك لملك، والملك يرعاك، يسوق إليك أقواتك، ويهديك إلى الصراط المستقيم، والله رقيب عليك وشهيد عليك، وهو يكلؤك بعنايته ورعايته: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

الحمد لله رب العالمين على نعمة العطاء، ونعمة المعرفة، ونعمة الهداية إلى الصراط المستقيم، فمن عرف الله ﷻ بأسمائه وصفاته، وعرف نعمه وإحسانه؛ استعمل قلبه وجوارحه ولسانه في طاعة مولاه، فأطلق لسانه بحمده، وأرسل جوارحه بطاعته، وقلبه خاشع حاضر بين يديه، منكسر بين يديه، راعع وساجد له، مسبح بحمده، يدعوه خوفاً وطمعاً: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة/١٥-١٧].

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتنزل البركات، وتحصل الهدايات، فله الحمد كثيراً، كما ينعم كثيراً، وكما يعفو كثيراً، وكما يحلم كثيراً، وكما يشكر كثيراً، وكما يرحم كثيراً: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ [الفاتحة/٢-٧].

وله الحمد كثيراً على ما وفق للحمد، وقبل الحمد، وأجزل أجر الحمد: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ

الْحِكْمَةُ ﴿٣٧﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

والحمد لله كثيراً، الذي أرسل إلينا أفضل رسله، وأنزل علينا أحسن كتبه، وشرع لنا أفضل شرائع دينه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ﴿٣﴾ [المائدة/ ٣].

والحمد لله كثيراً الذي أكمل في مخلوقاته حججه، وأبان بها عظيم قدرته، وأظهر بها شواهد وحدانيته: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ الْمَنِّيكُمْ وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ ﴿٢٢﴾ [الروم/ ٢٢].

هذه آيات عظيمة لله ﷻ أظهر بها قدرته، وأسماءه وصفاته، فله الحمد: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ ﴿١٨﴾ [الروم/ ١٧-١٨].

حيثما كنا في أي مكان، وفي أي زمان، وفي أي حال، نرى نعم الله التي تستوجب حمده وشكره في كل آن .

ومن آياته الدالة على وحدانيته، المستوجبة لحمده وشكره وتعظيمه وتكبيره، وطاعته وعبادته: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٢١﴾ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ الْمَنِّيكُمْ وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ﴾ ﴿٢٢﴾ [الروم/ ٢٠-٢٢].

وإذا علموا ذلك؛ آمنوا بالله، وعبدوه، وحمدوه، ومجدوه، واستغفروه وأنابوا إليه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنْامِكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَبْغَاؤِكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ نَقُومَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ بِأَمْرِهِ﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ [الروم: ٢٣-٢٥].

هذه السماء العظيمة باقية بأمره، لو رفع عنها أمر البقاء؛ لزال فوراً، ولا يعلم أحد أين ذهبت فسبحان الله ما أعظم ملكه، وما أعظم خلقه، وما أعظم إحسانه، وما أعظم

قدرته : ﴿ وَ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٗ قَنِينٌ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ [الروم/ ٢٥-٢٧].

فمن لم يفقه بعد سماع هذه الآيات العظيمة البينة؛ فقد خسف بعقله ، و ضل بعد هدايته  
: ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ [الأنفال: ٢٢-٢٣].

فنسأل الله أن يمن علينا وعليكم بالسمع الصحيح، والبصر الصحيح، والعقل  
الصحيح، والعمل الصحيح : ﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ [آل عمران: ٨].

والحمد لله كثيراً، الذي لجلاله وجماله غاب عن الحواس فبطن، وظهر للعقول فعلمن،  
الأول فليس قبله شيء، والآخر فليس بعده شيء، والظاهر فليس فوقه شيء، والباطن  
فليس دونه شيء : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢﴾ [الحديد/ ٣].  
والحمد لله كثيراً الذي خلق الخلق كلهم بقدرته، ودبرهم بمشيئته، وقهرهم بقوته ،  
ووسعهم برحمته ، وعمهم برزقه .

هو القوي القادر القاهر، الذي لا يعجزه شيء، ولا يفوته شيء، ولا يمتنع عليه شيء .  
والحمد لله كثيراً على ما خلق وأمر، والحمد لله على ما أعطى ومنع، والحمد لله على ما  
أنعم وأعطى، والحمد لله على ما أمات وأحيا، والحمد لله على ما أغنى وأقنى .  
الحمد لله حمداً كثيراً لا انقطاع له، والحمد لله حمداً لا يحيط به أحد سواه .

والحمد لله حمداً لا انقطاع له دون بلوغ رضاه : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي  
الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ [سبأ/ ١].

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله المحيط بكل شيء علمه، النافذ في جميع الخلق قضاؤه،  
العدل في حكمه، الحكيم في أمره، الذي لا يعارض في حكمه، ولا شريك له في ملكه :  
﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ  
قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ [فاطر: ١٣].



الحمد لله على النعمة به، والحمد لله على النعمة منه، والحمد لله الدائم عطاؤه، الواسع رحمته، الدائم بره، العظيم إحسانه .

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله القائم على كل نفس، الرقيب على كل شيء، الجاعل بعد العسر يسراً، وبعد الكرب فرجاً، وبعد الخوف أمناً، وبعد الذلة عزاً: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥] .

حي بجميع الأسماء الحسنى، والصفات العلى، هو الحي بصفة السمع، بصفة البصر، بصفة القوة، بصفة القهر، بصفة القدرة، بصفة الرحمة، بصفة الكرم: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨] .

الحمد لله رب العالمين حمد المعظم لربه، المكبر لجلاله، العارف بقدره، الشاكر لنعمائه، الصابر على بلائه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ [٣] أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢-٤] .

سبحان الله وبحمده عدد ما خلق ويخلق، وعدد ما رزق ويرزق، وعدد ما رحم ويرحم، وعدد ما كان وما سيكون .

سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه ومداد كلماته .

#### ● والحمد له معنيان :

يكون بمعنى المدح .. ويكون بمعنى الشكر .

فالشكر يكون في مقابلة الإحسان والإنعام، والمدح يكون في مقابلة معرفة عظمة أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الجميلة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] .

وحمد الله هو ثناؤه على نفسه؛ فهو الذي قال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [١٨٠] وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ [١٨١] وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصفات: ١٨٠-١٨٢] .

وأفضل النعم ما أوصلك إلى المنعم جل جلاله، وأشأم النعم ما شغلك عنه ومن

استهدى فسيهدى ويعطى ويرضى: ﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ  
الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه/ ١٣٠].

فسبح باسم ربك العظيم، وسبح باسم ربك الأعلى، وسبح بحمده في كل الأوقات  
والأحوال: ﴿فَسَبِّحْنَا اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الروم/ ١٧-١٨].

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصفات/ ١٨٠-١٨١].

اللهم لك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ملك  
السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن .  
ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار  
حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق.

اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك  
حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت  
المؤخر لا إله إلا أنت .

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلاله وجهك ، وعظيم سلطانتك، ولك الحمد بالإسلام،  
ولك الحمد بالقرآن، ولك الحمد بالمعافاة، ولك الحمد بالأهل والمال والولد، الحمد لله  
الواجب حمده، الحمد لله الدائم بره، الحمد لله الواسع فضله.

الحمد لله العظيم ملكه، الحمد لله النافذ أمره، الحمد لله الشديد بطشه .

الحمد لله الكبير اسمه، الكبير رزقه، الكبير ملكه، الكبير إحسانه، الكبير ثوابه .

الحمد لله رب العالمين على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، الحمد لله على نعمه الظاهرة  
والباطنة .

الحمد لله الأول قبل كل شيء ، الآخر بعد كل شيء، الظاهر فوق كل شيء، الباطن دون  
كل شيء .

الحمد لله الأول بلا أول كان قبله، الآخر بلا آخر يكون بعده، الحمد لله الذي ابتدع

الخلق بقدرته ابتداءً، وجعلهم في قبضته أحياءً وأمواتاً، وجعل لكل روح منهم قوتاً معلوماً، ورزقاً مقسوماً، وأجلاً محدوداً .

فضرب له في الحياة أجلاً محدوداً، ونصب له أمداً معلوماً، يخطوا إليه بأيام عمره، حتى إذا بلغ أقصى أثره، واستوعب حساب عمره، قبضه الله إليه، ثم ساقه إلى ما ندبه إليه، من عظيم ثوابه أو شديد عقابه، عدلاً منه وإحساناً: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عملُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى﴾ [النجم/ ٣١].

والحمد لله الذي عرفنا بنفسه، وأسمائه، وصفاته وآلائه، وفتح لنا أبواب العلم بربوبيته وألوهيته، وأعاننا على ذكره وشكره وحسن عبادته .

والحمد لله الذي هدانا إلى الإخلاص له في توحيده، وعصمنا من الإلحاد والشك في أمره، والحمد لله الذي اختار لنا محاسن الخلق، وأجرى علينا بطيبات الرزق، وسخر لنا ما في السموات والأرض؛ فكل المخلوقات منقادة لنا بقدرته، وصائرة إلى طاعتنا بعزته، ومسخرة لنا بأمره .

والحمد لله الذي أغلق عنا باب الحاجة إلا إليه، وركب فينا أعضاء البسط والقبض، وخلق فينا جوارح الأعمال وغذانا بطيبات الرزق، ثم أمرنا ونهانا، ليختبر طاعاتنا، وابتلانا بالسراء والضراء ليختبر صبرنا وشكرنا، ثم خالفنا أمره، وركبنا متون زجره؛ فلم يعاجلنا بعقوبته، بل أكرمنا بواسع رحمته، وشملنا بحلمه وعفوه، وانتظر توبتنا ورجعتنا لكمال رأفته ورحمته .

فالحمد لله الذي فتح لنا أبواب فضله، وفتح لنا أبواب رحمته، وفتح لنا أبواب جنته، والحمد لله الذي هدانا للإسلام، وأرسل إلينا سيد الأنام، ووضع عنا ما لا طاقة لنا به، ولم يكلف نفساً إلا وسعها .

والحمد لله بكل ما حمده به خلقه، وأقرب ملائكته إليه، وأقرب خليقته عليه، وأرضى حامديه لديه، حمداً يفضل سائر الحمد .

والحمد لله عدد ما أحاط به علمه، حمداً لا ينتهي لحدده، ولا حساب لعدده، ولا بلوغ لغايته، ولا انقطاع لأمدده .

والحمد لله الذي من علينا ببعثة محمد ﷺ دون الأمم الماضية، فأدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، وصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

والحمد لله الذي خلق السماوات والأرض، وأمسكها بقدرته، ورفع السماء بقوته، ودحا الأرض بمشيئته، وملاً الكون برحمته ونعمه .

الحمد لله الذي خلق الليل والنهار بقوته، وميز بينهما بقدرته، وجعل لكل واحد منهما حداً محدوداً، وأمداً ممدوداً، ونفعاً معلوماً.

والحمد لله عدد ما خلق في الأرض والسما، وعدد ما علا في الهواء، وعدد ما كن تحت الثرى، ليس لنا من الأمر إلا ما قضيت، ولا من الخير إلا ما أعطيت، تباركت ربنا وتعاليت .

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحَسَنِيَّةِ

## في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

### الباب الحادي عشر

ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية :

٤٨ - اسم الله المجيد.

التعبد لله عز وجل باسمه الله المجيد.

٤٩ - ٥٠ - اسم الله الولي .. المولى.

التعبد لله عز وجل باسمه الولي .. المولى.

٥١ - ٥٢ - اسم الله النصير .. الناصر.

التعبد لله عز وجل باسمه النصير .. الناصر.

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

المجيد

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله المجيد

الله سبحانه له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى في السماوات والأرض: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/ ٨].

والله سبحانه ذكر في القرآن الكريم أعظم شيء؛ وهو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، والتعبد لله بموجب ذلك، وكمال الله ﷻ يجب أن نتعرف عليه، نتعرف على ذاته وأسمائه، وصفاته وأفعاله؛ حتى تأتي عظمته في قلوبنا إذا رأينا صفات جلاله، وجبروته وملكوته، وكبرياءه وعزته، ويأتي في قلوبنا حبه وحمده وشكره إذا رأينا نعمه وإكرامه وإحسانه، ورحمته بخلقه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثُونَكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

وكل كمال في المخلوق فالله ﷻ أولى به، بل هو منزّه عنه؛ لأن ما في المخلوق من كمال من الله ﷻ؛ فهو الذي خلق الإنسان، وخلق صفاته، والله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى/ ١١].

والله سبحانه هو الملك الحق، الذي له المثل الأعلى؛ فهو أحسن الخالقين، وخير الرازقين، وأكرم الأكرمين جل جلاله: ﴿هُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

فالله سبحانه الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والمثل الأعلى، وله الأفعال الجميلة: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

إذا عرفنا الله؛ آمنا به، وإذا آمنا به؛ عبدناه، وآمنا بكتابه العظيم، وامتلنا أمره العظيم، وفزنا برضاه، ونلنا ثوابه العظيم جل جلاله .

فمعرفة الله في باب التوحيد بمنزلة الرأس من الجسد، وبمنزلة القلب من البدن، فإذا قُطع الرأس أو القلب مات هذا البدن، فأصبح ميتاً بعد أن كان حياً .

فباب التوحيد باب عظيم، وهو المقصود من خلق الخلق؛ أن يوحد الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ

الْحَيِّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ [الذاريات / ٥٦].

والله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى؛ فهو المجيد جل جلاله: ﴿رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود / ٧٣].

الله سبحانه هو المجيد بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، المجيد الذي تمجد بالعظمة والكبرياء، والجلال والجمال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨].

وهو سبحانه الملك المجيد الذي له الملك والملكوت، وله الخلق كله، وله الأمر كله، العظيم الذي لا أعظم منه، الكبير الذي لا أكبر منه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك / ١-٢].

هو المجيد الذي له ملك السموات والأرض، وله ما في السموات والأرض، وله ما بين السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله مقاليد السموات والأرض، وله ميراث السموات والأرض: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر: ١٣].

هو سبحانه المجيد القادر على كل شيء، واسع الرحمة والمغفرة، جزيل العطاء والإحسان، الفعال لما يريد: ﴿إِنَّ نَظْمَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَيَعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ [البروج / ١٢-١٦].

هو سبحانه المجيد الذي له المجد كله، المجيد في جميع أقواله وأفعاله، الجميل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الجزيل في عطائه ونواله: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر / ٦٥].

هو الحي بجميع صفات الكمال؛ فهو جل جلاله الحي، السميع لكل شيء، البصير بكل شيء، العليم بكل شيء، الخبير بكل شيء، القادر على كل شيء، المحيط بكل شيء، الغني عن كل أحد، القادر على كل أحد، اللطيف العفو، المجيد بذاته وأسمائه وصفاته: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ



سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

هو المجيد الذي مَنْ علينا بمعرفته، وشرع لنا الدين الذي نتقرب به إليه، وأمدنا بأقوات الأبدان، وأقوات القلوب، فله الحمد كثيرًا كما ينعم كثيرًا: ﴿وَأَتَانَكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم: ٣٤].

هو سبحانه المجيد العلي العظيم، رفيع الدرجات، الذي لا يرضى لعباده إلا بأرفع الدرجات، وأحسن المنازل.

قال النبي ﷺ: «إِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَسَقْفُهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.

سبحانه: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ ﴿١٥﴾ [غافر/ ١٥].

هو سبحانه الحميد المجيد الذي له التعظيم والإجلال في قلوب أوليائه، المجيد الذي تمجد بجلاله وجماله، وإحسانه وإنعامه، ومجده خلقه؛ لكمال عظمته وجلاله، وجزيل إنعامه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمَلَكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ ﴿١٤﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

سبحان ذي الجبروت، والملكوت والكبرياء، والعظمة! ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ [الصفات: ١٨٠-١٨٢].

هو المجيد الذي تسبحة جميع مخلوقاته: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿١﴾ [الجمعة/ ١].

هو المجيد الذي تمجده جميع مخلوقاته؛ لكمال عظمته وجلاله، وكمال إنعامه وإحسانه. فسبحان الرب المجيد الذي يمجده ويكبره ويحمده أهل السماء والأرض! ذو المجد

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٤٢٣).

والشرف والسؤدد، وذو العز والعظمة والكبرياء: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجنائفة / ٣٦-٣٧].

هو سبحانه المجيد الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، جزيل الإنعام والعطاء، هو المجيد بأسمائه وصفاته وأفعاله، المجيد العظيم، الذي لا تقدر الأوهام قدره، ولا تبلغ الألسنة وصفه، ولا يحصي الخلائق ثناءً عليه، ولا تستطيع إحصاء نعمه، ولا تقدر على الإحاطة بجميع أسمائه وصفاته ومخلوقاته: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَنَعْلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر / ٦٧].

فالله سبحانه هو المجيد الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، الذي له جميع صفات الكمال، المجيد الذي منه جميع أفعال الخير والإحسان والإنعام، فبيده كل شيء، وعنده خزائن كل شيء: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوْفِي الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتَعْرِضُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾﴾ [آل عمران / ٢٦].

هذه أفعال المجيد سبحانه: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْقَمَرَ فِي الْأَرْضِ رَواسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان: ١٠-١١].

هذه أفعال المجيد: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ بَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

فهو سبحانه ذو المجد والعظمة والكبرياء، وذو الإنعام والإحسان والإكرام. فجميع المخلوقات قاعدة على موائد نعمه، من في العالم العلوي، ومن في العالم السفلي، من في عالم الغيب، ومن في عالم الشهادة، من في الدنيا، ومن في الآخرة، أولياؤه وأعداؤه؛ الجميع قعود على موائد نعمه التي لا تعد ولا تحصى؛ فهو الغني عن كل أحد،

الذي يحتاج إليه كل أحد: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر / ١٥].

هو سبحانه الحميد المجيد، ذو المجد والكبرياء، والعظمة والجلال، المجيد الذي تمجده جميع مخلوقاته؛ لكمال مجده وعظمته، وجمال أسمائه وصفاته، وعظيم نعمه وإحسانه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨].

فالله مجيد، تمجده وتحمده وتثني عليه جميع مخلوقاته، فجميع مخلوقاته مسبحة بحمده، وساجدة لعظمته، وخاضعة لأمره، وشاهدة بوحدانيته: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء / ٤٤].

هو سبحانه المجيد، عظيم القدر والشأن، جميل الإحسان والإنعام، ذو الجلال والإكرام، عظيم الملك والسلطان .

هو المجيد الذي له الخلق كله، وله الأمر كله، وله الملك كله، وإليه يرجع الأمر كله، هو المجيد الذي مجد نفسه لكماله وجلاله وجماله؛ فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الرحمن الرحيم ٢] ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاحة / ٢ - ٤].

وقال سبحانه: ﴿تَبْرَكَ الَّذِي يَدُهُ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك / ١].

هو سبحانه الحميد المجيد الذي له المجد الأعلى، والأسماء الحسنى، والصفات العلى، المجيد القادر، العليم الخبير الذي قدر المقادير، وخلق الخلائق، وقسم الأرزاق، وكتب الآجال، المجيد القادر على كل شيء، فلا يعجزه شيء، العليم بكل شيء، فلا يخفى عليه شيء: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق / ١٢].

هو المجيد الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة / ٢٥٥].

• وقد ورد اسم الله المجيد في القرآن مرتين:

الأولى: في قوله سبحانه في سورة هود: ﴿رَحِمْتَ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود/ ٧٣].

الثانية: في قوله سبحانه في سورة البروج: ﴿إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَيَعِيدُ﴾ [١٣] ﴿هُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾ [١٤] ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [١٥] ﴿فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ﴾ [١٦] [البروج: ١٣-١٦].

فالله سبحانه حميد مجيد، عزيز غالب، قادر قاهر، هو جبار السماوات والأرض، هو الملك الحق الذي بيده الخلق والأمر، لا يقف له شيء، ولا يتمتع عليه شيء، حميد محسن إلى خلقه بأنواع النعم التي لا تُعد ولا تُحصى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وجاء هذا الاقتران بين اسم الله الحميد والمجيد في قوله: ﴿رَحِمْتَ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود/ ٧٣].

للدلالة على مجامع الجلال والجمال والكمال، فالمجيد من أسماء الله الجامعة التي تجمع المعاني العظيمة، فهو الحميد الذي تُحمد جميع أفعاله، المجيد ذو الشرف والكرم والخير والإحسان، وصفات الجلال والجمال، فهو قادر قاهر، ومع هذه القدرة وهذا القهر، وهذه العظمة؛ هو حميد يحمد على إحسانه إلى خلقه: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٣٦] ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٣٧] [الجنات: ٣٦-٣٧].

وصفات المجد التي وصف الله بها نفسه محمود عليها من جميع الوجوه، فهو الكريم، وهو العزيز، وهو الغفور، وهو الرحمن، وهو الرحيم، وهو اللطيف، وهو الرزاق الذي أستفيد من رزقه، العليم الذي أستفيد من علمه، القوي الذي أستفيد من قوته، الرحمن الذي أستفيد من رحمته .

فهو الغني وأنا الفقير، وهو العزيز وأنا الدليل، وهو القادر وأنا العاجز، وهو القوي وأنا الضعيف، وهكذا الله ﷻ له صفات المجد كلها: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

فهذه الصفات التي وصف الله بها نفسه محمود عليها من جميع الوجوه، منزه عن ضدها

من جميع الوجوه، وأنا أول المحتاجين إليها؛ فالعزة من العزيز، والقوة من القوي، والرحمة من الرحمن، والعلم من العليم؛ فله جميع صفات المجد التي تليق بجلاله؛ منزه عن جميع الصفات التي لا تليق بجلاله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى / ١١].

فلا إله إلا الله: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر / ٦٥].

له الحمد على أن عرفنا بجلاله، وجماله، وكماله .

والنفوس مفطورة على حب الكمال، وحب أهل الكمال، ومفطورة على حب الإحسان، وعلى حب المحسنين، وعلى شكر المحسن إليها: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

والله سبحانه كماله مطلق في ذاته وأسمائه، وصفاته وأفعاله، وأفعاله كلها خير وحكمة، ورحمة وعدل وإحسان: ﴿ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

والعبد أحوج الخلق إلى معرفة النعم التي أكرمنا الله ﷻ بها، وماذا قدم لنا الحميد المجيد من الخير؟ وماذا قدمنا له من الشكر والحمد؟: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة / ٣].

﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنًا وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [لقمان / ٢٠].

جميع ما في الكون مسخر لنا، عالم الجهاد، عالم النبات، عالم الحيوان، جميع هذه المخلوقات مسخرة لنا؛ لتتفرع لعبادة الله ﷻ ونشكره، فنرى النعمة ونشكر المنعم، ونرى الحميد المجيد بأسمائه وصفاته من خلال النظر في آياته ومخلوقاته؛ فنحمده على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيْنَنَاهَا وَرَبَّيْنَاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [٦] ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [٧] ﴿تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرْتِ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [٨] [ق: ٦-٨].

والإنسان مفطور على حب الشهوات، فجميع اللذات الحسية يطلبها الإنسان من جميع الشهوات، لذة الأكل والشرب، ولذة المرئيات والمسموعات، وغيرها من الشهوات، فإذا حصلها ملَّها، وتاقت نفسه إلى ما هو أعلى منها؛ النفس مجبولة على التعلق بالله ﷻ، وما دونه من الشهوات فهي مُتَمَلِّ؛ ولهذا أمرنا الله ﷻ أن نأخذ من الشهوات بقدر الحاجة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (البقرة: ١٧٢).

فمن رحمة الله ﷻ بنا أن جعل هذه النفوس تمل من أي شيء سوى الله؛ حتى لا تتعلق إلا بالله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ (النجم / ٤٢).

فلا ترتاح هذه النفس، ولا يطمئن هذا القلب إلا بالوصول إلى العلي الأعلى، الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، الملك الحق الممين، الحميد المجيد، الكريم العزيز، اللطيف الرؤوف الرحيم: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ (٢٩) [الرعد: ٢٨-٢٩].

هو الحميد الذي ملأ الكون بنعمه، المجيد في أسمائه وصفاته، وفي ملكه وسلطانه، وفي أحكامه القدرية، وفي أحكامه الشرعية، وفي أحكامه الجزائية.

ومن تعلق بغير الله تعذَّب به؛ رحمةً من الله، ليعود إلى ربه الذي خلقه وصوره، وأنعم عليه وهداه: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ (الشعراء / ٢١٣).

لا تتعلق بغير الله، لا تصرف الحب الذي يُصرف لله لغير الله؛ فتتعذب به، فمن تعلق بغير الله عُدِّب به؛ رحمةً من الله، ليعود إلى ربه الذي يستحق أن يطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا ينسى، ويُشكر فلا يُكفر، ولا سعادة للإنسان أبداً إلا بالاتصال بربه الحميد المجيد، وكل أنس بغيره فهو متعة لا سعادة، نحن والكفار والحيوان؛ ما نحن فيه من النعم المادية هذه متعة لا سعادة: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًىٰ لَهُمْ﴾ (محمد / ١٢).

أما السعادة فهي بالتعلق بالله وحده: ﴿فَفَرُّوا إِلَىٰ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٥٠) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥١) [الذاريات: ٥٠-٥١].

لأن كل ما سوى الله محدود وناقص، وعاجز وفقير، أما الله فهو الكامل، والنفوس مفضولة على حب الكامل، وحب المحسن، والثناء على الكامل، وعلى المحسن : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣] .

والله من رحمته جل جلاله أن بين لنا أسماؤه وصفاته في ملكه وسلطانه، وفي كتابه الكريم؛ حتى نعرف من الرب الذي نعبد، الرب الذي له الأسماء الحسنی والصفات العلی: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠٢] تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ [١٠٣] [الأنعام/١٠٢-١٠٣].

فالإنسان كلما تعلق بمخلوق؛ ابتلاه الله ﷻ بهذا الشيء، وسلطه عليه حتى يعود إلى ربه، فمن تعلق بشيء وُكِلَ إليه؛ حتى يملئه ويكرهه، ويتوجه إلى ربه: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء: ٢٢] .

فمن عبد الله فهو في سعادة تزداد كل يوم، ثم تزداد عند الموت، ثم تزداد في القبر، ثم تزداد في عرصات القيامة، ثم تزداد بدخول دار القرار في جنات النعيم: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [٣٦] [يونس: ٢٦] .

ومن تعلق بغير الله؛ فهو في متعة تنقص كل يوم؛ رحمةً من الله: ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [١٢٣] وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ [١٢٤] قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا [١٢٥] قَالَ كَذَلِكَ أَنتَ أَتَيْتَنَا فَسَبَّحْتَ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ الْكَثِيرِ لَعَلَّكَ أَتَىٰ مَنًّا وَتُوبْتَ وَأَقْرَبْتَ وَجْهَكَ لِلَّهِ خَشْيَةً وَأَنْتَ سَرِيدٌ [١٢٦] [طه: ١٢٣-١٢٦] .

من رحمة الله أن الذي يتعلق بغير الله؛ تكون حياته كلها عذاب وضنك، وضيق، وشدة: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣] .

فالؤمن الذي تعلق بربه، ولم يلتفت لأحد سواه؛ هو في أعظم نعيم، في الدنيا في جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة، وفي القبر في روضة من رياض الجنة، ويوم القيامة: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ﴾ [٥٥] [القمر/ ٥٥] .

والكافر بضد ذلك؛ هو في جحيم وفي عذاب، عذاب في الدنيا؛ رحمةً من الله، ليعود إلى

ربه وأحس بمرارة الألم ، الله ﷻ يرسل عليه النعم، فإذا لم يستجب أرسل عليه النقم؛ حتى يعود إلى ربه؛ رحمةً من الواحد الأحد، الملك الرحيم الحميد المجيد: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة/ ١٤٣].

فهذه منازل الناس: إما في الجنة، أو في النار، في الدنيا ، وفي القبر، وفي يوم القيامة : ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [١١٣] ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [١١٤] [الانفطار: ١٣- ١٤].  
والمجيد جل جلاله إذا أقبلت عليه أسعدك، وإذا أعرضت عنه أرسل إليك ما يردك إليه من نعمة أو بلاء؛ لعل النعمة تذكرك به، فتشكره على هذه النعم .

فالإنسان يشعر بالحياء إذا سكن في ملك الله، وأكل من رزقه، وتنعم بنعمه؛ أن يعصي الله ﷻ بهذه الجوارح، فإن لم تذكره النعمة؛ ابتلاه الله ﷻ ببلاء حتى يعود إلى ربه : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [١٥٥] ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [١٥٦] ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [١٥٧] [البقرة: ١٥٥- ١٥٧].

الله يبتلينا بهذا وهذا ليردنا إليه؛ فندعوه، ونتوجه إليه، ونتوب من معاصينا، الله ﷻ يرسل البلاء على عبده إذا خرج عن الهدى، فإن لم تذكره النعمة ، ولم يذكره البلاء؛ فليس له إلا العقوبة : ﴿فَلَمَّا أَسَفَوْنَا أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [٥٥] [الزخرف: ٥٥].

فمن أصر على كفره فليس له بعد التذكير إلا العقوبة : ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [٤٠] [العنكبوت/ ٤٠].

• وأبواب الهداية كثيرة، ويجمعها أربعة أبواب :

الأول : الهدى البياني؛ تهتدي إلى الله برؤية الآيات الكونية، وتدبر الآيات الشرعية، فتتهتدي إلى الله حينما ترى هذا الخلق، وتقول: له خالق، وهذه الأرزاق وتقول: لها رزاق خلقها، وهذه الصور لها مصور صورها .

فالإنسان يهتدي إلى ربه إما بقراءة القرآن، أو بالنظر في الآيات الكونية، أو بسماع



موعظة، أو بسماع درس: ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١].

فبعد الهدى البياني تأتي الاستجابة، يستجيب الإنسان لربه بعدما رأى آياته الكونية، وآياته الشرعية .

فإن لم يستجب بعد الهدى البياني جاءه التأديب الرباني .

الثاني : التأديب الرباني؛ يؤدب الله الإنسان بالمصائب والآلام والأمراض، فهذه المصائب والأمراض نعم خفية ترد العبد إلى ربه إذا خرج عن الصراط المستقيم .

فالله خلق المكروهات، وخلق النار، وخلق الآلام؛ لصرف الأشرار إلى أعمال الأبرار، وجذب النفوس إلى الملك القدوس، وجر القلوب من دار الغرور إلى دار السرور.

فإذا جاءه الهدى ولم يستجب، وجاءته المصائب ولم يتب؛ فهناك باب ثالث :

الثالث: الإكرام الاستدراجي : ﴿ فَلَمَّا سَأَوْا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام / ٤٤].

أعطيناهم مع كفرهم وشركهم وإلحادهم، أعطيناهم كل شيء، لعل النعم تذكرهم بالله فيؤمنوا به : ﴿ وَءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْإِنْسَانِ الظَّالِمِينَ ﴾ [إبراهيم / ٣٤].

فالله ييسر رزقه وعطاءه للمؤمن والكافر، فالكفار يعيشون في نعمه، هؤلاء الذين عندهم المليارات من الأموال، والقصور والمسكن، والبيوت والبساتين وغيرها؛ هذه

نعم من الله ، لعلهم يستعملون عقولهم، ويقولون: هذا الذي أنعم علينا بنعمة الإيجاد، ونعمة الأقوات، وهي هذه الأموال ، له مراد من خلقه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [٥٦] مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾

إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

فيستجيبون ويتوبون إلى الله ﷻ، فإن لم يستجيبوا؛ جاء عذاب القصم، وهو الباب الرابع.

الرابع : القصم الإلهي؛ فإذا جاءهم الهدى فلم يستجيبوا للهدى، وجاءهم التأديب الرباني فلم يتوبوا إلى ربهم من الكفر والمعاصي، وجاءتهم النعم فلم يفيقوا ولم يشكروا

المنعم؛ فهناك القصم الإلهي : ﴿ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَعْرَفْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٥] .

الله ﷻ بالمرصاد، يدبر الملك، وينظر إلى الخلائق جميعاً، ويرى كل شيء، ويعلم بكل شيء، ويسمع كل شيء : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٧] .

فالحمد للمجيد جل جلاله مَنْ عَلِمْنَا مِنْ بَيْنِ الْمَخْلُوقَاتِ بِأَنْ خَلَقْنَا بِيَدِهِ، وَكَلَفْنَا بِشِرْعِهِ، وَجَعَلْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فِي ضِيآفَتِهِ، وَفِي الْقَبْرِ فِي ضِيآفَتِهِ، وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي ضِيآفَتِهِ، وَأَمَرْنَا فِي الدُّنْيَا بِتَكْمِيلِ الْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ، بَعْدَ أَنْ كَمَلَ ظَوَاهِرُنَا وَبَوَاطِنُنَا وَجَوَارِحُنَا وَأَعْضَاءُنَا، فِي بَطْنِ الْأُمِّ، أَمَرْنَا بِتَكْمِيلِ الْإِيمَانِ وَالْأَعْمَالِ فِي الدُّنْيَا؛ لِيَكْمَلَ لَنَا الشَّهَوَاتُ وَالْمَحَبُوبَاتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِرُؤْيَةِ الْمَنْعَمِ، وَالتَّلَذُّذِ بِالنَّعْمِ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى، مَعَ الْخُلُودِ الْأَبَدِيِّ : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة/ ٢٢ - ٢٣] .

﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥] .

فالله سبحانه يسوق الابتلاءات رحمةً بالعبد، وأكثر الخلق لا يفقه هذا .

فبعد كل بلاء، وبعد كل نعمة، يحصل للعبد توبة جديدة، وإيمان جديد، وتعظيم جديد لله، وحمد جديد لله، وحب جديد لله، وعبادات جديدة لله ﷻ، بعد كل نعمة نزلت، وبعد كل بلاء حصل : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [يوسف: ٦] .

بعد كل بلية تقع علينا، وبعد كل نعمة تنزل علينا، سبع كرامات؛ ليرتقى هذا الإنسان، ويتوب إلى ربه، إذا رأى النعمة، وإذا رأى من رفع البلاء، يحصل له إيمان جديد، وتوبة جديدة، وحب جديد لربه، وتعظيم جديد لربه، وحمد جديد لربه، وحياء جديد من ربه، وطاعات جديدة لربه : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦] .

ولهذا نحن نتقلب في هذه الأحوال؛ فنحن بين نعمة نشكرها، وبين بلاء نصبر عليه، وفي

نفس الوقت تحصل لنا هذه الكرامات السبع .

فلنحمد الحميد المجيد جل جلاله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣٦) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ [الجاثية / ٣٦-٣٧].

الحميد المجيد جل جلاله إذا أقبلت عليه أسعدك، وإذا أعرضت عنه أرسل إليك ما يردك إليه من نعمة أو بلاء؛ والدعاء وسيلة لاتصالك بمن يملك الحاجات؛ حتى لا تلتفت لأحدٍ سواه، إذا سألت فاسأل الله، الذي بيده الخلق والأمر، الذي يعامل عباده بالكرم والرحمة: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ أَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر / ٦٥].

له الحمد على نعمة العطاء، وعلى نعمة البلاء؛ لأن الجميع يذكر بالله؛ فنشكره ونصبر على ما أصابنا، وندعوه فيستجيب لنا : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٦٠) [غافر: ٦٠].

والدعاء وسيلة؛ لأنه سلاح بيد العبد، والدعاء غاية؛ لأنك بمجرد أن تتصل بربك المجيد فأنت أسعد الناس، بمجرد أن تتصل بالملك الحميد المجيد الكبير؛ فأنت أسعد الناس؛ ولهذا فالعبد يفتخر بربه .

فالدعاء وسيلة؛ لأنه سلاح بيد العبد: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر / ٦٠]. لأنه الغني وأنا الفقير، والله جعل الوسيلة إلى ذلك الدعاء، والدعاء كذلك غاية؛ لأنك بمجرد أن تتصل بربك المجيد؛ فأنت أسعد الناس، يُغنيك عما سواه، فإذا كان إقبال المسلم على الدعاء ضعيفاً؛ خلق الله له حاجةً عنده من أجل أن يدعوه، فإذا دعاه أسعده وقضى حاجته : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (١٨٦) [البقرة: ١٨٦].

الإجابة مفروغ منها؛ فالله كريم، والكريم من الناس من إذا قدر عفا، وإذا سُئِلَ أعطى، وإذا عاهد وفى، ولا يبالي كم أعطى؟ ولمن أعطى؟ هذا الكريم من الخلق، فكيف بالكريم الذي لا حد لكرمه جل جلاله؟! .

كم كَرَّمَ الأنبياء!، وكم كَرَّمَ النباتات التي تنبت أنواع الثمرات والحبوب! .

وكم كَرَّمَ الرب الذي خلق كل كريم، وخلق له ما يتكرم به، وشرح صدره للتكريم!.  
 فالله ﷻ كريم، بمجرد أن تتصل به فأنت أسعد الناس، تستفيد من قوته، من كرمه، من  
 إحسانه، من عافيته، من عفوه، من رحمته، فإذا كان إقبالك على دعاء ربك ضعيفاً،  
 وتعلقت بالمخلوق، خلق الله لك حاجةً عنده من أجل أن تدعوه من مرض أو فقر أو  
 بلاء؛ فإذا دعوت ربك أسعدك وقضى حاجتك، فحمدته على هذه النعمة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ  
 رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة/ ٢].

أعطاني خيرًا، وصرف عني شرًا، أنعم عليّ، وأنعم على غيري، خلقتني في أحسن  
 تقويم، وساق لي الأقوات، وهداني إلى الصراط المستقيم.  
 هو سبحانه المجيد، وأسمائه وصفاته مجيدة، عظيم الكبرياء والجبروت، واسع الكرم  
 والجلود، عظيم الإحسان والإنعام، فإذا قدمت أيها العبد من الشكر لربك الحميد المجيد  
 على عظمة جلاله، وعظيم إحسانه؟: ﴿اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ  
 الشَّاكِرِينَ﴾ [سبأ: ١٣].

هو الحميد المجيد الذي، قدم لك كل شيء، وسخر لك كل شيء: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي  
 آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا  
 تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء/ ٧٠].

هو الملك المجيد الذي أكرم خلقه بنعم لا تعد ولا تحصى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي  
 السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ  
 عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان/ ٢٠].

هو الحميد المجيد الذي أنعم عليك بكل نعمه، خلقتك وقد كنت معدومًا، ورزقك وقد  
 كنت فقيرًا، وهداك وقد كنت ضالًا، وعلمك وقد كنت جاهلًا: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى  
 وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [الضحى/ ٦-٨].

أعطاك العافية، وزودك بالسمع والبصر والعقل: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا  
 تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [٧٨].  
 [النحل/ ٧٨].

نشكر من؟ نشكر المنعم الذي أنعم علينا بالنعم الظاهرة والباطنة، وسخر لنا ما في

السموات وما في الأرض ، المجيد بذاته وأسمائه وصفاته، والمجيد بأفعاله وإحسانه وإكرامه ، بالنعم التي لا تُعد ولا تُحصى، وهدانا إلى نعمة الإسلام: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات/ ١٧].

فسبح بحمد ربك المجيد الذي أسعدك في الدنيا بقوت الأبدان، وقوت القلوب، ويسعدك في الآخرة بالجنة والرضوان: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ٣].

الله سبحانه تمجد بأسمائه وصفاته، وبنعمه وإحسانه، فهو الذي أمدنا بالنعم، ويريد منا أن نسعد في الدنيا والآخرة، لا نتمتع فقط كالحيوانات والكفار؛ بل نسعد بأن نأكل من الأقوات، وننعم بالأقوات، ونبذل أقصى الطاقة فيما يحبه ويرضاه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج: ٧٧-٧٨].

هو المجيد الذي بيده كل خير، وبيده السعادة لكل أحد في الدنيا والآخرة؛ فمن استجاب؛ دخل باب السعادة، ومن لم يستجب دخل باب الشقاوة، واحدة بواحدة: ﴿فَأَمَّا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَلَا يَقْبَلُوا هُدًى مَنْ أَتَىٰ هُدًى فَلَا يَصِلْ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَعْيَيْنَا فَسَيِّئًا وَكَذَلِكَ أَلِيَوْمَ تُنسىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦].

هذه أفعال المجيد: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

فأفعال الله ﷻ في ملكه وملكوته دلائل على وحدانيته، وشواهد على عظمته، ودلائل

على مجده وكبريائه، ودلائل على عظمة نعمه وإحسانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِثْلَ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الروم: ٤٠].

فلا إله إلا الله العظيم، وسبحان الله المجيد بذاته، المجيد بأسمائه وصفاته، المجيد بفعاله، المجيد بإكرامه، المجيد بقوته وعظمته: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

هو القوي الذي خلق القوة في كل قوي، فكل قوة في العالم من قوته، قوة العرش والكرسي، والسماء والأرض، والشمس والقمر، وقوة الجبال والبحار والأنهار، وقوة المياه والنيران، وقوة الإنس والجن والملائكة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ [هود: ٦٦].

وكل قوة في العالم لا تساوي ذرة أمام قوة الله.

فما أجهل الخلق بربهم: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر / ٦٧].

فأنت في معية القوي، في معية المجيد، في الدنيا بمعرفته وعبادته، وحسن ذكره، والوقوف ببابه، والانكسار بين يديه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

ويوم القيامة تراه ببصرك بعد أن رأته ببصيرتك في الدنيا: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنفال: ٢٢] إلى ربها نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة / ٢٢-٢٣].

هو المجيد بقوته وعظمته، المجيد بإنعامه وإحسانه، فجميع الأرزاق تحتاج إلى قوة لإيصالها إلى المرزوقين في قاع البحار، وفي السماوات، وفي الأرض، وما بين السماء والأرض: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات / ٥٨].

هو سبحانه ذو العظمة والكبرياء، والعزة والجبروت، والإكرام والإنعام والإحسان، واللفظ والرحمة والمغفرة، فماذا قدمت يا عبد المجيد لربك المجيد؟ وماذا قدمت يا أمة

المجيد لربك المجيد؟ وماذا قدمت لنفسك يا أضعف العبيد؟ ماذا قدمت لربك المجيد مقابل بعض نعمه عليك؟ هل وحدت الذي خلقك؟ هل شكرت الذي أنعم عليك؟ هل تقربت لمن أنعم عليك بهذا الدين؟ هل سبحت بحمد الذي خلقك ورزقك، وعافاك وهداك؟ فسبح بحمد ربك العظيم: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غَنَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [الأعلى: ١-٥].

هل استغفرت من معصية المجيد؟ هل أطعت المجيد الذي أعطاك سوايغ النعم، وحفظك من شر النقم؟ ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشِّمَارَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

هل عرفت نعم ربك المجيد عليك وعلى غيرك: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ماذا قدمت لنفسك مما يجب ربك، وما جاء به رسولك؟ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج/ ٧٧].

هو المجيد الذي يستحق الشكر والحمد على نعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَفَكُمْ النَّاسُ فَعَاوَنَكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنفال: ٢٦].

فيا عبد المجيد، ما غرك بربك الكريم؟! ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: ٦-٨].

هل غرك حلمه، وإمهاله لك وأنت تعصيه بنعمه؟ أم غرتك نعمه التي بين يديك؛ فاستغنيت بها عن الإيثار به وعبادته؟ اذكر الذي أغناك بعد أن كنت فقيراً، وعلمك بعد أن كنت جاهلاً، وأحياك بعد أن كنت ميتاً، وهداك بعد أن كنت ضالاً: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [الضحى/ ٦-٨].

فماذا أعمل؟ ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿١﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿٢﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿٣﴾﴾ [الضحى/ ٦-١١].

يا عبد المجيد هذه النفوس مفطورة على التوحيد ، وحب الخير ، وكره الشر ، إذا جاءها ذكر الله ﷻ ، وسمعت ذكر الله ﷻ ، ونظرت في الآيات الكونية والآيات الشرعية؛ آمنت واطمأنت: ﴿الَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦-١٧].

فهذه القلوب تتأثر بالذكر كما تتأثر الأرض الغبراء بالماء، فتنبت من كل زوج بهيج: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [الحج: ٥-٧].

فكن أيها العبد وأيتها الأمة؛ كن لله المجيد كما يريد؛ يُعْطِكَ المزيد فوق ما تريد، مما يصلحك ويسعدك في الدنيا والآخرة: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ﴿٦٦﴾﴾ [النساء: ٦٦-٦٨].

عطاء المجيد كله مبني على الإيثار والتقوى في الدنيا والآخرة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرَ أَوْ أُتِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل/ ٩٧].

ومن رحمة المجيد أن أنزل علينا الكتاب المجيد؛ فكتاب الله مجيد، فيه تبيان كل شيء، فيه الحكمة، فيه الرحمة، فيه بيان عظمة الله وأسمائه وصفاته، فيه بيان أحكام الحلال والحرام، فيه الوعد والوعيد، فيه آيات الله الكونية، فيه آيات الله الشرعية: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

فالقرآن كريم ، ومجيد، وعزيز ، وحكيم، فيه تبيان كل شيء من جميع الأخبار الصادقة، والأحكام العادلة، والشرائع الحسنة، والأخلاق الحسنة: ﴿ق وَالْقُرْءَانَ الْمَجِيدِ ﴿١﴾﴾ [ق/ ١].



وكلما تعرف العبد على أسماء ربه وصفاته وأفعاله؛ مجده ، وأكثر من حمده ، والثناء عليه ، بقدر تلك المعرفة؛ لهذا أمرنا الله بمعرفته قبل عبادته : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمُ وَمَثَوَكُمُ ﴾ [محمد: ١٩] .

والتعرف على صفات الرب ﷻ يثمر للعبد التخلق بها، فإذا عرفنا الكريم تخلقنا بهذه الصفة؛ لأن الكرم محبوب، والتعلق بالكريم فطرة، والاتصاف بصفة الكرم عبادة : ﴿ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

نتخلق بالأخلاق التي يحبها الله، فالله يحب أسماءه وصفاته، ويجب من يتخلق بها من عباده: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة/ ٢٢٢] .

والله يحب الشاكرين ، والله يحب المحسنين ، والله يحب الصابرين، والله يحب المؤمنين، فالله يحب صفاته، ويجب أن يتخلق بها خلقه؛ فالتعرف على صفات الرب المجيد يثمر للعبد التخلق بها: ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَ ﴾ ﴿ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكُتَّابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران/ ٧٩] .

فالذي فيه ذكر صفات المجيد، هذا الكتاب العظيم : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ ﴿ ١٥ ﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ ١٦ ﴾ [المائدة: ١٥-١٦] .

ولله الأسماء الحسنی، فلنتعرف عليها؛ حتى ندعوه بها، فالله شكور يحب الشاكرين، توأب يحب التوابين، مجيد يحب العبد المجيد، والأمة المجيدة، يحب المجيد من خلقه إذا كان مجيداً في أقواله وأعماله وصفاته : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ﴿ ١٣٣ ﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿ ١٣٤ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤] .

فالله يحب المجيد، ويشني على من مجد نفسه بالأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق العالية، وأعلى الأخلاق أن تعبد من يستحق العبادة، وتشكر من يستحق الشكر، وتمجد من يستحق التمجيد، ونحمد من يستحق الحمد : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا

اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ تَزْلَأُ مِنْ عُنُقِهِ رَحِيمٌ ﴿٣٢﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

فسبحان المجيد الذي تمجد بأسمائه وصفاته، وعظمة ملكه وسلطانه، وخلقه وأمره، وعظمته وكبريائه! .

هو المجيد الواسع الكرم، ذو الشرف والعز والكرم، سايب النعم، دافع النقم، عظيم المنن، هو المجيد في ذاته، وأسمائه وصفاته، وأفعاله الكريمة، وأقداره الحكيمة: ﴿إِن رَّبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ أَيْلُ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فاعبدوه إذا عرفتموه؛ لكمال مجده وعظمته، ولعظمة إحسانه وإنعامه على خلقه.

هو المجيد الحق الذي خلق كل شيء، المالك لكل شيء، القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، واسع المغفرة والرحمة، جزييل العطاء والإحسان: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

هو المجيد الذي مجده لا نهاية له، وعطاؤه لا نهاية له، وكرمه لا حدود له، ونعمه لا نهاية لها، ورحمته لا نهاية لها، وعلمه لا نهاية له، وملكه لا نهاية له: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم/ ٦٥].

هو المجيد الذي له أسماء والجمال، المجيد الذي تفرد بصفات العز والمجد والكبرياء: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

هذه أعظم آية في كتاب الله، آية الكرسي، فيها خمسون اسماً من أسماء الله الحسنى ظاهرة ومضمرة، فمن تأملها استخرج هذه الأسماء العظيمة.

فسبحان المجيد بذاته، الجميل بأسمائه وصفاته، الجزيل في عطاءه، المحمود على إحسانه،

القريب من عباده! .

هو المجيد الذي يعطي ويرزق، ويشفي ويكفي، ويرفع البلاء، ويزيل الهم، ويدفع النقم، فهو بقوته قادر على كل شيء، وبرحمته منعم بكل شيء: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِيدَكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس / ١٠٧].

هذا ربك المجيد بيده الخلق والأمر، وبيده الضر والنفع، والعطاء والمنع، والبسط والقبض، والذلة والعزة، والسعادة والشقاوة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾﴾ [طه: ٨].

فإذا نزلت بك داهية، أو مصيبة، أو قارعة أو محنة؛ فتوجه إلى ربك المجيد، ذي الأسماء الحسنى، والصفات العلى، يهديك إلى سبل السلام: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

هو سبحانه المجيد الذي بيده مقاليد السموات والأرض، وبيده مفاتيح كل شيء: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام / ١٧-١٨].

فاسأله الهداية، واسأله الرحمة، واسأله العافية، واسأله ما يعينك على حسن عبادته وأعظم سؤال في القرآن: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة / ٦].  
الصراط المستقيم الموصل إلى جنة المعرفة في الدنيا، التي بواسطتها تصل إلى جنة الآخرة يوم القيامة.

فلا تتوجه إلى غير ربك المجيد، ولا تلتفت لأحد سواه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

أي ضلالة لا كاشف لها إلا هو، أي مرض لا كاشف له إلا هو، أي فقر لا كاشف له إلا هو، أي كربة لا مفرج لها إلا هو: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ فَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَشَرٌّ مُرْسَلِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل / ٦٢].

هو سبحانه المجيد الذي تمجد بكل شيء عظيم، المجيد الذي تمجد بكل شيء كبير. فمجده وعظمته، وجلاله وجماله، لا أول له ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية لمجده، فلا

نهاية لمجده وجلاله وجماله وكبريائه، ولا حد لملكه وسلطانه .

وهو سبحانه المجيد الذي مجده على قدر شأنه : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤] .

هو المجيد القادر على كل شيء ، فلو كانت جميع الأشجار أقلامًا، وجميع البحار مداذاً، وجميع الخلائق كتاباً أبد الأبدين؛ لم يبلغ الخلق إحصاء كلماته، ولا إحصاء خلقه، ولا إحصاء نعمه، ولم يبلغوا ما هو عليه من الجلال والجمال والمجد، ولم يؤدوا حقه من المدح والثناء، والحمد والشكر: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (٢٦) وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ [لقمان / ٢٦-٢٨] .

هو سبحانه القوي العزيز المجيد، القادر على كل شيء، الذي لا يعجزه شيء، الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، كل شيء لعزته ذليل، وكل أحد لكبريائه خاضع، بيده الخلق والأمر كله، لا إله إلا هو، ولا رب سواه : ﴿ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلِقُ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١٠٢) [الأنعام: ١٠٢] .

كل الخلق شاهد بوحدانيته، ومستجيب لمشيئته، ومسرع إلى إرادته، وخاضع لأمره . كل الخلق لأمره طائع، وكلهم له عابد، وكلهم لسلطانه خاشع، وكلهم إليه راغب، وكلهم منه راهب، وكلهم إليه راجع: ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (٨٣) [آل عمران / ٨٣] .

هو المجيد الذي سجدت له جميع مخلوقاته في العالم العلوي والسفلي : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبَرُونَ ﴾ (٤٩) يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ [النحل / ٤٩-٥٠] .

المجيد الذي اجتمعت له صفات الجلال والقوة والعظمة والكبرياء، وصفات الجمال

والإكرام والإنعام والإحسان .

هو المجيد القوي الذي لا يعجزه شيء، وكل شيء مستجيب لإرادته فوراً، ومسرع إلى مشيئته طوعاً: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِينَهُ مَلَكُوتٌ كُلُّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٨٣) [يس / ٨٢-٨٣].

هو المجيد القادر على كل شيء، خلق الكبير والصغير، والكثير والقليل، وعالم الغيب وعالم الشهادة، وكله عليه يسير: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَيْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٢٨) [لقمان / ٢٨].

فسبحان الرب المجيد الكريم، العليم الخبير، الذي لا ينسى من ذكره، ولا يخيب من دعاه، ولا يقطع رجاء من رجاءه، العليم بكل شيء، السميع لكل شيء، البصير بكل شيء: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٣) [التغابن / ١٣].

هو سبحانه المجيد الحميد الذي عرّف أوليائه بتوحيده، فله الحمد والشكر، وألهم خلقه تسيحه وتمجيده، فله الحمد والشكر، وأولّ القلوب بعبادته؛ فله الحمد والشكر، وأنطق الألسن بذكره، فله الحمد والشكر، واضطر العقول لتعظيمه وتمجيده؛ فله الحمد والشكر: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (١٨) [الحج: ١٨].

فسبحان من خلق الخلق لرحمته، ولكنهم يتفلتون عن طاعته، ويطيعون الشيطان عدوه: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يٰبَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٦٠) ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (١١) ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ (١٢) [يس / ٦٠-٦٢].

فتعرفون الرب العظيم الذي خلقكم ورزقكم، القادر الذي يحييكم ويميتكم، الملك الذي بيده الملك، فتعبده، وتوحدوه .

هو سبحانه المجيد بأسمائه وصفاته، العليم المحيط بكل شيء، يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ذرات الرمال، وعدد الأرواح، والأنفاس، وعدد الحروف والكلمات، ويعلم ما في البر والبحر، وما

أظلم عليه الليل، وما أشرق عليه النهار، لا توارى منه سماء سماء، ولا أرض أرضاً، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما في قعره: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ النُّجُومِ سَاقِطًا فَلْيَأْبُوا وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْعَذَابُ الْعَظِيمُ﴾ [الأناعام / ٥٩].

هو ملك عظيم مجيد، لا تحيط به الظنون، ولا تدركه الأبصار، ولا تقابله العيون، ولا تحيط به العقول، ولا تكيفه الأوهام: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأناعام / ١٠٢-١٠٣].

ربنا مجيد عظيم، نور وجهه ملاً الكون كله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور / ٣٥].

وكتابه نور: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء / ١٧٤].

ودينه نور: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [١٥] يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [المائدة: ١٥-١٦].

ظهر المجيد الظاهر للبصائر والعقول، ظهوراً أبين من الشمس في رابعة النهار: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد / ٣].

فسبحان من ظهر للبصائر والعقول ظهوراً أبين من الشمس في رابعة النهار: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

والله يريد منا أن نعبد الله كأننا نراه؛ فهذا مقام الإحسان؛ فالله موجود بكمال الأسماء والصفات، موجود بصفات الكمال والجلال والجمال: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد / ٣].

فاعبدوه وحده إذا رأيتموه وعرفتموه .

واحتجب بعظمته ونوره عن الأبصار؛ فلا تراه في الدنيا أبداً: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأناعام / ١٠٣].

وعن أبي ذر، قال: سألت الرسول ﷺ: هل رأيت ربك؟ قال: «نورٌ، أنى أراه، حجابُهُ النور، لو كشفه لأحرقت سُبحاتُ وجهه ما أنتهى إليه بصرُهُ من خلقه» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>. فسبحان المجيد الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، له الخلق والأمر وحده لا شريك له. يحيي ويميت، ويعز ويذل، ويكرم ويهين، ويعطي ويمنع، ويرفع ويخفض، ويعفو ويتنقم، ويهدي ويضل، وينصر ويخذل، ويبسط ويقبض: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (٢١) ﴿الرحمن: ٢٩﴾.

والله جل جلاله هو الرب المجيد الحق، عظيم الأسماء والصفات، عظيم الملك والسلطان، عظيم النعم والإحسان، عظيم الخلق والأمر، عظيم الثواب والعقاب: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. هو العظيم الذي لا يعطي إلا العظيم، أنزل علينا القرآن العظيم، وأرسل إلينا رسولا كريما، وشرع لنا أحسن دين.

فهو المجيد جل جلاله، أسماؤه كلها مجيدة، وصفاته كلها مجيدة، وأفعاله كلها مجيدة، والقرآن كله توحيد وتمجيد، وتعظيم وتكبير، وتسبيح للرب الحميد المجيد: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٢) ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢٣) ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٤) [الحشر/ ٢٢- ٢٤].

والصلاة التي شرعها الله ﷻ لنا، كلها تعظيم وتكبير، وتحميد وتمجيد، وتسبيح للحميد المجيد، أهل الثناء والمجد، شرعها الله لعباده ليتصلوا به بأحسن الصفات والأقوال والأعمال؛ فأولها تحميد وتمجيد للرب جل جلاله، وأوسطها تمجيد، وقيامها تمجيد، وركوعها تمجيد، وسجودها تمجيد، وجلوسها تمجيد، وأقوالها تمجيد: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ابْتَكَ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٩).

اللَّهُ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ [العنكبوت / ٤٥].

ففي أول الصلاة تكبير، والتكبير تمجيد، والاستفتاح كله تمجيد، وفي الركوع وما بعده تمجيد، سبحان ربي العظيم تمجيد، سمع الله لمن حمده تمجيد، الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً تمجيد، وفي الركوع وما بعده تسبيح وتحميد وتمجيد، وفي السجود تسبيح وتحميد وتمجيد سبحان ربي الأعلى، سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة؛ وفي الجلوس دعاء وثناء، وتحميد وتمجيد.

فالجلوس قبل السلام دعاء وثناء، وتحميد وتمجيد، التحيات لله والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم؛ إنك حميد مجيد.

ولهذا فرضها الله على عباده كل يوم خمس مرات، ورغب في الإكثار من نوافلها، وشرعها في أحوال مختلفة، وأمر بالمحافظة عليها في أوقاتها فقال: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة / ٢٣٨].

وهي خمس في العمل، وخمسون في الأجر أصلاً، ثم الخمسون في الأجر تضاعف؛ فالصلاة الواحدة محسوبة عشر صلوات في الأصل، مثلاً صلاة الظهر نصلبها واحدة فعلاً، ولكنها عند الله أصلاً عشر صلوات، والحسنة بعشر أمثالها، عشرة في عشرة تساوي مائة صلاة ظهر، وهكذا باقي الصلوات.

فالصلوات الخمس في أصل مشروعيتها الصلاة بعشر صلوات في الأصل، أما بقية الأعمال، فالحسنة بعشر أمثالها، الصدقة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وهكذا سائر الأعمال: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

ولحب الله للصلوات الخمس، ولحاجتنا إليها، ورغب فيها، وجعلها خمساً في العمل، وخمسين في الأجر، فكل صلاة بمائة صلاة.



فسبحان الرب المجيد ، الذي هذا كرمه وعطاؤه لأوليائه : ﴿ ذَلِكَ فَضَّلَ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد: ٢١] .

والعرش أكبر مخلوقات الله ﷻ ، وأعظمها ، وأوسعها ، وأعلاها ، وأنورها ، وأرفعها ، وأكرمها ، خلقه الحميد المجيد العزيز بقدرته ، واستوى عليه الحميد المجيد برحمته ، كما قال سبحانه: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه / ٥] .

فالحمد لله رب العالمين على هذه النعمة ، وعلى أن عرفنا بأسمائه وصفاته؛ حتى لا نتعلق بأحد سواه ، فالفكر والاعتبار في أسماء الله وصفاته وأفعاله من أعظم أعمال القلوب ، ومن أعظم روافد الإيمان التي يقوى بها التوحيد ، ويزيد الإيمان ، وينشع القلب ، وتحسن العبادة: ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَعِيوُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ [٤٨] ﴿ وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [٤٩] ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [النحل / ٤٨ - ٥٠] .

فالنظر والتفكير في هذا الملكوت العظيم ، وفي جميع ما خلق الله في هذه الدنيا ، من أعظم العبادات ، وكله منصوب للاعتبار ، وبه يرتفع العبد درجات إلى علم الغيب المكنون الذي يدرك في الدنيا بالوحي والقلوب ، ويرى في الآخرة بالعيان والأبصار : ﴿ أَوْلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف / ١٨٥] .

﴿ أَوْلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٠] .

والله ﷻ هو المجيد الذي أمرنا بالنظر في جميع الملك والملكوت؛ لنرى ونعلم كمال مجده وعظمته وجلاله ، وعظيم نعمه وإحسانه ، ثم نعبد به بموجب هذه المعرفة: ﴿ قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذِيرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس / ١٠١] .

واعلم رحمك الله أنك إذا نظرت بنور إيمانك مستعيناً بربك في أقل المخلوقات جرمًا ، وأصغرها حجمًا ، كالخردلة والذرة والبعوضة؛ ونظرت في أعظم المخلوقات كالشمس والأرض ، والجبال والبحار ، رأيت ما يدفع الشك ويزيل الشرك ، ويحقق التوحيد ،

والإيمان للواحد الأحد ، من الآيات الباهرات والبراهين الساطعات القاطعات: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَانِهِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَأَخْتَلَفُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايِنِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [الجاثية/ ٣-٦].

أقام الله هذه المخلوقات العظيمة، والآيات الكبيرة في السماء والأرض، للاعتبار في ملكوته مقام فحوى الخطاب في كتابه؛ تنبيهاً للمبتدئ من أوليائه، وتذكراً للمنتهي : ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦-٨].

إذا كان خلق الصغير يدل على عظمة ربه الكبير؛ فالأعلى من مخلوقاته أعظم دلالة وأكبر شهادة: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [غافر/ ٥٧].

سبحان الملك العظيم الذي خلق الكبير والصغير، وخلق العالي والسافل؛ وجعل الكل من دلائل توحيده، وعبداً من عبيده، يأتمر بأمره، ويخشع لعظمته، ويسبح بحمده: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ، وَسَبِّحَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾ [النور/ ٤١-٤٢].

ومن نور الله قلبه بالإيمان؛ ارتقى بعقله من عالم الشهادة إلى عالم الغيب، ومن عالم الدنيا إلى الآخرة، فرأى الصور ببصره، ورأى المصور بقلبه، ورأى العظيم سبحانه يفعل في ملكه ما يشاء، ورأى بعقله أنه كلما عظم المخلوق عظم قدره، وكلما علا محله قويت شهادته، وكلما قرب من خالقه عظمت عليه نعمته، ونال بركته، وخصه بمزيد كرمه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾﴾ [آل عمران/ ١٩٠-١٩١].

فبهذه المعارف العظيمة معرفة الله بأسائه وصفاته، ومعرفة نعمه وإحسانه يذوق هذا

القلب والعقل ، وهذا السمع والبصر ، حلاوة المعرفة ، وطعم الإيمان ، ويرى ربه العظيم  
يخلق ويدبر وحده لا شريك له ، وبهذا يتحصل على طعم الإيمان ، وحلاوة الإيمان ،  
وحقيقة الإيمان ، بهذه المعرفة العظيمة: ﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكِ  
وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد / ١٩].

فيرى القلب صمود المخلوقات كلها إلى ربها ، ويشاهد استسلام المخلوقات كلها لعزة  
كبريائه جل جلاله ، ويسمع أصوات المخلوقات تخطب بالتوحيد ، لها زجل بالتسبيح  
والتقديس والتحميد والتمجيد لربها الحميد المجيد: ﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ  
فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾  
[الإسراء / ٤٤].

## التعبد لله ﷻ باسمه المجيد

الله ﷻ هو المجيد الذي له المجد كله، والكبرياء كله، والملك كله، والخلق كله، والأمر كله، وله الحمد كله .

هو المجيد الذي يستحق التحميد والتمجيد، أهل الثناء والمجد، الحق المعبود في السماء والأرض: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمُلُوكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلُوكَ مِنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٢٧) [آل عمران: ٢٦-٢٧] .

والله ﷻ هو الحميد المجيد الذي يجب علينا أن نمجده؛ فهو المجيد بذاته، له صفات الجلال والجمال والكمال، وليس بين العبد وربه مسافة ولا زمان: ﴿ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ (٦١) [هود/ ٦١] .

فهو القريب في علوه، العلي في دنوه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (١١) [الشورى/ ١١] .

فهو مجيد، وأنا عبد المجيد؛ فيجب علي أن أتقرب لربي المجيد بكل ما يحبه ويرضاه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (١٨٦) [البقرة/ ١٨٦] .

والحكمة من خلق السماوات والأرض، وكافة المخلوقات، أن يعرف الإنسان ربه المجيد، وماذا يريد الله منه؟ وماذا يريد الإنسان من ربه؟ وماذا يراد له؟ وماذا يراد منه . ما يراد من عبد المجيد أن يعرف ربه المجيد بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويعرف دينه وشرعه، ويعرف وعده ووعيده، ويعمل بموجب ذلك: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ (١٣) [الطلاق/ ١٣] .

فإذا عرفتم ذلك فاعبدوه : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

المجيد سبحانه يريد مني أن أعرف هذه المعارف؛ ثم أعبد الله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [١١] الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢] .

فما يريد الله ﷻ من العبد هو أن يوحدہ ويعبده، ويوم القيامة يحاسب الخالق هؤلاء العباد، فمن آمن وأطاع ربه فله الجنة ، ورضوان ربه، ومن كفر وعصى ربه فله النار: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِقُونَ ﴾ [١٤] فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ [١٥] وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ [الروم/ ١٤-١٦] .

وفي الدنيا: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [٢٨] [الرعد/ ٢٨] .

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [٨٢] [الأنعام/ ٨٢] .  
 فربنا مجيد بذاته، عظيم بفعاله، كريم بعطائه، المجيد الذي تمجده وتحمده وتسبح بحمده جميع مخلوقاته .

هو المجيد الذي له المجد ، وله المجد ملكًا ، وله العزة صفةً ، وله العزة ملكًا : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٣٦] وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧] .

هو المحمود على جميع أفعاله، الذي أنزل النعم التي يحمد عليها، فله الحمد في الأولى والآخرة : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ [سبأ: ١] .

هو العزيز الذي أعز عباده وأوليائه، هو العزيز الذي له العزة، ولرسله العزة،

وللمؤمنين به العزة : ﴿ وَاللَّهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون: ٨] .

فأعظم درجات العلم هو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وأعظم أنواع الجهل هو الجهل بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله ؛ لأنه سبب للانصراف عن عبادة الرب الذي يستحق العبادة ؛ ولهذا أمرنا الله بالعلم أولاً ؛ ثم بالعمل ثانياً ، فقال : ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [محمد: ١٩] .

هو سبحانه المجيد ، ذو الطول والإنعام ، عظيم الملك والسلطان ، الجميل فعاله ، الجزيل نواله ، الكثير عطاؤه : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة / ٢٩] .

رفيع الدرجات ، كريم العطايات ، عفو عن السيئات ، غافر للزلات ، مجيب للدعوات ، لا تبلغ الألسن وصف جلاله وجماله وكماله : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر / ٦٧] .

هو سبحانه المجيد الحفيظ لكل أحد ، المحيط بكل أحد قدرةً وعلماً ، الغني عن كل أحد ، الذي يحتاج إليه كل أحد ، الغني الذي وصل رزقه إلى كل أحد : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ (٤) ﴾ [الإخلاص / ١ - ٤] .

فمجد ربك العظيم ، الذي خلق الخلق ، وبسط الرزق ، وفرج الكرب ، المغيث وقت البلاء ، المنعم في البأساء ، أهل الثقة والرجاء ، وأهل الحمد والشناء : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ (٣) مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝ (٤) ﴾ [الفاتحة: ٢ - ٤] .

وسبح بحمد ربك العظيم : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝ (٣) ﴾ [النصر: ١ - ٣] .

واسأله وحده لأن عنده خزائن كل شيء : ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴾ [غافر/ ٣].

واعلم أن الله رفع قدرك بالإسلام، ووفقك لعبادته، وأثار قلبك بمعرفته وتوحيده، والإيمان به، فأكثر له من التحميد والتمجيد لعلك ترضى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [٤١] وَسَبَّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا [٤٢] هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا [٤٣] [الأحزاب/ ٤١ - ٤٣].

وإذا عرفت ربك المجيد بأسمائه وصفاته وأفعاله ودينه وشرعه: ﴿فَاعْبُدْهُ وَأَصْطِرِّ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم/ ٦٥].

وكن مجيدًا ببيانك وتقواك، وأقوالك وأعمالك، وأخلاقك وإحسانك .

واذكر صفات المجيد لخلقته، وبين لهم أسماءه وصفاته، وعلمهم شرعه، وعرفهم بنعمه؛ ليحمدوه، وعرفهم بكبريائه ليكبروه؛ تكن من العلماء الربانيين : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

يا عبد المجيد، أنفق مما أتاك ربك المجيد، من مال تواسي به الفقير، أو علم تعلم به الجاهل، أو خلق حسن تحنن به على السفية، أو جاه تنفع به المحتاج، أو قول حسن تقيم به الحق، وتعدل به بين الخلق، وتقيم به المعوج: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا [٧١] [الأحزاب/ ٧٠ - ٧١].

وبهذا يحمدك المجيد، ويحمدك أهل السماء، ويحمدك أهل الأرض، وتفوز بمحبة الله، ومحبة خلقه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [٩٦] [مريم/ ٩٦].

فالمؤمن حقًا من شغل أوقاته، ولسانه، وقلبه وجوارحه، فيما يرضي الله ﷻ، واجتنب ما سوى ذلك: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة/ ٦٢].

وإذا عرفت المجيد فسارع إلى طاعته : ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه/ ٨٤].

واعلم أن كل ما أدركته ببصيرتك، أو شاهدته ببصرك ، من المخلوقات الصغيرة والكبيرة، من لدن العرش العظيم إلى أصغر شيء خلقه الله؛ كلهم عبيد أمثالك، ليس بأيديهم شيء، الكبير والصغير، والعالى والسافل : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۝۱۸﴾ [الحج: ١٨].

فالملك حقاً هو الرب المجيد، ذو العرش المجيد، لا إله إلا هو، رب كل شيء ومليكه، القائم على كل نفس، وكل ما سواه عبيد له، خاضع لأمره : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝۱۰۲﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فيا عبد المجيد إلى ربك الحميد المجيد فالجأ، وعليه فتوكل، وإياه فاسأل، ولا يشغلك عنه سواه : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ۝۱۳﴾ إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم ولا ينبتك مثل خير ﴿ ۝۱۴﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

وتأدب رحمك الله بأداب النظر والتفكر، وأحسن العمل لمن يراك ولا تراه، واعبده كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝۳۷﴾ الَّذِي يَرِنَكَ حِينَ تَقُومُ ﴿ ۝۳۸﴾ وَتَقْلَبُكَ فِي السَّجِدِينَ ﴿ ۝۳۹﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿ ۝۴۰﴾ [الشعراء/ ٢١٧-٢٢٠].

واعتبر بأدب أول المعتبرين إبراهيم ﷺ، حين نظر بعين الإنصاف إلى الكوكب، ثم إلى القمر، ثم إلى الشمس، فلما رأى عليها آثار الحدث، وسمات الصنع، وقهر التسخير : ﴿ قَالَ لَا أَحِبُّ الْأَفْلِينَ ۝۷۱﴾ [الأنعام/ ٧٦].

ثم جهه بالتوحيد ، والبراءة من الشرك : ﴿ قَالَ يَتَقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝۷۸﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿ ۝۷۹﴾ [الأنعام: ٧٨-٧٩].

رأها مخلوقات مملوكة ومقهورة بحكم الربوبية؛ تعبد الله في محراب العبودية لله ﷻ.



هذه المخلوقات رآها إبراهيم مملوكةً مقهورة بحكم الربوبية، تعبد الله مع غيرها في محراب العبودية، فتخطاها وانصرف عنها إلى الذي فطرها قائلاً: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام / ٧٩].

فإذا بان لك الأمر، واستبان لك الرشد؛ فاستقم على عبادة ربك، واحمد الله على هذه النعمة، ومجد المجيد، وعظم العظيم، وكبر الكبير: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [١١٠] وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾ [الإسراء: ١١٠-١١١].

وانظر رحمك الله بالبصر والبصيرة؛ تكن على بصيرة: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [الأنعام / ١٠٤].  
 فطوبى، وما أدراك ما طوبى! لقلوب عرفت ربها، وعبرت ساحات الملك والملكوت، وأميطت عنها حجب الغفلة، وانكشفت لها مجاري القدرة؛ فرأت الخالق والمخلوق، ورأت الصور والمصور، وشاهدت الخالق البارئ المصور يفعل في مخلوقاته ما يشاء، وهي تمجده وتسبح بحمده، فنظم نفسه معها: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [٤١] يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ [النحل: ٤٩-٥٠].

فهذه المعرفة أفادتها معرفة الرب الحميد المجيد، والتعبد الصادق، والنور المبين الذي ميزت به الملك من العبيد؛ فاتقته حق تقاته، وعبدته كأنها تراه؛ فنالت ثوابه ورضاه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وهذه القلوب التي عرفت الله ﷻ تعبدت له في محراب العبودية؛ لكمال إيمانها، ومعرفتها بربها جل جلاله؛ فنالت ثوابه ورضاه: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا

خَرُّوا سَجْدًا وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

وهذه القلوب الزكية التي امتلأت بالتوحيد والإيمان ، لم ترصّ لنفسها شغلا إلا عبادة الملك العلي الأعلى، فعبدته؛ فرفعها إلى المقام الأسمى : ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة/ ١١].

فاتق الله يا عبدالمجيد حق تقاته، واعتصم بحبل الله حتى تلقاه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٢] وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ [آل عمران/ ١٠٢-١٠٣].

فالحمد لله على هذه المعارف العظيمة، والحمد لله رب العالمين أن أرسل إلينا أفضل رسله، وأنزل علينا أحسن كتبه، وأعطانا السمع والبصر والعقل؛ لنعرف به ربنا ﷻ، ومن عرف ربه المجيد بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ كبره وعظمه، وحمده وشكره، وأحبه وأطاعه، وأفرده بالعبادة، وتذلل لعظمته، وخضع لكبريائه، وخشع قلبه لربه المجيد، وعظم أمره، وانقاد لحكمه : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَدِنتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [٩] [الزمر: ٩].

ومن عرف المجيد حقًا؛ مجده حقًا، وعظم أوامره حقًا، وعظم كتبه ورسله حقًا، وعظم شعائره وشرائعه حقًا: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمَ شَعْرُ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج/ ٣٢].

واسم الله المجيد من صفات الذات والأفعال، فهو المجيد؛ لما له من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، المجيد الذي يمجد نفسه بين خلقه ، كما قال سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢] الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [٣] مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ [٤] [الفاحة/ ٢-٤].

ومن عرف المجيد مجده وعظمه بأنواع التمجيد والتحميد والثناء، فيثني على ربه بأسمائه

الحسنى، وصفاته العلى، وإحسانه وإنعامه، ويعبد ربه بمقتضاها، فيفعل ما يحمد عليه عند ربه، ويجنب ما يذم عليه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَجَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وحظ العبد من اسم الله المجيد أن يكون العبد مجيدًا بحسن أقواله، وأفعاله، وأخلاقه، مجيدًا بحسن عطائه، يعبد المجيد الأعلى الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، ويدعو الناس إلى عبادة المجيد، ويعلم شرع ربه المجيد، ويحسن إلى غيره بأنواع الإكرام والإحسان: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ومن عرف المجيد العزيز الكريم تجاوز الخلق إلى الخالق، وتقرب بالأرزاق إلى الرزاق، وتوكل على المجيد الذي يكفيه من جميع العبيد: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المؤمنون﴾ [التغابن/ ١٣].

فسبحان ربنا المجيد الذي اختص بالعظمة والكبرياء، والعزة والجبروت، والإكرام والإحسان، والإفضال والإنعام: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك/ ١].

والله سبحانه جميل يحب الجمال، يحب أسماءه وصفاته، ويجب من يتخلق بها من عباده على شاكلة العبودية، ويجب من دعا الناس لمعرفتها، والتعبد لله بها: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فكن أيها العبد مجيدًا في دينك، تقول بالحق أينما كنت، لا تخاف في الله لومة لائم.

كن مجيدًا قويًا في أقوالك وأعمالك وأخلاقك: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة/ ٦٣].

كن قويا في دعوتك : ﴿فَلَا تَطْعِ الْكٰفِرِيْنَ وَجٰهِدْهُمْ بِهٖ جِهَادًا كَبِيْرًا﴾ ﴿٥٢﴾ [الفرقان / ٥٢].

وقال النبي ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

كن مجيِّداً في أعمالك: ﴿يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا اَرْكَعُوْا وَاَسْجُدُوْا وَاَعْبُدُوْا رَبَّكُمْ وَاَفْعَلُوْا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ﴾ ﴿٧٧﴾ [الحج / ٧٧].

كن مجيِّداً في جهاد أعداء الله، في الدعوة إلى الله، في تعليم شرع الله : ﴿يٰۤاَيُّهَا النَّبِيُّ جٰهِدِ الْكٰفِرَآءَ وَالْمُنٰفِقِيْنَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَا وٰوَدُّهُمْ جَهَنَّمُ وَاَنْتَ سَاجِدٌ وَاَعْبُدِ اللّٰهَ﴾ [التحریم: ٩].

كن مجيِّداً في عبادتك : ﴿اَمَّنْ هُوَ قَنِيْتُ ءَاَنآءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوْا رَحْمَةَ رَبِّهٖ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِيْنَ يَعْلَمُوْنَ وَالَّذِيْنَ لَا يَعْلَمُوْنَ اِنَّمَا يَتَذَكَّرُ اُولُو الْاَلْبٰبِ﴾ ﴿٩١﴾ [الزمر / ٩].

كن مجيِّداً في أخلاقك : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَاْمُرْ بِالْعُرْفِ وَاَعْرِضْ عَنِ الْجٰهِلِيْنَ﴾ ﴿١١٩﴾ [الأعراف / ١٩٩].

كن مجيِّداً في العطاء والإحسان ، والعتو والإكرام : ﴿وَسَارِعُوْا إِلَى مَعْفِرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوٰتُ وَالْاَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِيْنَ﴾ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكٰظِمِيْنَ الْغَيْظِ وَالْعَافِيْنَ عَنِ النَّاسِ وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران / ١٣٣-١٣٤].

كن مجيِّداً بالتوحيد والإيمان ، وطاعة الرحمن؛ تنل من ربك أجراً عظيماً ، ومقاماً كبيراً : ﴿اِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ الَّذِيْنَ اِذَا ذُكِرَ اللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوْبُهُمْ وَاِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايٰتُهُ زَادَتْهُمْ اِيْمٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُوْنَ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيْمُوْنَ الصَّلٰوةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُوْنَ ﴿٣﴾ اُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُوْنَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجٰتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَّرِزْقٌ كَرِيْمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال / ٢-٤].

كن مجيِّداً بعطائك وإحسانك وإكرامك، وإنفاقك : ﴿مَثَلُ الَّذِيْنَ يُنْفِقُوْنَ اَمْوَالَهُمْ فِي

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٦٤).

سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ [البقرة: ٢٦١].

كن مجيداً بدعوة الناس إلى الخير: ﴿ اَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ ﴿١٢٥﴾ [النحل: ١٢٥].

كن مجيداً بتعلم العلم الإلهي ، وتعليم الناس : ﴿ كُونُوا رَبَّنَا نِعْمَ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ ﴿٧٩﴾ [آل عمران / ٧٩].

كن مجيداً بتزكية نفسك بالإيمان : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس: ٧-١٠].

ومجد ربك المجيد بذكر أسماؤه وصفاته وأفعاله، وحمده على سوابغ نعمه، بقولك : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ ﴿٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥].

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

وقل: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير .  
وقل التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم؛ إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم،

وعلى آل إبراهيم؛ إنك حميد مجيد.

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨].

﴿ رَبَّنَا ءَإِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

اللهم يا حميد يا مجيد، يا ذا الجلال والإكرام، أغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عن سواك.

اللهم هب لنا حمداً ومجداً ننتفع به، وننفع به غيرنا، اللهم صنّ وجوهنا باليسار، ولا تذلنا بمعصيتك فنسأل شر خلقك، ونُبتلى بحمد من أعطى، وذم من منع، وأنت من فوقهم، ولي العطاء ويديك خزائن الأرض والسماء.

يا ذا الجلال والإكرام، نسألك من فضلك العظيم، نسألك أن تعيننا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

اللهم يا مالك الملك، يا خالق الخلق، يا ذا الطول والإنعام والإحسان، يا فعلاً لما تريد، يا مجيد، يا حميد، يا رب العرش الكريم، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى، والعفاف والغنى، والفوز بالجنة، والنجاة من النار، يا أرحم الراحمين.

اللهم اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك يا رب العالمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك .

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الولي .. المولى

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله الولي.. المولى

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/ ٨].

فإذا أردت أن أعبد الله حقاً؛ فلا بد أن أعرفه بأسمائه وصفاته وأفعاله، وأعرف ملكه وسلطانه، وآياته ومخلوقاته، ودينه وشرعه، ووعده ووعيده.

لأن عبادة الله مبنية على معرفته: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَّمُتَوَلِّكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

الله هو رب العالمين، الولي الحميد، المولى الرحيم، الملك الحق الذي له ملك السموات والأرض، وله ما في السموات والأرض، وله ما بين السماوات والأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض، الخلق كله له، والملك كله له، والأمر أمره، والخلق خلقه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلِقُ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فمعرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته هي أساس التوحيد؛ حتى نوجه العبادة لواحد، ونعرف أنه رب كريم، ورزاق، وقوي، وقادر، ورحمن، ورحيم، وعفو، وحليم: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [٤٩] وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ [٥٠] [الحجر: ٤٩ - ٥٠].

والله ﷻ يجب من عباده أن يتصفوا بصفاته، فالله يجب أسمائه وصفاته، ويجب من عباده أن يتصفوا بأسمائه وصفاته على شاکلة العبودية؛ فهو المؤمن الذي يجب المؤمن والمحسن الذي يجب المحسنين، ويجب المتقين، ويجب التوابين، ويجب المتطهرين: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

الله ﷻ من علينا بمعرفة أسمائه وصفاته، ودلنا عليها، لنعبد الله بموجبها، وليزيد الإيمان في قلوبنا، فإذا زاد الإيمان استنار القلب بنور التوحيد والإيمان، ثم اتسع الصدر لجميع أنواع الطاعات، ثم خرج هذا النور إلى الجوارح، فبدأنا نسمع الكلام الطيب، ونتكلم بالكلام



الطيب، ونعمل الأشياء الطيبة وننظر إلى الأشياء الطيبة، ونبتعد عن الأشياء المحرمة. فمعرفة الله بأسمائه وصفاته هي من التوحيد بمنزلة الرأس من الجسد، وبمنزلة القلب من البدن، فجسد لا رأس له ميت، وبدن لا قلب فيه ميت. قال النبي ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

جعل الله حل الجوع والعطش بالطعام والشراب، وهذا سبب من الأسباب، ولكن ما حل الهم والضيق والنكد والتعب؟ حل ذلك في دين الله فقط: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨) ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَثَابٌ﴾ (٢٩) [الرعد/ ٢٨-٢٩].

فلا طمأنينة إلا بذكر الله؛ ولذلك الله ﷻ أمرنا بذكره كثيراً: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (٤١) ﴿وَسَبِّحْهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (٤٢) ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ (٤٣) [الأحزاب: ٤١-٤٣].

فإن كنت خائفًا فهو المؤمن الذي يؤمنني، فالأمن كله بيده، هو الذي خلق الأمن، وفرقه بين خلقه، وهو الشافي من كل مرض، وهو المطعم لكل جائع، وهو الغفور لكل ذنب، وهو الرحمن الذي ملأ الكون بأنواع النعم؛ من أرض نسكن عليها، وطعام نأكل منه، وماء نشرب منه، وهواء نتنفس منه: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ (٥٣) [النحل: ٥٣].

فالله ﷻ له الأسماء الحسنى، والله ﷻ أمرنا أن نتعرف على هذه الأسماء؛ حتى نعبد الله بمقتضاها: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد/ ١٩].

• والله ﷻ من أسمائه الحسنى؛ الولي، والمولى.

فالولي: كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٢٨) [الشورى/ ٢٨].

وأما المولى: فكما قال سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (٧٨) [الحج/ ٧٨].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١٥٩٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٥٢).

• وقد ورد اسم الله الولي في القرآن الكريم خمس عشرة مرة:

والمولى من أسماء الله الحسنى، وقد ورد في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة.

فكيف نتعرف على هذا الاسم العظيم؟ وكيف نتعبد لله به؟ وكيف نتصف به؟ وكيف

نعرف مظاهر اسم الولي في ملكه العظيم جل جلاله؟

فالولي صيغة مبالغة من اسم الفاعل الوالي، والمولى مشتق من الولي.

والولي: هو الذي يلي غيره بالقرب، والنصرة، والمعونة، والحفاضة.

والمولى يُطلق على الرب، والمالك، والسيد، والمنعم، والمعتق، والناصر... إلى غير ذلك

من الإطلاقات.

والله سبحانه هو الولي الحميد، الناصر لعباده المؤمنين، الذي يتولاهم بنصره وعونه

وتوفيقه، ويتولى تدبير أمورهم ومصالحهم، ويُقيل عثراتهم، ويغفر زلاتهم: ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ

وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

هو سبحانه الولي الحميد، الكفيل بمصالح العباد، وهو ولي المؤمنين؛ يدافع عنهم،

وينجيهم من كل كرب: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ

كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ

هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

وهو سبحانه المولى الناصر المعين لأوليائه؛ لأنه الملك القادر على كل شيء، الذي كل ما

سواه مُلك له، ولا مفزع للمملوك والعبيد إلا إليه: ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨]

[الحج/ ٧٨].

فالله سبحانه هو الولي الذي يلي أمور عباده، هو الولي الحق القريب من خلقه، الولي

الحميد الذي يوالي جميع خلقه بالنعمة والأرزاق، والعافية والإحسان، والعون والهداية؛

فكل هذا من عطاء ربنا ﷻ، عطاء ربوبية، وعطاء ألوهية.

وهو سبحانه مولى الخلق أجمعين؛ فهو سيدهم، وربهم، وخالقهم، ورازقهم، ومالكهم

وحاكمهم: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ

الْحَمِيدُ﴾ [الشورى/ ٢٨].

هو سبحانه الولي الحميد، فجميع ما نراه في الكون مظهر لقدرة الولي الحميد الذي يتولى

أمور الخلق بالخلق والإيجاد، والنعم والإمداد، والهداية والإسعاد؛ فكل ما نراه في الكون من ولينا جل جلاله الذي يتولانا برحمته وإحسانه: ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (٧٨) [الحج/٧٨].

• وولاية الله خلقه تنقسم إلى قسمين:

الأول: الولاية العامة للخلق أجمعين؛ فالله سبحانه هو السيد، وهو الرب، الذي خلق الخلق، هو المالك الذي له ملك كل شيء، والخالق الذي خلق كل شيء، والرزاق الذي كل رزق منه، والمتصرف في الخلائق كلها؛ لأنه ربهم ومالكهم وخالقهم، فالله ولي كل أحد، يتولاه بالخلق والإيجاد والإمداد، كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٢٨) [الشورى: ٢٨].

فالله مولانا الذي يتولى أمورنا في الدنيا، ثم نردُّ إلى مولانا يوم القيامة، ليسألنا: ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٦٥) [القصص/٦٥].

﴿أَمَاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٨٤) [النمل/٨٤].

فإننا لله، وإننا إليه راجعون، وكل سيلقى جزاء عمله: ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ (٦٢) [الأنعام: ٦٢].  
فهذه ولاية الله ﷻ العامة لكل الخلائق.

الثاني: الولاية الخاصة للمؤمنين، وهذه الولاية تقتضي العناية بمن تولاه الله بالنصر، والتوفيق لما يحبه ويرضاه، فمن تولى ربه بالتوحيد والإيمان، والطاعة وحسن العبادة؛ تولاه الله بالنصر والتوفيق والأمن: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ (١١) [محمد/١١].

فالله سبحانه هو الولي الملك الذي يدبر الأمور كلها، الذي قام بتدبير حالك وحال غيرك، وهو المولى الذي يركن إليه من آمن به، ويعتمد عليه، ويستعين به، في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (٦٥) [غافر/٦٥].

هو الحي بصفات الكمال، حي بالسمع والبصر، والقوة والقدرة، والرحمة والعفو، والإحسان؛ والإنعام.

هو الولي الذي يجب من آمن به، وأطاعه، وتوكل عليه، واستعان به، وأتاب إليه، فإله ينصره ويسعده في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَادُ ۝٥١﴾ [غافر: ٥١-٥٢].

هو الولي الذي يختار لنا ما يسعدنا في الدنيا والآخرة: ﴿قُلْ لَن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾ [التوبة/ ٥١].

وأولياء الله ﷻ هم المؤمنون الذين يحبهم ويحبونه: ﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ أَذَلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۭ ذَٰلِكَ فَضَلَّ ٱللَّهُ يَوْمَئِذٍۭ مَن يَشَاءُ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ۝٥٤﴾ [المائدة/ ٥٤].

فإله ﷻ من علينا بأن عرفنا بأنه ولينا ومولانا: ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٧٨﴾ [الحج/ ٧٨].

فهنيئاً للمؤمنين الذي تولاهم الله بأنواع المكارم: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۝٥٥﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦].

فولاية الله العامة لكل الخلق، فهذه ولاية الله ﷻ العامة، وولايته الخاصة، خاصة بمن آمن به واتقاه، وهي أعم وأكمل.

والله سبحانه هو العزيز الكريم، وهو الولي الحميد، الذي يجب أولياءه، ويدافع عنهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ۝٣٨﴾ [الحج: ٣٨].

ويحذر من عادي أولياءه، كما قال سبحانه في الحديث القدسي: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا؛ فَقَدْ آذَنَنِي بِٱلْحَرْبِ» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.

فمن وإلى الله بالتوحيد والإيمان؛ وإلاه الله بالنصرة والحفاظة، والولاية والموالاتة صفتان مشتقتان من اسم الله الولي والمولى، فالولاية من الولي، والموالاتة من المولى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

أُولِيَائِهِمْ الظَّالِمِينَ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلْمَةِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ [البقرة/ ٢٥٧].

فإن الله ولي المؤمنين، أما الكفار فلا مولى لهم: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكُفْرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد/ ١١].

فلا ولي للكفار ينصرهم، ويحفظهم، ويسعدهم؛ إنما وليهم الشيطان الذي يزيجهم من الطاعات إلى المعاصي، ومن الصغائر إلى الكبائر، ومن الإيمان إلى الكفر، ومن الفضيلة إلى الرذيلة: ﴿الْمُتَرَاتِنًا أَرْسَلْنَا الشَّيْطَانَ عَلَى الْكُفْرِينَ تَوَّضَعُوا لِحَيْثُ يَرْتَدُّوا﴾ [مريم: ٨٣].

فاللهم آتِ نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها. وإذا قرأنا القرآن وجدنا أن الله ﷻ قرن اسمه الولي باسمه الحميد مرة واحدة في قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى/ ٢٨].

وسر ذلك والله أعلم أن الله سبحانه يتولى أمور عباده، ويهديهم إلى ما يصلحهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة؛ ولهذا استحق من جميع عباده الحمد والثناء لجلاله وجماله، وعظيم نعمه وإحسانه.

فهو سبحانه هو الولي الحميد، أحق من عبد، وأحق من محمد، وأحق من شكر؛ لعظيم نعمه وإحسانه، وجلاله وجماله، له الحمد كله على نعمة العطاء والمنع، وله الحمد كله على ما قدر من محبوب ومكروه، وهو الولي الحميد الذي لا يُحمد في كل حال إلا هو: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢] ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ﴾ [٣] ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [٤] ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [٥] [الفاتحة/ ٢-٥].

فالحمد له لجلاله، وعظمته، وكبريائه، ولجزيل إنعامه وإحسانه: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٣٦] ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٣٧] [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

فاقرن اسم الله الولي باسمه الحميد؛ إشارة إلى أن الله ﷻ هو المنعم بكل نعمة؛ فهو ولي حميد؛ يُحمد على بذله وإعطاء نعمه للمؤمن والكافر، والبر والفاجر؛ هذا عطاء الربوبية للجميع، لأنه لا رب لنا سواه؛ فجميع النعم المادية منه، ونعمة الإسلام، ونعمة الهداية

منه، فله الحمد وله الشكر على عظيم نعمه وإحسانه.

• واقترن اسم الله النصير مع اسمه المولى مرتين:

مرة في قوله: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاَعْلَمُوْا اَنَّ اللّٰهَ مَوْلٰىكُمْ فَتَعْمَلُوْا مَعَ اللّٰهِ الْمَوْلٰى وَنِعْمَ النَّصِيْرُ﴾ [٤٠/ الأنفال].

ومرة في قوله: ﴿هُوَ مَوْلٰىكُمْ فَتَعْمَلُوْا مَعَ اللّٰهِ الْمَوْلٰى وَنِعْمَ النَّصِيْرُ﴾ [٧٨/ الحج].

واقترن اسم الله النصير مع اسمه الولي مرة واحدة، كما قال سبحانه: ﴿وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِاَعْدَائِكُمْ وَكَفٰى بِاللّٰهِ وَلِيًّا وَكَفٰى بِاللّٰهِ نَصِيْرًا﴾ [٤٥/ النساء].

وسر ذلك والله أعلم أن الله ولي عباده المؤمنين ومولاهم، ومقتضى الولاية لعباده المؤمنين النصر والمعونة؛ فخصهم بالولاية والنصرة دون غيرهم: ﴿هُوَ مَوْلٰىكُمْ فَتَعْمَلُوْا مَعَ اللّٰهِ الْمَوْلٰى وَنِعْمَ النَّصِيْرُ﴾ [٧٨/ الحج]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾ [٤٧/ الروم]. فمن آمن بالله، وامتلأ بأوامره، ونشر دينه؛ فالله ﷻ ينصره: ﴿فَتَعْمَلُوْا مَعَ اللّٰهِ الْمَوْلٰى وَنِعْمَ النَّصِيْرُ﴾ [٧٨/ الحج].

يتولانا بنعمه المادية، ويتولانا بالنصرة الإلهية، فلا نصر إلا من ناصر، والنصر ينزل من السماء كما ينزل الماء من السماء، هذا ينزل لإحياء الأرض، وهذا ينزل لإحياء القلوب، ولنصرة أوليائه، وإهلاك أعدائه: ﴿وَلِيَنْصُرْكُمُ اللّٰهُ مَن يَنْصُرُهُۥ اِنَّ اللّٰهَ لَقَوِيٌّ عَزِيْزٌ﴾ [٤٠] الَّذِينَ اِنْ مَّكَّنَّهُمْ فِي الْاَرْضِ اَقَامُوْا الصَّلٰوةَ وَاَتَوْا الزَّكٰوةَ وَاَمْرُوْا بِالْمَعْرُوْفِ وَاَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاِلَيْهِ عٰقِبَةُ الْاُمُوْرِ﴾ [٤١/ الحج: ٤٠-٤١].

واقترن اسم الله الحق مع اسمه المولى مرتين في القرآن: كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ رُدُّوْا اِلَى اللّٰهِ مَوْلٰىهِمُ الْحَقِّ اَلَا لَهٗ الْحُكْمُ وَهُوَ اَسْرَعُ الْحٰسِبِيْنَ﴾ [٦٢/ الأنعام]. وقال سبحانه هذا لك: ﴿وَرُدُّوْا اِلَى اللّٰهِ مَوْلٰىهِمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوْا يَفْتَرُوْنَ﴾ [٣٠/ يونس].

وسر ذلك والله أعلم ليعلم الله عباده أنه لا مولى لهم، ولا رب، ولا ملك، ولا مالك بحق إلا الله وحده، فالحق واحد، والله ﷻ هو الحق، ودينه الحق، وكتابه الحق، ووعدته الحق: ﴿ثُمَّ رُدُّوْا اِلَى اللّٰهِ مَوْلٰىهِمُ الْحَقِّ﴾ [٦٢/ الأنعام].

وكل ما سواه مما عبد من دونه فملكه، وولايته، وربوبيته، ليست بشيء؛ فهي ملك

قاصر زائل باطل، والله وحده هو المولى الحق: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

واقترن اسم الله العليم الحكيم مع اسمه المولى مرة واحدة، في قوله سبحانه: ﴿قَدَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [التحریم/ ٢].

الله أكبر! الله ﷻ يتولى جميع أمور خلقه في العالم العلوي والعالم السفلي، إيجاباً وإمداداً، وخلقاً وتصويراً، وتحريكاً وتسكيناً: ﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [النور/ ٤٤].

﴿وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم/ ٢٧].

فاقترن اسم الله العليم الحكيم مع اسمه المولى، وسر ذلك والله أعلم أن الله أعلم بمصالح عباده؛ فلا يدبر لهم إلا ما يصلحهم ويسعدهم، ويتولى أوليائه بمزيد من الفضل والإحسان؛ فمن أقبل على الله؛ أقبل الله عليه، ونصره وأيده: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [٥١] ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [٥٢] [غافر: ٥١-٥٢].

والله سبحانه هو المولى الحميد، تدبيره أحسن تدبير، وشرعه أحسن الشرائع، وحكمه أحسن الأحكام، ورسله أفضل الرسل.

فهو العليم بمن يستحق الهداية ممن لا يستحقها، العليم بمن يصلح لدخول الجنة، ومن يصلح لدخول النار، العليم بمن يزكو على التوحيد والإيمان ومن لا يزكو.

فهو سبحانه المولى الكريم، الرحمن الرحيم، الولي الذي تولى كل ما سواه من المخلوقات، تولاهم بالخلق والتدبير، وتصريف الأمور والمقادير، في كل وقت وحين: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [٣١] ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [٣٢] [يونس: ٣١-٣٢].

هو سبحانه ولي المؤمنين، يخرجهم من الظلمات إلى النور، يخرجهم من ظلمات الكفر، والجهل، والمعاصي؛ لعلمه بأنهم يزكون على الإيمان والطاعات: ﴿قُلْ إِنَّ أَفْضَلَ

بِيدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ ﴿٧٣﴾ يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ [آل عمران: ٧٣ - ٧٤].

لكن نحن لا نعلم؛ لهذا علينا أن نتوب إلى الله، وعلينا أن ندعو إلى الله جميع الخلق؛ والله يهدي من يشاء، ويضل من يشاء؛ لأنه يفعل ما يشاء، وفعله مقرون بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة مقرونة بالخير المطلق؛ فالله بيده الخير، والشر ليس إليه، وهو الرحمن الرحيم بعباده: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٧﴾ [النحل/ ٧].

فهو سبحانه ولي المؤمنين، يخرجهم من الظلمات إلى النور، يخرجهم من ظلمات الكفر والجهل والمعاصي إلى نور الإيمان والعلم والطاعات، ومن سبل الضلالة إلى سبل الهداية: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢٥٧﴾ [البقرة/ ٢٥٧].

وأعظم تلبس إبليس أن يزهّد الناس في العلم؛ لأن العلم بالله يثمر توحيده، والإيمان به، وعبادته وطاعته؛ فيزهدهم في العلم، والعلم كله نور، ومن فقد النور عاش في الظلمات، فالشيطان يربي الناس في الظلمات، يخرجهم من النور إلى الظلمات، فيفعلون ما يسخط الله ﷻ، ويطيعون الشيطان ويعصون الرحمن: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٦١﴾ [النور: ٢١].

الشيطان يربي أوليائه في الظلمات: ظلمة الكفر والجهل، والمعاصي، والبدع. والله ﷻ ولي المؤمنين يربيهم بالتوحيد والإيمان، وتلاوة القرآن، وحسن معرفته وتقواه، ويجب لهم الخير، ويضاعف لهم الأجر، ولذلك فالشيطان يزهّد الناس في العلم الشرعي، ويجرهم إلى الشهوات، والعلم الدنيوي الذي يربط المخلوق بالمخلوق، وهذا العلم الدنيوي نأخذ منه بقدر حاجتنا، وهو عبادة من العبادات، لكن الأصل: العلم الإلهي: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثَوَلَكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩].

فاعلم أنه لا إله إلا الله، لتعرف الرب الذي تعبد، لتعرف وليك الذي تولاك بالخلق،



والإيجاد، وكمال الأعضاء، والسمع، والبصر، والعقل، خلقتك في أحسن تقويم، وأمدك بالنعمة، ورباك في بطن الأم، وجاء بك إلى الدنيا، ثم يوم القيامة يستضيفك عنده في القصور الملكية، أو يريكفي السجون الجهنمية، حسب الإيمان والعمل، وحسب الكفر والعمل.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

والله ﷻ يجب من عباده جميعاً أن يؤمنوا به، لكن منهم من يقبل، ومنهم من لا يقبل، كالأرض منها ما يقبل الإنبات، ومنها ما لا يقبل الإنبات: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ ﴿١٩﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ ﴿٣٠﴾ [الكهف: ٢٩ - ٣٠].

وكلما أعرض الإنسان عن ربه زاد عليه النعم؛ لعل النعم تذكره بمولاه، فيتوب إلى ربه، وكلما أعرض العبد عن ربه؛ من رحمته أن يتليه ببلاء؛ حتى يعود إلى ربه الذي يكشف البلاء: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُم خُلُفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ [النمل / ٦٢].

فقطاء الله ﷻ ومنعه كله من حسن ولايته ورحمته بعباده.

فسبحان من ولايته ولاية رحمة، وحكمة، وعدل، وإحسان، ولطف، وإكرام: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٤٣﴾ [البقرة / ١٤٣].

أعطى الهواء للجميع، ونور الشمس للجميع، والطعام والشراب للجميع، والأرض المستقرة للجميع: ﴿وَمَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَإِنسَنَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم / ٣٤].

فسبحان ربنا العظيم! الإنسان يظلم ويكفر بمولاه، والله يعطي ويرزق، يغفر ويرحم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٢٤٣﴾ [البقرة: ٢٤٣].

لعل نعم الله ترد الشاردين إليه: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ

لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ [الأنعام/ ٤٣].

فمن لم تؤدبه البليّة، ولم ترده النعمة؛ فليس هناك إلا العقوبة التدميرية: ﴿فَلَمَّا عَاسَفُونَا أُنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَعْرَفْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥].

جاءتهم الدعوة إلى الله فلم يستجيبوا، وابتليناهم فلم يتوبوا، وأنعمنا عليهم فلم يشكروا؛ فلم يبق إلا العقوبة التدميرية: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف/ ٥٩].

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

كل شيء له أجل؛ الرزق والإنعام والإهلاك كل شيء بأجل مسمى.

فسبحان السميع البصير، العليم بكل ذرة في ملكه!

هو الولي الحميد الذي تولى جميع مخلوقاته علماً وتدبيراً وتصريفاً، كل ذرة، وكل كلمة، وكل عمل، وكل نفس، له سجل عند الله: ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [هود/ ٦].

• وكل ذرة في الكون لها ثلاثة أوامر:

أمر بالإيجاد .. وأمر بالبقاء .. وأمر بالرفع والضر.

هذه الأوامر لكل ذرة في الكون، فكيف بالمجرات والأجسام الكبار، السموات مكونة من ذرات، والأرض مكونة من ذرات، والإنسان مكون من ذرات، والهواء مكون من ذرات، والماء مكون من ذرات، كل هذه الذرات في الكون؛ الولي المحيط بكل شيء، العليم بكل شيء، لها سجل عند الله العليم الخبير: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

[يونس: ٦١].

هذا الرب الملك الحق الذي نعبد، والذي نحب، والذي نسمع ونطيع له، والذي نحمده ونشكره، ونتقرب إليه، ونتشرف بحسن عبادته، ونتذل بين يديه؛ لأننا أفقر الخلق إليه إيجاباً وإمداداً وتدبير أحوال، وهداية، فله الحمد كثيراً كما ينعم كثيراً، نعم المولى ونعم النصير.

مَنْ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ عَامَةً بِنِعْمَةِ الْإِمْدَادِ، وَمَنْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ خَاصَةً بِنِعْمَةِ الْإِمْدَادِ وَالْإِنْعَامِ،

والهداية والإسعاد: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

هو جل جلاله العزيز الجبار، القوي القادر، وكذلك هو الغني الكريم، الرحمن الرحيم، الذي توليه لعبده إحسان إليه، ومحبة له، ورحمة به، وجبر له: ﴿فَنِعَمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعَمَ النَّصِيرِ﴾ [الحج: ٧٨].

هو الغني عن كل ما سواه، وهو القادر القاهر لكل قاهر، لا يحتاج إلى الخلق، بل جميع الخلق يصمدون إليه؛ لأنه الصمد الذي يُصمد إليه في الحوائج: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر/ ١٥].

هو الغني عن كل ما سواه؛ المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي، والمؤمنون والكفار؛ كلهم محتاجون إليه، وهو الولي الحميد، يمدهم بغذاء البدن، وغذاء القلوب، ولكن الجميع يأخذون من غذاء البدن، أما غذاء القلوب فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرًا إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَإِلَيْهِ يَجْتَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].  
الله ﷻ غني عن العالمين، لا يتكثر بمن آمن به من قلة، ولا يتعزز بهم من ذلة، ولا يستعين بهم من ضعف، ولا يتنصر بهم من غلبة.

سبحانه هو القوي وكل ما سواه ضعيف، وهو الغني وكل ما سواه فقير إليه؛ فله الحمد والشكر، والعزة والكبرياء: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ لِدَاوُدَ وَلِئِمَّ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا وَكِبْرَةٌ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء/ ١١١].

فهو أهل للكبرياء، وأهل للحمد، وأهل للشكر، وأهل للتعظيم والتكبير: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [٢٢] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٢٣] ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

هو الملك الرحمن الرحيم الذي خلق كل شيء، وله ملك كل شيء لهذا يجب أن يعبده كل شيء في العالم العلوي والسفلي: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

هو الرحمن الرحيم الذي ولايته لأوليائه ولاية عزة ومنعة، يغار عليهم، ويحفظهم من أعدائهم، فولايته لهم ولاية عزة ومنعة وقوة، وولاية نصر وغنى وإكرام: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَكُمْ فَتْنًا فَيَأْتِكُمْ أَمْؤَلٌ بِمِائَةِ مِائَةٍ أَوْ أَكْثَرَ ذَلِكَ فَذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا كَفَرُوا بِأَنَّ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْسِبُونَ﴾ [الأفال: ٣٩-٤٠].

نصركم في مواطن كثيرة، نعم المولى الذي تولاكم بالعطاء المادي، وبالنصر الإلهي، وبالآمن والطمأنينة: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَيْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء/ ٧٠].  
هو سبحانه الولي العليم الحكيم، هو الخير بكل شيء، يولي كل ظالم ظالماً مثله؛ يسومونهم سوء العذاب؛ فيضرب الظالم بالظالم، ويأخذون منهم بالظلم والجور جزاء ما ظلموا، ومنعوا حقوق الله وحقوق عباده: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّدُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام/ ١٢٩].

فالله ﷻ يضرب الظالم الصغير بالظالم الكبير، ثم ينتقم من الظالم الكبير، والله لا يجب الظالمين، فالظلمة عِصِيٌّ بيد الله، ينتقم بها من الظلمة، ثم ينتقم منها، في النهاية ينتقم من هذا الظالم الكبير، بعد أن ينتقم من مجموع الظلمة الذين ظلموا بمظالم كثيرة، فينتقم الولي الحميد الذي يدبر أمور خلقه، ينتقم من الظالم الصغير بالظالم الكبير، ثم ينتقم منه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ لَمُفْسِدِينَ﴾ [القاص/ ٤].

بنو إسرائيل لما نقضوا العهد ابتلاهم الله بفرعون يقتل أبناءهم، ويستحيي نساءهم، ثم بعد ذلك أهلك فرعون وجنوده: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥].

﴿وَإِذْ يَجْعَلُكَم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة/ ٤٩].  
والولي ورد في كتاب الله مطلقاً معرّفاً بأل، كقوله سبحانه: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَأَلَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتِينَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الشورى/ ٩].

وورد اسم الله الولي مقيداً؛ أي: مضافاً، كقوله سبحانه: ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ تَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف/ ١٦٦].

هو سبحانه الولي المتولي لأمر خلقه قاطبة، القائم على تدبير ملكه العظيم، الذي له الخلق، والأمر، والملك، الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض، ويمسك السموات والأرض أن تزولا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١].

هذا الذي يستحق العبادة، وأن نبكي لكبريائه وعظمته، وجزيل نعمه وإحسانه، فكم نعم الله ﷻ علينا وعلى غيرنا! الله أعطاني نعماً، وصرف عني نقماً، وأنعم علي، وأنعم على غيري، واستضافني في بطن الأم، ويستضيفني في بطن الدنيا، ويستضيفني في القبر، ويستضيفني يوم القيامة: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقَدِّرٍ﴾ [القمر/ ٥٥].

لهذا نلزم الاستغفار من التقصير؛ ومن الجهل بالله وأسمائه وصفاته؛ فما قدرنا الله حق قدره، ولهذا نؤدي العبادة بالبدن لا بالقلب إلا ما رحم ربك: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ [٤] الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ [٥] الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ [٦] وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ [٧]. [الماعون: ٤-٧].

والخشوع من صفات القلب، والخضوع من صفات البدن: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [١] الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ [٢]. [المؤمنون: ١-٢].

لا بد أن نعرف العظيم، المولى الحميد، بأسمائه وصفاته، ونعبده كأننا نراه جل جلاله، هنالك تكون العبادة بحب كامل، وتعظيم كامل، وذل كامل لله ﷻ، فالمؤمن يتصاغر لكبرياء الله، ويمجد الكريم جل جلاله، ويعلم أن الله يراه ويسمعه؛ فلا يخالف أمره، بل يقبل على عبادته وطاعته وحمده وشكره، بقلبه وقالبه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [٢٨] إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ [٢٨]. [فاطر: ٢٨].

الله سبحانه هو الولي المتولي لأمر خلقه قاطبة، هو الذي يقبل الليل والنهار، ويأتي بالحر بعد البرد، وبالعافية بعد المرض، وبالأمن بعد الخوف: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [٤٤]. [النور: ٤٤].

هو الذي خلق الذكر والأنثى، وخلق الجهاد، والنبات، والحيوان، وخلق الإنس، والجن

والملائكة، وهو الولي الذي يدبر جميع الأمور: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وولينا كريم حميد، ولينا رحمن رحيم، وولينا قوي قادر، ففي كل حاجة من حاجاتنا نتوجه إليه بالصفة التي تناسب حاجاتنا، فإن كنت فقيراً سألت الغني بغناه، أسألك بذل فقري، وكمال غناك، أن ترزقني من فضلك ما يجعلني أحبك، وأستغني بفضلك عن سواك، وهكذا في بقية الأسماء.

فالله ﷻ هو الولي الحميد، القائم على كل نفس، إن كانت مطيعةً أكرمها، وإن كانت عاصية: ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [٤٩] وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ [٥٠] [الحجر: ٤٩-٥٠].

فسبحان الولي الحميد الذي قسم الأرزاق على النبات، والحيوان، والإنسان، والجن، والملائكة! سبحان الولي الحميد الذي قسم الأرزاق المادية والروحية، وأوصلها إلى عباده من الحيوانات والبشر! فكل إنسان قسم الله له رزقه، وكل مخلوق قسم الله له رزقه؛ لأن خزائن الرزق عند واحد، ومفتاح الرزق بيد واحد: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات/ ٢٢].

هو الولي الحميد الذي يُحمد على نعمه التي أنعم بها علينا تفضلاً منه جل جلاله. فكل إنسان، وكل مخلوق، قسم الله رزقه كميةً ونوعيةً، ومكاناً وزماناً: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

فالله ﷻ قسم الأرزاق كلها، فالأوامر تنزل من السماء، والتسليم في الأرض، فرزقك سوف يصل إليك، ورزقك الذي قسمه الولي الحميد لك سوف يصلك، وهو يعرف عنوانك، وأنت لا تعرف عنوانه؛ فلن تموت نفس؛ حتى تستكمل رزقها وأجلها؛ فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، نحن نطلب الرزق، ولكن الرزق بيد الله، لكن نطلب الرزق امتثالاً لأمر الله في كسب الرزق، وإلا فالأرزاق كلها مقسومة: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف/ ٣٢].

فهذه الثمرة في الشجرة، أو هذه التمرة في النخلة، أو هذه التفاحة في الشجرة، أو هذه الحبة في السنبله، قسمها الله لفلان، سوف تأتيه، وسوف تصل إليه قطعاً، إما أن يشتريها بهاله، أو يأكلها ضيافةً عند أحد، أو تقدم له على شكل هدية، أو يتسولها من الناس، أو يسرقها من أحد، فإن أخذها بوجه حلال بارك الله له فيها، وإن تعجل وأخذها بالحرام صارت عذاباً له، مرضاً أو خسارة: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الْعَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى/ ٢٨].

فالله سبحانه هو ولينا جل جلاله، قسم الأرزاق، وكتب الآجال، وكتب كل شيء؛ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ﴾ [٤٩] ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلِمَةٍ بِالْبَصْرِ﴾ [القمر: ٤٩-٥٠]. هو ولي المؤمنين، يتولاهم بالهداية والإرشاد، والنصر والتمكين، ويمدهم بعونه وتوفيقه، ويحفظهم من أعدائهم، وينصرهم على من ظلمهم: ﴿ذَلِكَ يَأْنَى اللَّهُ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكٰفِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد/ ١١].

هو سبحانه مولى الذين آمنوا، يمكن لهم في الأرض، ويقضي حاجاتهم، ويحيب دعاءهم، العزيز الذي يعتزون به بين أقوامهم، ويتوكلون عليه في جميع أمورهم: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء/ ٤٥].

فالعبد المؤمن يفتخر بربه، والكافر يفتخر بما يملك، إبراهيم ؑ قال: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة/ ٢٥٨]. أما قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص/ ٧٨]. وفرعون قال: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١].

### • فأربع مهلكات للعبد:

أنا .. ولي .. وبيدي .. وعندي .

هذه كلها لله عَزَّوَجَلَّ، لكن هذه من مهلكات العبد، فمن قالها من الخلق دمره الله .

فسبحانه هو الولي لعباده المؤمنين، يعافيههم، ويرزقهم، وينصرهم؛ لأنهم عبيده الذين آمنوا به، وأطاعوا أمره، فتولى أمرهم في الدنيا والآخرة، أما الكفار فلا مولى لهم يرحمهم؛ لأن الكافر رفض أن يكون الله وليه، ورفض دينه وشرعه، ومن لم يكن الله وليه؛ كان

الشیطان ولیه: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ [البقرة/ ٢٥٧].

فالله أكبر! سبحان ربنا الولي الحميد، الذي تولى عباده بالتربية والتعليم، والرزق والنصر! فإذا خالف عبده منهج صحته وسلامته؛ نبهه مولاه الولي الحميد بالأم وهموم كأجراس إنذار مبكرة، توقظه من رقدته، وتذكره من غفلته؛ ليتوب إلى ربه، ويطيع مولاه، فلا إله إلا الله! كم رحمة الله ﷻ بعباده.

يرسل هذه البلايا، والهموم والأمراض كإنذارات مبكرة، توقظ الإنسان من رقدته، وتذكره من غفلته، ليتوب إلى ربه، ويطيع مولاه: ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١١٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمُ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١١٧﴾ [الأعراف/ ١٩٦-١٩٧].

هو سبحانه الولي القادر على كل شيء، الذي يدبر أمور الخلق في ملكه وملكوته وحده لا شريك له، يخلق ويرزق، ويعطي ويمنع، ويبسط ويقبض، ويعز ويذل، ويحيي ويميت، ويصرف ويدبر؛ ويفعل ما يشاء، كيف شاء، في أي وقت شاء، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مَعَن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦١﴾ [آل عمران/ ٢٦].

ما هي أفعاله؟ ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ [آل عمران/ ٢٧].

هو الولي الذي يتولى أجساد خلقه بالعافية والرزق، ويتولى أمر نفوسهم بالدين، ويتولى أمر دنياهم بإصلاح معاشهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ [التوبة/ ١١٦].

ما لكم من ولي يتولاكم بتهيئة الطعام، والشراب، والسكن، والماء والهواء، ولا نصير ينصركم من دون الله ﷻ؛ بل هو الناصر النصير جل جلاله.

فسبحان الولي الحميد الذي يربي عباده بما يسعدهم في الدنيا والآخرة، وولايتهم لهم ولاية رحمة وإحسان واحتفاء بهم، وإكرام جليل، وهو الرؤوف الرحيم، هو ربهم الذي



يربيهم، أحياناً يؤدبهم ليردعهم، وأحياناً يكافئهم ليشجعهم: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ﴿٧﴾ [إبراهيم: ٧].

هو جل جلاله الرب الولي الحميد، الذي أحياناً يؤدب عباده ليردعهم، وأحياناً يكافئهم على حسن طاعتهم ليشجعهم، وأحياناً يكرمهم ليردهم إليه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا إِيَّاهُ فَاعْبُدْهُ﴾ ﴿٧٨﴾ [الحج/ ٧٨].

هو الولي الحميد، أحياناً يُنعم، وأحياناً يبتلي، وما ابتلى إلا ليعافي، وما منع إلا ليعطي: ﴿فَعِنَّمِ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ ﴿٧٨﴾ [الحج/ ٧٨].

والله ﷻ هو الملك الحق وحده لا شريك له، هو الذي له الأوامر الملكية في ملكه العظيم، هو الذي يدبر أمور الخلائق في العالم العلوي والعالم السفلي جل جلاله.

له الأوامر الكونية القدرية، وله الأوامر الشرعية، وله الأوامر الجزائية يوم القيامة: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ [السجدة/ ٥ - ٧].

هو الذي يدبر الأمور؛ لأنه الولي السميع البصير القادر على كل شيء، الرحمن الرحيم، يدبر أمر الحياة والموت، ويدبر أمر الخلائق، ويدبر أمر الأرزاق، ويدبر أمر الدنيا والآخرة، ويدبر أمر الأجساد والقلوب.

ومن رزقه الله حقيقة اليقين؛ رأى يد الولي الحميد هي التي تعمل وحدها، ورأى أيادي الخلق كلها في قبضته، فتوكل على ربه الولي الحميد، ولم يلتفت لأحد سواه: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٥٦﴾ [هود/ ٥٦].

ومن أراد الله به خيراً؛ رقاؤه إلى ذروة اليقين: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ومن رقاؤه الله إلى ذروة اليقين عبد الله كأنه يراه، وتجاوز المخلوقات إلى الخالق، وتجاوز النعم إلى المنعم، وتجاوز الصغير إلى الكبير، وتجاوز الفقير إلى الغني، وتجاوز التدبير إلى المدبر، وتجاوز الدنيا إلى الآخرة، وتجاوز الانشغال بالأموال والأشياء إلى الانشغال

بالإيمان والأعمال الصالحة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

فسبحان الولي الحميد الذي ولايته كرم منه لمصلحة من تولاه، الكريم الذي أوصل بره وإحسانه إلى جميع خلقه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ٢٩].

هو الولي المتولي أمور الخلق في كل زمان ومكان وحال، هو الولي الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، هو الولي المنعم بالعتاء، الدافع للبلاء، الذي كل أفعاله لمصلحة خلقه، عطاءً أو منعاً حلواً أو مرأياً: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة/ ٥١].

فسبحان الولي الحميد الذي تولى خلقه بحكمه القدري، فنفذ فيهم ما شاء من أنواع التدبير والتصريف: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران/ ٨٣].

جميع الخلائق أسلمت له، وأذعنت لكبريائه، وتصاغرت لعظمته، وخرت ساجدةً له، فكل في محرابه يسبح بحمد ربه: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجمعة/ ١].

فالله ﷻ تولى عباده بحكمه القدري، فخلقهم على ما يريد هو، لا على ما يريدون هم، خلقهم بألوانهم وأجناسهم وأنواعهم، ونفذ فيهم حكمه القدري، وتدبيره وتصريفه، فكلهم أسلموا له: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران/ ٨٣].

ثم تولاهم مولاهم بأمره الشرعي، فأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، فمنهم من آمن، ومنهم من كفر، ثم رُدُّوا إلى الله مولاهم الحق؛ ليتولى الحكم فيهم يوم القيامة، ويحاسبهم ويثيبهم ويعاقبهم حسب أعمالهم ﴿وَهُوَ الْفَاحِشُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ﴾ [٦١] ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام/ ٦٢-٦١].

يقضي بين الخلائق بأسرع وقت، فكما يرزقهم جميعاً في وقت واحد، يحاسبهم كذلك

جميعاً في وقت واحد: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ  
كَانَتْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

فسبحان الله العظيم، ما أعظم قدرته، وما أحكم تدبيره في ملكه.

والله ﷻ هو الولي الحميد الذي يجب أوليائه من الأنبياء وأتباعهم، ويلطف بهم،  
ويعينهم على طاعته، ويجب إليهم الإيمان والأعمال الصالحة؛ لأنهم تولوه بالإيمان به،  
وحسن عبادته؛ فتولاهم بالنصر والأمن والتمكين، والتوفيق لما يحبه ويرضاه، وأسكنهم  
الجنة في الآخرة: ﴿وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [١١٦] ﴿لَهُمْ  
دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وليُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام/ ١٢٦-١٢٧].

والله جل جلاله ولي من تولاه، واتبع هداه، ومن أعرض عن مولاه، واتبع هواه؛ سلط  
الله عليه الشيطان فتولاه وأغواه: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ  
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ  
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة/ ٢٥٧].

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكٰفِرِينَ تُوۡزُهُمُ آزًا﴾ [٨٣] ﴿[مریم: ٨٣].

فما أخسر من كان الشيطان مولاه: ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطٰنُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء/ ٣٨].

يتولاه، ويؤزه من معصية إلى معصية، ومن كبيرة إلى كبيرة، ومن ضلاله إلى ضلالة،  
ومن بدعة إلى بدعة، ويوم القيامة يكون معه في نار جهنم: ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطٰنَ  
وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [١١٩] ﴿يَعِدُّهُمْ وَيَمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ  
الشَّيْطٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [١٢٠] ﴿أُولَئِكَ مَاؤُهُمُ جَهَنَّمُ وَلَا يَخْرُجُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ [١٢١] ﴿  
[النساء: ١١٩-١٢١].

فأولياء الله الذين يتولاهم في الدنيا والآخرة هم من استقاموا على التوحيد والعمل  
الصالح؛ حتى الموت؛ فلهم السعادة في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ  
اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ  
تُوعَدُونَ﴾ [٣٠] ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى  
أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ [٣١] ﴿نُزُلًا مِّنْ غُفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [٣٢] ﴿[فصلت/ ٣٠-٣٢].

ومن عرف أن مولاه له الأسماء الحسنى، والصفات العلى؛ فليعبده وحده لا شريك له. ومن عرف مولاه، وتوجه في عبادته وحوائه إلى غير مولاه؛ فقد خسر ديناه وأخراه: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾ [الأنعام/ ١٤-١٥].

والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه؛ فمن عرف مولاه، وتوجه في عبادته وحوائه إلى غير مولاه؛ فقد أشرك بالله، والله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه غيره؛ تركه وشركه: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦].

فالله تعالى هو الملك الولي الحق، الذي له الولاية العظمى على جميع خلقه في العالم العلوي والعالم السفلي؛ لأنه الملك الذي يملك كل شيء، له ملك الدنيا والآخرة، وله ملك عالم الغيب والشهادة، وله ملك العالم العلوي والعالم السفلي: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك/ ١].

هذا هو مولانا جل جلاله: ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج/ ٧٨]. فكل شيء تحت ولايته، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، الملك ملكه، والخلق خلقه، والأمر أمره: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٣٠﴾﴾ [المائدة/ ١٣٠].

فسبحان الولي الحميد الحق، الذي يوالي جميع خلقه بالنعم، ويتولى من يحب الهداية إلى الإسلام، ثم يغرس في قلبه الإيمان، ثم يجب له الطاعات، ويكره إليه المعاصي، ثم يعينه على ما فيه فلاحه وسعادته في الدنيا والآخرة: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَنِعْمَ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلًّا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ [الحجرات/ ٧-٨].

هو الولي الحفيظ الذي إذا أصابت الإنسان أمراض أو مصائب تكاد تهلكه؛ حفظه وليه

منها فلا تضره، فهو جل جلاله الذي قدر المقادير كلها، من خلق وأمر، ومن أمن وخوف، ومن غنى وفقر، ومن عافية ومرض، ولا يتبدل شيء منها إلا بأمره وعلمه: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام/ ١٧-١٨].

هو الحكيم فيما يفعل، الخبير بأحوال خلقه، وما يصلحهم وما يسعدهم.

فالله ﷻ هو ولي الإنسان في جميع أحواله: ﴿لَهُ مَعْقِبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مَن أَمَرَ اللَّهُ بِتِلْكَ لِيُغَيِّرَ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ ۗ وَمَا لَهُم مِّنْ دُونِهِ مِن وَّالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد/ ١١].

الملك ملكه، والخلق خلقه، وهو على كل شيء قدير؛ ورحمته سبقت غضبه، فالله ﷻ العفو أحب إليه من الانتقام، والعطاء أحب إليه من المنع، ولكن الناس يجرمون أنفسهم من عطاء ربهم بالكفر والمعاصي، فالله ﷻ يتولى من تولاه وآمن به.

وسبحانه الحميد الولي الذي يحفظ عباده من الأخطار التي تهدق بهم من كل جهة.

والله يتولى حفظ جميع الخلق من بين أيديهم ومن خلفهم بملائكة هم من أمر الله، يحفظونه بأمر الله.

هؤلاء المعقبات التي هي الملائكة، يحفظونه من أمر الله بأمر الله.

فسبحان الولي الحميد الذي عصم وليه من الفتن، ولطف به في جميع أموره، ثم قبضه إليه مؤمناً به، مرضياً عنه: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِمَّا تَوَلَّى الْأَحَادِيثَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف/ ١٠١].

والولاية درجات تزيد وتعلو بحسب المعرفة بالله، وأسمائه وصفاته وأفعاله، وملكه وسلطانه، ودينه وشرعه، والذين صدقوا الله فآمنوا به؛ تولاهم مولاهم الحق، فآمنوا بالغيب، ثم شاهدوا الغيوب التي غابت عن غيرهم، ثم ارتقوا في درج المقربين فصاروا أعلاماً للهدى، يُستضاء بنور علمهم، وهم زينة أهل الأرض، ورجوماً للشياطين وأهل الكفر والشرك والبدع: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمد: ١٩].

والله سبحانه هو الولي الحميد الذي كشف لأولياته الحجاب؛ حتى صار الغيب عندهم شهادة، فباشروا الحق، وفروا من الشيطان، وقربوا من مولاهم، يقولون بالحق، ويأخذون به، ويعظون به، ويدعون إليه، ويصبرون على كل شيء من أجله: ﴿وَالْعَصْرِ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي حُسْرٍ ٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ٣﴾ [العصر/ ١- ٣].

فهؤلاء الذين اختارهم الله ﷻ كشف لهم الحجاب؛ حتى رأوه يخلق، ويرزق، ويرحم، وينتقم، ويعز، ويدل، ويعطي، ويمنع، ويدبر، ويعفو، ويحسن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ١٢﴾ [الملك/ ١٢].

فهم في جزيل عطائه يتقبلون، لا يشغلهم عنه شاغل، ولا يقطعهم عنه قاطع. فسبحان من رباهم وتولاهم، وزينهم بنور الإيمان، وحرك جوارحهم بطاعته، إن نطقوا نطقوا خائفين؛ لكمال معرفتهم بالله، وإن سكتوا سكتوا وجلين يخافون من ربهم، وإن عملوا عملوا خائفين مشفقين من خشية ربهم؛ لأنهم عرفوا ربهم، وعرفوا جلاله وكبرياءه، وعرفوا عظمة نعمه وإحسانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ٦١﴾ وَلَا تَكْفُلْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ٦٢﴾ [المؤمنون/ ٥٧- ٦٢].

جعلنا الله وإياكم وجميع المؤمنين والمؤمنات من هؤلاء، فهؤلاء هم الأولياء الصادقون المقربون في الآخرة، ترتقي على مر الأيام منازلهم، وتتكامل فضائلهم، رضوا بالآخرة؛ فمنعهم ربهم من الدنيا، وخلصهم لنفسه وجنته: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ لِكُلِّ شَيْءٍ ذَلِكُ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٦٤﴾ [يونس: ٦٢- ٦٤].

فاللهم: ﴿أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ حَيْرُ الْغَافِرِينَ ١٥٥﴾ [الأعراف: ١٥٥].  
والله سبحانه ولينا، هو الولي الذي يدبر أمر خلقه، فيعطي من يشاء، ويمنع من يشاء بحكمته، فحين تسأله يفتح لك أسباب حصول ما تريد.

وهو الولي الحميد الذي لا يُعجزه شيء، يعطي خلقه بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب؛ لأنه على كل شيء قدير: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٢﴾ [الطلاق/١٢].

يعطي بالأسباب، كما يعطي الولد عن طريق الزواج، ويعطي النور من الشمس، ويعطي النبات من الأرض.

ويعطي بدون الأسباب يقول للشيء: كن؛ فيكون: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٨٢﴾ [يس/٨٢].

ويعطي بضع الأسباب، فأنجى إبراهيم عليه السلام من النار، وربى وليه موسى عليه السلام في قصر عدوه فرعون، وأصبحت الخزينة التي تنفق الأموال لقتل موسى هي التي تنفق عليه لإرضاعه وتربيته: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنِّي تُوفِّكُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ [غافر:٦٢].

فالله سبحانه هو الولي الحميد، وهو الملك الحق، والحق واحد، والباطل متعدد، والحق لا شك أن كله نور، والباطل بأنواعه كله ظلمات، ومعرفة الحق، والعمل به، ونشره كفيلاً بإزالة الباطل، وإحراق الفساد، وإهلاك الفساد والمفسدين في العالم: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ﴿٨١﴾ [الإسراء:٨١].

فالحق هو المقياس الذي كل ما سواه باطل؛ لأن عمر الإنسان لا يستوعب إلا معرفة الحق، أما الباطل فأنواعه كثيرة، ويكفي إذا جاء النور أن يبدد الظلمات، ويزيل الباطل من الأرض: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة/٢٥٧].

والحق واحد، والباطل سبله كثيرة: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٥٣﴾ [الأنعام/١٥٣].  
الحق الذي إذا عرفناه عرفنا أن كل ما سواه باطل: ﴿ذَلِكَ يَأْتِي اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَتَى مَا يَكْدُوعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَتَى اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ﴿٦٢﴾ [الحج/٦٢].

فالقصد تعريف الناس بالحق؛ ليعبدوا الحق، بالدين الحق؛ لينالوا ثواب ربهم الحق يوم

القيامة.

فالمطلوب، أن نعرف الحق بأسمائه وصفاته، ونعرف دينه وشرعه، ونعمل بالحق، وندعو إلى الحق؛ لننال الثواب الحق من ربنا ﷻ.

لهذا فالحرب بين حقين لا تكون أبدًا؛ لأن الحق واحد، والحرب بين حق وباطل لا تطول، فالله ﷻ مع أوليائه، ومع الحق، ينصرهم على عدوهم، والحرب بين باطلين لا تنتهي: ﴿ذَلِكَ يَأْتِي اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَتَى مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَتَى اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج/ ٦٢].

فالْحَرْبُ بَيْنَ بَاطِلِينَ لَا تَنْتَهِي، وما يجري في العالم اليوم هو من هذا النوع، الصحابة كانوا يقولون: كنا نغلب العدو بقدر حلب شاة، لما كان فيهم رسول الله ﷺ، فلما توفي النبي ﷺ كانوا يغلبون العدو بقدر حلب ثلاث شياه.

واليوم كم الحروب الموجودة في العالم، والتي عشناها وعاشها من قبلنا، ولم تنته؟ لأنها بين باطلين، فالله مع الحق، والنصر ينزل كما ينزل المطر من السماء على أهل الحق: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

والله ﷻ هو الولي، والولي هو القريب إليك، والله هو الولي المحمود على كمال ولايته، وهو أقرب للعبد من نفسه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ آئِينَ الْإِنْسَانِ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق/ ١٦].

والولي جل جلاله ولايته رحمة، إذا تولاك برعايته أسعدك في الدنيا والآخرة، فلن تستعمل سمعك وبصرك ولسانك إلا فيما يرضيه، ولن تستعمل جوارحك إلا في طاعته وعبادته وتقواه، ولن تستعمل أموالك إلا فيما يحبه ويرضاه: ﴿أَلَا يَأْتِي اللَّهَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [١٢] الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٣﴾ [يونس/ ٦٢-٦٣].

فهو سبحانه الولي الذي خلقك وخلق جوارحك، وخلق كل ما يصدر عنك من أقوال وأفعال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [١٦] ﴿[الصفات/ ٩٦].

والكون كله مظهر للخلائق التي خلقها: ﴿ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠٢] ﴿[الأنعام/ ١٠٢].



فمن تولى الله بعبادته وحده؛ تولاها ربه بحفظه قال النبي ﷺ: «أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَحْفَظْهُ تَجَاهَكَ» أخرجه الترمذي (١).

فعباد الله ﷻ وليهم الله، يمنع الشيطان أن يسيء إليهم أو يضرهم: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

والله سبحانه ولي المؤمنين كلهم بأقسامهم الثلاثة، ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات، وكلما كانت ولاية العبد لربه أقرب وأكمل؛ كانت ولاية ربه له أقرب وأكمل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ. وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [٣٢-٣٣].

الله سبحانه هو الولي الذي تولى رسله وأوليائه بنصره وحفظه، وهو الحكيم الخبير جل جلاله في تدبيره، أحوج القافلة للماء؛ ليخرجوا يوسف من البئر: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلْمٌ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةَ إِلَهِكُمْ عَلِمَ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف: ١٩].

سبحانه أحوج القافلة للماء؛ ليخرجوا يوسف ﷺ من البئر، وأحوج عزيز مصر للأولاد؛ ليتبنى يوسف، وأحوج ملك مصر لتعبير الرؤيا؛ ليخرج يوسف من السجن، قال: ائتوني به، وأحوج مصر كلها للأكل؛ ليؤول الرؤيا، ويصرف أكل مصر عن طريق يوسف الذي ألقى في البئر، ثم صار والياً على مصر، فسبحان الحكيم الخبير الذي أخرج يوسف من البئر، ثم إلى السجن، ثم إلى القصر فالقميص الذي لبسه يوسف بعد أن آتاه الله الملك كان سبباً لشفاء أبيه يعقوب فارتد بصيراً: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأُنُوفِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف: ٩٣].

فالقميص الذي أحزن يعقوب في البداية، هو الذي أفرحه وأسعده في النهاية: ﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ. فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٩٦].

هو الحكيم العليم في عطائه ومنعه، وفي تدبيره وتصريفه جل جلاله.

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦).

فسبحان ربنا العظيم الولي الحميد، الذي يقرب الأحوال بحكمته ورحمته: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف/ ١٠١].

ومن لا يتمنى الملك؟ ولكنه زهد في الملك؛ رغبة في الملك جل جلاله، فالولي هو القريب منك، الولي هو الذي أول من تفرع إليه في جميع أحوالك: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [١٣] **﴿١٤﴾** إِنَّ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ **﴿١٤﴾** [فاطر: ١٣- ١٤].

فهو جل جلاله وليك القريب منك الذي تولاك، فهو ولي حميد، يرغب عباده أن يكون وليهم؛ ليكرمهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة. ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

فمعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته هي أعظم أركان التوحيد، حتى تأتي في قلوبنا عظمتها فنعبده بما يليق بجلاله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثْوِئَكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

• وتوحيد الله ﷻ يقوم على ستة أركان:

الأول: توحيد الله ﷻ بأسمائه؛ كالعليم، والقدير، والعفو، والسميع، والبصير، وغيرها من الأسماء الحسنی.

الثاني: توحيد الله بصفاته؛ كالحياء، والسمع، والبصر، والقدرة، وغيرها من الصفات العلی.

الثالث: توحيد الله بأفعاله؛ كالخلق والرزق، والإحياء والإماتة، وغيرها.

الرابع: توحيد الرب بأفعال العبد؛ كدعاء الله، والتوكل عليه، ومحبته، والخوف منه، والصلاة، والذكر، والدعاء، والصوم، وسائر أنواع العبادة.

الخامس: توحيد رسوله ﷺ بالاتباع.

السادس: توحيد كتابه بالاتباع.

وكل ذلك يحصل للعبد بكمال معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة خزائنه،

وبقدر تلك المعرفة يمتلئ القلب بالتوحيد والإيمان، ونعبد الله بالحب والتعظيم والذل له: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ ﴿٢٨﴾ [فاطر: ٢٨].

● فالذي يملأ القلب توحيداً وإيماناً، وحباً وتعظيماً لله سبعة أمور:

معرفة الله .. ومعرفة أسمائه .. وصفاته .. وأفعاله .. وخزائنه .. ووعدته .. ووعيده.

هذه المعارف العظيمة إذا امتلأ بها القلب؛ امتلأ بالتوحيد والإيمان، وانشرح الصدر لأنواع الطاعات، وانقادت الجوارح لجميع أنواع الأعمال الصالحة التي يحبها الله ﷻ ويرضاها، من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وبهذه المعارف يحصل للعبد توحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وتوحيده بالعبادة، وتوحيد الرسول ﷺ بالاتباع، وتوحيد كتاب الله ﷻ بالاتباع والامتثال، والتصديق والتطبيق.

فإذا حصل كل ذلك حصل التعبد لله بكمال الحب، وكمال التعظيم، وكمال الذل لله ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ [المؤمنون: ١-٢].

التعبد لله ﷻ باسمه الولي .. المولى

من عرف ربه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة؛ أحبه ومجده، وعظمه،  
 وحمده، وشكره، وأخلص له العبادة، وامثل أوامره، واجتنب نواهيه، وتقرب إليه  
 بأنواع الطاعة؛ حباً له وتعظيماً له، وذلاً له جل جلاله: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا  
 تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُتُمْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۝١١٠﴾ وَقُلِ  
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ۝١١١﴾  
 [الإسراء/ ١١٠-١١١].

والله سبحانه لكمال ذاته وكمال أسمائه وصفاته هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له،  
 وهو المستحق كذلك للمحامد كلها، فكل ما يُحمد به الخلق فهو من الخالق، فهو أحق  
 بالحمد من كل محمود من الخلق: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ  
 وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام/ ١].

ومعرفة اسمه الولي والمولى يُثمر للعبد الاستسلام لربه بقلبه وجوارحه، ويُثمر له  
 الامتثال لأوامره، والرضا بما يقدره من كل محبوب ومكروه، وكذلك يورث حُسن  
 الظن بالله ﷻ؛ لأنه جميل لا يفعل إلا كل جميل، وحميد لا يفعل إلا ما يُحمد عليه: ﴿قُلِ  
 الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ ۝٥٩﴾ [النمل/ ٥٩].

هو المحمود سبحانه على جلاله، وجماله، وكمال أفعاله: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
 فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

والله سبحانه هو الولي الحميد، الذي يحب الحامدين له، الشاكرين له، المطيعين له،  
 المؤمنين به، المجاهدين في سبيله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا  
 كَانَهُمْ بَيْنَ مَرْصُوعٍ ۝٤﴾ [الصف: ٤].

ولا شيء أحب إلى الله من الحمد، ولكمال ولايته لخلقه أنعم عليهم بالنعم في داخل  
 أنفسهم ومن حولهم، فالعالم العلوي والعالم السفلي وما فيها كله من نعمه، والنعم  
 تقتضي الحمد، فالله ﷻ هو الولي الحميد الذي يُحمد على ما منَّ به علينا من النعم: ﴿فَلِلَّهِ  
 الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

ولا شيء أحب إلى الله ﷻ من الحمد، ولهذا حمد نفسه، ومجد نفسه، وأثنى على نفسه؛ لأنه أهل لذلك، وليعلم عباده، ويرغبهم في النظر إلى هذه النعم؛ ليحمدوه ويشكروه، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٢-٤].

الحمد على ماذا؟ على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، على نعمه الظاهرة والباطنة، أنعم عليّ، وأنعم على غيري، وأعطاني خيرًا، وصرف عني شرًا، واستضافني في بطن الأم، واستضافني في بطن الدنيا، وأنزل علينا الكتاب، وأرسل إلينا رسولاً يبين لنا الحق من الباطل، ويدعوني إلى الله؛ لأخرج من الظلمات إلى النور: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا فَهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة: ٢].

مجد نفسه جل جلاله؛ لأنه أهل لذلك؛ وحتى يعلم الناس بوليهم ومولاهم الذي يتعاهدهم بالنعم التي لا تعد ولا تحصى؛ ليحمدوه ويشكروه بما من عليهم من النعم في ذوات أنفسهم، ومن خارجهم: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل/ ٧٨]. فسبحان الولي الحميد الذي سخر كل شيء لأدم وذريته: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

• فإذا نظر الإنسان ببصره في هذا الكون؛ لا يرى إلا اثنين: منعم .. ومنعم عليه.

كل ما سوى الله منعم عليه بالإيجاد والأرزاق، والتحريك والتسكين، والتدبير والتصريف.

هو الولي الذي تولى الخلق جميعهم، تولاهم بما يصلحهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة.

فالحمد لله رب العالمين أن عرفنا بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وهدانا للإسلام، وأسبغ علينا نعمه الظاهرة والباطنة، فنعم المولى ونعم النصير: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجنّة/٣٦-٣٧].

العرش وما دونه من الكرسي، والسماوات السبع وما فيهن من الملائكة، والأراضين السبع وما فيهن من المخلوقات بأنواعها وأصنافها لا تساوي ذرة من ملك الله ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

وأشرف ما في العالم العلوي من المخلوقات هم الملائكة، وأشرفهم جبريل ﷺ. وأشرف ما في العالم السفلي هم بنو آدم، وأشرف بني آدم هم المؤمنون، وأفضل المؤمنين هم الأنبياء والرسل، وسيدهم وأفضلهم سيدنا محمد ﷺ، الذي كان خلقه القرآن: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَنِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤].

فالمؤمن حقاً من يسعى لتحصيل خصال الحمد من الإيثار، والتقوى، والتخلق بالأخلاق الحميدة، فالمؤمن يشكر الله ﷻ على النعم التي أعطاها له من الإيثار والتوفيق، وأن حجب إليه الإيثار والأعمال الصالحة.

فالمؤمن دائماً يسعى في تحصيل خصال الحمد التي يحمد عليها ربه، ويحمده عليها الناس من الإيثار والتقوى، والتخلق بالأخلاق الحميدة، والأفعال الجميلة، واجتناب ما يوجب الذنب والعقوبة من الصفات الذميمة: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْرِفَةِ مَن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةِ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ

وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾

ويجتنب كذلك الصفات الذميمة: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْحَرَنَّ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُم الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْرٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١١ - ١٢].

وهكذا المسلم يفعل الفضائل، ويجتنب الرذائل، ويعمل بالحق، ويدعو إلى الحق، ويجتنب الباطل، ويحذر من الباطل، ويجتهد على أهل الباطل، وأهل الرذائل، ليأخذوا بالحق والفضائل: ﴿كَتَبْنَا أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم/ ١].

هذا الكتاب أنزل لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، أنزله الولي الحميد الذي يجب للإنسان أكثر مما يجب لنفسه، فهو الولي الذي يغار على خلقه أن يأسرهم الشيطان ويحتل أسماهم وأبصارهم وألسنتهم، ويلعب بأوقاتهم ويستعملهم في الشهوات والمحرمات: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة: ٢٠٨].

ومحوبات الرب غير محوبات الشيطان، ومحوبات الرب غير محوبات العبد، العبد مأمور أن يأخذ من النعم بإذن ربه من الحلال، ويستعملها في طاعته: ﴿يَتَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون/ ٥١].  
﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة/ ١٧٢].

ومحوبات الرب غير محوبات العبد، محوبات الرب: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّاجِدُونَ الرَّكَعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة: ١١٢].  
فكل الكون مليء بما يدل على عظمة الولي الحميد الذي فعل كل مصلحة وخير للإنسان؛

لأنه هو ولي الخلق أجمعين، خلقهم وساق إليهم أرزاقهم بعبء الربوبية، فأفعاله توجب على العبد أن يحمد ربه الذي تولاه بالنعم الظاهرة والباطنة.

فيقول العبد لربه الولي الحميد الذي تولاه بالنعم المادية والروحية: كنت ضالاً فهديتني، وجاهلاً فعلمتني، وفقيراً فأغنيتني، ومعدوماً فأوجدتني، فلك الحمد والشكر على هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى، اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض وما فيهن، ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض وما فيهن، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض وما فيهن، أنت الحق، ووعدك حق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبون حق، ومحمد حق.

اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت، نعم المولى، ونعم النصير.

ويكون بالجوارح بأن يستعمل جوارحه فيما يحبه الله ويرضاه من صلاة وصدقة وصيام وبر وإحسان: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

فالتعبد لله باسمه الولي وباسمه المولى يكون بذكر نعمه التي لا تعد ولا تحصى، ورؤية الولي الحميد بأسمائه وصفاته وأفعاله يتولى الخلائق إيجاباً وتديراً وتصريفاً، فيحمد ربه الولي، ويكون عبداً للولي في جميع أحواله وأوقاته.

وقفنا الله وإياكم للتعبد لله بما يحبه ويرضاه، فالولاية انتساب إلى مولاك العظيم الذي هداك بأسماء حسنة من أسمائه الحسنى، ووصفك بصفات كريمة من صفاته العليا، مع إقرار منك له برق العبودية، وَصَفَكَ بِالْإِسْلَامِ، وَصَفَكَ بِالْإِيمَانِ، وَصَفَكَ بِالْصِدْقِ وَبِالصَّبْرِ: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّاجِدُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ





وإذا وصف الله الأجر بأنه عظيم؛ فأجره لا حد له ولا نهاية: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ ﴿٥٤﴾ [ص / ٥٤].

ولا يعلم كيفيته أحد: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٧﴾ [السجدة / ١٧].

ما هي صفات هؤلاء الذين يحبهم الله والذين يتولاهم بالنصرة والتوفيق؟، والذين اشتراهم؟

### • صفاتهم:

أولاً: التائبون، فكل إنسان لا بد أن يتوب في كل يوم، بل في كل لحظة، كان ﷺ يتوب ويستغفر الله في المجلس الواحد أكثر من سبعين مرة: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٣١﴾ [النور: ٣١].

### • وما هي الأمور التي تابوا منها:

تابوا من عدم معرفة الله، والجهل بأسمائه وصفاته وأفعاله.. وتابوا من التقصير في العمل.. وتابوا عن تأخير العمل.. وتابوا عن التقصير في الدعوة إلى الله.. وتابوا عن تأخير تعليم الناس دينهم.

فالله هدانا واشترانا، واستعملنا في طاعته، نعبده، وندعو الناس إلى عبادته بإبلاغهم دينه: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذُكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٥٢﴾ [إبراهيم / ٥٢].

والصفات التي يحبها الله ﷻ يجبها لأوليائه، ويميز بها أوليائه: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّاجِدُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١٢﴾ [التوبة: ١١٢].

ومن صفات أولياء الله ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾

خاشعون، لأنهم ينظرون إلى عزة الربوبية، وذلة العبودية، ينظرون إلى الكريم وينتظرون كرمه، ينظرون إلى الغني، ويشهدون فقرهم، ينظرون إلى الغفور وينتظرون مغفرته، ينظرون إلى الرحمن وينتظرون رحمته.

خاضعون بجوارحهم، كانوا قيامًا، ثم ركوعًا، ثم سجودًا: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ [الزمر/ ٩].

فلنكن من أولياء الله؛ ونتصف بهذه الصفات ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ [المؤمنون/ ١ - ٣].

نحفظ عبودية اللسان، ولا نستعمل اللسان إلا فيما خلق له: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفِرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ [النحل: ١١٦ - ١١٧].

• اللسان عبوديته لربه في أمرين:

الأول: أن تتكلم عن الله بالدعوة إلى الله بين الناس.

الثاني: أن تتكلم مع الله بالعبادة فيما بينك وبينه.

تتكلم مع الله تعبدًا بين يديه، تقول: رب اغفر لي وارحمني، ربنا ظلمنا أنفسنا، نتكلم مع ربك، تسأله المغفرة، وتسأله الرحمة، وتسأله من فضله، أو أتكلم عنه في الدعوة إلى الله فنقول للناس: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤].

أو نقول: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ

يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴿الإخلاص: ١-٤﴾.

فهذه عبودية اللسان، وما سوى ذلك لغو، إلا في مسائل الكسب، والمعاشرات ونحوها. وما سوى ذلك كله من اللغو والغيبة والنميمة والقييل والقال، وكله مكتوب بصحائف السيئات.

فهذه صفات أولياء الله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [المؤمنون: ١-٤].

ينفقون أموالهم في سبيل الله، وينفقون أوقاتهم في سبيل الله، وينفقون من ألسنتهم كلام الدعوة إلى الله، وكلام الإيمان، وكلام التعليم لدين الله، وينفقون من جوارحهم بسماع كتاب الله، وسماع المواعظ، فكل ينفق من ماعونه، السحب تنفق من ماعونها الماء، والشمس تنفق من ماعونها النور.

وكذا المسلم ينفق من ماعون المال: بيده، وينفق من ماعون الكلام: بلسانه، وينفق من ماعون الأذن: يصغي إلى كلام ربه ومواعظه، وينفق من ماعون البصر: ينظر إلى الآيات الكونية، وينظر إلى الآيات القرآنية، فيعرف من يعبد، يعرف الولي الحميد، يعرف الكبير المتعال، يعرف الغفور الرحيم: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [المؤمنون/٤].

كل شيء له زكاة، ولكن أكثر الناس لا يعرف الزكاة إلا في إنفاق المال فقط: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

ينفقون من كل ما رزقناهم، رزقناهم العلم، رزقناهم التقوى، رزقناهم المال، رزقناهم الحكمة، رزقناهم الاخلاق.

فما أعظم جرم من منع الماعون: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يَرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون: ٤-٧].

ومانع الماعون ملعون من الله وجميع مخلوقاته بنص القرآن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا

مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّكَ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۗ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ  
 اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَأَنَا التَّوَّابُ  
 الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ [البقرة: ١٥٩ - ١٦٠].

فالمسلم إما بين يدي ربه عابداً، وإما بين يدي خلقه داعياً.

فعلى الإنسان يكون من أولياء الله ويعبد الله؛ لأنه هو الولي الحميد الذي تولانا بنعمة  
 الإيجاد والإمداد والهداية: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ۗ وَهُوَ  
 الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى: ٢٨].

ومن صفات أولياء الله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا  
 مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾﴾  
 [المؤمنون: ٥ - ٧].

فالذي يخالف هذا الترتيب هو معتدٍ على أوامر الرب، وعلى النفس البشرية التي اشتراها  
 الله، وخلقها لعبادته، وصرفها لغير عبادة الله؛ فاتبعت شهواتها، وغفلت عن الله، وعن  
 أوامره جل جلاله، فلا تكن من المعتدين: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
 الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة/ ١٩٠].

ومن صفاتهم: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾﴾ [المؤمنون/ ٨].  
 العين أمانة، والأذن أمانة، واللسان أمانة، والعقل أمانة، واليدان أمانة، والرجلان أمانة،  
 والبطن أمانة، والفرج أمانة، والوقت أمانة، والمال أمانة، والأخلاق أمانة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ  
 لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾﴾ [المؤمنون/ ٨].

المؤمن دائم الصلة بالله، أقف بين يدي ربي، أكبره وأحمده، وأسأله من فضله، وأستغفره  
 من الذنب، وأصبر على بلائه، هذه عبودية المسلم بين يدي ربه، فهم متصلون دائماً  
 بالملك الذي هو غفور يغفر الذنوب، وكريم يكرم عباده بما سألوه، فالله ﷻ لا يرضى أن  
 يُسأل غيره، إذا سألت فاسأل الله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ أُولَٰئِكَ هُمْ  
 الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾﴾ [المؤمنون/ ٩ - ١٠].

إذا مات الإنسان قالت الملائكة: ماذا قدم؟ وقال الناس: ماذا آخر؟ فاحرص أن تكون بعد الموت وارثاً لا مورثاً، كن وارثاً للأعمال الصالحة: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠-١١].

• الذين ورثوا أعمالهم الانفرادية:

من قراءة القرآن .. وذكر ودعاء .. وصلوات وصيام .. وغيرها من الأعمال.

• وكذلك ورثوا أعمالهم الاجتماعية:

كالدعوة إلى الله .. والأمر بالمعروف .. والنهي عن المنكر .. والنصيحة .. والجهاد في سبيل الله .. والإنفاق في سبيل الله .. والإحسان إلى الخلق: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

فكما نذروا أنفسهم دعاة إلى الله ﷻ في هذه الدنيا، واستمروا على ذلك إلى أن لقوا الله ﷻ؛ فهم يخلدون في الجنة؛ لأن نيتهم لو بقوا أبداً سيعبدون الله ﷻ، ويدعون الناس إليه، لأنه أهل أن يحمد، وأن يعبد، وأن يشكر: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥].

فإذا عرفت الله ﷻ بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى؛ وأفعاله الحميدة عرفت أنه الإله الحق، والولي الحميد الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، هو الذي يستحق أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

ومن صفات أولياء الله ﷻ الذين يحبهم؛ حتى نتصف بها: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان/ ٦٣].

يمشون على الأرض دعاة إلى الله، معلمين لشرع الله، يدعون إلى الله، ويحسنون إلى الخلق.

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾ [الفرقان/ ٦٣].

لا يردون عليهم، بل يكظمون الغيظ، ويعفون عن الناس، ابتغاء مرضاة الله.

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾ [الفرقان/ ٦٤].

أولاً قاموا بالدعوة إلى الله: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان/ ٦٣].

يمشون بالتواضع والانكسار بين يدي الخلق، يدعونهم إلى الله ﷻ، والله يرفع مقامهم.

وهم بين يدي الله في ليلهم يصلون ويدعون: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [٦٥]

[الفرقان/ ٦٤ - ٦٥].

لما أيقنوا بالجنة والنار، وعلموا أنهم صائرون إلى إحداهما؛ قاموا ودعوا ربهم

أن: ﴿اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [٦٥] إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [٦٧]

[الفرقان/ ٦٥ - ٦٧].

فهم بين يدي ربهم عابدون، وبين يدي خلقه محسنون.

فهم عباد الله داخل الصلاة وخارج الصلاة، عباد الله في المنزل، وفي الشارع، وفي الطائرة،

وفي السيارة، وفي البر، وفي البحر، يعبدون الله وحده في كل حال: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي

وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٦٢] لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [١٦٣]

[الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

وصفات أولياء الله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ

اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [٦٨] يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وَيُخَلَّدُ فِيهِ مُهَانًا﴾ [٦٩] [الفرقان: ٦٨ - ٦٩].

يجتنبون الكبائر العظيمة، والذنوب الكبيرة، من الشرك، والقتل والزنا.

بسبب معصية متكررة يضاعف لنا العذاب، فكيف إذا تنوعت وتكررت .

والعذاب يوم القيامة عذاب مهين، وعظيم، وكبير، وشديد، وأليم .

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان / ٧٠].

وهذا من كمال ولايته ورحمته، أن يبدل السيئات إلى حسنات بعد التوبة .

﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ [الفرقان / ٧١].

يتوب إلى الولي الحميد الذي يعطي على الحسنات عشر أمثالها، إلى سبعمئة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة إلى أضعاف كثيرة .

ومن صفات أولياء الله الذين يحبهم ويحبونه: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِبَآئِتٍ رَبِّهِمْ لَمْ يُخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾ [الفرقان / ٧٢-٧٣].

بل هم: ﴿نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦-١٧].

ومن صفات أولياء الله: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان / ٧٤].

يحبون أن يهبهم الله ﷻ من أزواجهم وذرياتهم قرة أعين يعبدون الله، كما طلب زكريا من ربه أن يهب له ذرية طيبة؛ حتى تستمر الدعوة إلى الله، وعبادة الله ﷻ. فهو لاء أولياء الله ﷻ يحبون أن يهب الله لهم أزواجًا وذرية، تكون قرة عين في عبادة الله، وتوحيده، والدعوة إليه: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان / ٧٤].

إماماً في العبادة، والدعوة، والتعليم، والإحسان إلى الخلق، يريدون الصف الأول، في كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر: ١١-١٢].



فماذا لهم يا الله؟ ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا حِجَابًا وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَلِيدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾ [الفرقان: ٧٥-٧٧].

الله ﷻ لا يعبأ بالناس لولا دعاؤهم وتوحيدهم، الله ﷻ غني قبل أن يخلق أحداً، وملك قبل أن يخلق هذه الممالك، فالله ﷻ لا يحتاج إلى طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، لكن يجب أن يرى من عباده من يأتي إليه اختياراً، وهو قادر أن لا يأتي: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتَّكِبُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ٢-٣].

والله ﷻ أحب شيء إليه المدح والثناء، ولذلك مدح نفسه، وأثنى على نفسه في كتابه جل جلاله فقال: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

فالله ﷻ هو الولي الحميد، هو الكريم، يجب من عباده تحصيل صفاته التي تليق بهم؛ ليكرمهم يوم القيامة، بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

هؤلاء يكرمهم الله ﷻ يوم القيامة بجزيل ثوابه، لأجل هذا بين الله ﷻ في كتابه الصفات التي يجبها، ودعا عباده إلى امتثالها، ووعدهم على ذلك الأجر العظيم، ومن رزقه الله ذلك؛ نال الشرف الأعلى، وفاز بالمقام الأسمى في الدنيا والآخرة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل/ ٩٧].

هو سبحانه الولي الحميد، مولى الخلائق أجمعين، هو الرؤوف الرحيم الذي يكرم جميع الخلق، ولا يمنع رزقه عن من عصاه ممن كفر به، أو قصر في عبادته.

لم يمنع رزقه عن هؤلاء، ولم ينقص الرزق لأحد قسمه الله ﷻ له: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا

تَقْضِيلاً ﴿٧٠﴾ [الإسراء / ٧٠].

ومن حُسن ولايته أن قدر لجميع المخلوقات الأرزاق، مكاناً وزماناً، وكميةً ونوعيةً: ﴿أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ [الزخرف: ٣٢].

الله ﷻ قسم الأرزاق كلها من هذه الولاية التي كلها رحمة، وكلها إحسان إلى الخلق، وكلها تطف بالخلق، هذا ربنا الولي الحميد الذي تولانا بهذه النعم، ولكن لكثرة النعم غرقنا فيها، ونسينا المنعم جل جلاله، ولذلك حينما نذهب إلى الطعام؛ الإسلام يأمرنا أن نقول: بسم الله، سمّ الله، وكل بيمينك وكل مما يليك، اذكر ربك الذي أنعم عليك بهذه النعمة.

فنحن في الدنيا نعيش مع نعمه بأبصارنا، ونعيش مع ربنا ببصائرنا، ويوم القيامة نرى ربنا بأبصارنا وبصائرنا: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٤﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة / ٢٢-٢٣].  
فترى الرحمن الرحيم، ترى الولي الحميد، ترى القاهر فوق عباده، ترى الملك القدوس، ترى العزيز الجبار المتكبر، تراه يوم القيامة، ولكن لا تحيط به لعظمته وكبريائه: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

فارض بما قسم الله لك تكن أعبد الناس، وأغنى الناس، وأسعد الناس.  
ومن لم يرض بما قسم الله له؛ سلط الله عليه الدنيا، يركض فيها ركض الوحش في البرية، ثم لا يناله منها إلا ما قسمه الله له.

فالأرزاق مقسومة، والآجال مضروبة، والخطوات معدودة، والأنفاس محدودة، فإذا بلغ الأجل توقفت هذه الأرزاق: ﴿وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١١﴾ [المنافقون: ١١].

ومن سلم لمولاه الولي الحميد بما يريد كفاه ما يريد، وأعطاه فوق ما يريد، ومن لم يسلم لربه فيما يريد؛ شقى فيما يريد، ثم لا يكون إلا ما يريد: ﴿فَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ [التوبة/ ٥٥].

فالله ﷻ هو الولي الحميد الذي من علينا بعبء الربوبية، وبعطاء الألوهية، لنسعد في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿تُزَلَّ مِنْ عَفْوَِرٍ رَحِيمٍ﴾ ﴿٣٢﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

ومن طلب العلم، وأتبعه بالعمل، وتفقه في دين الله؛ كفاه الله همه، ورزقه من حيث لا يحتسب بيسر، وجهد قليل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿١١﴾ [الأعراف/ ٩٦].

فسبحان ربنا الولي الحميد، المتصرف بمشيئته في العالم العلوي، والعالم السفلي، وجميع العوالم، النافذ أمره في ملكه الواسع، المتولي أمر خلقه بالإحسان في كل آن، من غير انقطاع ولا امتناع: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرُّ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالِيَهُ تَجْرُؤُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ [النحل/ ٥٣].

فجميع الأشياء والحاجات بيده جل جلاله، وهو خالق جميع الحاجات، وجميع النعم، وخالق كل شيء، وكل ذرة في الكون، وكل كبير وصغير في الكون، وجميع الخلائق والعوالم شاهدة بوحدانيته، ومسبحة بحمده، ومنقادة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته، وخاضعة لأمره: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿١٨﴾ [الحج: ١٨].

فيا عبد الولي، ويا عبد المولى، تولاك مولاك بنعمه التي لا تعد ولا تحصى، فخلقك في أحسن تقويم، وسواك وأطعمك وسقاك، وعلمك وهداك، ونقلك من الظلمات إلى

النور؛ فتولّ أنت عباده بالإحسان إليهم، وكن سبباً لنقلهم من الضلال إلى الهدى، ومن الجهل إلى العلم، ومن الباطل إلى الحق، ومن سبل الهلاك إلى سبل النجاة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت/ ٣٣].

﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم/ ١].

فالله ﷻ يريدك أن تكون ولياً، وتأخذ هذه الصفة وهذا الاسم من ربك على شكل نعمة، فتذكر مولاك الذي تولاك بنعمه، وتبسط هذه النعم على خلقه.

ومن أعظم بسط النعم على الخلق دعوتهم إلى الله، وتعليمهم شرع الله، والإحسان إليهم.

وكن ولياً رحيماً بالخلق، أحسن إليهم، وأنفق من وقتك ومالك، وعلمك على من أحوجهم الله إليك، والأجر عائد عليك: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس/ ٢٦].

واعلم أن الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، فتصدق على الفقير، وأطعم المسكين، وارحم البائس، واهد الضال، وأرشد الجاهل، واستقم كما أمرت؛ ييسر الله لك جميع أمور دينك ودنياك، فللتيسير ثواب، وللتعسير عقاب: ﴿إِنْ سَعَيْتُمْ لَشِقَىٰ﴾ [٤] ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ [٥] ﴿وَصَدَقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ [٦] ﴿فَسَنِّيئِرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [٧] ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ﴾ [٨] ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ [٩] ﴿فَسَنِّيئِرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [١٠] [الليل/ ٤-١٠].

فالبداية منك، تقرب إلى الله ﷻ يتقرب منك، من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.

فالولي الحميد يريد أن تظهر ولايتك في الدنيا على غيرك من الناس، فأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله، فالخلق كلهم عيال على الله في إيجادهم، وفي حاجاتهم، كلهم يسعون إلى الله، فأقبل يا ولي الله على طاعة مولاك ليتولاك، واحذر معصيته التي تبعدك عن مولاك: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ

مِن دُونِ اللَّهِ وَإِلَىٰ وَلَا نَصِيرًا ﴿١٣٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِمَّنْ دَكَرَ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ  
مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٣٤﴾ [النساء/ ١٢٣-١٢٤].

فسبحان الله! من عرف مولاه الحق؛ لم يلتفت لأحد سواه من الخلق، ومن تعلق بغيره؛  
شقي به: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ فَأَلَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ  
قَدِيرٌ ﴿٩﴾﴾ [الشورى/ ٩].

ومن أشرك بالله غيره خسر دنياه وآخرته: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ  
أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾  
[الزمر: ٦٥-٦٦].

فأحسن إلى نفسك بالاستقامة، وأحسن إلى غيرك بالدعوة، وتعليم شرع الله، والإحسان  
إلى الخلق: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ  
زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ  
﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾  
[الأنفال: ٢-٤].

ومن علامات قبولك في أوليائه: أن يصونك عن الذل لغيره، وأن يكفيك ما أهمك،  
ويؤمنك ممن سواه؛ حتى لا تخاف غيره، ولا ترجو إلا إياه، ولا تستعين إلا به، ولا تسأل  
إلا إياه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾  
وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَاوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾  
أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١].

ومن علامات قبولك في أوليائه: أن يعينك على نفسك، ويحيي قلبك بالإيمان، ويشغل  
لسانك بذكره، ويستعمل جوارحك في طاعته، ويصرف أوقاتك في التقرب إليه، صلاةً  
وصيامًا، وحبًا وعمرةً، وصدقة وإحسانًا: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ  
لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ  
وَأُولَٰئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

ومن علامات قبولك في أوليائه: أن يجعل لك مودة في قلوب عباده: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ ﴿٩٦﴾ [مريم/٩٦].  
ويخلصك من أسر عدوه: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ ﴿٤٢﴾ [الحجر: ٤٢].

ويخلصك من أسر عدوه؛ حتى تكون عبداً لله وحده: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٦١﴾ ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٦٢﴾ ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿١٦٣﴾ [الأنعام/١٦١-١٦٣].

أنا عبد لله داخل الصلاة وخارج الصلاة، في البيت، في المسجد، في السوق، في المكتب، في المدرسة، في أي مكان أنا عبد لله، أمتثل أوامر الله في الأمانات التي أعطاني الله ﷻ، بالبصر والسمع واللسان والجوارح أنا عبد له، ليس فقط بلساني وليس فقط بصلاتي؛ بل بسائر بدني في جميع أوقاتي، أنا عبد لربي ومولاي جل جلاله.

والله سبحانه ولي كل نعمة، وإليه يُرجع الأمر كله، علانيته وسره، فأطعه يا ولي الله ولا تعصه: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا، فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٢٣﴾ [هود/١٢٣].

وعليك يا ولي الله بدوام الذكر لمولاي الكريم؛ يذكرك في نفسه وعند ملائكته في الملاء الأعلى، واحذر الغفلة؛ لأنها تورث كل قسوة، ثم تموت القلوب بعد حياتها، وتنقطع الصلة بين العبد وربّه: ﴿وَأذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ ﴿٢٥٥﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَيَسَبِّحُونَهُ، وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ ﴿٢٥٦﴾ [الأعراف/٢٥٥-٢٥٦].

وأهل ولاية الله هم من اطمأن قلوبهم بتوحيده، وصلحت أعمالهم بطاعته، وازدانت أوقاتهم بعبادته، وامتألت قلوبهم بخشيته، والانكسار بين يديه، والافتقار له.

فتقرب إلى مولاي بما يجب؛ تكن وليه، ومن يجب: ﴿إِنَّ إِلَهِيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ

تَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصَرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصْرُونَ ﴿١٩٧﴾ [الأعراف/ ١٩٦-١٩٧].

فربك الولي الحميد جل جلاله يتودد إليك بنعمه؛ لتحمده وتطيعه، ولا تقف بباب أحد غيره، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله: ﴿ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فله الحمد كثيراً، فهو الغني الحميد الذي خلقنا ورزقنا، وهدانا وكسانا، وأطعمنا وسقانا: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [الشرح/ ١-٦].

يا ولي الله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى/ ٦-١١].

حدث بنعمته التي هي الدين، حدث بهذه النعمة العظيمة، حدث نفسك ليأتي في قلبك الخشوع والخضوع لله، حدث الناس عن ربك، وعلم الناس لا إله إلا الله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

وتقرب إلى ربك بكل ما يحبه الله ويرضاه من الفرائض والنوافل، والواجبات والسنن: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أُرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

وقال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.  
تقرب إلى الله بالفرائض، ثم بالنوافل: «وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ؛ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ».

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

فلا يسمع إلا ما يحبه الله ويرضاه، والله ﷻ يسمع ذكره ودعاءه و سؤاله، فيستجيب له، «وَبَصَرُهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ» فيمشي على هدى مستقيم، لا يمشي مشية الأعمى، بل يمشي مشية المبصر الذي يرى ربه يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ويمشي على الصراط المستقيم مقتدياً بنبيه ﷺ، «وَيَدُهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا».

فيجدها منفقة في سبيل الله، مجاهدة في سبيل الله، تقاتل في سبيل الله، ويرى هذه اليد ترحم الفقراء والمساكين، وتنفق الأموال، وتتقلب في أنواع الإحسان. «وَرِجْلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا».

فيمشي بها إلى المساجد، والحج والعمرة وإلى الدعوة إلى الله، وإلى تفقد المسلمين، وقضاء حاجاتهم وإعانتهم.

«وَلَكِنَّ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَكِنَّ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيدَنَّهُ» .

كم من النعم يعطيها الله وليه المؤمن! الله ﷻ ولي المؤمنين ولاية خاصة، ولاية العناية، ولاية النصرة، ولاية التوفيق، ولاية المحبة: «وَلَكِنَّ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيدَنَّهُ» .  
الحمد لله رب العالمين على نعم ربنا ومولانا الولي الحميد.

وأعظم نعمة تستحق أعظم حمد هي نعمة الإسلام الذي هداك الله إليه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۗ﴾ [المائدة/ ٣].  
﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۗ﴾ [الحجرات/ ١٧].

وليس الشأن أن تدخل في الإسلام، بل الشأن كل الشأن أن يدخل فيك الإسلام، فتأتي فيك الصفات التي في نبيك ﷺ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وأنت يا ولي الله عليك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وتحسن إلى من أساء إليك؛ لأن من أساء إليك يهدي إليك الحسنات، هو يعمل ويهدي إليك حسناته، فتحسن إليه، وهذا من تمام الفقه والعقل، فأنت تصل من قطعك من



أجل الله؛ حتى تصله بالله ﷻ، تنازل عن حقوقك من أجل أن يعبد الناس ربهم، ويجبوا الله ﷻ، وأنت حوائجك يقضيها الله ﷻ لك، وهذه صفات ولي الله ﷻ، وهذه الصفات الأربع شديدة المرارة، لكنها حلوه العاقبة: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤) وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥].

والحليم سبحانه إن شكرته على نعمه زادك خيراً وبركة، وعاوناً وتوفيقاً: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِجْبُكُمْ لَمِنَ شُكْرِكُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (٧) [إبراهيم/٧]. فسبحان الولي الحميد الذي هو أرحم بالعبد من نفسه، سبحان من رغب في شكره، ليعطي عبده زيادة، لا لأنه سبحانه محتاج إلى الشكر، وإنما لمحبتة لعباده، وحبه لإسعادهم.

ومن حمد الله ﷻ واستغفره غفر له ذنوبه كلها: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥٣) [الزمر/٥٣]. وقال النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ؛ غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

والحمد لله كلمة عظيمة، إذا استحضر الإنسان نعم مولاه في خلق هذا الملك العظيم، وخلق ما فيه من الأرزاق والمرزوقين، والنعم والمنعم عليهم، الحمد لله كلمة عظيمة، هي توحيد وهي شكر، وهي تمجيد لله، وهي أعظم العبادات، فدين الإسلام: نصفه شكر، ونصفه صبر.

فالحمد لله تملأ الميزان الذي لو وضعت فيه السموات والأرض لوسعهن، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض، ما بين السماء والأرض مسافة خمسمائة سنة: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٦) وَلَهُ الْكِبَرِيَّاتُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٤٠٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٥٩٧).

فسبحان الخلاق العظيم الذي خلق ما هو في منتهى العظمة والكبر، كالعرش والكرسي والسموات والأرض، والجبال والبحار، وخلق الذرة الصغيرة، وخلق الحشرة الصغيرة كالبعوضة، والبعوضة لها مائة عين، ولها ست سكاكين في خرطومها، ولها ثمانية وأربعون سنًا، ولها ثلاثة قلوب، وتشم الرائحة من مسافة ستين ميلاً، وتعرف الدم الذي يصلح لها أو لا يصلح: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦]. وكذلك النحلة، فالنحل مخلوقات عظيمة، تؤدي أعمالاً عظيمة وتقوم بأعمال كبيرة، وتسبح بحمد ربها، ما كان منها نافعاً للإنسان؛ تحمد الله ﷻ على رؤيته والانتفاع به. وما كان منها ضاراً؛ فتذكر العبد أن هذه الحيوانات كالذباب والبعوضة تمشي على الهوى لا على الهدى.

أما النحل فالله أمرنا بالاعتناء بجهدتها، لأن جهدنا نحن على الناس؛ فالنحل يأكل من كل الثمرات ويخرج منها العسل، ونحن نأخذ الوحي، ونجمل به الناس.

والله مجّد جهد النحلة، لم يمجد النحلة وهي من خلقه جل وعلا، وكل خلق الله ﷻ جميل وحسن، فسبحان مولانا الخلاق العليم، الولي الحميد!

ومن لم يشكر الحميد جل جلاله على نعمه، واستعملها في معصية الله؛ عاقبه الله ﷻ، لأن هذه النعم من الولي الحميد أعطها الله ﷻ لنا؛ حتى نشكره ونعبده، ونوحده، ونتوجه إليه، ونقضي أوقاتنا في طاعته، ومن فرط في هذه النعم، ولم يشكر الحميد على نعمه، واستعملها في معصية الله، فقد استحق عقوبة الله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِبُّكُمْ لَئِنْ

شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

• ومن كفر بنعمة الله، واستعملها في معصية الله، عاقبه الله بأحد أربعة أمور:

الأول: إما أن يسلبها عنه بالكلية.

الثاني: أو يسلب حلاوتها بمرض أو خسارة أو غيرهما.

الثالث: أو يقلب حلاوتها مرارة بمصيبة تنسيه حلاوتها.

الرابع: أو يحولها إلى نقمة يشقى بها، بأولاد يشقى بهم، وأموال يشقى بها: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ

أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ [التوبة/ ٥٥].

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون/ ٥٥-٥٦].

فمن أعرض عن الله؛ أعرض الله عنه، وفتح عليه الدنيا؛ حتى يلقي الله ساخطاً عليه: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَدِئِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم/ ٥٩].

فما هي عقوبتهم: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٤-٤٥].

أحد الأخوة زاره بعض الدعاة إلى الله، وكان في مزرعته، وكان قد ركب على حراث يحرث الأرض، فزاره لأجل الله ﷻ، ولأجل النصح، والتواصي بالحق، فقال: أنا لا أستطيع أن أذهب للدعوة إلى الله، أنا لا أستطيع أحك رأسي بيدي من كثرة الأشغال. فسبحان الله! بعد أسبوع كان هذا الإنسان الذي زاره يتجول في المستشفى وإذا الحراثة قد قطعت يده، فلا يستطيع أن يحك بها رأسه؛ فقال له: الآن لا تستطيع أن تحك رأسك بيدك.

فالنعمة هذه نستعملها في طاعة الله، وإلا عادت علينا شقاءً ونكدًا من أولاد وأموال: ﴿وَمَنْ يُدِلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٣١١﴾﴾ [البقرة/ ٢١١].

والنعمة تقرر بالحمد والشكر، فالشكر قيد النعم، وتزول بضد ذلك، والشيطان يغوي الناس ويضلهم وينسيهم شكر ربهم، وذلك بتبديل نعم الله، والشيطان يري الإنسان أن ما ليس بيده خير مما في يده، فيطمع فيما عند الناس، فيحسداهم، وقد يقاتلهم، وقد يسرقهم.

فالشيطان يري الإنسان أن ما ليس في يده خير مما في يده، ولا يرضيه بقسمة الله من مال

أو ولد أو زوجة؛ فيجعلك لا تشكر النعمة، وتعرض على ربك في القسمة: ﴿قَالَ فِيمَا  
أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَكَ مِنْكَ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تَجِدَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ  
شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف/١٦-١٧].

فكن يا ولي الله حامداً لمن يستحق الحمد، فقد كان ﷺ أعرف الخلق بالولي الحميد، يقوم  
الليل؛ حتى تتفطر قدماه؛ شكراً لربه على نعمه الظاهرة والباطنة، فقالت له عائشة: قد  
غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أَفَلَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا  
شُكُورًا» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.

وقد مدح الله ﷺ رسله وأنبياءه بكثرة حمدهم لربهم، وشكرهم مولاهم على ما أنعم به  
عليهم: ﴿إِنَّ إِتْرَاهِيمَ كَانَتْ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ  
أَجَبْتُهُ وَهَدَيْتُهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٣١﴾﴾ [النحل/١٢٠-١٢١].

فالذي عنده فكر الأمة؛ الله يجعل الأمة كلها في صحيفته، الذي عنده فكر أن يتولى الأمة  
بالدعوة والتعليم والإحسان؛ الله يجعله أمة، ويعطيه أجر الأمة كاملة.  
قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مِمَّا نَوَى» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.  
إن الله ينظر إلى القلوب؛ إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا لأموالكم، ولكن ينظر إلى  
قلوبكم وأعمالكم.

• وحمد الله على ثلاث درجات:

الأولى: حمد الله باطنًا، فكل خلايا العبد تقول: الحمد لله رب العالمين، كل ذرة في جسم  
المسلم تحمد المولى الحميد الذي أنعم بكل نعمة، هذا حمد باطن، فالإنسان تراه ساكتًا،  
وهو حامد شاكر مستغفر، فلنكن كذلك، فالصمت هنا فكر وذكر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ  
رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [الملك:١٢].

الثانية: حمد الله ظاهرًا وباطنًا، بقلبك ولسانك وجوارحك: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٨٣٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١) واللفظ له، ومسلم برقم (١٩٠٧).

فَحَدَّثَ ﴿١١﴾ ﴿[الضحى / ١١].

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

الثالثة: حمد الله، وهذا أعلاها وأحبها إلى الله، وهي أن تشكر الله وتحمده على نعمه بتسخير هذه النعم في إصلاح الأرض، واستعمالها في مرضاته، فكل ما أعطاك وأولاك من نعمة، من مال، أو ولد، أو صحة، أو جاه، أو قوة؛ فاستعملها في مرضاته، وإصلاح أحوال عبادته، فتدعو كافرهم إلى الإسلام، وتعلم جاهلهم، وتحسن إلى فقيرهم، وتساعد عاجزهم: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

فكل ما أعطاك الله من نعمة، من مال، أو ولد، أو صحة، أو جاه، أو قوة؛ فاستعملها في مرضاة ربك الولي الحميد، وإصلاح أحوال عبادته: ﴿ أَعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ/ ١٣].

وذلك يكون بصرف جميع النعم الظاهرة والباطنة في مرضاة مولاك.

اللهم ارزقنا من نعمك ما يعيننا على عبادتك وطاعتك، وأن نكون عبادًا لك في كل حال، وأهملنا حمدك وشكرك في كل حال.

الله أكبر! ما أكثر من أصبح متقلبًا في النعم، غافلًا عن الشكر: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُم أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

الله ﷻ أعطاك هذه النعم لتستعملها في عبادته، وتستعملها في التعبّد بين يديه، وتستعملها في الإحسان إلى خلقه بين يدي خلقه: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَلُومًا مِّن طَيْبَتِ مَا رَزَقْنَاهُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِتْيَاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢].

• وحمد العباد لربهم نوعان:

الأول: حمد الشكر.

الثاني: حمد الشناء.

وأكثر الخلق لا يعرفون إلا حمد الشكر على النعم، كما قال سبحانه: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

أكثر الخلق لا يعرفون إلا حمد الشكر على النعم المادية الظاهرة، أما حمد الشناء فأكثر الخلق غافل عنه، وهو حمد الله على عظمته وجماله وجلاله، وعظمة أسماؤه وصفاته وأفعاله، وعظمة ملكه وسلطانه: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ [الباقية: ٣٦-٣٧].

فالحمد لله رب العالمين على نعمه المادية والروحية: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ ﴿٣٢﴾ [إبراهيم/ ٣٢] ﴿وَمَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم/ ٣٢-٣٤].

وحمد الله ﷻ على النعم العامة الواسعة أعظم من حمده على النعم الخاصة بالعبد، الحمد لله فاطر السموات والأرض، الحمد لله الذي خلق السموات والأرض، الحمد لله رب العالمين.

وحمد الشناء هو تمجيد الله وذكره بأسماؤه وصفاته، والشناء عليه بكل المحامد والمدائح: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٣٧﴾ [الباقية: ٣٦-٣٧].

فنحمده على ربوبيته وإحسانه إلى خلقه، ونحمده على جلاله وكبريائه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ ﴿١﴾ [الأنعام: ١].

ونحمده على ألوهيته وعبادته وحده لا شريك له: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝١﴾ [الكهف: ١].

هذه أنواع المحامد، نحمد ربنا على النعم المادية، والنعم القلبية التي هي معرفة الرب بأسائه وصفاته وأفعاله: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكِبْرُهُ تَكْبِيرًا ۝١١١﴾ [الإسراء/ ١١١].

واعلم يا عبد الولي أنك إذا أخطأت في حق الناس حاسوبك وعاقبوك، ولم يكرموك. أما ربك الكريم سبحانه فهو الولي الحميد الكريم، الغني عن كل ما سواه، يسوق إليك النعم كأنك لم تعصه، بل يزيدنا لك لعلك تستحي منه، وتطيعه، ويمهلك لعلك تتوب إليه؛ وذلك لسعة حلمه ورحمته: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ۝٦٥﴾ [الحج/ ٦٥].

فسبحانه ما أعظم حلمه! وما أوسع رحمته! وله الحمد في الدنيا والآخرة على حسن ولايته ونصره، وتوفيقه، وإحسانه إلى عبده: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ [النصر/ ٣].

فكن يا ولي الله حامدًا لربك، حامدًا للناس؛ يحمذك ربك، ويحمذك الناس: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

الحمد لله رب العالمين على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى، حمداً كثيراً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَاقَةِ لِنَابِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝٢٨٦﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

﴿أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ۝١٥٥﴾ [الأعراف: ١٥٥].  
﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ۝١٠١﴾ [يوسف/ ١٠١].

اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.  
اللهم حبب إلينا الإيمان، وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين، أنت مولانا، فنعم المولى ونعم النصير.  
اللهم إنا نسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول أبداً، يا ولي المؤمنين، يا مالك يوم الدين، يا رب العالمين، يا أرحم الراحمين.  
سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

النصير.. الناصر

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله النصير.. الناصر

الله سبحانه هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].  
معرفة أسماء الله الحسنى في باب التوحيد بمنزلة الرأس من الجسد، وبمنزلة القلب من البدن، ومعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله هي أساس التوحيد؛ لنعرف الرب الذي أمر، ثم نمثل أمره، وتتحقق فينا العبودية مع العبادة.

فالعبادة هي مستوى إسلامك، والعبودية هي مستوى إيمانك، فإذا آمنت بالله العظيم، بالله الكبير، بالله القوي، بالله الكريم، بالله النصير؛ امتثلت أمره، وصدقت كتابه، ونلت ثوابه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

فمعرفة الله ﷻ أصل عظيم تبنى عليه أعمال الدين، وأركان الدين.

وكل أمر أمر الله به أساسه معرفة الله ﷻ، فحتى أؤدي هذه الأعمال بالحب لله، والتعظيم لله، والذل والتواضع لله ﷻ؛ لا بد أن أعرف من أمرني بصفات الجلال، وصفات الجمال: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [٢٢] هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ [٢٣] هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

صفات الجلال تملأ القلب تعظيماً لله، وتقديراً له، وحباً له، وتوكلاً عليه، واستعانة به، والبقاء من خشيته وعظمته: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

وصفات الجمال تملأ القلب حباً له، وحمداً له، وشكراً له، فأنا أرى نعم الله ﷻ التي لا تعد ولا تحصى، وأرى مظاهر أسماء الجمال، الرحمن، الرحيم، الكريم، اللطيف، فيزيد الإيمان والحب للكريم سبحانه.

فأسماء الله الحسنی من حیث معانیها ستة أقسام، وهذه الأقسام الستة تحرك فی القلب الطاقة الإیانیة؛ لیأتی الإیمان الكامل الذی یجبه الله، والإیمان الذی تكون به النصره، وتكون به العزة، وتكون به القوة.

هذه الأسماء بأنواعها وأقسامها تملأ القلب توحیداً وإیماناً، وتعظیماً وتكبیراً وحباً لله ﷻ، وخوفاً منه، وتوكلاً علیه، وافتقاراً إلیه.

• فأسماء الله ﷻ من حیث معانیها ستة أقسام:

الأول: الأسماء الدالة على ذات الله ووحدانيته: حتى أعرف لمن أوجه العبادة؟ أتکلم مع من؟ أسأل من؟ أحب من؟ أرجو من؟ أخاف ممن؟.

هذه الأسماء الدالة على ذات الله ووحدانيته لا بد للقلب أن یعرفها حتى یوجه العبادة إلى واحد، والخوف إلى واحد، والحب إلى واحد. ومن هذه الأسماء: الله، الإله، الواحد، الأحد، الحق، الحي، القيوم، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، وأمثالها من الأسماء الحسنی الدالة على ذات الله ووحدانيته: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

الثاني: الأسماء الدالة على الملك والقدرة: مثل: الملك، العزيز، الجبار، المهيمن، القهار، الناصر، النصير، القادر، القوي، المقدم، المؤخر، وأمثالها، فهذه الأسماء الدالة على الملك والقدرة؛ إذا عرفها العبد استعان بربه، وعرف أنه عبد لملك، والملك له خزائن السموات والأرض، وبیده كل شيء: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك/ ١].

إذا عرفها العبد امتلأ قلبه توحیداً وإیماناً، وافتقاراً إلى الملك الذی عنده خزائن الملك، وخزائن كل شيء بیده، خزائن العزة والذلة بیده، خزائن الذهب والفضة بیده، خزائن المياه والنبات بیده، خزائن العلم بیده، خزائن القوة بیده، خزائن الأمن والخوف بیده: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١].

الثالث: الأسماء الدالة على الخلق والإيجاد والإمداد؛ فترى ملك الملوك یخلق ویرزق، ویعطي ویمنع، ویبسط ویقبض، ومن هذه الأسماء الخالق، البارئ، المصور، الرزاق، الوهاب، الکریم وأمثالها.

فهذه الأسماء الدالة على الخلق والإيجاد والإمداد تصل المخلوق بخالقه؛ فيرى ربه هو الخالق؛ فيتوجه إليه، البارئ المصور؛ كل صورة في الكون هو الذي خلقها وصورها، الرزاق الذي جميع الأرزاق الموجودة في العالم هو الذي خلقها، وهو الذي ساقها إلى خلقه: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ ﴿٥٨﴾ [الذاريات/٥٨].

له قوة في خلق الأرزاق، وقوة في إيصالها للمرزوقين، من كانوا، وحيث كانوا، في قعر البحار، وفي سفوح الجبال، وعلى ظهر الأرض، وفي السماء، وفوق السماء: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ ﴿٥٨﴾ [الذاريات/٥٨].

وهو الوهاب الذي وهب كل كرم، كل نعمة، كل عافية: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُرَادَ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ [النحل:٥٣].

وهو الكريم، والبر، والمقيت، وأمثالها، كل هذه أسماء تعرف القلب بالله وأسمائه وصفاته، وهذه الصفات التي تدل على الخلق والإيجاد يفعلها الله ﷻ إذا شاء، حسب مشيئته، يصور متى شاء، ويخلق متى شاء، ويرزق متى شاء، ويهب من يشاء، في أي وقت شاء: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام:١٠٢].

الرابع: الأسماء الدالة على العلم والإحاطة.

ومن هذه الأسماء: السميع الذي أحاط سمعه بالمسموعات، البصير الذي أحاط بصره بجميع المبصرات، العليم، الخبير، الرقيب، الشهيد، الحفيظ، المحيط، وغيرها من الأسماء.

الخامس: الأسماء الدالة على الرفق، والرحمة، والمغفرة، لا بد للقلب أن يعرف أنه يعبد ربًّا رحيماً، غفوراً، عفوًّا، لطيفاً، كريماً.

فالأسماء الدالة على الرفق والرحمة والمغفرة تملأ القلب حبًّا لله، وتعظيماً له، مثل: الرب الذي يربي عباده بنعمه، الرحمن، الرحيم، الرؤوف، الحليم، الحميد، الشكور، الودود، الولي، اللطيف، القريب، المجيب وغيرها.

وأسماء الله ﷻ تدل على صفات الجلال، وتدل كذلك على صفات الجمال، فأسماء الجلال متضمنة لصفات الجمال، وصفات الجمال متضمنة لصفات الجلال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾ [طه: ٨].

فالله كريم يُكرم، وإيصال كرمه إلى خلقه يحتاج إلى قوة، وإلى سمع، وإلى بصر، من صفات الجلال وهو جل جلاله سميع، وبصير، وقوي، وقادر، وقدرته مقرونة بالرحمة، وقهره مقرون بالرحمة وبالحكمة المطلقة، وكل أفعاله في كونه من محبوب أو مكروه كله على وفق الرحمة، والحكمة، والعدل، والإحسان.

السادس: الأسماء الدالة على الهداية والبيان، مثل: الهادي، المبين، الوكيل، الكفيل وأمثالها من الأسماء الحسنَى.

الهادي: حتى يسأل العبد ربه الهادي الهداية.

المبين: حتى يسأل المبين أن يبين له ما أشكل عليه.

الوكيل: حتى يتوكل عليه وحده في جميع أموره: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن/ ١٣].

الكفيل: لأرزاقنا وأقواتنا وهدايتنا والعناية بنا، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، فلا بد للقلب أن يعرف هذه الأسماء الحسنَى؛ حتى يمتلئ القلب بالإيمان، ويتحقق التوحيد الذي يحبه الله، والتوحيد الذي يحبه الله ﷻ هو التوحيد الكامل.

فالله ﷻ هو الواحد الأحد الذي له الأسماء الحسنَى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/ ٨].

• وتوحيد الله الذي أمر به يقوم على سبعة أركان:

الأول: أن نوحده الله في ذاته وأسمائه وصفاته، فهو سبحانه واحد لا شريك له، أسماؤه حسنى، وصفاته عليا، وأفعاله جميلة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى/ ١١].

الثاني: هو سبحانه واحد لا شريك له في أفعاله: ﴿إِن رَّبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فالله بيده الملك، بيده الخلق، بيده كل شيء، له الخلق كله، وله الأمر كله.

الثالث: هو سبحانه واحد لا شريك له في الملك، الملك كله ملكه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ

وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ [الملك / ١].

هو الملك الذي ملك الملوك المُلْك، وهو الذي خلق الممالك، والملوك، والماليك: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكٌ أَمْلِكُ تُوْفِي الْمُلْكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦].

الرابع: هو سبحانه واحد لا شريك له في الحكم، فالحكم الذي يجري على الخلق هو الذي حكم به، فلا يقع في ملكه إلا ما يريد.

له الأحكام القدرية؛ من خلق وإيجاد، وتدبير وتصريف: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [هود: ١٢٣].

وله الأحكام الشرعية: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: ٤٠].

وله الأحكام الجزائية، هو الذي يجزي العباد بما عملوا، بوعده ووعيده، بوعده بالجنة لمن آمن به وأطاعه، ووعيده بالنار لمن كفر به وعصاه: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف / ٤٠].

الخامس: هو واحد لا شريك له في العبادة، فالعبادة صادرة مني، أو جهها إلى الله وحده، وأوحده بالعبادة: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

السادس: توحيد كتابه بالإتباع: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ لِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَيَذْكُرُوا أَهْلَ الْأَنْبِيَاءِ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

السابع: توحيد رسوله ﷺ بالإتباع: ﴿فَاعْتَمُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْتِي بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].

هذا التوحيد الذي يريده الله ﷻ، أن نوحده الله بذاته وأسمائه وصفاته، ونوحده بأفعاله، ونوحده في الملك، ونوحده في الحكم، ونوحده في العبادة، ونوحده كتابه ورسوله بالإتباع.

فهذه أركان التوحيد الذي يريده الله من عباده.

فمعرفة أسماء الله الحسنى تملأ القلب توحيداً وإيماناً، وتعظيماً وتكبيراً وحباً للرب ﷻ،

وتوكلاً عليه، وافتقاراً إليه، وحمداً وشكراً له: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ ﴿٢٨﴾ [فاطر: ٢٨].

والله أظهر لنا هذه الأسماء لتتعبد بها، فنحن الفقراء نسأل الغني، ونحن الضعفاء نسأل القوي، ونحن الخائفون نسأل المؤمن، ونحن المبتلون بالأمراض نسأل الشافي، والحمد لله رب العالمين أن عرفنا بأسمائه وصفاته وآياته الكونية، وآياته الشرعية: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنعَلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

ومن أسماء الله الحسنى اسم الله النصير والناصر، فاسم الله النصير ورد في القرآن أربع مرات، منها قوله سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ ﴿٧٨﴾ [الحج/ ٧٨].

واسم الله الناصر ورد في قوله سبحانه: ﴿بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ ﴿١٥٠﴾ [آل عمران: ١٥٠].

هو سبحانه الناصر النصير للمؤمنين على أعدائهم، الميّن لهم ما يحدرون منهم، الذي يكشف خطط الكفار للمؤمنين.

هو النصير الميّن الذي يبين لأوليائه ما يحدرون من أعدائهم، الذي لا يسلم أوليائه ولا يخذلهم: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ ﴿٤٥﴾ [النساء/ ٤٥].

والنصر على النفس، والنصر على الشيطان، والنصر على الأعداء أحد أوجه نصر الله ﷻ لأوليائه، فالله شكور، يشكر من أطاعه، ونصر دينه، وجاهد في سبيله، بأن ينصرهم، ويؤيدهم، ويدافع عنهم، ويحفظهم: ﴿وَلِيَنصُرِكُ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ [الحج/ ٤٠-٤١].

ونصر الله لعبده هو معونته إياه، وحفظه مما يضره، ونصرة العبد ربه هي جهاده في سبيله؛ ونصرة دينه، لتكون كلمة الله هي العليا: ﴿إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ ﴿٧﴾ [محمد/ ٧].

واسم الله النصير صيغة مبالغة على وزن فعيل، مشتقة من اسم الفاعل الناصر.

فهي تدل على كمال النصر والتأييد والعون من الله ﷻ، فالله إذا نصر نصر، وإذا خذل خذل، وإذا أيد أيد، وإذا أعان لم يحتج إلى عون أحد ممن سأله من عباده.

• واسم الله النصير والناصر له معنيان:

الأول: يدل على كمال النصر، فالعبد المخلوق قد ينصر، انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا، لكن النصر الكامل، والنصر الكبير، بيد الله وحده، فكمال النصر والتأييد والعون بيد الله وحده لا شريك له: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

الثاني: يدل كذلك على كثرة النصر والتأييد والعون، الله ﷻ ينصر أوليائه في مشارق الأرض ومغارها، في كل زمان ومكان: ﴿نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الأأنفال: ٤٠]. ويدل كذلك على أنواع النصر، ينصرك على النفس وشهواتها؛ حتى تحملها على طاعة الله، وينصرك على الشيطان الذي يزين القبائح والردائل، ويبعدك عن الفضائل والمحاسن، وينصرك على أعدائك من المنافقين والكفار والمشركين والحساد.

فأنواع النصر بيده، هو النصير الذي إذا نصر فلا غالب له، ولم يهزم من كان الله وليه، فهو ينصر جل جلاله النصر الكامل، ويؤيد التأييد الكامل، ومهما كثر الأعداء واجتمعوا، فهو ﷻ النصير الذي ينصر في كل مكان، وفي كل زمان، بأنواع النصر، على أنواع الأعداء، مهما كانوا ومهما كثروا: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًّا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

هو الناصر الذي جنود السموات والأرض، وله ملك السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض، وعنده خزائن السموات والأرض، وكل ذرة في ملكه من جنوده، والله ﷻ لا يحتاج إلى أحد، ولكن النصير إذا نصر؛ استجابت له جميع المخلوقات، وأطاعت أمره، وأسرعت لتنفيذ أمره، من مياه البحار بالإغراق، ومن النيران بالإحراق، ومن الرياح الشديدة كما حصل لقوم عاد، ومن الخسف والزلال، فإذا نصر نصرًا مطلقًا كاملاً ليس بعده خذلان، ومهما كثر الأعداء، فالله ﷻ ينصر أوليائه في كل حين، وفي كل مكان، وفي كل زمان: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].



والصفة المشتقة من اسم الله النصير والناصر هي النصرة والنصر، وهي من صفات الأفعال، يعز من يشاء، ويذل من يشاء، وينصر من يشاء، ويخذل من يشاء: ﴿وَلْيَنْصُرِكُ اللَّهُ مَنِ يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج/ ٤٠].

وينصر أنبياءه ورسله على أعدائهم بأصغر شيء، وأقل شيء؛ لأن قوة الأعداء أمام قوة الله ليست بشيء، ولهذا يرسل الله على أعدائه إما الطير الأبايل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۗ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلِيلٍ ۗ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۗ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۗ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۗ (٥)﴾ [الفيل/ ١-٥]. وأرسل على النمرود البعوضة حتى أهلكته.

وأغرق فرعون بالماء الذي لا يستغني عنه أحد، وأهلك عادًا بالريح التي لا يستغني عنها أحد، زاد في قوتها فقلبت ديارهم، وصاروا كأعجاز نخل منقعر، فالله ﷻ قوي، ينصر بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۗ (١٣)﴾ [فاطر: ١٣].

هو سبحانه النصير لأوليائه المستضعفين، هو النصير الذي يرفع الظلم عن المظلومين، ولو كانوا كافرين: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِإِنْفُسِهِمْ أَن يُرْسِلُوا إِلَى اللَّهِ وَلِيُصَلِّيَ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ لِقَدِيرٍ ۗ (٣٩)﴾ [الحج/ ٣٩].

والله ﷻ يجب العدل، ويأمر به، ولا يرضى بالظلم، ولهذا فالله ﷻ ينتقم من الظالم الصغير بالظالم الكبير، ثم ينتقم من الظالم الكبير كما سلط فرعون على بني إسرائيل لما خالفوا أمر الله، ثم انتقم من فرعون وجنوده: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ۗ (٥٥)﴾ [الزخرف: ٥٥].

فسبحان الناصر النصير الذي ينصر المؤمنين، ويؤمن الخائفين، ويحير المستجيرين، فنعم المولى ونعم النصير.

هو سبحانه الولي القريب، الرحيم العليم بأحوال خلقه، ينصر من يستحق النصر، ويخذل من يستحق الخذلان.

وقد اقترن اسم الله الولي بالنصير في القرآن، كما قال سبحانه: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ۗ (٤٥)﴾ [النساء/ ٤٥].

والسر في ذلك والله أعلم أن اسم الله الولي يدل على معانٍ عظيمة، واسم الله النصير يدل على معانٍ عظيمة، واقتران الولي بالنصير يدل على معنى أعظم وأعظم، وهذا الاقتران فيه كمال العناية بالخلق، وكمال الوقاية لهم من الشرور.

وسر ذلك أن ولاية الله لعباده فيها حصول كل خير، فقد خلقهم في أحسن تقويم، وأمدهم بالطعام والشراب، والهواء والماء والنور، فالولاية تقتضي حصول جميع أنواع الخير لمن توليت، ونصر الله ﷻ لأوليائه فيه زوال أنواع الشر عنهم.

فاسم الله الولي يدل على إيصاله لجميع أنواع الخير لأوليائه، واسم الله النصير فيه معنى إزالة كل شر عنهم.

فالولي والنصير من أسماء الله الحسنی، إذا أفرد أحدهما شمل معنى الآخر، وإذا اجتمعا في آية صار الولي معناه الذي يجلب كل ما ينفع، ويوصل كل ما ينفع لخلقه، من قوت القلوب، وقوت الأبدان، والنصير في دفع كل ما يضر من الكفر والشرك، ومن شر الأعداء، وكل ما يضر القلب والبدن.

فإذا جاء في القرآن ولي بدون نصير؛ فالمراد به من يجلب لك الخير بأنواعه؛ قوت الأبدان، وقوت القلوب، ويدفع عنك الشر بأنواعه؛ الشر الذي يتعلق بالقلوب من الشرك والنفاق والرياء، والشر الذي يتعلق بالأبدان، وهو منع الكفار أن يسيئوا إليك، ومنع الأمراض، ومنع ما يضر الإنسان.

وإذا جاء نصير بدون ولي؛ فالمراد به من يدفع عنك الشر، ويجلب لك الخير، إذا أفرد أحدهما شمل معنى الآخر وحكمه.

وقد اقترن اسم الله النصير بالعزیز مع الرحيم في قوله سبحانه: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَقَرُّ الْمُؤْمِنُونَ﴾ <sup>٤</sup> **يَنْصُرِ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ** <sup>٥</sup> ﴿[الروم/ ٤-٥].

وسر ذلك أن نصر النصير لأوليائه كاملٌ عامٌ شامل، فكل منصور داخلٌ في هذا العموم، ينصر من يشاء ممن يعلم أنه يستحق النصر من أوليائه ومن أعدائه.

وهو جل جلاله النصير الذي ينصر من يشاء، وهو أعلم بمواطن النصر، وقد أخبر سبحانه أن نصره للمؤمنين بقوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ <sup>٤٧</sup> ﴿[الروم/ ٤٧].

وهو العزيز الذي لا يغلبه غالب، وعزته مقرونة برحمته، لا تخلو عزته من رحمة لعباده،

فهو الذي سلط الكافر على المؤمن العاصي لربه رحمةً به؛ ليؤدبه ويرده إليه، فإذا تاب وأناب؛ أدار له النصر على من تسلط عليه: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [محمد/ ٤].

ومن يتوكل على الله فهو حسبه، ومن استعان بالناصر نصره.

ونصرة الله لعباده المؤمنين أنواع لا تعد ولا تحد ولا ترد، إذا نصر الله؛ لا يستطيع أحد رد نصره، وليس لنصره حد أبداً، إذا نصر نصر على الكافرين والمنافقين، وعلى الأفراد والجماعات، كما نصر نبيه ﷺ وصحابته في غزوة الأحزاب الذين جاءوا من كل مكان، فأنزل الله عليهم ريحاً وجنوداً لم يروها؛ لأنه الناصر الذي ينصر بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩].

فنصرة الله لعباده المؤمنين أنواع كثيرة لا تعد، كم رزقاً رزق الله العباد، كم رحمة نزلت على العباد! كم نصرًا نزل على العباد، نصر على النفس، ونصر على الشيطان، ونصر على الأعداء.

وأنواع نصره لا تعد ولا تحد ولا ترد، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، وأنواع نصره يأتي بها الناصر النصير العليم الحكيم من حيث لا يحتسب العباد، تارة تكون بالإعداد والإمداد، وتارة تكون بما يهين لأوليائه من الأسباب، وتارة بدون الأسباب، وتارة بضد الأسباب: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠].  
﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ ١ ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّلٍ﴾ ٢ ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ ٣ ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ ٤ ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ ٥ ﴿

[الفيل: ١-٥].

﴿وَأَتَانَكُمْ مِّن كُلِّ مَآسَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا الْإِنسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

هو الناصر الذي بيده النصر، ومن ذلك: النصر الذي أنزله النصير على أوليائه، فالنصر ينزل على عباده وأوليائه المتقين كما ينزل القطر من السماء، وكما ينزل الرزق من

السماء: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات/ ٢٢].

فتقدير الأرزاق وتقسيمها في السماء، والتسليم في الأرض.

ومن أنواع نصره التي لا تعد ولا تحد ولا ترد: تأييد الله لأوليائه بملائكته، كما في نصره  
لنبيه ﷺ وأصحابه في بدر: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ  
تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران/ ١٢٣].

فالله ﷻ أمد المؤمنين بألف من الملائكة، ثم أمدهم بثلاثة آلاف، ثم أمدهم بخمسة  
آلاف، ثم طمأنهم أن النصر من عنده فقط بقوله: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنُظْمِينَ  
قُلُوبِكُمْ بِهِ وَمَا لِنَصْرِ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران/ ١٢٦].

وكان يكفي لهزيمة هؤلاء ملك واحد، لكن الله فرح بخروج المؤمنين لنصرة دين الله،  
ونصرة رسوله، حيث لا عدد ولا عدة إلا القليل، ومع الأعداء العدد والعدة، فأمدهم  
بهذا العدد الكبير، وكان يكفي ملك واحد، جبريل له ستمائة جناح، جناح منها لو مده  
سد الأفق بالكامل، أمره ﷻ أن ينصر لوطاً على قومه؛ فاقطلع الديار من تحت الأرض،  
ثم رفعها وقلبها عليهم، ولكن الله فرح؛ فأنزل الملائكة تأييداً لنبيه ﷺ، ولمن قام بالحق  
ونصر الحق.

فالأنبياء معهم الإيثار والأعمال، وأعداء الأنبياء معهم الأموال والأشياء، ونحن  
مأمورون بفعل الأسباب، والتوكل على رب الأسباب: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ  
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن/ ١٣].

فالناصر سبحانه هو الذي نصر المؤمنين في بدر والأحزاب وغيرهما من الغزوات:  
﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ  
تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ  
﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُودًا لِمُ تَرَوُّهَا وَعَذَبَ  
الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥- ٢٦].

ومن مظاهر نصره جل جلاله: إرسال الريح، كما حصل لعاد والأحزاب: ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ  
وَإِسْرَائِيلَ وَالْقَارِعَةَ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ  
﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ

حَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ ﴿[الحاقة / ٤- ٨].

فالله يرسل أصغر مخلوقاته لخذلان أعدائه؛ لأنه ﷻ هو الناصر الناصر جل جلاله الذي ينصر بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ ﴿[الفيل: ١- ٥].

ومن جلال نصره: إهلاك فرعون وقومه بالغرق: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا أُنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَاغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾ ﴿[الزخرف / ٥٥].

وأغرق كذلك قوم نوح: ﴿وَقَوْمِ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾ ﴿[الفرقان / ٣٧].

ومن جلال نصر الناصر: الخسف، كما فعل في قارون وماله: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ ﴿[القصص / ٨١].

ومن جلال نصر الناصر الناصر: قلب البلاد على الكفار، ورميهم بالحجارة، كما فعل بقوم لوط: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنضُودٍ ﴿٨٢﴾﴾ ﴿[هود / ٨٢].

ومن جلال نصر الناصر أن أهلك ثمود بالصيحة: ﴿فَعْتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَاخَذَتْهُمْ الصَّيْحَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾ ﴿[الذاريات / ٤٥].

ومن جلال نصر الناصر إلقاء الرعب في قلوب الأعداء: ﴿سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ ﴿[الأنفال: ١٢].

وكما ألقى الرعب في قلوب اليهود: ﴿لَا يُقِنُّوكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ ﴿[الحشر: ١٤].

ومن جلال نصر الناصر سبحانه أنه ينصر بعض الكافرين على بعض، ينصر أقربهم إلى الحق ويديل الأيام بينهم لحكمة يعلمها، كما نصر الروم على الفرس، لما في ذلك من تهية أسباب نصر المؤمنين عليهم جميعًا، كما قال الله ﷻ في سورة الروم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الرُّومَ ﴿١﴾ غَلَبَتِ الرُّومَ ﴿٢﴾ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ

مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ  
 الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ  
 ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ [الروم / ١-٧].

الله ﷻ بَيْنَ لَنَا فِي الْقُرْآنِ فِي سُورَةِ الرُّومِ أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ يَنْصُرُ بَعْضَ الْكَافِرِينَ عَلَى بَعْضِ،  
 نَصَرَ الْفَرَسِ عَلَى الرُّومِ مَعَ أَنَّ الرُّومَ مُؤْمِنُونَ، يَنْصُرُ أَقْرَبَهُمْ إِلَى الْحَقِّ، كَمَا نَصَرَ الرُّومَ عَلَى  
 الْفَرَسِ، فَنَصَرَ الْفَرَسِ أَوْلًا عَلَى الرُّومِ، ثُمَّ نَصَرَ الرُّومَ عَلَى الْفَرَسِ فِي بَضْعِ سَنِينَ؛ تَهَيَّئَةً  
 لِلنَّصْرِ الَّذِي سَيَأْتِي وَهُوَ نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَبِرِسَالَتِهِ، نَصَرَهُمْ عَلَى الرُّومِ وَالْفَرَسِ  
 بَعْدَ أَنْ أَسْقَطَ هُوَ لَاءٌ وَهُوَ لَاءٌ، وَصَارُوا مَهِيئِينَ وَمُخْذُولِينَ، حَتَّى يَأْتِيَ النَّصْرَ الْكَامِلَ لِمَنْ  
 مَعَهُ الْإِيمَانَ الْكَامِلَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ  
 ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ  
 وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

هُوَ النَّاصِرُ الَّذِي يَنْصُرُ أَوْلِيَاءَهُ، وَيُدْبِرُ الْأُمُورَ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَغْلِبُ، الرَّحِيمُ فِي  
 جَمِيعِ أَقْدَارِهِ، وَهَذَا الَّذِي حَصَلَ، فَقَدْ غَلَبَتِ الرُّومُ الْفَرَسَ فِي بَضْعِ سَنِينَ، ثُمَّ جَاءَ  
 الْمُسْلِمُونَ وَفَتَحُوا بِلَادَ الرُّومِ، وَبِلَادَ الْفَرَسِ، وَأَصْبَحَتْ كُلُّهَا إِسْلَامِيَّةً، وَنَصَرَ اللَّهُ  
 أَوْلِيَاءَهُ، وَخَذَلَ أَعْدَاءَهُ، وَهُوَ الْحَكِيمُ فِي خَلْقِهِ وَفِي تَدْبِيرِهِ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ  
 الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٨].

وَالنَّصْرُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ الْفَعْلِيَّةِ، وَمِنْ الصِّفَاتِ الْفَعْلِيَّةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِخَلْقِهِ.

فَهُوَ سَبَّحَانَهُ النَّصِيرُ الَّذِي يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَمَتَى شَاءَ، وَكَيْفَ شَاءَ: ﴿فَنِعْمَ  
 الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج / ٧٨].

هُوَ سَبَّحَانَهُ الْقَوِيُّ النَّصِيرُ الَّذِي يَنْصُرُ لِأَوْلِيَائِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ، وَإِذَا أَخَذَ فَأَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ،  
 وَاللَّهُ ﷻ هُوَ النَّصِيرُ يَنْصُرُ أَوْلِيَاءَهُ بِمَا يَشَاءُ، وَإِذَا نَصَرَ نَصَرَ، وَإِذَا أَخَذَ أَخَذَ عَزِيزٌ  
 مُّقْتَدِرٌ: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ  
 وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَعْرَفْنَا وَمَا كَانُ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن  
 كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت / ٤٠].

﴿وَكَذَلِكَ أَخَذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢].

فخزائن النصر بيده، وخزائن الأرزاق بيده، وخزائن العلم بيده، وخزائن الهداية بيده،  
 وخزائن الرحمة بيده، وكل شيء بيده، يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وأحكامه  
 وأفعاله على وفق الرحمة والحكمة والعدل والإحسان، وأفعاله مقرونة بالحكمة المطلقة،  
 والحكمة المطلقة مقرونة بالخير المطلق: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا  
 بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (١١) [الحجر: ٢١].

كل تدبيراته في ملكه، وكل ما يجري في ملكه، على وفق الحكمة والرحمة والعدل  
 والإحسان، فالنصر من النصير، والرزق من الرزاق، والعلم من العليم: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ  
 إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنُظْمِينَ قُلُوبِكُمْ بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (١٣٦)  
 [آل عمران: ١٢٦].

وكل الخلائق في العالم العلوي والعالم السفلي فقيرة إلى ربها في خلقها وإمدادها وهدايتها  
 ونصرها، ولا ينصر الله ﷻ من البشر إلا من آمن به، وتيقن على ذاته وأسمائه وصفاته،  
 أما انتصار الأعداء فهو تسليط من الله على من آمن به، وخالف أمره، ليعود إلى ربه، فالله  
 يسלט على عباده من يردهم إليه: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ  
 بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ (٢٤) [الفتح: ٢٤].

هو الحكيم الذي يسלט هذا على هذا لحكمة يعلمها: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ  
 فَلَقْتَلُوكُمْ﴾ [النساء: ٩٠].

هو النصير الذي يضع النصر لمن يستحق النصر، فالنصر من عند الله وحده، والناس إذا  
 توهموا أن النصر بيد فلان أو فلان؛ فقد وقعوا في أعظم وهم، بل في أكبر وهم، النصر  
 بيد الناصر وحده: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ  
 مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٦٠) [آل عمران: ١٦٠].

### • النصر ثلاثة أنواع:

نصر استحقاقى .. ونصر تفضيلي .. ونصر مبدئي

الأول: نصر استحقاقى؛ فمن آمن بالله، واستقام على دينه؛ نصره الله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا  
 نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٧) [الروم: ٤٧].

آمنوا بالله وأطاعوه، فالله ﷻ قد أوجب على نفسه نصرهم لأنهم أولياؤه، فالنصر

الاستحقاقى يكون إذا دفع المؤمن ثمنه، ودفع الثمن امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، والاستقامة على الدين، فالنصر لأوليائه له ثمن، ثمنه قائم على أمرين:

الأول: الإيمان، بالله ﷻ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ [الروم/ ٤٧].

الثاني: الإعداد كما أمر الله ﷻ بقوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة/ ٢].

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج/ ٧٨].

هذه إعدادات يعدها المسلمون، فنفعل الأسباب بأمر الله، ولا نتوكل إلا على خالق الأسباب وحده، نفعل الأسباب بجوارحنا، ونتوكل على الله بقلوبنا: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ [المائدة: ٢٣].

والله برحمته أمرنا أن نعد العدة المتاحة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال/ ٦٠].

لا العدة المكافئة، فكل إنسان آمن إيماناً يحمله على طاعة الله ولم يعد العدة؛ لا ينصره الله ﷻ، مؤمن لكن لم يفعل الأسباب؛ الله ﷻ لا ينصره؛ لأن فعل الأسباب من أمر الله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

فالدنيا دار الإيمان والعمل، والآخرة دار الثواب والعقاب، ومن آمن بالله إيماناً يحمله على طاعة الله، ولم يعد العدة؛ لا ينصره الله، وإذا أعددنا للعدو العدة الكاملة، ولم نؤمن بالله؛ لا يحصل النصر، فكل شرط من هذين الشرطين؛ الإيمان وإعداد العدة لازم غير كافٍ وحده بل لابد من ربط هذا بهذا، الإيمان مع إعداد العدة، فلا بد من اجتماعها معاً ليحصل النصر: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ﴾ ﴿٤١﴾ [الحج: ٤٠ - ٤١].



الإعدادات: ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الحج: ٤١].

فهو سبحانه الولي النصير الذي ينصر عبده المؤمن على المرض الذي تفسى في جسده، ينصرك على المرض إذا أصابك، وعلى العدو إذا أحاط بك؛ لأنه محيط بكل محيط. ينصر بأسباب الهلاك، كما نصر إبراهيم ﷺ حين أُلقي في النار، فصارت النار جندياً من جنوده تحفظه وتحرسه، ويهلك بأسباب النجاة كما أهلك فرعون مع ملكه، وقارون مع ماله.

ويربي أوليائه في قصور أعدائه، كما ربي موسى في قصر فرعون، وجعل الخزينة التي تنفق لقتله تنفق لإرضاعه وحياته.

فهو فعال لما يشاء، ينصر بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٢-٣].

الله ﷻ يقول لموسى وهارون: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ ﴿٤٦﴾ [طه/ ٤٦]. أسمع ما تقولون وما يُقال لكم، وأرى ما يكيدون به لكم، ولا يخفى عليه شيء من أمرهم، الداعي إلى الله العابد يتوجه إلى ربه ويعبده، والله معه يحفظه وينصره: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة/ ٤٠].

وإذا كان الله معنا؛ فمعنا كل شيء، وإذا لم يكن معنا فليس معنا شيء، والعدو قد يكون قوياً؛ لكن الله أقوى منه، الله ﷻ هو القوي الذي لا يقف له أحد؛ من العرش العظيم، والكرسي الكريم، والسماوات السبع ومن فيهن، والأرضين السبع ومن فيهن، وما عليهن، وما بينهن، فالله ﷻ قوته وكبرياؤه أعظم شيء، وأكبر شيء: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ ﴿٦٦﴾ [هود: ٦٦].

وجميع مخلوقاته مماليكه، وجميع مماليكه كالذرة أمام عظمته وكبريائه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَنَعْلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ [الزمر: ٦٧].

والمؤمنون قد لا تكون معهم الأسباب الكاملة؛ لكن يعدون الأسباب التي يستطيعون،

والله يكمل بقدرته ما لا يستطيعون، كما أكمل المؤمنين من ثلاثمائة وثلاثة عشر في بدر بالملائكة ألفاً، ثم ثلاثة آلاف، ثم خمسة آلاف، ومن فوق ذلك كله الله ﷻ بين لهم أنه هو الناصر وحده، ولكن الله جعل الملائكة بشرى للمؤمنين؛ لتطمئن بها قلوبهم: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنَطْمِئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

وإذا صبرنا، واتفقنا الله، وفعلنا الأسباب؛ فقد فعلنا ما نستطيع، والله يحفظنا من كيد أعدائنا: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَّا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

والله ﷻ قادر على أن يقلب أسلحة الأعداء عليهم، قادر أن يغرقهم بالماء، أو يحرقهم بالنار، أو يدمرهم بالخسف، أو بالزلازل، أو يجعل قنابلهم الذرية غنائم يتغلب بها المؤمنون، فالله بيده كل شيء، يفعل ما يشاء، ولا يعجزه شيء: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَّا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

ولو اجتمع على المؤمنين مَنْ بأقطارها؛ فربهم الحق الناصر القوي ينصر أوليائه على أعدائه بهذه الأمور الثلاثة، بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦].

بيده الرياح يدمر بها إذا شاء كما فعل بقوم عاد، وبيده المياه يغرق بها من يشاء كما أغرق قوم نوح، وفرعون وقومه.

والإيمان والطاعة مع الصبر يعقبا النصر فوراً، كما حصل للصحابة في بدر. والمعصية مع الصبر والإيمان؛ ليس بعدها إلا العقوبة، الصحابة في أحد قتل منهم سبعون من أصحاب النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار، وأن المعصية إذا حصلت ترفع نصرة الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران/ ١٥٢].

الرماة الذين كانوا على رأس الجبل بقيادة عبد الله بن جبير عصوا أميرهم، ورأوا الغنائم، ورأوا قتل الأعداء، فنزلوا وتركوا أماكنهم وكانت بداية المعركة نصر للمؤمنين، والرسول ﷺ أمرهم ألا ينزلوا أبداً من على الجبل حتى يأذن لهم، فالصحابة الذين على رأس الجبل لم يسمعوا لكلام أميرهم عبد الله بن جبير فنزلوا لجمع الغنائم؛ فكانت النتيجة أن قُتل من الصحابة سبعون، وجُرح النبي ﷺ، وكسرت رباعيته، وشُجَّ في جبينه، وأشاع الشيطان بين الصحابة أن النبي ﷺ قد قُتل. أحد جبل يحبنا ونحبه، كل ذرة فيه مهياة لنصرة المؤمنين. فإذا اختلطت المعصية بالإيمان؛ رفعت النصرة.

فلا بد من إيمان كامل وتقوى كاملة لينزل النصر كما حصل في غزوة بدر. والله سبحانه في أحد رفع النصرة بسبب المعصية، ولم تكن هزيمة للمسلمين لأنها لو كانت هزيمة لأباد الكفار المسلمين، واستباحوا المدينة.

فهذه المواطن؛ مواطن النصر يرى المسلم فيها قدرة الله ﷻ تظهر، وتأييده لأوليائه بنصره وإعزازه، ولكن الله ﷻ لا يجابي أحداً، فمن جاء بالإيمان والأعمال والتقوى؛ نصره الله ﷻ، ومن خلط بالإيمان المعاصي؛ رفع عنه النصرة رحمةً به؛ حتى يعود إلى ربه، ويكون أهلاً للنصر لأن الله لا ينصر إلا أوليائه الذين أطاعوه في كل شيء: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة/ ٢٠٨].

وقال سبحانه: ﴿وَلْيَنْصُرْكَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [٤٠] الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [٤١] [الحج: ٤٠-٤١].

طاعة كاملة؛ نصر كامل، وطاعة ناقصة نصر ناقص: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء/ ١٢٣].

فإذا جاء السوء؛ جاءت العقوبة؛ حتى يقلع المسلم عن هذه المعصية، وهذا من رحمة الله، والأمة الإسلامية اليوم في أمس الحاجة إلى نصر الله على أعداء الإسلام والمسلمين.

• ولكن أتى لهم النصر إلا بأمرين؛ هما:

الأول: الاستقامة على الدين وحسن الطاعة.

الثاني: إعداد القوة التي أمر الله بها.

لا بد من الإيمان، والاستقامة، مع كمال الطاعة، مع إعداد ما نستطيع من قوة.

لا بد من إعداد القوة التي أمر الله بها ليست القوة المكافئة؛ لأننا لا نستطيع أن نواجه الكفار بمثل ما عندهم من الطائرات والإعدادات والقنابل وغيرها.

إنما نفعل ما نستطيع، ونقف بأنفسنا لقتال عدونا ونواجههم بالإيمان والتقوى وحسن الطاعة، مع إعداد القوة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال/ ٦٠].

وبعد ذلك ينصرنا ولينا على أعدائنا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ عَفْوَ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

فهذا النصر الاستحقاقى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم/ ٤٧].

بماذا؟ بالإيمان، والتقوى، وإعداد القوة اللازمة التي نستطيع.

الثاني: النصر التفضلي، والنصر التفضلي أن المنتصر الذي نصره الله ليس كما ينبغي، ولكن حكمة الله اقتضت أن ينتصر، كما قال سبحانه: ﴿الْم ﴿١﴾ غَلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ ﴿٤﴾﴾ [الروم/ ١-٤].

الله نصر الروم فيما بعد في بضع سنين، المنتصر هنا ليس كما ينبغي؛ لكن حكمة الله اقتضت أن ينتصر، لأمر لا يريد به الله.

الروم مشركون، لكنهم أحسن من الفرس، الفرس يعبدون النار، والروم عندهم شيء من الإيمان، لكن خلطوه بالشرك، ونحن في دعائنا نقول: يا رب، إن لم تكن أهلاً للنصر الاستحقاقى الذي وعدتنا؛ فانصرنا النصر التفضلي؛ لأن فضلك وإحسانك عم الخلق كلهم، أنت الذي أحسنت إلى الخلق بالنعمة التي لا تعد ولا تحصى، لذلك أثبت الله ﷻ في هذه الآية للصحابة فرحهم بهذا النصر: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ يَنْصُرِ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الروم: ٤-٥].

وسياتي اليوم الذي ينتصر فيه المؤمنون على كفار مكة، وقد حصل، كما فرح المؤمنون بنصر الروم على الفرس، كذلك سيفرحون بنصرهم على كفار مكة في بدر: ﴿وَلَقَدْ فَصَّرْكُمْ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣]. هذا هو النصر التفضلي من الله ﷻ، ينصر من كان أقرب إليه من غيره، كما نصر الروم على الفرس، هذا اسمه النصر التفضلي.

الثالث: النصر المبدئي: فأصحاب الأخدود أحرقوا المؤمنين: ﴿فَقِيلَ أَضْحَبُ الْأَخْدُودِ﴾ [النار: ٤] ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ [النار: ٥] ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ [النار: ٧] ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٤-٨].

فثباتهم على المبدأ هذا هو النصر، انتصروا على أنفسهم، وعلى الشيطان، وعلى عدوهم؛ بأن أثبتوا بأنهم على الحق، ولذلك بذلوا أنفسهم من أجله، والله ﷻ قلب عليهم هذه النار بردًا وسلامًا.

وهذا الغلام ضحى بنفسه، وانتصر الدين، وانتصر هو على الملك الطاغي، وآمن الناس برب الغلام، قالوا: آمنة برب الغلام، هذا النصر المبدئي أن يقاتل الإنسان عدوه، ولا ينقلب على عقبه، يقاتل عن مبدأ قد ملأ قلبه، وعرف به ربه: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤].

المؤمن يغار على الحق، ويدعو إلى الحق، ويجاهد في سبيل الله من أجل الحق، المؤمنون انتصروا نصراً مبدئياً؛ لأنهم ثبتوا على الحق، وهم المنتصرون؛ لأنهم صاروا بعد ذلك فوراً أحياء، فالمؤمنون في بدر وفي أحد يقاتلون في سبيل الله نصرته للحق، ونصرة للرسول ﷺ، ونصرة للدين الذي آمنوا به، ولهذا فالله ﷻ جعل هؤلاء الأولياء أحياء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

عند ربهم، هذه العندية عندية قرب؛ لأنهم بذلوا أنفسهم من أجل أن يحيا الدين، ضحوا بحياتهم من أجل أن يحيا الدين.

ومن هؤلاء الذين كان لهم نصر مبدئي ماشطة بنت فرعون وأولادها، حيث قتلها فرعون، هي كانت مؤمنة، وقتل فرعون أولادها الخمسة، وضع برميلاً من الزيت، يضع فيه أولادها من بنين وبنات أمامها لترجع عن دينها، كلما أبت وضع واحداً حتى أكملهم، فألقى فرعون أولادها في زيت مغلي أمامها، ثم لما لم تستجب أتبعها بهم؛ فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ مِنْهُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَذِخُّ أبنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص / ٤].

فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر، فأغرقه هو وجنوده في البحر: ﴿فَلَمَّا أَسْفُونَا أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزخرف / ٥٥].

فكل يدافع عن مبدئه، هذا النصر المبدئي، أن يثبت الإنسان على الحق، ويموت على الحق من أجل أن يحيا الدين ولو مات هو، الله يظهر الدين بسبب هذا النصر المبدئي الذي يدافع فيه الإنسان عن المبدأ، وعن المنهج والدين الذي يقاتل من أجله، ليكون سبباً لهداية الناس من بعده.

### • فهذه أنواع النصر الثلاثة:

نصر استحقاقى: لمن جاء بالإيمان، والأعمال الصالحة، مع فعل الأسباب.  
ونصر تفضلي: الله ﷻ ينصر من يستحق النصر ولو كان أدنى كما نصر الروم على الفرس.  
والنصر المبدئي: وهو نصر الإنسان على نفسه، ونصر الإنسان على عدوه، بثباته على المبدأ ولو كان ثمن ذلك قتله.

إن معرفة اسم الله الناصر والنصير تملأ القلب ثقة بالله، وتوكلاً عليه، واستعانة به، وافتقاراً إليه، واستنزال النصر منه على النفس، وعلى الشيطان، وعلى جميع أنواع الأعداء: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان / ٣١].

الله سبحانه هو الناصر القوي الذي لا أحد أقوى منه، الناصر الغني الذي يملك خزائن النصر كلها، الملك الناصر الذي وهب النصر لكل منتصر، الناصر وحده لا شريك له، الناصر الذي بيده النصر كله: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [آل عمران / ١٢٦]

وهو سبحانه الناصر القوي الذي لا يعجزه شيء، ولا يقف له شيء، ولا يغلبه أحد،

قهر بقوته جميع الأقوياء، وأهلك جميع الطغاة، وأذل بجبروته جميع الجبابرة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [هود/ ٦٦].

كل المخلوقات جند من جنوده، ينصر بها أوليائه، ويخذل بها أعداءه.

فهو سبحانه الناصر الذي ينصر من يشاء، في أي وقت شاء، النصير الذي ينصر رسله وأنبياءه والمؤمنين على أعدائهم، ويثبت أقدامهم عند لقاء أعدائهم، ويلقي الرعب في قلوب أعدائهم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرُمْ وَأَكَّانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم/ ٤٧].

وهو سبحانه الناصر الحق الذي بيده النصر وحده لا شريك له، ينصر كل من آمن به، وتوكل عليه، ولاذ به، ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [٤] ينصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴿٥﴾ [الروم/ ٤-٥].

وهو سبحانه الناصر لأهل الإيمان على مر الدهور، فلو اجتمع عليهم أهل الأرض جميعاً بما عندهم من العدد والعدة؛ نصر الله المؤمنين عليهم؛ لأن الله لا غالب له.

فهو الملك العزيز الجبار الذي خلق الخلائق كلها، وقهر الخلائق كلها، ويده مقاليد كل شيء: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَ بِنَا وَأَرْسَلْنَاكَ إِبْرَاهِيمَ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [المجادلة/ ٢١]

فسبحان الملك الحق الذي بيده مفاتيح النصر، وبيده مفاتيح الرزق، وبيده مفاتيح الخير، وبيده مفاتيح العلم، وبيده مفاتيح الأمن: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ الْإِنْسَانَ لَا تُبَدِّلُ دِينَهُ وَلَا يَتَّبِعُ الْآيَاتِ الْكُفْرَ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

وهو سبحانه الناصر الغالب، البالغ مراده من خلقه، القوي الذي لا يغلب ولا يقهر؛ لكمال قدرته، وعظمة ملكه وسلطانه.

سبحانه هو الله الواحد القهار، الواحد لا بد أن يكون قهاراً، والقهار لا بد أن يكون واحداً، هو سبحانه الواحد صفة كمال، القهار صفة كمال أخرى، الواحد القهار صفة كمال تجمع الكمالين: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].

هو الواحد الذي خلق كل واحد، المحيط بكل واحد، الغني عن كل واحد، القاهر لكل واحد: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام/ ١٨].

وهو سبحانه النصير، الغالب على أمره، الذي لا يغلبه شيء، ولا يرد حكمه راد، الذي يفعل ما يشاء، وأمره نافذ كيف يشاء: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف/ ٢١].

فهو سبحانه الغالب وحده لا شريك له، فمن آمن به وتوكل عليه فهو الغالب، ولو أن جميع من في الأرض له طالب، ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة/ ٢١].

هو سبحانه الملك القادر، النصير الناصر، الغالب القاهر، الذي أمره نافذ في جميع ملكه، الذي لا يملك أحد أن يرد ما قضى، إذا أراد ليلاً كان ليلاً، وإذا أراد نهاراً كان نهاراً، وإذا أراد أنثى كانت أنثى، وإذا أراد ذكراً كان ذكراً، وإذا أراد أمناً كان أمناً، وإذا أراد خوفاً كان خوفاً، وإذا أراد عزة كانت العزة، وإذا أراد ذلة كانت الذلة: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُوتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

هو القوي وحده، فلا يستطيع أحد مهما أوتي من قوة أن يرد ما قضى، أو يمنع ما أمضى، الرب الذي تفرد بالخلق والأمر، فلا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وفعل الأسباب من أسباب النصر المطلوبة، ولكن النصر بيد الناصر وحده لا شريك له، فنفعل الأسباب بجوارحنا، ونتوكل على الله بقلوبنا: ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران/ ١٢٥] وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنُظْمِنَ قُلُوبَكُمْ بِهِ ۗ وَمَا لِنُصْرٍ إِلَّا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران/ ١٢٦-١٢٥].

وأحياناً ينصر الناصر عباده المؤمنين بدون الأسباب أو مع قلتها؛ لبيان كمال قدرته: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران/ ١٢٣].

وأحياناً يخذل بأسباب النصر إذا تعلق المسلمون بها واعتمدوا عليها؛ ليردهم إلى التوكل



على من بيده النصر سبحانه، كما قال ﷻ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْرِبِينَ﴾ [التوبة/ ٢٥].

حينما قال بعض الصحابة: لن نغلب اليوم من قلة، فالله ﷻ رفع عنهم النصرة، ثم نصرهم لما عادوا إليه: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْرِبِينَ﴾ [التوبة/ ٢٥] ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لهم ترهوا وعدب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ﴿٣٦﴾ [التوبة/ ٢٦].

فالنصر بيد الناصر وحده، فلتتوكل على الناصر، ونفعل الأسباب التي أمر بها الناصر، لا إعداد مكافأة؛ بل إعداد استطاعة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

فسبحان الملك النصير الناصر الذي تفرد بالملك، والخلق، والرزق، والنصر، والتأييد، الذي ينزل النصر على أوليائه كما ينزل الغيث من السماء على أرضه.

هو الناصر الذي يأتي بالنصر مع الصبر، وبالفرج مع الكرب، وبالعافية مع السقم، وباليسر مع العسر، وبالأمن بعد الخوف، وبالنجاة بعد رؤية الهلاك: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشْأَةٍ لَّا يَرُدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف/ ١١٠].

فلا إله إلا الله! كم تمتلئ القلوب بالإيمان إذا عرفت ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله، وعرفت عظمة ملكه وسلطانه، وعرفت جميل نعمه وإحسانه، وعظمة دينه وشرعه!

فسبحان من بيده الملك والملكوت، النصير الذي إذا أراد أن ينصر أحداً نصره، ولو وقف له جميع الخلق، وإذا أراد أن يخذل أحداً خذله ولو أعانه جميع الخلق: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].

والله سبحانه هو النصير الذي تكفل بنصر أوليائه على أعدائه في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَادُ﴾ [٥١] يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ﴿٥٢﴾ [غافر: ٥١-٥٢].

فسبحان الناصر لمن شاء، الغالب البالغ مراده من خلقه، الذي لا يُغلب ولا يُقهر؛  
لكمال قوته وعظمته وعزته، وكمال قدرته وجبروته وكبريائه: ﴿وَلِلَّهِ جُودُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَزِيرًا حَكِيمًا ۝٧﴾ [الفتح/ ٧].

هو جل جلاله الناصر الغالب على أمره، الذي يفعل ما يشاء، ولا يغلبه أحد، ولا يرد  
حكمه راد، وأمره نافذ في ملكه أبداً، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ  
۝٨٢﴾ [سبأ/ ٨٢-٨٣].

هو الناصر القوي القادر الذي لا يملك أحد أن يرد ما قضى، أو يمنع ما أعطى، أو  
يعطي ما منع، أو ينصر من خذل، أو يخذل من نصر: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ تُوْتِي الْمَلِكِ  
مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ  
قَدِيرٌ ۝٢٦﴾ [آل عمران/ ٢٦].

هو سبحانه الملك الحق الخالق، القاهر لكل غالب، الذي لا يستطيع أحد رد ما قضاه،  
أو إبعاد ما قربه، أو تقريب ما أبعد، أو إحياء ما أماته، أو إماته ما أحياه، أو قبض ما  
بسطه، أو بسط ما قبضه، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ  
اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٥٤﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فسبحان الناصر النصير، الغني عن كل أحد، الذي لا يحتاج إلى أحد ينصره أو  
يعينه: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٧٤﴾ [الحج/ ٧٤].  
أما نصره المؤمنين من أوليائه فقد كتبه على نفسه جل جلاله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ  
الْمُؤْمِنِينَ ۝٤٧﴾ [الروم/ ٤٧].

ونصرة الله ﷻ لأوليائه المؤمنين تكون بحسب إيمانهم وطاعتهم.

أما نصره المؤمنين لربهم فتكون بعبادته، والقيام بحقوقه، وحقوق عباده، وامتنال  
أوامره، واجتناب نواهيه، والعمل بشرعه والدعوة إليه، والجهاد في سبيله: ﴿يَتَأْتِيهَا  
الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ  
عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝٢٠٨﴾ [البقرة/ ٢٠٨].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ  
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٧٧﴾ [الحج/ ٧٧-٧٨].

فأولياء الله يربحون السعادة في الدنيا والآخرة، والنصر في الدنيا والآخرة، والله غني عنهم، لكن أمرهم بذلك ليسعدهم، ويشيهم، ويرضيهم، ويزكيهم ويرفع درجاتهم: ﴿وَلْيَنْصُرِكُ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ [الحج/ ٤٠-٤١].

وهذه علامات من يستحق النصر، والتمكين، والاستخلاف: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٥٥) [النور/ ٥٥].

وحقيقة النصر هي المعونة بطريق التولي والمحبة، خص الله بها خيار خلقه، وهم الملائكة والرسل والمؤمنون: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كِمْنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِن جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ [الصفات/ ١٧٣].

والمعونة على الشر لا تسمى نصراً، ولهذا لا يقال للكافر إذا ظفر بمؤمن أنه منصور عليه، بل هو مسلط عليه عقوبة له على ذنب، أو تربية له، كما رفع الله النصر عن المؤمنين في أحد، وسلط عليهم الكفار حينما عصى بعض الرماة أمر رسول ﷺ.

والله يسلط بعض الكفار على المؤمنين تربية لعباده الذين بدلوا الطاعات بالمعاصي؛ ليعودوا إليه بكمال الطاعة، فيفعلوا الأوامر، ويجتنبوا النواهي، ويوحده بذاته وأسمائه وصفاته، ويوحده بعبادته وحده لا شريك له، فإذا عادوا إليه نصرهم على أعدائهم: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (١٤١) [النساء: ١٤١].

والكفار والظلمة والطغاة عصي بيد الله ينتقم بها، ويربي بها، ثم ينتقم منها، كما هو حاصل الآن في العالم، الكفار والظلمة والطغاة والمتجبرون عصي بيد الله، ينتقم بها، أولاً ينتقم من الظالم الصغير الذي ترك الصلاة والزكاة والصيام، وآمن بالله، وخالف أمر الله، وعصى الله، ثم ارتد عن دين الله، فالله من رحمته أن يسلط عليه ظالماً أكبر منه يريه ثمن هذه المخالفة، ثم ينتقم من الظالم الكبير بعد ذلك كما سلط فرعون على بني إسرائيل، ثم انتقم منه فأغرقه وجنوده.

والله قادر على نصر دينه وإهلاك أعدائه، وحده لا شريك له: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِيهِ مَلَكَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٨٣) [يس: ٨٢-٨٣].

الله ﷻ قادر أن يهلك الأعداء، ولكن له حكمة عظيمة في نصر أوليائه على أعدائه، وفي تسلط أعدائه على أوليائه؛ ليرجعوا إليه سبحانه بالتوبة والإنابة، فالله ﷻ يتلى عباده بذلك التسليط، ليربي أوليائه، ويظهر من ينصر دينه ممن يتولى عن نصرته: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأُنْصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (٤) ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ (٥) ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمُ﴾ (٦) [محمد/ ٤-٦].

فالحمد لله رب العالمين على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، والحمد لله أن عرفنا باسمه النصير حتى نسأله أن ينصرنا على أنفسنا أولاً بالاستقامة، وعلى عدونا الباطن وهو إبليس، وعلى عدونا الخارجي وهو شياطين الإنس، وأنواع الكفرة الذين تحزبوا على حرب أولياء الله والمؤمنين: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة/ ٢٥٠).

اللهم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران/ ١٤٧).

اللهم: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة/ ٢٨٦).

الله ﷻ هو الملك الحق، الذي له الخلق كله، والأمر كله، وله الملك كله في العالم العلوي والعالم السفلي.

هو سبحانه ملك عظيم، أراد أن يظهر أسماءه وصفاته وأفعاله، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظمة أوامره القدرية والشرعية والجزائية، فخلق هذا الكون العظيم، وأنزل القرآن العظيم: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنعلموا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (١٢) [الطلاق/ ١٢].

كذلك أنزل كتابه العظيم، الذي فيه أخباره العظيمة وأوامره العظيمة جل جلاله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (٨٩) [النحل: ٨٩].

• ومن سنة الله في خلقه أمران عظيمان:

الأول: أن الله ﷻ يبقِي الكافر، ويمد له، ويمكن له، حتى يقول ضعيف الإيمان متى نصر الله؟، أين الله؟ ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١١٠) [يوسف/ ١١٠].  
﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (٣٥) [سبأ/ ٣٥].

الثاني: أن يظهر الله آياته، حتى يقول الكافر لا إله إلا الله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَاللُّونِكُمْ إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٢٢) [الروم/ ٢٢].  
﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠١) [يونس/ ١٠١].

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ۖ ٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۖ ٧ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۖ ٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۖ ٩ وَجَعَلْنَا أَيْلًا لِّيَاسًا ۖ ١٠ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۖ ١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۖ ١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ۖ ١٣ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۖ ١٤ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۖ ١٥ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ۖ ١٦ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ۖ ١٧﴾ [النبا: ٦-١٧].

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۖ ١٧ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۖ ١٨ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۖ ١٩ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۖ ٢٠﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠].  
﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۖ ٢٤ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۖ ٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۖ ٢٦ فَأَبْنَا فِيهَا حَبًّا ۖ ٢٧ وَعَبْنًا وَقَضْبًا ۖ ٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۖ ٢٩ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۖ ٣٠ وَفِكَهَةً وَأَبًّا ۖ ٣١ مَنَّاعًا لَّكُمْ وَلِيَأْنَعِمَ لَكُمْ ۖ ٣٢﴾ [عبس: ٢٤-٣٢].

فمن آيات الله ﷻ أن يظهر آياته حتى يقول الكافر: لا إله إلا الله: ﴿إِنَّا فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ أَيْلٍ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١١٠) [آل عمران/ ١٩٠].  
• فهذان امتحانان عظيمان:

الأول: أن الله يقوي الكافر ويمد له حتى يقول ضعيف الإيمان: متى نصر الله، أين الله!؟

الثاني: أن يظهر الله آياته حتى يقول الكافر: لا إله إلا الله: ﴿أَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَرَازَيْنَاهَا وَمَاهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق/٦-٨].

فهذان أمران عظيميان، ونحن الآن في الامتحان الأول، فالكفار الآن مستكبرون أقوياء، دمروا، وأفسدوا في الأرض، وسفكوا الدماء، ونهبوا الأموال، وانتهكوا الأعراض؛ فضعاف الإيثار تأثروا بذلك وضعفوا، والله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٩].

والكفار والطغاة في كل زمان ومكان عصي بيد الله؛ يؤدب بها من عصاه، وينتقم بها ممن خالف شرعه، واحدةً بواحدة، ثم ينتقم من هؤلاء الكفار والطغاة: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِيحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص/ ٤].

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْتَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾﴾ [الفجر/ ٦-١٣].

فبعد أن ينتقم بالطغاة الكبار من الطغاة الصغار، يدمر أعداءه الكبار تدميرًا كاملاً، كما قال الله عن فرعون: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانَظَرُ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [القصص/ ٤٠].

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ [الفيل: ١-٥].

وكل من أصر على كفره أخذه الله أخذ عزيز مقتدر: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت/ ٤٠].

﴿وَكَذَلِكَ أَخَذُ رَبِّيكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [١٠٢] ﴿هود: ١٠٢﴾.

في بدر كان الإيمان قوياً، والاستقامة كاملة؛ فجاء النصر الكامل بعد التذلل الكامل، وبعد إظهار الافتقار الكامل: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ﴾ [١٢٣] ﴿آل عمران: ١٢٣﴾.

على أي حال كنتم؟ كنتم أذلة بين يدي ربكم، خاضعين خاشعين متذللين.

وفي أحد حصلت المعصية من الرماة؛ فرفع الله عن المؤمنين النصر: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِأِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ

وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [١٥٢] ﴿آل عمران: ١٥٢﴾.

فهذه أربع صفات حصلت فيهم؛ فرفع الله عنهم النصر، وفي أحد كانت معصية سلوكية من الرماة للرسول ﷺ، وفي حين كان شرك خفي، حيث قال بعض المؤمنين:

لن نُغلب اليوم من قلة، ونظروا إلى العدة والعدد؛ فقال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة/ ٢٥].

ثم بعد ذلك نصر الله ﷻ أوليائه بعدما تابوا إلى الله، وخذل أعداءهم من الكفار: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة/ ٢٦].

فالناصر والناصر سبحانه يرى كل ذرة في ملكه، خاصة من يجاهد في سبيله لإعلاء دينه، ينظر إلى الأجساد، وينظر إلى الأسباب، وينظر إلى القلوب، ويعامل خلقه بموجب ذلك.

والله سبحانه خلقنا في دار الأسباب؛ لهذا يجب علينا أن نأخذ بالأسباب المشروعة وكأنها كل شيء، وأن نتوكل على الله وكأن الأسباب ليست بشيء، ومن اعتصم بالله نصره الله، ومن اعتصم بغير الله خذله الله من حيث اعتصم: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ

فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ [التغابن / ١٣].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج / ٧٧].

فلا نستعين إلا بالله وحده لا شريك له؛ ولا نتوكل إلا عليه وحده لا شريك له. فاللهم انصرنا على أنفسنا بالإيمان والتقوى، وحسن الظن بك؛ حتى نكون أهلاً نستحق النصر على أعدائنا فأنت نعم المولى، ونعم النصير.

فالنصر ثمنه الأخذ بالأسباب والتوكل على رب الأرباب: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٢-٣].

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل / ٩٧].

والقلوب كلها بيد الله يقلبها كيف يشاء، فإذا كان الله الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وبيده الملك والملكوت، إذا كان الله معك أعانك أعداؤك. وإذا كان الله عليك تطاول عليك أقرباؤك.

فإذا كان الله ﷻ معك فلن يهزمك أحد، إذا كان الله معك؛ أعانك أعداؤك؛ فالنار التي تحرق جعلها الله بردًا وسلامًا على إبراهيم، والله ﷻ ربي موسى ﷺ في قصر فرعون، وأنفق عليه من خزينته، فالخزينة التي تنفق لتدمير موسى هي التي أنفقت لتربيته وإرضاعه: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١].

وإذا كان الله عليك تطاول عليك أقرباؤك وأصدقاؤك، ومن هاب الله ﷻ هابه كل شيء: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ نُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال: ٢٤].

فسبحان الله النصير الناصر، العليم بكل شيء، الذي لا يخفى عليه ذرة في ملكه؛ يراك إن تحركت، ويسمعك إن تكلمت، ويعلم بما في قلبك إن سكت؛ فأنت من رحمته، تحت عنايته، وسمعته، وبصره: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي



كَتَبَ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ [الحج: ٧٠].

الله ﷻ مولاك وأنت تحت عنايته، وتصريفه، وتدبيره، يأخذ بك إلى ما يصلحك، ويسعدك في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

ومن هذه صفاته وأفعاله هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

هو سبحانه الناصر النصير الذي ينصرك على المرض فيشفيك، وينصرك على العدو الذي يعاديك، وينصرك على كل ما أهمك وأحزنك، وينصرك على النفس فتأخذ بيدها إلى كل خير: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس/ ٧-١٠].

هو سبحانه النصير الناصر؛ فنعيم المولى ونعم النصير، والنصر بيد الناصر النصير سبحانه، ولكن النصر من الله له أسباب من الخلق، وأعظم أسباب النصر على الأعداء ذكرها الله ﷻ بقوله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فَعَتَّةٌ فَانْكَبُوا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَزَعُوا فَنفَشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنفال/ ٤٥-٤٧].

فهذه هي أسباب النصر، فالدنيا دار الأسباب، الدنيا إقامتها بالأسباب، والآخرة بناؤها بالأسباب، والجنة لها أسباب، والنار لها أسباب؛ فلا بد أن نأخذ بأسباب النصر، والنصر المطلق بيد الله ﷻ، هو الذي ينصر من يشاء، ومشيئته مقرونة بالحكمة المطلقة، وحكمته المطلقة، مقرونة بالخير المطلق.

• ولكن الله ﷻ ربط هذا النصر بأمور لا بد من توفرها:

الأول: حقيقة الإيمان في قلوب المجاهدين في سبيل الله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم/ ٤٧].

الثاني: استيفاء مقتضيات الإيـان، وهي الأعمال الصالحة في جميع أمور الحياة: ﴿وَلْيَنْصُرِكُ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١) [الحج / ٤٠-٤١].

الثالث: استكمال العدة التي في طاقة البشر: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (٦٠) [الأنفال / ٦٠].

الرابع: بذل الجهد الذي في وسع البشر، والتوكل على الله وحده، ولزوم الطاعة والصبر: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦١) [العنكبوت: ٦٩].

وإذا جاءت هذه الأسباب الأربعة في حياة المسلمين؛ نصرهم الله ﷻ على عدوهم. حصول حقيقة الإيـان في قلوبهم، واستيفاء مقتضيات الإيـان وهي الأعمال الصالحة في جميع أمور الحياة، واستكمال العدة التي في طاقتهم، وبذل الجهد الذي في وسعهم، والتوكل على ربهم، ولزوم الطاعة والصبر، وانتظار الفرج.

وبهذا تكون معية الله النصير معهم، وينزل عليهم نصر الله كما نزل على الأنبياء والرسل وأتباعهم، وكما حصل للنبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم في غزواتهم: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كِمْنَاتِنَا لِجِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَاقِلُونَ (١٧٣) [الصافات / ١٧١-١٧٣].

فالآن الذي يجري في العالم ابتلاء من الله ﷻ سببه انحراف المسلمين عن دينهم، وأخذ الصورة لا الحقيقة؛ فالله ﷻ يرببهم ليرقيهم، ويبتليهم؛ ليرفع عنهم البلاء إذا عادوا إليه: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْصُرُونَ﴾ (٧٦) [المؤمنون / ٧٦].

لا بد من إظهار الذلة، والنبي ﷺ أظهر الذلة في بدر، وكان ينادي ربه: «اللَّهُمَّ إِنَّهُمْ جِياعٌ فَأَطْعِمُهُمْ، وَحُفَاةٌ فَأَحْمِلْهُمْ، وَعُرَاةٌ فَأَكْسُهُمْ، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ» أخرجه مسلم (١).

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٦٣).

فتدلل إلى ربه؛ وبكى بين يديه، وشكا الحال إليه، فنزل جبريل معه ألف من الملائكة، ثم أمدهم الله بثلاثة آلاف، ثم أمدهم الله بخمسة آلاف، كل ذلك نصرة لأوليائه من الرب ﷺ، وكان يكفي ملك واحد، فجبريل له ستمائة جناح، بطرف جناحه رفع خمس قرى من قرى قوم لوط، ثم قلبها عليهم، ولكن الله فرح باجتماع المسلمين، وخرجهم لنصرة الله ورسوله ودينه وظهور ذلتهم أمام ربهم ﷺ، وافتقارهم إليه، حيث لا عدد ولا عدة، فجاء النصر الكامل، حسب الإيوان الكامل.

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا وإياكم الإيوان الكامل، وأن يحقق للمسلمين النصر على أنفسهم أولاً، والنصر على عدوهم ثانياً: ﴿ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ومن أسباب النصر: التقوى: ﴿ وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾ [آل عمران/ ١٢٠].

ومن أسباب النصر اجتماع الكلمة وعدم التفرق: ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران/ ١٠٣].

وقد نصر الله القرن الأول لما كملت وجاءت فيهم الصفات التي يحبها الله، فقد زكى الله عقيدتهم وأعمالهم فقال: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ [٣] أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ [٤] ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وزكى منهجهم: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًا نَقَّشَهُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: ٢٣].

وقال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ  
لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ [النحل: ٨٩].

وقال النبي ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قُرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ» متفق عليه (١).  
فالقرن الأول اتصفوا بصفات أعزهم الله ونصرهم بسببها.

فيهم التوحيد والإيمان، وفيهم العبادات، وفيهم الدعوة إلى الله، وفيهم الأخلاق  
العالية، فلما كملت فيهم الصفات؛ نصرهم الله على أعدائهم، وفتح قلوب الخلق لهم:  
﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ السَّابِقِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِهِمْ لَبَدَّةٌ أُولَئِكَ  
عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ  
الْعَظِيمُ﴾ ﴿١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠].

ومن أعظم أسباب النصر: الإخلاص، وحسن متابعة النبي ﷺ: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ  
فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ﴿١١٠﴾ [الكهف: ١١٠].

وعدم مخالفة الرسول ﷺ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ  
الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿١١٥﴾ [النساء: ١١٥].  
وقال ﷺ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١٣﴾  
[النور: ٦٣].

والله سبحانه خلق الجن والإنس، وجعلهم مختارين، وعرفهم بالحق، ورجبهم فيه،  
وعرفهم بالباطل، وحذرهم منه: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ  
إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي  
الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ ﴿٢٩﴾ [الكهف: ٢٩-٣٠].  
﴿فَضِيحُ الْجَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ ﴿٣٠﴾ [الكهف: ٢٩-٣٠].

فصار الناس بعدم معرفتهم للحق فريقين: مسلمون وكفار، موحدون ومشركون، أبرار  
وفجار، فابتلى الله بعضهم ببعض، وسلط بعضهم على بعض؛ ليظهر وعده في نصر  
أوليائه، ويظهر كمال قدرته في تدمير أعدائه ونصر أوليائه، كما فعل بمن رد الحق وكذب

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٦٥١) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٣٣).

رسله، كقوم نوح، وعاد، وثمود، وفرعون وقومه، وغيرهم، حيث أهلكهم الله وأنجى رسله ومن آمن بهم: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٤٠].

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر/ ٥١].

فإن الله ﷻ ينصر رسله وأوليائه إذا حققوا ما أراد الله، ويدمر من عاند رسله، وكفر بما جاءوا به: ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْبِهِ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ أَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْتَهُ جُودَهُ فَنَبَذْتَهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَنتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾ [الذاريات/ ٣٨-٤٢].

هذا فعل الناصر بمن استكبر عن دينه: ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمُ تَمَعُّبُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصَرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الذاريات/ ٤٣-٤٦].

فإن الله ﷻ يظهر قدرته في نصر أوليائه، وفي عظمة خلقه: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمُهَدُّونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الذاريات/ ٤٧-٤٩].

فما الحل؟ ما سبيل النجاة؟ ما سبيل الفوز؟: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

فإن الله ﷻ يظهر قدرته لعباده؛ حتى يتوكل المؤمنون عليه، ويستعينوا به، ولا يلتفتوا لأحد سواه: ﴿أَفَأَمَرَ يُنظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَالْقِيَامَةَ فِيهَا رَسُولِي وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرًا لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦-٨].

فإن الله سبحانه فطر الخلق على التوحيد، وابتلاهم بالشهوات التي يحبونها، والأوامر التي يجبها جل جلاله.

فكل إنسان مبتلى بثلاثة أمور:

بالأوامر الملكية الشرعية من ربه، وبالمصائب القدرية، وبالشهوات الحيوانية.

فمنهم من قبل الحق، وآمن بربه، ودعا إليه، ومنهم من كفر به، وحارب أوليائه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ [النحل / ٣٦].

وأهل الحق يعملون بالحق، وينهون عن الباطل، ويغزون ويفتحون البلاد من أجل نشر الحق بين الخلق، من أجل لا إله إلا الله أن تدخل في قلوب الناس، ومن أجل محمد رسول الله أن تتزين بها أجساد الناس: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ۗ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُهُ وَحْدٌ ۗ وَلِيَذُكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٥٦﴾ [إبراهيم: ٥٦].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨].

والله سبحانه ينصرهم، ويؤيدهم، ويحفظهم، ويفتح بهم قلوب العباد للتوحيد والإيمان والتقوى: ﴿وَلِيَنْصُرَكَ اللَّهُ مَنِ يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٤٠﴾ [الحج / ٤٠].

أما أهل الباطل فيغزون البلاد لإفساد أهلها أولاً، ثم الاستيلاء عليها وعلى ثرواتها ثانياً؛ فأعداء الإسلام قد أحكموا الأففال على المسلمين حتى لا يعودوا إلى دينهم؛ فاجتهدوا على إفقارهم، وإضلالهم، وإفسادهم، وإذلالهم، فإن لم يخضعوا لذلك فليس عندهم إلا تدميرهم: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَكُم حَتَّى تَرُدُّوكُم عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُم عَن دِينِهِ فَيَمُتْ ۖ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿١٧﴾ [البقرة: ٢١٧].

فأعداء الدين وأهل الباطل يغزون البلاد؛ لإفساد أهلها أولاً، ثم الاستيلاء عليها وعلى ثرواتها ثانياً؛ ولهذا شرع الله الجهاد لإقامة الحق، وزوال الباطل؛ حتى يُعبد الله وحده، ويكون الدين كله لله، ويتحقق مراد الله من خلقه بالتوحيد والإيمان والعبادة: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ۖ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ ﴿٣٩﴾ [الحج / ٣٩].

﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة / ٣٦].

وذلك من أجل لا إله إلا الله، لا من أجل سفك الدماء، فسفك الدماء ليس مقصوداً؛ المقصود فتح الأبواب للدعوة والهداية لتدخل في قلوب الناس: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ آنهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

فلا بد من جهاد الكفار باللسان والسنان، حتى يكون الدين كله لله: ﴿بِتَأْيِيدِ النَّبِيِّ جَهْدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْطِ عَلَيْهِمْ وَمَا وَهُمْ بِهِمْ وَمَا وَهُمْ بِهِمْ وَيَسِّرْ الْمَصِيرُ﴾ [التحرير / ٩].

• والجهاد في الإسلام ينقسم إلى قسمين:

الأول: جهاد حسن لذاته؛ وهو: الدعوة إلى الله: ﴿فَلَا تُطِيعُ الْكُفْرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان / ٥٢].

الثاني: جهاد حسن لغيره؛ وهو القتال في سبيل الله؛ لأنه يفضي إلى فتح الأبواب للدعوة إلى الله؛ لينشروا الدين بين الخلق.

ومدة الجهاد؛ جهاد الكلمة، و جهاد الدعوة استغرق ثلاثة وعشرين عاماً، أما مدة الجهاد والقتال في سبيل الله فمدته أربعة أيام وأربع ساعات كما هو محفوظ في كتب السنة.

والله سبحانه ينصر من نصره دينه وجاهد في سبيله؛ فإذا جاء هذا اليقين؛ نصر الله أوليائه على أعدائه: ﴿وَكَفَىٰ بَرِّيكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان / ٣١].

وجهاد الدعوة إلى الله مأمور به مطلقاً، و جهاد القتال في سبيل الله مأمور به إذا دعت الحاجة إليه، لأن جهاد الدعوة له كل الوقت: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ

بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

ومن سنة الله أن يظهر نصرته لأوليائه في الدنيا، وقد يؤخرها في الآخرة: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غافر / ٥١].

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم / ٤٢].

ونصرة الله لأوليائه بحسب إيمانهم وتقواهم، لا بحسب عددهم ولا عدتهم، وبحسب الاعتصام بالكتاب والسنة: ﴿بِتَأْيِيدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ

مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴿٧﴾ [آل عمران/ ١٠٢-١٠٣].

وجمع الناس على الإسلام من غير اعتصام بالكتاب والسنة لا تتحقق به النصر، كما هو حاصل الآن؛ فلا بد من الاستقامة على الدين، ثم إعداد القوة، ثم بعد ذلك النصير ينزل نصره على من يستحق النصر!

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد / ٧].

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم / ٤٧].

والنصير سبحانه من سنته أنه إذا أراد نصر عبده أذله له؛ لينكسر بين يديه، ثم ينزل نصره عليه، ويخذل عدوه: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٢٣].

فخلعة النصر عظيمة، خلعة النصر مقرونة بالذل لله؛ فيكسر الله عبده أولاً، فإن أظهر الافتقار نصره وأعزه؛ ولهذا في القرآن: ﴿رَبِّكَ أَفْرَعُ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴿٢٥٠﴾﴾ [البقرة / ٢٥٠].

وإذا افتخر الناس بقوتهم وسلاحهم؛ خذلهم الله: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾ [التوبة: ٢٥].

فالنصر المطلق بيد الله الناصر النصير وحده لا شريك له.

وكل ذرة في الكون من جنود الله، خاضعة لأمره، ومستجيبة لمشيئته ومسرعة إلى إراداته: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَزِيْرًا حَكِيمًا ﴿٧﴾﴾ [الفتح: ٧].

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ [الفتح: ٤].

فالنصر والنصرة بيد الناصر وحده لا شريك له، ومن استنصر بغير الله من مال، أو قوة، أو قبيلة؛ أو دولة خذله الله من جهة ما تعلق به: ﴿إِن يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران / ١٦٠].

وفي غزوة تبوك كانت الثمار يانعة، والحر شديدًا، والمكان بعيدًا، وسمى الله هذا الجيش



جيش العسرة، فتثاقل بعض الناس؛ فقال الله للمهاجرين والأنصار: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة/ ٣٨].

فالناصر الذي نصر رسوله وقت الضعف والقلة والخذلان غني عن نصره أحد، والذي نصره وقت القلة كيف لا ينصره وقت الكثرة والقوة؟ فنصرة الله في الغار لنبيه ﷺ بأن ثبته وربط على قلبه وأنزل سكينته عليه: ﴿إِلَّا نَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: ٤٠].

والله سبحانه مع الصابرين، ويجب الصابرين: ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الروم/ ٦٠].

والله مع الصابرين، يؤيدهم وينصرهم على من عاداهم، وينصرهم على أنفسهم أولاً، وعلى أعدائهم ثانياً: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة/ ١٥٣].

فمن أراد أن يتصر على نفسه، وعلى الشيطان، وعلى جميع الأعداء؛ فعليه بالصبر والتوكل على الله: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود: ١٢٣].

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥].

والفلاح مقرون بالصبر: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران/ ٢٠٠].

## التعبد لله ﷻ باسمه النصير.. الناصر

لا شك ولا ريب أن النصر كله بيد الله وحده لا شريك له، بيده مفاتيح النصر كلها: النصر على النفس، والنصر على الشيطان، والنصر على الأعداء، والنصر على الجوع، والنصر على الخوف، والنصر على الظلمة.

وأنت أيها المسلم سَلْ ربك أن ينصرك على نفسك؛ لتستقيم على طاعة الله، وأن ينصرك على هواك؛ لتستقيم على هدى ربك، وأن ينصرك على جميع أعدائك من الشياطين والكافرين والظلمة والطغاة: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقد بين الله ﷻ لعباده المؤمنين أنه لا ناصر لهم دونه، ولا معين لهم سواه؛ وذلك لتتوجه قلوبهم له، ويرفعوا أكف الضراعة إليه، فيستجيب لدعائهم وينصرهم على من عاداهم، فتوجه في جميع أمورك إلى مولاك الملك الحق، الملك القادر، فإنه نعم المولى ونعم النصير: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة / ١٠٧].

الذي ينصرك على نفسك، وعلى عدوك، وعلى المرض، وعلى الخوف، وعلى كل شيء، هو وليك جل جلاله: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١].

واعلم أنه إذا نقص إيمان المؤمنين فعصوا ربهم لا يتحقق لهم نصر، بل يتسلط عليهم أعداؤهم بسبب ذنوبهم: ﴿أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران / ١٦٥].

واعلم يقيناً أن النصير والناصر مع أهل الإيثار والطاعات، وأن الخذلان والهزيمة والحرمان لأهل الكفر والمعاصي: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْهُمْ وَيُنِيبُ أَقْدَامُكُمْ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصَلَّ أَعْمَلُهُمْ ۗ﴾ [٨] ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ۗ﴾ [محمد / ٧-٩].

فليجتهد عبد الناصر وعبد النصير على زيادة إيمانه، وحسن أقواله وأعماله، وحسن عبادته لربه؛ ليجتهد على زيادة إيمانه كل يوم بالنظر في الآيات الكونية، والآيات

الشرعية، والاستقامة على أوامر الله، والتفكير في أسماء الله وصفاته وأفعاله، حتى يأتي الإيمان في القلب: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

واحذر أن ينقص إيمانك، فتقع في المعاصي، ثم تحرم النصر وبركة الرزق، فمن قصر في الحال أخذ في الحال: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ، وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾ [النساء/ ١٢٣].

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بِبَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١١﴾﴾ [الأعراف: ٩٦].

واعلم أن المسلمين لن يُنصروا على العدو الظاهر حتى يتصبروا أولاً على العدو الباطن، وهو النفس والهوى والشیطان والدنيا؛ فهذه الأربعة من أعدى أعداء الإنسان؛ فلينتبه العبد لذلك؛ فمن انتصر على هؤلاء نصره الله على عدوه الخارجي: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

• علامات انتصار الإنسان على نفسه خمسة أمور:

فعل الأوامر .. واجتناب النواهي .. والحمد على النعم .. والصبر عند البلاء .. والاستغفار من الذنوب ..

فمن حقق هذه الأمور الخمسة؛ فقد انتصر على نفسه، وصار أهلاً لأن ينصره الله على عدوه، ولا شك أن المؤمن منصور أبداً، فإذا ضُعب الإيمان نقصت الطاعات، ثم زادت المعاصي؛ فصار لعدو المؤمنين من السبيل عليهم بقدر ما نقص من إيمانهم: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ، وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾ [النساء/ ١٢٣].

فالإيمان والأعمال الصالحة من أعظم جنود الله التي يحفظ الله بها عباده المؤمنين، فإذا ضعف الإيمان ونقصت الأعمال الصالحة؛ فقد جعلوا لعدوهم السبيل عليهم بما تركوه

من طاعة الله ﷻ؛ فلنعلم هذه السنة من ربنا ﷻ، لتكون على بينة من الأمر: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٨) وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ [آل عمران/ ١٣٨-١٣٩].

فانصر رحمك الله دين الله بالإيمان به، والعمل به، والدعوة إليه، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، ولا ينجيك من الخسار والعذاب إلا هذا: ﴿وَالْعَصْرُ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر/ ١-٣].

وانصر كذلك إخوانك المؤمنين، الظالم منهم والمظلوم، الظالم تكفه عن الظلم، والمظلوم تأخذ حقه من الظالم وتعطيه إياه إن قدرت: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١١٤) [النساء/ ١١٤].

وقال النبي ﷺ: «انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.

واعلم وفقك الله لما يقربك إليه أنه لا يكون مخلوق إلا من خالق، ولا يكون مغلوب إلا من غالب، ولا يكون منصور إلا من ناصر: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر/ ١٣].

فالأمور كلها بيد الله ﷻ، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

واعلم أن النصر عزيز، فاطلبه من الناصر بأسبابه المشروعة، وإذا أردت أن تكون غالباً لأعدائك؛ فعليك بالجهاد والمجاهدة في سبيل الله، بفعل كل ما يحبه الله ويرضاه من الإيمان والتقوى: ﴿فَلِذَلِكَ فَادِّعْ وَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنَا﴾ [الشورى/ ١٥].

وقد ربط الله ﷻ الهداية بالجهاد والمجاهدة، فاحمل نفسك على طاعة مولاك: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦٦) [العنكبوت/ ٦٩].

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٤).

فأكمل الناس هداية، وأحسنهم استقامة، أعظمهم جهاداً في سبيل الله، جهاد الدعوة إلى الله، وجهاد القتال في سبيل الله، لمن عادى أولياء الله، وآذاهم وسفك دماءهم. وأفرض الجهاد جهاد النفس على طاعة الله، وحبسها عن معصية الله، وجهاد الهوى، وجهاد الشيطان، وجهاد الدنيا: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت/ ٦].

فالله مع المؤمن ينصره على نفسه، وعلى عدوه، وإذا جاء الإيمان الحقيقي؛ جاءت النصره الحقيقية من الله ﷻ، فمن استعان بالله، وجاهد هذه الأربعة في الله؛ هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى الجنة ورضاه: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّثْلَ أَيْكُمُ الْإِسْرَائِيلَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج/ ٧٨].

فمن انتصر على هذه الأربعة؛ نصره الله على عدوه، ومن انتصرت عليه؛ غلبه عدوه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس/ ٧-١٠].

ولا شك أن الشيطان جاء إلى المسلمين، وجاء إلى من هم على الصراط المستقيم يزين لهم؛ فاحتل قلوبهم، ثم جاء الأعداء فاحتلوا بلادهم، ولا تزال البلاد محتلة ما دامت القلوب معتلة بحب الدنيا، والهوى، واتباع الشيطان، واتباع شهوات النفس، فلا بد من الانتصار أولاً على النفس، وأكبر إله معبود من دون الله هو النفس، والهوى الموجود في هذه النفس، فالنفس تريد تحقيق محبوباتها من الشهوات، والله يريد تكميل أوامره الشرعية، فمن انتصر على نفسه؛ نصره الله على عدوه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

ولنعلم علم اليقين أن كل مؤمن انتصر على نفسه وهواه، ونصر دين الله، وجاهد في سبيله؛ فهو منصور في الدنيا والآخرة، وعدوه مخذول: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر/ ٥١-٥٢].

وكل أحد أعرض عن ربه، وعصى الله ورسوله؛ فهو مغلوب مذموم مخذول في الدنيا والآخرة: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ (الإسراء / ٢٢).  
مذمومًا: لا حامد لك، مخذولًا: لا ناصر لك.

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ (الشعراء / ٢١٣).

فهذا الكافر الذي عصى الله مغلوب في الدنيا بحياة الضيق والنكد والمعيشة الضنك، وركوب الدنيا عليه، وتسلط الشيطان عليه، فأينما يوجهه لا يأتي بخير، بل يأتي بكل شر وفساد، وهو يظنه خيراً وصلاًحاً: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ (الكهف / ١٠٣-١٠٥).

والشياطين تهديه إلى سبل الضلال، وتصرفه عن كل حق، وهو يظن أنه على هدى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (٣٦) ﴿وَأَنَّهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (الزخرف / ٣٦-٣٧).

وهو مغلوب في الآخرة؛ لأنه عمي في الدنيا عن سماع الحق، واستكبر عنه، وأطلق جوارحه في معصية الله، فقيدت جوارحه بالسلاسل يوم القيامة، وقذف به في نار السعير، ونُسي في العذاب كما نسي دين الله في الدنيا: ﴿فَأَمَّا يَا أَيُّتَكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (١١٣) ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشُرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (١١٤) ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَد كُنْتُ بَصِيرًا﴾ (١١٥) ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْنَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ (طه / ١٢٣-١٢٦).

نسأل الله ﷻ أن ينصرنا على أنفسنا لنكون أهلاً لنصرة الله ﷻ لنا على أعدائنا، ونصر الله ﷻ قريب لمن استقام على دينه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٠) ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ (٣١) ﴿تُرَاوُ مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ﴾ (٣٢) [فصلت: ٣٠-٣٢].

والأمة الآن الله ﷻ ابتلاها بهذه المصائب الكبرى؛ لأنه يريد أن يظهر دينه، ويريد من عباده أن يعودوا إليه، فما ابتلى إلا ليعافي، وما منع إلا ليعطي، وما قبض إلا لبيسط:

﴿وَلْيَنْصُرَكَ اللَّهُ مِنْ يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٤٠﴾ [الحج: ٤٠].

فمفاتيح الخير ومفاتيح الشر معلومة، فإذا أخذنا بمفاتيح النصر، فتح الله لنا القلوب والبلاد، وإذا تركناها تولى الشيطان وجنوده إدارة أنفسنا وإدارة بلادنا، وإذا قمنا بالدعوة إلى الله سيرنا العالم كله بالهدى، وإذا تركنا الدعوة إلى الله سيرنا أهل الباطل بالعصا: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ ﴿١٦﴾ [الأحزاب / ٦٢].

والله سبحانه لا يقضي قضاءً إلا وهو خير لعبده المؤمن، الله سبحانه شكور يحب الشاكرين، ويشكر الشاكرين، ويذكر الذاكرين، ويحب من دعاه، وينصر من نصره، ولا يضيع عنده عمل المحسنين، يقبل القليل من العمل، ويثيب عليه الثواب العظيم من الأجر: ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ ﴿٧٨﴾ [الحج / ٧٨].

فلا بد من اليقين على ذات الله، وأسماؤه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة، ومن حسن ظنه بربه فقد أفلح ونجا، ومن ساء ظنه بربه فقد خسر وهلك: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩].  
والمؤمن إذا عرف ربه باسمه النصير والناصر؛ أحبه وسعى في مرضاته، وشكره على إحسانه وعونه، فهو سبحانه الذي أنعم علينا بنعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهداية، فالحمد لله رب العالمين: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

هو الذي يشفي المريض، ويغني الفقير، وينصر المخدول، ويجب المضطر، ويكشف السوء: ﴿وَمَا يَكُمُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ [النحل / ٥٣].  
ومن عرف ربه باسمه النصير؛ أفردته بالعبادة وحده لا شريك له، وتوكل عليه وحده، واستعان به وحده: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۗ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٢٥٥﴾ [البقرة / ٢٥٥].

ومن هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿هُوَ

أَلْحَىٰ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ [غافر/ ٦٥].  
 فالتعرف على اسم الله الناصر، يملأ القلب طمأنينة، ويُستنصر به في كل حال من أحوال  
 العبد التي تمر عليه لتربيته وترقيه.

ومن عرف الله بأسائه الحسنی، وصفاته العلی؛ استحيا من ربه العزيز الكريم الذي  
 خلقه وسواه، وأنعم عليه بكل نعمة، الذي إذا سأله أعطاه، وإذا استعان به أعانه، وإذا  
 استغفره غفر له، وإذا استنصره نصره، فداوم على ذكره وشكره وحسن  
 عبادته: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ  
 وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

ومن عرف الولي النصير؛ اطمأن قلبه بذكره، وأيقن بكفايته لمن آمن به، وأحسن الظن  
 بالله، ولم يبال بأحد سواه، وتوكل على مولاه النصير، مع الأخذ بالأسباب المشروعة، ولم  
 يبال بقوة الكفار والأعداء، لأنهم ضعاف أمام قوة القوي العزيز: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا  
 غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران/ ١٦٠].

أبرهة وجيشه مع الفيل حشرة أمام قدرة الله، أهلكتها بأضعف مخلوقاته الطير الأبايل،  
 فرعون أمام قوة الله حشرة لا تساوي شيئاً، أغرقه الله بما لا يستغني عنه وهو الماء.  
 قوة النار بيد الله ﷻ جعلها الله برداً وسلاماً على إبراهيم؛ لأنه نصر دين الله، ومن نصر  
 دين الله نصره الله ﷻ.

والنصر مقرون بالصبر، فمن صبر على الأذى والظلم نصره الناصر الذي يجب العدل  
 والإحسان ويأمر به: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِإِنْتِهَابِ ظُلْمِ اللَّهِ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ  
 لَقَدِيرٌ﴾ [الحج/ ٣٩].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران/ ٢٠٠].

﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءَالَفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ  
 مُسَوِّمِينَ﴾ [١٢٥] وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنُظْمِنَ قُلُوبَكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ  
 الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٥-١٢٦].



وقال النبي ﷺ: «وَأَعْلَمُ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ» أخرجه أحمد<sup>(١)</sup>.

ومن عرف أن ربه هو القوي النصير الناصر نصر دينه وكتابه وسنة رسوله ﷺ، ولم يخف في الله لومة لائم: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود/ ٥٦].

فمن عرف النصير الناصر نصر دينه وكتابه وسنة رسوله ﷺ؛ لأن النصير معه جل جلاله يؤيده ويحفظه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة/ ٤٠].

وكما قال لموسى وهارون حين أرسلهما إلى فرعون: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه/ ٤٦].

فالله ﷻ من سنته أن ينصر أوليائه ورسله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَ بِنَا أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة/ ٢١].

• وتوحيد الله باسمه النصير يقتضي:

التوكل عليه.. والاعتصام به.. ومحبته.. وطاعة الله ورسوله.

ومن وحد الله بهذا الاسم العظيم حفظه ونصره ممن كاده.

قال النبي ﷺ: «أَحْفَظُ اللَّهَ يَحْفَظُكَ، أَحْفَظُ اللَّهَ تُحَدِّثُكَ مُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعْنِي بِاللَّهِ، وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» أخرجه الترمذي<sup>(٢)</sup>.

فالمؤمن يأخذ بشرع الله، ويؤمن بقضاء الله وقدره، وهذا هو توحيد الشرع والقدر،

وهذا هو توحيد العبادة الذي يريده الله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥٦] مَا

أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾

[الذاريات: ٥٦-٥٨].

وهذا التوحيد مبني على توحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، الذي أمرنا الله بتعلمه قبل

العبادة: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

مُنْقَلَبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ﴾ [محمد/ ١٩].

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٨٠٣).

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦).

وهذه آية في سورة مكية، نزلت بعد البعثة بعشرين سنة، والله ﷻ يأمر النبي ﷺ أن يتعلم لا إله إلا الله، فعلم التوحيد والإيمان مستمر مع العبد من حين يعقل إلى أن يلقي الله، أما علم الأحكام فهو محفوظ، وقد اكتمل في ثلاث وعشرين سنة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

والمؤمن إذا نصره الله وهذه اشتغل بالشناء على الله، وشكره وحمده، وانكسر حياءً من الله، ولا يعجب ويفخر بما حصل له، بل ينسب كل ما أكرمه الله به إلى ربه الكريم الناصر النصير، كما دخل النبي ﷺ مكة في عام الفتح وهو يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَنْجَزَ وَعَدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ» أخرجهم مسلم<sup>(١)</sup>.

والنبي ﷺ أعرف الخلق بربه، وأعبدهم له، قال عنه ربه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

فالخلق مركوب، والراكب محمد ﷺ، فنعم الراكب والمركوب.

نسأل الله ﷻ أن يرزقنا وإياكم هذا الخلق العظيم الذي نستحق به رضا الله ﷻ واللجنة والنصر على الأعداء، والسعادة في الدنيا والآخرة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة/ ٧٢].

والنصر والغلبة التي أكرم الله بها رسله وأوليائه نوعان:

نصر بالسيف والسنان .. ونصر بالحجة والبرهان؛ فكل الأنبياء والرسل نصرهم الله بالحجة والبرهان، وأظهر الحق الذي أرسلهم به، وأما النصر بالسيف والسنان؛ فقد نصر الله به من كتب وشرع لهم القتال، وهم تقريباً أربعة من الأنبياء والرسل، الأنبياء والرسل مائة وأربعة وعشرون ألفاً، لم يقاتل منهم إلا أربعة، فالأصل جهاد الدعوة الذي نتصر به على النفس، ونتصر به على الأعداء، وفتح القلوب مقدم على فتح البلاد؛ ولهذا أحر الله فتح مكة؛ حتى انفتحت قلوب أغلب أهلها للحق والتوحيد والإيمان، ثم فتح الله بعد ذلك مكة.

(١) أخرجهم مسلم برقم (١٢١٨).

ولهذا فالفتح الأعظم: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ۝٣﴾ [الفتح: ١-٣].

هذا الفتح كان في صلح الحديبية، كان قبل فتح مكة بسنتين.

فكل الأنبياء والرسل نصرهم الله بالحجة والبرهان، وهي المقصودة شرعاً، وأظهر الله الحق الذي أرسلهم به، وأما النصر بالسيف والسنان؛ فقد نصر الله من كتب وشرع لهم القتال، ولم يُقتل نبي في معركة أبداً، ومن قُتل من الأنبياء قُتل غدرًا.

فسبحان ربنا الكريم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السموات والأرض، ينصر أوليائه المؤمنين، ويخذل أعداءه الكافرين.

ومن عادى أولياء الله من الأنبياء والرسل، ومن أهل الدعوة والخير والتقوى، فقد استجر خذلانه بفعله.

قال الله ﷻ في الحديث القدسي: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا؛ فَقَدْ آذَنَتْهُ بِالْحَرْبِ» أخرجه البخاري (١).

ومن حاربه الله فهو مهزوم قطعاً.

وأولياء الله من الأنبياء وأتباعهم يطلبون النصر من الناصر النصير وحده لا شريك له، فنوح ﷺ دعا ربه أن ينصره فنصره: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانصُرْ ۝١٠﴾ ففَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدِيرٍ ۝١٢﴾ [القمر/ ١٠-١٢].

فأغرق الله قومه، وأنجاه ومن آمن معه.

ونصر الله موسى ﷺ بأن أغرق فرعون وجنوده: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرُكُونَ ۝٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٦٢ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ۝٦٣ وَأَزَلْفْنَا ثُمَّ الْآخِرِينَ ۝٦٤ وَأَبْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ۝٦٥ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ۝٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ۝٦٧ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٦٨﴾ [الشعراء: ٦١-٦٨].

فأنجى الله موسى ومن معه، وأغرق فرعون وجنوده.

ونصر الله إبراهيم ﷺ على النمرود: ﴿الَّذِي تَرَى إِلَى الْذِي حَاجَّ إِبرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).



﴿وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان / ١٩].

وقال الله ﷻ في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظْلَمُوا، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمَكُمُ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ، يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ...» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

فنسوي بين الأولاد في الهدايا والعطايا حسب الميراث، ونحسن المعاملة والمعاشرة. وكذا العدل بين الزوجات: ﴿يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَلِصَفْحَا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤].

ويقول ﷻ: ﴿وَلِيعَفَّوْا وَلِصَفْحَا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

ونعدل مع الناس عموماً: «انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» أخرجه البخاري<sup>(٢)</sup>. فاحذر الظلم كله بأنواعه، فالله لا ينصر ظالماً أبداً: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِي وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِّنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الشورى: ٨]. ومن نصر غيره بحق؛ نصره الله على من عاداه، وقيض له من ينصره، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه. قال النبي ﷺ: «هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضِعْفَائِكُمْ» أخرجه البخاري<sup>(٣)</sup>. ومن نصر مسلماً نصره الله، ومن خذله خذله الله.

والله سبحانه حكيم عليم، يؤخر النصر أحياناً؛ لأنه يريد من عباده أن يخرجوا أحسن ما عندهم، وهو التضرع والانكسار، والدعاء والاستغفار، والصبر ومحاسن الأخلاق: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَنْصُرِعُونَ﴾ [المؤمنون / ٧٦].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٣).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٨٩٦).

﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [٤٣] ﴿ [الأنعام: ٤٣].

﴿ حَقٌّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [١١٠] ﴿ [يوسف: ١١٠].  
 فالله يؤخر النصر لهذه الحكمة.

وقد يتأخر النصر من الله؛ لأن في العدو بقية خير عند بعض الناس، فيمهله حتى يخرج كل ما عنده من الشر، العدو قد يكون له بعض المحاسن التي يراها بعض الناس، فالله يمهله هذا العدو، حتى يخرج كل ما عنده من الشر؛ فيسقط من عين الله، ويسقط من أعين الخلق، فيقاتل بالقلوب مع القوالب؛ فيتم النصر حينذاك.

فيجب علينا أن نتعلق بالله وحده، ولا نتعلق بغير الله، فالله هو الذي خلقنا وهدانا وكفانا، وهو على كل شيء وكيل، فلتتوكل على الله الناصر النصير جل جلاله، ونتعلق به وحده: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ [٢] ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [٣] ﴿ [الطلاق / ٢-٣].

ومن تعلق بغير الله عذب به: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴾ [١١٣] ﴿ [الشعراء / ٢١٣].

### • والتعلق بغير الله ثلاثة أنواع:

الأول: أن تتنازل عن كل شيء من أجل من تعلقت به، وفي هذا التعلق إضاعة للدين من أجل من تعلق به: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءَأْمَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [٩] ﴿ [المنافقون: ٩].

الثاني: أن يشغله هذا التعلق عن التفكير في الله والدار الآخرة، وأسباب الفلاح في الدنيا والآخرة، فينشغل بذلك التعلق عن التفكير في الله، والدار الآخرة، والأعمال الصالحة، وأسباب الفلاح في الدنيا والآخرة: ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [٢٨] ﴿ [الكهف / ٢٨].

فالذي يتعلق بغير الله يتعذب به: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي

مِنْ تَحِبِّهَا الْأَتَهَرُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾

[محمد: ١٢].

الثالث: أن يكون كل وقت الإنسان يتحدث به عمن تعلق به من مال، أو تجارة، أو صيد، أو زراعة، أو صناعة أو تجارة، أو لهو ونحو ذلك.

والأصل أن يذكر الله، أن يذكر العبد ربه في كل أوقاته، ويكثر من ذكره، ويُذَكِّرُ بالله ودينه وشرعه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسِيِّئُهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾

[الأحزاب/ ٤١-٤٢].

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

فإذا استعمل الإنسان هذه الطاقات في الذكر، والثناء على من تعلق به مما سوى الله أضاع أوقاته وخسر دنياه وأخراه، وهذه كلها مذمومة: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءِذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

فاللهم إنا نعوذ بك من التعلق إلا بك، ومن التوكل إلا عليك، ومن الحب إلا لك وفيك، على الله توكلنا، وإليه أنبنا، وإليه المصير: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَايَتُوكَلِّ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن: ١٣].

وما يجري في العالم اليوم من الأحداث الجسام، وسفك الدماء، والرعب والخوف إنما هو تمهيد لكس الباطل من العالم، وإزالة النفوس الفاسدة وإظهار النفوس الطيبة، التقية، النقية، الزكية بالإيمان والتقوى، والصالح والإصلاح: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَقَرُّحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾﴾ [الروم/ ٤-٥].

ويوم النصر قريب، والعاقبة للمتقين: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ ءَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤].

فالله أغير على العبد من نفسه، وهو ولي المؤمنين، ينصرهم على الظالمين: ﴿وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانِكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنفال: ٤٠].

نسأل الله أن ينصرنا على أنفسنا بالاستقامة على دينه، والدعوة إليه، وينصرنا على عدونا، وأن يجعلنا رحمةً للبشرية، نقول: لا إله إلا الله، ندعو إليها، ونؤمن برسول الله، ونتبعه في سنته، وفي فكره، وفي أقواله، وفي أعماله، وفي أخلاقه، وهذا هو مقصود الرب من خلقه، أن يؤمنوا به ويعبدوه، وأن يطيعوه وأن يرحمهم، وأن يرضى عنهم، وأن يدخلهم الجنة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من هؤلاء: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٤٧﴾ [آل عمران / ١٤٧].

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٣٥٠﴾ [البقرة / ٢٥٠].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٢٨٦﴾ [البقرة: ٢٨٦].

اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

اللهم انصر دينك، وكتابك، وسنة نبيك محمد ﷺ، وعبادك المؤمنين، فأنت نعم المولى، ونعم النصير.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وانصر عبادك المؤمنين، ودمر الطغاة والملحدين. اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا برحمتك واصرف عنا شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

## في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

### الباب الثاني عشر

ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية :

٥٣-٥٤-٥٥- اسم الله القادر.. القدير.. المقتدر.

التعبد لله عز وجل باسمه القادر.. القدير.. المقتدر.

٥٦- اسم الله اللطيف.

التعبد لله عز وجل باسمه اللطيف.

٥٧- اسم الله الخبير.

التعبد لله عز وجل باسمه الخبير.

٥٨-٥٩-٦٠- اسم الله الحكيم.. الحكم.. الحاكم.

التعبد لله عز وجل باسمه الحكيم.. الحكم.. الحاكم.

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسَيْنِيَّةِ

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

القادر.. القدير.. المقتدر

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله القادر.. القدير.. المقتدر

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السموات والأرض: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

الله ﷻ له أسماء جلال وأسماء جمال، ومن أسماء الجلال لله ﷻ التي تدل على عظمته وكمال قدرته: اسم الله القادر، والله ﷻ هو القادر القدير المقتدر، وهذه ثلاثة أسماء من أسماء الله الحسنى، القادر على كل شيء، القدير على كل شيء، المقتدر الذي لا يُعجزه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦].

• وقد ورد اسم الله القدير في القرآن في خمسة وأربعين موضعاً:

منها قوله ﷻ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك / ١].

وقوله سبحانه: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم / ٥٤].

• وورد اسم الله القادر في القرآن الكريم اثنتي عشرة مرة:

منها قوله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ لِسَانًا وَيُدْبِقَ بِكُمْ بِرَأْسِ بَعْضٍ أَنْظُرْ كَيْفَ نَضَّرَ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥].

• وقد ورد اسم الله المقتدر في القرآن الكريم أربع مرات:

منها قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ [٥٤] فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ [٥٥].

[القمر / ٥٤-٥٥].

وقوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ﴾ [٤١] كَذَبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ [٤٢].

[القمر / ٤١-٤٢].

واسم الله القادر اسم فاعل مشتق من الفعل قدر يقدر فهو قادر وقدير .

فهو سبحانه القادر على كل شيء أرادته، فلا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .

والقدرة صفة تقوم بالقادر بحيث يفعل ما شاء بلا عجز، وذلك لا يكون إلا لله وحده:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

• واسم القادر له معنيان :

الأول: من القدرة على الشيء، فالله قادر على كل شيء، وكل شيء خاضع لقدرته خلقاً وتدييراً لكمال قدرته، فالله له القدرة المطلقة، قادر على كل شيء، وكل شيء خاضع لقدرته، من العرش العظيم إلى أصغر ذرة في الكون .

الثاني: بمعنى المقدر لكل شيء، فالقادر سبحانه لكمال قدرته قدر المقادير من الخلق، قدر المقادير كلها في علمه، ثم كتبها في اللوح المحفوظ .

فسبحان من قدر أمور الخلق قبل إيجادهم، وشاء كل شيء قبل ظهوره، قدره في علمه أولاً، ثم كتبه، ثم شاء وقوعه، ثم أظهره: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات / ٢٣].

أي: المقدرون للخلائق، والآجال، والأرزاق، والأحداث، والحركات، والسكنات، والأقوال، والأعمال، والتصريف، والتدبير: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [٤٩] ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمِجٍ بَالْبَصَرِ﴾ [القمر / ٥٠-٤٩].

واسم التقدير صفة مبالغة لمن اتصف بالقدرة، وإذا وُصف بها المخلوق؛ فهي اسم لهيئة يتمكن بها من فعل شيء ما، وإذا وُصف بها الله ﷻ؛ فهي إثبات كمال القدرة المطلقة لله ﷻ، ونفي العجز عنه: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج / ٧٤].

والله سبحانه هو القادر التقدير الذي يتولى تنفيذ المقادير، ويخلقها على ما قدرها في سابق علمه، كما قال النبي ﷺ: «قَدَّرَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى السَّمَاءِ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

أما اسم الله المقتدر فهو اسم فاعل من اقتدر اقتداراً فهو مقتدر، والمفعول، مقتدر عليه، فكل ما يفعله الله ﷻ قادر عليه، هو القادر على كل شيء، المقتدر على كل شيء .

قادر على خلق الكبير وخلق الصغير، قادر على خلق العالم العلوي والعالم السفلي، قادر على خلق كل شيء جل جلاله، فالله ﷻ مقتدر، والمفعول مقتدر عليه، فكل ما نراه في الكون هو مقدور عليه، وهو قدر من أقدار الله ﷻ .

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٣).

والاقتدار سرعة التكوين بالقدرة: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدْرِ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلِمَةٍ بِالْبَصْرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٤٩-٥٠].

فسبحان الملك القادر على كل شيء: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البقرة/ ٢٠].  
هو سبحانه القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، المحيط بكل شيء، القدير الذي له القدرة المطلقة، والقدرة ذاتية للقادر سبحانه، لا تنفك عنه أبداً، فقدرته جل جلاله لا أول لها ولا آخر، ولا بداية لها ولا نهاية.

هو القادر على كل ما يريد، لا يمنعه مانع مما يريد، ولا يحول بينه وبينه عجز: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك/ ١].

فسبحان ربنا القادر على كل شيء، القدير الذي لا يخرج عن قدرته شيء، ولا يخرج عن علمه أحد، ولا يخرج عن رؤيته أحد، ولا يخرج عن سمعه أحد!، ولهذا أمرنا الله ﷻ أن نتعرف عليه وعلى أسمائه وصفاته؛ حتى نعرف من نعبد بكمال القدرة، بكمال العلم، بكمال الحكمة، بكمال الكرم، بكمال القوة، بكمال العزة: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِئَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

وإذا عرفتم القدير على كل شيء اتصلتم به؛ لأنكم ضعاف، وأعرضتم عن كل ما سواه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

• وكل مخلوق خلقه الله ﷻ مطبوع على أربع صفات:

ضعيف .. فقير .. عاجز .. محتاج.

فجميع الخلائق كلها ضعاف أمام قدرة الله ﷻ، وكلهم فقراء إلى الله في إيجادهم وفي تصرفهم وتدابيرهم، وكلهم عاجزون، وكلهم محتاج إلى من لا يحتاج.

والله ﷻ هو القادر على كل شيء، أما سائر المخلوقات فهي أمام قدرة الله كلها عاجزة.

• بل كل ذرة في الكون محتاجة إلى ثلاثة أوامر من القادر جل جلاله:

الأول: أمر الخلق والإيجاد.

الثاني: أمر البقاء؛ لورفع الله عنها أمر البقاء؛ لزالته وفنيتها.

الثالث: أمر التحريك والتسكين، والنفع والضرر.

فجميع المخلوقات ممالك في ملكه جل جلاله، وهو وحده القادر على كل شيء : ﴿ قُلِ  
 اللَّهُمَّ مَلِكٌ أَمْلِكُ تُوتِي الْمُلْكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ  
 تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦] .

ومن عرف القادر احتمى به ، وسأله القدرة؛ لأن الإنسان مطبوع على العجز  
 والضعف: ﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء/ ٢٨].

لماذا؟ حتى يظهر الله ﷻ له منته عليه، وحتى يقف بباب القادر على كل شيء؛ وهذا من  
 رحمة الله به : ﴿ إِنَّكَ اللَّهُ بِالنَّكَاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

من رحمة الله أن الله خلقه ضعيفاً؛ ليتوجه إلى ربه القوي في كل ما يحتاجه: ﴿ يَتَأَيَّأُ  
 النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ [فاطر/ ١٥].

والله ﷻ أظهر قدرته العظيمة، أظهر القدرة المطلقة التي تدل على كمال ذاته وأسمائه  
 وصفاته، أظهرها في كتابه المسطور ، وكتابه المنظور .

وكتابه المنظور أوسع كتاب، وهو هذا الكون العظيم، المليء بالمخلوقات العظيمة فهذا  
 الكون مظهر لقدرة الله، مظهر لعلم الله، مظهر لحكمة الله، مظهر لرحمة الله، فالذي ينظر  
 في هذا الكون ينظر إلى عظمة القادر، ينظر إلى عظمة أفعاله؛ فهذه الأفعال بقدرة الله ﷻ  
 أظهرها، بقدرته على كل شيء أظهر هذه المخلوقات من العدم إلى الوجود، ولما أظهرها  
 حكمها، فهي ملكه، وتحت تدبيره وتصريفه : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ  
 كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٢٠] .

فالله أظهر قدرته في خلق المخلوقات كلها؛ حتى نعرف أن الخالق العظيم الذي نعبد  
 هذه أسماؤه الحسنى، وهذه صفاته العلى، وهذه أفعاله الحميدة، فلا أحد مثله: ﴿ لَيْسَ  
 كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى/ ١١].

يرانا إن تحركنا، ويسمعنا إذا تكلمنا، ويعلم بما في قلوبنا إن أضمرنا .

خلق الخلق العظيم في هذا الملك الكبير، وأرانا مخلوقاته التي تدل على كمال قوته، وكمال  
 قدرته، وكمال علمه: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ  
 الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر/ ٦٥].

الحمد لله على كمال أسمائه وصفاته وأفعاله، والحمد لله رب العالمين على جزيل إنعامه

وإحسانه، والحمد لله رب العالمين أن جعلنا من بني آدم، وأعطانا السمع والبصر والعقل؛ لنعرف به من نعبد .

والحمد لله رب العالمين أن هدانا للإسلام، والحمد لله رب العالمين أن جعلنا من خير أمة أخرجت للناس، فله الحمد كثيرا كما يُنعم كثيرا، وكما يعطي كثيرا : ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣٦) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجمانية: ٣٦-٣٧] .

فربنا ﷻ أظهر أسماءه وصفاته في كونه المنظور لنعرفه ونعبده وحده لا شريك له : ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٠١) [يونس / ١٠١] .

والنظر والتدبر من أعظم وسائل زيادة الإيمان : ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ [ق/٦-٨] .

وقال الله ﷻ : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴾ (٢٤) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعَبْنًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفِكَهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مِّنْعًا لَكُمْ وَلَا تَعْمِكُمْ ﴿٣٢﴾ [عبس: ٢٤-٣٢] .

﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ [الطارق: ٥-٨] .

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الغاشية/ ١٧-٢٠] .

هذا النظر يولد في القلب قوة الإيمان، ويولد في القلب حب الله ، وتعظيم الله؛ وشكر الله لما يرى القلب من عظمة ربه، وعظمة أسمائه وصفاته، فيخضع لأوامره الشرعية كما خضع قهراً لأوامره الكونية القدرية : ﴿ ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣] .

فالله خلق الإنسان بربوبيته؛ لأنه رب العالمين الذي خلق الخلق، وهو الذي يدبر

أمورهم، ويسوق أرزاقهم، فيخضع هذا العبد لشرعه كما خضع لربوبيته ، بطوله وعرضه ولونه، وجنسه من ذكر وأنثى : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] .

فالقلب إذا امتلأ بالإيمان؛ أحب الله ، وكبر الله، وتاب إلى ربه في كل آن؛ لما يعرفه من جلال الله وكبريائه، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظمة أسمائه وصفاته؛ فيتصاغر لكبريائه، ويحتمي به جل جلاله، ويقول: لا حول ولا قوة إلا بالله؛ فالعبد مفطور ومركب على الضعف والعجز؛ حتى يفتقر إلى القوي؛ لأنه ضعيف، ويفتقر إلى القادر؛ لأنه عاجز، ويفتقر إلى الغني؛ لأنه فقير، فهذا من رحمة الله بالخلق أن جعل فيهم صفات النقص؛ حتى يطلبوها عند من له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥] .

والله يحب أسمائه وصفاته، ويجب من اتصف بها من خلقه على شاكلة العبودية؛ فالله رحمن ويجب من يرحم الناس، «ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ؛ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ» أخرجه الترمذي<sup>(١)</sup>.

والله شكور يحب الشاكرين ، تواب يحب التوابين ، محسن يحب المحسنين .

والله رحيم يجب من ينفع الناس، فيعلمهم شرع الله، ويحسن إليهم بهاله، بعلمه، ويساعد فقيرهم، يواسي محتاجهم، وهكذا الله ﷻ يجب أسمائه وصفاته، ويجب من اتصف بها؛ لكن على شاكلة العبودية : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] .

فالإنسان يكون حليماً، والله ﷻ حليم، لكن حلم الله مطلق، وحلم الإنسان محدود مقدور حسب قدرة الإنسان، وهكذا في بقية الأسماء، فالله يعرفنا بأسمائه وصفاته؛ حتى نعبده بمقتضاها، ونتعبد لله ﷻ بموجبها : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

وهذه القلوب محل الإيمان والتقوى ، فلا بد لها من غذاء يصلها بخالقها .

(١) أخرجه الترمذي برقم (١٩٢٤).



• وغذاء القلوب في سبعة أمور:

أن تعرف الله .. وتعرف أسماءه .. وصفاته .. وأفعاله .. وخزائنه .. ووعدته .. ووعدته .  
فَتُقبل على الله بالعبودية، بالحب لله ، والتعظيم له ، والذل له .  
و فرق بين العبادة والعبودية؛ العبادة محدودة، الصلاة محدودة، والصوم محدود، والحج محدود، وقراءة القرآن محدودة، الذكر محدود .  
لكن العبودية أن يكون المسلم في جميع أوقاته عبداً لله؛ يعبد الله كأنه يراه ، إن تكلم تكلم بسنة، وإن سمع سمع بسنة ، وإن رأى رأى بسنة .

فكل أوقاته معمورة بالعبودية لله، فهو خارج الصلاة كما هو داخل الصلاة، سمعنا وأطعنا داخل الصلاة، وسمعنا وأطعنا خارج الصلاة: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٦١) ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٢) ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١٦٣) [الأنعام/ ١٦١-١٦٣].

ولهذا الله ﷻ أظهر أسماءه وصفاته وأفعاله في ملكه العظيم ، وفي كتابه الكريم؛ حتى نعرف من نعبده؛ وأن له الأسماء الحسنی ، والصفات العلی، فلا نلتفت لأحد سواه؛ بل نتعلق به وحده، فالإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٢) ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (٣) ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٤) [الأنفال: ٢-٤] .

فالله ﷻ أظهر قدرته في ملكه وسلطانه، فخلق العوالم العظيمة في العالم العلوي ، والعالم السفلي، وفي الدنيا والآخرة، وفي عالم الغيب، وفي عالم الشهادة، أظهر قدرته في خلق الكبير والصغير، والعالي والسافل، والجامد والسائل، والذكور والإناث : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِئَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (١٢) [الطلاق: ١٢] .

• أظهر الله قدرته في ستة أنواع من المخلوقات:

فخلق عالم الملائكة .. وخلق عالم الجن .. وخلق عالم الإنسان .. وخلق عالم الحيوان ..

وخلق عالم النبات .. وخلق عالم الجماد : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلِقُ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأَنْعَامُ: ١٠٢] .

• وخلق الظروف لهذه المخلوقات :

فالسّموات ظرف للملائكة، فما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك قائم أو راعع أو ساجد لله : ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ [١٩] ﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [٢٠] ﴿ [الأنبياء: ١٩-٢٠] .

والأرض ظرف للمخلوقات التي لا يعلمها ولا يحصيها إلا الله ﷻ، من عالم الجماد والنبات والحيوان والجن والإنسان، وغير ذلك من المخلوقات التي لا يحصيها إلا هو ، وأفضل ما في هذه الظروف هو الإنسان .

والفضاء كذلك ظرف لمخلوقات تعيش في هذا الفضاء منذ خلقها الله ﷻ، فأعظم الظروف هو العالم العلوي: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٥٧] ﴿ [غافر / ٥٧] .

فالعالم العلوي محيط بالعالم السفلي، والعالم السفلي الذي هو الأرض مملوء بالخلائق، وكل الخلائق في العالم العلوي والعالم السفلي الله ﷻ القادر القدير المقندر قهرها بقهر الربوبية، وخلقها على ما شاء كيف شاء، ويخلق في أي وقت شاء، بأي حجم شاء، وخلق كل مخلوق وقدر شكله ووظيفته وبقائه : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [٤٩] ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلِمَةٍ بِالْبَصَرِ ﴾ [٥٠] ﴿ [القمر: ٤٩-٥٠] .

فمظاهر القدرة في الكون عظيمة، الله ﷻ أظهر قدرته في خلق المخلوقات؛ حتى لا نتعلق بأحد سواه، فالقادر على كل شيء هو الذي يجب أن نعبد، ونترك كل شيء من أجله، ونبذل كل شيء من أجله، فنحن عبيده، والله خلقنا وهدانا واشترانا، وأنزل علينا الدين الكامل، وأراد منا أن نتصف بالصفات الجميلة التي يحبها الله : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [٣٥] ﴿ [الأحزاب: ٣٥] .

والخلق كلهم ملكه ، ولكنه لكمال رحمته اشترى أهل الصفات الجميلة التي يجباها :  
 ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّاجِدُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ  
 الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ  
 الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢] .

فهذا غذاء القلوب، إذا عرفت القلوب المعبود، وكانت في بحر العبودية؛ عاشت في ألد  
 نعيم، فهذه جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة .

وإذا عرف الإنسان ربه بأسمائه الحسنی ، وصفاته العلی ، استحيا من ربه؛ لكثرة ظلمه  
 لنفسه ، وتقصيره في عبادته، وكبره وعظمه ومجده وأثنى عليه؛ ولهذا أول سورة في  
 القرآن كلها حمد وتمجيد لله ﷻ : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة/ ٢]؛ على كمال  
 ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله .

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة/ ٢]؛ على عظمة ملكه وسلطانه .

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة/ ٢]؛ أن خلقنا في أحسن تقويم .

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة/ ٢]؛ أن هدانا للإسلام .

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة/ ٢]؛ أن أعطاني خيرا ، ومنع عني شرا .

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة/ ٢]؛ أن أنعم علي ، وأنعم على غيري .

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة/ ٢]؛ أن استضافني في بطن الأم ، واستضافني

في بطن الدنيا لأسعد بمعرفته وعبادته .

ويوم القيامة يستضيفني في القصور الملكية : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نِعِمَّا وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾ [٢٠] عَلَيْهِمْ  
 ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعًا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ رُبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [٢١] إِنَّ هَذَا كَانَ  
 لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإنسان: ٢٠-٢٢] .

فالقلب محل التوحيد والإيمان ، واللسان آلة الكلام ، والجوارح مصادر الأعمال .

فمعرفة أسماء الله الحسنی في باب التوحيد بمنزلة القلب من الجسد، وبمنزلة الروح من  
 البدن، وبمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قُطع الرأس لا قيمة للجسد .

ولهذا الله ﷻ في القرآن، مجد نفسه، حمد نفسه، وأثنى على نفسه، وأمرنا أن نتعرف عليه :  
 ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ

وَمُؤَنِّكُمْ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩] .

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤] .

فاعبده وحده ، ولا تذهب إلى غيره وأنت من ممالئكه وعبيده : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١] .

### • فمسائل الدين قسامان:

أغذية .. وأدوية.

فالأغذية؛ هي ما يملأ القلب بالتوحيد والإيمان من الأخبار الصادقة عن الله ﷻ، وعن أسمائه وصفاته وأفعاله ، وعن ملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٥] .  
أما الفتاوى ومسائل الأحكام؛ فهذه عبادات نتعبد لله ﷻ بها، والمطلوب العبودية، والعبادة مقوية لها؛ فنحن في العبادات المحدودة نقوي العبودية المطلقة التي يجب أن أتصف بها في كل أمر من أوامر الله، حين أقف بين يديه، وحين أقف بين يدي خلقه، في أي مجال ، وفي أي حال من أحوال المسلم أتخلق بهذه الصفات، وأمثل الأوامر التي أمر الله ﷻ بها : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [السجدة: ١٥] .

واسم الله القادر من أسماء الله العظيمة الشاملة التي أظهرها الله ﷻ في كتابه العظيم، وفي ملكه الكبير، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٤] .

هذه دلائل قدرته جل جلاله، ولا يجوز للعاقل أن يترك القادر ولا يقف في بابه، وأن يذهب إلى العاجز المحتاج: ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٧].

الله ﷻ: ﴿ أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [البقرة/ ١٦٤].  
فأنبتت الأرض ملايين أو مليارات المخلوقات، في كل ثانية ينبت مليارات النباتات على ظهر هذه الأرض بواسطة الماء النازل من السماء، والنابع من الأرض.  
هذه العوائل الكبيرة المختلفة من عالم النبات الذي يزيد على أكثر من أربعين مليون صنف، وكل صنف أمم وشعوب وقبائل، من حبوب، وخضار، وفواكه، وأعشاب، وكلها دالة على وحدانية الله، وشاهدة بكمال قدرته، ومسبحة بحمده، ومستجيبة لمشيئته، وخاضعة لأمره، ومسرعة إلى إرادته: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر/ ٦٧].

فسبحان من خضع لعظمته كل شيء من مخلوقاته: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [الحج: ١٨].

ربنا ﷻ هو القادر وحده على كل شيء، وضع اسمه القادر على السماء فاستقلت، وعلى الأرض فاستقرت، وعلى الشمس فأنارت، وعلى الرياح فهبت، وعلى المياه فسالت، وعلى الجبال فرست، وعلى اللسان فتكلم، وعلى الأذن فسمعت، وعلى العين فأبصرت: ﴿ نَبِّزَكَ أَسْمَ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن/ ٧٨].

فالله ﷻ قادر لا يحتاج إلى أحد، ولا يستعين بأحد، ولا يحتاج إلى أحد: ﴿ ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

هو الذي: ﴿ أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ﴾ [البقرة/ ١٦٤].

الدواب التي تأكل من تلك النباتات أكثر من مليون صنف على وجه الأرض، من البقر والإبل والغنم والحشرات والطيور، وأكثر من مليون صنف في عالم البحار، كم في المحيطات ، وفي البحار ، وفي الأنهار ، من المخلوقات التي لا يحصيها ولا يعلمها إلا الله: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِۦٓ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ [لقمان: ١١].

هذه المخلوقات العظيمة تدل على قدرة مطلقة، وعلى حكمة مطلقة، وعلى الخير المطلق، وعلى الرحمة المطلقة بأن جعل لنا هذه الضيافات العظيمة المفتوحة من عالم النبات نأكل ما شئنا، من عالم الحيوان نأكل ما شئنا، ومن عالم الأسماك نأكل ما شئنا، وفق الشريعة تناولاً وكسباً: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ [البقرة: ١٧٢].

فهذه المخلوقات تدل على عظمة القادر، فإذا عرفتم ذلك؛ فاعبدوه وحده لا شريك له؛ لأنه الخالق الذي خلقكم، والقادر الذي يقضي حاجاتكم، والرحمن الذي يرحمكم: ﴿ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ [البقرة: ١٦٤].

• الرياح التي بين السماء والأرض ثمان:

أربع في البر .. وأربع في البحر.. ورياح إسعاد.. ورياح عذاب .

وهذه الرياح تهب من الجهات الأربع ، ومن الجهات الفرعية ، بقدرة الله ﷻ، كما ونوعاً ووقتاً: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ [القمر: ٤٩-٥٠].

والرياح مبشرات وملقحات وحاملات: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لِعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ [الأعراف: ٥٧].

والرياح التي أرسلها الله ﷻ على قوم عاد ماذا فعلت بهم؟ دمرتهم ، وقلبت عليهم

ديارهم : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [القمر: ١٨-٢٠].

والسحاب المسخر بين السماء والأرض بحر من الماء، وبحر من الهواء، من ملأ الفضاء بهذا وهذا على مر الدهور؟ .

بقدرته سبحانه ملأ الفضاء بهذا الهواء الذي يأخذ منه الإنسان في كل يوم ثلاثمائة وستين مترًا مكعبًا هواءً نظيفًا، فبحر الهواء نحن نعيش فيه، ولو دخلنا إلى بحر الماء لمتنا، وكذلك بحر الماء تعيش فيه الأسماك، فهؤلاء إن دخلوا في بحر الهواء ماتوا، ونحن إن دخلنا بحر الماء متنا، والكل عبيده، والكل يسبح بحمده، والكل خاضع لعظمته، والكل مستجيب لمشيئته : ﴿ سُبْحٰنَهُۥ وَتَعَلٰى عَمَّا يَقُولُونَ عَلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْاَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ اِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلٰكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ اِنَّهٗ كَانَ حَلِيْمًا غَفُوْرًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٣-٤٤].

فكل سور القرآن ، وكل آيات القرآن ، إما أخبار صادقة تملأ القلب إيمانًا وحبًا وتعظيمًا للرب، أو أحكامًا عادلة يمثلها المسلم بعدما يعرف المعبود بأسائه وصفاته وأفعاله، يسعد في الدنيا والآخرة : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمٰتِهٖۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٥].

هو سبحانه الخلاق العليم ، الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم ظاهراً وباطناً .

- خلق الله كل إنسان ، وجعل فيه ثلاث أوان عظيمة :

الأولى: آنية الطعام والشراب وهي المعدة، تأكل الأطعمة والأشربة الحلال الطيبة؛ فيبقى الجسم سليماً ليعمل إما في أمور الدنيا أو في أمور الدين.

الثانية: أعطانا الله العقول تستقبل المعلومات والكيفيات: كيفية الوضوء، وكيفية الصلاة، وكيفية الصناعة، كيفية الزراعة، وكيفية التجارة .

الثالثة: أعطانا الله القلوب التي هي مكان الإيمان والتوحيد ومكان التقوى والتوكل : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيٰتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٢].

فالقلب هو الأصل ، وأعمال الجوارح فرع عليه .

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَا إِلَى أَمْوَالِكُمْ؛ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» أخرجه مسلم (١).

ماذا في القلوب من التوحيد والإيمان والتقوى؟ وماذا على الأبدان من السنن والأحكام والآداب الشرعية؟.

فربنا ﷻ هو القادر على كل شيء وحده لا شريك له، ولا بد أن يتكلم اللسان عن ربه ، ليخاطب القلب ، عن طريق الأذان : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسِيحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

والخطاب المباشر هو للإنسان المتكلم، فأول وأقرب شيء للسان الأذنان، والأذن أمينة، توصل للقلب ما سمعت، والمطلوب: سمعنا وأطعنا، لا سمعنا وعصينا : ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ءَ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ءَ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ءَ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ونحن في مجالسنا الإيمانية عندنا اجتماع: «ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ الله...» أخرجه مسلم (٢).

ثم استماع : ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر / ١٨].

ثم اتباع : ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف / ١٥٨].

ثم اندفاع : ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣].

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ءَ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

ثم ارتفاع : ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ءَ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة: ١١].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٩).



فالعلم درجات ، والأعمال درجات ، والأخلاق درجات ، والجنة درجات، يرتفع الإنسان ويعلو بقدر إيمانه وأعماله الصالحة .

فالمؤمن يندفع ، ويسارع إلى الخيرات في كل ميدان، من أعمال اجتماعية ، وأعمال انفرادية: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: ٢١] .

والله محمود قبل أن نحمده، وقبل أن يخلق الحامدين له، والله ﷻ قادر قبل أن يخلقنا، والله ﷻ سبح بحمده قبل أن يسبحه المسبحون، فالله ﷻ غني عنا وعن أعمالنا، بل نحن أحوج خلقه إليه: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أُنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥] .

الله ﷻ منّ علينا بأن عرفنا بأسمائه وصفاته في كتابه المنظور الذي هو هذا الكون العظيم، وفي كتابه المسطور الذي هو القرآن العظيم، وهذه المعرفة تولد في القلب الحب لله، والشكر له والتعظيم له .

فهذه الأغذية أغذية للقلوب، إذا تغذت بها أنبتت من كل زوج بهيج، أنبتت: ﴿التَّيْبُوتُ الْعَبْدُوتُ الْحَمْدُوتُ السَّتِّحُوتُ الرَّكْعُوتُ السَّجْدُوتُ الْأَمْرُوتُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُوتُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُوتُ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة/ ١١٢] .

وأنبتت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَن ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١-١١] .

وأنبتت: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان: ٦٣-٦٤] .

وَأُنْبِتُ : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥] .

فهذه المعارف الإلهية تولد الطاقة الإيانية لحب الله، وتكبير الله وتعظيمه، وحمده وشكره، والتقرب إليه بما شرعه رسوله ﷺ، فنجتهد على ملء القلوب بالإيمان؛ حتى يأتي في هذه القلوب حب الأعمال، ثم تظهر على الجوارح لساناً ينطق، يحمده ربه، ويكبر ربه، ويشني على ربه، ويدعو إلى دينه، ويعلم شرعه .

وجوارح تعمل في أنواع العبادات التي وردت في الشريعة : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

فربنا ﷻ هو القادر العظيم الذي يملك خزائن القدرة، فكل قادر من المخلوقات أقدره الله ﷻ فكان قادراً، وفي الأصل كان عاجزاً، لكن القادر أقدره، وأعطاه من خزائن قدرته ما يقدر به : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدْرِ مَعْلُومٍ ﴾ [الحجر: ٢١] .

هو القادر الذي أقدر كل قادر، الذي كل خلق ورزق وأمر وتديبير فمن آثار قدرته، فكل ما نراه في الكون من آثار قدرته وكرمه ونعمته : ﴿ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤] .

وإذا عرفتم ذلك فاعبدوه؛ لأنه أهل أن يُعبد، وأهل أن يشكر، وأهل أن يحمده، ومن حقه ﷻ أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر؛ وذلك لعظمته وجلاله، وعظيم نعمه وإحسانه : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] .

وهو سبحانه القدير على كل شيء، المقتدر الذي لا يعجزه شيء، ولا يغيب عنه شيء،

ولا يفوته شيء : ﴿ وَمَا كَانُ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر / ٤٤].

وهو سبحانه القادر الحق الذي وهب القدرة لكل قادر فصار قادرًا، ولو سلبها عنه عاد عاجزًا: ﴿ وَمَا يَكُومُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالْيَهُ تَجْعَلُونَ ﴾ [النحل / ٥٣]. فهو سبحانه القادر على إيجاد المعدوم، وإعدام الموجود، وإهلاك الموجود، وقهر كل قاهر، وتحريك كل ساكن، وتسكين كل متحرك : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [٨٢] فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿ [٨٣] ﴾ [يس: ٨٢ - ٨٣].

هو القادر الذي خلق كل شيء، وهو الذي يدبر، خلق الشمس ودبرها، وخلق الأرض وأمرها بالإنبات، خلق اللسان وأمره بالكلام، حبس مليارات الألسنة، وأنطق لسان الإنسان فقط؛ لأنه هو الذي خلق الإنسان، وخلق فيه القدرة على الكلام؛ فله الحمد على هذا وعلى هذا : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٥].

والنفوس الزاكية، والعقول المستنيرة، تحب الكامل، وتحب الاتصاف بالكمال؛ فالله كريم، والكرم صفة محمودة، نحبه لكرمه، ونحب أن نتصف بهذه الصفة، ونقف بباب الكريم ننتظر عطاءه، فإذا سألناه أعطانا : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

والله ﷻ إكرامًا لعباده ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: هل من داع فاستجب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه؛ وذلك توددًا منه لعباده : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

فهو سبحانه القادر على كل شيء، القادر الذي لا يعجزه شيء، ولا يقف له شيء، ولا يستعين بشيء، بل قدرته مطلقة، لا أول لها ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [٨٢] فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿ [٨٣] ﴾ [يس / ٨٢ - ٨٣].

نحن في الحياة نسمع كلامه، ونرى آثار قدرته، ويوم القيامة نراه عياناً: ﴿وَجْهٌ يُؤَمِّدُ نَاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

فمن رآه في الدنيا ببصيرته يفعل ويدبر ، ويخلق ويرزق، ويعطي ويمنع، ويبسط ويقبض، ويعز ويذل، رآه يوم القيامة ببصره ، وسعد برضوانه وجنته : ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

والله سبحانه قادر على كل شيء، والإنسان عاجز عن كل شيء، إلا بوسيلة تكمل ضعفه، من طعام يأكله، وماء يشربه ، ولباس يلبسه ، ومركب يركبه، وآلة تخدمه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزُبْ عَنْهُ مَلَكٌ يُحِيطُ بِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحقاف / ٣٣].

والإنسان من حيث خلقه ضعيف: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء / ٢٨]. لكن المؤمن قوي؛ لأنه احتسى بقوي، فاستفاد القوة من القوي الذي قواه من ضعف، وكبره من صغره، وأطعمه من جوع، وآمنه من خوف، والإنسان إذا شعر بالقوة يقوى على خصمه، ويقوى على شهواته، ويقوى على أعدائه كما قال هود عليه السلام: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾ [إني تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود: ٥٥-٥٦].

فلكل مؤمن قوتان : قوه على نفسه حيث حملها على الإيمان بالله ، وقوه على عدوه حيث واجهه بالقتال .

والإنسان إذا شعر بالضعف صار منافقاً، والمنافق أجبن وأضعف الخلق، ليس له قوة على نفسه لحملها على الإيمان، وليس له قوة على مواجهة الأعداء .

فمع كل ضعف نفاق وكذب، وذلل وخوف، وفرقة وعذاب: ﴿لَا يُقْنِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ مَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الحشر / ١٤].

فسبحان القادر على كل شيء! القادر الذي لا أقدر منه، القادر المحيط بكل قادر، الذي خلق كل شيء بقدر يحقق مراده منه، وقدر في حجمه، وقدر في وظيفته: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ

بِقَدْرِ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ [القمر/ ٤٩-٥٠].

هو سبحانه العليم القدير الذي قدر فهدي، خلق للإنسان عينين يرى بهما الأشياء بقدر محدود، فالعين لا ترى كل شيء، كما أن الأذن لا تسمع كل شيء؛ فلو تضاعفت الرؤية؛ لرأى الإنسان الجراثيم في الطعام والشراب فعاف الأكل والشرب .

وخلق الله للإنسان السمع في الأذن بقدر؛ فلو زاد سمعه لسمع حركات أمعائه فلم ينم الليل كله، ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾﴾ [الأعلى/ ١-٣].

والإنسان إذا رأى قدرة الله وعظمته؛ تذلل له، وأطاعه، وإذا جهل قدرة الله؛ ظلم نفسه، وظلم الخلق، واعتدى عليهم، فجاءته العقوبة؛ لهذا لا بد من معرفة هذا الاسم، والإحاطة بمعانيه مقروناً باسم العليم: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِلْعَالَمِينَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

وإذا عرفتم كمال قدرته، وكمال علمه، وكمال خلقه، آمنتم به، وعبدتموه وحده .  
والمؤمن إذا عرف قدرة الله وقف عند حده، وإذا عرف نفسه تواضع لربه، واستغفر من ذنبه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

هو سبحانه القادر الغالب القاهر، الذي لا يغلبه غالب، ولا يقهره قاهر، خالق كل شيء، وغالب كل شيء، وقاهر كل شيء: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر/ ٤].

هو الواحد القهار، وكل واحد يقهر ما سواه.  
والقهار لا يكون إلا واحداً؛ لأنه قهر جميع المقهورين، قهر العرش والكرسي، وقهر السموات والأرض، وقهر النجوم، وقهر الشمس والقمر، كل شيء خلقه الله بقدرته، وقهره على ما يريد منه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحٰنَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص: ٦٨].

فسبحان الملك القادر على كل شيء، الخالق لكل شيء، القاهر لكل شيء، الصغير

والكبير، الظاهر والباطن، المتحرك والساكن، والذكر والأنثى ، والجامد والسائل ، والرطب واليابس .

القادر على كل شيء من الخير والشر، والأمن والخوف، والمحبوب والمكروه، والنصر والهزيمة ، والعافية والمرض: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام / ١٠٢].

يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه؛ لأنه الملك الذي بيده كل شيء: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك / ١].  
هو القادر الحق، التقدير الحق، المقتدر الحق، وحده لا شريك له، وكل ما سواه عاجز، كل ما سواه مخلوق مملوك مرزوق، وهو الملك العظيم الغني الذي يملك خزائن كل شيء وحده لا شريك له .

خزائن القدرة بيده، فكل قادر إنما استفاد القدرة من الله القادر الذي أقدره على السمع والبصر، وأقدره على الأكل والشرب، وأقدره على الحركة والسكون، وأقدره على البقاء والحياة .

خزائن القدرة بيد القادر وحده لا شريك له، خزائن العلم بيد العليم وحده لا شريك له، خزائن الأرزاق بيد القادر، خزائن الأسماء بيد القادر، خزائن الصفات بيد القادر، خزائن الكلام بيده جل جلاله، خزائن السمع بيده، خزائن الأبصار بيده، خزائن الجهاد والنبات والحيوان بيده؛ لأنه القادر التقدير المقتدر الذي لا يعجزه شيء .

الله خالق كل شيء، خزائن المياه والبحار بيده، خزائن الرياح بيده، خزائن الذهب والفضة بيده ، خزائن المعادن ، والذرات ، والمياه ، والغازات ، وأنواع المخلوقات بيده: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة / ١٢٠].

خزائن الطعام والشراب بيده لعالم الحيوان، لعالم الحشرات، لعالم الإنسان، لعالم الجن، لعالم الملائكة، كل له قوته، وكل يأكل من ماعونه، فللحيوان طعام، وللإنسان طعام : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا تَوْفِيقَهُ﴾ [فاطر: ٣].

فسبحان القادر على كل شيء الذي تكفل بغذاء القلوب، وهو التوحيد والإيمان، وغذاء الأبدان من الطعام والشراب: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِوْنَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

وهذه الخزائن العظيمة وهذه الهبات الكريمة، لا تكون إلا من رب كريم، ومن قوي قادر يقدر على خلقها وإيصالها إلى كل مخلوق في العالم العلوي، والعالم السفلي، وعالم البر، وعالم البحر، وعالم الهواء: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨]. وخزائن القوة والنصر بيده، النصر من الناصر، والنصر لا يكون إلا من قادر، وبقدرته جل جلاله يمسك السماء أن تقع على الأرض، وبقدرته ينصر أوليائه على أعدائه. خزائن العزة والذلة بيده، إن أعز أحداً بفضله، وإن أذل أحداً فبعده، خزائن الرحمة والعذاب بيده، خزائن السموات والأرض كلها بيده، وخزائن الدنيا والآخرة كلها بيده: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: ٢١]. فالله ﷻ هو الملك العظيم، وخزائنه ملأى بكل شيء.

الله ﷻ هو الملك الذي له ملك السموات والأرض، وله ما في السموات والأرض، وله ما بين السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض، وله مقاليد السموات والأرض، وله ميراث السموات والأرض.

وبقدرته خلق هذه المخلوقات العظيمة، وبقدرته خلق الدنيا والآخرة، وبقدرته خلق العالم العلوي والعالم السفلي، وبقدرته خلق عالم الغيب وعالم الشهادة: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

هو الملك العظيم القادر الذي لم يشاركه في خلقه تلك المخلوقات العظيمة وغيرها شريك، ولم يستظهر على خلقها بظهير: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿١١﴾﴾ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ

فِيهِمَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ [سبأ/ ٢١-٢٢].

سبحانه هو الحي بصفات الجلال والجمال والكمال: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

هو القادر الذي يفعل ما يشاء بقدرته، ولا يحتاج إلى أحد، ولا يستعين بأحد، بل هو المعين لكل أحد: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٣].

فسبحان القادر القدير الذي يفعل في ملكه وملكوته ما يشاء بقدرته، الغني عن كل أحد: ﴿مَّا أَشْهَدُكُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَخَذِ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾ [الكهف/ ٥١].

الله ﷻ لا يحتاج إلى أحد، الذي يحتاج إلى أحد ليس بإله، وإنما الله ﷻ من رحمته بنا أن أنزل علينا هذا الدين، لتتقرب إليه بما يحبه ويرضاه، ولنسعد في الدنيا؛ حتى نصل إلى كمال النعيم يوم القيامة: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت/ ٦].

فمجالس الإيمان، ومجالس الذكر، تقوي الإيمان في القلب، فينصرف العبد من الشهوات الحيوانية إلى الأوامر الربانية، فيمثل الأوامر، ويجتنب النواهي، فيحبه الله، وإذا أحبه الله أسعده في الدنيا، ثم أسعده في القبر، ثم أسعده في جنة عرضها السموات والأرض يوم القيامة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

هو سبحانه القادر، ويريد منا أن نعرف القادر: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة/ ٩٨].

هو القادر الحق الذي يقدر على المقدرات كلها بقدرته واحدة: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس/ ٨٢].



ويعلم المخلوقات كلها بعلم واحد: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَىٰ يَكُونُ لَهُ، وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام: ١٠١].

كل ذرة في العالم العلوي ، والعالم السفلي ؛ يرى الله شكلها وحجمها ، وطولها وعرضها ، ويسمع تسييحها: ﴿نَسِخَ لَهُ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضَ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤].

فسبحان الله! ما أعظم هذه القدرة العظيمة! كم عظمة قدرة الله في سمعه، في بصره، في علمه ، في إحاطته! ، في خلقه ، في تدبيره ، في إحسانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّىٰ قَدَرَهُ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

الله ﷻ أظهر قدرته لنا؛ حتى نهايه، حتى نخافه، حتى نرجوه، حتى نحبه، حتى نكبره، حتى نعظمه،: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَاصِرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

#### • فالناس اثنان:

إما مشغول بالله .. أو مشغول عن الله.

مشغول بالله؛ تعبداً وحمداً ، وتمجيذاً وثناءً عليه، مشغول بالله دعوةً إلى دينه، وتعلماً لشرعه، وإحساناً إلى خلقه: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة: ٥].  
أو مشغول عن الله؛ بما تهواه نفسه: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيَاً ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: ٥٩].

والله ﷻ عليم بكل شيء ، يعلم المعلومات كلها بعلم واحد .

يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار في آن واحد، ويعلم عدد قطر الأمطار في آن واحد، ويعلم عدد ذرات الرمال في آن واحد، فهو يسمعها ويراها، عليم قدير لا توارى منه سماءٌ سماءً، ولا أرضٌ أرضاً، ولا بحر ما في قعره، ولا جبل ما في وعره، القريب والبعيد كله عنده قريب جل جلاله، والصغير والكبير كله عنده صغير، فالله له الكبرياء، وهو محمود على كبريائه وعظمته، وكمال أسماؤه وصفاته: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ

السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجنّة/ ٣٦-٣٧].

فإنّ الله ﷻ قادر يقدر على جميع المقدرات التي نراها أو لا نراها كلها بقدره واحدة، ويعلم المعلومات كلها بعلم واحد، ويريد المرادات كلها بإرادة واحدة، في وقت واحد: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَدَكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر/ ٤٩-٥٣].

فسبحان القادر الذي يملك القدرة كلها، القادر على الخلق كله، القادر على الإبداع كله، القادر على الإيجاد كله، القادر على الرزق كله! ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك/ ١].

﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ [الفرقان: ٦١-٦٢].

فسبحان الله! ما أجهل الإنسان بربه، وما أجهله بدينه، وما أجهله بقدر ربه ﷻ! ولهذا يقع في المعاصي، ومن عرف ربه أطاعه ولم يعصه؛ ووحدته ولم يشرك به: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُتَوَكِّفًا ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

وهذه الآية نزلت في المدينة، نزلت بعد عشرين سنة، مما يدل على أن علم التوحيد، وعلم الإيثار، غذاء لا يستغني عنه الإنسان طرفة عين.

### • والإيمان على ثلاث درجات:

إيمان موجود .. وإيمان مفقود .. وإيمان مطلوب.

فالإيمان الموجود نجتهد عليه، بالعلم بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره؛ حتى يزيد الإيمان، فإذا انضم المفقود إلى الموجود جاء المطلوب: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالِكُنَّ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَالِكُنَّ الَّذِي نَزَّلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

ثم جاءت المواعيد على قدر الإيـمان المطلوب: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ [الروم / ٤٧].

والإيمان له أركان ستة، من عرفها اكتمل إيمانه، ثم أحس بطعم الإيمان، ثم أحس بحلاوة الإيمان، ثم أحس بحقيقة الإيمان: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وكل ما سوى الله ﷻ من الخلق القادرين؛ القادر جل جلاله هو الذي خلقهم، وخلق قدرتهم، وأقدر بعضهم على بعض، وسلط بعضهم على بعض، هو سبحانه القادر القاهر لكل قادر وقاهر: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ أَصْحَابًا مِّمَّنْ يُضِلُّونَ﴾ ﴿٦٥﴾ [الأنعام: ٦٥].

والقادرون سواه لا يقدرون إلا على ما أقدرهم القادر عليه من الحمل، والتحريك، والتدبير، والتصنيع، وقدرتهم محصورة في تغيير صورة بعض مخلوقات القادر، وتحويلها من صورة إلى أخرى بعون القادر وإذنه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ [الصفات / ٩٦]. فالله ﷻ الذي خلق المواد التي نـصنع منها، وخلق العقل الذي يفكر، وخلق الجوارح التي تعمل، وخلق العين التي تبصر، وهكذا الله ﷻ خلق هذه المواد، والإنسان يصنع من هذه المخلوقات، يركب مخلوقًا موجودًا مع مخلوق آخر فينتج له مصنوع ينتفع به، كما صنع السيارة من الحديد، واللباس من القطن وهكذا.

والله ﷻ كامل القوة، وكامل القدرة، وكامل العلم، أما قدرة القادرين فهي موهوبة من ربهم ﷻ، وقدرة القادرين سواه ناقصة بصفتها، محدثة بعد عدمها، طارئة على محلها، مخلوقة من القادر سبحانه لمن قدر بها: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٦٦﴾ [آل عمران / ٢٦].

فسبحان القادر القدير الذي خلق كل شيء بقدرته! ، له الخلق والأمر، وبيده الخلق كله

والأمر كله، وإليه يرجع الأمر كله، خلق الخلق بقدر، وقسم الأجال بقدر، وقسم  
الأرزاق بقدر، وقسم العافية بقدر، وقسم البلاء بقدر: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا  
أَمَرْنَا إِلَّا بِوَاحِدَةٍ كَلِمَةٍ بِالْبَصْرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر/ ٤٩-٥٠].

والله ﷻ هو القادر على كل شيء، القدير الذي خلق كل شيء في العالم العلوي والعالم  
السفلي، وفي عالم الغيب وعالم الشهادة .

خلق سبحانه بقدرته العرش والكرسي، وخلق السموات والأرض، وخلق الشمس  
والقمر، وخلق الكواكب والنجوم، وخلق الملائكة والروح، وخلق الدنيا والآخرة :  
﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ  
كَفَرُوا بِعَاقِبَتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

فالمفاتيح كلها بيده جل جلاله، يخلق ما شاء من السموات والأرض وما فيها من  
المخلوقات.

هو القادر العظيم الذي لا نهاية لقدرته ، الذي خلق أنواع الجماد، وأنواع النبات، وأنواع  
الحيوان، وخلق الملائكة والإنس والجان، وخلق الذرات والجبال، وخلق المياه والبحار،  
وخلق الأشجار والثمار: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ  
وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

والذي يخلق هو الذي يستحق العبادة وحده : ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا  
تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل/ ١٧].

والله ﷻ يخلق بصفات كثيرة منها: الحياة والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر : ﴿هُوَ  
الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾  
[غافر: ٦٥].

ففي جانب الخلق يأتي بنون العظمة : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي  
سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق: ٣٨].

وفي جانب التوحيد يأتي بالإفراد : ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ  
لِذِكْرِي ﴿١٤﴾﴾ [طه: ١٤].

لأن الخلق يتم بصفات كثيرة من العلم والقدرة والقوة والغنى وغير ذلك، فهذه

المخلوقات العظيمة وغيرها مما لا يعلمه إلا الله القادر الذي خلقها ، لا يمكن لأحد أن يعدها أو يحصيها أو يدبرها، وكلها تدل على كمال قدرة الله، وتشهد بوحدانيته، وتسبح بحمده، وتخضع لأمره: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ بَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤].

فسبحان الملك العظيم! ، عظيم الملك والسلطان، القوي كامل القوة، القدير كامل القدرة، خالق كل شيء، ومدبر كل شيء: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحَانَهُ ۗ وَوَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ [الزمر / ٦٧].

فلم يقدروه حق قدره، ولم يعبدوه حق عبادته؛ لجهلهم به وبأسماؤه وصفاته، وبملكه وسلطانه، وبنعمه وإحسانه فبسبب هذا ما قدروا الله حق قدره، ولو عرفوه؛ لآمنوا به وأطاعوه ، وعبدوه ؛ لهذا لا بد من الدعوة؛ حتى يعرف الناس ربهم، ويحبوه ويكبروه ويوحدهوه: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ [قريش: ٣-٤].

فالرب العظيم الخالق لكل شيء، القادر على كل شيء، المنعم بكل شيء هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

واعلم أن كل ما خلقه الله فهو إحسان إلى عباده؛ يستحق به وحده الحمد عليه، فالمخلوقات كلها من آلائه ونعمه، والنعم كلها من آياته الدالة على غناه وكمال علمه وقدرته: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا يَكُومُ مِن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْشَرُونَ ﴿٥٣﴾ [النحل/ ٥٢-٥٣].

فجميع مخلوقاته في العالم العلوي وفي العالم السفلي توجب الشكر والحمد والثناء له من عباده؛ لما فيها من النعم، وتوجب التذكر لما فيها من الدلائل على وحدانية الرب،

وعظمة الباري وقدرته: ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران / ١٩٠].

فوا عجباً! كيف يُعصى مَنْ هذا خلقه، وهذا إحسانه، وهذه قدرته، وهذا ملكه وسلطانه؟ ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضَ فِي السَّاعَةِ بِأَنْبَاءٍ وَمِنْهَا نَزَّلْنَا مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ [لقمان / ١٠-١١].

وكيف لا يعبد ويطاع وهو الملك الذي بيده الملك؟ ذو العزة والجبروت، والعظمة والكبرياء: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [تبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة وإليه ترجعون] [الزخرف / ٨٤-٨٥].

وكيف لا يُشكر وهذا فضله وإنعامه وإحسانه لعموم عباده! ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج / ٤٦].

ونعمه على عباده لا تعد ولا تحصى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشِّجَارِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ﴾ [٣٢] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [٣٣] ﴿وَأَتَانَكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [٣٤] [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

والمؤمن إذا اعتقد وأيقن أن الله على كل شيء قدير في كل أمر؛ أعطاه إن سأل، وشفاه إن مرض، وأمنه إذا خاف، ونصره إذا استنصره، وغفر له إذا استغفره، وتاب عليه إذا تاب إليه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [٢] ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [٣] ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [٣] [الطلاق: ٢-٣].

واعلم أن كمال اليقين أن ترى الله ولا ترى غيره، وتتعلق بالله وحده ولا تلتفت لأحد سواه، وتفعل الأسباب المشروعة ببدنك، وتقطع آمالك من الخلق، وتتوكل على ربك وحده بقلبك: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [٣].

فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ [الزمر / ٣٦].

فمن رحمة الله بالإنسان أن جعل له قدرة محدودة ناقصة؛ ليكون دائماً مفتقراً إلى ربه القادر الذي يرى آثار قدرته في ملكه وملكوته: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ ﴿٢٨﴾ [النساء / ٢٨].

وذلك رحمة من ربه؛ حتى يقف عاجز باب القادر، والفقير باب الغني، والضعيف باب القوي، والصغير باب الكبير وهذا هو التبعذ لله ﷻ.

والإنسان مع ضعفه وعجزه يطغى ويتكبر، ويقتل بلا رحمة، فكيف لو كان قوياً؟! ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَاطِئٌ﴾ ﴿٦﴾ ﴿أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْجَى﴾ ﴿٧﴾ [العلق / ٦-٧].

فسبحان القادر على كل شيء، المحيط بكل شيء، القاهر لكل شيء، الغني عن كل شيء، الذي وسعت رحمته كل شيء! ﴿قُلْ إِنْ تَحْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٩﴾ [آل عمران / ٢٩].

فسبحان الملك القادر الذي له كل شيء، ويسبح بحمده كل شيء! ﴿يَسْبِغُ لِيَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾ [التغابن / ١].

والله ﷻ هو القادر الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، هو القادر على كل ما يريد، لا يمنعه مانع مما يريد، ولا يحول بينه وبينه عجز: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلْفُ لَيْعِزِهِ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ ﴿٤٤﴾ [فاطر: ٤٤].

فسبحان القادر على كل شيء، القدير الذي لا يخرج عن قدرته شيء، ولا يخرج عن علمه شيء، ولا يخرج عن بصره شيء، ولا يخرج عن سمعه أحد.

فلا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، وله المثل الأعلى في السموات والأرض: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٤].

فسبحان كامل القوة، كامل القدرة، كامل العظمة، كامل الكبرياء، كامل العلم، كامل الإحاطة، بقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دبر الكائنات، وبقدرته سواها، وأحكمها وأبقاها، وبقدرته يحيي ويميت، ويعز ويذل، ويعطي ويمنع، وبقدرته يقلب الليل والنهار، وبقدرته يقلب القلوب والأبصار، ويصرفها على ما يشاء ويريد: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ

مَلِكِ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ  
الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾ [آل عمران / ٢٦].

ما هي آثار قدرته؟ ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ  
الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿٣٧﴾ [آل عمران / ٢٧].

ومن آثار قدرته: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي  
تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا  
وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ  
لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٦٤﴾ [البقرة: ١٦٤].

ومن هذه أسماؤه ، وهذه صفاته ، وهذه أفعاله هو أحق أن يُعبد، وأن يُشكر، وأن يُطاع :  
﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٣﴾ [يونس: ٣].

فسبحان القادر القدير المقنن الذي لا يمتنع عليه شيء أراداه في العالم العلوي والعالم  
السفلي، التام القدرة، المظهر قدرته بآياته ومخلوقاته! ﴿وَمَنْ آتَيْنَاهُ خَلْقَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ السِّنِينَ وَالْوَنُكْمَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢٢﴾ [الروم: ٢٢].

ومراتب القدر التي هي المراحل التي يمر بها المخلوق من كونه معلوماً عند الله إلى  
ظهوره في الواقع المشهود أربع مراتب هي: العلم بالشيء، والكتابة، والمشية، والخلق؛  
فالله علم كل شيء أراداه، وكتبه، ثم شاء إظهاره، ثم أظهره، فهذه مراتب القدر ، فالله  
سبحانه علم، ثم كتب، ثم شاء، ثم أظهر وخلق .

قال النبي ﷺ: « كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ  
أَلْفَ سَنَةٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ » أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

والله سبحانه هو القادر على كل شيء، القدير الذي لا يعجزه شيء، المقنن الذي لا  
يتمنع عليه شيء، شاء الماء أن يكون سائلاً فكان، و شاء الجبال أن تكون جامدة فكانت،  
ووضع اسمه على السماء فاستقلت، ووضع اسمه على الأرض فاستقرت، ووضع اسمه  
على الجبال فرست، وعلى العين فأبصرت، وعلى اللسان فتكلم، وعلى القدم فتحركت،  
وعلى العيون فنبعت، وعلى النباتات فأثمرت، فله القدرة المطلقة التي لا يقف لها

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٣).



شيء: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٨].

• وقدرة الله ﷻ تتمثل في أمور:

الأول: أن الله قادر قدرة مطلقة على كل شيء، قادر على ما فعل، وقادر على ما يفعله، وقادر على ما لم يفعله؛ فهو على كل شيء قدير: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦].

الثاني: أن كل ما كتبه الله ﷻ في اللوح المحفوظ كائن لا محالة، ولا بد من وقوعه في وقته كماً، ونوعاً، وحجماً، ومكاناً، وزماناً؛ لا بد من وقوعه في وقته الذي قدره، فلا يكون شيء إلا بقدرته ومشيئته، ثم يظهر ما شاءه وقدره وكتبه في اللوح المحفوظ، في وقته الذي قدره وأراده: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

الثالث: سرعة التكوين بالقدرة، وإظهار ما قدره الله، وتكوينه، وإيجاده فوراً: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ﴾ [٤٩] ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٤٩-٥٠].

فسبحان القادر على خلق كل شيء: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [٨١] ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [٨٢] ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨١-٨٣].

فلا بد لنا أن نعرف آثار قدرة الله ﷻ في الملك والملكوت؛ حتى نعرف القادر وعظمة قدرته، وأن الله ﷻ قادر على كل شيء، وقد أكثر الله ﷻ من هذا في كتابه العظيم؛ حتى تستقر هذه المعرفة في القلوب؛ فتعظم العظيم، وتكبر الكبير، وتحمد المنعم، وتسأل الغني، وتستعين بالقادر على كل شيء.

لا بد للقلوب أن تعرف من هو القادر؟ وما هي أسماؤه وصفاته؟ حتى تحبه وتكبره، وتقف ببابه، وتدعوه وتسأله.

فهذا هو غذاء القلوب الذي يجب أن تتغذى به، فالقرآن هدى، وشفاء، وبيان، وموعظة، ورحمة: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

هذا غذاء للقلوب، لا بد للقلوب أن تعلم وتعرف الله، وكذلك لا بد للجوارح أن تعمل بعد هذه المعرفة بما أمر الله ورسوله به: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَىٰ

الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ [الرعد/ ٢].

يدبر الأمر الأوامر الكونية، والأوامر الشرعية، والأوامر الجزائية .

كم في هذه الأرض من الجبال الراسيات، والبحار الزاخرات، والأنهار الجارية، والنخل الباسقات، والثمار اليانعات، والنباتات المختلفة بأحجامها وألوانها وطعومها! وهو الذي مد الأرض، وجعل على هذه المائدة أنواع النباتات للإنسان والحيوان : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ [الرعد: ٣] ؛ بقدرته جل جلاله، فإذا عرفوه آمنوا به، وأطاعوه، وأحبوه، وعبدوه.

﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّرَاتٌ ﴾ ؛ هذه بيضاء، وهذه سوداء، وهذه حمراء، وهذه صفراء ؛ وهذه القطع مملوءة في باطنها بالمعادن المختلفة، وعلى ظهرها تنبت النباتات المختلفة، فبقدرته خلق هذه المخلوقات التي في بطن الأرض وفي بطن الجبال، وخلق هذه النباتات التي تظهر على ظهر الأرض: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّرَاتٌ وَجَنَّتْ مِنْ أَعْنَبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنَفْضِلٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ [الرعد/ ٣-٤].

فيعرفون من الذي خلق، وعظمة ما خلق، فيستجيبوا لأمره الشرعي، كما استجابوا لأمره القدري : ﴿ ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١١٢﴾ وَيَسْخِجُ الرَّعْدَ بِحِمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١١٣﴾ [الرعد: ١٢-١٣].

بحر من الماء في الهواء، في هذه السحب، وهذه السحب تُحمل فوق الريح، ولهذا السحب ثمان رياح: رياح تثيرها من الأرض، ورياح تنشرها في السماء، ورياح تجمعها، ورياح تسيرها، ورياح تؤلف بينها، ورياح تلقحها، ورياح تفرق الماء إذا نزل منها؛ حتى لا ينزل جميعاً، فيهلك ما تحته .

فالله ﷻ حمل هذا البحر العظيم من الماء ببحر عظيم من الهواء، وأمسك هذا البحر العظيم في السماء، وأمسك الهواء بقدرته جل جلاله: ﴿تَبْرَكَ الَّذِي يَدِيَهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١] [الملك / ١].

هذا الصوت الذي نسمعه في السحاب يسبح بحمد ربه ، لما ترى من عظمته وجلاله وكبريائه .

فيجب علينا أن نتعرف نحن على ربنا: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٩٨] [المائدة / ٩٨].

ومن عرف الله آمن به : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَّمُتَوَلِّكُمْ﴾ [١١] [محمد: ١٩].

ولهذا من عرف ربه سجد قلبه وقالبه: ﴿وَاللَّهُ يَسْجُدُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظَلَّلَهُمْ بِالْعُدْوِ وَالْأَصَالِ﴾ [١٥] [الرعد / ١٥].

فإن لم يسجدوا بقولهم وقلوبهم؛ فظلالهم لا بد أن تسجد لله: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهْرُ﴾ [١٦] [الرعد / ١٦].

لا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [٣] [يونس: ٣].

والله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السموات والأرض، خلق هذا الكون العظيم، وجعله مظهرًا لأسائه الحسنى، وصفاته العلى، مظهرًا لعلمه المحيط، مظهرًا لقدرته المطلقة، مظهرًا لحكمته في خلقه وأمره

وتدبيره: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [٦] [الأنعام / ٦].

وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوْسًا وَانْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [٧] [البقرة / ٧].

عَبْدٌ مُنِيبٌ﴾ [٨] [ق: ٦-٨].

والله ﷻ أمرنا أن ننظر في الآيات الكونية لنرى مظاهر قدرة الله ﷻ في خلق الكبير والصغير، والعالي والسافل، والرطب واليابس، والسائل والجامد، والذكر والأنثى،

والنبات والحيوان والجماد، فهذا الكون كله مظهر لقدرة الله ﷻ؛ ولهذا لا بد من معرفة الله بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى؛ حتى نعبده بقلوبنا وجوارحنا، ونخضع لكبريائه وعظمته قلباً وقالباً: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨].

والله ﷻ يثني على نفسه بكمال قدرته وبكمال علمه، ويأمرنا أن نتعرف على ذلك؛ حتى نجل الله ونكبره ونهابه: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ لماذا؟ ﴿ لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق/١٢].

وإذا عرفتم الله بهذين الاسمين العظيمين: العليم والقدير، عبدتموه؛ لأنه ﷻ عليمٌ يعلم بكل شيء، بصيرٌ يبصر كل شيء، سميعٌ يسمع كل شيء، فهو رقيبٌ، وشهيدٌ، وعلیمٌ، وخبيرٌ، وقدرته مطلقة: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

فغذاء هذه القلوب هو أولاً بمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ثم يأتي التعبد لله بالقلوب والجوارح .

بعد هذه المعرفة يأتي حب الله، تعظيم الله، تكبير الله، تمجيد الله، الثناء على الله، تحريك اللسان بالذكر والحمد والشكر، تحريك الجوارح بالركوع والسجود والتسليم والطاعة، وامتلاء القلوب بالخضوع لله، والسجود لكبريائه وعظمته، وحبه، والخوف منه، ورجائه: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

واسم الله القدير، والقادر، والمقتدر؛ ورد الاقتران في القرآن بهذه الأسماء الثلاثة كثيراً . وقد اقترن اسم الله الغفور الرحيم مع اسمه القدير في قوله سبحانه: ﴿ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المتحنة/٧].  
وسر ذلك والله أعلم: أن مغفرة الله ورحمته إنما هي عن مقدرة لا عن ضعف، والمغفرة

والرحمة الممدوحة هي التي تصدر عن قادرٍ على العقوبة والانتقام، ولكن لكمال مغفرة الله ورحمته هو يغفر ويرحم، ويحلم على عباده: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة/ ١٤٣].

فالله قادر على كل شيء، قدير لا يعجزه شيء، مقتدرٌ على كل شيء. وقدرته سبحانه ذاتية، وتامة، ومطلقة، وشاملة، ونافذة، قد سلمت قدرته من التعب واللغوب، والإعياء، والعجز، ولكمالها فكل شيء في الكون مستجيبٌ لمشيئته، ومسرّعٌ إلى إرادته، ومسبّحٌ بحمده، وخاضعٌ لأمره؛ ولهذا يُشني على نفسه جل جلاله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ أَلَيْسَ النَّهَارُ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

له الخلق كله، جميع الخلائق خلقها بقدرته، العالي منها والسافل، والكبير والصغير. وله الأمر كله، له الأمر الكوني القديري، وله الأمر الشرعي، وله الأمر الجزائي بالوعد والوعيد، وفي كل ثانية تنزل على الخلق مليارات الأوامر الملكية بالإحياء والإماتة، والعزة والذلة، والحياة والموت.

فله الخلق كله، وله أمر التدبير والتصريف في هذا الكون العظيم: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقِنُونَ﴾ [٣١] ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [٣٢] [يونس: ٣١-٣٢].

فسبحان ربنا القادر القاهر الذي له التصرف التام في كل الأكوان، وله النفوذ المطلق في الخلق والتدبير والتصريف في كل زمان ومكان، هو قادرٌ لا يغلبه غالب، ولا يعارضه منازع، ولا يخرج عن قبضته مخالف أو طائع: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ﴾ [٤١] يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴿﴾ [النحل/ ٤٩-٥٠].

فما أعظم ملك الله، وما أعظم قدرته: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران/ ١٨٩].

هو سبحانه القادر على كل شيء، المقدر لكل شيء، ومن كمال قدرته إيجاد المعدوم وإعدام الموجود: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ اللَّهُ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت/ ١٩-٢٠].

من تمام قدرته أنه يوجد الأشياء من غير معالجة: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس/ ٨٢].

ولكمال قدرته جل جلاله يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويحيي ويميت، ويعفو ويتنقم، ويبسط ويقبض: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ تَوَكَّلْ عَلَى الْمَلِكِ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَسَتَكُونُ ﴿١٠٦﴾﴾ [النحل/ ١٠٦].

جميع الخلائق تعود على موائد نعمه في البر، والجو، والبحر: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود: ٦].

وقد اقترن اسم الله القدير بالعليم في قوله سبحانه ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَنْوَفِّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [النحل/ ٧٠].

وسر ذلك والله أعلم: أن قدرته سبحانه في خلق الأشياء وإيجادها وإعدامها، وتغييرها، منوطٌ بالعلم، فهي قدرةٌ شاملةٌ عن علم محيط بكل شيء، وهذا الاقتران دليلٌ على كماله سبحانه، فالعلم صفة كمال، والقدرة صفة كمال، واجتماعها معاً كمالٌ آخر.

وهذا كله للدلالة على كماله سبحانه؛ لأن العلم بدون قدرة عجز، والقدرة بدون علم مظنة الفساد والظلم والطغيان، وفي تقديم العليم على القدير سر آخر، وهو: أن القدرة تتعلق بالعلم، فبمقدار سعة العلم تكون عظمة القدرة، وهذا هو الكمال: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ [الروم/ ٥٤].

وجميع أفعال الله ﷻ مقرونة بالعلم المطلق، والعلم المطلق مقرونٌ بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة مقرونة بالخير المطلق، فالله ﷻ بيده الخير، والشر ليس إليه .

• والله حكيم عليم ، جعل بحكمته وقدرته وعلمه الناس أربعة أقسام :

فمن الناس من يعطيه الله البنات ، ومنهم من يعطيه البنين ، ومنهم من يعطيه النوعين ذكراً وأنثى ، ومنهم من يمنعه هذا وهذا، وهو العقيم: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى/ ٤٩-٥٠].

وقد اقترن اسم الله المقتدر مع اسم الملك في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الْكُفَّينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

وسر ذلك أن الملك التام يستلزم القدرة التامة، فالمؤمنون يوم القيامة في جناتٍ عظيمة الشأن والقدر، مقربون في مكان مُرَضٍ وهو الجنان، عند ملك تام الملك والقدرة من كل الوجوه، فلا شيء إلا تحت ملكه وسلطانه وقدرته ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك/ ١].

واقترن اسم الله المقتدر مع اسم الله العزيز في قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذُوبًا يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ كُلُّهَا فَآخَذْنَاهُمْ بِأَخْذٍ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾ [القمر/ ٤١-٤٢].

فالعزة كمال الله، والقدرة كمال آخر، والجمع بينهما كمال ثالث، فليس كل عزيز قادر، وليس كل قادر عزيز، أما الله سبحانه فهو بالغ العزة لا يمتنع عليه شيء، بالغ القدرة لا يعجزه شيء، ولا يعجل بالأخذ لأنه لا يخاف الفوت ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر/ ٦٧].

• جمع في هذا الاقتران بين اسم العزيز المقتدر:

الأول: في شدة الانتقام بالأخذ والقهر والغلبة باسمه العزيز.

الثاني: في كمال القدرة والإحاطة باسمه المقتدر: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾ [المائدة/ ٩٨].

فالله ﷻ ثوابه عظيم، وثوابه كريم، وثوابه كبير، كما أن عذاب الله ﷻ وصفه الله ﷻ بأنه عظيم، وأليم، ومهين، وشديد، وكبير، فرحمته ﷻ وسعت كل شيء، وعذابه إذا أحاط

بأحد أهلـه ودمره: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة/ ٩٨].

فسبحان الملك العزيز القادر القدير المقتدر، الذي آثار قدرته في هذا الكون العظيم الكبير لا تُعد ولا تُحصى، فهي أكبر من أن تحيط بها عبارة، وأعظم من أن يُشار إليها بإشارة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦].

فحيثما نظرنا في العالم العلوي، والعالم السفلي، وفي السموات والأرض وما فيهما، وفي الأنفس، وفي الآفاق، وفي كل شيء في الأرض؛ يرى آثار قدرة الله، آثار قدرة القادر سبحانه، فبقدره الله ﷻ خلق الكون وما فيه، وبقدرته خلق الدنيا والآخرة، وبقدرته خلق عالم الغيب، وعالم الشهادة: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وبكمال قدرته جل جلاله يبدأ الخلق ثم يعيده ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم/ ٢٧].

ولكمال قدرته يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، ويسمك السموات والأرض أن تزولا، ولكمال قدرته يأتي الله ﷻ يوم القيمة بالخلق جميعاً، من كانوا وحيثما كانوا: ﴿أَيُّنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة/ ١٤٨].

ومن جلال قدرته خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق/ ٣٨]. هو القادر الذي أظهر قدرته في خلق الصغير والكبير: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر/ ٥٧].

هو سبحانه القادر على كل شيء، فجميع مخلوقاته كالخردلة بين يديه، لأنه هو الكبير ذو الكبرياء والعظمة، والجلال والعزة والجبروت، جميع مخلوقاته كالخردلة بين يديه، وكلهم من العرش العظيم إلى الكرسي الكريم إلى أصغر ذرة خاضعة لأمره، ومستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته، ومسبحة بحمده، وشاهدة بوحدانيته، فهو القادر، وكل ما سواه عاجز: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر/ ٤٤].



• وأسماء الله القادر والقدير والمقتدر دالة على:

صفات الذات .. وصفات الأفعال.

فداليتها على صفات الذات؛ لاتصاف الله سبحانه بالقدرة التامة التي لا تنفك عنه أبداً، فهو سبحانه القادر وكل ما سواه عاجز: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الملك / ١).

فنوحده بصفة القدرة، وأنه قادر على كل شيء، وأن قدرته لا أول لها ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية، وهي لا تنفك عنه أبداً؛ لأن الإله لا بد أن يكون قادراً على كل شيء، سميماً لكل شيء، محيطاً بكل شيء، بصيراً بكل شيء، هذه صفات الكمال.

أما دلالة هذه الأسماء على صفات الفعل؛ فهي في تنفيذ مقاديره في جميع ملكه ومخلوقاته في كل زمانٍ ومكان على وفق تقديره، وكتابته، ومشيتته، وإراداته، فالله ﴿عَلَّمَ فِي كُلِّ ثَانِيَةٍ تَنْزِيلًا مِنْهُ مِليارات الأوامر بالخلق والإيجاد، والتدبير والتصريف، والإحياء والإماتة: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس / ٨٢).

وأظهر قدرته بالأسباب وبدون الأسباب، وبضد الأسباب، أظهر قدرته بالأسباب أن ما ينزله من السماء على الأرض فتنبت من كل زوج بهيج، وأظهر قدرته بدون الأسباب كما رزق مريم طعاماً بلا شجر، وابتأ بلا ذكر، ويظهر قدرته جل جلاله بدون الأسباب: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (يس / ٨٢).

بحرفين من كلامه خلق هذا الكون العظيم، هذه قوة كلامه، وقدرته جل جلاله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس / ٨٢-٨٣).

هو القادر الذي يستوى عنده خلق الكبير والصغير، وخلق الكثير والقليل: ﴿مَّا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعْضَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (لقمان: ٢٨).

هو سبحانه القدير التام القدرة الذي لا يلبس قدرته عجزٌ بحال؛ لكمال قدرته، واستغنائه عن الأسباب.

هو القادر الذي خلق القدرة في كل قادرٍ من المخلوقات، خلق القدرة في الجبال، خلق القدرة في السماء، خلق القدرة في الشمس، خلق القدرة في الإنسان، خلق القدرة في

الأسد، خلق القدرة في البعوضة: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

هو خلق القدرة في كل قادر، كما خلق العلم في كل عالم، وكما خلق السمع في كل سميع، فالله ﷻ خالق كل شيء بقدرته: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [٤٩] وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ [القمر: ٤٩ - ٥٠].

فجميع المخلوقات الله ﷻ خلقها، وكل ما ينتج عنها هو خالقها: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦].

فهذه المصنوعات التي نراها في العالم، الله ﷻ هو الذي خلق الإنسان، وخلق فيه العقل الذي يفكر ويُدبر ويخترع؛ وخلق المادة التي يصنع منها الشيء، وخلق القدرة التي يتمكن بها الإنسان حين الفعل ولهذا الإنسان وما عمل الإنسان الله ﷻ هو الذي خلقه. فهو سبحانه القادر على كل شيء، القادر الذي قدر جميع الآجال، وجميع الأرزاق، وقدر الخلائق، وقدر الحياة والموت، وقدر الأمن والخوف.

هو القادر الذي له القدر العظيم وحده: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر/ ٦٧].

والقادر سبحانه لا يعجزه شيء، ولا يحتاج إلى تنفيذ أقداره لأحد، أما الإنسان فقدرته محدودة، موهوبة، ناقصة، فيحتاج إلى السيارة ليكمل بها بطاء سيره، ويحتاج إلى النظارة ليكمل بها ضعف بصره، ويحتاج إلى السماعه ليكمل بها ضعف سمعه: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر/ ١٥].

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

وهذا من رحمة الله ﷻ أن خلقه ضعيفاً، وخلقه عاجزاً؛ حتى يقف بباب القادر، بباب الغني، بباب القوي، بباب الملك، بباب العزيز: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [٣] [يونس: ٣].

وسر قوة المؤمن لا لأنه قوي، بل لأنه عبد القوي، والقوي سبحانه هو الذي وهبه القوة، ولو سلبها منه لعاد ضعيفاً.

فمن أراد أن يكون أقوى الناس؛ فليتعرف على ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويتوكل عليه وحده: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٣﴾ [التغابن/ ١٣].  
ومن أراد أن يكون أغنى الناس؛ فلتكن ثقته بما في يد الله أعظم من ثقته بما في جيبه، فرزق الله ﷻ مطلق غير محدود: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ ﴿٥٤﴾ [ص/ ٥٤].  
وسيصل رزقه إلى كل مخلوق بكميته ونوعيته، ومكانه وزمانه: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٦﴾ [هود: ٦].  
هذه القلوب تتغذى بهذه المعارف العظيمة، وتسبح بحمده ربها؛ لجلاله، وجماله، وكهاله.

فسبحان القادر الذي قدر المقادير كلها، وعلم الأعمال كلها، وعلم الأحوال كلها، ثم يظهرها يوم القيامة: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشُنَانًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿٦﴾ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ﴿٨﴾ [الزلزلة/ ٦-٨].  
فسبحان الله ما أعظم أسماؤه وصفاته! وما أعظم قدرته! وما أوسع رحمته! ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِمْ لَقَادِرُونَ﴾ ﴿المؤمنون/ ١٨﴾.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدْرِ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٨١﴾ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٨٢﴾ [يس: ٨١-٨٢].  
الله يشي على نفسه باسمه القادر؛ حتى لا نتوجه إلى العاجز، ولا نتكئ على مخلوق، بل نتوجه إلى القادر وحده؛ القادر على كل شيء، القادر على الإحياء والإماتة، القادر على الإعزاز والإذلال، الذي بيده مفاتيح كل شيء، بيده مفاتيح الإيمان، بيده مفاتيح الأعمال، بيده مفاتيح التوفيق ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٥١﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

هو سبحانه القادر الذي بيده مفاتيح كل شيء: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢﴾ [فاطر: ٢].  
هو القادر، وكل ما سواه عاجز: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ ﴿٤١﴾ [المعارج/ ٤٠-٤١].

فسبحان الله ما أعظم قدرته! وسبحان القادر الذي قدر المقادير قبل الخلق والتكوين: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر/ ٢٤].

هو القادر الذي قدر المقادير: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر/ ٢١].

فكل شيء خزائنه عند الله، خزائن الذهب عند الله، خزائن الفضة عند الله، خزائن المياه عند الله، خزائن الحبوب عند الله، خزائن الأمن عند الله، خزائن الرحمة عند الله، كل شيء خزائنه عند الله ﷻ، فالذهب الموجود الآن في العالم في بطون الجبال، والذهب الموجود في الأسواق، والذهب الموجود على النساء، وكل الذهب الموجود في العالم لا يساوي ذرة مما في الجنة من ذهب، وما في الجنة من الذهب لا يساوي ذرة مما في خزائن الله؛ لأن الله ﷻ إذا أراد شيئاً قال له: كن؛ فيكون: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وكل قدر يسبقه علمٌ يحدد وجوده ووظيفته: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق/ ٣].

﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب/ ٣٨].

فالله ﷻ قدر المقادير أشكالا، وألوانا، وأحجاما، ووظيفة السماء، والأرض، والجبال، والبحار، والأنهار، والشمس، والقمر، والنجوم، والطيور، والأسماك، والحيوانات، والإنس، والجن، والملائكة، والجنة، والنار: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب/ ٣٨].

وأقدار الله مقرونة بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة مقرونة بالخير المطلق.

فكل أفعال الله مبنية على أربع صفات، مبنية على الحكمة، والرحمة، والعدل، والإحسان، والشر ليس إليه، بل بيده الخير، وهو على كل شيء قدير: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨].

فلا إله إلا الله، العظيم الذي قدر المقادير قبل الخلق والتكوين، وكتبها في اللوح

المحفوظ، ثم أظهرها جيلاً بعد جيل، وقرناً بعد قرن، أظهرها في العالم العلوي، وفي العالم السفلي.

والله وحده هو القادر على كل شيء، وكل ما سواه عبدٌ له، وكل ما سواه مخلوقٌ له، وكل ما سواه مملوكٌ له، مقيدٌ له: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود/٥٦].

له الخلق كله، وله الأمر كله، وإليه يرجع الأمر كله: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ [النجم/٤٢].

له أمر الخلق والإيجاد، وأمر التدبير والتصريف، وأمر القبض والبسط، وأمر البقاء والفناء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

فعبد القادر، وأمة القادر، لا بد أن يعترفوا بالقادر، ويستعينوا بالقادر، ويعلموا أن ربهم قادر على كل شيء: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة/٩٨].

وكل ما سوى الله ﷻ مخلوق، مملوك، مرزوق، كل ما سوى الله ﷻ ضعيف، فقير، عاجز، محتاج إلى ربه: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ [١٤] ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [١٥] [مريم/٩٣-٩٥].

وكل ما قدره القادر على العباد فهو في مصالحهم، سواء كان محبوباً أو مكروهاً. فمن يصلح على النعمة يزيده من فضله؛ لعل النعم تذكره بربه فيشكر ربه على هذه النعمة، ولا يُعطي الله ﷻ المال لأحد إلا والله ﷻ يعلم أن لهذا الإنسان مرتبة عالية في الجنة لا ينالها إلا بالإنفاق من هذا المال، ولا يمنع المال من أحد إلا ويعلم أن لهذا العبد مقاماً في الجنة لا يناله إلا بالصبر على الفقر أو الألم أو المرض: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

الله ﷻ كل أفعاله مقرونة بالحكمة، والحكمة مقرونة بالخير المطلق، وهو بصيرٌ بعباده، من يصلح على النعمة يزيده من فضله؛ لعل النعمة تذكره بربه، فيشكر ربه، ويتوب إلى ربه، ويحب ربه، ويعظم ربه، ومن تبطره النعمة يحبسها عنه، لمصلحته: ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [٢٦] ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَيْرٌ بَصِيرٌ﴾ [٢٧] [الشورى/٢٦-٢٧].

والإيمان بالقضاء والقدر يُذهب الهم والغم والحزن، وكل ما قدره الله خيرٌ للعبد، والمؤمن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.  
قال النبي ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَتْ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَتْ خَيْرًا لَهُ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

فالمعاصي، والتقصير في العبادات، وضعف العمل بشرع الله، سببه ضعف الإيمان، والجهل بأسماء الله وصفاته، قربنا ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، لا يفعل إلا ما يليق بجلاله، أفعاله كلها رحمة وحكمة، وعدل وإحسان، فالمؤمن يؤمن بقضاء الله وقدره، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة/ ٥١].

وكل شيء قدره الله لا بد أن يقع: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد/ ٢٢].

والله سبحانه عرف عباده من أسمائه وصفاته بما يوجب محبتهم له، وتعظيمهم له. فأظهر لهم في كتابه المقروء أسماء جلاله، وأسماء جماله، وأظهر آثار أسمائه وصفاته في ملكه وسلطانه، وأمرنا بالنظر فيها لتزداد محبتنا له، ويزداد تعظيمنا له، ويزداد شكرنا له: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس/ ١٠١].

وإذا نظرنا رأينا الخالق يخلق، والرازق يرزق، والرحمن يرحم، والقادر يخلق ويدبر: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ ٦ ﴿وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ ٧ ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرًا لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ ٨ ﴿[ق/ ٦-٨].

فالنظر في الكون المنظور، والتدبر للكتاب المسطور يولد قوة الإيمان، وإذا جاءت قوة الإيمان جاءت قوة التعبد لله، وقوة الحب له، وقوة التكبير والتعظيم له جل جلاله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ٢٤ ﴿[محمد/ ٢٤].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٩).

أمرهم بالتدبر حتى يتعرفوا على ربهم بما أخبر به عن نفسه، ويتعرفوا على ملكه، ويتعرفوا على نعمه، ويتعرفوا على عظمته وجلاله وأسمائه وصفاته: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد/ ٢٤].

أقفال الجهل، أقفال الشهوات، أقفال الهوى، لا بد أن تُفتح هذه القلوب، بأي شيء تُفتح؟ بالدعوة إلى الله، بالتعريف بالله بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ حتى يعرف الناس ربهم، فيكبروه لأنه الكبير، ويُعظموه لأنه العظيم، ويجبوه لأنه المنعم المحسن إلى الخلق بصنوف النعم المادية والروحية: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

والقلوب مفطورة على حب الكمال، وحب من اتصف بالكمال، والسعي للاتصاف بالكمال: ﴿ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

والله سبحانه يبتلي عباده بما شاء ليقفوا ببابه، يبتليهم بما شاء، بمرضٍ، أو فقرٍ، أو خوفٍ، ليقفوا ببابه، فالله إن أعطى أحداً كمالاً؛ كقوة علمية، وقوة عملية، يبتليه بضد ذلك.

لماذا؟، ليبقى الكمال والجمال والجلال لله وحده لا شريك له، فإن أعطى الله ﷻ أحداً الجلال والجمال والكمال تعرض للحسد من الناس، فما من أحدٍ يُعطى جمالاً، وجمالاً، وهيبةً، وكمالاً؛ إلا وتعرض للحسد من الناس، فإن لم يقر الله بأنه هو الذي كمله وجمله؛ سلبه منه: ﴿ وَمَا يَكُومُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣].

والعباد كلهم يعيشون في الدنيا بين رؤية قدرة الله وحكمته، فبقدره القادر يفعل ما يشاء، وبحكمته يحكم ما يريد، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، الملك ملكه، والخلق خلقه، والأمر أمره: ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الملك/ ١].

وهذه الأفعال لمصلحة العبد، فحكمة الله في شرعه وقدره أن يوصل العبد إلى ما يسعده في الدنيا والآخرة، فكل أفعال الله ﷻ في مصلحة العبد: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾  
 ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴿النساء: ٢٧-٢٨﴾.

فالخلاق كلها بيده، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ  
 أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ ﴿النساء: ١٣٣﴾.  
 قدرة مطلقة، وحكمته مطلقة: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي  
 لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿السجدة/١٣﴾.

هذه حكمته، أن شرع الشرع، وخلق خلقًا ابتلاهم بالأوامر الشرعية، وبالشهوات  
 الحيوانية، وبالمصائب القدرية، ليأتوا إليه طوعًا لا إجبارًا، والله يجب من يأتي إليه طوعًا  
 واختيارًا، وهو قادرٌ على أن لا يفعل: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ  
 فَلْيُكْفُرْ﴾ ﴿الكهف: ٢٩﴾.

فحكمته أن شرع الشرائع، فمن الناس من يستجيب، ومنهم من لا يستجيب، وخلق  
 سبحانه الجنة والنار إتمامًا لحكمته، فالله أظهر قدرته في خلق هذا الملك العظيم،  
 والتقدير العظيمة، وأنزل شرعه وأمره في خلقه؛ حتى يعلم من يطيعه ممن يعصيه،  
 فسبحان الملك القادر على كل شيء! أظهر قدرته في خلق السموات والأرض، ليعرف  
 ويعبد وحده: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاثَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ  
 تَأْمُرُونَ بِعِبَادَةِ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ  
 عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴿الزمر: ٦٢-٦٦﴾.

وأظهر قدرته في خلق الشمس والقمر والليل والنهار: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ  
 وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ  
 كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ ﴿فصلت: ٣٧﴾.

وأظهر قدرته في خلق الأنفس والآفاق: ﴿سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ  
 يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَّلَمَّ يَكْفُرْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿فصلت/٥٣﴾.  
 وأظهر قدرته جل جلاله في عظمة كلامه: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ



يُمِدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفَدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴿لقمان/ ٢٧﴾.

عزيز لا يغلب، حكيم في أفعاله، وأقواله، وتدبيراته.

وأظهر قدرته في الإحياء والإماتة والبعث: ﴿مَّا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْتَكُمُ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان/ ٢٨].

وأظهر قدرته جل جلاله في خلق العالم العلوي والعالم السفلي، وما فيها من المخلوقات الكبيرة والصغيرة، من عالم الجماد، وعالم النبات، وعالم الحيوان، وعالم الإنسان، وعالم الجن، وعالم الملائكة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

ومن مظاهر قدرته: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح/ ١٥-١٨].

بهذا تصح القلوب، بهذا تصفو القلوب، بهذا تمتلئ القلوب بالإيمان؛ لأن فيه معرفة الرب، ولكن مع الغفلة يحتلها الشيطان، ولا تزال الأمور مختلة، والأحوال معتلة، لماذا؟ لأن القلوب محتلة مملوءة بالغش والكذب والحسد؛ لأن الشيطان قد احتلها، واستولى على المنافذ من السمع، والبصر، واللسان، وهذه تصب في القلب، فتملؤه بالضيق والشدة والضنك: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾﴾ [طه/ ١٢٣-١٢٤].

فإننا نعلم أننا نتعرف عليه، وعلى أسمائه وصفاته؛ حتى تمتلئ القلوب بالإيمان: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

الله أظهر قدرته في خلق الظلام الدامس، والنهار، والشمس المشرقة؛ والقمر المنير إظهارًا

لقدرته، وتبييناً لحجته، وإظهاراً لكمال أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ [فصلت: ٣٧].

ومن مظاهر قدرته: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٣٩﴾ [فصلت: ٣٩].

هذا من آيات الله وعظمته، الأرض مخلوقة لا يمكن أن تفعل شيئاً، وما كانت شيئاً؛ حتى تفعل شيئاً، إنها هي مستقبلة للأوامر الملكية، السموات والأرض قالوا: سمعنا وأطعنا: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ ﴿١١﴾ [فصلت: ١١].

فلا ترد أمراً كونياً قدرياً عليها، فالسمااء تمطر بأمر الله، والأرض تنبت بقدره القادر جل جلاله، فتنبت من كل زوج بهيج، هو سبحانه القدير الذي أظهر قدرته في ملكه العظيم، وسلطانه الكبير، ودينه القويم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فالله ﷻ أكمل الدين، وأتم النعمة، ورضي لنا الإسلام ديناً، وهذا دليل على أنه لا سعادة في الدنيا والآخرة إلا بهذه الأمور الثلاثة، الدين قد كمل، والله ﷻ أتم النعمة، وبقيا علينا أن نعمل بهذا الدين: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فمن رضي الله عنه قبل هذا الدين، ولم يرض عنه لم يقبل هذا الدين.

نسأل الله ﷻ أن نكون وإياكم من المقبولين عند ربهم، ومن السابقين والمسارعين إلى كل عمل صالح: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٥﴾ [لقمان: ٥].

هو القادر الذي خلق الرياح، وجعل فيها قوة الحمل والحركة، هذه الرياح العظيمة تحمل السحب الثقيلة، وخلق الجبال وجعل فيها قوة الصلابة، وخلق المياه وجعل فيها قوة السيولة بقدرته جل جلاله.

بقدرته خلق الشمس، وجعل فيها قوة الإنارة والحرارة، وبقدرته جل جلاله خلق النار وجعل فيها قوة الإحراق، وخلق بقدرته الأرض وفطرها على النباتات، وخلق النبات وفطره على النمو والتكاثر، وخلق جميع المخلوقات الكبيرة والصغيرة، ووسم الجميع

بِسْمَةِ الْعِبَادِيَّةِ: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم/ ٩٣].

وسم جميع المخلوقات بسمة العبودية والعجز والفقر والحاجة، وتفرد وحده بالربوبية والألوهية: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فسبحان القادر القدير على كل شيء، الذي أظهر قدرته وكمال أسمائه وصفاته؛ ليعرّف عباده به، ويظهر لهم آثار قدرته، ورحمته، وعظمته: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادَعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ أَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر/ ٦٥].

فله الحمد أن أظهر لنا أسمائه وصفاته، وبين لنا دينه وشرعه، ومكننا من قبول الهدى، وحبب إلينا الإيمان والعمل، وضاعف لنا الأجر، فله الحمد كثيرًا كما ينعم كثيرًا، وله الحمد أولاً وآخراً: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الجنّات/ ٣٦-٣٧].

فسبحان ربنا القدير القادر الخلاق العليم الذي له الملك والملكوت، وله الكبرياء والعظمة، وله العزة والجبروت.

هو الخلاق العليم الذي خلق بقدرته العالم العلوي، والعالم السفلي، وعالم الغيب، وعالم الشهادة، وعالم الدنيا، وعالم الآخرة.

خلق جميع المخلوقات بقدرته ودبرها بمشيئته، وحكمها بأمره: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل/ ١٧].

هو بديع السموات والأرض، خلق جميع المخلوقات التي لا يحصيها إلا هو، وكلها مسبحة بحمده، وشاهدة بوحدانيته، وخاضعة لأمره: ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [٤٣] ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء/ ٤٣-٤٤].

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة/ ٧٤].

وسبح باسم ربك الأعلى، سبح بحمده؛ لأنك ترى عظمته وكبرياءه، وجلاله وجماله، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظمة نعمه وإحسانه: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ

كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣].

تسبح جميع المخلوقات بحمده في العالم العلوي، في العالم السفلي، فسبحانه بقدرته خلق كل شيء، ولا يحصي مخلوقاته إلا هو، وعظمة المخلوقات دالة على عظمة الخالق.

فكم عالم الذرات؟! وكم عالم الملائكة؟! وكم عظمة عرش ربنا العظيم؟! وكم عظمة كرسية الكريم؟! وكم عظمة سماواته؟! وكم عظمة أرضه وبحاره، وجباله؟! وكم عظمة جناته؟! وكم عظمة عقوبته وناره؟! كم عالم النباتات بأنواعه وثماره وأحجامه؟! كم عالم الحيوان بأنواعه وقبائله في البر والبحر والجو؟! ﴿ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرْوِفْ مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [لقمان: ١١].

بقدرته خلق الأشياء، وبعلمه المحيط أحاط بكل شيء في العالم العلوي، والعالم السفلي؛ ولهذا من عرف ربه زاد إيمانه بربه، وزاد تعظيمه وحبه له، ثم زاد تعظيمه لكتابه، ثم زاد تعظيمه لأمره، ثم نال ثوابه العظيم: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر/ ٢٨].

﴿ أَمَنْ هُوَ قَنْتِ ۚ ءَأَنَاءَ الْيَلِّ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر/ ٩].

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

من هم العلماء؟ هم الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير، وأن الله ﷻ هو الذي قدر المقادير، والآجال، والأرزاق، والخلائق، والحركات، والسكنات، وكل شيء في الكون، كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء.

الله ﷻ أظهر لنا في هذا الكون العظيم آثار قدرته، وآثار كبريائه، وآثار رحمته؛ حتى تمتلئ قلوبنا بالإيمان، ثم تستقبل الوحي الإلهي بمزاج سمعنا وأطعنا.

وسور القرآن وآياته كلها تدل على عظمة الله، وعظمة أسائه وصفاته، وتأمر بالتدبر

والتفكر؛ لأن حقيقة الإيمان تتم بأمرين:

بالنظر في الآيات الكونية، والنظر في الآيات الشرعية.

وإذا نظرنا إلى الآيات الكونية والآيات الشرعية؛ حصل لنا أمران:

الأول: عرفنا العظيم فنعظمه، والكبير فنكبره، والقادر فنستعين به، والرحمن فنسترحمه، والغفور فنستغفره.

الثاني: عرفنا كذلك الكريم، الرزاق، المنعم، اللطيف؛ فنحبه لإحسانه، ونسأله، ونقف ببابه، ولا نذل أنفسنا لأحدٍ سواه، فالله ﷻ يبين أسماءه وصفاته في كتابه؛ حتى نحبه، وحتى نحمده، وحتى نقدره، وحتى نكبره، وحتى نعبد، ولا شيء أحب إلى الله من تمجيد نفسه، وحمد نفسه جل جلاله؛ لما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى التي أمر الله ﷻ بالتعبد لله بها، فأولاً نتعرف عليه وعلى أسمائه وصفاته، ثم نتعبد له بموجب هذه الأسماء والصفات على شاكلة العبودية: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۚ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

هو الرحمن الرحيم الذي: ﴿يُنزِلُ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل / ٢].

ما هي أفعاله؟: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٣] خلق الإنسان من نطفةٍ فإذا هو خصيمٌ مُّينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ [النحل / ٣-٥].

ومن مظاهر قدرته سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [النحل / ١٠-١٢].

يعرفون الخالق من المخلوق، والقادر من العاجز، ومن يستحق الشكر، ومن يستحق العباد، من يستحق الطاعة.

ومن مظاهر قدرته سبحانه: ﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (١٣) وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَازِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١٤) [النحل: ١٣-١٤].

الله ﷻ يظهر لنا هذه المخلوقات؛ حتى نعرف أسماءه وصفاته وأفعاله: ﴿ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسٍ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (١٥) وَعَلَّمَتِ وَالْتَجِمَ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (١٦) أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (١٧) وَإِن تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوها إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٨) [النحل: ١٥-١٨].

فالله ﷻ بين لنا في كونه العظيم آثار قدرته جل جلاله؛ حتى نتعرف عليه ﷻ، ونعرف أسماءه وصفاته: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَفَّتْ كُلُّ قَدْعِلَمَ صَلَاتُهُ، وَتَسِيحُهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (٤١) وَلِلَّهِ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٤٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ، ثُمَّ يُجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوُدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ، وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِزَابًا فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ (٤٣) [النور: ٤١-٤٣].

فسبحان من هذه عظمته، وهذه قدرته، وهذا خلقه، وهذا ملكه: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (١٠٢) [الأنعام: ١٠٢].

فلا بد من معرفة الأمر قبل معرفة أوامره، لا بد من معرفة المعبود قبل معرفة أنواع العباد، أن نعرف من نعبد، ونعرف أسماءه وصفاته وأفعاله، وعظمة ملكه وسلطانه: ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٤٥) لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ

يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ [النور/ ٤٥-٤٦].

فهذه المعارف العظيمة تولد في القلب الإيمان، وكل القرآن يبين هذه الأصول العظيمة، وأن معرفة الرب أول علم يجب تعلمه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد/ ١٩]. يستغفر الإنسان لنفسه، وللمؤمنين والمؤمنات؛ لأن الإنسان محل الخطأ والتقصير، والغفلة والنقص.

ومن مظاهر قدرته ﷻ: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلَّ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ [النمل/ ٥٩-٦٠].

كم عدد الأشجار والنباتات في العالم؟! الخلية النباتية أكثر من أربعين مليون صنف، وكل صنف أنواع مختلفة من الأشجار والنباتات، وغذاء الإنسان والحيوان. هذا ربنا الذي يستحق أن يُعبد وأن يُكبر، وأن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَادًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلَّ أَكْثَرُ هُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦١﴾ [النمل/ ٦١].

وقد قدر الله لنا فذهبنا إلى جنوب أفريقيا، ورأينا الجبال الشاهقة، ومن أسفل منها البحر العميق، وبالمناظر يستطيع أن يرى الإنسان الحاجز بين البحرين؛ هذا حلو، وهذا مالح، ومن مظاهر قدرته سبحانه: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بِشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَلَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يَدَّوْا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۗ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلُوبًا بَرِّهَنَكُمْ﴾ [النمل/ ٦٢-٦٤].

هذه النباتات، كل يوم يخلق الله مخلوقات جديدة فيها، ويميت مخلوقات جديدة من عالم النبات والحيوان والإنسان.

فالذي بيده الخلق والأمر هو الذي يفعل هذه الأفعال في ملكه العظيم؛ ليظهر لخلقه قدرته رحمةً بهم، فهو جل جلاله مالك الملك، وله الحمد على الخلق والأمر، والتصريف والتدبير، وله الحمد كثيرًا على إنعامه وإحسانه وعظمة ملكه وسلطانه: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الروم/ ١٧-١٩].

منكم الأنبياء والرسل، والأبرار والفجار، والمطيع والعاصي، والأبيض والأسود، والذكر والأنثى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم/ ٢٠-٢١].

هذه المخلوقات العظيمة بقدره الله ﷻ، دالة على عظمته، وعظمة أسائه وصفاته وأفعاله وعظمة ملكه وسلطانه، وعظمة نعمه وإحسانه.

ومن آياته الدالة على كمال قدرته وعلمه ورحمته: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ السِّنِينَ وَالْوَنُكْمَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَا مَأْتِكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الروم: ٢٢-٢٥].

هو الملك الذي له الملك كله: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم/ ٢٦-٢٧].



فهذه آثار قدرته جل جلاله بينها في ملكه العظيم، وملكه المنظور، وبينها في كتابه المسطور، فالحمد لله رب العالمين أن من علينا بهذه المجالس الإيمانية؛ لتتعرف على ربنا، وعلى أسمائه وصفاته، ليزداد إيماننا وتصلح أقوالنا، وتصلح أعمالنا.

فالله ﷻ في القرآن العظيم بين هذه الأمور؛ حتى يمتلئ القلب بالتوحيد والإيمان،

وبين لنا قدرته في خلق المخلوقات لنعرف الخالق من المخلوق، ونعرف من يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُعْرِمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرِمُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أَمْجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَمتَعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة/ ٦٣-٧٤].

فما أعظم النظر والتدبر في آثار قدرة الله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا أَيْلًا لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً مُتَجَاوٍ ﴿١٤﴾ النَّخْرَجَ بِهِ جِبَاً وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتَنَا ﴿١٧﴾﴾ [النبا/ ٦-١٧].

ومن كانت هذه قدرته، وهذه أفعاله هو الذي يستحق العبادة وحده: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

## التعبد لله ﷻ باسمه القادر.. القدير.. المقتدر

الله هو القادر الأعلى، والمخلوق هو القادر الأدنى، وكل قدرة في الأدنى فهي من الأعلى، والله أقدرني فقدرت، لو رفع عني أمر القدرة لظللت عاجزاً لا أستطيع أن أرى، ولا أسمع، ولا أتحرك.

فالله ﷻ هو القادر الذي وهب القدرة لكل قادر، والقدرة نعمة من الله ﷻ، أقدر بها الجماد، والنبات، والحيوان، والملائكة، وغيرها من المخلوقات: ﴿ وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣].

فكيف نتعبد لله بهذا الاسم العظيم؟ فأنا عبد القادر، وعبد القدير، وعبد المقتدر، فكيف نتعبد لله ﷻ بهذا الاسم؟ وكيف نستعمل هذه القدرة في طاعة الله، فيما يحبه الله ﷻ ويرضاه؟ الله ﷻ أخبر عن نفسه أن له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى فقال: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه/ ٨].

والإنسان إذا عرف ربه باسمه القادر والقدير والمقتدر؛ آمن به، وأحبه، وكبره، واستعان به، وتوكل عليه، ورضي بقضائه وقدره، ولجأ إليه في قضاء الحوائج، وتفريج الكروب، وأخلص العبادة له؛ لما يرى من كمال قدرته، وعظمة أسماؤه وصفاته وأفعاله: ﴿ ذَلِكَ مِمَّا اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التغابن/ ١٣].  
وقال النبي ﷺ لابن عباس: «يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَحْفَظْكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَّمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَّمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ بِمَا هُوَ كَاتِبٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» أخرجه الترمذي<sup>(١)</sup>.

ومن عرف الله ﷻ بكمال القدرة؛ كبره، وأجله، وتصاغر لكبريائه، وتواضع لعباده، وابتعد عن ظلم الخلق، واستعمل قدرته فيما ينفع نفسه وينفع غيره: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦).

ءَامَنُوا أَرْكَعُوا **وَأَسْجُدُوا** **وَأَعْبَدُوا رَبَّكُمْ** **وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ**  
**تُقَلِّحُونَ** ﴿٧٧﴾ ﴿الحج/ ٧٧﴾.

بالقدرة التي أعطاني الله أتعبد لله ﷻ، فأقوم بين يديه بالعبادة: ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْمِلُ﴾ ﴿١﴾ **قُرْ أَيْلَ**  
**إِلَّا قَلِيلًا** ﴿٢﴾ ﴿المزمل: ١ - ٢﴾.

وأقوم بين يدي خلقه بالدعوة إلى الله: ﴿يَأْتِيهَا الْمُدْتَرُّ﴾ ﴿١﴾ **قُرْ فَأَنْذِرْ** ﴿٢﴾ **وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ** ﴿٣﴾ ﴿  
[المدثر/ ٣].

واستعمل القدرة في العمل الصالح وفي التواصي بالحق، والتواصي بالصبر: ﴿وَالْعَصْرُ﴾ ﴿١﴾  
**إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ** ﴿٢﴾ **إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ**  
**وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ** ﴿٣﴾ ﴿العصر: ١ - ٣﴾ آمنوا وعملوا الصالحات جهد على النفس، وتواصوا  
بالحق وتواصوا بالصبر جهد على الغير، جهد على الغير بالدعوة إلى الله، وتعليم شرع  
الله، والإحسان إلى خلق الله: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا  
**السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** ﴿١٣٣﴾ **الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ**  
**الغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴿١٣٤﴾ ﴿آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤﴾.

وقال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد؛ إذا اشتكى منه  
عضو؛ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

ومن عرف القادر على كل شيء منع نفسه من ظلم العباد، والعدوان عليهم.  
فالمؤمن إذا دعت قدرته إلى ظلم غيره تذكر قدرة الله عليه، تذكر قدرة القادر على كل  
شيء، ومن ذكر ربه أطاعه ولم يعصه؛ ولهذا أمرنا بإكثار الذكر لله، لأن من ذكر الله  
أطاعه، ولم يعصه، وأحبه، وقدره، وعظمه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا  
**وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا** ﴿٤٢﴾ ﴿الأحزاب: ٤١ - ٤٢﴾.

ومن ذكر الله أطاعه ولم يعصه، والمؤمن إذا عرف ربه باسمه القادر قويت عزيمته،  
واستعدت إرادته بالحرص على فعل أعمال الخير وطلبها، والمنافسة فيها، والمسارة  
إليها، والبعد عن الشر، والهرب منه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ  
**وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴿٢﴾ **الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ**

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٦).

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

فمن عرف القادر جل جلاله استعمل القدرة التي أعطاها الله ﷻ للمسابقة والمسارة إلى الخيرات؛ لينال عند القادر مقاماً كريماً: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١١﴾ [الحديد: ٢١].

قال النبي ﷺ: «اُخْرَضَ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِينُ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ؛ لَكَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنْ لَوْ تَفْتَحَ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

ومن عرف ربه باسمه الحكيم الرحيم؛ سلم من أمراض القلوب، والحسد، والحقد، والغش، والكذب؛ لإيانه أن الأمور كلها بتقدير الله ﷻ، وأنه سبحانه هو الذي أعطى العباد، وقسم بينهم أرزاقهم، وأوصلها إليهم: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ [هود: ٥٦].

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾ [هود/٦].

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ [الزخرف: ٣٢].

والمؤمن إذا عرف ربه باسمه القادر؛ تعبد له بحسن رجائه، ودوام سؤاله، والإكثار من دعائه، والطمع في إنعامه وإحسانه، فالخيرات كلها بيده، ومفتاحها الدعاء الذي أمرنا الله ﷻ به: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

وما أمرنا الله بالدعاء إلا لأنه سوف يستجيب لنا: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ [غافر/٦٠].

فادع الله وحده، وابشر بالإجابة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٦٤).

الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ [البقرة/ ١٨٦].

والمؤمن إذا عرف ربه باسمه القادر القدير المقتدر؛ وثق في رحمته، وحكمته، ولطفه، ودفع اليأس والهلع والقنوط، خاصة عند المصائب والكوارث، وتسלט الأعداء.

الله قادرٌ على كل شيء، قادرٌ على رفع المصائب، وعلى قصم الجبارين، وإهلاك الظلمة، وتدمير البغاة والطغاة، والله ينتقم بالظالم الكبير من الظالم الصغير، ثم ينتقم من الظالم الكبير، فالطغاة والمجرمون عصي بيد الله ينتقم بها، ثم ينتقم منها، فالكل في قبضته، وتحت قهره: ﴿وَلْيَنْصُرَكَ اللَّهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج/ ٤٠].

ومن أصر على كفره وظلمه بعد دعوته أخذه القادر أخذ عزيز مقتدر: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت/ ٤٠].

﴿وَكَذَلِكَ أَخَذُوكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢].

وأنت أيها العبد إذا ظلمك أحدٌ من الناس فذكره بربه القادر على كل شيء، وقل له: أسألك بالذي أنت بين يديه أذل مني بين يدك، إلا كفت عني الإساءة.

وأسألك بالذي هو أقدر على عقابك منك على عقابي إلا رفعت ظلمك عني: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٣].

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فليتوكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن/ ١٣].

وإيمان العبد بربه القادر على كل شيء يقتضي الإيمان بالقدر خيره وشره، الذي هو أحد أركان الإيمان الستة، التي هي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، والتي عليها مدار الفلاح في الدنيا والآخرة.

والملاح هو الفوز المطلوب، والنجاة من المهوب، الفوز بالجنة، والنجاة من النار: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ

﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾  
 أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ ﴿المؤمنون: ١-١١﴾.

والإيمان بالقدر الذي هو القدرة المطلقة، والتقدير الشامل، من أجل صفات أهل العلم:  
 ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فيعلمون أن الله لا يعجزه شيء في  
 الأرض ولا في السماء.

فيا عبد القدير، ويا عبد القادر، الله أقدر منك، فاستعمل ما أعطاك الله من قدرة في عبادة  
 ربك، والدعوة إلى دينه، وتعليم شرعه، والجهد في سبيله، والإحسان إلى خلقه، فإن الله  
 سائلك عنها: ﴿وَلَا نَقُفُّ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ  
 مَسْئُولًا﴾ ﴿الإسراء: ٣٦﴾.

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾  
 ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ  
 يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴿آل عمران: ١٣٣-١٣٤﴾.

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾  
 ﴿١٣١﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿١٣٤﴾ ﴿الفرقان: ٦٣-٦٤﴾.  
 استعملوا الطاقة في عبادة الحق، واستعملوا الطاقة في الدعوة إلى الحق بين الناس.

والإنسان إذا رأى قدرة الله أمامه شعر بالعجز أمامه، وإذا رأى قدرة نفسه ظلم غيره،  
 وإذا جهل قدرة الله استهان بأمره؛ لهذا لا بد من معرفة الله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَمَوَاتٍ  
 وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ  
 شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٢﴾ ﴿الطلاق: ١٢﴾.

ومن عرف القدير اعترز به، واستعان به، وتوكل عليه، ومن عرف القدير سبحانه عرف  
 ضعف نفسه وعجزه، واستصغر لكبريائه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ  
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿الزمر: ٦٧﴾.  
 ومن عرف أن ربه قادر على كل شيء آمن به، واطمأن إليه، وسأله كل ما يحتاج، فهو

القادر الذي يشفيك إذا مرضت، ويغنيك إذا افتقرت، ويؤمّنك إذا خفت، ويهديك إذا ضللت، ويعينك إذا عجزت، ويعلمك إذا جهلت: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى/٦-١١].

والله سبحانه أعطى الإنسان قدرة ناقصة ليقف بباب القادر الرحمن الرحيم، يقف بباب القادر على كل شيء في كل ما يحتاجه: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر/١٥].

فالله ﷻ أفقرنا إليه؛ حتى لا نتوجه إلى غيره في أي حاجة من الحاجات، في أي شأن من الشؤون، فكيف نتصف بهذه الصفة، أو نستعمل هذه الملكة، وهذه الطاقة، وهذه القدرة التي أعطانا الله ﷻ قدرة في الفكر، قدرة في التصور، قدرة في العمل، قدرة في العلم، هذه القدرات التي أفقرنا الله ﷻ عليها كيف نستعملها لنشر الحق، والعمل بالحق، والدعوة إلى الحق؟ ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج:٧٨].

فربنا هو الملك الذي بيده الملك والملكوت، وهو القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، المحيط بكل شيء، الذي له ملك كل شيء: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾ [آل عمران/١٨٩].

العرش شيء، والكرسي شيء، والسماوات شيء، والملائكة شيء، والنجوم شيء، والشمس شيء، والقمر شيء، والفضاء شيء، والأرض شيء، والإنس شيء، والله خالق كل شيء، وقادر على كل شيء، فأنا عبد من عبيده، أقدرني الله ﷻ، وأعطاني هذه القدرة، لأستعملها في طاعته، وفي التبعّد له، وفي دعوة عباده إلى دينه، والإحسان إلى خلقه.

فإذا علم العبد هذه الأمور؛ فعليه أن يحب ربه العظيم، ويعظمه بتعظيم ذاته وأسمائه وصفاته، وجميل إنعامه وإحسانه: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ

شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴿[الأنعام: ١٠٢].

وعليك أيها العبد أن تخافه، وتخاف عذابه، فإنه قديرٌ على أنواع العذاب والعقوبات من كل وجه، فعنده عذابٌ أليم، وعذابٌ شديد، وعذابٌ كبير، وعذابٌ مهين.

فعلينا أن نخافه، ونخاف عذابه؛ لأنه قديرٌ قادرٌ على إيقاع أنواع العذاب والعقوبات بكل وجه فيمن عصاه، كما أهلك من عاداه وكذب رسله من الأمم السابقة بأنواع العذاب من الخسف، والتدمير، والإغراق، والإحراق، والزلازل، والصواعق، وغير ذلك من أنواع العقوبات: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢].

واحذر يا عبد القادر من الذنوب والمعاصي التي تغضب ربك؛ فإنه يراك وأنت لا تراه، وهو أقرب إليك من نفسك، وهو إن أمهلك لتتوب؛ فإنه لا يهلك: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٣٥].

ولا تياس يا عبد القادر من رحمة ربك أبداً، وارجُ رجاء من يعلم أنه قادرٌ على تحقيق كل مرغوب، وإعطاء كل محبوب، وقضاء كل حاجة، وكشف كل كربة: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر/ ٥٣].

واعلم بأن علم العبد بأسماء الله وصفاته، وعلمه بأن ربه هو القادر الذي لا يعجزه شيء يقوي في قلبه الاستعانة بالله، وصدق الالتجاء إليه، ودوام التوكل عليه: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٢-٣].

وإذا علم العبد أن كل محبوبٍ ومكروهٍ بقدرٍ من القادر العليم الحكيم سَلَّمَ قلبه وقالبه لربه، وسَلَّمَ قلبه من أمراض القلوب، وامتلاً بالإيمان، وانشرح للحمد على النعمة، والصبر على البلية: ﴿وَإِن يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْغَايُورُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْغَنِيُّ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٧-١٨].

ومعرفة التقدير الرحيم سبحانه تكمل للعبد عبودية الصبر، وحسن الرضا عن الله، وصدق التوكل عليه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ



وَالْمُؤْمِنَاتُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثْوِئَكُمْ ﴿١٩﴾ ﴿محمد/ ١٩﴾.

ومن ملاً قلبه بالرضا بالقدر؛ ملاً الله صدره غنى وأمناً وطمأنينة، وفرغ قلبه لمحبه، وذكره، وشكره، وحسن عبادته: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر/ ٩].

ومن عرف الله استأنس به، واستوحش من غيره، فكن الله يكن لك، وأحسن إلى خلقه كما أحسن الله إليك، واستعمل ما أقدرك الله عليه فيما يحببه ويرضاه؛ يسرك يوم تلقاه بما تحبه وترضاه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُفْقُونَ فِي السَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَظِيمِ الْأَفِيظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

والأمور كلها بيد القادر المقتدر، العليم بكل شيء، المحيط بكل شيء، فأطعه وأرضه بحسن عبادته، وأحسن رجاءك له، وداوم على سؤاله وحده، وأكثر من دعاء ربك الملك القادر الذي بيده مفاتيح الأمور ومقاليده الأمور؛ يغنيك، ويرضيك، ويسترضيك: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/ ١٨٦].

وإذا قدرت على من دونك من الخلق؛ فاعلم أن القادر سبحانه هو الذي أقدرك عليه؛ لينظر بأي المحاسن تصل إليه، ليكتب لك ثواب الإحسان إليه: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور/ ٢٢].

وإذا أقدرك الله على العلم فاعمل به، وعلمه، وإذا أقدرك الله على العمل الصالح فأكثر منه وأحسنه لربك، فالله ﷻ عبادته في مقام الإحسان هي أعلى أنواع العبادة، والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

وإذا أقدرك الله على المال فاعلم أن لك منزلة عنده لن تصل إليها إلا بالإنفاق من هذا المال، وإذا أقدرك على المال فأنفقه فيما يحبه الله ويرضاه، وينفع عباده؛ من الصدقة على الفقراء والمساكين، والإنفاق على طلبة العلم، وغير ذلك من المنافع التي ينتفع بها

الخلق: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿١٦﴾ [يونس: ٢٦].

وإذا أقدرك الله على حسن الأخلاق؛ فخالق الناس بخلق حسن؛ تفرّز بالجنة والرضوان: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿١١﴾ [الحديد/ ٢١].  
وإذا أردت عظيم الأجر فصل من قطعك، وأعط من حرمك، واعفُ عمن ظلمك، وأحسن إلى من أساء إليك، فلا أحد أصبر على الأذى من الله، يرمونه بالصاحبة والولد، وهو يعافهم ويرزقهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالْكَاسِ لَرُءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٥٣﴾ [البقرة: ١٤٣].

وإذا أردت عظيم الأجر والثواب؛ فأحسن معاشرة الناس، وأحسن إليهم، واصبر على أذاهم؛ لأنك عرفت ما لم يعرفوا، واصبر على كل ذلك ابتغاء مرضاة الله؛ تنل ثواباً وأجرًا عظيمًا: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء/ ١١٤].

﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٢٣﴾ [الأعراف/ ٢٣].

﴿رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورًا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٨﴾ [التحریم/ ٨].

اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل: ﴿فَاطِرَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ [الزمر/ ٤٦].

اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك؛ إنك تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيم.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، يا قوي يا قادر، يا عزيز.

اللهم يا من له العزة والجبروت، وله الملك والملكوت، يا عالماً بكل شيء، يا محيطاً بكل شيء، يا قديراً على كل شيء، نسألك الجنة وما قرب إليها من قولٍ وعملٍ، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قولٍ أو عملٍ، يا أرحم الراحمين.  
سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحَسَنَاتِ

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

اللطيف

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله اللطيف

الله ﷻ هو الرب الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السماوات والأرض: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

الله ﷻ هو اللطيف الذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا، وأدرك بلطفه البواطن والخبايا، اللطيف الذي لا تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة: ﴿وَمَا يَعَزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس/ ٦١].

فسبحان من وسع سمعه الأصوات، ووسع بصره المرئيات، ووسع علمه كل شيء خلقه.

هو سبحانه اللطيف البر بخلقه، الرفيق بهم، العليم بخفايا حوائج العالمين، البصير بأسرارهم الذي يوصل إلى خلقه إحسانه وألطافه من حيث لا يعلمون، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى/ ١٩].

هو اللطيف القادر على إيصال الرزق إلى كل مخلوق في البر والبحر والجو. وهو سبحانه اللطيف الرحيم بعباده وأوليائه، الذي يسوق إليهم أنواع البر والإحسان من حيث لا يشعرون، ويعصمهم من أنواع الشر الخفي بلطفه، ويرقيهم لأعلى المراتب بأسباب لا تخطر على بالهم، حتى إنه يذيقهم الآلام والمكاره، ليوصلهم بها إلى المحاب الجليلة، والمقامات النبيلة: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف/ ١٠٠].

فسبحان الكريم اللطيف بعباده، الخفي بهم، الموصل إليهم أرزاقهم من حيث يعلمون، ومن حيث لا يعلمون: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۖ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۖ﴾ [الطلاق: ٢-٣].



حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِيهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ [لقمان/١٦].

لطيف لا يخفى عليه شيء، وإن دق وصغر، خبير بجميع مخلوقاته، يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ذرات الرمال، لطيف لا يخفى عليه شيء في ملكه وملكوته، وجميع مخلوقاته بين يديه أصغر من الخردلة، لأنه هو الكبير المتعال المحيط بجميع مخلوقاته علماً ورؤية وقدرة: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

هو سبحانه اللطيف في إتقان الصنع، وتركيب دقائق الصنعة، وما دون ذلك من خفايا المخلوقات، وأسرار المصنوعات: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل/٨٨].

هو سبحانه اللطيف بعباده، كثير اللطف بهم، بالغ الرأفة بهم، لا يفوته من أعمالهم شيء، ولا يظلم أحداً مثقال ذرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء/٤٠].

بل هو اللطيف الكريم الذي يزيد أجور الصالحين بفضله وكرمه، ويعفو عن سيئات المذنبين بلطفه وعفوه، ويعذب من يشاء من المذنبين بعدله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام/١٦٠].

هو سبحانه اللطيف الذي لا أحد ألطف منه، اللطيف الذي يملك خزائن اللطف، اللطيف الذي كل لطف في العالم من آثار لطفه، اللطيف الذي وهب اللطف لكل لطيف فلطف: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿١١﴾﴾ [الحجر/٢١].

خزائن الجهاد بيده، خزائن النبات بيده، خزائن الحيوان بيده، خزائن الملائكة بيده، خزائن البشر بيده، خزائن الذهب بيده، خزائن المياه بيده، خزائن الهواء بيده، خزائن المعادن بيده، كل شيء خزائنه عند الله ﷻ.

هو سبحانه اللطيف الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

هو سبحانه اللطيف الذي لطف بعباده في جميع مصالحتهم في الدنيا والآخرة.

واسم الله اللطيف ورد في القرآن الكريم سبع مرات، منها قوله سبحانه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [١٤/الملك].

واسم الله اللطيف اسم فاعل من لطف يلفظ بمعنى البر والإكرام والحفاوة، وإن كان من لطف بالضم فهو صفة مشبهة بمعنى دق وخفي، فهو يعلم كل شيء خفي، والله سبحانه أبين من كل بين، فهو الحق المبين، وهو الظاهر، ولكنه لطيف لا تراه العيون، ولا تدركه الظنون، ولا تحيِّله الأوهام: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [١٣/الأنعام].

واسم الله اللطيف يتضمن علمه بالأشياء الخفية والدقيقة، وإيصاله الخير والرحمة بالطرق الخفية: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [١٠٠/يوسف].  
وقد اقترن اسم الله الخبير مع اسم الله اللطيف خمس مرات في القرآن، منها قوله سبحانه: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [١٣/الأنعام].

وسر ذلك والله أعلم أن لطف اللطيف وإحسانه وبره إنما دق على عقول وأفهام البشر؛ لأنه جارٍ على مقتضى خبرته التي هي فوق إدراك عقول البشر، فهو سبحانه اللطيف الذي لطف صنعه ودق حتى عجزت عنه الأفهام، الخبير الذي انتهى علمه إلى الإحاطة ببواطن الأشياء وظواهرها، وهو المحيط بكل محيط، ولا يحيط به محيط.

فسبحان اللطيف العليم الخبير بدقائق الأمور وخفاياها وأسرارها، اللطيف الذي يوصل البركات والرحمات بالطرق الخفية: ﴿يَبْنِيْ إِيَّاهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [١٦/لقمان].

وجميع مخلوقاته في العالم العلوي والعالم السفلي ممالئكه وعباده، تسبح بحمده، وتشهد بوحدانيته، وتخضع لأمره، وتستجيب لمشيئته، وتسرع إلى إرادته: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [٤٩/النحل].

هو سبحانه اللطيف الرحيم بعباده، الكريم الذي أعطاهم فوق الكفاية، الرحيم الذي

كلّفهم برحمته ولطفه دون الطاقة، اللطيف الذي سهل لهم أبواب العلم والعمل الصالح الذي يوصلهم إلى السعادة في الدنيا والآخرة، فأكمل لهم الدين، وأتم عليهم النعمة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة/ ٣]. فكل نعمة من اللطيف بعباده الرحيم بهم: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرًا إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالِيهِ تَجَسَّوْنَ﴾ [النحل/ ٥٣].

والله سبحانه بكمال لطفه لعباده لا يترك أحداً منهم بلا رزق؛ لأنه الغني القوي العزيز، الغني الذي لا تنقص خزائنه مثقال ذرة مع كثرة الإنفاق، القوي الذي يوصل الأرزاق إلى المخاليق بالطرق الخفية والجلية، العزيز الذي لا يمتنع عليه شيء، الذي لا يعجزه شيء، المنيع القاهر لكل أحد، الغني الذي لا ينتفع من عبادة العباد ولا شكرهم له: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥٦] ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ [٥٧] ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨].

هو سبحانه الغني الذي يُطعم ولا يُطعم، وما سواه يرزق ويُطعم من ربه ﷻ: ﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ الْيَتِيمَ وَالْيَتِيمَ الْيَقِينُ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ﴾ [١٤] ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُرَكَاءَ مَا تَدْعُونَ﴾ [الأنعام/ ١٤].

هو سبحانه اللطيف الرفيق الذي يوصل إلى عباده الخيرات والمنافع، ويدفع عنهم الشرور والمضار، فنحن تحت رقابة الله حفظاً وعنايةً وتدبيراً، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى/ ١٩]. هو سبحانه اللطيف الذي لطف عن أن يدرك: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام/ ١٠٣].

هو اللطيف الذي لطف عن أن يدرك بالكيفية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى/ ١١].

هو اللطيف الذي لا يدرك ولا يحاط به علماً في الدنيا والآخرة؛ لعظمة جلاله وكبريائه ولطفه، فلا يرى في الدنيا؛ لطفاً وحكمة، ويرى في الآخرة؛ إكراماً وتفضلاً ومنة على أوليائه وعباده المؤمنين.



والرؤية تختلف عن الإدراك، فقد أرى الشيء لكن لا أحيط به ولا أدركه من كل الجهات، فالمؤمنون يوم القيامة يرون ربهم، ولكن لا يحيطون به؛ لأن المحاط مقدور عليه، والله قادر غير مقدور عليه: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

ومن كل هذا نفهم عظمة أسماء الله وصفاته وأفعاله، وعظمة ملكه وسلطانه؛ فتمتليء القلوب بالإيمان، وتعلم أن السميع يسمع كل من تكلم أو لم يتكلم، والبصير يرى جميع مخلوقاته، والخبير يعلم بما في الضمائر؛ فنحبه، ونرجوه، ونخافه، وندعوه رغبا ورهبا؛ لأن القلب استحضر عظمة الله، وعظمة أسمائه وصفاته، وتعبد الله بهذه الأسماء، ورأى مظاهر وأثر رحمة الله ولطفه في الكون: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرَ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس/ ١٠١].

﴿أَفَلَا يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [٦] ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ بِهَيْجٍ﴾ [٧] ﴿تَبَصَّرَ الْعِصْرُ وَإِذْ كُنَّا لِكُلِّ عِبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [٨] [ق/٦-٨].

فهذا غذاء القلوب، أن تتغذى بمعرفة الله وأسمائه وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعدته، ووعيده، هذه مغذيات القلوب، كما أن النباتات واللحوم غذاء للأبدان، والعلوم والمعارف غذاء للعقول، كذلك معرفة الله أجل العلوم؛ ولهذا أمر الله ﷻ بمعرفته ومعرفة أسمائه وصفاته: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة/ ٩٨].

وإذا عرفتموه؛ أحببتموه، وعظمتتموه، وكبرتموه وأطعتم أمره، واجتنبتم نهييه. ومن جلال لطفه سبحانه: خلق هذه المخلوقات العلوية والسفلية في ملكه العظيم: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [١٢] [الطلاق/ ١٢].

الله ﷻ خلق هذه المخلوقات العظيمة؛ لتدل على كمال قدرته، وكمال حكمته، وعظمة ملكه وسلطانه، ومن هذه المخلوقات العظيمة التي خلقها الله ﷻ في ملكه العظيم خلق السماوات والأرض، خلق العرش والكرسي، خلق ما في السماوات من الملائكة، وخلق

من في الأرض من مخلوقات لا يحصيها إلا هو، من عالم الجهاد والنبات والحيوان والإنسان والجان، وغيرها من المخلوقات التي لا يحصيها إلا هو ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَى مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَى ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ تَوَفَّكُونَ ﴿٩٥﴾ [الأنعام/ ٩٥].

ومن مظاهر لطفه: فالق الإصباح، هذا الصباح الذي يأتي بعد الظلمة الشديدة: ﴿فَالِقُ الإصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ [الأنعام/ ٩٦].

ومن مظاهر لطفه: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ [الأنعام/ ٩٧].

ومن آثار لطفه: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ [الأنعام/ ٩٨].

الآن يولد في العالم أكثر من خمسمائة مولود من البشر تقريباً، ويموت مثل هؤلاء تقريباً، فكم يوجد من المخلوقات الأخرى التي تولد كل يوم، وتموت كل يوم؟! هو الحي ﷻ الذي يحيي ويميت، ويفعل في ملكه ما يشاء بلطفه وحكمته: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ [المؤمنون: ٨٠].

ومن مظاهر لطفه: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ [الأنعام/ ٩٩].

ومن هذه أفعاله، وهذه صفاته، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

وهو ﷻ اللطيف في خلقه وأمره وتدبيره ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثَرُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَكِّبًا وَغَيْرَ

مُتَشَكِّهِ كَلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَعَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ [الأنعام/ ١٤١].

ومن آثار لطفه: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاءٌ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطْوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾ [الأنعام/ ١٤٢].

هو سبحانه الذي خلق هذه المخلوقات العظيمة الدالة على كمال قدرته، وكمال عظمته ﷻ، لنعرف ذلك، ثم نتوجه إليه ونعبده، ونمثل أمره، ونقف بين يديه خاشعين متذللين لعظمة جلاله، وعزة كبريائه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

هو ﷻ الذي أظهر لطفه في خلق الإنسان: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنَبِّينَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤْتِقُ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [الحج: ٥].

ثم انظر لتعرف لطف اللطيف في خلق هذا المخلوق في الظلمات، وأن الأرض تشبه هذا الرحم للأم، الأرض رحم كبير، ولها مواليد كثيرة من النباتات: ﴿وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [الحج/ ٥].  
وذلك لنعرف خمس مسائل: ﴿ذَلِكَ يَأْنِ لِلَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتِقُ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج: ٦-٧].

ومن آثار لطف اللطيف في ملكه وملكوته: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [الروم: ١٩].  
ومن آثار لطفه في خلق البشر: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الروم/ ٢٠].

ومن آثار لطفه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم/ ٢١].

فيعرفون الخالق من المخلوق، والرازق من المرزوق، والمملك من العبد، فيممثلون أوامر ربهم، ويقفون بين يديه ركعًا وسجدًا: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

ومن مظاهر لطفه: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَفَ اللَّسَانِ كُمْ وَالْوَنُكْمَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الروم/ ٢٢].

ومن مظاهر لطفه: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ ؕ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الروم/ ٢٣].

ومن مظاهر لطفه: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ؕ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٗ قَنُونٌ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم/ ٢٥-٢٧].

فهذه آثار لطف الله ﷻ في ملكه وملكوته: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِثْلَ ذَلِكَ مِّن شَيْءٍ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الروم/ ٤٠].

فالقلب إذا عرف هذه الحقائق؛ آمن بربه وأحبه، وتوجه إليه في جميع حوائجه؛ لأنه الصمد الذي تصمد إليه الخلائق في جميع حوائجها: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١-٤].

فسبحان الله! ما أعظم لطفه في خلق هذا الإنسان في الظلمات! ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾ [يس/ ٧٧].

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾﴾ [الطارق/ ٥-٨].

ومن جلال لطفه سبحانه: إخراج اللبن الخالص السائغ للشرب طعامًا وحلاوة، من بين فرث ودم في باطن الحيوان، فهذا من جلال لطف الرب ﷻ أن أخرج هذا اللبن

الخالص السائغ الأبيض، طيب الطعم وطيب الحلاوة، من بين فرث ودم في باطن الحيوان الذي يرمم من كل شيء: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً تَسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَاخًا لِصَاسِئًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [النحل / ٦٦].

ومن جلال لطفه إخراج العسل الشهي من بطون النحل: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَنْفَكِرُونَ﴾ [النحل: ٦٩].  
ومن جلال لطفه ﷺ هذا الهواء اللطيف الذي نحس به، ولا نرى شخصه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا يَبْتَغِي رَحْمَتَهُ﴾ [الأعراف / ٥٧].

فهو هواء لطيف، لم يجعله الله شديداً يقتلع الأشجار والبيوت والأشياء، ولم يجعله معدوماً فينخنق الإنسان والحيوان ويموت.

وهو اللطيف الذي خلق من مخلوقاته في باطن البحار من يعيش في الماء، وخلق من مخلوقاته من يعيش في بحر الهواء، فهما بحران، بحر الماء يعيش فيه السمك، وبحر الهواء يعيش فيه الإنسان والحيوان: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦].

ومن جلال لطفه ﷺ هذه العيون التي خلقها لنا، هذه العيون التي نبصر بها الأشياء، وهذه الأذان التي نسمع بها الأصوات، وهذا اللسان الذي نتكلم به بما نشاء، وهذا القلب الذي يدبر هذا البدن بما شاء: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل / ٧٨].  
وقال النبي ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

والقلوب محل نظر الله، لأنها محل النيات.

قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» أخرجه مسلم<sup>(٢)</sup>.

ومن جلال لطفه ﷺ: هذه الأرض التي تستقبل ماء السماء؛ فتنبت من كل زوج بهيج: ﴿تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٥٢)، ومسلم برقم (١٥٩٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤).

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ [فصلت/ ٣٩]

واللطيف من صفات الذات؛ لأنه الذي لَطَفَ عن أن يُدْرِكَ بالبصر والكيفية: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٣﴾ [الأنعام: ١٠٣].

الله ﷻ هو اللطيف الذي لَطَفَ عن أن يُدْرِكَ بالكيفية، لا يدركه أحد، العليم بدقائق المخلوقات والأمور وأسرارها وغوامضها، فهو عليم بجميع مخلوقاته، هو الذي خلقهم وهو العليم بهم ظاهراً وباطناً: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿١٣﴾ [الأنعام: ١٠٣] أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ [الملك/ ١٣-١٤].

واللطيف كذلك من صفات الأفعال؛ لأنه اللطيف الموصل إلى عباده أنواع البر والإحسان والإنعام والإكرام، في كل مكان، وفي كل زمان، بِالطَّفِ الوجوه، وهذا متعلق بمشيئته وإرادته المقترنة بحكمته، وحكمته المطلقة مقترنة بالخير المطلق.

فالأول متعلق بذاته، فهو ﷻ اللطيف الذي لَطَفَ عن أن يُدْرِكَ بالكيفيات، نراه بالبصائر لا بالأبصار، ونراه يوم القيامة بالبصائر والأبصار، ولكن ذلك خاص بالمؤمنين: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

والثاني متعلق بمشيئته وإرادته، والأول متعلق بذاته لا ينفك عنه: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ ﴿١٩﴾ [الشورى/ ١٩].

هو سبحانه اللطيف الذي خلق ورزق، وولي فستر، وأعطى فأغنى، وأنعم فأجزل، وعلم فأجمل، فلا يخفى عليه شيء: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٦﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

ومن رحمة اللطيف بعباده أنهم لا يرونه في الدنيا، ولو رأوه في الدنيا لبطلت الحكمة، وتعطلت معاني العدل، وتعطلت معاني الشريعة بالأمر والنهي، لأن من رأى الله بعظمته وجلاله وكبريائه؛ فلن يعصيه أبداً، ولكن الله ﷻ من رحمته بعباده أنهم لا يرونه في الدنيا، بل يراه المؤمنون في الآخرة؛ إكراماً لهم.

أما في الدنيا فافتضت حكمته أن لا يروه، ومن كان بحضرة السلطان من المخلوقين فإنه لا يعصيه، فكيف بملك الملوك ﷻ؟! فلو رآه الناس في الدنيا لبطلت الحكمة من

التكليف بالأمر والنهي .

وأنى لأبصار البشر أن تثبت لرؤية الجبار ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَبْصَارَ إِلَهِكَ ۖ قَالَ لَنْ نَرِنِّي وَلَكِنْ نُنْظِرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِّي ۖ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَهِكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف/ ١٤٣].

فموسى صُعق لما نظر إلى المتجلى عليه وهو الجبل، فكيف لو رأى الله ﷻ؟.

فالله ﷻ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٣].

أما في الآخرة فالمؤمنون يرونه، ففي الدنيا لا رؤية ولا إدراك، وفي الآخرة رؤية بلا إدراك: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

فسبحان الله! ما أطف تدبيره، وما أعظم قدرته، وما أطف صنعه في خلق مخلوقاته العلوية والسفلية، الكبيرة والصغيرة، السائلة والجامدة! وما أطف أمره! وما أطف كلامه! وما أطف فعله!.

فهذه أربعة أمور أظهر الله فيها لطفه بعباده: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

نظر إلى لطفه في خلق السماء والملائكة، والأرض، والجماد، والنبات، والتدبير والتغيير، وتقلب الليل والنهار، وخلق الإنسان والحيوان، الله أظهر لطفه في مخلوقاته.

وما أطف أمره الكوني القدري، وأمره الشرعي، وأمره الجزائي! فهو لطيف ﷻ في خلقه وأمره وتدبيره: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وما أطف كلامه! فإنه يتودد إلى عباده وهو الغني عنهم، ويتقرب إليهم، ويعدهم بالثواب العظيم على العمل القليل، ويكلفهم بما يطيقون، ويعفو عن السيئات، ويغفر الذنوب، ويكشف السوء ﷻ، فهو لطيف في خلقه، وفي أمره الكوني، وفي أمره الشرعي، في التكليف بما لنا فيه طاقة، وعدم التكليف بما لا طاقة لنا به: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وهو اللطيف في أفعاله ﷻ: ﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾﴾

[النور/ ٤٤].

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٦﴾

[آل عمران: ٦].

فسبحان اللطيف الذي حجب خلقه عن رؤيته بكمال نوره.

قال النبي ﷺ: «حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ؛ مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

فنعمة الله ﷻ علينا كلها لطف في الخلق والأمر، والأوامر، والنواهي، والفرائض والسنن، والعزائم والرخص، كلها لطف من الله اللطيف بعباده: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿١٨٥﴾ [البقرة: ١٨٥].

واسم الله اللطيف ورد مطلقا كقوله سبحانه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٤﴾ [المالك/ ١٤].

وورد مقيدا كقوله سبحانه: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ ﴿١٩﴾ [الشورى: ١٩].

وورد معرفا بأل كقوله: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٤﴾ [المالك/ ١٤].

وورد مجردا من أل في قوله: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ ﴿١٩﴾ [الشورى/ ١٩].

واسم الله اللطيف اسم دال على ذات الله اسما، ودال على وصف الله باللطف كغيره من أسماء الله الحسنى، فالله اسمه اللطيف، وهذا الاسم دال على وصف الله باللطف.

وهو اللطيف بعباده، اللطيف الذي لا يخفى عليه شيء، يعلم الصغير والكبير، والسر والجمهور، فكل اسم من أسماء الله الحسنى لا بد أن يكون دالا على وصف الله بالكمال مع دلالة على الذات، والوصف لا يقوم إلا بذات، الرحمة لا تقوم إلا بذات، والقوة لا تقوم إلا بذات.

فلا إله إلا الله! ما أعظم لطفه وعلمه وقدرته! وما أعظم لطفه بعباده، وما أعظم إحسانه إليهم: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٩).



سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ يَأْتِي اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَكَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ  
وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ [الحج: ٦١-٦٢].

وأسماء الله الحسنى وصفاته العلى لها تعلق بالتدبير الكوني، وتعلق بالتدبير الشرعي،  
ولولا هذا التعلق لفسدت الحياة، وانتهى العالم: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا  
فَسَبَّحَانَ اللَّهُ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٢-٢٣].  
الله ﷻ هو الحي الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وهو اللطيف الذي يدبر هذا  
الكون بموجب أسمائه الحسنى، وصفاته العلى.

فسبحان الذي يدبر أمر العالم بأوامره الكونية، وأوامره الشرعية، بأنواع الألفاظ  
والإحسان والأحكام: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ  
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ  
الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/١٠٢-١٠٣].

فتدبير الله ﷻ لهذا الكون بموجب أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة.  
هذا الكون لا يصلح إلا بتدبير إله واحد، وخلق إله واحد، وطاعة وعبادة إله واحد:  
﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢﴾﴾ [يونس: ٣].

ربنا ﷻ يثني على نفسه بأنه الواحد الأحد الذي خلق هذه المخلوقات، وأن له الخلق  
وحده، وله الأمر وحده، وله التصريف والتدبير والملك وحده لا شريك له: ﴿إِنَّا  
رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى الْيَلَمُ النَّهَارَ  
يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ  
الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/٥٤].

هو اللطيف ﷻ الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض بقوته وقدرته، ﴿إِنَّ اللَّهَ  
يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا  
غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر/٤١].

هو اللطيف القادر: ﴿وَمَنْ عَابَهُ فَإِنَّهُ أَنْ يَقُومَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ  
الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الروم: ٢٥].

هو اللطيف المحسن إلى عباده: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى

التَّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ [إبراهيم/ ١].

فسبحان الله! ما أعظم لطف الله بالإنسان في خلقه في أحسن تقويم، وسوق رزقه إليه، وتقليب أحواله لمصلحته، وتيسير حصوله على العلم والرزق والهداية! ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٧].

ما أعظم لطف الله ببني آدم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء/ ٧٠].  
فما أعظم آثار لطف اللطيف في الملك والملكوت!، في التدبير والتصريف.

فسبحان من لطف بك أيها العبد لأجلك، فإن رأيت لطفًا من البشر بك؛ فاعلم أنه لأجلهم، ولأجل مصالحهم لا لأجلك: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت/ ٦].

﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرًا إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣].

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١٤﴾﴾ [ال عمران/ ١٦٤].

هو سبحانه اللطيف الذي عم بلطفه وأطافه جميع الخلق، الله لطيف بالعباد في خلقهم، لطيف في تدبيره لأحوالهم ومصالحهم، لطيف في سوق أرزاقهم إليهم؛ لأنه القوي الذي يوصل الأرزاق إلى من شاء، حيث شاء، بأي قدر شاء، في أي وقت شاء، فله الحمد والشكر على إحسانه ولطفه بعباده، حيث خلقهم في أحسن تقويم، وهداهم إلى الدين القويم: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿٣﴾﴾ [المائدة/ ٣].

ومن لطف اللطيف بخلقه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الحج/ ٦٣].

إن هذه الأرض مائدة للإنسان والحيوان، خلق الله عليها من أصناف النعم من نباتات وحيوانات ومعادن كلها مسخرة للإنسان.

ومن لطف الله بعباده استجابته لدعائهم، وقبوله أعمالهم: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿غافر: ٦٠﴾.

فإن من رحمة فطر الإنسان على الفقر والضعف والعجز؛ ليتوجه إليه في جميع الحوائج، الله يحب أن يُسأل، ويجب أن يُعطي، والعطاء أحب إليه من المنع، والرحمة أحب إليه من الانتقام: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ ﴿١٨٦﴾ ﴿البقرة/ ١٨٦﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿الشورى: ٢٥﴾.

ومن لطف الله بعباده أنه يحاسب المؤمنين يوم القيامة حساباً يسيراً بلطفه ورحمته: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ ﴿٧﴾ ﴿فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ ﴿٨﴾ ﴿الانشقاق / ٨﴾.

ويحاسب الكفار بعدله وحكمته: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ ﴿١١﴾ وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ ﴿١٢﴾ ﴿الانشقاق: ١٠-١٢﴾.

فإن من لطف الله بعباده يحاسب جميع الخلق يوم القيامة: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿الغاشية: ٢٥-٢٦﴾.

هو الذي خلقهم، وأنزل عليهم هذا الدين في الدنيا، وأمرهم بالإيمان به وعبادته، وسيعودون إليه يوم القيامة ويحاسبهم على أعمالهم، خيراً كانت أو شراً: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿٦﴾ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ﴿٨﴾ ﴿الزلزلة/ ٦-٨﴾.

ويوم القيامة يوم العدل والإحسان: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿١٦٠﴾ ﴿الأنعام / ١٦٠﴾.

فإن من لطف الله بعباده الكافر بعدله، ويعامل المؤمن بإحسانه وكرمه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكَ حَسَنَةً يَضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٤٠﴾ ﴿النساء / ٤٠﴾.

• ولطف الله بعباده نوعان:

الأول: لطف يتعلق بتوحيد الربوبية: كسوق الأرزاق إلى العباد وإعطائهم ما يصلحهم، ويصلح حياتهم في الدنيا: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾ ﴿٣﴾ [فاطر: ٣].

الثاني: لطف يتعلق بتوحيد الألوهية: بإنزال الكتب، وإرسال الرسل، وهداية من أراد الله هدايته، ومن يعلم أنه يزكو على التوحيد والإيمان والتقوى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿١٦٤﴾ [آل عمران: ١٦٤].

فلطف يتعلق بتوحيد الربوبية في العطاء المادي، ولطف يتعلق بتوحيد الألوهية بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، وشرع الشرائع، وتحييب الإيمان والأعمال الصالحة إلى عباده: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنْ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ﴾ ﴿٧﴾ [الحجرات: ٧-٨].

ومن لطف الله بعباده أن الأبصار لا تدركه؛ لأن كل مدرك محاط به، والله لا يحيط به أحد، بل هو المحيط بكل أحد: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٣].

وإذا أحاطت الأبصار بالله؛ انقلب البصر قادراً والله مقدوراً عليه، والقادر لذاته لا ينقلب مقدوراً عليه أبداً، فالله يرانا ونحن لا نراه في الدنيا، لكن نراه في الآخرة؛ تكريماً لنا، وفضلاً منه سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٢٤٣﴾ [البقرة: ٢٤٣].

والله سبحانه هو اللطيف الذي لطف حتى لا تراه العيون، ولطف فخلق كل لطيف دقيق لا نراه، فهو اللطيف الذي خلق الكبير والصغير، والجليل واللطيف. فسبحان من لطف بذاته فلا يرى، ولطف بعباده فأكرمهم بأنواع الرحمة والإحسان، وتديب أمورهم ومصالحهم بألطافه الخفية في خلقه، والتديب اللطيف في خلق الماء العذب، وفي خلق الهواء، وفي خلق الإنسان، وفي خلق الحيوان: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١٠٠﴾ [يوسف: ١٠٠].

وما أعظم لطف الله بعباده في تسخير جميع المخلوقات لهم! ﴿الْمَرْتَوَىٰ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [القمان: ٢٠].

ألا تشكرون هذه النعمة؟ ألا تكبرون الكبير؟ وتحبون الذي خلقكم، وساق أرزاقكم، وأوصلها إليكم، وفتح نفوسكم لتقبلها، وجعلها عوناً لكم على طاعته؟ ﴿ذَلِكَ مِمَّا رَزَقَكُمْ لَهُ الْمَلَأُ وَالَّذِينَ نَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر: ١٣].

ومن مظاهر لطفه بعباده أنه يستقل كثير النعم على خلقه، ويجب أن يعطي خلقه كل ما يسألون، ولهذا أمرهم بسؤاله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر/ ٦٠].  
فنسأله من خيري الدنيا والآخرة.

هو اللطيف الكريم الذي يدعوهم إلى الشكر، ليزيد لهم النعم: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم/ ٧].  
فالله ﷻ يستقل كثير النعم على خلقه، يجب أن يعطيهم ما يحبون وما يصلحهم ويصلح أحوالهم، ولكن له الحكمة في قسم الأرزاق عليهم.

وهو سبحانه اللطيف الذي يستكثر قليل الطاعة من خلقه، فيضاعف لهم ثوابها من عشر حسنة، إلى سبعائة حسنة، إلى أضعاف مضاعفة، إلى أضعاف كثيرة، إلى عطاء بغير حساب: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠].

﴿مِثْلَ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ حَبَّةِ آذِنَةِ ذُرَّةٍ سَعِ سَنَابِلَ فِي كُلِّ صُنْبُلَةٍ مِّائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٦١﴾﴾ [البقرة/ ٢٦١].  
﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللهَ قرصاً حسناً فيضعفه له، أضعافاً كثيرةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٤٥].

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَبِيئًا ﴿٦٦﴾﴾ [النساء: ٦٦-٦٨].  
﴿وَلَهَدَيْتَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ [النساء: ٦٨].

فعطاء الله مطلق غير محدود، لأنه يجب العطاء؛ فيعطي على العمل القليل الأجر الكثير؛

لكمال رحمته ولطفه بعباده: ﴿قُلْ يَعْبادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفُوا رَبِّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿١٠﴾ [الزمر: ١٠].  
الحساب عند المخلوق، أما الخالق فيعطي بغير حساب، لكمال غناه وكرمه.

هو اللطيف الكريم الرحيم الذي إذا ناديته وقلت: يا رب، يا الله، لباك فشفاك وأغناك، وإذا قصدته آواك، وإذا استهديته هداك، وإذا سألته أعطاك، فنعم المولى ونعم النصير، يتولاك برعايته، يتولاك في صحة بدنك، وسوق الأرزاق إليك، وهدايتك، وإرسال الرسل إليك: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٢﴾ [الجمعة: ٢].  
فهو سبحانه لطيف كريم، رحمن رحيم، إن ناديته لباك، وإذا قصدته آواك، وإذا أحببته أدناك، وإذا أطعته كافأك، يعطيك على الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة.

وهو اللطيف الذي إذا عصيته عافاك، ولم يقطع رزقه عنك، فهو يطعمك ويسقيك ويؤويك مع أنك تعصيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٤٣﴾ [البقرة/ ١٤٣].  
وإذا أعرضت عنه دعاك، وتودد إليك بالنعم؛ لترجع إليه، وتتوب إليه، مهما عصيته، ومهما خالفت أمره: ﴿قُلْ يَعْبادِ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥٣﴾ [الزمر/ ٥٣].  
هو اللطيف الذي إذا تقربت منه هداك، ﴿وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا﴾ متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وإذا جاهدت فيه هداك: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٦٩﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

ربك هو اللطيف الذي يجازيك بأحسن الثواب إن وفيت، ويعفو عنك إن قصرت: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ ﴿٣١﴾ [النساء: ٣١].

الله ﷻ لطيف بعباده، يجازيك بأحسن الثواب إن وفيت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٥٣٦)، واللفظ له، وأخرجه مسلم برقم (٢٦٧٥).

كَانَتْ لَهُمْ جَنَّتُ الْفِرْدَوْسِ نُزْلًا ﴿١٠٧﴾ [الكهف/ ١٠٧].

ويسعدك في الدنيا والآخرة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٧﴾ [النحل/ ٩٧].

فربنا لطيف يجازي بأحسن الثواب إن وفينا له العبادة، ويعفو عنا إن قصرنا: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ﴿١١٠﴾ [النساء/ ١١٠].

هو سبحانه اللطيف الذي من اعتر به وذل له أعزه: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨﴾ [المنافقون: ٨].

لأن خزائن العزة بيده ﷻ، فيعز من يشاء، ويذل من يشاء، يعز المؤمنين، ويذل الكافرين، فهو اللطيف الذي من افتخر به وذل له أعزه، ومن افتقر إليه أغناه، ومن استعان به أعانه، ومن استغفره غفر له، ومن دعاه أجابه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

فالله ﷻ يجب أن يُسأل، والعطاء أحب إليه من المنع، يعطيك ما يسعدك في الدنيا والآخرة، ويمنع عنك ما يجعلك تبطر النعمة: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿٣٧﴾ [الشورى: ٣٧].

هو العزيز الذي من استغفره غفر له، وهو الغفور الرحيم الذي من تاب إليه تاب عليه: ﴿نَبِيِّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ [الحجر/ ٥٠].

هو حي بصفات الكمال، من السمع، والبصر، والقوة، والرحمة، والعفو، والحلم، واللطف: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر/ ٦٥].

الحمد لله رب العالمين على كمال ذاته، وأسمائه، وصفاته، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظمة دينه وشرعه، وعظمة إنعامه وإحسانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ [الفاتحة/ ٢-٥].

هو اللطيف الذي لا يخفى عليه شيء خلقه، لطيف يعلم النيات والإرادات فضلاً عن الأقوال والأعمال: ﴿وَأَسْرَأُ قَوْلَكُمُ أَوَّاهَرُ وَأَبْهَةٌ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ

اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ [الملك/ ١٣-١٤].

هو سبحانه اللطيف الذي خلق المخلوقات كلها وأحسنها، وأتقن صنعها، وأحاط بها علماً، اللطيف الذي لطفَ علمه وخبره حتى أدرك السرائر والضمائر والخفايا والعيوب: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

فهو رقيب علينا، وشهيد علينا، إكراماً لنا، ليحفظنا مما يضرنا.

فسبحان ربنا اللطيف الخبير الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، الذي وصل بره ولطفه إلى جميع مخلوقاته في العالم العلوي والعالم السفلي، فلا إله إلا الله! وسبحانه ما أعظم لطفه بعباده!.

وسبحان اللطيف بمن لجأ إليه، وتاب إليه من عباده؛ فيقبله، ويُقبل عليه، ويُنعم عليه، الذي يُعطي الجزيل، ويقبل القليل، لكمال رحمته ورأفته! ﴿إِنِّي أَنزَلْتُ لَكُمْ لِرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [النحل/ ٧].

فأقبلوا على عبادته، وامثلوا أمره، واجتنبوا نهيه، فإنه رؤوف رحيم.

ومن رأفته أن بسط لكم الرزق، وأرسل إليكم الرسل، وأنزل عليكم الكتب، وشرع لكم الشرائع: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ولا إله إلا الله اللطيف الخبير الذي يعلم الأشياء الدقيقة، ويوصل رحمته ورزقه إلى الخلائق بالطرق الخفية: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَدْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآذِنُوا لَهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر: ٣].

فكل ما يتبلى الله به عباده من المصائب، وما يأمرهم به من المكاره، وما ينهاهم عنه من الشهوات، هي طرق خفية يوصلهم بها اللطيف الخبير إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة، في العاجل والآجل: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمْرِتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾



أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

كما ابتلى يوسف بالغربة، والحب، والسجن فصبر؛ فأعطاه الله النبوة والعلم والملك، كما قال الله ﷻ عن يوسف: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ الْدُنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف/ ١٠٠-١٠١].

وابتلى اللطيف الخبير إبراهيم ﷺ بالنار، وفراق الأهل، وذبح إسماعيل، فصبر وأطاع؛ فجعل ذريته هم الباقين، وجعل منهم أئمة يدعون ويهدون إلى الخير إلى يوم القيامة: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الحديد/ ٢٦].

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنبياء: ٧٣].

الله ﷻ لطيف بعباده، إبراهيم ﷺ ضحى بحياته من أجل الله؛ فوهب الله له الحياة، ضحى بحياته، وسلم نفسه، وألقى في النار، فالله أمر النار أن تحفظه: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء/ ٦٩].

وضحى بالولد؛ فأحيا الله الولد، وأخرج من نسله أفضل وأحسن ولد، وهو سيد الخلق محمد ﷺ.

وضحى إبراهيم بالبلد العراق؛ فالله أعطاه أحسن بلد، وبنى فيها أعظم بيت، هو البيت الذي جعله الله ﷻ أول بيت وضع للناس، وأمر إبراهيم ببنائه.

وضحى بأم الولد؛ فالله جعلها أمًّا للعرب، وجعل خطواتها عبادة يُتعبَّد لله بها إلى بالسعي بين الصفا والمروة، في نسك الحج والعمرة.

هو اللطيف الذي جعل هذه الشدائد الأربع مفتاحاً للنجاة والحياة والتكريم والسعادة في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل: ١٢٠].

فسبحان ربنا العظيم اللطيف! ما أعظم رحمته بعباده! وما أعظم لطفه بهم! وما أوسع

حلّمه على من عصاه! وما أشد فرحته بمن تاب إليه! ﴿ وَاللّٰهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ [النساء: ٢٧-٢٨].

﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (١١٠) [النساء/ ١١٠].

وإذا عرفنا ذلك؛ فيجب علينا أن نحمد ربنا اللطيف، ونتوب إليه، ونستغفره، ونقف بين يديه خاضعين لأمره، محتنين لنهيته، مستغفرين من الذنوب، شاكرين على النعم، صابرين على البلاء: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

• واسم الله اللطيف له معنيان:

الأول: بمعنى الخير الذي لا يخفى عليه شيء، والذي لطف أن يرى، فهو سبحانه اللطيف الخير بكل شيء، الذي علمه دق ولطف حتى أدرك السرائر والضمائر والخفيات: ﴿ وَأَسْرَأْ قَوْلَكُمْ أَوَجَّهْرُؤَابِهِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ [الملك/ ١٣-١٤].

الثاني: بمعنى اللطيف المحسن والمنعم، الذي يوصل إلى عباده وأوليائه مصالحهم ومنافعهم بلطفه وإحسانه من حيث لا يشعرون: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (٦٣) [الحج/ ٦٣].

واعلم أن لطف الله هو الرحمة، فكل رحمة تصل إلى الخلق فهي من لطف الرحمن الرحيم بعباده، سواء كانت بالأسباب المحبوبة أو المكروهة، فالله ﷻ يبسط ويقبض، ويعطي ويمنع، وهو الحكيم العليم.

ومسالك اللطف ظاهرة بادية في الملك والملكوت، ظاهرة في خلق المخلوقات كلها، والإتيان بالأرزاق وتقسيمها، ولطف الله ظاهر في أنواع الكفايات كلها، وتقليب الأحوال والأطوار، واختلاف الألسنة والألوان، والأحكام والأوقات، وخلق الذوات

والذرات، وخلق الجامدات والمائعات، واستخراج ذلك كله من غيابات خزائنه: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (٦٢) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

فسبحان اللطيف الخبير الذي خلق هذه المخلوقات العظيمة واستودعها في خزائنه العظيمة، ثم يخرجها من عالم الغيب إلى عالم الشهادة: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٠٢) لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

وما أحسن لطف ربنا في إرسال الرياح اللوواح! ثم لطفه في تلقيحها السحاب، ثم لطفه في حملها السحاب، ثم لطفه في جمع السحاب بالرياح، ثم لطفه في جمع الماء في السحاب، ثم لطفه في إنزاله على خلقه مفرقاً لثلاً يهلكهم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ (٤٣) يَقَلْبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَرِ ﴿٤٤﴾ [النور/ ٤٣-٤٤].

ثم تأمل لطف اللطيف في سوق السحاب بالرياح إلى البلد الميت، ثم لطفه في ترتيب إنزاله إلى الأرض وتقطيره رذاذاً؛ لثلاً يهلك من تحته: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٥٧) [الأعراف/ ٥٧].

ثم انظر كيف لطف اللطيف في خلق أرحام الأرض، وفتحها لقبول الماء والنبات حتى ذهبت عروق النبات في الثرى، وصعدت أغصانه في الهواء، وظهرت ثماره في الفضاء، فلا إله إلا الله! ما أعظم لطف الله في فتح أرحام الأرض وهياها لقبول الماء والنبات،: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (٨٦) [الحجر/ ٨٦].

ثم تأمل حكمة اللطيف كيف خلق النبات أزواجاً وشعوباً وقبائل مختلفة الألوان والأحجام والثمار، والطعوم، رزقاً لخلقهم وعباده ليشكروه على نعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لِّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيِّتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾ (١١) [ق/ ٩-١١].

ثم تأمل قدرة اللطيف في خلق الحب والنوى، وهدايته له ليمتص الغذاء من الطين في جذوره، ثم كونه أغصاناً وأوراقاً وأزهاراً وثماراً، ثم كيف لطف بخفي قدرته في تدريج نمو الحبة حتى صارت شجرة شامخة مستمرة النسل والبذر إلى يوم القيامة: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾ [النحل/ ١٠-١١].

فأعظم عبادة هي عبادة التفكير والتدبر والنظر في الآيات الكونية، والآيات الشرعية. ثم تأمل كيف أخرج اللطيف بخفي لطفه الثمار من النبات كما يخرج الأطفال من الأرحام، وكما يخرج الأفعال من الإنسان، وكما يخرج الكلام من اللسان، ليدكر عباده أنه القادر على بعث الأموات من القبور: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ۖ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيٍ الْمَوْتِ ۗ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت/ ٣٩].

هو سبحانه اللطيف الخبير القدير، الذي أخرج من أرحام الأرض مواليد لا يحصيها إلا هو: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام: ٩٩].

هو سبحانه اللطيف بعباده، الذي له خزائن الأرزاق في السماوات والأرض، اللطيف الكريم الذي يسوق لعباده بلطفه أرزاقهم من بلاد شتى، بكميات شتى، بأنواع شتى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِإِقْدَارٍ مَّعْلُومٍ ﴿٦١﴾﴾ [الحجر/ ٦١]. وسبحان الملك الحق الذي خلق الأرزاق والمرزوقين، وساق هذا لهذا بلطفه: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود/ ٦].

فالله ﷻ من رحمته بنا أن أخبرنا بحكمة خلقنا، لنشغل بمراده منا، ونمثل أمره، ونجتنب نبيه، ومن علينا بأن تكفل بأرزاقنا وقسمها بيننا؛ حتى لا نشغل عن عبادته

يطلب المعاش: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨].

• والناس اثنان:

مشغول بالله.. ومشغول عن الله.

والله ﷻ أمرنا بعبادته وامتناله وأوامره في جميع الأحوال.

فإذا اشتغلنا بعبادة الله وحده لا شريك له صلحت القلوب بالإيمان، وصلحت الجوارح بالأعمال، وحصلت البركة في الرزق، وحصل التيسير في الحياة، وإذا لم نشتغل بالعبادة؛ فسدت القلوب، ونزعت البركة من الرزق، وتعسرت المعيشة: ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿١٢٦﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦].

وأخطر شيء على الناس أن يعبدوا غير الله، ويتركوا عبادة الله: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ ﴿١١٣﴾ [الشعراء/ ٢١٣].

معذب في حياتك، معذب في معيشتك، معذب في أفكارك، معذب في الدنيا، ومعذب في الآخرة.

فنعمل بما طلب الله منا وهو الإيمان به وعبادته، وهو سبحانه الذي طمأننا على أرزاقنا وقسمها بيننا: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ [الزخرف: ٣٢].

والحمد لله رب العالمين أن جعلنا من أمة سيد المرسلين؛ فأسعد الناس في هذه الحياة هم أتباع الأنبياء، وأسعد أتباع الأنبياء هم أتباع سيد الأنبياء والرسول محمد ﷺ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿١٦٤﴾ [آل عمران/ ١٦٤].

فنحب الله الذي من علينا ببعثة النبي ﷺ، ونحب الكتاب الذي جاء به النبي ﷺ، ونحب النبي الذي أرسله الله ﷻ لنا: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا

عِنْتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ يَا مُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨].

فالحمد لله رب العالمين على هذه النعم التي من الله ﷻ بها علينا، وعلى قدر اتباعنا للنبي ﷺ تكون الهداية، وعلى قدر التقصير في اتباعه تكون الضلالة: ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

فالاتباع الكامل ثمرته هداية كاملة، وأول أمر يجب علينا أن نمثله هو معرفة الله ﷻ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمُنْونَكُمْ﴾ [محمد / ١٩].

فتتعرف على ربنا بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی؛ حتى نعرفه ونحبه ونقدره؛ لأننا إذا عرفنا أسماء جلاله، وأسماء جماله، وعرفنا عظمة ملكه وسلطانه، وعرفنا عظمة أوامره؛ نشأ من ذلك تعظيم الله في القلب، والحب لله ﷻ، والتكبير له، والشكر له، والخوف منه، والرجاء له.

وبقدر هذه المعارف تكون قوة التبعّد لله ﷻ، محبة له، وتعظيمًا له، ورجاءً له، وخوفًا منه ومن عقابه جل جلاله، فمعرفة أسماء الله الحسنی تولد في القلب الطمأنينة والسكينة، وتعظيم الله، وحب الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

والله سبحانه هو الكريم الذي له الأسماء الحسنی، والصفات العلی، وجميع الخلق ينتفعون بأرزاقه، ويأكلون من موائد نعمه، فلا ترى أحدًا من الخلق إلا قاعد على موائد نعم رب العالمين، برًا وبحرًا وجوًّا، في العالم العلوي والعالم السفلي، في عالم الدنيا، وفي عالم الآخرة؛ فليس في الدنيا إلا مُنعم ومنعم عليه، المنعم هو الله الذي أنعم بكل نعمة: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل / ١٨].

﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].  
والمنعم عليه هم كل ما سوى الله من خلقه، أنعم عليهم بنعمة الإيجاد، ثم بنعمة الإمداد، وخص الإنس والجن بنعمة الهداية، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وما أعظم نعم الله على الإنسان ماديةً كانت أو معنوية! ما أكثر ما يجلس الإنسان على مائدة فيها من نعم الكريم! أنواع شتى، من بلاد شتى، في أوقات شتى، كم نجلس في كل يوم على موائد النعم المختلفة أفرادًا وجماعات! ونحن جزء من عالم، فكيف بالعوالم الأخرى؟ عوالم الحيوانات والطيور والحشرات، والجن والملائكة.

هذه العوالم كلها، الله ﷻ خلقها بقدرته، وكلها تسبح بحمده، وتشهد بوحدانيته: ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

فلا إله إلا الله! وله الحمد، ما ألطفه بخلقه! وما أعجب لطفه في حسن تدبير هذا الملك العظيم، وجميل تقسيمه الأرزاق على المرزوقين: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [١٨] وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩١﴾ [الحجر/ ٩٨-٩٩].

فأنت ذرة من جنسك، وجنسك ذرة في ملك الله العظيم. ويا عبد اللطيف تفكر في خلقك، فهذا الإنسان الله ﷻ خلقه في أحسن تقويم؛ تفكر في النطفة التي خلقت منها الخلاق العليم أحسن الخالقين، كيف جمعها اللطيف من الغذاء، وأقرها في قرارها المكين، ثم استنزها من الذكر والأنثى من بين الصلب والتراتيب؟.

ثم تأمل مرة أخرى كيف جمع الله ماء الرجل والمرأة في ظلمات الأرحام، ثم صيرها ربك اللطيف في أطوار الخلق نطفة، ثم علقه، ثم مضغته، ثم عظامًا، ثم كسا العظام لحمًا، ثم نفخ فيه الروح فكان خلقًا آخر بتدبير اللطيف الخبير: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [١٣] ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أُنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ [المؤمنون/ ١٢-١٤].

خلقًا آخر يسمع، ويبصر، ويتحرك، ويأكل ويشرب، ويفكر ويتدبر، ويشكر أو يكفر. ثم تأمل كيف أخرج اللطيف هذا الإنسان من بطن أمه بشرًا سويًا، حسن الأعضاء الظاهرة والباطنة، مكتمل الأعضاء والحواس: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [٤] ثُمَّ

رَدَدَتْهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴿التين: ٤-٦﴾.  
 فسبحان اللطيف الذي خلق من ذلك الماء إنساناً له رأس ولسان، وأذنان وعينان،  
 ويدان ورجلان، وأصابع وبنان، وغيرها من الأعضاء الظاهرة: ﴿وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ  
 لِّمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ ءَافَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾  
 [الذاريات/ ٢٠-٢٢].

وإذا عرف العبد هذه المعارف العظيمة عن ربه؛ جاء في قلبه حب الله، وتعظيمه، وحمده،  
 وحسن عبادته.

وخلق القدير اللطيف من ذلك الماء القلب والكبد والأمعاء والمعدة والعروق  
 والعصب، وغيرها من الأعضاء الباطنة: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ  
 ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾﴾ [الطارق/ ٥-٨].

فهذا الإنسان عورة، خرج من عورة، ثم دخل في عورة، ثم خرج من عورة، وهو عورة،  
 وظالم، وشقي، وخاسر إن لم يؤمن بربه؛ ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا  
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر/ ١-٣].  
 وكل إنسان ظالم إذا لم يتب من كفره ومعاصيه: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾  
 [الحجرات/ ١١].

﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣١].

وكل إنسان ضال وشقي «يا عبادي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.  
 فمن هداه الله فليشكر نعمة اللطيف الكريم الذي مَنَّ عليه بالإيجاد والإمداد  
 والهداية: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ  
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات/ ١٧].

فسبحان الله! هذه قدرة اللطيف الخالق القادر في خلق فرد من جنس من أحد مخلوقاته

التي لا تعد ولا تحصى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ؕ بَلِ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).



الظالمون في ضلالٍ مُبين ﴿١١﴾ ﴿لقمان: ١١﴾.

وهذا التخليق والتقدير في كل ثانية، الله ﷻ يخلق مليارات المخلوقات من كبير وصغير، وذكر وأنثى، من الجمادات والنباتات، ومن الحيوانات والبشر، ومن الملائكة والجان:

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر: ٨٦].

فسبحان الخلاق العليم اللطيف الخبير الذي يملك جميع موازين التقدير، والتدبير والتصريف، والتشكيل والتغيير، بسلطانه العظيم في ملكه الواسع الكبير؛ لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر / ٦٥].

له الملك كله، وله الخلق كله، وله الأمر كله، وهو الحكيم العليم في خلقه وأمره، ييسر ويقبض، ويعز ويذل، ويعطي ويمنع، ويغني ويفقر، ويحيي ويميت، ويهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ويعفو عمن يشاء، ويتنقم ممن يشاء.

خلق الكبير جل جلاله والصغير، وخلق الجليل والدقيق، والكل عنده سواء في الخلق والعلم، والتقدير والتدبير: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۚ وَالْأَرْضَ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ۚ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ۗ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ هذا خَلَقَ اللَّهُ فَارُوقِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان / ١٠-١١].

فلا إله إلا الله! ما أعظم أسماءه وصفاته وأفعاله! وما أعظم ملكه وسلطانه! وما أعظم نعمه وإحسانه، وما أعظم هذه المخلوقات التي خلقها الله في العالم العلوي والعالم السفلي!.

والكل ملكه، والكل خلقه، والكل يشهد بتوحيده، والكل يسبح بحمده ويعبده، والكل خاضع لأمره القهري، والكل مسرع إلى إرادته الملكية: ﴿سُبْحٰنَهُ ۗ وَتَعٰلٰى عَمَّا يَقُولُونَ ۗ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۗ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِيحُ بِحَمْدِهِ ۗ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء / ٤٣-٤٤].

وسبحانه ما أعظم لطفه في تدبيره بالبسط والقبض، والعطاء والمنع!.

هو القادر على كل شيء، الذي لا يعجزه شيء؛ ولا يمتنع عليه شيء، هو المحيط بكل شيء، القوي القادر القاهر، يحيي بأسباب الموت، ويميت بأسباب الحياة، وينجي بأسباب الهلاك، ويهلك بأسباب النجاة، ويعز بأسباب الذلة، ويذل بأسباب العزة.

إن ربك فعال لما يشاء؛ لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، وجميع أفعاله مقرونة بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة مقرونة بالخير المطلق؛ فلا يفعل الله إلا ما هو خير، وكل أفعاله حكمة ورحمة، وعدل وإحسان: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ ﴿٤٤﴾ [فاطر: ٤٤].

هو اللطيف الذي يربي أوليائه في قصور أعدائه، ثم يورثهم أرضهم وملكهم، كما ربي موسى ﷺ في قصر فرعون: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَكَلَّمَتْهُ فِي أَيْمٍ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٧﴾ فَأَلْقَتْهُ أُمُّ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِبِينَ ﴿٨﴾ [القصص: ٧-٨].

ويعطي اللطيف سبحانه المحبوب بالأسباب المكروهة، لأنه اللطيف العليم بكل شيء، القادر على كل شيء وحده لا شريك له: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١١٦﴾ [البقرة: ٢١٦].

هو جل جلاله اللطيف الذي يحيي بأسباب الموت، كما أنجى إبراهيم ﷺ من النار المحرقة، وجعلها بردًا وسلامًا عليه، ويميت بأسباب الحياة، فكم من إنسان! وكم من مخلوق عنده أسباب الحياة! ولكن الحياة والموت بيد واحد، الذي يملك الحياة هو الذي يملك الموت: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٢﴾ [الملك: ١-٢].

فسبحان الله! ما أعظم لطفه بعباده المؤمنين! لا يقضي لهم بشيء إلا كان خيرًا لهم: ﴿هُوَ

الَّذِي يُصَلِّيٰ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ

رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ [الأحزاب / ٤٣].

خلقهم في أحسن تقويم، وساق لهم الأرزاق، وحبب إليهم ما يكون سبباً لحياتهم، ومن عليهم بنعمة الهداية: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَنْخَظَفَكُمْ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصَرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ [الأنفال: ٢٦].

وقال ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ؛ وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

أما الكافر من حيث هو كافر فقد كفر بالنعمة، وردَّ أمر الله، وظلم نفسه، الكافر من حيث هو كافر لا يقضي الله له بشيء إلا كان شرًّا له، إن بسط له وأغناه طغى وتكبر، وإن منعه وقبضه سخط على ربه وعاداه: ﴿وَلَا تَعْجَبْ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿٨٥﴾ [التوبة / ٨٥].

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ أَيْدِيهِمْ سُرْعُ هُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ [المؤمنون / ٥٥-٥٦].

هذه عقوبة الإعراض عن دين الله ﷻ، أن الله ﷻ إذا أعطى الكافر النعمة؛ أغناه وأطغاه ذلك الغنى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْجَى ﴿٧﴾﴾ [العلق: ٦-٧].

أما المؤمن فيشكر النعمة، ويستعملها في طاعة الله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِتْيَاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿١٧٣﴾ [البقرة: ١٧٢].

واعلم يا عبد اللطيف ويا أمة اللطيف أن من لطف الله بعباده المؤمنين أنه يتولاهم بالخير دائماً، فيخرجهم من ظلمات الكفر والبدع والجهل والمعاصي إلى نور الإيمان والسنة، والعلم والطاعات والعمل الصالح، ويقبضهم شر نفوسهم الأمانة بالسوء، ويصرف عنهم السوء والفحشاء، ويصرفهم عن الكبائر والمحرمات التي توجب سخطه؛ لأنه وليهم: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُهُمُ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٩).

خَلِيدُونَ ﴿٢٥٧﴾ [البقرة/ ٢٥٧].

ويقدر لأوليائه المؤمنين أرزاقهم بحسب علمه بما يصلحهم، ويقدر ما يعينهم على طاعته، ويقدر عليهم أنواعاً من البلايا والمصائب التي يسوقهم بها إلى ما يحبه ويرضاه من الطاعات والقربات والكرامات: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [التوبة/ ١٢٠].

فإنه سبحانه خلق الأمراض والمصائب، والابتلاءات والمكاره لحكمة، ومن حكمة ذلك أن في خلق الأمراض والمصائب صرف الأشرار إلى أعمال الأبرار، وجذب النفوس إلى الملك القدوس لتعبده، وجر الناس من دار الغرور إلى دار السرور، فإنه لطيف بخلقه المحبوب والمكروه: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة: ٢١٦].

ومن لطف الله بعباده المؤمنين أن يجعل لهم الرزق الحلال في راحة ويسره لهم من حيث لا يحتسبون، فيجعل رزقهم حلالاً في راحة، يحصل به المقصود، ولا يشغلهم عما خلقوا من أجله وهو عبادة الله، والدعوة إليه: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾﴾ [الشورى/ ١٩].

ومن لطف الله بعباده المؤمنين أنه يتلهم ببعض المصائب ليكفر عنهم السيئات إذا صبروا، ويرفعهم إلى أعالي الدرجات، ويكرمهم بجزيل الثواب؛ فله الحمد على لطفه، وله الحمد على قضائه في المحبوب والمكروه، وله الحمد على عطاء الخير، وصرف الشر: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

فالمقصود الأعظم من الصبر على هذه الابتلاءات، لتظهر فينا عبودية الصبر؛ لأن الله يحب الصابرين، والله مع الصابرين، فهذه الابتلاءات نتحصل على فضيلة الصبر، وما هو أجر الصابرين؟: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر/ ١٠].

فسبحان الله! ما أَلطفه بسَوْقِ النعمِ الظاهرةِ والباطنةِ إلى عبادِهِ حَبًّا لهم وإن كرهوا ذلك: ﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

فهذا لطف الله ﷻ بعبادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، واختيارِهِ لهم ما يسعدهم في الدنيا والآخرة. ونحن في هذه الدروس نحرض دائماً في شرح أسماء الله الحسنى على أن نثبت الاسم لله ﷻ، من القرآن والسنة، وأن نفهم معناه، وأن ننظر في آثاره في الكون، ثم ننثي على الله به، ثم نتعبد لله بالتخلق به.

فالله لطيف يريد مني أن أكون لطيفاً، فكيف أكون لطيفاً بعدما عرفت اللطيف، وصفات اللطيف، وأفعال اللطيف جل جلاله؟ وكيف نتعبد لله سبحانه باسمه اللطيف؟ ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

التعبد لله ﷻ باسمه اللطيف

الله ﷻ لطيف بعباده يحسن إليهم في كل حال، ويصلح أحوالهم بأوامره الكونية القدرية في ملكه العظيم، وبأوامره الشرعية، من الأوامر والنواهي، وما جاء في القرآن من الأخبار الصادقة، والأوامر العادلة: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَتِهِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥].

فيصلح سبحانه أحوال الأمة، وأحوال البشرية، بأوامره الكونية، ليل ونهار، وماء وهواء، وسماء وأرض ونبات وحيوان، وحر وبرد، وصيف وشتاء يصلح أحوال الخلق بأوامره الكونية؛ فله الحمد والشكر.

ويصلح أحوال الخلق في الدنيا والآخرة بأوامره الشرعية، بعد أن أنعم بنعمه المادية. فهو العليم الخبير بكل شيء، لا يخفى عليه شيء وإن صغر ودق: ﴿يَبْنِيْ اِنَّهَا اِنْ تَكُ مِنْقَالِ حَبَّةٍ مِّنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِيْ صَخْرَةٍ اَوْ فِي السَّمَوَاتِ اَوْ فِي الْاَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ اِنَّ اللهَ لَطِيْفٌ خَبِيْرٌ﴾ [لقمان/ ١٦].

لطيف: لطف أن يرى بالأبصار، لطيف بعباده يسوق إليهم أنواع النعم، ويمنع عنهم ما يضرهم؛ فلا إله إلا الله! كم غمر خلقه بعظيم لطفه، وجميل إحسانه، وأنواع بره وفضله! ﴿وَمَا تَنْكُم مِّنْ كَلٍّ مَّا سَأَلْتُمُوهُ وَاِنْ تَعُدُّوْا نِعْمَتَ اللهِ لَا تَحْصُوْهَا اِنَّكُم لَاِلٰهَ اِلَّا اللهُ كَفَرًا﴾ [إبراهيم: ٣٤].

نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهداية، نعم في داخل النفس، ونعم خارج النفس، نعم في الدنيا، ونعم في الآخرة، نعم في العالم العلوي ونعم في العالم السفلي، نعم في عالم الغيب، ونعم في عالم الشهادة: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهُ ثُمَّ اِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَاِلَيْهِ تَجْرُوْنَ﴾ [النحل: ٥٣].

ومن عرف صنوف بر اللطيف، ولطفه بخلق سبحانه؛ أحبه، وشكره على إحسانه وبره وإنعامه: ﴿ذٰلِكُمْ اللهُ رَبُّكُمْ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ خَلِقُ كُلَّ شَيْءٍ فَاَعْبُدُوْهُ وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيْلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

والناس إذا عرفوا أن النعم من الله، وأنه أعطاهم هؤلاء الخلق؛ فيجب عليهم أن يؤمنوا به ويشكروه، وشكره بامثال أوامره، واجتناب نواهي. والشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح، وأن يستعمل العبد النعم في طاعة مولاه،

ولا يستعين بشيء من نعم الله على معاصيه، وكم من الخلق من يستعين بالنعم على المعاصي! ولكن الحليم يمهلهم ولا يمهلهم، لعلهم يتوبون إليه: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

والشكر للطف يكون بالقلب واللسان والجوارح ما بقي للإنسان حيًا، والله يجب الشاكرين، قلبه خاشع لمولاه، حامد له، قانت له.

ولسانه ذاكرًا شاكرًا، حامدًا مستغفرًا، يحمد ربه ويمجده، ويدعو إلى دينه، ويعلم شرعه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

والجوارح تتحرك في جميع أنواع الطاعات؛ من الصلاة والصيام والحج والبر وصلة الأرحام.

وإذا عرف المؤمن ربه باسمه اللطيف؛ سارع إلى طاعته، واستحيا من معصيته، وصدق في التوكل عليه، ورضي بكفايته: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن/ ١٣].

ومن عرف ربه باسمه اللطيف حاسب نفسه عن كل صغيرة وكبيرة من الأقوال والأعمال والأخلاق؛ لعلمه بكمال إحاطة ربه بكل صغيرة وكبيرة، وأنه لطيف لا يخفى عليه شيء من أعمال الخلق: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ [آل عمران: ٥-٦].

فسبحان عالم الغيب والشهادة: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ [البقرة/ ٢٣٥].

فسارعوا إلى طاعته، واستغفروا من الذنوب، فربكم غفور حلیم يغفر الذنوب جميعًا. فالتعبد لله ﷻ باسمه اللطيف وبأسماء الله الحسنى، وبصفاته العلى، يملأ القلب إيمانًا وتوحيدًا، وحبًا لله، وتعظيمًا له، وتكبيرًا له: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ

وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩].

وأول ما يجب على العبد من التعبد لله باسمه اللطيف طلب علمه، بأن يتعرف على اسم الله اللطيف؛ فذلك مفتاح التعبد لله به وبغيره من الأسماء الحسنى، ومعرفة مسالك اسمه اللطيف في العالم، لترى قدرة القدير، ولطف اللطيف، وحكمة الحكيم في مخلوقاته وأفعاله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

والهدف الأول من طلب العلم بأسماء الله الحسنى هو معرفة الرب الذي يستحق العبادة بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة دينه وشرعه، ومعرفة وعده ووعيده. والهدف الثاني: هو عبادة الله وطاعته، وحبه وحمده، وتكبيره وتمجيده، بعد معرفته سبحانه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

ومن وفقه الله لهذا وهذا؛ سعد بالقرب من ربه، وسعد برضاه وجنته: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢]. وإذا علم العبد أن ربه له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة؛ بادر إلى التعبد لله بما يحبه ربه ويرضاه، والتعبد له بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف / ١٨٠].

فلننظر إلى آثار اسم الله اللطيف في مسالك العالم، وفي هذا الملك العظيم؛ لنرى قدرة القدير، ورحمة الرحيم، وعطاء الكريم، وحكمة الحكيم، ولطف اللطيف في مخلوقاته وأفعاله وملكوته، حتى نعرف قدرة اللطيف، ورحمة اللطيف، ونتعبد لله ﷻ بهذه المعرفة، فتكون طاعاتنا وعباداتنا لله ﷻ شهوات؛ حتى نعبد الله بالحب والالتفات وبالاعتراف والذل له، ونعبده بما جاء عن رسوله ﷺ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

فالتدبر والنظر في آثار اسم الله اللطيف في الكون يثمر التوحيد والإيمان، والعبادة



والإحسان، وحب الله وحمده، وتكبير الله وتمجيده.

فانظر لترى العظمة والكبرياء، ونسجد لرب الأرض والسماء.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج / ١٨].

فانظر في الملك والملكوت؛ لترى آثار لطف اللطيف في ملكه، وحكمة الحكيم، وقدرة القدير؛ فتعبده حباً له وتعظيماً له: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَصُبِحَ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الحج / ٦٣].

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠].  
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ، وَتَسْبِيحَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور / ٤١].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْسِئُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ، ثُمَّ يُجْعَلُهُ رِجَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ، وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ، عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ، يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ﴾ [٤٣] يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [٤٤] ﴿النور: ٤٣ - ٤٤﴾.  
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رِيكِكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ، سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [٤٥] ﴿الفرقان / ٤٥﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [٢٩] ﴿لِقمان: ٢٩ - ٣٠﴾.  
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [٢٧] ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [٢٨] ﴿فاطر: ٢٧ - ٢٨﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ، يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ، زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ،

ثُمَّ يَهِيْجُ فَزَنَّهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١﴾ ﴿النمر: ٢١﴾.

فالله أكبر! ما أعظم ظهور آثار هذا الاسم في ملك الله العظيم! في آياته الكونية التي بثها الله ﷻ في هذا الملك العظيم؛ لتكون سبيلاً إلى إيمان العباد، وطريقاً إلى توحيدهم:

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوْسًا وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرًا لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦-٨].

فعلينا أن ننظر في الملك والملكوت، ونتدبر هذا الملك العظيم، ونرى آثار اسمه اللطيف، آثار اسمه القدير، آثار اسمه الرحمن، آثار اسمه العليم، آثار اسمه الخالق، آثار اسمه الرزاق: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [القمان: ٢٠].

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح: ١٥-١٨].

سبحان الله! ما أعظم خلقه! وما أعظم حكمته! وما أعظم لطفه في تدبيراته وتقديراته! النظر والتدبر في الآيات الكونية وفي هذا الملك والملكوت سبيل وطريق إلى الإيـان والتوحيد، وإلى وجود طعم الإيـان، وحلاوة الإيـان، والحصول على حقيقة الإيـان، فانظر لترى قدرة القدير، ولطف اللطيف، وحكمة الحكيم جل جلاله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَعِيوْا ظِلُّهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [النحل: ٤٨].

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُسْكِنُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ [النحل / ٧٩].

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ [يس / ٨١].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الشعراء: ٧-٩].

كم من الأشجار التي تثمر على مر الدهور والأزمان ثماراً كريمة، تؤتي أنواع الثمار بأشكالها وألوانها وطعومها! فتكون هذه المعرفة سبيلاً إلى توحيد الله، وحب الله، وتعظيم الله، وعبادة الله وحده لا شريك له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقُ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

﴿الْمَرِيرُوا أَنَا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [النمل / ٨٦].

﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: ٣٠].

سبحان الله! ما أعظم لطفه في خلقه وتدبيره! ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ لَسِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [العنكبوت / ١٩].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفِيَا لِبَطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [العنكبوت / ٦٧].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الروم: ٣٧].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَلَائِكُونَ ﴿٧١﴾﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُمْ فِيهَا مَتَّعٌ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [يس / ٧١-٧٣].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحقاف: ٣٣].

فكل القرآن بيان لقدرة القدير، ورحمة الرحيم، وخلق الخالق، ورزق الرازق، ولطف

اللطيف .

والنظر والتدبر في الآيات الكونية، وكذا الآيات القرآنية، أعظم وسائل معرفة الله ﷻ، ومعرفته بأسمائه وصفاته، وهو غذاء القلوب، فإن غذاء القلوب في سبعة أمور:

العلم بالله، والعلم بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعدته، ووعيده.

هذه العلوم العظيمة هي السبيل العظيم أو السبيل الوحيد لمعرفة الله بأسمائه وصفاته، ويتم ذلك بالنظر في الآيات الكونية، والآيات القرآنية.

فالحمد لله رب العالمين أن جعلنا من بني آدم، وساق لنا الأرزاق بلطفه وكرمه، وساق لنا غذاء القلوب وهو الإيمان والتوحيد، ومن علينا باتباع سيد المرسلين، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس .

فما أعظم لطف ربنا بنا، ورحمته بخلقه، وإيصال الخيرات لهم! ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي النَّاسَ لَرْوُفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة/ ١٤٣].

ومن عرف أن ربه اللطيف، واسع العطاء، وأبواب إحسانه لا نهاية لها، وإحسانه وبره ممتد بلطفه إليه وإلى غيره؛ غرست هذه المعرفة في قلبه شجرة المحبة لله، وشجرة التعظيم لله، وشجرة الذل لله، وشجرة الشكر لله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٩٨].

وهذه المعارف تثمر أنواع التقرب والعبودية لله؛ فالعبادة هي المحبة، وكل عبادة لا تقوم على محبة فليست عبادة، فنحن نحب الله لجلاله وجماله، ونتقرب إليه بما جاء عن رسوله ﷺ، ونكمل محبوباته في الدنيا، ليكمل لنا محبوباتنا يوم القيامة: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦].

فمن عرف أن ربه اللطيف، وأبواب إحسانه لا نهاية لها، يراها صباحاً ومساءً، وإحسانه وبره يراه ممتداً بلطفه إليه وإلى غيره من مؤمن وكافر، وبر وفاجر؛ غرست هذه المعرفة في قلبه شجرة المحبة التي تثمر أنواع التقرب والتعبد لله، والحياء منه.

ومن ذلك: التعبد لله بمقتضى هذا الاسم الكريم، وذلك بالتلطف مع الأهل والإخوان والجيران، وسائر المؤمنين، وسائر الخلق أجمعين، فالله لطيف يريد منا أن نكون من

أَلطَفَ الخَلْقَ بِالخَلْقِ، فَيَتَلَطَّفُ الْإِنْسَانَ مَعَ أَهْلِهِ، وَإِخْوَانِهِ وَأَخْوَاتِهِ، وَجِيرَانِهِ وَأَصْدِقَائِهِ، وَسَائِرَ الخَلْقِ أَجْمَعِينَ، وَيُوصِلُ إِلَيْهِمُ الْبِرَّ وَالْإِحْسَانَ بِأَنْوَاعِهِ، يُوَصِّلُ ذَلِكَ إِلَى كَافَةِ الخَلْقِ؛ مِنْ إِطْعَامٍ وَمَوَاسَاةٍ، وَنَصْحٍ وَتَوْجِيهِ وَتَعْلِيمٍ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [الأعراف: ١١٩].  
 ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

فَاللَّهُ ﷻ بَيْنَ لَنَا أَنَّهُ اللَّطِيفُ، وَيُرِيدُ مِنَّا أَنْ نَتَصَفَّ بِهَذِهِ الصِّفَةِ عَلَى شَاكِلَةِ الْعِبُودِيَّةِ:  
 ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وَحِظَّ الْعَبْدُ مِنْ هَذَا الْإِسْمِ الْكَرِيمِ أَنْ يَلْطَفَ الْعَبْدُ بِنَفْسِهِ، وَيُعْطِيهَا حِظَّهَا مِمَّا أَبَاحَ اللَّهُ لَهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَيَحْمِلُهَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَتَعْلِيمِ شَرَعِ اللَّهِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الخَلْقِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [المؤمنون: ١ - ٤].

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٧ - ١٠].  
 ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة: ١٧٢].

فِيَلْطَفُ الْإِنْسَانَ بِنَفْسِهِ بِأَنْ يَأْكُلَ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَيَسَارِعَ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَيَسْتَعْمِلُهَا فِي طَاعَةِ رَبِّهِ ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: ٧٧].

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل: ١٢٥].

فكل من دخل في الدين، وكل من دعوته إلى الله، إن اهتدى فبصحيافته، وإن لم يهتدِ فالأجرة مدفوعة لك، كن آلة أعمال كالشجرة آلة للأزهار والثمار، والسحب آلة للمياه؛ فكن لطيفاً مع الخلق بدعوتهم إلى الله، والإحسان إليهم وتعليمهم: ﴿كُونُوا رَبَّنَيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران / ٧٩].

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [٣٣] وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ [فصلت / ٣٣-٣٥].

فسبحان الله! ما أعظم مظاهر وآثار هذا الاسم في ملك الله العظيم! وما أجل هذه الصفة، وهذا الاسم! أن يتصف به العبد على شاكلة العبودية؛ فيكون لطيفاً في أقواله وأعماله وأخلاقه.

فيا عبد اللطيف، إن رأيت خيراً فانشره واعمل به، وإن رأيت شراً وسوءاً فكن لطيفاً في إزالته: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران / ١٥٩].

يا عبد اللطيف، كن لطيفاً مع الخالق بكمال الأدب، فاعبد من يستحق العبادة؛ ووحده من يستحق التوحيد، فربك أهل أن يطاع فلا يعصى، وأهل أن يشكر فلا يكفر، وأهل أن يذكر فلا ينسى.

وكن لطيفاً مع الخلق بحسن الخلق، صل من قطعك، وأعط من حرملك، واعف عمن ظلمك، وأحسن إلى من أساء إليك؛ تجد ثواب ذلك عظيماً عند ربك يوم تلقاه، وتظفر بمحبة عدوك: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [٣٣] وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ

وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ

عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ [فصلت: ٣٣-٣٥].

وكن مع ربك بكمال الأدب، ذكراً وتوحيداً، وتحميداً وتمجيداً؛ فأنت العبد الفقير، وهو الرب العزيز، الغني عن كل ما سواه، وقف في حال عبادتك بين يدي ربك ناظراً إلى عزة الربوبية لربك العظيم، وذلة العبودية لشخصك الفقير: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر/ ١٥].

واعلم أن من لطف اللطيف أن جعلك فقيراً ليغنيك، وجاهلاً ليعلمك، وضالاً ليهديك؛ ليظهر لك لطف اللطيف بك؛ فتكبره وتحبه وتعظمه: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣].

كن لطيفاً ليناً عفواً كريماً مع أهلك وسائر الخلق: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِن آتٍ مِّنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْاْ وَتَصَفَّحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [التغابن/ ١٤].

﴿وَلَا يَأْتِلِ أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُواْ وَيَصْفَحُواْ أَلَا يُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: ٢٢].  
ومن سألك عن شيء فعلمه؛ فإن الله جعلك خزانةً للعلم، وإذا استفتاك أحدٌ من الناس، وكان في الأمر سعة؛ فلا تضيق عليه، فأفت له بالرخصة، يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٧].

وخذ نفسك بالعزيمة؛ لأنك عرفت ما لم يعرف: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج/ ٧٨].

﴿حُدُوا مَاءَ آتِنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴿٩٣﴾﴾ [البقرة/ ٩٣].

فكن رءوفاً رحيماً لطيفاً بالخلق؛ يحبك الله، ويحبك الخلق.

وكان رسول الله ﷺ أطف الناس بأهله، وأطف الناس بالناس: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم/ ٤].

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

والمؤمن يرى ببصره وبصيرته آثار اللطف العام من اللطيف سبحانه، من الخلق

والتقدير، والتصريف، والتدبير، والتحريك والتسكين، والعطاء والمنع، والبسط والقبض، في ملك الله العظيم، وفي مخلوقاته الكبيرة الكثيرة، فيزداد بهذا العلم حباً لربه، وتعظيماً له، وحياءً منه، ورجاءً له، وخوفاً منه: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْآيَاتِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠].

وكلما تكرر نظر العبد في ملك الله العظيم؛ زاد إيمان العبد، واطمأن قلبه، وزاد حمده لربه، وأكثر من التحميد لربه، وداوم على الاستغفار والتوبة: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٨ - ٢٩].

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد: ١٦ - ١٧].

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

وبقدر النظر والتدبر يقوى الإيمان ويزيد: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْجِبُ الْآيَاتُ وَالنُّذُرَ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس / ١٠١].

معرفة الله أسهل شيء وأيسر شيء، والتوحيد أسهل شيء، بمجرد استعمال الأعضاء والجوارح فيما خلقت له، فهذه أمانات، يجب أن ننظر في الآيات الكونية والآيات القرآنية، ونسمع آيات ربنا، ونسمع سنة نبينا ﷺ، لا يجوز للإنسان أن يستعمل هذه الجوارح في غير طاعة الله، الله خلقنا وهدانا واشترانا، وأمرنا باستعمال هذه الأمانات في طاعته وعبادته، وعدم استعمالها في غير ذلك: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَرْكَعُوا وَأَسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الحج: ١٧٧].

فاللسان أمانة، والأذن أمانة، والعين أمانة، والوقت أمانة، والأقدام أمانة، والأيدي أمانة، والدين أمانة، والمال أمانة وجميع أوامر الله أمانة، فنؤدي هذه الأمانات لله: ﴿إِنَّا



عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وكل واحد مسئول عن أداء هذه الأمانات: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ﴿٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦].

ومن استقام قلبه لربه بالتوحيد والإيمان؛ استقامت جوارحه بأنواع الطاعات والعبادات، وهذه ثمرة النظر في لطف اللطيف، وخلق الخالق، ورحمة الرحيم، وأرزاق الرزاق جل جلاله، فمن استقام قلبه لربه بالتوحيد والإيمان بعد هذا النظر والتدبر؛ استقامت جوارحه بأنواع الطاعات والعبادات، لمن يستحق الطاعة والعبادة، وهو الله ﷻ: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

ومن استقام قلبه وجوارحه استقامت حياته بالأمن والهداية في الدنيا والآخرة: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ ﴿٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢].  
﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٢٨﴾ [الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٩﴾ [الرعد: ٢٨-٢٩].

فلا إله إلا الله! ما أجهل الإنسان بربه! وما أعظم تقصيره في معرفة وعبادة الله ﷻ! فكن يا عبد اللطيف لطيفاً في معرفة حوائج الناس، وسارع إلى قضائها، واشكر اللطيف الذي شرح صدرك لقضائها، ومد يدك بالإحسان، وملأ يدك بأنواع النعم، حتى جعلك اليد العليا، فاليد العليا خيرٌ من السفلى، وفي كل خير، فأعط مما أعطاك الله وما أقدرك الله عليه، رعايةً لمصلحة نفسك: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ [الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وكن لطيفاً في معاملة الخلائق، لطيفاً مع أهلك وأولادك، لطيفاً مع أقاربك، لطيفاً مع جيرانك، لطيفاً في إحسانك، لطيفاً في تجارتك، لطيفاً في دعوتك: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي

الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ [النساء: ٣٦].

وإذا علم المؤمن أن ربه لطيف عليم بكل صغيرة وكبيرة؛ حاسب نفسه على أقواله وأفعاله، وراقب ربه في حركاته وسكناته: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك / ١٢].

وإذا قال الله عن الأجر أنه كبير؛ فكم يكون حجمه؟ وإذا قال: كريم؛ فكم يكون عدده؟ وإذا قال: عظيم؛ فكم تكون عظمة هذا الأجر؟ فالعبد يأتي بالعمل القليل، والله يعطي الأجر الكثير: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

فستغفر الله ونتوب إليه من جهلنا بالله، ومن جهلنا بأسمائه وصفاته، ومن جهلنا بأوامره، ومن جهلنا بقدره وجلاله وجماله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩].  
فلا إله إلا الله! ما أعظم ملكه وسلطانه! وكل شيء في الكون مكشوف بين يدي اللطيف الذي لا يخفى عليه شيء في ملكه العظيم.

هو اللطيف الخبير الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [١٣] ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [١٤]. [الملك / ١٣-١٤].

فاعرف ربك اللطيف الحق؛ واعبده واسبغ بحمده؛ لتنال فضله، وتظفر بنعمه وعطاياه، وكن واثقاً بربك الكريم، ومولك الرحيم الذي جميع النعم منه: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ [٩٨] ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر / ٩٨-٩٩].

وكن بالليل مع اللطيف، واسأله أن يلطف بك وبالخلائق أجمعين: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ عَائِنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

وكن في النهار مع الخلق، تلتطف مع الناس، وألطف بهم، وأحسن إليهم، ادعهم إلى الله،

علم جاهلهم، اهد ضالهم، أحسن إلى محتاجهم، أكرم فقيرهم: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

وكن في الليل مع الرحمن، واسأله أن يرحمك ويرحم الخلق أجمعين، وكن في النهار رحيمًا يرحم الناس، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.

هذه أسماء ربك الحسنی، وهذه صفات ربك العلی، فتعبد لله بها شاكلة العبودية: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وارغب إلى ربك في جميع أمورك، واعلم أن من يتحرى الخير يُعطى، ومن يتوقى الشر يوقاه، والفضل كله بيد الله وحده العليم الخبير، الغني الكريم القادر: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمُ ﴿٧٣﴾﴾ يَخْضُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران: ٧٣ - ٧٤].

فاطلب منه أعلى شيء في خزائنه، وهو طلب الهداية والعافية: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٢ - ٧].

وكن الأول في كل عبادة لله، واسأله من فضله؛ فهو ذو الفضل العظيم، وكل ما في الكون من فضله: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٣١﴾﴾ [الحديد: ٢١].

واعلم رحمك الله أنك كما تحب أن يلفظ الله بك في جميع أمورك؛ فالطف أنت بنفسك، وألطف بإخوانك المؤمنين، وخالق الناس بخلق حسن، وأوصل برك وإحسانك إلى غيرك بحسب قدرتك، وسعهم بحسن خلقك، وادعهم إلى الله، واصبر على أذاهم؛ يحبك الله، وتكسب محبة الناس ومودتهم، وتسلم من أذيتهم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن

دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ  
 ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا  
 الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ [فصلت: ٣٣-٣٥].

فالكل مكتوب، والكل مسجل، والكل له سجل عند الله، يكشف لك يوم القيامة، وإذا  
 فيه العفو والطف والرحمة والإحسان لخلق الله ﷻ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾﴾  
 وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ  
 مُّقْنَدٍ ﴿٥٥﴾ [القمر: ٥٢-٥٥].

واشغل نفسك وقلبك ولسانك وجوارحك بذكر وشكر من لطفه بك ظاهر غير خفي،  
 وبره بك واصل إليك في سرائك وضرائك، في حال طاعتك ومعصيتك، في حال سفرك  
 وإقامتك: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ  
 وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف / ٢٠٥].

اذكر ربك، اذكر لطفه، اذكر رحمته، كرمه، نعمه، هدايته، اذكر نعم الله عليك التي لا  
 تعد ولا تحصى، وأنفق مما رزقك الله من علم ومال وبر وإحسان، وتلطف بإيصال برك  
 إلى الناس بالطف المأخذ، وأحسن المذاهب، بلا منة ولا أذى، ولا كبر ولا احتقار ولا  
 رؤية: ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ  
 عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ  
 يَتَّبِعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ [البقرة / ٢٦٢-٢٦٣].

وإذا عرفت يا عبد اللطيف أن ربك هو اللطيف؛ فليكن حظك من هذا الاسم الكريم  
 أن تكون لطيفاً في مصالحك بالمبادرة إلى كل عمل صالح، لطيفاً بالخلق كلهم على  
 اختلاف طبقاتهم: ﴿وَالْعَصْرُ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
 الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ [العصر / ١-٣].

إذا رأيت كافراً فادعه إلى الله بلطف، وإن رأيت جاهلاً فعلمه بلطف، وإن رأيت عاجزاً  
 فخذ بيده بلطف، وإن علمت سنة فانشرها بلطف، واعمل بها، وإن عملت حسنةً  
 فاشكرها، وإن عملت سيئةً فاسترها، واستغفر الله منها: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ  
 عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ وَإِنَّمَا يَزْعُمُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾

[النساء/ ١١٠].

وتذكر يا عبد اللطيف أطف الناس بالناس، وأرحم الناس بالناس، وأكرم الناس، وأجود الناس، محمد ﷺ الذي أثنى عليه ربه بكمال حسن خلقه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم/ ٤].

فاهتد بهديه، وتحلق بأخلاقه، وتأدب بأدابه، واسلك سبيله، وتمسك بدينه؛ تكن في الجنة رفيقه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب/ ٢١].

اقتد بنبيك ﷺ في خمسة أمور: في نيته وفكره، وفي توحيده وإيمانه، وفي أقواله الحسنة، وفي أعماله الصالحة، وفي أخلاقه الكريمة: ﴿فَتَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وتقرب يا عبد اللطيف إلى ربك بكل ما يحبه ويرضاه؛ تنل أعظم مما تتمناه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَا تَأْتِنَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مَنَ اللَّهُ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء/ ٦٦-٧٠].

وأحسن يا عبد اللطيف إلى الناس جميعًا فيما استطعت، واصبر في سبيل ذلك على أذاهم، وعاملهم بما تحب أن يعاملوك به، ولاطفهم بما تستطيع من القول والعمل والخلق. وأحب لأخيك ما تحب لنفسك، وكن في حاجة أخيك؛ يكن الله في حاجتك، وكل امرئ حسيب نفسه، ورقيب عمله، وقد بين الله لك ماذا تفعل بخاصة نفسك ومع غيرك: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة/ ٧١].

ما هو ثوابهم؟ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

فِيهَا وَمَسْكَنَ طَيْبَةً فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ [التوبة/ ٧٢].

فنتسغفر الله ونتوب إليه من تقصيرنا، وتأخير أعمالنا، وعدم أداء العبادة على شاکلة العبودية بالوجه اللائق بجلال الله وعظمته وكبريائه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [البقرة/ ١٧٧].

إِنِ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ [فاطر: ٢٨].  
نستغفر الله ونتوب إليه من كل ذنب، نستغفر الله ونتوب إليه من الجهل، وقلة العلم، وقلة العمل، وقلة الخلق الحسن: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف/ ٢٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ﴿٨﴾ [آل عمران: ٨].  
اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادةً لي في كل خير، واجعل الموت راحةً لي من كل شر.

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحَسَنَاتِ

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الخير

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله الخبير

الله ﷻ هو الملك الحق الذي له ملك السماوات والأرض، وله ما في السماوات والأرض، وله غيب السماوات والأرض، فلا بد من معرفته بأسمائه وصفاته؛ حتى نعبد بالمحبة والتعظيم، والذل والخوف والرجاء، فمن لم يعرف الله حقاً؛ لم يعبد حَقاً، ومن لم يعرف الله كما أمره؛ لم يعبد كما أمره.

لهذا لا بد من معرفته أولاً، ثم معرفة دينه وشرعه ثانياً: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَبَكُمْ﴾ [محمد/ ١٩].

فلا بد للقلب أن يعرف العظيم بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعظمة الله ﷻ لا بداية لها ولا نهاية، ولا أول ولا آخر: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

الله سبحانه عظيم، وكتابه عظيم، وثوابه عظيم، وعقابه عظيم، ومملكه عظيم، وخلقه عظيم، وأمره عظيم.

هو سبحانه العظيم المحمود بكل لسان، الذي يسبح بحمده المكان والزمان وما فيها: ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء/ ٤٤].

فمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله هي غذاء القلوب، بالتوحيد والإيمان والتقوى.

هو سبحانه العظيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى، هو العظيم المحيط بكل محيط، القاهر لكل قاهر، العليم بكل شيء، القادر على كل شيء، الخبير بكل شيء، وسعت رحمته كل شيء، ووسع ملكه كل شيء، الواحد الأحد القادر على كل أحد، الغني عن كل أحد، الذي يحتاج إليه كل أحد: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ



أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ أَضَمُّدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا  
أَحَدٌ ﴿٤﴾ [الإخلاص / ١-٤].

هو سبحانه العظيم الذي كل شيء خلقه، وكل شيء ملكه، وكل شيء عبده، وكل شيء خاضع لأمره، وشاهد بوحدانيتها، ومسبح بحمده، ومستجيب لمشيئته، ومسرع إلى إرادته: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٦﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

فلا إله إلا الله! كم عظمته وعظمة أسمائه وصفاته! هو العظيم الذي في قبضته الملك والملكوت، وفي قبضته الخلق والتدبير، وفي قبضته العطاء والمنع، والحياة والموت: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر / ٦٧].

فلا بد للقلوب أن تتغذى بهذا العلم العظيم، وهو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وخزائنه، ووعدته ووعدته، لأن ذلك يولد في القلب قوة الإيوان، قوة اليقين، قوة التوحيد، قوة الإخلاص، قوة الصدق، ثم التبعيد لله ﷻ بما جاء عن رسوله ﷺ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ مَثَبًا ﴿١١﴾﴾ [محمد: ١٩].

فكل معصية سببها الجهل بالله ﷻ، الجهل بمن أمر بها، ولو عرفت القلوب من الأمر، وعرفته بأسمائه وصفاته؛ لآمنت به، وأجبتة، وأطاعته وأقبلت إليه، واطمأنت بذكره. فنسأل الله ﷻ أن يملأ قلوبنا بالتوحيد والإيوان، ومعرفة الله، ومعرفة أسمائه وصفاته. الله ﷻ هو الخبير العليم بكل شيء، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، هو الخبير الذي يعلم جميع الأشياء والأمور الظاهرة والباطنة: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾ [الملك / ١٣-١٤].

واسم الله الخبير اسم عظيم جامع لكل ما في الملك والملكوت، فإن الله خبير به، من الذرات والمجرات، والعالم العلوي، والعالم السفلي، وعالم الغيب، وعالم الشهادة: ﴿وَمَا يَدْرَأُكَ اللَّهُ مِنْ غِيَابِكُمْ ۖ فَسَخَّرَ لَكُم مِّن دُونِهِ مَا تَرْضَىٰ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ غَاطِبٌ ﴿١٤﴾﴾ [الملك / ١٤].

هو سبحانه الخبير الذي لا يجري شيء في الملك والملكوت إلا بعلمه، ولا تتحرك ذرة في الكون ولا تسكن إلا بعلمه: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمَلَكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنعام/ ٧٣].

وهو سبحانه العليم الخبير بكل ما كان، وما يكون، وما سيكون: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام/ ٥٩].

فسبحان العليم الخبير الذي له كل شيء، وبيده كل شيء، الخبير العليم بكل شيء: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾ [سبأ/ ١].

فسبحان ربنا العليم الخبير بكل شيء في السماء والأرض، والدنيا والآخرة، والليل والنهار، واليوم والغد: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان/ ٣٤].

هو سبحانه العليم الخبير بسرائر العباد، وضمائر قلوبهم، وما تكنه صدورهم، الخبير بكل ما يعملونه من الطاعات والمعاصي، والحسنات والسيئات، في السر والعلن، الخبير بجميع نيات وأقوال وأفعال العباد، وما يدور في خواطرهم من خير أو شر: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام/ ١٨].

هو سبحانه الخبير الذي أخبر عباده بأحسن الكلام وهو القرآن، الخبير الذي يعلم كل شيء، الخبير الذي لا يعزب عن علمه صغيرة ولا كبيرة، الخبير الذي يعلم كنه كل شيء، الخبير الذي يعلم الحق من الباطل، ويعلم الخير من الشر، ويعلم الطيب من الخبيث، ويعلم الظاهر من الباطن، ويعلم السر والعلن، ويعلم الداء والدواء: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

هو سبحانه العليم الخبير الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، الخبير

بالظواهر والبواطن، والخواطر والبواعث، والسرائر والخفايا.

وكل إنسان، وكل مخلوق مكشوف أمام ربه الخبير، لا تخفى عليه منهم خافية، علانيته وسره، وجهره وصمته، وظاهره وباطنه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ ۗ وَحَنُوقَرُبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق/١٦].

والناس أمام الله سواء، وكلهم عبيده ومخاليقه، وأفضلهم عنده أهل الإيمان والتقوى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات/١٣].

فسبحان اللطيف الخبير بكل ظاهر وباطن، الذي يعلم بمن يتقيه ظاهراً وباطناً، ممن يتقيه ظاهراً لا باطناً، ثم يجازي كلاً بعمله: ﴿أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا لَهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١١٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [آل عمران: ١٦٢ - ١٦٣].

وهو سبحانه الخبير، المحيط بجميع ملكه، الشاهد لجميع ما فيه من الذرات والمجرات، العليم بجميع المخلوقات الظاهرة والباطنة، والصغيرة والكبيرة: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك/١٤].

وهو سبحانه الخبير الذي أخبره كلها حق وصدق، الذي يخبر عباده بالحق والخبر الصدق: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء/٨٧].

وقد ورد اسم الله الخبير في القرآن خمساً وأربعين مرة، منها قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۗ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام/١٨].

والخبير صفة مشبهة للموصوف بالخبيرة، والخبيرة علم وزيادة، والخبير من البشر من عرف شيئاً وأحاط بتفاصيله الدقيقة.

والله سبحانه وحده هو الخبير بكل شيء، هو العليم بكل شيء، العالم بكنه الأشياء، المطلع على حقائقها، الذي أحاط علمه بظواهر الأشياء وبواطنها وخفاياها.

وهو سبحانه العليم الخبير الذي أحاط بكل شيء علماً، الخبير الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة، الخبير الذي لا تتحرك ولا تسكن ذرة في الملك والملكوت إلا بإذنه وعلمه، وهي

تحت سمعه وبصره، ولا يسكن نفس ولا يضرب إلا وعنده خبر منه: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ  
وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَيْرُ﴾ [٧٣] ﴿[الأنعام / ٧٣].

والصفة المشبهة من اسم الله الخبير هي صفة الخبرة، وهي صفة ذاتية لله، لا تنفك عنه  
أبدًا، فالله خير أبدًا.

فالصفات الذاتية من السمع والبصر والقدرة والقوة والخبرة ونحوها لا تنفك عن الله  
أبدًا، وخبرته لا أول لها ولا آخر، ولا بداية لها ولا نهاية لها: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ  
يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [١٠٣] ﴿[الأنعام / ١٠٣].

وقد اقترن اسم الله الخبير مع اسمه العليم في القرآن أربع مرات، منها قوله سبحانه: ﴿إِنَّ  
اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَيْرًا﴾ [٣٥] ﴿[النساء / ٣٥].

ومنها قوله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ خَيْرٌ﴾ [١٣] ﴿[الحجرات / ١٣].

واسم الله العليم صفة كمال، واسم الله الخبير صفة كمال أخرى، واقترانها معا كمال ثالث  
آخر، وسر اقتران العليم بالخبير أنها اسمان إذا افترقا اجتماعا، فكل منهما إذا ذكر مفردًا  
دل على إحاطة علم الله بالظواهر والبواطن.

وإذا اجتمعا في آية واحدة افترقا كقوله: ﴿فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ  
الْخَيْرُ﴾ [٣] ﴿[التحریم: ٣].

فالعليم يفيد الإحاطة العلمية بالعالم المشهود، والخبير يفيد الإحاطة التامة بعالم الغيب  
والبواطن والسرائر.

وقد اقترن اسم الله البصير باسمه الخبير في القرآن خمس مرات، منها قوله سبحانه: ﴿إِنَّ  
اللَّهَ بَعِيدٌ عَنِ الْعِبَادِ لَخَيْرٌ بَصِيرٌ﴾ [٣١] ﴿[فاطر / ٣١].

وسر ذلك والله أعلم الإشارة إلى كمال علم الله بالمشاهدات والمبصرات، والبواطن  
والحقائق، فهو العليم بالأشياء والأمور المبصرة، الخبير بالعالم بدقائق الأمور الظاهرة  
والخفية، والمعقولة والمحسوسة، وتقديم الخبير على البصير؛ لأنه أشمل وأعم، وذكر  
البصير بعده للعناية بالأعمال التي هي غالب شرائع الدين: ﴿إِنَّهُ بَعِيدٌ عَنِ الْعِبَادِ لَخَيْرٌ بَصِيرٌ﴾ [٢٧] ﴿[الشورى / ٢٧].

وكذلك اقترن اسم الله الخبير مع اسمه الحكيم في القرآن أربع مرات، منها قوله

عَلَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ  
الْخَيْرُ﴾ [سبأ/ ١].

وسر ذلك والله أعلم بمراده أن اقتران الخير بالحكيم يدل على كمال الإرادة، وكمال العلم، فكمال الإرادة أن تكون واقعة على وجه الحكمة، وكمال العلم أن يكون كاشفاً عن الخبرة: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَيْرُ﴾ [الأنعام/ ١٨]. فالخبرة باطن العلم وكماله، والحكمة باطن الإرادة وكمالها، والمراد ظاهر والحكمة باطنة، والعلم ظاهر، والخبرة باطنة.

وكذلك اقترن اسم الله الخير مع اسمه اللطيف في قوله سبحانه: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَيْرُ﴾ [الأنعام/ ١٠٣]. وقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفُ خَيْرٍ﴾ [الحج/ ٦٣].

وسر ذلك أن الله لطيف لا يخفى عليه شيء، خبير بالظواهر والبواطن، عليم أحاط بكل شيء علماً، ومن لطفه أنه يعلم مواطن القطر من الأرض، ومواطن البذور التي في باطن الأرض، فيسوق بلطفه ذلك الماء إلى ذلك البذر الذي خفي على علم الخلائق: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَيْرُ﴾ [الملك/ ١٤].

فسبحان الخير الذي جعل الأرزاق المخفية في باطن الأرض بمقدار موزون: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [٤٩] ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر/ ٤٩-٥٠].

الله عَزَّ وَجَلَّ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى، ولهذا استحق أن يعبد، وأن يطاع، وأن يشكر، وأن يسبح بحمده، وأن يستحيا منه، وأن يطاع أمره، وأن يجتنب نهيهِ: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥].

هو سبحانه الخير الذي يعلم كل شيء، الخير الذي أخبر عباده بأحسن الحديث والأخبار عنه، وعن أسمائه وصفاته وأفعاله، وعن ملكه وسلطانه، وعن ملائكته وكتبه ورسله، وعن دينه وشرعه، وعن وعده ووعيده، وعن ثوابه وعقابه، هذه الأخبار صدقاً وعدلاً: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا نَفَعْنَا مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ

رَبِّهِمْ ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٣﴾ [الزمر: ٢٣].

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ [الأعراف / ٥٤].

هو سبحانه الخبير، أخباره أحسن الأخبار، وأحكامه أحسن الأحكام: ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۗ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ إِنَّ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَا يُسْمَعُونَ مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

فسبحان الخبير العليم بكل شيء! فالإنسان قد يعلم صورة الشيء، لكن حقيقة الشيء لا يعلمها إلا الله؛ لأنه خبير بالسر والعلن، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فقد نعلم أن فلاناً مثلاً جاء لهذا الأمر، لكن الخبير يعلم أنه جاء لغير هذا الأمر: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَّحِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ [البقرة: ٢٣٥]. هو العليم الخبير بالظاهر والباطن: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك / ١٤]. ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران / ١٨٠]. هو سبحانه خبير بكل شيء، وخلق له للمخلوقات في غاية الحكمة والإتقان.

أما البشر فيخترعون ويصنعون، ولكنهم دائماً يجددون في صناعاتهم لقلة خبرتهم، وقلة علمهم، وقلة تصورهم، والله الخبير لكمال علمه وخبرته وقدرته خلقه من أول يوم في غاية الإتقان والتمام والكمال: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۗ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۗ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل / ٨٨].

الله ﷻ كل صنعة في منتهى الإتقان والإحكام؛ لأنه عليم بما كان، وما يكون، وما سيكون، عليم بكل شيء، لا يعجزه شيء، فخلقه دائماً في غاية الإتقان، وغاية التمام والكمال، ولذلك مدح نفسه بقوله: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الأعلى / ١-٣].

فهو سبحانه الخبير العليم بكل شيء ظاهرًا كان أو باطنًا، هو الخبير الذي يعلم البواعث

والخفايا، والخواطر والإرادات، وحده لا شريك له، لأنه الله لطيف خبير.

فسبحان العليم الخبير بكل شيء ما نراه وما لا نراه! المحيط بكل ذرة في الكون رؤية وسامعاً وعلماً وخبرة: ﴿ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

فاسم الله العليم أحاط بكل شيء، واسم الله اللطيف أوسع من العليم، والخبير أوسع من اللطيف: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك/ ١٣-١٤].

فهذه الأسماء الثلاثة العليم واللطيف والخبير تدل على كمال علم الله، وإحاطته بكل شيء ظاهر أو باطن.

هو سبحانه الخبير العالم بالشيء قبل كونه، ووقت كونه، وبعد كونه، والله كتب كل شيء في اللوح المحفوظ، وما كتبه لا بد أن يقع على ما قدر مكاناً وزماناً، وحجماً وشكلاً: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ [الأحزاب/ ٣٨].

وقال رسول الله ﷺ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

فربنا ﷻ عليمٌ خبير، حكيمٌ خبير، لطيفٌ خبير، قادر على كل شيء، لا يعجزه ولا يمتنع عليه شيء: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس/ ٨١-٨٣].

فالله عليم خبير بكل شيء وحده لا شريك له.

أما البشر فعلمهم محدود، وخبرتهم محدودة، فلصنع طائرة يحتاجون إلى آلاف العلماء وآلاف الخبراء، ليصنعوا طائرة واحدة تطير في السماء، وليصنعوا سفينة كذلك تسير على البحر يحتاجون إلى مثل هذه الأعداد؛ لقلة علمهم وخبرتهم، فالبشرية كلها لن تستطيع خلق طائر واحد خلقه الله العليم الخبير: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٣).

ذُكَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ. وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّكَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ  
وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ [الحج / ٧٣-٧٤].

البشرية كلها لا تستطيع خلق طائر واحد، ولا خلق جناح من هذا الطائر، لماذا؟ لأن  
الخلق والإبداع عظيم يحتاج إلى خبرة عظيمة واسعة شاملة، ويحتاج إلى علم، ويحتاج إلى  
قدرة، ويحتاج إلى حكمة، وذلك لا يقدر عليه إلا العليم الخبير وحده لا شريك له:  
﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ  
وَكَيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فعلم التخليق للمخلوقات كلها بيد العليم الخبير، وعلم التدبير بيده، وعلم التشغيل  
بيده، هذه ثلاثة علوم بيد الله وحده.

علم التخليق كله بيد الخبير جل جلاله: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ  
وَكَيلٌ﴾ ﴿٦٢﴾ [الزمر / ٦٢].

وعلم التدبير بيد العليم الخبير جل جلاله: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ  
إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ  
الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ [السجدة: ٥-٧].  
وعلم التشغيل بيده: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٥٤﴾ [الأعراف / ٥٤].

فعلم التخليق، وعلم التدبير، وعلم التشغيل بيد الحكيم الخبير، بيد العليم الخبير، بيد  
اللطيف الخبير: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ  
وَتُعْزِزُ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٦٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ  
وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ  
حِسَابٍ﴾ ﴿٢٧﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧].

فسبحان الخبير العليم بحوائج الخلق! خلق الأرزاق بأنواعها نباتية وحيوانية وجمادية،  
وساقها إلى المرزوقين بقدرته: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ ﴿٥٨﴾ [الذاريات / ٥٨].  
فهو سبحانه الخبير بخلقه، يوصل إليهم الأرزاق بقدرته في كل ثانية.

فأهل البحر يطعمون من رزقه، وأهل البر يطعمون من رزقه، وأهل السماء يطعمون من  
رزقه، ورزقه مادي ومعنوي، والله ﷻ هو الرزاق، ولا يصل رزقه إلى خلقه إلا بقدرته



وقوته، وعلمه وخبرته بمن يحتاج من عباده في كل وقت، وفي كل مكان، وفي أي حال: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِزُكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتُمْ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

• فسبحان الخلاق العليم الحكيم الخبير، الذي دبر أمور الخلائق بنوعين من التدبير:

الأول: تدبير كوني: فهدى الخبير كل مخلوق إلى معاشه، وتيسير أسبابه وهذا أمر عظيم؛ لأن كل مخلوق من أنواع المخلوقات يحتاج إلى متطلبات وحوائج من الإنسان والحيوان والنبات والملائكة والجن، وغيرها من المخلوقات، كل مخلوق يحتاج إلى أنواع من الحاجات في وقت معين، ولا يعلم ذلك إلا الله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٤﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

فهذا التدبير الكوني، أن الله ﷻ هدى كل مخلوق إلى معاشه وتيسير أسبابه، وهذا أمر عظيم يشمل جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي؛ لأن كل مخلوق من أنواع المخلوقات يحتاج إلى متطلبات وحوائج سواء في بدنه أو خارج بدنه، من الهواء والنور والطعام والشراب وغير ذلك.

حركة الأجهزة في الجسم: الجهاز الهضمي، الجهاز العصبي، الجهاز العقلي، الجهاز البولي، الجهاز التناسلي، هذا المخلوق يحتاج هذه الأمور العظيمة، والله ﷻ الخبير بأحوال الخلق هو الذي يدبر الخلائق، له أمر التخليق، وله أمر التدبير، وله أمر التشغيل.

هو الخبير بالنبات، فالبذرة تلقى في الأرض، وتسقى بالماء، فيذهب منها جذور تحت الأرض، وأغصان فوق الأرض، ثم يأتي بعد الأغصان الأوراق، ثم من بعد الأوراق الأزهار، ثم من بعد الأزهار الثمار.

فالله ﷻ خبير بكل ذرة، بكل نبتة، بكل ورقة، بكل كلمة طائفة، بكل حرف، بكل جملة، بكل رقم، الله ﷻ خبير بكل شيء: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٤﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ

وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

فالله أكبر! ما أعظم ملكه وسلطانه! وما أعظم مخلوقاته في العالم العلوي والعالم السفلي! كم عدد المخلوقات والأحياء الكبيرة والصغيرة في البر والبحر والجو، وما نراه وما لا نراه من الملائكة والجن، ومن الجماد والنبات! وكل ذلك يحتاج إلى خبرة واسعة، وقدرة مطلقة، وعلم شامل: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٤].

هو الذي خلق لكم كل شيء، لتعرفوه، وتعبدوه وتستعينوا بذلك على طاعة الله، ولتعرفوا من سخرها:

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [القمان: ٢٠].

خلقها أولاً، ثم سخرها ثانياً، فهي منقادة لنا، الجبال نكسرها ونستخرج المعادن منها، والنبات نزرعه ونستفيد منه، والحيوان كذلك، وغير ذلك من المخلوقات، والشمس والهواء، كل هذه المخلوقات المسخرة لنا تسبح بحمد من خلقها، وهي في أداؤها لوظيفتها مسبحة بحمد ربها، وشاهدة بوحدانيته، ومستجيبة لمشيئته، ومسرعة لإرادته، وخاضعة لأمره: ﴿وَهُوَ أَقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۗ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام/ ١٨].

فهذه تديراته في الملك والملكوت، هذا التدبير الملكي الكوني.

الثاني: التدبير الشرعي: فالله ﷻ أنزل على البشر الكتب، وأرسل الرسل، وشرع الشرائع من أجل مصالح العباد: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٤].

الله ﷻ أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وشرع الشرائع، لإسعاد البشرية في الدنيا والآخرة: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

فسبحان العليم الخبير المحيط بكل شيء خلقاً، وتقديراً، وكتابة، وإحاطة، وعلماً!، لا إله إلا هو، ولا رب سواه: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ النُّجُومِ سَاقِطًا يُغِيثُ سِوَاهُ ۗ وَهُوَ الَّذِي يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ

وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ [الأنعام / ٥٩].

والله ﷻ عليم خبير بكل ذرة في ملكه، في كل وقت، في كل مكان، وكتب كل ذلك في اللوح المحفوظ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج / ٧٠].

فسبحان العليم الخبير بكل شيء وحده: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مِمَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤].

الله ﷻ يجبرنا بأسمائه وصفاته حتى نحبه، حتى نكبره، حتى نعرف من نعبد، وماذا يريد منا، وماذا نريد نحن منه، فالله يثني على نفسه في كتابه، ويبين أسماؤه وصفاته؛ حتى نؤمن به، ونحبه، ونستقبل أمره، ونؤمن بكتابه، ونطيع أمره: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

يعلم جميع حركات الخلق، جميع أقوال الخلق؛ لأنه عليم بكل شيء. ومن كمال لطف الخبير جل جلاله أن حجبتنا عن رؤيته في الدنيا؛ لعلمه وخبرته بضعفنا، بحيث عين الإنسان لا تطيق رؤية الشمس المخلوقة، فكيف تطيق رؤية الخالق الكبير المتعال؟!، كما قال سبحانه لموسى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن نَرِيكَ وَلَكِن نُنظِرُكَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف / ١٤٣].

فنحن لا نستطيع أن نرى الشمس مباشرة، وهي نور من نور الله ﷻ، الله ﷻ صب من نوره في هذه الشمس المخلوقة التي تنشر النور الذي نرى به الأشياء. فلرؤية الأشياء لا بد من أمرين: نور داخلي في عين الإنسان، ونور خارجي، وهو نور الشمس، أو نور القمر، أو نور السراج، فالله من علينا بهذا النور الذي نرى به الأشياء، والنور الآخر هو نور القرآن، ونور الإيمان، ولو رأى الخلق ربهم في الدنيا بأسمائه

الحسنى، وصفاته العلى، وصفات جلاله وجماله؛ لما عصاه أحد أبداً؛ لما يرويه من عظمة جلاله وكبريائه، فبطل أمر التكليف بالأمر والنهي الذي أراده الله من عباده أن يأتي اختياراً.

ولكن الله ﷻ رحيم بالعباد، فحجبنا عنه، حجاب النور، كما قالت عائشة للنبي ﷺ هل رأيت ربك؟ قال: «نورٌ أنى أراه؟! حجابُهُ النُّورُ، لو كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

فمن رحمته جل جلاله أننا لا نراه في الدنيا رحمةً بنا، ولو رأيناه لما عصيناه، ولكن الله ﷻ نراه في الدنيا ببصائرنا لا بأبصارنا: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٣) [الأنعام/١٠٣].

والمؤمنون يرون ربهم ببصائرهم؛ فيعلمون أن للخلق خالقاً، ولهذه الأرزاق رازقاً، وهذا الملك له مالكا، فهم يرونه ببصائرهم، ويعبدونه كأنهم يرونه، فالإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

ويوم القيامة يراه المؤمنون بأبصارهم وبصائرهم ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/٢٢-٢٣].

وقال النبي ﷺ للمؤمنين: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، وجنة المعرفة هي هذه الجنة، أن تعرف ربك بأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (١٩) [محمد:١٩].

فالذي يتفكر في المخلوقات يعلم أن وراء المخلوقات خالقاً، وأن وراء الأرزاق رازقاً، وأن وراء المملك مالكا.

فالله سبحانه جعل للمعتبرين في مخلوقاته غنية عن التفكير في ذاته؛ لقصور العقول والأبصار عن إدراك ذاته ونور جلاله وعظمته وكبريائه: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٩).

(٢) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٤٣٦)، ومسلم برقم (٦٣٣).

يُدْرِكُ الْآبَصَرَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٣].

نحن نرى المخلوقات، ونرى فعل الله في المخلوقات:

أمر الله السماء فاستقلت، وأمر الأرض فاستقرت، وأمر الشمس فجرت ونورت، وأمر اللسان فتكلم، وأمر الأذن فسمعت، وأمر العين فأبصرت، وأمر الجبال فرست، وأمر البحار فسالت، وأمر الرياح فهبت، وأمر الأشياء فسبحت، وأمر النبات فنبت، وأمر الأشجار فأثمرت: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ آيَاتِ النَّهَارِ يُطَلِّبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

فالتفكر في المخلوقات هو سبيل التوحيد والإيمان: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس/ ١٠١].

وهذه الأبصار والعقول قاصرة عن إدراك نور جلال الله وعظمته وكبريائه، فالله ﷻ من علينا بالكون المنظور؛ لنرى فعله في مخلوقاته، وعظمة ملكه وسلطانه.

ومن علينا بإنزال الكتاب المسطور، لنعرف أسماؤه وصفاته وأفعاله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۗ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلَّاقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

حتى إذا عرفناه أمانا به، وأطعناه ولم نعصه.

إذا عرفناه استحيينا منه أن نسكن في ملكه، ونأكل من نعمه، ونعصيه بنعمه.

فهذه المعارف تزرع في القلب حب الله، وتكبير الله، وشكر الله والإقبال على طاعته، والحياء منه: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦-١٧].

فسبحان من تعرفه القلوب والعقول بآياته ومخلوقاته، وتدعوه الألسن بأسمائه وصفاته، وتميزه البصائر عما سواه بصفاته وأفعاله! ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافُ

أَلَسِنَدِنِكُمْ وَالْوَنِيكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ آيَنِيهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ  
وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمَنْ آيَنِيهِ  
يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي  
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ [الروم/ ٢٢-٢٤].

هو الواحد الأحد العليم الخبير بكل أحد، هو العليم المحيط بكل شيء، العلي العظيم  
الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وليس له شبيه في ذاته وأسمائه وصفاته  
وأفعاله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى/ ١١].

هو الواحد الأحد الذي لا شريك له في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وفي ملكه  
وسلطانه، في دينه وشرعه، وفي خلقه وأمره: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ  
﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ١-٤].

هو الواحد الأحد، الغني عن كل أحد، الذي يحتاجه كل أحد.

فسبحان الحكيم الخبير بأحوال عباده، الذي يضع الشيء في موضعه، ويختار له ما يناسبه  
فلا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا  
بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران/ ١٨].

هو الحكيم الخبير البصير بما يصلح عباده؛ فيعطيهم ما يصلح أحوالهم، ويصرف عنهم  
ما يضرهم، ييسط لهذا، ويقبض عن هذا، ويعطي هذا، ويمنع هذا، وهو العليم الخبير  
بما يناسب كل مخلوق.

فمنهم من تستقيم حاله على النعمة والغنى، ومنهم من تستقيم حاله على الفقر  
والابتلاء، لهذا نجد عيش بعض الناس مع فقره وبلائه أحسن، وقلبه لربه أصفى، كلما  
ضربه الله بالبلاء ازداد حباً له وتقوى؛ لكمال معرفته به: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ  
وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإسراء/ ٣٠].

واعلم يا عبد الخير، ويا أمة الخير، اعلم أن الحكيم الخبير خلق خلقه بقدرات وصفات  
مختلفة، ثم اصطفى منهم الأنبياء والرسل والمؤمنين: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ  
رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾ [الحج/ ٧٥].

فجميع الأنبياء والرسل مصطفون، فهم قمم الجبال، وأعلام الهدى، ونخبة

البشرية: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعَالَ إِبْرَاهِيمَ وَعَالَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ [آل عمران/ ٣٣-٣٤].

فإذا اصطفى العليم الخبير محمداً ﷺ من بين البشر؛ فإنه يعلم من حسن خلقه، وعمله، وقوة يقينه، ورحمته، وصبوره فهذا اصطفاؤه كسبي منه أنعم الله به عليه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ [القلم/ ٤].

وإذا أكرمه ربه بكرامات، وخصه بالوسيلة والشفاعة، وغفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر؛ فهذا اصطفاؤه وهبي، وهبه الله إياه إكراماً له؛ لحسن عمله، وكمال صبره: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ ﴿١١٣﴾ [النساء: ١١٣].

والنبي ﷺ أحسن الناس خلقاً وخلقاً، كان خلقه القرآن، وكان يجتهد ﷺ على خلقه، فهو كما وصفه ربه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ [القلم/ ٤].

والله ﷻ مقابل هذا الخلق العظيم من الإيمان والتقوى، وكمال اليقين، وصدق الإخلاص؛ أكرمه ربه بكرامات، وخصه بالوسيلة والشفاعة، وغفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر، إكراماً له لحسن عمله، وحسن خلقه، وكمال صبره: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ [الفتح/ ١-٣].

فسبحان ربنا العليم الخبير الذي علم من بين خلقه أكثرهم معرفة، وأكثرهم استقامة، وأقواهم صبراً وجهاداً، وأكملهم تضحية وإيثاراً، وأحسنهم عبادة، وأجملهم خلقاً، وأصدقهم يقيناً وتقوى؛ فاصطفاه وجعله نبياً: ﴿وَأَذْكُرْ عِنْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ [ص/ ٤٥-٤٧].

هذا اصطفاؤه من الله ﷻ لمن يعلم فيهم كمال الصفات.

وقال عن أفضلهم وأكملهم نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ [القلم/ ٤].

وقال: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

واعلم يا عبد الخير، ويا عبد العزيز، ويا عبد الملك، أن من اصطفاه الله واجتباها واختاره لدينه؛ فعليه أن يعمل به، ويدعو إليه، ويشكر ربه على هذه النعمة العظيمة: ﴿قَالَ يَمْؤُوسَ إِنِّي اصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْتَكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف/ ١٤٤].

كل من اصطفاه الله من الأنبياء والرسل وأتباعهم لا بد أن يمر بثلاث مراحل؛ حتى يتحلى بأحسن الصفات، ويحصل على كمال الإيمان:  
الأولى: مرحلة التربية: الله ﷻ يربي أوليائه على الإيمان؛ حتى لا يعتمدوا ويتوكلوا إلا على الله وحده.

الثانية: مرحلة الابتلاء، فيبتليهم بالشر والضراء: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [٢] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [٣] [العنكبوت: ٢-٣].

الثالثة: مرحلة التكريم بالأمن والخلافة والهداية في الدنيا، ودخول الجنة والرضوان يوم القيامة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [٧٢] [التوبة: ٧٢].

لا بد أن يمر المسلم بهذه المراحل الثلاث، كما كان ﷺ، رياه ربه فأحسن تربيته في مكة، ثم ابتلاه بالشدائد والضراء وجرت عليه الأحوال فصبر، ثم جاء التكريم وهاجر إلى المدينة، وأقبل الناس على الدين أفواجا، ثم فتح مكة، وعز الإسلام.  
والله ﷻ أعطاه هذا المقام العظيم بسبب نجاحه في هذه المراحل الثلاث، وهذه سنة الله في خلقه المصطفين، يربي ثم يبتلي، ثم يكرم بجنة المعرفة في الدنيا، وجنة النعيم في الآخرة: ﴿وَلِمَنْ حَافٍ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [٤٦] [الرحمن/ ٤٦].

وبحسب قوة الإيمان تكون قوة الابتلاء: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [٢] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [٣] [العنكبوت/ ٢-٣].



وبحسب صدق المؤمن، وإخلاصه وصبره ويقينه وطاعته لربه ﷻ؛ الله يصطفيه ويجعله إماما في الإيمان والتقوى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة/ ٢٤].

ومن اصطفاهم الله ﷻ لدينه؛ فقد علم فيهم الصدق والإخلاص والطاعة، فليحمد الله المؤمن على هذه النعمة: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ ءَآلَهُ خَيْرٌ مِمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل/ ٥٩].

﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٣٦] ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

ومن اصطفاه الله وجعله مؤمناً؛ فهو في سلام مع نفسه، لأنه ألزمها بالإيمان والتقوى، و سلام مع ربه، لأنه وحد ربه، وعبد ربه، وأطاع ربه، و سلام مع غيره، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، وخير المسلم لنفسه ولغيره من الكفار؛ لأن المسلم لا يأخذ ما ليس له، ولا يؤذي أحداً، ولا يسب أحداً، بل يحسن إلى الخلق.

وشر الكافر يتضرر به المسلم، ولهذا لا بد من الجهد على الكافر حتى يسلم، فشر الكافر واصل للمسلم، وخير المسلم يستفيد منه الكافر، إذا لتكون الأمة واحدة في الخير لا بد من الجهد على الكافر حتى يسلم، وعلى الجاهل حتى يتعلم، وعلى الغافل حتى يكون ذاكراً، وعلى الصالح حتى يكون مصلحاً.

فالمؤمن في سلام مع نفسه، و سلام مع ربه، و سلام مع غيره من المؤمنين والكفار، ومن الحيوانات.

سلام في الدنيا: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام/ ٨٢].

و سلام في الآخرة: ﴿هُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۗ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٢٧].

فمن اصطفاه الله العليم الخبير، وجعله مؤمناً؛ فهو في سلام مع نفسه، و سلام مع ربه، و سلام مع غيره، و سلام في الدنيا، و سلام في الآخرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ

تُوَعَّدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى  
 أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزْلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

والله سبحانه اصطفى هذه الأمة وأكرمها بالكتاب العظيم، والرسول الكريم، والثواب  
 الجزيل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ  
 وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذِنُ اللَّهُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ  
 يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي  
 أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ [فاطر/ ٣٢-٣٤].

فله الحمد والمنة على جزيل العطاء والتكريم لهذه الأمة.

والله سبحانه هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، وغالب آيات القرآن بل جل آيات  
 القرآن تذكر بالله وآياته ومخلوقاته؛ حتى نعرفه أولاً، ونتقرب إليه بما أمر به ثانياً،  
 فالأوامر جاءت مجملة في القرآن، ومفصلة في السنة.

أما بيان أسماء الله وصفاته وأفعاله وخزائنه ووعده ووعيده فكل ذلك مفصل في القرآن  
 من ربنا الحكيم الخبير جل جلاله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ  
 وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ [الأنعام: ١١٥].

فمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله غذاء القلوب، وبهذه المعرفة يعظم الرب ﷻ في  
 القلب، وتتحرك الجوارح بأنواع العبادة، واللسان بالذكر والحمد والتمجيد لله ﷻ:  
 ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا  
 وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ  
 الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

الله ﷻ هو القوي الذي له القوة التي لا ترام، العزيز الذي له العزة التي لا تضام، الجبار  
 الذي له الجبروت الذي لا يُسامى، الحكم الذي له السلطان الذي لا يُغلب، الملك الذي  
 لا نهاية لملكه، الكريم الذي لا نهاية لكرمه، الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء،  
 السميع الذي يسمع كل ما يجري في ملكه، البصير الذي يرى جميع مخلوقاته الظاهرة  
 والخفية، الخبير بما تكنه القلوب، وما تخفيه الصدور: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ  
 الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ

السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

هذا القلب إذا عرف هذه الأمور؛ اطمأن، وأحب ربه، وكبره وعظمه، وحمده وشكره، وسأله واستغفره: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ [الرعد: ٢٨-٢٩].

وهو سبحانه الملك القادر على كل شيء، القاهر الذي قهر كل شيء، القادر الذي لا يعجزه شيء، الواحد الأحد، المحيط بكل أحد، القوي الذي لا يقف له أحد، الكريم الذي لا ينسى أحد، الجبار الذي يجبر كسر كل أحد: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

ومن عرف ربه حقاً آمن به حقاً، وأحبه حقاً، وكبره حقاً، وعبده حقاً: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ومن عرف الله وحده ولم يشرك به: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿١٧﴾ [الزمر: ٦٧].

## التعبد لله ﷻ باسمه الخبير

الله ﷻ عليم خبير، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، سميع لكل شيء، بصير بكل شيء، خبير بكل شيء، لا يخفى عليه ذرة في ملكه العظيم، لا توارى منه سماء سماء، ولا أرض أرضاً، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما في قعره، ولا ليل ما في ظلمته: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس / ٦١].

فسبحان الملك الحق العليم الخبير، العليم بخفيات الأمور، الخبير بما تكن الصدور، البصير بمحجوبات الغيوب، الخبير بعالم الغيب، وعالم الشهادة، ومحجوبات الغيب بأنواعها: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ رِيقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام / ٥٩].

وهو جل جلاله الحي القيوم الذي كل شيء قائم بأمره، خاضع لسلطانه، الحي الذي لا تأخذه سنة ولا نوم؛ العلي الذي كل شيء دونه، الحكيم الذي أحكم الأمور، الخبير الذي أتقن كل شيء صنعه، الفتح الذي بيده مقاليد الأمور، الرزاق الذي جميع الخلائق تأكل من رزقه، القريب الذي يسمع ويرى دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وهو سبحانه الكبير وحده لا شريك له، ذو العزة والجبروت، والملكوت والكبرياء والجلال والعظمة، له الحمد كله في الدنيا والآخرة على أسمائه الحسنی، وصفاته العلی، ونعمه السابغة، وإحسانه العظيم ودينه القيم: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم] [الجنائفة / ٣٦ - ٣٧].

فسبحان ربنا الملك الحق الذي له الملك كله، وله الخلق كله، وله الأمر كله، وله الحمد

كله، وإليه يرجع الأمر كله، بيده الخير وهو على كل شيء قدير: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣].

له جل جلاله الأمر النافذ فلا يُبدل القول لديه، وله الحجة البالغة فلا تتوجه الحجج عليه، وله الربوبية المطلقة فكل الخلائق مفتقرون إليه، وله خزائن كل شيء، فجميع المخلوقات مضطرة إلى ما لديه: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر / ٢١].

فلا إله إلا الله! كم عظمة أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى! وسبحان من دل عباده بأفعاله على صفاته، ودلهم بصفاته على أسمائه، ودلهم بأسمائه وصفاته وأفعاله على ذاته! ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨]. هو سبحانه الذي دل عباده بأفعاله في الملك والملكوت من خلق وتدبير وتصريف، دل عباده بأفعاله على صفاته، ودلهم بصفاته على أسمائه، ودلهم بأسمائه وصفاته وأفعاله على ذاته: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام / ١٠٢].

وبهذه المعارف العظيمة يمتلئ القلب بالتوحيد، وينشرح الصدر بالإيمان، وتحصل الطمأنينة في القلب، بذكر الله، والأنس به، ودوام ذكره وشكره، وحسن عبادته، وطاعة الله ورسوله، ومحبة الله ورسوله، ومحبة دينه وشرعه وأوليائه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا تَبَيَّنَ] [الرعد / ٢٨ - ٢٩].

فربنا ﷻ أمرنا أن نتعرف عليه؛ حتى نوجه العبادة إليه بالحب والتعظيم والذل له: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

فإن الله ﷻ حكيم خبير بكل شيء من الأمور الماضية التي وقعت، والأمور الحاضرة التي تقع، والأمور المستقبلية التي لم تقع، فهو العليم بكل ما كان، وما يكون وما سيكون. عليم خبير بظواهر الأمور وبواطنها، عليم بعالم الغيب والشهادة، عليم بما في العالم العلوي والعالم السفلي من المخلوقات التي لا يحصي أنواعها وأعدادها وأشكالها إلا هو.

هو العليم الخبير الذي يعلم الجزئيات والكليات: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٥٩﴾ [الأنعام / ٥٩].

والمؤمن إذا علم بقلبه أن ربه سميع بصير، عليم خبير لطيف، أورث له ذلك الخوف من الله؛ لأنه يرى المصور من خلال رؤية الصور، ويرى الخالق من خلال رؤية المخلوقات، ويرى الرزاق من خلال رؤية الأرزاق التي يراها، ويرى الملك من خلال رؤية الملكوت العظيم: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٠١﴾ [يونس / ١٠١].

فالمؤمن إذا علم ذلك بقلبه؛ أورث له الخوف من الله الخبير بكل شيء، وأثمر له خشية ربه، وتعظيمه وإجلاله، ومراقبته في السر والعلن، ودفعه ذلك إلى حسن الاستقامة، ودوام الطاعة بقلبه وجوارحه، وعبد الله كأنه يراه في جميع أوقاته: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿١٢﴾ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ إِلَّا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ [الملك / ١٢ - ١٤].

ويثمر له ذلك دوام الاستقامة والطاعة لله عَزَّ وَجَلَّ.

والاستقامة: أن تستقيم على أوامر الله فعلاً وتركاً، وألا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يجردك حيث نهاك؛ لأنك عبد مطيع: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ﴿٧١﴾ [الأحزاب / ٧١].

ويثمر له ذلك دوام الطاعة بقلبه وجوارحه في جميع أوقاته: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٩﴾ [الزمر / ٩].

هذا الذي يعبد ربه كأنه يراه، وعرف أسماؤه الحسنی وصفاته العلی: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

ومن عرف ربه باسمه الخبير؛ أطاعه ولم يعصه، وذكره ولم ينسه، واجتنب كل ما نهى الله ورسوله عنه: ﴿يَتَابِعُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر / ١٨].

والمسلم إذا عرف أن ربه بصير بأعماله، سميع لأقواله، خبير بما في قلبه؛ أحب ربه؛ لما يراه من جلاله وجماله، ولما يراه من إنعامه وإحسانه، ورضي بقضائه وقدره، واطمأن قلبه لما قدره الله عليه من المصائب والمكروهات، لأنه يعرف أن ربه لطيف وكريم، ورحمن ورحيم ورؤوف؛ فيطمئن قلبه بقضاء الله وقدره، ويطمئن لما قدره الله عليه من المحبوبات والمكروهات، ومن النعم والمصائب: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢].

وكل مصيبة وكل حدث في الكون مقرون بالقدرة المطلقة، المقرونة بالحكمة المطلقة المقرونة بالخير المطلق، فلا يفعل الله في ملكه العظيم سواء كان في الكون أو في خاصة الإنسان إلا ما هو مقتضى الحكمة والرحمة والعدل والإحسان، فييده الخير كله، والشر ليس إليه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨].

فإذا عرف العبد أن ربه ﷻ سميع لأقواله، خبير بما في قلبه؛ أحب ربه، ورضي بقضائه وقدره: ﴿قُلْ لَن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة / ٥١].

فالمصائب فيها تكفير للسيئات، ورفعة للدرجات، وتقوية الإيمان في القلب، ورد للعبد إلى ربه.

فكل مصيبة تقع وتمر على العبد تورث سبع كرامات فتحصل له توبة جديدة، وإيمان جديد، وحب جديد لربه، وتعظيم جديد لربه، وعبادة جديدة، وطاعة جديدة، وحياء جديد من ربه: ﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

الله خبير بالطواهر والبواطن، ومن رحمته أن يرسل النعم أحياناً لتذكر الإنسان بنعمة ربه، فتدفعه هذه المعرفة إلى شكر المنعم، أو يرسل عليه مصيبة، لتذكره هذه المصيبة بأن ربه رقيب وشهيد عليه، وخبير بما في قلبه، فيتوب إلى ربه، ويتجنب المعاصي الظاهرة

والباطنة: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (٢٣) ﴿[الحديد/ ٢٢-٢٣].

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَنَطَمَنُوا قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨) ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَتَى﴾ (٢٩) ﴿[الرعد/ ٢٨-٢٩].

فمن عرف ربه بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی، وأفعاله الجميلة؛ رضي بما يقدره الحكيم الخبير الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلَيْتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٥١) ﴿[التوبة/ ٥١].

فكل إنسان حين كان في بطن أمه يكتب الملك: رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد. وعلم المؤمن أن ربه عليم خبير يثمر له الثبات في ميادين القتال، والمواجهة مع أهل الباطل بكل قوة؛ لأنه يعلم أن ربه خبير لا يخفى عليه شيء من أحوال الأعداء: ﴿وَأَلَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ (٢٠) ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ (٢١) ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ (٢٢) ﴿[البروج: ٢٠-٢٢].

وهذا الإيمان يطمئن قلب المؤمن، ويقوي ضعفه، ويجعله قادراً على مواجهة العدو بكل شجاعة وثبات: ﴿فَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٧٦) ﴿[يس: ٧٦].

فعلم العبد بذلك يثمر له قوة الثبات، والطمأنينة بربه، والطمأنينة بنصره.

وإذا تيقن المؤمن أن ربه خبير بحاله؛ أثمر له ذلك التعلق بربه، والتضرع بين يديه، وتوجيه شكواه إليه: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨٦) ﴿[يوسف: ٨٦].

لأن الله سميع لأقوالی، بصير بأحوالی، خبير بما في قلبي، رحيم بنفسي، قادر على قضاء حاجتي: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١٨٦) ﴿[البقرة: ١٨٦].

فسبحان العليم الخبير، المحيط بكل مخلوق: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذَةٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٥٦) ﴿[هود/ ٥٦].

فليس في الكون إلا اثنان: ملك وعبيد، وخالق ومخلوق: ﴿ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٠٢) ﴿[الأنعام: ١٠٢].



المؤمن إذا عرف ربه باسمه الخبير؛ لزم العدل في أقواله وأعماله مع العدو والصديق، في حال السراء والضراء، في حال الغضب والرضا: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ۤأَلَّا تَعْدِلُوا ۚ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة / ٨].

فعنوان رسالة النبي ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء / ١٠٧].  
 فلا يكون في قلوبنا حب قتل الأعداء؛ بل يكون في قلوبنا أولاً رحمة الأعداء، ليؤمنوا برحمتهم: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِن حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۚ فَإِذَا عَزَمْتَ عَلَىٰ شَيْءٍ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فإن هذا العدل سيكون سبباً لإسلام الناس، وحبهم للدين، ورؤية محاسن الدين: ﴿هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة / ٨].

ومن عرف الخبير سبحانه فارق المعاصي في كل حين، وكف يده ولسانه عن كل محرم ومكروه، وغض بصره عما يشغله عن ربه، أو يسخطه عليه: ﴿قُلْ لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور / ٣٠].

فمن عرف أن الله ﷻ سميع وبصير، وعليم وخبير، غض بصره عن الحرام، وأطلق بصره في النظر في الآيات الكونية والآيات الشرعية؛ فازداد إيماناً وتقوى، هو سبحانه العليم الخبير بكل شيء، هو الخبير بكل شيء قبل أن يعلمه العلماء والخبراء مما كان وما يكون وما سيكون: ﴿ذَٰلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾﴾ [الذرى أحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين ﴿٧﴾﴾ [السجدة: ٦ - ٧].

فيا عبد الخبير، ويا أمة الخبير، ليكن الواحد منا خبيراً بما يحدث في عالمه، والعالم الأول هو الإنسان؛ فكن خبيراً بما يجري في عالمك من قلبك وجوارحك، وأعمالك وأخلاقك وأقوالك، فاشكر الله على النعم، وداوم على طاعة مولاك، واحذر الذنوب، وأكثر من الاستغفار والتوبة، وطهر قلبك من الشك والشرك، والغش والكذب والحسد والكبر، والرياء والظلم، والخيانة والنفاق: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفُوا اللَّهَ وَتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر / ١٨].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحُونُوا ءَمْنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾  
 وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا ءَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾

[الأففال: ٢٧-٢٨].

فالمسلم يتفقد نفسه، يتفقد عالمه من قلبه وجوارحه، ماذا في القلب من حب الله وتعظيمه؟ وماذا في القلب من الشك والشرك؟ وماذا في القلب من الإيمان والتقوى؟ ماذا في القلب من الصدق والإخلاص؟.

فكن خبيراً بما يجري في عالمك من قلبك وجوارحك، فاشكر الله على النعم، وداوم على طاعة مولاك، واحذر الذنوب، وأكثر من الاستغفار؛ فإن الله سميع بصير، غفور رحيم. وطهر قلبك ولسانك وجوارحك من النجاسات؛ من الشك والشرك والكذب، والغش والحسد والكبر، والخيانة والنفاق والرياء وغيرها: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران / ١٠٢].

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم / ٧].

واحذر السخرية بالناس، وسوء الظن بهم، واجتنب أكل لحومهم بالغيبة والنميمة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْ نِسَاءٍ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقَ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَانفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات / ١١-١٣].

عليم بالظواهر والبواطن، خبير بالسرائر والخفايا؛ فلا يخفى عليه شيء، فبادر إلى ما يحبه ويرضاه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَأَسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج / ٧٧].

فمن عرف أن ربه خبير بظاهره وباطنه؛ أقبل على الطاعات، وابتعد عن المعاصي، وعرف الفضائل وتحلى بها، وعرف الرذائل واجتنبها: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ [فاطر: ٢٨].

فيا عبد الخير، احذر أن تظهر الخير، وتضمهر الشر، أو تتجمل بالإخلاص مع الإفلاس مما يحبه الله ﷻ؛ فربك خبير بكل ظاهر وباطن: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١].

وكن خبيرًا بأحوال الناس؛ لتشكر محسنهم، وتطعم فقيرهم، وتواسي محتاجهم، وتعلم جاهلهم، وتهدى ضالهم: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف / ١٠٨].

﴿كُونُوا رَبَّاتِنَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران / ٧٩].  
﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة: ٢].

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ [الذِّينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

واعلم يا عبد الخير، أنك مكشوف في جميع أحوالك أمام ربك اللطيف العليم الخير، فاتق الله حق تقاته، واتق الله أن يفقدك حيث أمرك، أو يجدك حيث نهاك: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٣].  
فالله أهل أن يتقى، وأهل أن يُعبد، وأهل أن يُذكر فلا يُنسى، ويطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يُكفر؛ لأنه المنعم بكل نعمة، الملك الذي له الملك والملكوت الخير، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

هو سبحانه الخير اللطيف الذي أمرك بما يسعدك وينجيك من أوامره ﷻ، ونهاك عن كل ما يشقك ويؤلمك من نواهيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي

الْقُرْبَ وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ [النحل: ٩٠].

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الْأَيْمَانَ وَرِزْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرِهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ [الحجرات: ٧-٨].

فالله ﷻ كريم، أعطانا عطاء الربوبية، وأمرنا أن نستفيد منه؛ فالهواء والماء والطعام والشراب، فرض عين عليك؛ لتبقى حياً: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [البقرة: ١٧٣].

وحتى تكون سعيداً في الدنيا والآخرة، فالإيمان بالله وتقواه فرض عين عيك، وهذا كله من أمر العليم الخبير بما يصلحك ويسعدك في الدنيا والآخرة: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

فالصلوات فرض عين عليك لسلامتك وفلاحك، فإذا آمنت بالله ألقى الله في قلبك نوراً ترى به الحق حقاً وتفعله، وترى الباطل باطلاً فتحذره: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الحديد/ ٢٨].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال: ٢٩].

وهكذا الحرام من كذب وغش، وسرقة وزنا، وظلم وأذى، يجرمك السعادة والسلامة في الدنيا والآخرة: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٣٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٣٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنتَ أَنتَ ءَايَتُنَا فَتَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُؤَسِّسُ ﴿١٣٦﴾﴾ [طه/ ١٢٣-١٢٦].

فسعادة الإنسان بطاعة الله ورسوله، وشقاؤه بمعصية الله ورسوله: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ [البقرة: ٣٨-٣٩].

هذه الأمور لا بد للقلب أن يعرفها، حتى يُقبل على طاعة ربه بالحب والتعظيم والذل له، فالفقيه حقاً من علم أن سعاده بطاعة الله ورسوله، وشقاءه بمعصية الله ورسوله. لا بد للعاقل أن يعرف من الأخبار في القرآن ما يطمئن القلب للعمل بهذا الدين، والتعبد لله ﷻ، وامتنال أوامره، واجتناب نواهيه، ويعرف ثمرة الطاعة، وماذا تجلبه من الخير والبركة، وجناية المعصية، ماذا تجلبه من الشر والعذاب الأليم: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَذَّكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد: ١٩].

فلكل طاعة ثواب، ولكل معصية عقاب: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَعْتَدِ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء/١٣-١٤].

هذه أخبار القرآن موجهة من الرب إلى القلب؛ حتى يأخذ من أخبار، وأحكام الحكيم، ما يسعده في الدنيا والآخرة: ﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ۗ وَيَلْعَلُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَيَلْذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم: ٥٢].

وأعلم الناس وأسعدهم من آمن بالله واتقاه، وأجهلهم وأشقاهم من كفر بالله وعصاه: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار/١٣-١٤].

• هناك نعيم او جحيم في ثلاثة مواطن:

في الدنيا.. وفي بطن القبر.. ويوم القيامة في الجنة أو النار.

وأعظم نعيم في الدنيا هو نعيم معرفة الله، والإيمان به، وعبادته: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُتَوَكِّفِكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

فيا عبد الخير كن خبيراً بأحوال نفسك؛ هل سلمت قلبك وجوارحك للرحمن أم للشيطان؟.

فالمؤمن من سلم نفسه للرحمن: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ

خَيْفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٢].

أنا أسير على هذا الصراط المستقيم، حتى أصل إلى الله، وحتى أصل إلى ما يحبه الله ﷻ، وما تحبه نفسي من السعادة في الدنيا، والجنة ورؤية الله في الآخرة. والكافر سلم نفسه للشيطان، فاستغل لسانه بالغبية والنميمة، والقليل والقال؟ واستغل أوقاته في معصية الرحمان، سمعه بسماع ما حرم الله؟ واستغل بصره فجعله يرى ما حرم الله ﷻ؟.

لا بد للإنسان أن يكون خبيراً بنفسه؛ هل هو من جند الرحمن، أو من جند الشيطان؟ هل جوارحك وقلبك سلمتها لربك الرحمن أم سلمتها للشيطان؟ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۗ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة/ ٢٠٨].

فليأخذ العبد حذره من الشيطان، وينتبه لنفسه؛ لأن أقرب عالم إليك هو النفس: ﴿الَّذِي ءَاخُذُكُمْ بِنَفْسِكُمْ أَنْ لَا تُعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۗ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ ءَعْبُدُونِي ۗ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس/ ٦١-٦٢].

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦١﴾﴾ [فاطر/ ٦].  
وكن خبيراً يا عبد الخبير بأحوال زوجك وأولادك؛ لتحملهم على طاعة الله ورسوله، واجتناب معصية الله ورسوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [التحريم/ ٦].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عِدْوَالِكُمْ فَاخْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [التغابن/ ١٤].

أنفق على زوجك، وأهلك، وأولادك، وأقاربك، أنفق عليهم مما أعطاك الله، وعلم جاهلهم، وذكر غافلهم، وخذهم إلى الحق بالرفق والرحمة والحكمة: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي

الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ [آل عمران / ١٥٩].

عاملهم بالصفات التي يحبها الله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف / ١٩٩].

وقال النبي ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِيهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي» أخرجه الترمذي وابن ماجه<sup>(١)</sup>.

كن خبيراً يا عبد الخير بأحوال الأمة؛ لتتعلم من العالم، وتعلم الجاهل، وتواسي المحتاج، وتغني الفقير، وتهدى الضال: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم / ١].

فالتعبد لله ﷻ باسم الله الخير، يثمر ثمرات عظيمة؛ من حب الله ﷻ، وتعظيمه، والحياء منه، ودوام الشكر له، والخوف منه، والرجاء له: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَتُونَكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

هو جل جلاله العليم الخير بما تكنه الصدور، وما تخفيه القلوب، الخير الذي انكشف له كل مخبوء، فهو يرقب كل مستور، يعلم السر وأخفى.

ولا بد للعبد أن يعرف ربه بأسمائه وصفاته، ويتلو كتابه، ويستن بها جاء عن رسوله ﷺ، لماذا؟ ليعرف الخالق من المخلوق، ويعرف ما يحبه الله وما يكرهه، وما يرضيه وما يسخطه: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨].

لا بد للعبد أن يتلو كتاب ربه، ويستن بها جاء عن رسوله ﷺ؛ ليعرف هذه المعارف العظيمة، ويعرف الخير من الشر، والحق من الباطل، والنافع من الضار، والباقي من الفاني؛ ليقدم ما يستطيعه في حياته؛ ليجد جزاءه عند ربه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

لابد للمسلم أن يعرف حقيقة الدين، ليقدم على اليقين من أمر ربه، ويواظب على المشروع من أحكامه؛ فلا بد له من معرفة الخالق من المخلوق، ومعرفة الدنيا من الآخرة، ومعرفة قيمة الإيثار والأعمال الصالحة، لا بد له أن يقرأ كتاب ربه؛ فيجد هذه

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٨٩٥)، وأخرجه وابن ماجه برقم (١٩٧٧) وهذا لفظه.

المعارف العظيمة: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ، ثُمَّ يَهِيغُ فترته مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد/ ٢٠].

واعلم يا عبد الخبير، أن من لم يقدم خبر القرآن والسنة بين يديه؛ كان من أمره على خطر عظيم؛ لأنه قدم الهوى على الهدى، وقدم العقل على الوحي: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بغيرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [الفصص/ ٥٠].

فكل إيمان، وتصديق، وهدى، ومسارعة إلى الخيرات، وصبر على الأقدار والأحكام سببه العلم والعمل بخبر الوحي المنزل من ربنا ﷻ: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكًا فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام: ١٥٥].

وكل جهل، أو تكذيب، أو تقصير، أو جزع، أو ظلم، أو كبر، أو فساد سببه الجهل بخبر الوحي، أو الإعراض عنه: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتِنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنسِي ﴿١٢٦﴾﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦].

فهذه أخبار الخبير في كتابه منهج حياة، يسير عليها المسلم على صراط مستقيم: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

واعلم يا عبد الخبير أن الله خير بأقوالك وأعمالك، خير بنيتك وإرادتك، فاستح منه، ولا تسكن في أرضه، وتأكل من رزقه، وتعصيه بنعمه. اتق الله حيثما كنت، واستقم كما أمرت.

واعلم أن النفس إذا دعوتها إلى الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصية الله، والصبر على أقدار الله، والصبر على عبادة الله، بعد تقدم الخبر والعلم بالله ووعدته ووعيدته؛ أعطتك ذلك من ذاتها بيسر وسخاء، ودوام واستمرار؛ لعلمها بأن ما دعوتها إليه هو طريق سعادتها الواجب عليها سلوكه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾



قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَقَهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ﴿١٠﴾ [الشمس: ٧-١٠].

فالنفس مجبولة على حب الشهوات، والروح مفطورة على حب الطاعات.

فمحبوبات النفس: المطاعم، والمشروبات، والمركوبات، والمنكوحات، والملبوسات.

فهذه محبوبات النفس، وهي ليست محرمة، إنما نأخذ منها بقدر الحاجة؛ لأن كمال النعيم

في الجنة، ونعطي للدين بقدر الطاقة، ونعطي الروح ما تحب من الطاعات.

والروح تحب الإيانيات، والعبادات، والمعاملات الطيبة، والمعاشرات الحسنة،

والأخلاق الكريمة.

هذه محبوبات الروح، ومحبوبات النفس، ومحبوبات الرب، ومحبوبات العبد، وهذه هي

أخبار الخير لنا ﷺ في كتابه وسنة رسوله ﷺ.

من أجل هذا احتاجت النفوس إلى معرفة الخير، ومعرفة خبر الخير الحق سبحانه،

ومعرفة ثواب الخير جل جلاله؛ ليتبين لها من تعبد؟ ومن تسأل؟ ومن تطيع؟ وما تصبر

عليه؟ وما أنواعه؟ وما ثوابه؟ وما عقابه؟.

فأولاً تعرف الخير بأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ

وَاللُّمُومِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثُونَكُمْ ﴾ [محمد/ ١٩].

ونعرف صفات جلاله وجماله: ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ

رَحِيمٌ ﴾ [المائدة/ ٩٨].

فنعلم أولاً ربنا ﷻ بأسمائه وصفاته، ثم نعرف أوامره الشرعية، ثم نعرف ثوابه وعقابه

ووعده ووعيده، ثم نتعبد لله بموجب ذلك، بالحب والتعظيم والذل لله ﷻ: ﴿ وَلِلَّهِ

الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

هذه الأمور لا بد للقلب أن يعرفها، ويأخذ الأخبار من الخبر الصادق، من كتاب ربنا،

وسنة رسولنا ﷺ: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١١٥].

﴿ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ ۚ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ

تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

اتبعوه في نيته وفكره، وفي توحيده وإيمانه، وفي أقواله الحسنة، وفي أعماله الصالحة، وفي أخلاقه العالية: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿٢١﴾ [الأحزاب / ٢١].

فمن وحد ربه، وآمن به، وعبده بما جاء به رسوله ﷺ؛ فقد سار إلى ربه على صراط مستقيم.

فهو يسير في الدنيا على الصراط المستقيم، ويوم القيامة يسير على الصراط المستقيم أسرع من البرق؛ لأنه سار على الصراط الديني في الدنيا، ويسير على الصراط المستقيم الحسي يوم القيامة، وينجو من عذاب جهنم: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَنفَرَكُ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فالنفس لمن سبق، إن حملتها على طاعة الله انقادت، وإن تركتها وأهملتها مالت إلى محبوباتها، فالنفس إذا لم تعرف ما ينفعها وما يضرها بالخبر المنزل زلت عند المحنة، وجمحت عند الصدمة، فهلكت وضلت وأضلت: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف: ١٧٩ - ١٨٠].

واعلم رحمك الله أن العليم الخبير يراك؛ فلا تفعل ما يسخطه عليك، هو الخبير الذي يعلم جميع أحوالك في السر والعلن، فلا تبارزه بالمعاصي الظاهرة والخفية، ولا تجعله أهون الناظرين إليك: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ [ق / ١٦ - ١٨].

ويا عبد الخبير، اعبد ربك بالحب مع كمال التعظيم والذل له، وتقلب في ليلك ونهارك في طاعته وعبادته بكل ما يحبه ويرضاه: ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْسَلُ﴾ ﴿١﴾ قُرْآنٌ لَّيْلًا وَإِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوْ انْقُصَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ [المزمل: ١ - ٤].

ومن جاهد فإنها يجاهد لنفسه، وينال ثواب ربه: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ ﴿٧٩﴾ [الإسراء / ٧٩].

اسأل الرحمن أن يرحمك ويرحم الأمة، اسأل الغفار أن يغفر لك، ويغفر لأمة محمد ﷺ، فكن بين يديه عابداً له في ليله ونهاره، فهو الكريم الذي شرفك بالعبودية، وهو الرقيب القريب الشهيد الذي خصك بالعناية والرعاية: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ (٢١٧) الَّذِي يَرِنَكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلَبُكَ فِي السَّجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ [الشعراء/ ٢١٧-٢٢٠].

وإن كنت خبيراً بأحكام الدين؛ فعلمها من لا يعلمها: ﴿كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (٧٩) [آل عمران: ٧٩].

إن كنت خبيراً بأحكام الدين؛ فاعمل بها، وعلمها من لا يعلمها بلسانك وقلمك، وانصح لجميع الخلق، واتبع سبيل المؤمنين؛ تكن من الفائزين: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٤) [آل عمران/ ١٠٤].

ففي كتاب الخبير جل جلاله كل ما يسعد الإنسان في الدنيا والآخرة: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدُنَا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (٨٩) [النحل: ٨٩].

واعلم يا عبد الخبير أن من عرف أن الله خبير بأقواله وأفعاله وسائر أحواله؛ تأدب في سلوكه، وراقب ربه في جميع حركاته وسكناته، واستقام على ما يحبه ربه ويرضاه في ظاهره وباطنه، وفي جلوته وخلوته، وابتعد عما يسخط مولاه العليم الخبير، وأيقن أن كل ما قسمه الله له لن يفوته، وما لم يقسم له لن يدركه: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (١٥) نَتَجَافَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

ومن عرف أن ربه خبير بكل شيء، عليم بكل شيء؛ ناداه نداءً خفياً، وناجاه في سره، ودعاه في سره؛ لعلمه بقربه منه: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٥٥) [الأعراف: ٥٥].

والعاقل حقاً يجب أن يكون خبيراً بنفسه وعالمه، وعالمه هو بدنه وقلبه وجوارحه، وأقواله وأفعاله، وأخلاقه وأفكاره، ويتفقد قلبه أين يتقلب؟ وهل هو يطوف حول العاجلة أم حول الآجلة؟ هل هو قاعد على موائد الرحمن؟ أم على موائد الشيطان؟ هل

هو يعمل فيما يسعده؟ أم فيما يشقيه؟ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَأَنقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَهُم أَنفُسَهُمْ ءَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ [الحشر/ ١٨-١٩].

واعلم أن كل من دعا إلى الله؛ فقد أذن الله له، فإن كانت دعوته صادقة؛ وفقه الله وأعانته، وصرف قلوب الناس إليه، وهذا نوعٌ من الاصطفاء والتكريم: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ءِإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٧٥) [الحج/ ٧٥].

وإن كانت دعوته كاذبة أو على هواه؛ صرف الله قلوب الناس عنه، وأظهر سريرته على فلتات لسانه، وصفحات جبينه: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَثَهُمْ﴾ (٢٩) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسْمِهِمْ ءَوَلَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ءَوَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ (٣٠) [محمد/ ٢٩-٣٠].

فسبحان العليم الخبير بالظواهر والبواطن، والسرائر والخفيات، وعالم الغيب، وعالم الشهادة، وعالم الدنيا وعالم الآخرة، وما نراه وما لا نراه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادُغُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ءَأَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٥) [غافر: ٦٥].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يكون المسلم خبيراً بنفسه، خبيراً بأهله وأسرته، خبيراً بأحوال الأمة، ماذا يجري في الساحة الإسلامية من فكر الأعداء أو كيدهم. فيا عبد الخير، ويا أمة الخير، ويا أمة الخير، كونوا خبراء بمكر وكيد شياطين الإنس والجن الذين يسعون لحربكم، وإضلالكم، وإفسادكم، وإفساد أخلاقكم، فكل ما يملك الأعداء من قوة ومال وإعلام سخره لصرف المسلمين عن دينهم، ونهب خيراتهم، وتمزيق قيمهم: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾ (١٠٠) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ءَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدِ هَدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ [آل عمران/ ١٠٠-١٠١].

﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكَ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ءَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١٧) [البقرة: ٢١٧].

والخبير بأحوال الأمة الإسلامية يرى أن شياطين الإنس والجن طعنوها بثلاثة خناجر

مسمومة: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة/ ٣٢].

الخنجر الأول: أنهم زينوا للمسلمين أن الشعائر من صلاة وصوم، وزكاة وحج وغيرها هي الدين، وفصلوا الشعائر التي هي العبادات عن الشرائع التي تشمل حياة الإنسان كلها، وأوهموا الناس أن العبادة هي العبودية، وقد ضل بذلك كثير من الناس، وسخروا بذلك أقدامهم وأموالهم حتى أوهموا الناس أن الدين عبادات بين العبد وربّه فقط. والمطلوب: العبادة مع العبودية، العبادة شجرة، والعبودية ثمرة، العبادة لها وقت محدود، الصلاة لها وقت، الصوم له وقت، الزكاة لها وقت، الحج له وقت، لكن العبودية وقتها مفتوح، ووقتها عام شامل لحياة الإنسان ليلاً ونهاراً، في كل حال من أحواله، في أي زمان وأي مكان: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١١٢] لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأَنْعَام/ ١٦٢-١٦٣].

فالعبودية هي الأصل والعبادة وسيلة لها.

فالعبودية هي المطلوبة، أن يكون الإنسان عبداً لله بقلبه، بلسانه، بجوارحه، في بيته، في سوقه، في مسجده، عبداً لله في سفره وحضره، وعند طعامه وشرابه، عبداً لله مع زوجته، عبداً لله مع الكفار، مع المسلمين، فالعبودية تشمل كل حياة الإنسان: ﴿صَبَّغَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صَبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة/ ١٣٨].

والأعداء أوهموا كثيراً من المسلمين، وزينوا لهم أن الشعائر من صلاة وصوم وزكاة وغيرها هي الدين، وفصلوا الشعائر عن الشرائع، فالشعائر هي التبعّد لله، وهي تعطي الطاقة الإيمانية للعبد ليمثل أمر الله، فمثلاً الصلوات الخمس تأخذ ساعة من أربع وعشرون ساعة، ساعة تعبد بين يدي الله، وثلاث وعشرين ساعة تعامل مع الخلق، بالدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله، وتطبيق شرع الله على النفس وعلى الغير.

فهم جعلوا الإنسان يتعبد لله في يومه بالذكر والصلاة، أو في حوله بالزكاة والصيام، أو في عمره بالحج، لكن المطلوب أن تكون عبد الله في جميع أحوالك وأوقاتك، داخل الصلاة، وخارج الصلاة، أنت عبد لله ﷻ.

فهذا الخنجر الأول؛ أنهم زينوا للمسلمين وأوهموهم أن الشعائر هي الدين فقط، وما سوى ذلك فلا، عليك أن تتبع الهوى، وتخرج من الهدى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٨٥﴾ [البقرة: ٨٥].

الخنجر الثاني: أنهم سعوا لتمزيق الأمة الإسلامية؛ فاجتهدوا على نشر المذاهب الإسلامية، وفرقوا الأمة شيعًا، وجماعات وأحزابًا: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ [آل عمران: ١٠٤-١٠٥].

ففرقوها إلى مذاهب إسلامية، وحركوا بعضها ضد بعض، فنشأ التعصب للمذاهب والأشخاص والبلاد، وقد نجحوا في هذه المساحة نجاحًا كبيرًا؛ فنشأت المدارس المذهبية المختلفة، وأصبح الناس يبغض بعضهم بعضًا، ويعادي بعضهم بعضًا:

﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ [المؤمنون: ٥٣].  
فأنى يكون لهم نصر، وتكون لهم عزة، وهم على هذه الحال السيئة: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿١١٥﴾ [النساء: ١١٥].

وأفضل قبيلة يريدها الله هي قبيلة المؤمنين، قبيلة المسلمين، قبيلة المتقين: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ ﴿٩٢﴾ [الأنبياء: ٩٢].

الخنجر الثالث: أنهم سعوا إلى تمزيق كيان الأمة الإسلامية الكبير إلى مجموعة دول كبيرة وصغيرة تتطاحن فيما بينها، والعدو يمددها بالسلاح، ويأخذ الأموال، ويمزق الأبدان، ويحطم الكيان: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٨﴾ [الصف: ٨].

فهذه ثلاثة خناجر مسمومة، ضربت بها الأمة الإسلامية، ولن تشفى من جراحها وآلامها حتى تعود إلى ربها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ [نحن

أُولَئِكَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

وهؤلاء الأعداء لن يفلحوا، ولكن الله ﷻ أمهلهم، ليرى من يغار على الدين، والأمة الآن والله الحمد تسعى إلى الوحدة وإلى الاجتماع، وإلى نشر الدين بين الناس بالحكمة والرحمة، وحب الخير للبشرية: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ﴿٩﴾ [الصف: ٩].

﴿حَقِّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرًا مِّنْ نَّشَأٍ وَلَا يَرُدُّ بِأَسْنَانٍ الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ ﴿١١٠﴾ [يوسف: ١١٠].

فليكن العبد خبيراً بأحوال العالم، حتى يقوم بما يجب عليه نحو نفسه، ونحو أهله، ونحو البشرية كلها: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ لِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٥٢﴾ [إبراهيم: ٥٢].

فالحمد لله رب العالمين أن اصطفانا العليم الخبير، وجعلنا من خير أمةٍ أخرجت للناس، وأجرى على أيدينا وأيدي المسلمين الخير الكثير، وأنطق ألسنتنا بالحق، وشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وحبب إلينا عبادته، والدعوة إليه، وتعليم شرعه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلَ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿١١٠﴾ [آل عمران: ١١٠].

فسبحان من حفظ دينه، وحفظ من يقوم به: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُلُ بَلَّغٌ مَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٧﴾ [المائدة: ٦٧].

ومن أعظم سبل الاصطفاء بعد الإيمان طلب العلم خالصاً لله، فمن صدق في طلبه؛ اصطفاه الله وعلمه، وجعله معلماً للبشرية، وداعياً إليه، وشاهداً بوحدانيته: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١٨﴾ [آل عمران: ١٨].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٢٣﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران / ٥٣].

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ﴾ [٨٣] وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ [٨٤] وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ [الشعراء / ٨٣ - ٨٥].

اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، و عليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت.  
اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني.

أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون.

يا خبيراً بكل شيء، يا عليماً بكل شيء، يا بصيراً بكل شيء، يا مالكاً لكل شيء، اللهم  
علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا؛ إنك أنت العليم الخبير.

اللهم يا إلهي، يا من بيده ناصيتي، يا عليماً بضعفي ومسكنتي، يا خبيراً بفقري وفاقتي،  
أسألك أن توفر حظي من كل خير تنزله، ومن كل رزق تبسطه، ومن كل بر تنشره،  
ومن كل ذنب تغفره يا أرحم الراحمين.

اللهم أنت العليم الخبير بالدقائق والخفايا، وأنت المطلع على المعلنات والسرائر، بصرني  
في جميع أحوالي؛ حتى أكون خبيراً بما ينفعني ويضرني، بصيراً بما يسعدني ويشقيني؛ إنك  
أنت العليم الخبير.

سبحانك الله وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.



# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الحكيم.. الحَكَم.. الحَاكِم

## موسوعة أسماء الله الحسنی في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله الحكيم.. الحكم.. الحاكم

الحمد لله رب العالمين ن عرفنا بنفسه، وعرفنا بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی، وبآياته ومخلوقاته، وبدينه وشرعه، وهدانا للإسلام، فله الحمد كثيراً، كما ينعم كثيراً، وكما يعطي كثيراً: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

وكل من عرف الله ﷻ بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی، تفانى في طاعته، وأحبه وكبره وعظمه، وكل من عرف أوامر الله، ولم يعرف ربه ﷻ بأسمائه الحسنی وصفاته العلی؛ تفنن في التفلت من أوامره، وطلب الرخص؛ لجهله بربه، وما يجب له من توحيده، وتعظيمه، وتكبيره، ومحبه وحمده: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

ومعرفة الله ﷻ بأسمائه الحسنی هي باب التوحيد الأعظم، وهي في باب التوحيد بمنزلة الرأس من الجسد: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَوَاتِكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].  
والله حكيم عليم جعل في كل إنسان ثلاث أواني:  
جعل القلوب آنية الإييان، وجعل العقول آنية المعلومات، وجعل المعدة آنية الطعام والشراب.

فلا بد من ملء هذه القلوب بمعرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله، ودينه وشرعه؛ حتى يمتلئ قلب المسلم بالإييان، والإييان يحرك الجوارح بالأعمال. ومغذيات القلوب بالإييان سبعة:

أن نعرف الله، ونعرف أسماءه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعدته، ووعيده.  
هذه مغذيات القلوب التي تحرك الجوارح للطاعة، وتحرك القلوب بالحب لله، والتعظيم له، والذل له، ولهذا فالقلوب محل نظر الله ﷻ، كما قال الرسول ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى

صَوْرِكُمْ وَلَا إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.  
وأصل التقوى تقوى القلوب: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

فسهولة الطاعات، وحب القيام بالتكاليف، أساسها معرفة الله بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی، وأفعاله الحميدة، لأن تلك المعرفة تثمر كمال الإيمان، وكمال التقوى.  
وأسماء الله ﷻ الحسنی كلها مغذيات للقلوب، ولهذا أمرنا بأن نعرف الله ﷻ بأسمائه وصفاته؛ لتمتلي القلوب توحيداً وإيماناً، وحمداً للرب، وتعظيماً له، وشكراً له، وحياءً منه، وخوفاً منه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثُونَكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

وأسماء الله الحسنی تنقسم إلى ستة أقسام، وكلها تغذي القلوب بالتوحيد والإيمان، فلا بد للقلب أن يعرف هذه الأقسام الستة؛ حتى يعبد الله ﷻ بموجبها ومقتضاها، بالمحبة، والتعظيم، والذل لله ﷻ.

#### • فأسماء الله الحسنی ستة أقسام:

الأول: الأسماء الدالة على ذات الله ووجدانيته: مثل الله، الإله، الواحد، الأحد، الحق، الحي، القيوم، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، وغيرها من الأسماء الحسنی، هذه أسماء دالة على وحدانية الله؛ حتى نتوجه إلى واحد، ولا نلتفت إلى ما سوى الواحد.

هو الواحد الأحد الذي بيده كل أحد، القادر على كل أحد، الغني عن كل أحد، الذي يحتاج إليه كل أحد، فإذا عرف القلب هذا لم يلتفت إلى أحد سوى الله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ ١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ ٢ لَمْ يَكُنْ لَكَ يُولَدٌ ۝ ٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ ٤﴾ [الإخلاص: ١-٤].

الثاني: الأسماء الدالة على الملك والقدرة: فالله ﷻ له أسماء تدل على ملكه وقدرته وعظمته، ومن تلك الأسماء:

الملك، العزيز، الجبار، المهيمن، القهار، القادر، القوي، المقدم، والمؤخر، وغيرها من الأسماء الحسنی، وهذه تولد في القلب الهيبة والخوف والإجلال، والرهبه من الله ﷻ؛

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤).

حتى لا نجترئ على معاصيه، ولا نتعدى حدوده، فيتغذى القلب بهذه الأسماء؛ حتى يعرف أن الملك العزيز الجبار القاهر القادر القوي يراقبه ويسمعه ويراه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

الثالث: الأسماء الدالة على الخلق والإيجاد والإمداد، فلا بد للقلب أن يعرف من الخالق؟ من الباري؟ من المصور؟ من الرزاق؟ من الوهاب؟ من الكريم؟ من البر؟ من المقيت؟ حتى نقف ببابه وحده.

فإذا عرف القلب ذلك؛ عرف أن خالقه هو الله، وأن الله هو الخالق الباري المصور، وأنه الرزاق الوهاب الكريم، البر بعباده جل جلاله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي أَنْشَأَ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

الرابع: الأسماء الدالة على العلم والإحاطة: مثل: السميع البصير، العليم الخبير، الرقيب الشهيد، الحفيظ المحيط، وأمثالها، فإذا عرف العبد ذلك لم يتكلم إلا بما يحبه الله ورسوله، ولا يسمع إلا ما يحبه الله ورسوله، فيعلم أن ربه سميع بصير عليم؛ سميع إن تكلمت، بصير إن تحركت، عليم إن أضمرت، خبير يعلم الظاهر والباطن، رقيب شهيد على ما يعمله العباد، فإذا عرف القلب ذلك لم يتكلم إلا بما يحبه الله ﷻ ويرضاه من الأقوال والأعمال.

الخامس: الأسماء الدالة على الرفق والرحمة والمغفرة: مثل: الرب، الرحمن الرحيم، الرؤوف الحلیم، الحميد الشكور، الودود الولي، النصير، القريب المجيب، العفو الغفور، التواب، هذه الأسماء تدل على رحمة الله؛ حتى يقبل العبد على ربه، إن عصاه استغفره، وإن أطاعه أمّل برحمة الله ﷻ، فهو ربنا الذي يربينا بالنعمة المادية وهو أرحم الراحمين، وهو الرؤوف بعباده، الحلیم الذي لا يعجل على من عصاه؛ بل يمهل له لعله يتوب، الحميد المحمود على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، الشكور الذي يشكر على العمل القليل، فيعطي الأجر الكبير: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢].

السادس: الأسماء الدالة على الهداية والبيان: مثل: الهادي المبين، الوكيل الكفيل، وأمثالها

من الأسماء الحسنى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ (٣١) ﴿[الفرقان: ٣١].

هذه معاني أسماء الله الحسنى، وهي مغذيات للقلب بالإيمان بأنواعها الستة.

فإذا تغذى القلب بمعرفة هذه الأسماء؛ آمن بالله، واطمأن إلى ربه، واطمأن بذكره، وأحب ربه، وكبره وعظمه، وحمده وشكره، وتوجه إليه في جميع أموره: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٥) ﴿[غافر: ٦٥].

الله ﷻ هو الحكيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحكيمة، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (٨) ﴿[طه: ٨].

فنعرفه أولاً بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، ثم نعبده بمقتضى هذه المعرفة، فالله رحيم يحب الراحمين، محسن يحب المحسنين، تواب يحب التائبين: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨٠) ﴿[الأعراف: ١٨٠].

الله ﷻ هو الرب الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه، ويتقن صنع كل شيء بقدرته وحكمته، الحكيم الذي لا يدخل تدبيره خلل ولا زلل ولا نقص: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلِغَكُمْ أَتْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٢) ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفْوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ (٣) ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (٤) ﴿[الملك: ١-٤].

هو سبحانه الحكيم في أقواله وأفعاله، هو الحكيم الذي يضع الأشياء في محلها بحكمته ورحمته وعلمه، الحاكم الذي يحكم بين عباده بالقسط والعدل، النافذ حكمه في ملكه، الحكيم الذي يحكم ولا معقب لحكمه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٤١) ﴿[الرعد/ ٤١].

هو سبحانه الملك الحق الحكيم الذي أحكم خلق المخلوقات والأمور، ومنعها عن الخروج على حكمه، الحاكم القاهر الذي قهر جميع المخلوقات على ما أراد، قهر جميع المخلوقات حجماً ولوناً، وبقاءً وفناءً.

هو الحاكم القاهر الذي قهر جميع المخلوقات على مراده، ذكر وأنثى، وليل ونهار، وكبير

وصغير، وأبيض وأسود، وإنسان وحيوان، وملائكة وجان: ﴿سُبْحٰنَهُ ۗ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر: ٤].

هو الحكم الحاكم القاهر الذي قهر جميع المخلوقات على مراده، فدان الملك والملكوت كله لحكمه العدل، وأمره الفصل، يخلق ما يشاء، ويحكم ما يريد: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمٰوٰتِ ۖ وَٱلْأَرْضَ ۖ بِٱلْحَقِّ ۗ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ ۖ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۗ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۗ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ ٱلأَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٥﴾﴾ [الزمر/ ٥].

هو سبحانه أحكم الحاكمين، الذي كل أقواله وأفعاله وأحكامه في منتهى الحسن، الحاكم الذي يحكم بالحق والعدل والإحسان، الذي لا يجور ولا يظلم أحداً: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَهَلِيَّةِ يَعْبُودُونَ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة/ ٥٠].

هو سبحانه الحكم الذي لا حكم أعدل منه، الملك الذي لا أرحم منه، ولا قائل أصدق منه، الذي سلم له الحكم كله، في ملكه العظيم، وسلطانه الكبير: ﴿إِن رَّبَّكُمْ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمٰوٰتِ ۖ وَٱلْأَرْضَ ۖ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ۖ ثُمَّ ٱسْتَوٰى عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشَى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُ ۗ حَيْثَآءَ ٱلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ وَٱلنُّجُومِ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ ٱلأَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فسبحان ربنا الحكم الذي يحكم بين العباد بالعدل والإحسان، الحكم في كل زمان ومكان، الحكم في العالم العلوي والعالم السفلي، في عالم الغيب وعالم الشهادة، في الدنيا والآخرة، الحاكم في كل مكان وزمان وحال، الحكم الصادق الذي لا يقع في وعده ريب ولا شك: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ ٱبْتَغَىٰ حَكْمًا وَهُوَ ٱلَّذِي أَنْزَلَ ۖ إِلَيْكُمْ ٱلْكِتَآبَ مُفَصَّلًا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ ٱلْكِتَآبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ ۖ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۗ ٱلأَمْبَدَلُ لِكَلِمَتِهِ ۗ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام: ١١٤-١١٥].

هو الحكم الذي حكم الملك والملكوت، فجميع المخلوقات شاهدة بوحدانيته، ومسبحة بحمده، ومستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته، وخاضعة لأمره.

هو الحكم الذي حكم الملك والملكوت، وحكم عالم الغيب والشهادة، الحكم الذي حكم على القلوب بالرضا والقناعة، وحكم على النفوس بالانقياد والطاعة، الحكم الذي نفذ حكمه في جميع مخلوقاته، فليل ونهار، وحار وبارد، وطعام وشراب، وهواء

ونور، وجبال وبحار: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجمعة: ١].

هو الحكيم الذي نفذ حكمه في جميع مخلوقاته، فجاءت على ما أراد، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٍ قَلْبُونَ﴾ [٣٦] ﴿هُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم/ ٢٦-٢٧].

هو الحكم الذي حكم جميع المخلوقات، وأحكم الأمور، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة. وهو سبحانه وتعالى الحكم وحده لا شريك له، فلا يجوز لأحد أن يحتكم إلى غير شرع الله، ومن احتكم إلى غير شرع الله؛ فقد حَكَّم في أموره من ليس حاكماً: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة/ ٤٧].

هو سبحانه الحكيم الحق الذي لا بد أن يظهر الحق؛ لأنه هو الحق الذي ينصف المظلوم من الظالم، هو الحق الذي ينصف المظلوم في الدنيا والآخرة، لكن لا بد من الصبر وانتظار الفرج؛ فأعظم العبادة انتظار الفرج.

ومن سنة الله مع خلقه الظالم والمظلوم أن يمهل، ويرخي الحبل مع الكل، ليفعل كل أحد ما يشاء، ولكن الظالم لا يستمر إلى ما لا نهاية، الحبل مرخي إلى أجل، والعاقبة بعد ذلك للمتقين: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوْا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف/ ١١٠].

فالله يمهل ولا يهمل، والمظالم كلها مردودة، إما في الدنيا أو في الآخرة، فلا بد أن يقتصص الملك من الظالم للمظلوم، إما في الدنيا أو في الآخرة، فليصبر العبد، وليستقم كما أمره الله ﷻ، والله سوف ينتقم له: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يونس/ ١٠٩].

والحكم سبحانه سوف ينتقم من كل ظالم إما عاجلاً أو آجلاً: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [٤٢].

[إبراهيم: ٤٢].

فالله ﷻ هو الملك الحق، هو الحكيم الذي أحكم الأمور كلها في ملكه العظيم، وسلطانه الكبير، فلا يضع شيئاً إلا في موضعه، الحكم الذي يحكم بالحق والعدل والإحسان، الواسع العلم والاطلاع على مبادئ الأمور وعواقبها: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦ - ٣٧].

واسم الله الحكيم من أسماء الله الحسنى التي ظهرت آثارها في الملك والملكوت، وفي المخلوقات كلها، والأمور كلها، والتدبيرات كلها: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨]. وقد ورد اسم الله الحكيم في القرآن سبعمائة وتسعين مرة منها قوله سبحانه: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الجمعة/ ١].

وورد مرفوعاً ومنصوباً، ورد مرفوعاً إحدى وثمانين مرة، وورد منصوباً ست عشرة مرة منها قوله سبحانه: ﴿تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٢﴾﴾ [النساء/ ٩٢]. والحكيم صفة مشبهة للموصوف بالحكمة، مأخوذ من الفعل حكم يحكم حكماً وحكمة فهو حكيم، والحكيم من الناس من تصدر أقواله وأعماله عن رؤية سديدة، ورأي سليم. هو جل جلاله الحكيم الذي يؤتي الحكمة من يشاء: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣٦﴾﴾ [البقرة: ٢٦٩].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيْرٌ حَمِيْدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان: ١٢]. فالحكيم هو الذي وهب الحكمة لكل حكيم من خلقه، والحكيم هو الذي وهب الحكم لكل حاكم من خلقه.

هو سبحانه الحكيم الذي كل أفعاله في غاية الحكمة والحسن والإتقان، لا يفعل شيئاً عبثاً؛ لأن أفعاله سبحانه صادرة عن حكمة بالغة، لأجلها فعل: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۗ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ ۗ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٤].



فالله ﷻ هو الحكم الذي يحكم جميع ملكه وهو الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه: ﴿أَفْحَكُمُ الْجَهْلِيَّةَ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة/ ٥٠].

والحكمة أخص من العلم؛ لأن الحكمة هي إجراء العلم على نحو خاص يحقق أسمى الغايات: ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [المتحنة/ ١٠].

والفرق بين الحكيم والعليم أن العليم هو الذي يعلم الأشياء بحقائقها ظاهراً وباطناً. والحكيم هو الذي يعمل بما يوجبه العلم بالحكمة المطلقة، المقرونة بالخير المطلق، المقرونة بالقدرة المطلقة، والإرادة المطلقة، والله حكيم إذا حكم لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام/ ١٨].

﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف/ ٦].

والحكمة تتضمن كمال علم الله وخبرته، وأنه الذي خلق وقدر، وأمر ونهى، وأعطى ومنع، وأكرم وأهان، وأعز وأذل، لما له من الحكم والغايات الحميدة التي يستحق عليها كمال الحمد والثناء والتمجيد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [سبأ/ ١].

والصفة المشتقة من اسمه الحكيم هي صفة الحكمة، فصفة الحكمة مشتقة من اسم الله الحكيم، وهو الوهاب الذي وهب الحكمة لكل حكيم من الخلق، وصفة الحكمة صفة ذاتية لله ﷻ: ﴿إِنْ تَعْدِبْهُمْ فَاِنْتَهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَاِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة/ ١١٨].

الحكمة صفة ذاتية لله ﷻ، وهي كذلك صفة فعلية لله ﷻ.

فهو سبحانه الحكيم الذي يحكم بما شاء من أحكامه القدرية، وأحكامه الشرعية، وأحكامه الجزائية.

هو الحكيم الذي له الأحكام القدرية بالخلق والأمر، خلق السماوات والأرض، والجبال والبحار، وجاء بالليل والنهار، والأمن والخوف، والصحة والمرض، هذه أحكام قدرية تجري على جميع المخلوقات.

وله أحكام شرعية بما أنزل من الكتب التي فيها الشرائع من الأخبار الصادقة، والأحكام العادلة، والأوامر والنواهي.

وكذلك له الأحكام الجزائية، يجزي أهل الطاعة بالجنة والرضوان، ويجزي أهل المعاصي والكفر بالنار وسخطه جل جلاله.

فله وحده جميع الأحكام في ملكه العظيم، أحكام قدرية، وأحكام شرعية، وأحكام جزائية: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف/ ٤٠].

واسم الحكيم في ذاته اسم من أسماء الله الحسنى، والعليم كذلك اسم من أسماء الله الحسنى، فإذا اقترن اسم الله الحكيم باسمه العليم؛ كان ذلك كما لا آخر، فحكيم صفة كمال، عليم صفة كمال، وإذا اقترنا معاً كان ذلك كمال ثالث.

وقد اقترن اسم الله الحكيم باسمه العليم ست وثلاثين مرة في القرآن الكريم، منها سبع مرات قدّم الحكيم على العليم، والباقي قدم العليم على الحكيم، كما قال سبحانه عن الملائكة: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة/ ٣٢].

وسر تقديم العليم على الحكيم والله أعلم أن المقامات التي قدم الله العليم على الحكيم هي مقامات منوطة بالعلم الأول، ثم بالحكمة في تنزيل العلم على الواقع، بما يحقق التوافق بين الأحكام الشرعية النازلة من عند الله، والطبائع البشرية التي خلقها الله ﷻ في العباد، أن يختاروا ما شاءوا، وذلك يثمر الرضا والتسليم بكل ما قدره العليم الحكيم؛ لأن المؤمن معتمد على حكم الله في اختيار الزمان الأنسب لمصلحته، معوّل على حكمة الله في تهيئة الأسباب له، ليقع الأمر على أحسن ما يكون، كما قال سبحانه عن يعقوب: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف/ ٨٣].

أو يقترن في مقام التواضع والتحدث بنعمة الله، كما قال سبحانه عن يوسف ﷻ: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف/ ١٠٠].

هنا يتحدث عن نعمة الله على يوسف، حيث خرج من السجن إلى القصر، ومن عبد يباع إلى ملك يطاع.

هو الحكيم الذي يضع الشيء في مواضعه، ويعلم عواقب الأمور وأوائلها.

وقدم سبحانه اسم الله الحكيم على العليم في مقامي التوحيد، وإظهار المعجزات؛ ليعلم جميع الخلق أن ألوهية الله ﷻ سارية وحاكمة على جميع من في السماوات والأرض من المخلوقات بالحكمة القائمة على القوة الغالبة القاهرة: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام/ ١٨].

هو الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه، الخبير بالظواهر والبواطن: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف/ ٨٤].

ويقرن الله في القرآن بين العلم والحكمة بعد ذكر الأحكام وآيات الوعد، وآيات الوعيد؛ ليبين للعباد أن الشرع الإلهي، والجزاء الإلهي، كلاهما مقرون بالحكمة، غير خارج عن علمه، فقال بعد ذكر المواريث: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَاةِ فُلُؤْمِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾ [التوبة/ ٦٠].

فهو العليم الذي يعلم ما لا يعلم العباد، الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها. فيجب علينا أن نخضع لأمره الشرعي كما خضعنا لأمره الكوني، نحن خاضعون لأمره الكوني، في وجودنا ذكر وأنثى، أبيض وأسود، طويل وقصير، نحن خاضعون لأمره الكوني الذي لا خيار لنا فيه، لا خيار لنا في ألواننا، وفي أنواعنا، وفي أعضائنا، فخضعنا لأمره الكوني، فيجب أن نخضع لأمره الشرعي: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام/ ٨٣].

واقترن اسم الله الحكيم بالعزيم، هو العزيز الذي لا يغلب، الحكيم الذي شرع أحسن الأحكام، الحكيم الذي يضع الأشياء في مواضعها: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة/ ٣٨].

وسر ذلك أن عزة الله جل جلاله مقرونة بالحكمة؛ لأن العزة وحدها قد ينتج عنها سوء التصرف، إنسان عزيز قادر إذا لم تكن عنده حكمة فيتصرف بسوء، فالله ﷻ قرن العزة بالحكمة؛ لأن العزة وحدها قد ينتج عنها سوء تصرف وظلم وجور، كما يحصل من الخلق.

والله سبحانه عزيز لا يغلبه غالب، حكيم يضع الشيء في موضعه، فعزته مقرونة

بحكمته، وحكمته مقرونة بعزته، عز وحكم فعاقب المعتدين، وقطع يد السارق، فانتقامه من أعدائه يجري على سنن العدل والحكمة، والرحمة والإحسان. ولهذا من كمال حكمته إكرام الطائعين، وعقاب المعتدين شرعاً وقدرًا وجزاءً؛ لأنهم خالفوا أمره.

هو سبحانه العزيز الحكيم الذي ينصر أوليائه على أعدائه بعزته وقدرته، ويحكم أمره على أتم وجه بحكمته: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَإِلَاطًا لِّبَشَرٍ لِّئَلَّا تُصْخَرُوا لِلَّهِ لَمَّا أَسَاءْتُمْ وَلِيُرِيَنَّكُمْ فِيمَا أَفَعَىٰ فِي الْبِلَادِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَنَكُفُّوا أَعْيُنًا عَنَّا وَإِنَّ لِالَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا شَدِيدًا يَوْمَ يُنْفَخُ السَّمَاءُ كِطْمَانًا﴾ [الأنفال: ١٠].

واقترن اسم الله الحكيم بالعلي في قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآيَاتِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٍ﴾ [الشورى/ ٥١].

فهو العلي الأعلى، له علو الذات، وعلو القهر، وعلو القدر: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ [النساء/ ٣٤].

وسر ذلك والله أعلم أن الله عليّ في ذاته وأسمائه، وصفاته وأفعاله، فاقترضت حكمته أن يكون توجيه خطابه إلى البشر لطيفاً تيسيراً لهم، وحكم الله يعلو ولا يعلى عليه؛ لاشتماله على الحق: ﴿ذَلِكُمْ بَأْتَهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُوْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢].

فهو علي، وأحكامه عليا، تحكم على البشر من العلي الأعلى، وكل ما سوى أحكامه فهو أدنى، ومن أمور الجاهلية.

واقترن اسمه الحميد مع اسمه الحكيم مرة واحدة في القرآن في قوله: ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت/ ٤٢].

وسر ذلك والله أعلم الإشارة إلى أن هذا القرآن منزل من حكيم يضع الشيء في موضعه، ويتقن الأمور غاية الإتقان، ولهذا استحق الحمد والثناء على كمال ذاته وأسمائه وصفاته، وكمال قدرته وعلمه وحكمته: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ لِدَاوُدَ وَلِئْمَ شَرِيكًا فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَجِيهًا مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالَّذِي خَلَقَ الْمَاءَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [الإسراء/ ١١١].

فسبحان الحكيم العليم بأحكام الأمور، الذي يضع الشيء في موضعه! الحكيم الذي له

الحكم كله، لا مقدم لما أحر، ولا مؤخر لما قدم، الحاكم الذي يفصل بين الأمور، ويحكم بالعدل، الحكيم الذي أتقن ويتقن كل شيء خلقه، الحكيم الكامل في ذاته وأسمائه، وصفاته وأفعاله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [٨ / طه].

فهو سبحانه الحكيم في أقواله وأفعاله وأحكامه، قوله الحق، وحكمه العدل، وفعله الصواب: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة / ٥٠]. فالذي خلق هو الذي يحكم من خلق حكماً كونياً قدرياً، فجميع المخلوقات ممالئكه وعبيده، خاضعون لأمره، ويحكم خلقه بأحكامه الشرعية، فأنزل الكتب، وأرسل الرسل للجن والإنس، ويحكم خلقه أحكام جزائية، التي هي الثواب والعقاب: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصاص: ٨٨].

هو سبحانه الحكيم الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره.

كل ذرة في هذا الكون لها حكمة، وكل ذرة خلقها الله في هذا الكون فهي مظهر لجلال الله وجماله، وقدرته في خلق الكبير كالعرش، وخلق الصغير كالذرة، وهي مظهر لجلاله وقدرته في خلق الصغير والكبير، وخلق الكامل والناقص، وهو الحكيم الذي له الحكمة في خلق هذه الذرة في جبل، أو في إنسان، أو في بحر، أو في سماء، أو في أرض.

وكل ذرة في ملكه العظيم لها ثلاثة أوامر من الحكيم:

لها أمر بالإيجاد، ولها أمر بالبقاء، ولها أمر بالرفع والضر.

فهو سبحانه الحكيم لكل ما خلق وذراً وبراً: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

فهو الحكيم الذي لا يفعل ولا يأمر ولا يخلق إلا ما فيه خير ومصلحة، ولا ينهى إلا عما فيه مفسدة أو مضرة: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور / ٥٩].

هو سبحانه الحكيم الذي له الحكم في الأولى والآخرة، وله الحكم في العالم العلوي والسفلي، وله الأحكام الثلاثة:

الأحكام القدرية الكونية في ملكه العظيم، فهو في كل ثانية يحكم في ملكه العظيم

بأحكامه القدرية بمليارات الأوامر الكونية القدرية، كم من عالم النبات ينبت! وكم من المخلوقات التي تخلق في كل ثانية! من عالم الجماد والنبات، والحيوان والإنسان وغيرها: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٨٦﴾ [الحجر: ٨٦].

ولكل مخلوق حكمة، ولكل مخلوق وظيفة، ولكل مخلوق عبادة، فالخلق كلهم عبيده، في العالم العلوي والعالم السفلي، لكن له عبيد بالتسخير وهم كل ما سوى الإنس والجن من المخلوقات، وعبيد بالتخيير وهم الإنس والجن الذين أرسل الله إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب: ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَعَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ ﴿١٣٠﴾ [الأنعام: ١٣٠].

وله سبحانه الأحكام الدينية الشرعية، وله الأحكام الجزائية بالثواب والعقاب، وهو يحكم لا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب، لا أحد يعترض عليه، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿٤١﴾ [الزمر: ٤١]. فجميع أفعاله مقرونة بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة مقرونة بالخير المطلق، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، وما سوى الخير هو الشر، والشر ليس إليه: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ﴾ [النساء/ ٧٩].

فهو سبحانه الحكيم، الخير بالظواهر والبواطن، إذا أمر بأمر كان حسناً في نفسه، وإذا نهى عن شيء كان قبيحاً في نفسه، وإذا أخبر بخبر كان صدقاً، وإذا فعل فعلاً كان في منتهى الحكمة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٦﴾ [يوسف: ٦].

هو سبحانه الحكيم الذي بحكمته خلق فسوى، وقدر فهدى، وأسعد وأشقى، وأضل وهدى، ومنع وأعطى، وأمات وأحيا: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ﴾ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ [الأعلى/ ١-٣].

هو سبحانه الحكيم، ومن جلال الحكيم أن جميع المخلوقات والشرائع مشتملة على الحكم العظيمة، والغايات الحميدة، فلا إله إلا الله! ما أعظم أحكامه! وما أصدق أخباره! وما أحسن أوامره، وما أحكم تدبيره.

وجميع مخلوقاته في العالم العلوي والعالم السفلي، وجميع شرائعه مشتملة على الحكم

العظيمة، والغايات الحميدة، والمصالح الكبيرة، كما أنها في نفسها في غاية الإحكام والإتقان: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام/ ٧٣].

الحكيم سبحانه خلق المخلوقات، وشرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل؛ ليعرف عباده بذاته، وأسمائه الحسنی، وصفاته العلی، وأفعاله الحميدة، لماذا؟ ليعبدوه وحده لا شريك له، ولا يلتفتوا لأحد سواه؛ لأنه الخالق الرازق، الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه، الملك الذي له ملك السماوات والأرض، العليم بكل شيء، الخبير بكل شيء، القادر على كل شيء، الذي له كل شيء، الذي خلق كل شيء: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

فأنزل الله الكتب، وأرسل الرسل ليعرف عباده بذاته، وأسمائه الحسنی، وصفاته العلی؛ حتى يعبدوه العباد وحده بالمحبة والتعظيم والذل له، محبة ورجاءً لثوابه، وخوفاً من عقابه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

هذا ربكم الذي تعبدونه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فإذا عرفتم ذلك؛ فاعبدوه وحده لا شريك له، وأخلصوا العبادة له، فهو الذي خلقكم ورزقكم، وهداكم إلى دينه، وحبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم، وضاعف لكم الأجر والثواب، وأعانكم على طاعته، فاحمدوه على نعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَأَعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

وشريعة الله أحسن الشرائع؛ لأنها عدل كلها، حكمة كلها، مصلحة كلها، رحمة كلها، وحق كلها: ﴿كُتِبَ الْحُكْمُ يَا آدَمُ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَكِيمٌ﴾ [هود/ ١].

والحق ما وافق العقل الصحيح، وقبلته الفطرة السليمة، وحقق المصلحة، ودفع المفسدة، في الدنيا والآخرة: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبُطْلُ إِنَّ الْبُطْلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإنعام/ ٨١].

[الإسراء: ٨١].

والله سبحانه وتعالى عدله مطلق، وحكمته مطلقة، ورحمته مطلقة، وإحسانه مطلق، لا يرضى أن يظلم في ملكه ذرة، أو حشرة أو مخلوق من خلقه.

هو سبحانه الرحمن الرحيم الحق، الذي لا يرضى أن يظلم في ملكه أحد؛ لأن حكمته ورحمته مطلقة عمت جميع خلقه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٤٠) [النساء/٤٠].

فلا إله إلا الله! وسبحان الحكيم الذي يوظف شر البشر لخير البشر وصالحهم!

فننظر ماذا جرى ليوسف ﷺ حينما أخذه إخوته وجاءوا على قميصه بدم كذب، قالوا: أكله الذئب، ثم رمي في البئر، وهناك أوحى الله ﷻ إليه: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٥) [يوسف: ١٥].

ثم بيع في السوق، ثم امتحن بزوجة العزيز، ثم جرت عليه هذه الأحوال الشديدة، ثم وصل إلى الملك، ثم تمنى أن يخرج من هذه الدنيا: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (١٠١) [يوسف/١٠١].

فالله ﷻ يوظف شر البشر لخير البشر وصالحهم، فما من طاغية يطغى إلا ويوظف طغيانه لمصلحة البشر: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (١١) [المجادلة/٢١].

هو سبحانه الحكيم العليم الذي يجعل المحبوب في باطن المكروه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١١٦) [البقرة/٢١٦].

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٤) ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعَفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ (٥) ﴿وَنُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ (٦) [القصص/٤-٦].

وقد قال سبحانه وفعل فأغرق فرعون وجنوده: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ



فَاعْرِفْنَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ [الزخرف: ٥٥].

وهو الحكيم الخبير الذي يعلم أوائل الأمور وعواقبها، وظواهرها وبواطنها. والله سبحانه له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/ ٨].

ومن عرف ربه الحكيم بأسمائه وصفاته وأفعاله تفانى في طاعته، وامتلاً قلبه بمحبته وحمده وتمجيده، ومن عرف أوامره دون معرفته تفنن في التفلت من امتثال أوامره: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَتُونَكُمْ﴾ [محمد/ ١٩].

هو سبحانه الحكيم الذي وهب الحكمة لكل حكيم، الرزاق الذي وهب الرزق لكل مرزوق، اللطيف الذي وهب اللطف لكل لطيف: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة/ ٢٦٩]. ورأس الحكمة مخافة الله، فمن عرف الله فقد عرف كل شيء، ومن لم يعرف الله فكأنه لم يعرف شيئاً: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ [النجم/ ٤٢].

قد يؤتيك الله المال والله لا يجبك، فقد أعطى قارون المال وهو لا يحبه، ولما لم يشكر الله عكس؛ خسف به وبداره الأرض، وقد يؤتيك المال؛ لأن حالك أيها العبد لا يصلح إلا بالمال، ولكنه سبحانه لا يؤتي الدين إلا لمن يجب، كما قال الله ﷻ عن يوسف: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف/ ٢٢].

ومن عرف أنواع الحكمة والعلوم، ولم يعرف الحكيم جل جلاله؛ فلا يستحق أن يسمى حكيماً، بل هو أسفه السفهاء، وأغبي الأغبياء؛ وإمام الغافلين، لأنه عرف المخلوق، ولم يعرف الخالق: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [١٧٩] وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف/ ١٧٩-١٨٠].

فمن عرف العلوم وعرف أنواع الحكمة، ولم يعرف الحكيم جل جلاله؛ فهو أسفه الخلق: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ

فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴿البقرة: ١٣٠﴾.

والإنسان وعاء المعلومات، وأشرف العلوم معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بدينه وشرعه، والحكيم من ملأ وعاءه هذه العلوم النافعة، وعمل بموجبها؛ محبة لله، وتعظيمًا له، وطمعًا في ثوابه، وخوفًا من عقابه، هذا هو الحكيم.

الحكيم الذي صدق بأخبار الله، وامثل أوامره، وتعبد لله عَلَيْكُمْ بموجب هذه المعرفة.

الحكيم هو الذي عرف الحكيم، وعرف أوامر الحكيم جل جلاله، وعمل بموجبها: ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَلَّا يَكُونُوا رَاكِعِينَ وَأَسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَقْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج/ ٧٧].

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

هذا هو الحكيم الذي آمن بالله، وعرفه بأسمائه وصفاته، وعرف أمره، فأطاعه في ملكه.

هذا هو الحكيم الذي عرف ربه جل جلاله، ثم عرف أمره، ثم استجاب لدينه وفاز بثوابه: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حُرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾

[السجدة: ١٥-١٧].

الحكيم هو الذي آمن بربه، وعبد ربه وحده، ودعا إلى ربه الذي له الملك العظيم والسلطان الكبير، وله الأوامر الكونية، وله الأوامر الشرعية، وله الأوامر الجزائية، وله الأسماء الحسنی، والصفات العلی، والأفعال الحميدة، وله ملك الدنيا والآخرة، وله ملك العالم العلوي والعالم السفلي، وله عالم الغيب والشهادة: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

فسبحان ربنا الحكيم الذي أحكم صنع ما خلق من جماد ونبات وحيوان، وملائكة وإنس وجن: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النمل/ ٨٨].

واسم الله الحكيم له ثلاثة معاني:

الأول: حكيم بمعنى محكم ومتقن للمخلوقات التي خلقها، فهي في غاية الإحكام والإتقان، الذي أحسن كل شيء خلقه: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ [السجدة: ٦ - ٨].

الثاني: أن الله هو الحكيم الذي علمه مطلق، وعلمه لا أول له ولا آخر، ولا بداية له ولا نهاية، هو العليم بكل شيء، الخبير بكل شيء، السميع لكل شيء، البصير بكل شيء. العليم الذي يعلم مثاقيل الجبال، ومكاويل البحار، وعدد ورق الأشجار، وعدد ذرات الرمال، لا توارى منه سماء سماء، ولا أرض أرضاً، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما قعره.

هو الحكيم العليم الذي يعلم ما كان، وما يكون، وما سيكون، الذي يعلم عباده ما شاء من علمه جل جلاله: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (١١٣) [النساء: ١١٣].

الثالث: أن الحكيم ذو الحكمة البالغة الذي يضع الشيء المناسب، بالقدر المناسب، في المكان المناسب، بالحجم المناسب، في الوقت المناسب: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (٤٩) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ [القمر: ٤٩ - ٥٠]. فسبحان الحكيم الذي حكم على الخلق بقضائه وقدره، فذكر وأنثى، وليل ونهار، وحر وبرد، وجماد ونبات، وحيوان وإنسان.

هو الحكيم الذي حكم على الخلق بقضائه وقدره، لوناً وحجماً، وشكلاً ومساحة. هو الحكيم الذي حكم على الخلق بقضائه وقدره، خلقاً وتديراً، فما شاء كان، وما لم يشأ لا يكون أبداً: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ (٨) [التين: ٨].

وهو سبحانه الحكيم الذي حكم بين عباده بدينه وشرعه: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤٠) [يوسف: ٤٠]. الله ﷻ رفعنا عن حياة الحيوان الذي يأكل ما يشتهي، ويشرب ما يشتهي، وينام حيث يشتهي، بلا حد ولا قيد، ولا أمر ولا نهي.

ورفعنا عن حياة الشياطين الذين كل حياتهم معاصي وذنوب وكبائر.

ورفعنا عن حياة السباع التي كل حياتها اعتداء وظلم: ﴿فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَوِيمُ وَلَكِن كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ [الروم: ٣٠].

الله سبحانه رفع مكانة الإنسان حين دعاه إلى حياة الأنبياء والمرسلين، والملائكة المقربين: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ [النساء: ٦٩ - ٧٠].

وحكم الجاهلية، وظن الجاهلية، وحمية الجاهلية، وتبرج الجاهلية، هذه الأمور الأربعة مرفوضة في حياة المسلم: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ [المائدة: ٤٩ - ٥٠].

وحكم جل جلاله بين الخلق يوم القيامة بفضله وعدله: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ [الأعراف/ ٨٧].

هو الحكيم الذي يحكم بالعدل على الكفار، ويحكم بالفضل والإحسان على المؤمنين، فيؤتي على الحسنة عشرة أمثالها، إلى سبعمائة ضعف: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿١٦٠﴾ [الأنعام: ١٦٠].  
فالحكم الحق هو الله وحده لا شريك له: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ ﴿١١٤﴾ [الأنعام/ ١١٤].

هو سبحانه الحكيم ذو الحكمة البالغة، الحكيم الذي يضع الأشياء في مواضعها اللاتقطة بها، أقواله وأفعاله في منتهى الحكمة والرحمة، والعدل والإحسان، ومن رحمته بنا أن بين لنا ماذا يريد منا، وتكفل لنا بما يشغلنا عن مراده منا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨].

فالرزق قد فصل الله فيه لكل مخلوق، لكل ذرة، لكل حشرة، لكل طير، لكل حيوان في البر

والجو والبحر، وكل إنسان وكل جان، قد فصل الله في جميع الأرزاق كمية ونوعية، ومكاناً وزماناً، وكل سوف يصل إليه رزقه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٦٠﴾ [العنكبوت: ٦٠].

لكن الشيطان جاء وأشغل الناس بما قُسم لهم وهو الأرزاق، عما أمروا به وهو عبادة الله، لذا لا بد من التفرغ لعبادة الله وطاعته، والله ﷻ يرزقنا من حيث لا نحسب، مع إعطاء وقت قليل لكسب المعاش، أما الوقت كله فهو تعبد لله، حتى في أمور الكسب نمتثل أمر الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ٣ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ٤﴾ [الطلاق: ٢-٣].

فإنه ﷻ عنده قوة خلق الأرزاق كلها، ويخرجها من الخزائن، ويرسلها إلى كل مرزوق في البر والبحر والجو، يوصل الأرزاق بقوته وقدرته إلى كل مخلوق، سائل أو غير سائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ٥٨﴾ [الذاريات: ٥٨].

هو سبحانه الحكيم الذي له الحكم كله في العالم السفلي وفي العالم العلوي، وخلق كل شيء في هذا الكون، من أصغر ذرة إلى العرش العظيم، إلى الكرسي الكريم، إلى السماوات السبع، والأراضين السبع، وما فيهما، كل شيء له حكمة، وكل شيء له وظيفة، وكل مخلوق يقوم بعبادة ربه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ١٨﴾ [الحج: ١٨].

فكل مخلوق له حكمته: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادٍ ٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٣٩﴾ [الدخان: ٣٨-٣٩].

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ١١٥﴾ [المؤمنون/ ١١٥]. هو سبحانه الحكيم الذي أتقن ما صنع، وأحسن ما خلق: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِنًا وَهُوَ حَسِيرٌ ٤﴾ [الملك: ١-٤].

هو سبحانه الحكيم الذي أمر بكل عمل صالح؛ لما فيه من الخير، ونهى عن كل عمل

سبيء؛ لما فيه من الضرر: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٩٠﴾ [النحل: ٩٠].

فتتعبد لله بفعل الأعمال الصالحة، وتتعبد لله بترك الأشياء الضارة السيئة: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٧﴾ [الحشر/ ٧].  
 ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ [آل عمران: ١٠٤-١٠٥].

هو الحكيم الذي أخباره تملأ القلوب إيماناً وتوحيداً، وتعظيماً وحباً لله العلي القدير، وأوامره كلها منافع ومصالح، وتثمر الأخلاق الحسنة، والأعمال الصالحة، والأجور الكريمة، والهدى الكامل: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩].

﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿١٧﴾ [التغابن/ ١٧].

ونواهيه كلها موافقة للفترة السليمة، والعقول الصحيحة، فلم ينه إلا عما يضر الناس في أبدانهم، وعقولهم، وأموالهم، وأعراضهم، وأخلاقهم: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ [الأعراف: ٣٣].

فهو سبحانه حكيم عليم، يضع الشيء في موضعه، فالأوامر بمثابة الأغذية التي تغذي البدن، والمناهي بمنزلة السموم التي تضر البدن، ومن حكمه وحكمته مجازاته المحسن بإحسانه: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿١٦﴾ [يونس/ ٢٦].

وكذلك مجازاة المسيء بإساءته: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿١٣٣﴾ [النساء: ١٣٣].

فالله ﷻ حكيم، وأحكامه كلها في منتهى الحسن والجمال، فلا أحد أحكم من الله، ولا شيء أحسن من حكم الله، ومن حكم الله الحسن الجميل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ

وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴿١٣﴾ [الحجرات/ ١٣].

أكرمكم عند الله هو أتقاكم لله، ذكر وأنثى، أبيض وأسود، عربي وعجمي، أكرمكم عند الله أتقاكم.

أتقاكم لله الذي صدق أخبار الكتاب، وامثل الأوامر، واجتنب النواهي، وسخر هذا البدن؛ فكان كريماً تخرج منه الأعمال الصالحة، والأخلاق العالية، والأقوال الحسنة: هذا هو الكريم عند الله ﷻ ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغٌ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾

[الطلاق: ٢-٣].

الكريم الذي يسخر نفسه ويوظفها لطاعة الله ﷻ، في التبعيد له، والدعوة إليه، وتعليم شرعه، والإحسان إلى خلقه، هذا هو أكرم الخلق، أن يستعمل هذا البدن في طاعة مولاه، جهداً على نفسه، وجهداً على غيره: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾

[العصر: ١-٣].

ومن حكم الله الحسن: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مّتَابِنًا يُقْشَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ءَلْمَنَ يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: ٢٣].

ومن حكم الله الحسنة: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

ومن حكم الله الحسن: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النجم/ ٣٩-٤١].

ومن حكم الله الحسن: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نُّصُرُوا اللَّهُ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد/ ٧].

ومن حكم الله الحسن: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار/ ١٣-١٤].

ومن حكم الله الحسن: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً

طَيِّبَةٌ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴿النحل: ٩٧﴾.

هذه أحكام الله الشرعية، وكل القرآن الكريم حكم وأحكام، وأوامر وأخبار، وتوحيد وتمجيد للمجيد جل جلاله، ووعد ووعيد وقصص: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْأَقْسَامُ أَنَّ تُخْبِرُوا عَنِ الْبُرُجِ مِمَّا قُضِيَ فِي الْغَيْبِ لَكُمْ فِيهَا حَقٌّ عَظِيمٌ وَمَا يُلْقِيهِ إِلَهُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [هود/ ١].

﴿١﴾ ﴿هود/ ١﴾.

فلا إله إلا الله العلي العظيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، كيف يتودد إلى عباده؟، في أمر عباده بالنظر في الملك والملكوت، وبالنظر في الآيات الشرعية؛ لنعرف الرب المعبود الذي يستحق العبادة، الذي يستحق أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر: ﴿قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْطِي الْأَيْتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

﴿١٠١﴾ [يونس: ١٠١].

يَبِّئِ اللَّهُ لَنَا بِالذَّلِيلِ الْحَسِيَةِ، وبالآيات القرآنية، أنه الواحد الأحد الذي له الملك والملكوت، الذي له الأوامر الكونية، والأوامر الشرعية، والأوامر الجزائية، ودلنا وأمرنا بالتعرف عليه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

﴿١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ ﴿٦﴾ ﴿وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ ﴿٧﴾ ﴿تَبَصَّرْهُ وَذَكَرْهُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ ﴿٨﴾ [ق: ٦-٨].

﴿٨﴾ [ق: ٦-٨].

ومن كمال حكمته جل جلاله، أنه اللطيف الذي يتكرم على عباده، ويتودد إليهم بنعمه وإحسانه، ويذكرهم بالآية وآياته ومخلوقاته، ويعرفهم بأسمائه وصفاته، فكيف نذهب عنه إلى غيره؟ الله ﷻ أمرنا أن نفر إليه: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنْ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنْ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٥١﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

﴿٥١﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

فكل من تعلق بغير الله فهو في العذاب الشديد في الدنيا، وفي القبر، وفي النار يوم القيامة: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ ﴿٢١٣﴾ [الشعراء/ ٢١٣].

ومذموم ومخذول في الدنيا والآخرة: ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ ﴿٢٢﴾ [الإسراء/ ٢٢].

﴿٢٢﴾ [الإسراء/ ٢٢].

والإله الآخر هو الهوى والشهوات والمناصب تُجعل مع الله.



وأعظم صنم معبود مع الله هو النفس التي تجرّك إلى محبوباتها من مأكولات، ومشروبات، ومنكوحات، وملبوسات، ومركوبات: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠].

فسبحان الحكيم العليم الذي يتودد إلى عباده بدلالتهم على ما يحبه ويرضاه، بدلالتهم وأمرهم بالتعرف عليه، والتعرف على أسائه الحسنی، وصفاته العلی؛ حتى يعرفوا العظيم فيعظموه، ويعرفوا الكبير فيكبروه، ويعرفوا الكريم فيشكروه، ويعرفوا القادر فيستعينوا به، ويعرفوا القوي فيتوجهوا إليه، ويعرفوا الرحمان فيسترحموه، ويعرفوا الغفور فيستغفروه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة/ ١٤٣].

هو سبحانه الحكم الحق الذي له الأحكام كلها.

له الحكم الكوني القدري على الكائنات كلها، الذي أثره جميع ما خلق وذراً وبراً في العالم العلوي والسفلي: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

هو الحكم الذي له الحكم الكوني القدري على جميع المخلوقات، وجميع المخلوقات نراها مقهورة في إيجادها وبقائها: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وهو الحكم الحق الذي له الحكم الديني الشرعي، الذي أثره جميع الشرائع والأوامر والنواهي الموجهة إلى الإنس والجن بواسطة الأنبياء والرسل، وبواسطة الكتب السماوية: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف/ ٤٠].

وهو الحكيم الحكم الحق الذي له الحكم الجزائي في الدنيا والآخرة، الذي أثره الثواب والعقاب على العباد فيما عملوه من خير أو شر: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾ [الحج: ٥٦-٥٧].

فسبحان المالك الحق الذي له الخلق والأمر، والحكم والحمد، والدبير والتصريف:  
﴿ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ ۗ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [٧٠/ القصص].

والحكيم من أسماء الله الحسنى التي تدل على ثبوت كمال الحكم لله، وكمال الحكمة له، أما كمال الحكم فاعلم أن الحكم كله لله وحده لا شريك له، وهو الذي يحكم بين عباده بما يشاء، ويقضي فيهم بما يريد، ولا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يُقْضَى الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصْلِينَ ﴾ [٥٧/ الأنعام].

وكما أنه ليس له شريك في الملك فليس له شريك في الحكم، وليس له شريك في العبادة: ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيَتُوًّا لَهُ، غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ بِهِ، وَأَسْمَعُ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ، مِنْ وِلْيٍ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾ [٣٦/ الكهف].

ورب العالمين الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، الملك العليم بكل شيء، القادر على كل شيء، الخالق لكل شيء، هو الذي يستحق وحده أن يحكم في كل شيء، وأن يحكم ويشرع، ويأمر وينهى، ويحلل ويحرم: ﴿ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ لِلَّذِينَ أَلْفَمُوا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٤٠/ يوسف].

ومن أظلم الظلم، وأعظم الجور، وأقبح الفعل، أن يسكن الناس في ملك الله، ويأكلون من رزقه، ويكفرون بنعمه، ويجعلون الحكم والتشريع لغيره من خلقه وعباده: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾ [٤٩/ أفحكم الجاهلية يبعون] ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِّنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [٥٠/ المائدة: ٤٩-٥٠].

فيجب على جميع الحكام أن يحكموا بين الناس بما أنزل الله، ولا يجوز لهم أن يتعدوا حكم الله الذي شرعه إلى غيره من طاعة الناس وترك شرع رب الناس، ومن فعل ذلك فهو كافر، وظالم، وفاسق، فله الخزي والذل في الدنيا والآخرة: ﴿ وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّهُ يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾ [٤٩/ أفحكم الجاهلية يبعون] ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِّنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [٥٠/ المائدة: ٤٩-٥٠].

واسم الله الحكيم والحكم من الأسماء العظيمة الجامعة التي تظهر آثارها في الملك

والملكوت، والتي هي ظاهرة بادية في مخلوقات الله الكبيرة والصغيرة، والعالية والسافلة، والسائلة والجامدة.

هو سبحانه الحكيم الذي حكم على خلقه بقضائه وقدره، الحكيم الذي حكم بين خلقه بدينه وشرعه، الحكيم الذي حكم لخلقه بثوابه وعقابه، الحكيم الذي حكم جميع المخلوقات؛ فهم تحت أمره وقهره: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۗ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (١٨) [الأنعام/١٨].

هو وحده الحكيم الذي حكم على كل مخلوقاته من جماد، ونبات، وحيوان، وإنس، وجان، وملائكة وغيرها بقضائه وقدره، فجاءت على ما أراد مكاناً وزماناً، وحجماً ونوعاً، وشكلاً ولوناً، وحياةً وموتاً، ونفعاً وضراً.

وخلق الحكيم كل مخلوق لحكمة، خلقه شاهداً بوحدانيته، ومسبحاً بحمده، وخاضعاً لأمره، وخلقه بحكمة يقتضيها وجوده: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٢) [الأنعام/١٢]، ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٦٣) [الزمر/٦٢-٦٣].

﴿سُبْحٰنَهُ ۗ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٤) [الزمر/٤].

وهو سبحانه الحكيم الذي حكم بين خلقه بدينه وشرعه؛ لأنه الملك الذي خلقهم، العليم بمصالحهم؛ فأنعم عليهم بنعمة الإيجاد، والإمداد، ثم من عليهم بنعمة الهداية إلى الإيمان: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَن آسَلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَن هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٧) [الحجرات: ١٧].

هو سبحانه الحكيم الذي بين لعباده الأخبار والأحكام وسبل النجاة: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۗ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً ۖ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ۗ وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۗ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٠٣) [آل عمران: ١٠٣].

وهو سبحانه الحكيم الذي حكم لعباده بالثواب والعقاب، والسعادة والشقاوة، حسب إيمانهم وأعمالهم، فمن آمن فله السعادة في الدنيا والآخرة: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٨٢) [الأنعام/٨٢].

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٧﴾ [النحل/ ٩٧].

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ ﴿١٠٨﴾ [الكهف/ ١٠٧-١٠٨].

ومن كفر بالله وعصاه؛ شقي في الدنيا والآخرة: ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشَرُهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيْ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيْرًا﴾ ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذٰلِكَ أَتٰنَكَ ءَايٰتُنَا فَنَسِيْنَهَا وَكَذٰلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِيْكَ﴾ ﴿١٢٦﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦].

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللّٰهَ وَرَسُوْلَهُ وَيَتَّعَدَّ حُدُوْدَهُ، يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيْهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِىٔ﴾ ﴿١٤﴾ [النساء/ ١٤].

فهذه حكمة أحكم الحاكمين أن شرع الدين، ووعد بالثواب والعقاب، بالثواب لمن أطاعه، وبالعقاب لمن عصاه: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوِيْنَ﴾ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوٰى نُزُلًا يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوٰىهُمْ النَّارُ كَمَا ءَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيْهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابِ النَّارِ الّٰذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُوْنَ﴾ ﴿٢٠﴾ [السجدة/ ١٨-٢٠].

هذه حكمة أحكم الحاكمين، لا يساوي بين البر والفاجر، والمطيع والعاصي، والمؤمن والكافر، فالمؤمنون يعاملهم الله بإحسانه، يعطي المؤمن على الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف.

والكافر يعامله بعدله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿١٦٠﴾ [الأنعام/ ١٦٠].

﴿إِنَّ اللّٰهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُّضْعِفْهَا وَيُوْتِ مِنْ لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيْمًا﴾ ﴿٤٠﴾ [النساء/ ٤٠].

فسبحان أحكم الحاكمين الذي خلق هذا الملك العظيم، وجعله مظهرًا لحكمته وعلمه وقدرته وكرمه، ولطفه، ورأفته بعباده جل جلاله! ﴿ذٰلِكُمْ اللّٰهُ رَبُّكُمْ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوْهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِىْلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فالله ﷻ هو الملك الحق الذي أنزل علينا هذا الدين الكامل الذي نعرف به ربنا بأسمائه وصفاته وأفعاله، وملكه وسلطانه، ودينه وشرعه، وما يحبه ويرضاه، وما يسخطه وما يكرهه: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ، فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ [النساء: ١٧٤-١٧٥].

فالله ﷻ خلق هذا الإنسان، وجعله خليفةً في الأرض، يؤمن بالله، وينفذ أوامر الله على نفسه وعلى غيره، فمهمة الخلافة في الأرض إقامة حكم الله في الأرض، والحكم بين الناس بما أنزل الله من أحكام وتشريعات: ﴿يَنْدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ تُنْزَلُ السُّورَةُ ﴿٦١﴾﴾ [ص/ ٢٦].

أما كمال الحكمة في خلقه وأمره جل جلاله: فهو الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها؛ فقد خلق الله ﷻ جميع المخلوقات بالحق، وأوجدتها بأحسن نظام، وأتقنها أحسن إتقان، وأعطى كل شيء وكل مخلوق خلقه؛ أعطاه خلقه اللائق به، وصوره أحسن تصوير: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة/ ٦-٧].

فهذه مغذيات القلوب، أن نعرف الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله، فيتغذى القلب بالإيمان، فيزداد محبةً لله، وتعظيمًا له، وشكرًا له، وخوفًا منه، وعبادةً له، وتوكلًا عليه، وافتقارًا إليه، وحياءً منه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١١﴾﴾ [محمد: ١٩].

وأما كمال الحكمة في أمره وشرعه: فالله هو الحكيم الحق الذي شرع الشرائع، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل، لماذا؟ ليعرفه عباده ويحبوه، ويعبدوه بما شرع، ويعبدوه بموجب أسمائه وصفاته جل جلاله.

وعبادته بموجب أسمائه وصفاته ودينه هي مقصوده من خلقه؛ لأنه يغار على عباده؛ فهو الصمد الذي يصمدون إليه، الصمد الذي صمد لحوائجهم، ودعاهم لعبادته، وبيّن لهم من أول يوم أنه خلقهم لعبادته وطاعته، وأن يتصلوا به وحده لا شريك له؛ لأنه

الكريم الذي لا أكرم منه، العزيز الذي لا أعز منه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

فعبادة الرب بموجب أسمائه وصفاته ودينه هي مقصود الرب من خلقه، فالله مؤمن يحب المؤمنين، والله شكور يحب الشاكرين، والله تواب يحب التوابين، والله محسن يحب المحسنين، والله صادق يحب الصادقين: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فمن رحمة الله أن بين لنا ماذا يريد منا: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

فالله ﷻ يقول: خلقتكم لعبادتي، أما رزقكم فقد قسمته بينكم، فلا يشغلكم عن عبادتي، قسمه الحكيم بيننا مكاناً وزماناً، وكميةً ونوعية: ﴿ أَهْمٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ لَنْ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمَتِ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٢].

والله ﷻ اجتبى هذه الأمة، وخصها بأفضل الرسل، وأحسن الكتب، وأكمل الشرائع، وشرفها كالأنبياء بأمرين: بعبادة الله، والدعوة إليه إلى يوم القيامة: ﴿ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

فخذوا هذا الدين، وأكملوه أقوالاً وأعمالاً وأخلاقاً؛ لتنالوا الأجر العظيم عند ربكم: ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة: ٧٢].

واعلم يا عبد الحكيم بأن الحكيم الحق سبحانه شرع لعباده كل خير ومصلحة في الدنيا والآخرة، فأخبره في كتابه الحكيم تملأ القلوب توحيداً، وإيماناً و يقيناً وعلماً بالله وأسمائه وصفاته، وأفعاله وخزائنه، ووعدته ووعيده: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا

مَتَانِي نَقَشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ [الزمر: ٢٣].  
القرآن قسان: أخبار وأوامر.

فالأخبار خبر عن الخالق، وخبر عن المخلوق، والخبر عن الخالق تعريف بالله ﷻ بأسمائه وصفاته؛ حتى نعبده جل جلاله بما نعرفه من أسماء جلاله وجماله، فأخباره في كتابه الحكيم تملأ القلوب توحيداً وإيماناً و يقيناً وعلماً بالله وأسمائه وصفاته، وتعظيماً للرب، ومحبة له، وحمداً له، وذلاً له: ﴿الرَّكِنُ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [هود/١-٢].

وأوامر ربنا الشرعية كلها منافع، ومصالح، وأغذية، تثمر الأخلاق الحسنة، والأعمال الصالحة، وتزكي النفوس بالطاعات: ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [المتحنة/١٠].

عليم بما يصلحكم، حكيم يضع الشيء في موضعه.

ونواهيه جل جلاله كلها موافقة للعقول والفطر السليمة، فهو العليم الحكيم الذي لم ينه الناس إلا عما يضرهم في دينهم ودنياهم من الأقوال والأعمال والأخلاق والأشياء، حرم عليهم الخبائث والخمور، وسفك الدماء، وأكل أموال الناس بالباطل.

فهو العليم الحكيم الذي لم ينه الناس إلا عما يضرهم في دينهم، وأبدانهم، وعقولهم، وأخلاقهم، وأعراضهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل/٩٠].

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ [الحجرات: ٧-٨].

فله الحمد والشكر على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وله الحمد أن شرع لنا أحسن الشرائع، وأنزل علينا أحسن الكتب، وأرسل إلينا سيد الأنبياء والرسل ﷺ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ

وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

وسبحان القادر الحكيم الذي أظهر حكمته في مخلوقاته العظيمة، وأفعاله وآياته العجيبة، وأحكامه الشرعية، وشهدت عقول البشر بحكمة الحكيم جل جلاله بما شهدته في الملك والملكوت، وخرت ساجدة لعظمته وجلاله وكبريائه، وعظيم إحسانه، وعظمة ملكه وسلطانه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران/ ١٨].

صفة العزة والحكمة من أعظم الصفات التي تظهر في الملك والملكوت مع صفة الرحمة والخلق.

فالله أكبر! انظر إلى حكمة أحكم الحاكمين في مخلوقاته العظيمة، وآياته العجيبة؛ ترى ببصرك وبصيرتك حاكماً حكم كل شيء، وأحكم صنع كل شيء، وأقام الأمر كله به في الدنيا والآخرة؛ فلا ظلم ولا جور في أحكام الحكيم، بل عدل وإحسان، وحكمة ورحمة: ﴿إِن رَّبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فالله عَزَّ وَجَلَّ يبين لنا من هو، وما هي أسماؤه، وما هي صفاته؛ حتى نحبه ونعظمه ونكبره، ثم نتمثل أمره، ونؤمن بكتابه، ونؤمن برسله، فنطيع أوامره، ونجتنب نواهيه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِئَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [١٢] [الطلاق: ١٢].

فالله عَزَّ وَجَلَّ حكيم عليم، انظر إلى حكمة العزيز الحكيم في خلق السماوات والأرض، وما فيهن وما بينهن من المخلوقات والأفلاك والتدبيرات؛ تجد ما يبهر العقول والألباب من عجائب المخلوقات.

وترى الآيات الساطعات الدالة على عظيم قدرة الجبار جل جلاله، وتشاهد حكمة أحكم الحاكمين تجري بإحكام متقن، وتدبير عجيب، وحكم مستمر: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رُوسًا وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ [ق: ٦-٨].



فالنظر والتدبر في الآيات الكونية يزيد الإيمان في القلب، ويحرك الجوارح للطاعات، ويشغل اللسان بالذكر والشكر والدعاء: ﴿وَإِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَنَضْرِبُ الرِّيحَ وَالسَّحَابَ الْمُسْحَرِينَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَأَيَّتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة/ ١٦٤].

فإذا عرفوا ذلك؛ آمنوا بالله، ثم امتثلوا أوامره، واجتنبوا نواهيه.

واعلم يا عبد الحكيم ويا أمة الحكيم أن ربنا الحكيم العليم بيده ملكوت كل شيء: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود/ ٥٦].

هو الحكيم العليم الذي بيده الملك والملكوت، وبيده ملكوت كل شيء، يعز من يشاء، ويذل من يشاء، ويعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتُعْزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران/ ٢٦].

أفعاله جل جلاله: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران/ ٢٧].

أفعاله جل جلاله مقرونة بإرادته المطلقة، وإرادته مقرونة بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة مقرونة بالخير المطلق، فالله ﷻ بيده الخير، وأفعاله في ملكه وملكوته كلها خير ورحمة، وعدل وإحسان ونعمة، والشر ليس إليه: ﴿ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر: ١٣].

هو سبحانه الحكيم الذي يمنع الإنسان مما يضره، ويحميه مما يؤذيه، ويمنع وليه من عدوه، ويمنع عنه المرض، ويمنع عنه الشر، ويحفظه مما يؤذيه: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَدْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الحج: ٣٨].

هو الحكيم العليم الذي يمنع من يستحق المنع والحفظ من المؤمنين، ويعرض عمن لا يستحق المنع والحفظ؛ فينكشف ويصل إليه عدوه، فإذا لم يستقم المؤمن؛ يُفتن بالكفار فينالون منه؛ لأن الله لم يمنعه؛ لأنه لم يستحق المنع لانحرافه، فقهره وأذله عدوه: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (٢٤) [الفتح/ ٢٤].

فهؤلاء وهؤلاء كلهم بيده، وتحت حكمه وتصرفه.

والله حكيم عليم، يعلم أن في هؤلاء من سيؤمن، فكف أيدي المؤمنين عن الكفار، وكف أيدي الكفار عن المؤمنين: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَنَلُوكُمْ﴾ [النساء: ٩٠].  
واعلم أن من سلم من المصيبة أو المرض؛ فالله منع ذلك عنه، ومن أصابه ذلك فالله أذن بذلك لحكمة يعلمها، ليربيه، أو يؤدبه، أو يرفع درجاته: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة/ ٥١].

فبعد كل مصيبة يدعو المسلم ربه أن يكشفها عنه، فهذه المصيبة التي تحصل للعبد أو المرض حكمته أن يرجع العبد إلى ربه.

فبعد كل مصيبة أو بلاء أو مرض يحصل للعبد سبع كرامات: يحصل له إيمان جديد، وتوبة جديدة، وحب جديد لله وتعظيم جديد لله ﷻ، وحمد جديد، وحياء جديد، وعبادات جديدة، وطاعات جديدة لله.

وكذا الحال في كل نعمة تحصل للعبد، فالله ﷻ يذكر عباده بهذه النعم والمصائب؛ حتى لا يفروا منه إلى الشيطان أو إلى أهوائهم.

هو الحكيم العليم الذي يمنع من يجب من التقصير، كلما قصر ابتلاه ربه بمصيبة ليتوب إلى ربه: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/ ٢١٦].

هو الحكيم الخبير بما يصلح عباده، الذي يمنع البلاء حفظاً وعنايةً بمن أطاعه، ويمنع عنه العطاء ابتلاءً وحماية: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٣٠) [الإسراء: ٣٠].

فإنه ﷻ هو الحكيم الخبير الذي يسمع ويصبر ويعلم بأحوال عباده وما يصلحهم،

فيمنع البلاء حفظاً وعنايةً بمن أطاعه، ويمنع عنه العطاء ابتلاءً وحمايةً؛ حتى لا يشغل به عن ربه ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٦﴾ [يوسف: ٦].

هو الحكيم الخبير جل جلاله الذي يعلم جميع أمور خلقه: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ [الملك: ١٣-١٤].

هو جل جلاله عليم بكل شيء، حكيم في خلقه وأمره، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء؛ فمن فتح الله له معرفة باب الحكمة في العطاء والمنع؛ رأى المنع عين العطاء، ومن كشف الله له الحقيقة سارع إلى ربه في جميع أحواله، وقال قلبه: لو علمت أن غداً أجلي؛ ما قدرت أن أزيد في عملي.

فهذا قد عرف ربه، وعرف ما يجب له، فهو بين يدي ربه حامداً له على نعمه، متصاعراً لكبريائه، ممتثلاً لأمره، محتنباً لنهييه، صابراً على بلائه، مستغفراً من ذنبه؛ لأنه عرف ربه وما يجب له: ﴿أَمَنْ هُوَ قَلْبُكَ أَنْ تَأْتِيَهُ الرِّيحُ ۗ إِنَّهُ عَالِمُ الْغُيُوبِ﴾ ﴿١٠﴾ [الزمر/ ٩].

ومعرفة الله هي أم المعارف: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَلَكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩].

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۗ إِنَّمَا يَنْذَرُ أُولَ الْأَلْبَابِ﴾ ﴿١٩﴾ [الرعد/ ١٩].

هو الحكيم العليم الذي يستحق أعظم الحمد على عطائه ومنعه، يعطيك ما يسعدك ويغنيك، ويمنعك من كل ما يضرك ويؤذيك، ويمنعك من كل ما يطغيك ويشقيك، ويمنعك تأديباً، وتربيةً، ورفعةً لك: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١١﴾ [التغابن/ ١١].

فسبحان الحكيم العليم الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وسبحان من خلق العالم كله على طبقاته، وخلق الوجود كله من الخير والشر على درجاته ودرجاته، من الجماد، إلى النبات، إلى الحيوان، إلى الإنسان، إلى الجن، إلى الملائكة، إلى العالم العلوي، إلى العالم السفلي، إلى الدنيا، إلى الآخرة: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٨٤﴾ وَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ [الزخرف/ ٨٤-٨٥].

خلق الحكيم هذا العالم العظيم بعلويه وسفليه، خلقه بحكمة تبهر العقول، وحكم قاهر يخضع له كل مخلوق: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

هذا هو الرب الذي يستحق أن يُعبد، وأن يُحمد، وأن يُشكر، ويستحق أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر.

هو الحكيم الكريم الرحيم الذي وصل أفعاله المحكمة، ومخلوقاته المتقنة، بالسرعة المنزلة؛ ليعرف خلقه أنه العظيم الذي لا أعظم منه، وصل الآيات الكونية، والمخلوقات العجيبة، بالآيات الشرعية، لماذا؟ ليعرف العباد والخلق أنه العظيم الذي لا أعظم منه، الذي خلق هذا الملك العظيم، العليم الذي لا أعلم منه، الكريم الذي لا أكرم منه، القادر الذي لا أقدر منه، الرحيم الذي لا أرحم منه، الحكيم الذي لا أحكم منه، فإذا عرفوا ذلك آمنوا به وأحبوه وكبروه، وعبدوه وأطاعوه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

فجميع الآيات الكونية، والآيات الشرعية، تملأ القلب بالإيمان فيزداد العبد حباً لربه، وطاعةً له، ومن رزقه الله ﷻ بصراً وبصيرة رأى في ملكوت السماوات والأرض من عجائب الخلق، وأنواع المخلوقات التي لا يحصيها إلا الله.

ورأى دوام التصريف والتدبير، رأى من ذلك ما يبهر العقول، ويكل دونه النظر، وينحسر دونه البصر، ويربو على الوصف، مما لا تدرك كنهه العقول، ولا يحيط به سوى من كتبه في اللوح المحفوظ: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۚ وَالْقَمَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَىٰ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ۚ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ ۗ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرَوُفِ مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان/ ١٠-١١].

هذه المخلوقات العظيمة، والآيات الكريمة، تبين عظمة الله ﷻ، وأن عبادتنا له من أجل أنفسنا، والله ﷻ غني عن عبادتنا، هو الكبير قبل أن نكبره، وهو المحمود قبل أن

نحمده، وهو الواحد قبل أن نوحده، وهو الخالق قبل أن يخلق أحدا.

هو الذي خلق السماوات بغير عمد ترونها؛ بَيْنَ لَنَا أَعْمَالَهُ فِي مَلَكِهِ؛ حَتَّى نَعْبُدَهُ بِالْعَظِيمِ وَالْحُبِّ وَالذَّلِّ لَهُ، لِأَنَّهُ الْعَظِيمُ الْكَبِيرُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ: ﴿ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأَنْعَامُ: ١٠٢].

هو الخالق الحكيم الذي برأ البرايا، وفطر الفطر، وركب الأجسام وزوجها بالأرواح؛ فكل جسم من الأجسام فيه روح تحركه من إنسان أو حيوان، أو نبات وركب الأجسام، وزوجها بالأرواح؛ فصارت حية تشهد لربها العظيم بالوحدانية، وتسبح بحمده، وتقوم له بالعبودية، وتسبح بحمد ربها في كل حين.

فالكل يسبح بحمد ربه، ويشهد بوحدانيته، ويخضع لأمره، ويركع ويسجد له: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج/ ١٨].

والله ﷻ لا يهين أحداً إلا بحكمته، والحكمة مقرونة بالخير المطلق.

فسبحان القادر الحكيم العليم بكل شيء، الخبير بكل شيء، الذي لا يخفى عليه شيء.

هو القادر الحكيم الذي اختزن جميع البرايا في الأرزاق، فكل ما نراه من المخلوقات نعمة من نعم الله، من العرش العظيم حتى أصغر ذرة، واختزن الأرزاق في الأسباب، واختزن الأسباب في الإرادات، واختزن الأرواح في الأجسام، واختزن الثمار في الأشجار، واختزن المعاني في الألفاظ والكلمات؛ واختزن الكل في خزائن السماوات والأرض، واخرج الكل من غيابات علم علام الغيوب: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن رَّرْقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتٍ أَلَّارِضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأَنْعَامُ/ ٥٩].

هذا كلام متين من العلم العظيم، علينا أن نتدبر هذا الكلام ونعمل بموجبه.

فسبحان الحكيم القادر الذي جعل من الماء كل شيء حي: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء/ ٣٠].

وسبحان الحكيم العليم الذي جميع مخلوقاته مودعة في خزائنه: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ [المنافقون/ ٧].

وسبحان العلي العظيم الحكيم الذي خلق العالم كله بالحق، العالي منه والسافل، والكبير والصغير، خلق العالم كله بالحق وللحق؛ حتى نعرف الحق، ونرى أفعال الحق، وندين بدين الحق، ونصل إلى الثواب الحق: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الجاثية: ٢٢].

هو الحكيم العلي العظيم الذي خلق العالم كله بالحق، وللحق، وركب العالي على السافل، فالشجرة مركبة على الجذر، واستودع السافل في العالي، فالأرضين السبع محيطة بها السماوات السبع، وملاً ملكه العظيم بالعوالم التي لا يحصيها إلا من خلقها، وأحاط ذلك كله بكرسيه الكريم، وعرشه العظيم: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فالنظر والتدبر يملأ القلب إيماناً بالله، وحباً له، وتعظيماً له؛ فتأتي الطاعات شهوات، ويتقرب العبد إلى ربه بالحب والتعظيم، والخوف والرجاء: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرًا لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبًّا وَنَبَاتٍ وَجَبَّتْ وَجَبَّ الحَصِيدُ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [ق: ٦-١١].

عُرف إلى الآن من النخيل أكثر من ثلاثة آلاف وخمسمائة نوع، وكل نوع قبائل وأمم، والكل أغصانه وأوراقه، وجذوره وثماره، يسبح بحمد ربه، ويشهد له بالوحدانية: ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يَقُولُونَ عَلَوْا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتِ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٣-٤٤].

هذه أفعال الحكيم في ملكه؛ أظهر لنا قدرته وعظمته لتتعلق به، ولا نلتفت لأحد سواه، ولنرجوه ونخافه؛ لأن بيده الملك والملكوت: ﴿ذٰلِكُمْ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر: ١٣].

والله علي عظيم كبير، محيط بكل شيء، ولا يحيط به شيء، استوى على العرش العظيم برحمته، حي قيوم، يفعل ما يشاء بقدرته، ويحكم ما يريد بمشيئته، عليم خبير بجميع ما

في ملكه وملكوته: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

هو سبحانه الخلاق العليم، الحكيم القادر على كل شيء، فانظر كيف خلق المخلوقات؟ وكيف صورها على غير مثال؟ فأحسن التصوير، وقدر فأحسن التقدير، ثم أخرج ما قدر على سواء ما قدر بلا كلفة ولا عناء، ولا زيادة ولا نقصان: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا بِوَحْدَةٍ كَلِمَةٍ بِالْبَصْرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر/ ٤٩ - ٥٠].

هو سبحانه القادر الذي لا يعجزه شيء، ولا يقف له شيء: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسَبِّحْنَا الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس/ ٨٢ - ٨٣].

ما أعظم ما خلق! وما أعجب ما أبدع! ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنعام/ ١٠١].

وما أحسن ما صور!، وما أحكم ما صنع! ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٤].

ثم انظر رحمك الله كيف أحيا الحي القيوم الخلق بقدرته، وجمعهم بحكمته؛ لأنه القادر على كل شيء، الحي الذي لا يموت، الحي الذي يحيي ويميت: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المؤمنون: ٨٠].

والله حي قيوم لا يموت، والإنس والجن وغيرهم يموت ويفنى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧].

فانظر كيف أحيا الحي القيوم الخلق بقدرته! كانوا كلهم في صلب آدم، ثم أخرجهم من ظهره وأشهدهم على أنفسهم، ثم ردهم في صلب آدم.

ثم هم يخرجون من صلب إلى صلب؛ إلى أن يبلغ أهل الجنة عددهم، وأهل النار عددهم، ثم تقوم الساعة: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا

غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣].

فانظر كيف أحيا الحي القيوم الخلق بقدرته، من جماد ونبات وحيوان وإنسان وملك، كيف أحيا الخلق بقدرته، وجمعهم بحكمته! لأنه القادر على كل شيء، فَرَّقَ الماء نازلاً من السماء، وجمعه في الأرض بحراً أو نهراً؛ لأنه القادر على كل شيء، القادر على التجميع والتفريق، والإحياء والإماتة، والبسط والقبض؛ لأنه الحي الذي لا يموت، الحي الذي يحيي ويميت، فلبقائه أفناهم؛ حتى يظهر الحي الباقي الذي لا يفنى، من المخلوق الذي يفنى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٦٦﴾ وَبَقِيَ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن/ ٢٦ - ٢٧].

فلبقائه أفنى الخلق، فكل شيء هالك إلا وجهه، وحياته أماتهم، فلا يتبين الحي الذي لا يموت من الحي الذي يموت إلا إذا رأينا الشجرة تموت، والحيوان يموت، والإنسان يموت، وحياته جل جلاله أماتهم، وحياته أحياءهم يوم القيامة، فلا يموتون يوم القيامة أبداً، لأنه أعطاهم من صفاته: «أما أن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وتصحوا فلا تسقموا أبداً، وتنعموا فلا تباؤوا أبداً؟!» أخرجهم مسلم<sup>(١)</sup>.

فاستغفر الله من ذنبك ومن جهلك، واستقم كما أمرت: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ لَا يَمُوتُ وَسَيَحْيِي مُحَمَّدَهُ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان/ ٥٨].

ولعزه جل جلاله أذل الخليقة قاطبة، فكل مخلوق ذليل لخالقه، ساجد بين يديه، خاضع لأمره، مسبح بحمده، مستجيب لمشيئته، مسرع إلى إرادته.

لعزه جل جلاله وكماله أذل الخليقة، فالله عزيز، وكل ما سواه ذليل بين يديه، وتحت قهره وأمره: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام/ ١٨].

فلعزه جل جلاله أذل الخليقة قاطبة، ثم لعزه يعز من أطاعه في الدنيا والآخرة، فلا يذلون أبداً: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون/ ٨].

فهو العزيز الذي يعز من يشاء، وهو الغني الذي يغني من يشاء، وهو الكريم الذي يكرم من يشاء، فسبحان الله ما أعظم قدرته وحكمته! ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

(١) أخرجهم مسلم برقم (٢٨٣٧).



فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

هو الحكيم الخبير الذي خلق الخليقة كلها بالحق، وللحق الذي هو الدين القيم: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شْرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾﴾ [يونس: ٣-٤].

فالكل سيرجع إلى ربه، ويجاسبه على ما عمل من خير أو شر: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمَّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ﴿١١﴾﴾ [الفارعة: ٦-١١].

وهو الحكيم العليم الذي نشر الحق في أمشاج العالم كله بقدرته في العالم العلوي، والعالم السفلي، وأفرغه في قالب الموجودات، فكل شيء مخلوق بالحق وللحق، أفرغ هذا الحق في قالب المخلوقات كلها بحكمته، وهدى كلا من هذه المخلوقات لما خلقه، فالشمس للإنارة والحرارة، والسحب لنزول الغيث، والأرض للإنبات، والنبات للأكل، والحيوان للأكل، وكل شيء خلقه الله ﷻ لحكمة، فهو قائم يشهد لربه بالتوحيد، ويعبده بالتسبيح والتحميد، والتمجيد والتقديس: ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤].

وكل قد علم صلاته وتسبيحه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّيَتْ كُلُّ قَدْعَةٍ صَلَاتَهُ، وَسَبِّحَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النور: ٤١].

فالله ﷻ خلق جميع المخلوقات بحكمته، ليعرف عباده بقدرته وكمال رحمته: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الجنات: ٢٢].

فالله ﷻ خلق هذه المخلوقات بالحق، فكل مخلوق نراه خلقه الحق بالحق وللحق، ثم أرسل الحكيم العليم رسله بالدين القيم إلى أهل الأرض، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه، ودعا الكل إلى ذلك، ورجب في الإيمان، وحذر من الكفر: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمَنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾ [النساء: ١٧٠].

فأرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، ثم آمن من علم الله أنه يؤمن، وكفر من علم الله أنه لا يؤمن؛ لأن الله لما خلق القلم قال له: اكتب، قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة؛ فجرى في تلك اللحظة، وكتب كل ما سيجري في العالم من الحركات والسكنات، والمخلوقات والأشياء، والأفعال، والأقوال، وكل ما خلقه الله ﷻ: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۝٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۝ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٣١﴾ [الإنسان/ ٢٩ - ٣١].

وقال سبحانه: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهَا مِنْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ۝٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝٣٠﴾ [الكهف: ٢٩ - ٣٠].

فالإنسان أصله ما كان شيئاً، حتى يفعل شيئاً من الخلق والتدبير: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ [الإنسان: ١ - ٣].  
 لكن الله أعطاه الاختيار أن يؤمن أو يكفر، ليعلم من يأتي إليه اختياراً ممن لا يأتي إليه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٧٣﴾ [الأحزاب: ٧٢ - ٧٣].

فسبحان ربنا الحكيم القادر، الفعال لما يشاء، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧﴾ [هود/ ١٠٧].

إن ربك فعال لما يشاء، ييسط ويقبض، ويعز ويذل، ويرفع ويخفض، ويكرم ويهين، ويعطي ويمنع، ويرتق ويفتق، ويحيي ويميت، ويهدي ويضل: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَىٰ تُصْرَفُونَ ۝٦﴾ [الزمر/ ٦].

ومن هذه أفعاله هو الذي يستحق أن يعبد وحده: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠ - ٥١].

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

هو سبحانه الحكيم العليم القادر على كل شيء، الذي خلق الجلي والخفي، الجلي كالبدن، والخفي كالروح، الجلي كالجسد، والخفي كالعقل، الجلي كالمطر الذي ينزل من السماء، والخفي كالهواء الذي نحس بأثره ولا نرى شخصه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فهو جل جلاله الحكيم العليم الذي له حكمة في خلق كل شيء، خلق الظاهر والباطن، وخلق الكبير والصغير، خلق العرش العظيم، وخلق الذرة الصغيرة، وخلق الطويل والقصير، وخلق الرطب واليابس، وخلق الجامد والسائل، وخلق الحلو والمر، وخلق الذكر والأنثى، وخلق الليل والنهار، والنور والظلام، وخلق الإنس والجان: ﴿وَمِنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [٤٩] ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [٥٠] ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات: ٤٩ - ٥١].

وسبحان القوي القادر الذي خلق العرش العظيم والكرسي الكريم، وخلق السماوات والأرض، وخلق الدنيا والآخرة، وخلق الجنة والنار، وحكم الكل بقهره وجبروته: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

فمظاهر الحكمة في الملك والملكوت ظاهرة بينة باهرة، تبهر العقول، وتأسر القلوب، وترد القلوب إلى ربها، فتبارك الله رب العالمين، وأحسن الخالقين، وأحكم الحاكمين، وخير الرازقين: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

والله سبحانه حكيم عليم، انظر كيف جازى الغني الكريم المطيعين له على اختلاف طاعتهم وكثرتها بما يقابل ذلك، وزيادة من الكريم لا تخطر على بال أحد، فيأتون

بالعمل القليل، ويعطيهم الكريم الأجر الجزيل الكثير: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۖ ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨].

وانظر كيف جازى القوي العزيز العصاة على اختلاف معاصيهم وكثرتها بما يقابل ذلك جزاءً وفاقاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَمَا نُصَلِّيَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ۖ ﴿٥٦﴾﴾ [النساء/ ٥٦].

جازى المحسن بإحسانه وفضله، وجازى المسيء بأن عذبه جزاء كفره، لأنه يسكن في ملك الله، ويأكل من رزق الله، ويعصي الله بنعم الله، فلما استكبر عن طاعة الله ﷻ؛ حشره مع إبليس الذي كفر بالله، وأبى واستكبر، وكان من الكافرين: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۖ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَيَنُبِّسُونَ الْقَرَارَ ۖ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم: ٢٨-٢٩].

والحكمة هي إصابة الحق في الأقوال والأعمال، وأعظم الحق هو طاعة من يستحق الطاعة، وعبادة من يستحق العبادة: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۖ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

والحكمة التي وهبها لعباده هي إصابة الحق في الأقوال والأعمال، وهي من أعظم النعم التي يخص الله بها من يشاء من عباده: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ۖ ﴿٣١﴾﴾ [البقرة/ ٢٦٩].

ومن حكمته سبحانه أن استودع جميع المخلوقات المنافع والمضار للمخلوقات مستودعات للمنافع والمضار، وهدايته إياها لما قدره لها، واستعماله إياها لما فطرها عليه، لحكمة نعلمها أو لا نعلمها.

فالملائكة يعبدون ربهم، ويسبحون بحمده، ويدبرون أمره، وأعمالهم لا يحصيها إلا الله فهم المقسمات أمراً، والملقىات ذكراً، والصفات صفاء، والمدبرات أمراً، والتاليات ذكراً: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ۚ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۖ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۖ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء/ ١٩-٢٠].

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۖ ﴿٤٩﴾﴾ [النحل: ٤٩-٥٠].

هذا خلق من المخلوقات، خلقهم الله ﷻ بحكمة، وجعلهم مظهرًا للطاعة الدائبة. والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يعبدون ربهم بما جعل فيهم من القول بالحق، والعمل بالحق، والدعوة إلى الحق، والصبر على الحق، وأتباعهم من المؤمنين كذلك: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة/ ١٥١-١٥٢].

والحكيم العليم سبحانه استخرج حكمته في الصنع على أيدي أهل البراعة من عباده بما هداهم إليه من إتقان الصنع.

فالله ﷻ يستخرج أنواع المصنوعات على أيدي أهل الذكاء والفتنة والخبرة والبراعة من عباده بما هداهم إليه من إتقان الصنع، وقوة الفكر، وغرائب الصناعات كلها: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٧٩-٨٠].

وكذا ما هدى الله ﷻ إليه الخلق الآن من صنع الطائرات التي صنعت على شكل الطائر الذي يطير، والسيارات صنعت على شكل الحيوان الذي يمشي، وهكذا كل مصنوع من الآلات والأجهزة، فالله ﷻ يفتح على عقول بعض عباده، ويعطيهم من الذكاء والتفكير ما فيه مصلحة ومنفعة لخلقه؛ لأنه بهم رؤوف رحيم.

فسبحان الحكيم الذي أحكم العقول بما يبهر العقول من عجائب المخلوقات وحسن التدبيرات، وحكم المخلوقات، وقهر الكائنات: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ [الفتح/ ٤].

فالكل ملكه، والكل عبيده، والكل يسبح بحمده، والكل يشهد بوحدانيته؛ فلا إله غيره، ولا رب سواه.

والحمد لله أن من علينا وجعلنا من عبيده، وعرفنا به وبأسائه وصفاته؛ حتى ندخل جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة يوم القيامة: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

وما كان من السفه من بعض الخلق، وقول الزور والبهتان، والاستهزاء بالله وآياته ورسوله، ورد الحق، ونحو ذلك مما خالف الحكمة؛ فهو سبحانه الحكيم في كل ذلك، علمه، وقدره، وأذن بوقوعه؛ لكنه لم يأمر به؛ لأن الله يأمر بالعدل والإحسان، ولا يأمر بالفحشاء: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحِشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأعراف: ٢٨ - ٣٠].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].  
فما نراه من السفه، وقول الزور والبهتان، والجرائم وغيرها؛ الله ﷻ أرادها كوناً لا شرعاً؛ لأن الله لا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر، لكن الله علمه وقدره وأذن بوقوعه؛ لأنه لا يقع في ملكه ما لا يريد، ولو شاء ربك ما فعلوه، لكنه لا يجب ذلك ولا يرضاه.

فهو سبحانه الحكيم في كل ذلك، علمه وقدره وأذن بوقوعه، ثم أظهره من فاعلين له، وأراد وقوعه منهم، لكنه لم يأمر به، وهم الموصوفون به بفعلهم له، ومحبتهم له، فيجزون عليه جزاءً مثله حقاً وعدلاً: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النساء/١٢٣ - ١٢٤].

فكل عمل منوط بفاعله، والفعل يضاف إلى فاعله لا إلى العالم به القادر عليه جل جلاله، مع كونه غير واقع منه، ولا محب له، ولا راضٍ عنه، ولا أمر به، بل الرب جل جلاله يجب الإيثار والطاعات، ويسخط الكفر والفساد ويكرهه، ولا يجب عليه ولا يرضاه: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا

تَزْرُ وَازِرَةً وَّزَرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ [الزمر/ ٧].

واعلم يا عبد الحكيم ويا أمة الحكيم أن الله جل جلاله له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وأفعاله كلها حق، وعدل، ورحمة، وحكمة، وإحسان، وهو المحمود على كل ذلك: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٢-٤].

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾ [سبأ/ ١].

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾﴾ [الكهف/ ١].

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر/ ١].

هو الملك الذي يغضب ويرضى، ويجب ويكره، ويعفو وينتقم، ويثيب ويعاقب؛ لأنه الحكيم الذي يغضب على من عصاه، ويرضى على من أطاعه، ويجب المؤمنين، ويكره الكافرين، ويرحم المسترحمين، ويبطش بمن سخطه، ويتوب على من تاب إليه، وينتقم ممن أساء إلى خلقه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [المائدة/ ٤٠].

فهو يعذب من يشاء وفق الحكمة المطلقة المقرونة بالخير المطلق: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء/ ٤٠].

وسر ذلك كله حكمة ورحمة، وإليه يرجع الأمر كله، وهو الحكيم الخبير: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ [التين/ ٧-٨].

ولهذا خلق الله إبليس أعادنا الله منه، وأمر الملائكة بالسجود لآدم ﷺ، فسجد الملائكة امتثالاً لأمر ربهم فنجوا، واستكبر إبليس عن السجود فهلك: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤].

ثم سأل إبليس ربه النظرة فأمهله، وأقطعه وذريته كل عمل ليس بصالح، وكل ما هو بخلاف الحكمة، وما في فعله سفه في حق من فعله، من الكفر والشرك، والمعاصي والقبايح؛ لإتمام كلمته فيهم، وإقامة عدله فيهم، فالله لم يأمر إبليس بعدم السجود، بل

تركه وما شاء، وكان إبليس من عبّاد الجن، ولكنه اختار ما اختار، واستكبر عن السجود لآدم، واحترق آدم ﷺ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾ [الإسراء: ٦١].

فالله ﷻ أقطع إبليس وذريته كل عمل ليس بصالح، وكل ما هو بخلاف الحكمة، وما في ظهوره سفه بحق من فعله، من الكفر والشرك، والمعاصي والقبايح، لإتمام كلمته فيهم؛ لأنه وعد جهنم أن يملأها من الجنة والناس أجمعين، وإقامة عدله فيهم: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: ١٣].

فلما طرده الله ولعنه وأنظره؛ عزم على إغواء آدم ﷺ وذريته: ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾ قَالَ فِيمَا أَعْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأَنْزِلَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْهُومًا مَذْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥ - ١٨].

وما زال الشيطان يكيد لبني آدم؛ حتى اتبعه وأطاعه أكثرهم: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ، فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبأ: ٢٠].

فإبليس وذريته أهل الابتلاء والمحنة لبني آدم، وقد أمرنا الله بعداوتة، وحذرنا من طاعته بقوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر: ٦].

فلا بد من معرفة حياة الأنبياء والمرسلين والدين الذي جاءوا به، ولا بد من معرفة إبليس، وخطوات إبليس؛ حتى نجتنبه ونحذره، ونبتعد عن طريقه.

فسبحان من خلق خلقاً للجنة، ويعمل أهل الجنة يعملون، ثم إليها يصيرون، وخلق خلقاً للنار، ويعمل أهل النار يعملون، ثم إليها يصيرون! لأنه هو الحكيم الخبير، والله أعلم حيث يجعل رسالته، ومن يستحق ثوابه وعقابه، وإكرامه وإهانته: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤].

فسبحان من أظهر بالإيمان فضله، وأظهر بالكفر عدله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يضاعفها وَيؤتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠].



واعلم رحمك الله أن الله خلق الجنة والنار، وكل بني آدم مقسومون على الدارين كما في قبضتيه الكريمتين، كما قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَبَضَ قَبْضَةَ بِيَمِينِهِ وَقَالَ: هَذِهِ لَهُدَاهُ وَلَا أُبَالِي، وَقَبَضَ قَبْضَةَ أُخْرَى بِيَدِهِ الْأُخْرَى جَلَّ وَعَلَا، فَقَالَ: هَذِهِ لَهُدَاهُ وَلَا أُبَالِي» أخرجه أحمد<sup>(١)</sup>.

فاحمد الله ﷻ على أن جعلك في قبضة اليمين، ووسمك بوسام المسلمين، ولم تكن شيئاً مذكورا، ثم أخرجك من بطن أمك، فكنت عبد الله مؤمناً مسلماً تقيّاً.

فلا بد إذاً من طريقتين، أمر الله بأحدهما، ونهى عن الآخر، طريق الخير، وطريق الشر، طريق الحق، وطريق الباطل؛ ليميز من يستحق الإكرام ممن يستحق الإهانة، ويمتاز جنود الرحمن من جنود الشيطان: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

فلا بد إذاً من طريقتين، أمر الله بأحدهما، وهو طريق الخير والحق، ونهى عن الآخر وهو طريق الشر والباطل، وإذا كان كذلك فلا بد للناس من كفر وإيمان، ومن طاعة وعصيان، والطاعة حكمة ظاهرها وباطنها، الطاعة حكمة؛ لأن الطاعة لمن يستحق الطاعة، والشكر لمن يستحق الشكر.

والمعصية ظاهرها سفه، وباطنها حكمة، من نراه يعصي الله قد يمتد في المعاصي، وتصيبه ابتلاءات من ربه ﷻ، ثم يعود إلى ربه.

فالطاعة حكمة ظاهرها وباطنها، والمعصية ظاهرها سفه؛ لأنها جهل بالحق، وجهل بأوامره، وجهل بجزائه، وباطنها حكمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۗ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل/ ٩٠].

واعلم أن كل ما في العالم من خلق وأمر وحال لا بد من وجوده، والله يمحو منه ما يشاء ويثبت، وهو الحكيم العليم: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (٣٨) ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ۗ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (٣٩) [الرعد/ ٣٨-٣٩].

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٠٦٦٨).

فلو نقص سفه السفهاء من العالم؛ لغلب على الظن أن فاعل الخير كأحد المطبوعات؛ مثل النار التي لا توجد إلا محرقة، وكالثالج الذي لا يوجد إلا مبردًا، وكالثقل يثبت، ولم تتم الحكمة من الخلق، ولم يحصل التمييز بين الحق والباطل، وبين الطاعات والمعاصي، وبين أهل الخير وأهل الشر.

فسبحان الحكيم العليم الذي أوجد الشيء وضده: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

هو الحكيم الذي قدم وأخر، ورفع وخفض، وأعز وأذل؛ وأعطى ومنع ليظهر لعباده قدرته في خلقه، وحكمته في أمره: ﴿وَمِنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رَوْحِينَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [٤٩] ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [٥٠] ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات/٤٩-٥١].

وقال النبي ﷺ: «لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا؛ لَدَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

فسبحان من له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وبحكمته قدر لمقتضى تلك الأسماء والصفات أعمالاً، وخلق لها عاملين، ثم استعملهم فيها بعد أن بين لهم وخيرهم، وقد سبق الكتاب بكل خلق وعمل، ثم يلحق العاملين بخواتيم أعمالهم، فيهدي سبحانه هذا، ويضل هذا، وفق حكمته المطلقة، المقرونة بالخير المطلق، والعلم المطلق، وينعم على هذا، ويبتلي هذا، ويحفظ هذا، ويفتن هذا، ثم الأعمال بالخواتيم: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ فَتَنَّا وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَمَّا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَمَّا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

والله حكيم عليم، أوجد الخير كله بنفسه لنفسه، وأحبه ورضيه من عباده، ووعد عليه الجنة، وأوجد الشر كله بقدرته لا لنفسه؛ فإن الشر ليس إليه، بل لحكمته ومشيتته: ﴿مَا

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٩).

(٢) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٢٦٤٣)، واللفظ له ومسلم برقم (٤٢٠٧).

أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ [التغابن/ ١١].

فاتصف سبحانه بما أوجده بنفسه لنفسه، وتنزه عما لم يخلقه لنفسه من الكفر والمعاصي، وتوعد العاملين به بالنار: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ ﴿٨﴾ [طه: ٨]. وقد دعانا الله في كتابه إلى معرفته فقال: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمُتَوَلِّكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩].

ومعرفة الله ﷻ هي أعظم شيء في باب التوحيد، معرفة الله بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعدته، ووعيدته؛ هي مغذيات القلوب التي تملأ القلب إيماناً وتوحيداً، وحباً للرب، وتكبيراً له، فينطق اللسان بحمد ربه وتمجيده، وتتحرك الجوارح بعبادته بأنواع العبادات المختلفة، فيؤدي العبادة بالحب والتعظيم والذل لله ﷻ، مع رجاء ثوابه وخوف عقابه: ﴿أَمَنْ هُوَ قَنِيتُ ۗ إِنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ ۗ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٩﴾ [الزمر: ٩].

وهذا هو العبد حقاً، فأكثر الناس لا يفرق بين العبادة والعبودية؛ فالعبادة محدودة الوقت، كالصلاة، والوضوء، والصوم، والحج، وتلاوة القرآن.

أما العبودية فهي أن يشتغل القلب بعبادة الله ﷻ في كل حال، يمثل أمر الله ﷻ في كل حال، وهذا المطلوب، أن نجتمع مع العبادة العبودية، أو أن ننقل من العبادة المحدودة إلى العبودية الكاملة: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿١٦٣﴾ [الأنعام/ ١٦١ - ١٦٣].

والله ﷻ هو الحكيم الذي خلق كل شيء، خلق القلم، وأمره أن يكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، من الخلائق، والتدبير، والتصريف، وكل ما سيجري في ملك الله ﷻ.

فقد سبق الكتاب بكل خلق وعمل، ثم يلحق العامل بخواتيم عمله، فالله ﷻ حكيم عليم، يهدي هذا، ويضل هذا، وينعم على هذا، ويبتلي هذا، ويحفظ هذا، ويفتن هذا، ثم الأعمال بالخواتيم: ﴿وَنَبِّئُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۗ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ [الأنبياء/ ٣٥].

فالذهب لا نستفيد منه إلا بعد فتنته بالنار؛ حتى تخلصه من الشوائب، وكذلك الإنسان

لا بد أن تمر عليه السراء والضراء؛ حتى يعلم الله ﷻ الصادق حقاً من الكاذب: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتَّكِبُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (٢) ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (٣) [العنكبوت: ٢-٣].

لا بد من معرفة الحكمة في خلق الخير والشر، وما ينفع وما يضر، فاتصف الله سبحانه بما أوجده بنفسه لنفسه؛ فسمى نفسه العليم، الحكيم، الخبير، الكريم، اللطيف ونحوها من الأسماء الحسنى، وتنزه عما لم يخلقه لنفسه من الكفر والمعاصي، وتوعد العاملين به بالنار: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨٠) [الأعراف: ١٨٠].

فمن وفقه الله لما تسمى به، واتصف به من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، سماه الله به، ووصفه به، وسماه بأسماء طيبة من أسمائه، ومدحه وأكرمه، وأوصله إليه كما قال سبحانه: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَثَلًا لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ كَفَرُوا هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (٧٨) [الحج: ٧٨].

فالله ﷻ يحب صفاته، ويجب من اتصف بها من عبادته: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِغِينَ وَالصَّابِغَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٣٥) [الأحزاب: ٣٥].

الله يحب أهل هذه الصفات، فالله شكور يحب الشاكرين، تواب يحب التوابين، محسن يحب المحسنين، مؤمن يحب المؤمنين.

ومن أتبع نفسه ما تنزه عنه ربه، ورضيه اسماً ووصفاً لنفسه؛ انقطعت صلته بربه، وضل عن ربه، وخالف سبيل ربه، فكان في الذلة والخسران: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ الْآخِرَةِ﴾ (٢٥) [الرعد: ٢٥].

فالله لا يجب المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات، والكافرين والكافرات،  
والفاسدين والفسادات، والفاجرين والفاجرات، والظالمين والظالمات.

فلا إله إلا الله! ما أجهلنا بحكمة أحكم الحاكمين! وما أظلمنا لأنفسنا من بين العالمين!  
فنستغفر الله، ونتوب إليه من الجهل بالله وأسمائه وصفاته، ومن الجهل بدينه وشرعه،  
ومن التقصير في العمل بدينه وشرعه: ﴿أَفَنَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ  
إِنَّمَا يَنْذَرُكُمْ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ  
اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُوصلَ وَيَحْشُونَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ  
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ  
﴿٢٢﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴿الرعد: ١٩-٢٣﴾.

واعلم يا عبد الحكيم أن الله هو الخالق القادر الحكيم، الذي خلق أباك آدم ﷺ بيده،  
ونفخ فيه من روحه، وعلمه الأسماء كلها، وأسجد له ملائكته، وغرس فيه وفي ذريته  
معرفته وتعظيمه، حين أحضرهم جميعاً صوراً في الهواء كالهباء، وأخذ عليهم الميثاق،  
وشهدوا له بالربوبية، ثم ردهم في غيبه على ما سبق في علمه.

ثم استخرجهم الله بعد ذلك من ظهر أبيهم آدم ﷺ كالذر، والأنبياء بينهم كالسرج،  
فأقروا له بالربوبية، وشهدوا على أنفسهم أن الله ربهم، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ  
مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن  
تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا  
ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَهِلْ كُنَّا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الأعراف: ١٧٢-١٧٣].

كان يكفيهم هذه الفطرة، ليعبدوا ربهم، ولكن من رحمة الله أن أنزل عليهم الكتب،  
وأرسل إليهم الرسل؛ ليتعرف الإنسان على ربه أكثر، وذلك من فضله ﷻ، وعنايته  
بخلقه؛ لأنه يريد منهم التوحيد الكامل، والإيمان الكامل، والعمل الكامل؛ حتى  
يعطيهم الثواب الكامل، والمقام الكامل في جنات الخلود والنعيم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ  
الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ  
﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ  
دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

فسبحان الحكيم القدير الذي خلق آدم، وخلق ذريته في صلبه، ثم أخرجهم من صلبه،

فأقروا له بالربوبية، ثم ردهم إلى صلب آدم، ليخرجوا منه جيلاً بعد جيل: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].  
 فكل واحد منا الآن قد شهد الله بالربوبية، وكان حينذاك ذرةً حية، ولا زال مستمراً في الحياة، ويخرج من بطن إلى بطن، ومن قرن إلى قرن، إلى أن يظهر حياً قد خرج من بطن أمه، يأمر وينهى، ويطيع ويعصي.

ثم بعد هذه الشهادة ردهم سبحانه إلى صلب أبيهم آدم، فكانت هذه أظهر من تلك. ثم أخرجهم بعد ذلك منه نسلًا بعد نسل إلى هذه الحياة الدنيا، ومن صلب إلى صلب على مر القرون، واستعملهم بدينه بأمره ونهيه، فكانت هذه الحياة أظهر كثيرًا من الأوليين، الأولى حين كانوا هباءات في الفضاء، والثانية حين أخرجهم من صلب آدم. وجميع البشرية ذرات لا تساوي طرف إصبع من صغرهم، والله ﷻ قادر على خلق الصغير والكبير، فهذه الذرات كلها كطرف الإبهام، كلهم الله ﷻ وضعهم في صلب آدم، ويخرجون جيلاً بعد جيل، وفردًا بعد فرد، من صلب آدم، ثم بعد كمال خلقهم يأمرهم وينهاهم، ثم يميتهم بعد هذه الحياة الدنيا، وموتهم بعد هذه الحياة أقرب إلى الحياة من الموتة التي كانت قبلها.

فيميتهم بعد أن ينزل عليهم الوحي، ويسمعوا كلام الرسل، يميتهم بعد هذه الحياة الدنيا، وموتهم بعد هذه الحياة أقرب للحياة من الموتة الأولى التي كانت قبلها، حين ردهم إلى صلب أبيهم آدم، فكانوا أحياء، ثم أخرجهم من صلب آدم، جيلاً بعد جيل، وقرناً قرن، فهم في هذه الموتة يحسون بعذاب القبر ونعيمه، فالقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، وتعرض عليهم منازلهم في الجنة أو النار، بل منهم أحياء وهم الأنبياء والشهداء، فالأنبياء أحياء في قبورهم يصلون، أما الشهداء فيقول الله عنهم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ﴿١٦١﴾ ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١٧٠﴾ [آل عمران/ ١٦٩ - ١٧٠].

فالشهيد ضحى بنفسه من أجل الله، فوهب الله له الحياة فوراً.

وحياة البعث المستقبلية أتم وأكمل وأبقى من حياتنا اليوم: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عِدْنٍ

وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴿التوبة: ٧٢﴾.

• والناس يوم القيامة فريقان:

فريق: في الجنة، وفريق: في السعير: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِدِ يَنْفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الروم: ١٤-١٦].

فإذا كان يوم القيامة؛ بعث الله الموتى من قبورهم للحياة الدائمة الأبدية الكبرى، وشهدت الشواهد، ونطقت الصوامت، وحق الحق، وحن الحساب: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَّنْ يُعْثَبَ قُلُوبُنَا وَلِي وَرِي لَنُبَعَثَنَّهُمْ لِنَبَيِّنَهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَعَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التغابن: ٧-٨].

ويوم القيامة ميقات الفصل بين الخلائق: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الدخان: ٤٠].

يوم القيامة ميقات الفصل بين الخلائق كلهم، أولهم وآخرهم، مؤمنهم وكافرهم: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشُنَانًا لِّيرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٦-٨].

فسبحان الملك الحق الذي يحكم بين عباده بالحق، العلي العظيم في خلقه وأمره، وحكمه وعدله، وبره ورحمته، وكبريائه وعظمته، وأسمائه وصفاته: ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾ [الحج: ٥٦-٥٧].

واعلم يا عبد الحكيم أن سنة الله في الخلق بالتدرج، كما خلق آدم ﷺ وغيره من الجماد، والنبات، والحيوان، كالسنة في تنفيذ الأمر النازل من فوق العرش من الرحمن، حين: ﴿يُنزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾ [النحل: ٢].

تدور به دوائر التنفيذ على سنته الجارية بالإيجاد والخلق؛ فالله ﷻ خلق السماوات والأرض في ستة أيام: ﴿قُلْ أَيُّكُمْ لَكَ كُفْرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رُوسِيٍّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا

طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْصِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ [فصلت/ ٩-١٢].

فسنة التدريج قائمة في المخلوقات، وقائمة في الأوامر، فرب أمر يومه خمسون ألف سنة، ورب أمر يومه ألف سنة، ورب أمر يقضيه الله يومه سنة، ورب أمر يومه شهر، ورب أمر يومه ساعة، ورب أمر حصل بأسرع من طرفة عين: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَّذْكَرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ [القمر/ ٤٩-٥٣].

هذا فعل الحكيم في ملكه العظيم، فالله له سنة جارية في خلقه وأمره، وله قدرة خارقة يفعلها إذا شاء، له سنة جارية أن النار تحرق، ولكنه يخرق هذه السنة؛ ليعين للخلق أنه هو الحكيم الذي له التصريف والتدبير: ﴿قُلْنَا إِنَّا نُكُونُ فِي بَرْدٍ أَوْ سَلَمًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿٦١﴾ [الأنبياء: ٦٩].  
والأمور والخلائق كلها خاضعة لأمره، ومستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِّعُجْزِهِ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ ﴿٤٤﴾ [فاطر: ٤٤].

فالله ﷻ له سنة جارية في خلقه وأمره، وله قدرة خارقة يفعلها إذا شاء؛ ليرفع الأبصار والبصائر من المخلوق إلى الخالق، ومن الصور إلى المصور، يفعل بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٨٢﴾ فَسَبَّحْنِ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

هو الحكيم العليم الذي كل شيء أراده لا بد أن يكون، وما لا يريد لا يكون أبداً، ومشيئته مقرونة بالحكمة المطلقة، والحكمة المطلقة مقرونة بالخير المطلق، فكل ما يقضيه الله ﷻ رحمة وعدل، وإحسان وحكمة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ ﴿٨﴾ [طه: ٨].

فسبحان الملك الحق رب العرش العظيم، الكريم الذي يعامل عباده معاملة الأكفياء، كأنهم جاءوا بأحسن شيء، ويشيهم ثواب المتين عليه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّاهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٧﴾ [النحل: ٩٧].

فالله سبحانه ملك كريم رؤوف بالعباد، يعامل عباده المؤمنين معاملة الأكفياء، ويشيهم ثواب الممتنين عليه، مع أنه الذي هداهم، يجزي بالسيئة مثلها أو يعفو عنها، ويجزي



بالحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة لا يعلمها إلا هو: ﴿إِن تَقْرَبُوا اللَّهَ قَرْبًا حَسَنًا يُّضَعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿١٧﴾ عَلِمُ الْعَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ [التغابن/ ١٧ - ١٨].

فما أغناه! وما أكرمه! إنه يشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم وهم له عبيد، ويعطيهم بها الجنة، ويثمنهم برضاهم عنه رضوانه عليهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرَّبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿١٣﴾ [التوبة/ ١١١].

وكما يعاقب الحكيم على ما لو شاء لعصم منه من الكفر والمعاصي، كذلك يثيب على ما إليه هدى، وهو الحكيم العليم في خلقه وأمره، وثوابه وعقابه، ووعدته ووعدته: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ [يونس/ ٦٠].

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ [غافر/ ٦٢].

فسبحان الله وبحمده الذي عدل فيما بينه وبين عباده، فأوجد خلقًا من خلقه في سبواته وأرضه من الملائكة والمؤمنين، يوحدهونه ويطيعونه ويسبحونه، ويمجدونه بمحامده التي هو أهل لها: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤٤﴾ [الإسراء/ ٤٤].

وأوجد الحكيم العليم أيضًا خلقًا من خلقه في أرضه، يكفرون به، ويكذبون عليه، ويعصون رسله، ويصفونه بما لا يليق بجلاله، وهو مع ذلك يعافيهم ويرزقهم، ويتودد إليهم بنعمه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].

بل نراه جل جلاله ينتقم لعباده في الدنيا بعضهم من بعض، بنصر المظلوم، وإهلاك الظالم، أكثر مما ينتقم لنفسه ممن أشرك به وعصى أمره؛ لكمال حلمه ورحمته بعباده: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٦٥﴾ [الحج/ ٦٥].

وقال النبي ﷺ: «لَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى الْأَذَى مِنَ اللَّهِ، يَرْمُونَهُ بِالصَّاحِبَةِ وَالْوَالِدِ، وَهُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وقد قالوا في حقه: إن الله ثالث ثلاثه، وقالت اليهود: إن الله فقيرٌ ونحن أغنياء.

وربما عجل الانتقام لنفسه كما أخذ الأمم السابقة بذنوبهم لما كفروا؛ فإن الأرض لا تصلح إلا بالدين الحق، ولا تصلح بالفساد والإفساد: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت/ ٤٠].

وربما أحر المظالم إلى يوم القيامة، فينتقم لنفسه ولعباده هناك: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم/ ٤٢].

وربما وضع انتقامه في بعض المواطن، وعفا لعباده عنه، ولا يترك مظالم العباد فيما بينهم، وهذا كله من فضله، وسبق رحمته غضبه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر/ ٢٢].

وهذا دعوة للخلق أن يتوبوا إلى الله، وأن يستغفروه؛ فإنه الرحمن الرحيم.

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ؛ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

فانظر يا عبد الحكيم ويا أمة الحكيم إلى عدل ربك العظيم، وحسن معاملته، وكريم عفوهِ، ولطيف تديرهِ، وسعة رحمته، وعظيم إحسانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

فسبحان الملك الحق الذي ملأت كل شيء عظمته، وقهرت كل شيء عزته، وأحاطت

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٩)، ومسلم برقم (٢٨٠٤)، واللفظ له.

(٢) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٤٨٣٠)، ومسلم برقم (٢٧٥١)، واللفظ له.

بكل شيء قدرته، وأحصى كل شيء علمه، وبلغ كل شيء لطفه، ووسعت كل شيء رحمته: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾ [غافر/ ٧-٨].

فسبحان الحكيم الذي حكم العالم العلوي والعالم السفلي بقوته وقدرته وقهره، وحكم الخلائق بعز ربوبيته، الخلق كلهم عبيد له، وهم جميعاً في قبضته، وحياتهم وموتهم بيده، وكلهم يعيشون في عز ملكه، وقهر سلطانه، وسعة رحمته، وسابغ نعمه: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتَى الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يُبْدِكَ الْخَيْرَ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾ تُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧].

فما أحكمه في خلقه وأمره وتديبه!، وما أكرمه وما أرحمه بعباده! لا إله غيره، ولا رب سواه يستحق العبادة والتكبير والتعظيم والتحميد والتقديس: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].  
لا إله إلا الله! كيف ينكره من جبله على معرفته! هذا العبد الذي جبله الله على معرفته كيف ينكر ربه؟! كيف ينكره من جبله على معرفته، وأشهده على ربوبيته؟! وكيف يكابره من قد قهره بملكه وسلطانه؟! وكيف يعجزه من ناصيته بيده؟! وكيف يستنكف عن عبادته من هو عبده وملكه، ويسكن في أرضه، ويأكل من رزقه?!

ولكن الله حلیم وحكيم، لا يعجل على عباده؛ لأنه يحب منهم أن يؤوبوا إليه، ويتوبوا إليه، ويرجعوا إليه: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزمر: ٥٣-٥٤].

ومن عرف الله حقاً آمن به، وعبده وحده، وتاب إليه من ذنبه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَن تَضَعُوا قُلُوبَهُمْ لِدِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد: ١٦-١٧].

كم من أجساد وقلوب كافرة صارت بفضل الله بالدعوة مؤمنة به عابدة لله، سامعة له، وساجدة لعظمته متصاغرة لكبريائه: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد/ ١٧].

وكيف يعبد هذا الشارد عن ربه مَنْ دونه! ومن بقاؤه وفناؤه بيده من الأحجار والأشجار وغيرها؟ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج/ ٤٦].

وقد من الله ﷻ علينا فسيرنا في بلاده، ورأينا غرب الأرض، وشرق الأرض، وشمال الأرض، وجنوب الأرض، ووسط الأرض، ورأينا هذه الذرة الصغيرة في ملك الله ﷻ، وهي هذه الأرض التي نحن عليها، ماذا تساوي الأرض بالنسبة للقمر؟ وماذا تساوي بالنسبة للشمس؟ وماذا تساوي بالنسبة للسماء الدنيا؟ وماذا تساوي بالنسبة للسموات السبع؟ وماذا تساوي بالنسبة للكرسي؟ وماذا تساوي بالنسبة للعرش العظيم؟ وماذا يساوي الإنسان في هذه الأرض؟، وما الذي غره حتى استكبر عن عبادة ربه: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ رَبِّكَ أَكْرَبُ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار/ ٦-٨].

فسبحان الملك العظيم الحكيم، الذي عالم السماوات والأرض، وعالم الليل والنهار، وعالم الدنيا والآخرة، وعالم الغيب والشهادة شعبة من سلطانه، وخزائن السماوات والأرض شعبة من نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

هذه أفعاله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/ ٥٤].

له الأمر الكوني القدري، وله الأمر الديني الشرعي، وله الأمر الديني الجزائي. هو الحكيم العليم في خلقه وأمره، وتدبيره وتصريفه، لم يخلق الحكيم العليم شيئاً مما خلق لحاجة به إليه، وإنما خلقه ليبين به كمال علمه وقدرته، وكمال أسماؤه وصفاته، وليعرف خلقه بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، ولتدين الخلائق كلها لعزته، ولتعلو الوجوه كلها لوجهه، ولتسبح النفوس بحمده: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

وإذا عرفتم ذلك أحببتموه وكبرتموه، وعبدموه وأطعتموه.

فسبحان من جميع الخلائق خاضع لأمره، وشاهد بوحدانيته، ومسبح بحمده، ومستجيب لمشيئته، ومسرع إلى إرادته: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١١٢﴾﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١١٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

فسبحان الملك الحكيم الرشيد في خلقه وأمره، وأقواله وأفعاله، العظيم في ذاته وأسمائه وصفاته، الذي يرشد عباده إلى ما هو خير، هو الحكيم الذي أرشد عباده إلى مصالحهم، وأرشدهم إلى سبل السلام: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣].

فأرشدهم إليه، وأرشدهم إلى دينه، وأرشدهم إلى محبته، وأرشدهم إلى قدرته، وأرشدهم إلى عظمته، وأرشدهم إلى ما يسعدهم في الدنيا والآخرة: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ

السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

هو الحكيم الذي يرشد الخلائق إلى هدايته، الذي أرشد أوليائه إليه، الذي أهدى أهل الرشد إلى عبادته: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمُ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات/ ١٧].

واعلم يا عبد الحكيم ويا أمة الحكيم أن الإنسان يكون رشيداً بقدر اتصاله بالله؛ لأن اتصاله بالله يكسبه نوراً وأمناً، وقوةً ورحمةً وبصيرة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ءَامِنًا وَعَٰمِنًا يُؤْتِيهِمْ يَوْمَئِذٍ كَفَالَيْنَ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الحديد/ ٢٨].

اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلننا، وما أنت أعلم به منا. ومن كان مع الله فلن يضل أبداً، ومن كان مع غير الله فلن يهتدي أبداً: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف/ ١٧].

فكن مع ربك الحكيم الذي أرشدك إلى الهدى، كن مع ربك الحكيم الهادي إلى كل خير، واسأله من فضله، فلن تضل ولن تزيغ: ﴿قُلْ إِنْ أَلْهَدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتِيَ أَحَدٌ مَثَلًا مَّا أُوْتَيْتُمْ أَوْ يُجَاوِزْكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ أَلْفَضَلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ يَخْصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].

فإن الله ﷻ حكيم يؤتي الحكمة من يشاء، وهي من أعظم النعم والمنن؛ فهو الحكيم الذي وهب الحكمة لكل حكيم، والحكمة هي فهم القرآن والعمل به، والإصابة في القول والعمل، ومعرفة دين الله والعمل به، وطاعة الله وخشيته.

والعلماء هم الذين يخشون الله، ومن لا يخشى الله فليس بعالم، ولو كانت عنده علوم الدنيا كلها، بل هو سفيه؛ لأنه عرف الخلق ولم يعرف الخالق، وعرف الصور ولم يعرف المصور، فهو أجهل الناس: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

وأصل الحكمة ما يمنع من السفه والجهل، فالقرآن حكمة، وسنة النبي ﷺ حكمة، والعلم حكمة، والتقوى حكمة، وتقديم الأحسن على الحسن حكمة، وتقديم الفرض على النفل حكمة: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة/ ٢٦٩].

وقال النبي ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَسَلَطَهُ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

ومن آتاه الله الحكمة فقد آتاه خيرًا كثيرًا؛ لأنه خرج بالحكمة من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمة الكفر إلى نور الإيمان ومن ظلمة الشرك إلى نور التوحيد، ومن ظلمة الضلال إلى نور الهدى، ومن ظلمة الانحراف بالأقوال والأعمال إلى إصابة الصواب بالأقوال والأعمال، وكمل نفسه بهذا الخير العظيم: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧١٤١)، ومسلم برقم (٨١٥)، واللفظ له.

## التعبد لله ﷻ باسمه الحكيم.. الحكم.. الحاكم

المؤمن إذا عرف أن ربه حكيم، وأن القرآن حكيم؛ سارع إلى عباده ربه وتكبيره وتعظيمه، وشكره وحمده، وسارع إلى تلاوة كتابه وتدبره، وحرص على النهل من حكمة القرآن العلمية والعملية: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ [النحل: ٨٩].

وعلى قدر معرفة العبد بالحكيم والحكم، والحكم والأحكام، والعلوم والمعارف المذكورة في القرآن؛ يكون حكيمًا: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٧٣﴾ [آل عمران: ٧٣].

اللهم ارزقنا الحكمة، والعمل بالحكمة، والدعوة إلى الحكمة.

والآن ما هو حظ العبد من هذا الاسم العظيم: من اسم الله الحكيم، ومن اسم الله الحكم؟ كيف يتعبد المسلم لله باسم الله الحكيم؟

اعلم يا عبد الحكيم أن أسعد الناس من آمن بالله، ورضي بحكم أحكم الحاكمين، وسلم لأمر رب العالمين، واستقام على التوحيد بقلبه وقالبه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ﴿٣١﴾ ﴿فصلت/ ٣٠-٣٢﴾.

والله سبحانه هو الحكيم الذي له الحكمة التامة، الحكم الذي لا أحد أحكم منه، الحاكم الذي يملك خزائن الحكمة، الكريم الذي وهب الحكمة لكل حكيم، وكل حكمة وأحكام وإحكام في العالم فمن آثار حكمته وحكمه: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

واعلم يا عبد الحكيم أن الحكمة أجل شيء يُكرم الله به عبده، والحكمة هي الدين. والحكمة تنقسم إلى قسمين:

الأول: من حيث العلم هي معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة دينه وشرعه، والعمل بموجب ذلك: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ



وَالْمُؤْمِنَاتُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩].

الثاني: الحكمة من حيث الفعل: هي جمع الأضداد وقرن المتعاصيات بحسن التدبير، وأصل الحكمة إصابة الصواب، وموافقة الحق والعدل في القول والعمل.

والحكيم من وضع الشيء في موضعه، وتزكى بالإيمان والتقوى، وسلك باليسرى منه مسلك اليمنى، وزم العسرى باليسرى، وقدم الأحسن على الحسن: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان/ ١٢].

فاجتهد رحمك الله في طلب الحكمة؛ فهي الجوهرة العظمى، والهبة السننية العليا، ومعرفتها حق واجب على أولي الألباب، فإنها الدين كله، وهي فرض لازم على من رغب في حسن الزلفى إلى ربه وحسن المآب: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].  
فالحكمة إصابة الحق، والحق كل ما وافق الشرع والعقل.

والله هو الحكيم الذي لا أحكم منه، الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨].

والحكمة التامة من العباد هي وضع الشيء المناسب، في المكان المناسب، في الوقت المناسب، بالقدر المناسب، بالأسلوب المناسب، للشخص المناسب.  
فالذي يقوم بالدعوة يختار لها الوقت المناسب، والمكان المناسب، والكلام المناسب، والقدر المناسب من الوقت، بالأسلوب المناسب، لتحصل الثمرة، فالمطلوب من المسلم أن يبلغ أوامر الحكيم بالحكمة: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۗ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

وحكمة البشر فضل من حكمة الله، وعطاء من الحكيم سبحانه: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة/ ٢٦٩].

والله حكيم خبير، يعطي الملك والمال من يحب؛ كسليمان عليه السلام وعثمان رضي الله عنه وغيرهما، ويعطيها من لا يحب؛ كفرعون وقارون، ولكنه لا يعطي الإيمان والعلم والحكمة إلا من يحب، كما قال سبحانه عن يوسف عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۗ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يوسف/ ٢٢].

واعلم يا عبد الحكيم أن الأحمق من كافر ومشرک ومنافق وغيره مقطوع عن الحكيم، والندم دائماً يرافق الحمق، ومن اتصل بالحكيم آتاه الحكمة، وحفظه من الحمق: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۗ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: ١١٣].

ومن افتقر إلى ربه صادقاً ألهمه الله الحكمة، وسداد القول والعمل، ومن اعتد برأيه؛ تحلى عنه ربه، فوقع في الشر والشرك، وانفرد به الشيطان فأرداه: ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ [النساء/ ٣٨].

ومن لم يكن وليه الرحمان تولاه الشيطان: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٧].

واعلم يا عبد الحكيم ويا أمة الحكيم أن الله إذا أعطى الإنسان صحةً وسعةً في المال والولد؛ فلا يظن أن الله يحبه، وإذا كانت صحته معلولة وهو فقير؛ لا يظن أن الله لا يحبه، بل الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ابتلاءً، ولكنه لا يعطي الدين إلا من يحب: ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ ۖ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ۖ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۗ بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾ [الفجر/ ١٥-١٨].

فليس العطاء والمنع دليلاً على محبة الله، فالله تعالى يحب التوابين، ويحب المؤمنين، ويحب المحسنين، ويحب المتقين، فليس العطاء من الله إكراماً، وليس المنع كذلك حرماناً، بل العطاء ابتلاءً، والمنع دواءً: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۗ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الشورى/ ١٢].

فسبحان الحكيم العليم بكل شيء، الذي يعطي عباده ما ينفعهم، ويمنعهم ما يضرهم،

أحياناً بالأسباب، وأحياناً بدون الأسباب، وأحياناً بضد الأسباب؛ لأنه قادر على كل شيء، عليم بكل شيء، حكيم في خلقه وأمره: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨].

واعلم أن الله سبحانه هو المعطي المانع وحده لا شريك له؛ فلا تلتفت إلى غيره، ولا تتعلق إلا به وحده: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر / ٢].

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فليتوكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن / ١٣].

والمخلوق إذا أعطى فهو معطٍ صوري، وإذا منع فهو مانع صوري، ولا يُقضى في الأرض أمر حتى يُقضى في السماء، والذي يعطي ويمنع حقيقة هو الله وحده، وهو المحمود على عطائه ومنعه، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧-١٨].

ومن أراد الله به خيراً آتاه الحكمة التي تذهب الشك، وتجلي الريب، ويعرف بها العبد الحق من الباطل، والخير من الشر، والهدى من الضلال، فيقبل على ربه، ويعبده، ويمثل أمره، ويجتنب نهيه: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤].

والمؤمن إذا علم أن ربه عليم بكل شيء، بصير بكل شيء، سميع لكل شيء، حكيم حاكم لكل شيء، قاهر لكل شيء، بيده كل شيء؛ حمد ربه وأحبه، وكبره وعظمه، وخافه ورجاه، وراقبه في السر والعلن، واطمأن قلبه بما قدره ربه وقضاه، وسلم لأحكامه الشرعية والقدرية، وفوض أموره كلها إليه، واستعان به، وتوكل عليه؛ لكمال معرفته به:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ [٣] أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر / ٤٤].

هذا دعاء الأنبياء، يفوضون الأمر إلى الله؛ لكمال معرفتهم بالله وأسمائه وصفاته. ومن علم أن الله حكيم في خلقه وأمره، حكيم في أقواله وأفعاله، حكيم في أمره ونهيه،

حكيم في قضائه وقدره؛ امتلاً قلبه أمناً وطمأنينة بقضاء الله وقدره، وسلم حكمه، وإطمأن بذكر ربه: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسَنَ مَثَابٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد/ ٢٨ - ٢٩].

وإذا عرف المؤمن ربه الحكيم في خلقه وأمره؛ فعليه أن يطلب منه الحكمة، ويتعلم الحكمة؛ ليكون حكيماً يضع الأشياء مواضعها، وخزائن الحكمة عند الحكيم جل جلاله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣١﴾﴾ [البقرة: ٢٦٩].

ويجب على كل مكلف أن يعلم أن الحكيم هو الله وحده لا شريك له، وكل ما سواه محكوم له، والحكمة موهوبة من الحكيم الحاكم لكل حكيم.

وإذا عرف هذا فعليه أن يخضع لألوهيته كما خضع لربوبيته، فيعبد ربه ويمثل أمره: ﴿يَتَائِبَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج/ ٧٧].

﴿يَتَائِبَهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢١ - ٢٢].

فالعلم هو سبب كل خير، والجهل هو سبب كل شر، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته؛ عبده حقاً، ودعاه حقاً، وذكره حقاً، ومجده حقاً: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلِقُ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وعلى المؤمن أن يعلم أن الأنبياء والرسل هم رسل الله، ومعادن الحكمة، وأهل الحكم الشرعي، فهم الذين يحكمون بما أنزل الله، ويؤمنون بما أنزل الحكيم عليهم من الأوامر الشرعية، وكل من سواهم يجب عليه الاقتداء بهم في نياتهم، وأقوالهم، وأعمالهم، وأخلاقهم؛ فإنهم رسل الحكيم الذي أرسلهم، فالحكيم لا يرسل إلا الحكيم: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب/ ٢١].

فجيب على المؤمن والمؤمنة إذا دُعي إلى حكم الله أن ينقاد لحكم الله ورسوله، وإلا كان

ظالماً، فلا بد أن يسلم قلبه وجوارحه لحكم الله ورسوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٦٥﴾ [النساء/٦٥].

ومن تحاكم إلى غير حكم الله ورسوله؛ فقد تحاكم إلى الطاغوت، وقد أمر أن يكفر به، ولا يكفر العبد بالطاغوت حتى يجعل الحكم لله وحده: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ [المائدة: ٤٩ - ٥٠].

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ [النحل: ٣٦].

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ [المائدة/٤٤].

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ [المائدة/٤٥].

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿٤٧﴾ [المائدة/٤٧].

نسأل الله ﷻ أن يمن على الحكام في الأرض بتحكيم كتاب الله، وتطبيق سنة رسوله ﷺ؛ فإن الملك ملكه، والأرض أرضه، والعباد عباده، فلا يجوز لأحد أن يحكمهم بغير كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ: ﴿وَأَن أَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْنَا أَنَّا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ [المائدة: ٤٩].

ومن أطاع الله ورسوله فهو حكيم، ومن أطاع النفس والشيطان؛ فهو سفيه: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ [البقرة: ١٣٠ - ١٣١].

ومن توكل على الله في جميع أموره فهو حكيم، ومن توكل على غيره؛ فهو سفيه: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ ﴿٧٩﴾ [النمل/٧٩].

ومن فعل ما أمر الله ورسوله به، واجتنب ما نهى الله ورسوله عنه؛ فهو حكيم، ومن ترك ما أمر الله ورسوله به، وفعل ما نهى الله ورسوله عنه؛ فهو سفيه: ﴿وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ ﴿٧١﴾ [الأحزاب/٧١].

﴿ وَإِذِ قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٣].

﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [المائدة/ ٥٠].

ومن الحكمة ترك المسلم ما لا يعنيه، وفعل ما ينفعه، واجتناب ما يضره، والقول الحسن، والفعل الحسن، والخلق الحسن، وبذل الندى، وكف الأذى، والصبر على البلاء، وأن يسكت أكثر مما يتكلم، كما قال النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقِلِّ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وأن يتخلق بالأخلاق الحسنة: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُبْقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٣٣ - ١٣٤].

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنَ عِزِّ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشورى/ ٤٣].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٧٠ - ٧١].

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة: ٢].

فيا عبد الحكيم، ويا أمة الحكيم، كل واحد منا محتاج إلى الحكمة، فلنسأل الحكيم أن يرزقنا إياها: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣٦١﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٦٩].

ولتحصل لنا الحكمة لا بد من سؤال الحكيم أن يرزقنا الحكمة، ولطلب الهداية لا بد من سؤال الهادي أن يهدينا الصراط المستقيم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة: ٢ - ٧].

فيا عبد الحكيم كن حكيماً تملك قلوب الخلق بحسن الأدب، وجمال الخلق، وجميل

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٠١٨)، ومسلم برقم (٤٨)، واللفظ له.

الإحسان؛ يحبك الله والناس.

فَالدِّينَ رِكَانًا: عِبَادَةَ الْحَقِّ، وَالْإِحْسَانَ إِلَى الْخَلْقِ: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْحَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْحَارِ الْجَنْبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

وتجمل بمحاسن الأخلاق: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف/ ١٩٩].

﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [٣٤] وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ [٣٥] [فصلت/ ٣٤ - ٣٥].

وهذه الأمور مرة، ولذلك ينزع الشيطان العبد فيأمره أن يتقم لنفسه: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [٣٥] وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [٣٦] [فصلت/ ٣٥ - ٣٦].

فكن حكيماً إن حكمت بين الناس، حكيماً إن تكلمت، حكيماً إن سكت، حكيماً إن فعلت، حكيماً إن أعطيت، حكيماً إن أخذت، حكيماً إن استقبلت أحداً، حكيماً إن زرت أحداً: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ٧٣].  
وكن حكيماً تحكم الأمور إن تعبدت وصليت، كن حكيماً تحكم الأمور إخلاصاً ومتابعة إن تعبدت وصليت، أو بعت واشترت.

لتكون أعمالك كلها عبادة، كن حكيماً مع ربك، فهو الذي يستحق أن يُعبد، وأن يطاع فلا يُعصى، وأن يُذكر فلا يُنسى، وأن يُشكر فلا يُكفر، وأن يُعبد وحده لا شريك له، كن حامداً لربك، مسبحاً بحمده، مكبراً له، معظماً له؛ لعظمته وجلاله، ولإنعامه وإحسانه، كن حكيماً مع ربك، وأدِّ العبادَةَ كما أمرَكَ اللهُ ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١١٢] لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ [١١٣] [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣].

كن حكيماً مع زوجك وأهلك، وأدِّ الحقوق إلى أهلها، كن حكيماً مع صديقك وعدوك: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطُّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [١٧] الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ

الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۗ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾  
 [الزمر: ١٧ - ١٨].

والحكمة الحق هي معرفة الله بأسماؤه وصفاته وأفعاله، والعمل بموجب هذه المعرفة وهي أصل الفضائل والخيرات، والمعارف والمحاسن، وتلك جوهرة ثمينة، يخص الله بها من يزكو بها ممن يشاء من عباده، وهو العليم بعباده جل جلاله: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام/ ١٢٤].

وبالحكمة واتباع السنة والعمل بشرع الله يزداد نور الإيمان في القلب، ويحصل كمال اليقين، ويكمل العلم، ويتم السرور، وتحصل حلاوة الطاعة، ولذة العبادة، وهذا هو الفلاح، والفلاح هو الفوز بالمطلوب، والنجاة من المهروب، الفوز بالجنة، والنجاة من النار: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

واعلم يا عبد الحكيم أسعدك الله في الدارين أن من حكمة من يحكم العالمين أن يخص منهم من شاء بما شاء، ويقلب أحوالهم كما شاء؛ لأنه الحكيم الذي له الحكم كله، وله الأمر كله، فهو الحكيم الذي حكم الخلائق بأمره الكوني، وبأمره الشرعي. فسراء وضرء، وشدة ورخاء، وسلم وحرب، وأمن وخوف، وقوة وضعف، وعافية وبلاء، وصحة ومرض، وغنى وفقر، وخصب وجذب: ﴿يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾﴾ [النور/ ٤٤].

فهذه هي أفعال الحكيم في ملكه، يدبر الأمور: سراء وضرء، وشدة ورخاء، وسلم وحرب، وأمن وخوف؛ يفعل الحكيم سبحانه ذلك كله؛ ليربي عباده ويسعدهم، لا ليعذبهم، ولا ليؤذيمهم، ولا ليشقيهم، ولا لينتقم منهم، بل ليعرفهم الحكيم الحق بأسماؤه الحسنی، وصفاته العلی؛ ليعبدوه وحده، ويسألوه وحده بمقتضى تلك الأسماء والصفات، وبذلك يصفو لهم توحيدهم وإيمانهم: ﴿وَلَنَبَلِّغَنَّكُمْ إِشْرَافًا مِنَ الْخُوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا



إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

واعلم رحمك الله أن الأحوال بيد الله، والأعمال بيد الإنسان، وثبات الأحوال في الدنيا محال، لا بد من سراء وضراء، ومن فقر وغنى، ومن أمن وخوف، لتظهر قدرة الله ﷻ لعباده، وليتعبد الناس له في حال السراء والضراء، وفي حال الصحة والعافية: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ٢ - ٣].

فثبات الأحوال في الدنيا محال، والعزة بالأعمال لا بالأحوال، العزة ليست بالمال وبالقوة وبالصحة، العزة بالأعمال لا بالأحوال، وثبات الأعمال في هذه الدنيا محال، وثبات الأحوال للإنسان في الآخرة لا في الدنيا: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صٰلِحًا فَأُولَئِكَ لَهُم جَزَاءٌ أَضْعَفُ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ/ ٣٧].

وينادي منادٍ يوم القيامة لتثيبت الأحوال لأهل الجنة، ويقول لأهل الجنة: أما آن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وتنعموا فلا تبأسوا أبدًا، وتخلدوا فلا تموتوا أبدًا، وتشبوا فلا تهرموا أبدًا؟ ثم يذبح الموت بين الجنة والنار: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيٰوَانِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٤].

فسبحان الحكيم الرحيم الذي يملك الرحمة، ويجب من يسألها، ويجب من اتصف بها، ويجب من رحم بها، وهو الرزاق الذي يملك الرزق، ويجب من يطلبه، ويجب من ينفقه، الشافي الذي يملك الشفاء، ويجب من يسأله الشفاء: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادَعُوهُ مَخْلَصِينَ لَهُ الَّذِينَ أَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

اللهم أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمًا، ولكننا مأمورون بفعل الأسباب من أجل امتثال أمر الله، ومن أجل طاعته، وامتثال أمره، وإلا فالشفاء في خزائن الله، والله جعل لكل شيء سببًا.

وهو سبحانه المؤمن الذي يملك الأمن، ويجب من يسأله، ويجب من يتصف به، ويجب من ينشره: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

فيا سعادة من كان في الليل مع الحكيم يسأله من فضله، ويحمده على نعمه، ويستغفره من ذنبه، وفي النهار ينشر أحكامه بين خلقه، ويدلهم عليه بما عرفه من أسائه وصفاته، وبما عرفه من دينه وشرعه، هذا أهدي الناس وأسعد الناس: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

فاجتهد يا عبد الحكيم ويا أمة الحكيم في توحيد ربك بأسمائه وصفاته، وتعبد الله بمقتضاها، وادع بها تكن ربانياً؛ فهو التواب الذي يحب التوبة، ويحب التائبين، المحسن الذي يحب الإحسان ويحب المحسنين، الكريم الذي يحب الكرم، وكل كريم، المؤمن الذي يحب الإيمان ويحب المؤمنين: ﴿مَا كَانَ لِشَرِّ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَكُمْ يَمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران/ ٧٩].

وإياك والتواني في الأمر، والتفريط في العمل، وترك ما يحبه الرب!.

أسأل الله الكريم الذي لا يخيب مؤمله، ولا يحرم سائله، ولا يقطع رجاء من رجاه أن يعيننا وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يغفر ذنوبنا، وأن يعصمنا جميعاً من الشرور والفتن، والتسوية والكسل: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف/ ٢٣].

وأسأله جل جلاله أن لا يجعلنا ممن ملكه الطمع، واستهواه الجبن، وأرداه الهوى، وأغواه الشيطان، وحيره العمى؛ فخسر الدنيا والآخرة: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت بِئِحْتَرْتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة/ ١٦].

﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر/ ١٥].

فاتق الله بما أسداه إليك من النعم، وعلمك ما لم تكن تعلم: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلُوكَ وَمَا يُضْلُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء/ ١١٣].

فَإِذَا آتَاكَ الْحَكِيمَ الْحَكْمَ وَالْحِكْمَةَ: ﴿فَأَحْكَمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (٦٦) [ص/٢٦].

واصرف أوقاتك وأموالك وأنفاسك في مرضاة من أنعم به عليك، وأعط كل ذي حق حقه، فلك حقوق، وعليك حقوق.

قال النبي ﷺ: «إِنَّ لِحَسَبِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرِزْوَجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وأحكم جميع أمورك فيما بينك وبين الله، وفيما بينك وبين خلق الله، وسارع إلى الخيرات، وسابق في الفضائل والطاعات؛ تسبق إلى أعلى الجنات: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٦١﴾ [الحديد/٢١].

وافعل الخير وعلمه، ودل الناس عليه، وרגبهم فيه، وابدأ بأهلك وعشيرتك وجيرانك: ﴿يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِّنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ﴿١٧﴾ [لقمان/١٧].

واحذر تمام الحذر عدوك من الأخلاق السيئة، وعدوك من شياطين الإنس والجن، وعدوك من الأعمال المحرمة والخبيثة، واعتصم بالله وحده؛ يكفك شرهم، وقل: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿١٢٩﴾ [التوبة/١٢٩].

وتوجه إلى ربك الصمد في جميع أمورك؛ فهو الحاكم في خلقه وحده خلقاً وتديراً، وعطاءً ومنعاً، وقضاءً وقدراً، وهو الحاكم فيهم بأمره ونهيه، وثوابه وعقابه: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ ﴿٦٥﴾ [مريم/٦٥].

وإذا حكمت بين الناس فاحكم بالعدل، وإياك والجور واتباع الهوى؛ فتفضل وتشقى. وتدبر كتاب ربك الحكيم، وقرآنه العظيم، وهو كتابه الكريم في بركاته، الحكيم في أسلوبيه، الحكيم في بيانه، الحكيم في تشريعه وأحكامه، الحكيم في وعده ووعيده: ﴿الرَّكَتُبُ أَحْكَمَتْ أَيْنُهُ ثُمَّ فُضِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ ﴿١﴾ [هود/١].

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦١٣٤)، ومسلم برقم (١١٥٩).

فتعلمه وعلمه، واعمل به؛ تكن من الربانيين: ﴿وَالَّذِينَ يَمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ  
إِنَّا لَنُنْضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف/ ١٧٠].

﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران/ ٧٩].  
﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].  
﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ﴾ [الشعراء/ ٨٣-٨٥].  
﴿وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ [الشعراء/ ٨٥].

اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهديني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

اللهم يا من بيده ملكوت كل شيء، يا أحكم الحاكمين، يا خير الرازقين، يا أرحم الراحمين، ويا رب العالمين، اغفر لنا وارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء.

اللهم إنا نسألك إيماناً كاملاً، وقلباً خاشعاً، ولساناً ذاكراً، وعملاً صالحاً، وحلالاً طيباً، ونسألك الفوز بالجنة، والنجاة من النار، يا ولي الصالحين.

اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا يا أرحم الراحمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

# فهرس الموضوعات

## الجزء الثالث

الموضوع	الصفحة
الباب الثامن: ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية:	٧
٣٤- اسم الله المؤمن	٨
التعبد لله عز وجل باسمه المؤمن	٤٣
٣٥- اسم الله المهيمن	٧٩
التعبد لله عز وجل باسمه المهيمن	١٠٥
٣٦- اسم الله العزيز	١١٥
التعبد لله عز وجل باسمه العزيز	١٥١
٣٧- اسم الله الجبار	١٦٩
التعبد لله عز وجل باسمه الجبار	١٨٢
الباب التاسع: ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية:	٢٠٥
٣٨-٣٩ اسم الله الخالق.. الخلاق	٢٠٦
التعبد لله عز وجل باسمه الخالق.. الخلاق	٢٦٤
٤٠- اسم الله البارئ	٢٧٧
التعبد لله عز وجل باسمه البارئ	٣١١
٤١- اسم الله المصور	٣١٧

- التعبد لله عز وجل باسمه المصور..... ٣٤٢
- الباب العاشر: ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية: ..... ٣٤٩
- ٤٢ - اسم الله الغني..... ٣٥٠
- التعبد لله عز وجل باسمه الغني..... ٣٩٦
- ٤٣-٤٤ - اسم الله الرزاق.. الرزاق..... ٤١١
- التعبد لله عز وجل باسمه الرزاق.. الرزاق..... ٤٦٠
- ٤٥-٤٦ - اسم الله الكريم.. الأكرم..... ٤٧٥
- التعبد لله عز وجل باسمه الكريم.. الأكرم..... ٥٣٣
- ٤٧ - اسم الله الحميد..... ٥٦٥
- التعبد لله عز وجل باسمه الحميد..... ٦٢١
- الباب الحادي عشر: ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية: ..... ٦٤٧
- ٤٨ - اسم الله المجيد..... ٦٤٨
- التعبد لله عز وجل باسمه المجيد..... ٦٧٨
- ٤٩-٥٠ - اسم الله الولي.. المولى..... ٦٨٩
- التعبد لله عز وجل باسمه الولي.. المولى..... ٧١٨
- ٥١-٥٢ - اسم الله النصير.. الناصر..... ٧٤٧
- التعبد لله عز وجل باسمه النصير.. الناصر..... ٧٨٨
- الباب الثاني عشر: ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية: ..... ٨٠٣
- ٥٣-٥٤-٥٥ - اسم الله القادر.. القدير.. المقتدر..... ٨٠٤

التعبد لله عز وجل باسمه القادر.. القدير.. المقتدر.....	٨٦٠
٥٦- اسم الله اللطيف.....	٨٦٩
التعبد لله عز وجل باسمه اللطيف.....	٩٠٤
٥٧- اسم الله الخبير.....	٩٢١
التعبد لله عز وجل باسمه الخبير.....	٩٤٢
٥٨-٥٩-٦٠- اسم الله الحكيم.. الحكم.. الحاكم.....	٩٦٣
التعبد لله عز وجل باسمه الحكيم.. الحكم.. الحاكم.....	١٠٢٦
الفهرس.....	١٠٣٥